نسيم الرياض

في شرح

شفاء القاضي عياض

للعالم الفاضل، شتيت الفضائل، الذي هو بأنواع المدائح حري
مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري
تغمده الله برحمته وأسكنه في فراديس جنته بمنه وكرمه آمين

وبهامشه

شرح الشفا

لعلي القاري رحمه الله تعالى

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

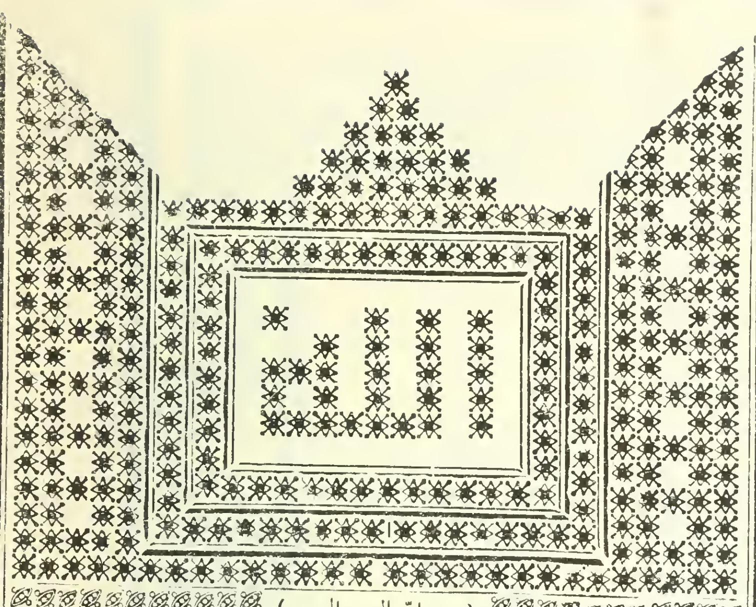
(الجزء الاول)

من نسيم الرياض * فى شرح شفاء القاضى عياض

للعالم الفاضل * شتيت الفضائل * الذى هو بانواع المدائح حرى * مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجى المصرى * تغمده الله برحمته * وأسكنه فى فراديس جنته بمنه وكرمه
[illegible]ين

وبهامشه شرح الشفا لعلى القارى رحمه الله تعالى

الناشر
دار الكتاب العربي



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نور الخافقين ببعثة النور المبين * وجعلها شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فازال ظلمات الضلال المدلهمه * فاذا همت أفواه الاباطيل باطفاء نوره أبى الله الا أن يتمه * حين أشرق به مصباح الهداية * وقد كادأن يهم بالانطفاء * واتضح منهج الحق بعد ماندرس رسمه وعفا * برسالته التى شرح الله بها الصدور وشفا * وانهار به ركن الباطل بعدما صار من الغواية على شفا * فاكمل الله به المنة على البرية * وأحيى به موؤدات المعارف الالهية فى فترة الجاهلية * فصلى الله عليه وزاده تبجيلا وتكريما * كما أمر بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما * وعلى عترته وصحبه الذين باعوا له أرواحهم بالجنة وسلموها تسليما * ماذر مسك المداد على كافور الطروس * فعطر اردان الاذهان والنفوس * (هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى) * كتاب قدره جليل * وهو على جلالة مصنفه أدل دليل * فانه كما فى مطمح الانفس أجل أعيان الاندلس * جاء بها على قدر * وسبق لنيل المعانى وابتدر * فاستيقظ لها والناس نيام * ووردماءها وهم صيام * فتحلت به العلوم نحور * وتجلت له منها عرائس حور * كأنهن الياقوت والمرجان * لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * وألحفته الاصالة ردائها * وسقته درها وندائها * وألقت اليه لرياسة مقاليدها * وملكته طريفها وتليدها * وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة * واعتنائه باعلاء معالم الشريعة * يعتنى باقامة أود الادب * وينسل اليه أربابه من كل حدب * مع عفاف وصون * أعدم الفساد بعد الكون * وقدوفى ببيان بعض ما يجب من آياته * ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدى صفاته * مما يحق له ان يكتب بالنور * فى صحائف وجنات الحور * وينقش بقلم العقل معانيه * ويخط على ألواح الاذهان لاطفال الارواح مبانيه * صحف أنزعت بشهد حلا * فى كل ذوق لذلك كان شفا * ولعمرى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل القرآن شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * وشفى به من كان أشفى على شفا جهنم من الكافرين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين وسيد الاولين والآخرين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وأتباعه أجمعين الى يوم الدين * (أما بعد) * فيقول أفقر العباد الى كرم ربه البارى * على ابن سلطان محمد القارى لما رأيت كتاب الشفاء فى شمائل صاحب الاصطفاء * اجمع ما صنف فى بابه مجملا من الاستيفاء * لعدم امكان الوصول الى انتهاء الاستقصاء * قصدت ان أخدمه بشرح

لقد نثر الدر فيه من فيه * وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه * حديث لو أن الميت نودى
باسمه لاصبح حيا بعدما ضمه القبر * فلما كنت قديما وحديثا * يحثنى حادى الشوق نحوه
حثيثا * وقطب الصبا غضة مورقة الافنان * ورياضه الزاهرة محفوفة بروح وريحان
لشغفى بصفاته وموصوفه * وطربى بسماع تليده وطريفه * ثم لا يحميا سقت عنها ظروف
حروفه لا أزال أقف العين بالاثر * منشدا وقد ناب السمع عن البصر * فانى ان أرى الديار بطرفى
فلعلى أرى الديار بسمعى * وكان يصدنى عنه ما فى الباع من القصر * و زمان لا يعرف فيه
ورد من صدر * فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور * وان لم تخل قصورها المشيدة
من قصور * وفى بعضها أغاليط * وتطويل ممل وتخليط * الاان تقليد الناس لى صريح ندائها
والبحث قد أمن على دعائها * فتلالا ما فيها من تلاعب الظنون (قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فسودت بعض الامالى رجاء لان يبيض بها صحف أعمالى
فيسر بها كاتب اليمين * وترفعها أيدى الكرام الكاتبين * فلما رآه بعض الاصحاب سألنى
أن أبرز مخدراته من خلف الحجاب * وألح على فى ذلك دفعة بعد دفعة * وانا أقول له هذا باسمين
لا يساوى جمعه * وهو يمد يد أمله لاقتطاف وردة له لا تجتنى * ويهم بذوق ثمراته الغضة الجنا * وقضيبه
بريح القبول ماترنحت * ووردته بنسيم السحر ما تفتحت * كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها
رأسها * ثم عرض لى بغتة ما عرض * مما أضر بجوهر القوى من العرض * فقصدت شفاء الروح
والبدن * باسناد الجسم الضعيف لحديث الصحيح الحسن * رجاء للظفر بسعادة الدارين * مما فيه من
عين القرة وقرة العين * لتشفى به أمراض القلب اذا أتت الساعة * فنلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرء
ساعة * ولما انجلى على منصة التمام * وفض منه مسك الختام * (سميته نسيم الرياض * فى شرح شفاء
القاضى عياض) * رجاء أن يهب عليه ريح القبول * وان كانت نسمات الآمال عليله * وتشمله
نفحة من نفحات الرسول * صلى الله تعالى عليه وسلم فتشفى من الظماء غليله * واعلم ان سندى فى هذا
الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق عالية اعلاها وايتى عن خاتمة المحدثين
الشيخ ابراهيم العلقمى وهو عن أخيه الشمس العلقمى شارح الجامع الصغير عن مؤلفه الجلال
السيوطى بقراءتى عليه من أوله الى آخره بالجامع الازهر وسند السيوطى رحمه الله أشهر من الشمس
فى رابعة النهار وعن شيخ الاسلام شافعى زمانه الشيخ العلامة شمس الدين محمد الرملى عن والده الشيخ
أحمد الرملى عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى وعن والدى قدس الله روحه عن الشيخ الشهاب الدين
ابن حجر الهيتمى وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى
ابن عياض اليحصبى السبتى الغرناطى المالكى قاضى سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح
مسلم وغيره كالمشارق أى فى تفسيره وله مدة طويلة ثم نقل الى غرناطة فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة
ولم يطل أمده بها ثم ولى قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة فى شهر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة
فهو سبتى الدار والميلاد أندلسى الاصل فان أصوله نشأوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس
وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس وهو بحر فى العلوم النقلية والعقلية
وأما أدبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج ووفاته يوم الجمعة بمراكش فى جمادى الآخرة سنة أربع
وأربعين وخمسمائة وما قيل من انه لا أصل له وفيه يقول على بن هارون

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم * والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الرأى عينا فى اسمه * كى يكتموه وشأنه معلوم

يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الاعراب والبناء * رجاء أن اسلك فى سلك مسالك العلماء يوم الجزاء * فاقول وبالله التوفيق * وبتاييده ظهور التحقيق * ان المصنف رحمه الله تعالى كان وحيد زمانه وفريد آوانه * متقنا لعلوم الحديث واللغة والنحو والآداب * وعالما بايام العرب والانساب * ومن تصانيفه المفيدة الاكمال فى شرح مسلم * كمل به المعلم فى شرح مسلم * للمازرى ومنها مشارق الانوار فسر به غريب الحديث ومنها الشفا فى حقوق المصطفى ومنها شرح حديث أم زرع الى غير ذلك وله اشعار لطيفة متضمنة لمضامين منيفة مولده منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل فى شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال

لولاه مافاحت أباطح سبتة * والروض حول فنائها معدوم

وفي طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تاليفه نحو ثلاثين تاليفا جليلة وأنشد له من شعره

الله يعلم اني منذ لم أركم * كطائر خانه ريش الجناحين

ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * وان يكن بعدكم حين جناحين

(وقال) انظر الى الزرع وخاماته * يحكي وقد ماست امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

قال واليحصبي بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك أبو قبيلة باليمن والغرناطي نسبة الى غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ونون وألف بعدها طاء مهملة وهاء ويقال اغرناطة بالف قبل الغين أيضا انتهى ويأتي لذلك مزيد بيان وسبتة مدينة مشهورة * وقرأت في ديوان ابن المقري الشافعي رحمه الله ان كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قرأه مريض أو قرئ عليه شفاه الله وهو مما جرب وكان ابتلي بمرض فقرأه فعافاه الله منه وقال في ذلك

ما بالكتاب هواي لكن الهوى * أمسى بمن أمسى به مكتوبا

كالدار يهوى العاشقون بذكرها * شغفا بها لشمولها المحبوبا

أرجو الشفاء تفاؤلا باسم الشفا * فهو الشفاء وادرك المطلوبا

وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى * لاسيما ظن يصيب مجيبا

ويأتي لذلك مزيد بيان * (وأنا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد وانا ارجو فوق ذلك مظهرا) * واعلم ان في الشفا بعض أحاديث ضعيفة وقليل ممن قيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفاءه وقد نبه على ذلك كله الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ولم ينصف الذهبي في قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلائل النبوة للبيهقي رحمه الله فانه كله هدى ونور وقال الذهبي أيضا انه قلد فيما ذكره ابن سبع وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه وهو تحامل منه لا ينبغي وسترى ان شاء الله ما ذكره في محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قارئ هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع) وفي رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفي أخرى بذكر الله والاشكال في تعارض هذه الروايات مشهور وكذا التوفيق بينها بحمل الابتداء على العرفي الممتد أو مجرد التقديم على المقصود وهما مقاربان وكذا ما قيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدأ بها فيه * وأجيب بأن المراد في الروايات كلها الابتداء باحدهما أو بما يقوم مقامه بدليل الاكتفاء تارة بالبسملة وتارة بالحمدلة وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال واشكال التدافع أيضا أو يحمل المقيد على المطلق وهو ذكر الله والكلام على هذا أشهر من قفا نبك فلا فائدة في الاعادة وهنا اشكال أبداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوي رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من رأيناه وهو ان جملة البسملة لا تخلو اما أن تكون خبرية أو انشائية ويتجه على الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق [illegible] بدونه في نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ اللهم الا ان يجوز مثل ذلك في نحو قولك أتكلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بالكلام المجيد واقتفاء بالحديث الحميد ثم قال (اللهم صلى على محمد وآله) أي واتباعه المتضمنين لاصحابه (وسلم) وهذا طريق المغاربة حيث يأتون بالتصلية والتحية بين البسملة والحمدلة كما في الشاطبية ولعل فيه اشعارا بان البسملة المشتملة على نعت الالوهية وصفات الرحمانية والرحيمية بمنزلة شطر الشهادتين من كلمة التوحيد فلا بد من انضمام الشطر الاخير لاتمام معنى التمجيد ليترتب على توفيق تحصيل هذا المقام مقام التحميد في بعض النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله

أو أقوم متكلما مخبرا ان تكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثاني ان من شان الانشاء أن يتحقق
مدلوله به وأصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والشرب ونحوهما مما ليس بقول لا يحصل
بالبسملة فان كانت لانشاء المصاحبة أو الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء متعلقها والاصل أي
ويكون الاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدأ أو افتتح أي اجعله بداية الفعل والجملة لانشاء
الجعل وانه بداية كل شئ كما نقل عن الامام لا يلزم ما مر الا أنه خلاف المشهور ولا يتم أيضا على تقدير
الخبرية لان المصاحبة والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشاء
على انه لا يجري حقيقة الا في نحو التأليف مما يمكن ان يكون بدائيته حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج
للمسامحة في جعله بدأ له * أقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشاء التبرك الموقوف على التلفظ
بالبسملة وما توهمه هذا القائل على تقدير الانشاء من الخيالات الواهية والاوهام الفارغة وقوله انها
حينئذ لانشاء المتعلق ومثله في غاية الندور وعدم صحته في غاية الظهور ألا ترى ان أدوات الاستفهام
باسرها تدخل على الجمل المتحقق مضمونها خارجا فتصير بجملتها انشاء كما يقول من رأى شخصا
قائما لم يحط بتشخصه وأحواله خبرا من قام أو على أي حال قام وهكذا مما لم يحط به نطاق الحصر ولم يحم
حوله الندور ولا يقال انه مع تحقق القيام في الخارج انه لانشاء المتعلق وكذا كم غلط وقع منك ورب
صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضي واما كونه لانشاء الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله
وأنا أعجب من هذا الفاضل كيف زعم ورود ما قال ومن ارتضاه بعده من فحول الرجال

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

وفي النسخ (قال القاضي الفقيه الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين المهملة
وفتح الياء المثناة وبعدها ألف وضاد معجمة (اليحصبي رضي الله عنه) قال في القاموس يحصب
مثلثة الصاد حي والنسبة مثلثة أيضا لا بالفتح فقط كما زعم الجوهري ويحصب قلعة بالاندلس انتهى
وفي لباب الانساب لابن الاثير اليحصبي بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة وقيل
ضمها أو كسر الباء وهذه النسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير سميت باسم أبيها يحصب بن مالك
قلت هكذا ضبطه أبو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها لان يحصب بالكسر فتفتح في النسب
كنمري وتغلبي انتهى * قلت بهذا عرفت ان رد صاحب القاموس على الجوهري مردود لانه
قول بل لانه القياس المطرد في امثاله وما خالف شاذ لا يعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام
المصنف رحمه الله تعالى وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب بابي الفضل كما قيل

أبى الفضل من أجرى الى الفضل يافعا * فصار به يدعى وصار به يكنى

(الحمد لله) الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة أو حكما على وجه التعظيم
ظاهرا وباطنا بان لا يصدر ما يخالفه ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المذكور عند متأخري
المحققين وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله والله اسم للمعبود بحق المستوجب لجميع
المحامد وفي علميته وفي أصله ما يغنيك عن ذكره شهرته والمراد ان جنس الحمد أو جميع افراده مختصة
به تعالى فان قلنا الاختصاص الذي يدل عليه اللام بمعنى الانحصار وضعا أو بمعونة المقام يحمل
الاختصاص الذي ذكر على الفرد الكامل اما على المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم أو منزلة حمده تعالى
لانه مبتدأ كل جميل أو على الحقيقة لان المحمود عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره
بالذات عند البعض وهذا بناء على حمل الاختيار على الحقيقي الذاتي والاول بناء على حمله على العرفي
الظاهري ولكل وجهة ولو أريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف على ما فصله

(قال الفقيه) وفي نسخة الشيخ الفقيه (القاضي الامام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين
(اليحصبي) بتثليث الصاد والفتح أخف وبه ثبتت رواية الشاطبي وهو نسبة الى يحصب ابن مالك قبيلة من حمير باليمن (رحمه الله تعالى عليه) ولا شك ان هذا الادخال من المقال صدر من بعض أرباب الكمال من تلاميذ المصنف أو من بعده ولكن اللائق في فعله ان يأتي به قبل البسملة ليقع الكل من مقوله ولعله تحاشى من تقديم ذكره فوقع وهم في حقه فالاولى ان يفعل مثل هذا العنوان وراء الكتاب على قصد التبيان أو يعلم آخرا ولون مغاير في هذا المكان ثم تحقيق مباحث البسملة والحمدلة وما يتعلق بهما من وجوه التكملة قد كثر في تصانيف العلماء وتآليف الفضلاء وقد ذكرنا طرفا منها في بعض تصانيفنا كما هو دأب البلغاء والمقصود بعون الملك المعبود هو ان المصنف قال (الحمد لله) بالجملة الاسمية لافادة الديمومية لان الفعل دال على اقتران مدلوله بزمان والزمان لا ثبات له فكذا ما قارنه واللام فيه للاستغراق عند أهل السنة خلافا للمعتزلة
اذ كل كمال انما هو لله سبحانه وتعالى في حقيقة الحال أو طريقة المآل

شراح المطول والعضد وفى شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا أولدلالتها
على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها وفيه نظر * وههنا بحث أبداه ابن الهمام
رحمه الله فى شرح البديع فقال جملة الحمد صيغة انشاء معنى كصيغ العقود وبالغ بعضهم فى انكار كونها
انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشاء يقارن معناه لفظه فى
الوجود ويبطل من قطعتين احداهما ان الحامد ثابت قطعا بل الحامدون والاخرى انه لا يصاغ لغة
للخبر عن غيره من متعلق أخباره اسم قطعا فلا يقال لقائل زيد ثبت له القيام قائم فلو كان الحمد اخبارا
محضا لم يقل الحمد لله حامد ولا ينفى الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة انتفاء
وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم يتراآى لزوم
كون كل مخبر منشئا حيث كان واصفا للواقع مظهراله وهو توهم فان الحامد ماخوذ فيه مع ذكر الواقع
كونه على وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان وظهر ان الغفلة عن اعتبار
هذا القيد جزء ماهية الحمد هو منشأ الغلط أو بالغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو
الاتصاف ولا خارج للانشاء وأنت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو
المركب منه ومن كونه على وجه ابتداء التعظيم لا خارج له انتهى *أقول هذا صنو مامر فى البسملة وهو
تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان
انكاره الانشاء لانه يلزمه الاتصاف بالجميل واجد الانه انما انتفى الوصف لا الاتصاف وشتان ما بينهما
وقد كفانا ببيان مزيته واما ابطاله الخبرية بقولهم حامد وحماد فمغالطة عجيب لانه ليس نظير من قال
زيد قائم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح ان يوصف بانه متكلم أيضا الاتصاف المخبر
بما أخبر به عن غيره ومشاركته له فى ذلك كما ان المخبر عن الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم
مع اعتقاده لذلك ظاهر معظم فهو حامد وواصف له وهو ظاهر لمن نور الله تعالى بصيرته وهو ان الحامد
الخ ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم يتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازم له لا جزؤه
وقد بسطناه هذا فى العناية فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق (المنفرد) قال الراغب المفرد الذى
لا يختلط بغيره وهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى قال الله تعالى (لا تذرنى فردا) أى
وحيدا ويقال فى الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشياء كلها فى الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى (ومن
كل شئ خلقنا زوجين) وقيل معناه المستغنى عما عداه فهو كقوله تعالى (ان الله لغنى عن العالمين)
فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه مخالف
للموجودات كلها ومنفرد فى كلام المصنف ضبط بالنون والتاء الفوقية من باب الانفعال والتفعل
ومعناه مامر وفسر أيضا بعدم مشاركة غيره له فى ذاته وصفاته وكل ما يختص به من نعوت جلاله والمراد
هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الآتى واطلاقه على الله تعالى اما لثبوته كما يشعر به كلامهم أولا لاكتفاء
بورود ما يشاركه فى مادته ومعناه أو بناء على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا أو على سبيل التوصيف
دون التسمية كما ذهب اليه الغزالى رحمه الله والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته
لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع أيضا كتحجر الطين أى صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير
كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه فى الاصل للتكلف فاريد به غايته وهى الكمال والمبالغة
لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه ويتأنق فيه كما قيل فى المتكبر (باسمه الاسمى) الباء صلة المنفرد
والاسم اما من السمة بمعنى العلامة أو من السمو كالعلو لفظا ومعنى قيل وفى قوله الاسمى ايماء الى
الثانى والباء اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به أو للملابسة والاول الارجح ويرجح

(المنفرد باسمه الاسمى) وفى نسخة المتفرد من باب التفعل بمعنى المتوحد فانهما واحد فى المعنى وان اختلفا فى المبنى والاسمى افعل التفضيل من السمو وهو الارتفاع أى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الاعلى والاضافة للتعميم فان لله الاسماء الحسنى وكل واحد منها فى مرتبته هو الاعلى والاغلى واغرب الشمنى فى تفسير الاسمى بالعالى

الثانى بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لسائر الذوات فى الماهية وتميزها
بالصفات العلية والاسمى أفعل تفضيل لا بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تأتى لما يأتى
له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهار انه اسم الذات وماسواه أسماء صفات فالمفضل عليه
ماسواه من أسمائه الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه أقوال أخر مشهورة
أو للجنس فالمراد به أسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق أو مطلق أسمائه لاختصاصها به فى الحقيقة
وان أطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى آخر فى البدائع لابن القيم أسماؤه تعالى التى تطلق عليه
وعلى غيره كحى وسميع هل هى حقيقة فيه تعالى مجاز فى غيره أو مجاز فيه حقيقة فى غيره أو حقيقة
فيهما أقوال أظهرها الاخير فتقديره على الثانى المراد ان كل اسم من أسمائه أشرف مما سواه
وشرف الاسم بشرف مسماه ❊ فان قلت قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى فى الفقه الاكبر أسماء الله
تعالى وصفاته مستوية فى العظم والفضل لا تفاوت بينها وهو مناف لما ذكر ❊ قلت مراده روح الله
روحه انها من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسماء والموصوف بجميع
الصفات واحد وهو الله تعالى وهذا لا ينافى التفاوت فى حقائقها من حيث ان بعضها فى حيطة بعض
لتقدمه رتبة وبحسب الظهور كالالوهية التى تشمل حيطتها أكثر الصفات والعلم وقد صرحوا أيضا
بتفاوت الصفات فى نفس معانيها وحقائقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم
التفاوت بين الاسماء ليس الا الاستواء انها بحسب الاضافة الى الذات كما فصله الشيخ بهاء الدين فى شرح
الفقه الاكبر وفيه أيضا ان آيات القرآن متساوية فى الفضل قال الشارح تساويها من جهة القرآنية
واضافتها الى الله تعالى وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كآية الكرسى وآيات القصص
وعليه يترتب ماروى فى فضائل السور (المختص) اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا
فاختص فيجوز فى المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه
اسم فاعل من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفى الصحاح خصه بالشئ خصوصا وخصوصية والفتح
أفصح وخصيص واختصه بكذا خصه به وفى شرح السيد القياس ان تدخل الباء التى هى صلة
الاختصاص على مالا يوجد الشئ فى غيره فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا
ماتدخل على مالا يوجد فى الغير كما فعله المصنف وهو فصيح أيضا والمعنى على التقديرين واحد أى هذا
الملك لا يكون لغيره والثانى أكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز أى تمييز عن غيره
بالملك وهذا ملخص ماقاله القوم كما فى شروح الكشاف وحواشى المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه
بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفى شرح المفتاح للسعد ادخال الباء فى
المقصور عليه هو الاستعمال العرفى العام وادخالها فى المقصور هو الاستعمال الشائع العربى وقال
قدس سره الاصل فى لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال الباء فى المقصور
عليه فيقال اختص الجود بزيد أى صار مقصورا عليه الا ان الاكثر فى الاستعمال ادخالها على
المقصور بناء على تضمن ذلك معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا
زبدة ما مخضته الافكار ❊ وأنا أقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد
يترجح احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقى من قام به الفعل لا من أوجده كما حقق فى الاصول
فاذا أسند الى أحدهما حقيقة تعين دخول الباء على الآخر لان قيام الاختصاص به اما بحسب الامر
والاستحقاق أو بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثانى يسند
للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله مثاله لو مات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص

(المختص) صفة لله
كالمنفرد ويجوز قطعهما
بنصبهما أو رفعهما
أى المخصوص

مال فلان بابنه دون خاله فلو كان له ابنان وحاز أحدهما المال كله تغلبا فالأليق ان تقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول الباء على المقصور عليه وفى الثانى بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حقيقة فيهما وليس المعنى فيهما واحدا كما تقرر وزعم مع هذا انه مجاز خبط وفى كلام اللغويين ما يصرح بما قلناه ثم ان قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال الباء على الرحمة اشارة الى انه يحض برحمه ولطفه ولو أسنده الى أو للرحمة أوهم خلافه فتامله فانه دقيق جدا (بالملك) الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز فيه الكسر والفتح وهو أبعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف فى الامور المملوكة بتنفيذ الاوامر والنواهى وفسر بالاحتواء على الاشياء قادر على الاستبداد بها وقد يراد به الاشياء لحتوى عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع فى كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثانى ملك الاعيان وقد يجتمعان و يأتى ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة وتاؤه للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوى وقيل الاصطلاحى لاهل الحكمة والتصوف والباء داخلة على المقصور وقد سمعته آنفا (الاعز) افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العز حالة مانعة للانسان عن ان يهان أو يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز أى صلبة كانه فى عزاز أى محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا ما قاله أهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال فى شرحه معنى كونه أعز ان احتواءه عليه أغلب من كل احتواء ولا ينبغى ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة (الاحمى) افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمى وحمى اذا صنته والمحمى مصون واصله ارض ممتنع من قطع نباته ورعيه وكانوا يفعلونه فى الجاهلية كما يريدون فلما جاء الاسلام نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا حمى الا الله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف القياس ان كان بمعنى المفعول كاشغل من ذات النحيين أى ذات زقى السمن وهى امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن فى الجاهلية فاتاها خوات ابن جبير الانصارى قبل اسلامه فساومها فحلت له نحيا مملوأ فقال امسكيه حتى انظر الآخر فحل الآخر وقال امسكيه فلما شغلها بشغل يديها غشيها وهى لا تقدر على الدفع عن نفسها فى النحيين وشحها بضياع السمن فلما قام عنها قالت له لا هناك الله فهى فى هذا المثل مفعولة لانها اشغلت بالنحيين أو على القياس بمعنى الفاعل بجعله كانه يحمى نفسه لعظمته ان يصل اليه أحد فحمايته أعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدها فقير لا ينبغى ان يدعى انه املكه لعظمة قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تمليك مثله لها كما قيل فى مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدى كانها قدمت نفسها وهو المناسب لقول الاعز فاسناده مجازى والمعنى على الاول انه ملك غيره اذا كان محميا فلكه تعالى محمى بحماية أقوى من كل حماية لانه ملك لا يصير لغيره ألا الى الله تصير الامور ولا حاجة لتجريده عن معنى التفضيل على انه وما قبله بمعنى العزيز المحمى كقوله * بيتا دعائمه أعز واطول * على رأى وان قيل بانه مقيس لان المسموع خلافه كقوله

اكر واحمى للحقيقة منهم * واضرب منا بالسيوف القوانسا

وما قيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله احتواؤه على العوالم أكثر منعا لغيره من التوصل اليه وأشد منعا لغيره من التوصل اليه بما ضره فهو أشد منعا من سائر املاك المالكين لا محصل له ولا وجه له لانه ان اراد الادعاء فهو بعينه ما قدمناه وتوهم انه غيره من قلة التدبر وان ادعى غير ذلك فلا معنى له (الذى) صفة لله أو للملك يعنى مالك الملك لا شئ قبله ولا بعده (ليس دونه) دون لها

(بالملك الاعز الاحمى) أى الموصوف باختصاص الاستيلاء على البلاد والعباد باطنا وظاهرا على وجه الاعزية الذى لا يحوم حوله ذل ومغلوبية لانه فى غاية المنعة ونهاية الحماية بحيث لا يقسر به أحد اولا وآخرا والملك بضم الميم فانه ابلغ من كسرها وعليه النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسرها (الذى ليس دونه) أى قريب منه

معان قال الصاغاني يكون بمعنى عند ونقيض فوق وبمعنى امام ووراء فهي من الاضداد ويكون بمعنى غير وبمعنى خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله

اذا ما علا المرء رام العلاء * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق وامام ولا يجوز ان يكون بمعنى وراء أو غير (منتهى) اسم مكان أو مصدر ميمي من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون انتهى بمعنى انزجر وانكف كما في قوله

لا تنتهي الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

وكونه اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع (ولا وراءه) وراء نقيض قدام ويكون بمعناه أيضا فهو من الاضداد وهو ما وراءك سواء وارى عنك غيرك أو واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا وليس من الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير (مرمى) بميمين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة وهو مقصور مفعل من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله تعالى في الحديث فروى المصنف رحمه الله تعالى في مشارقه وابن الاثير في نهايته ليس وراء الله مرمى وتكلمت به العرب العرباء وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة

حلفت فلم تترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب

قال في النهاية أي ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمه فليس وراء الله ولا وراء معرفته والايمان به غاية تقصد انتهى كما قيل

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منه نصيب ولا سهم

في المشارق ليس وراء الله مرمى أي مطلب المطالب والمرمى الغرض الذي يرمى اليه واليه ينتهي سهم الرامي وبه يحوز السبق كما الى الله انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به ملتمس ولا غاية يرمى اليها انتهى فالذي ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شيء ينتهي اليه ويتصل آخره باوله وليس بعده شيء تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدائم الواجب الوجود وما عداه فهو حادث أوجده وأبدعه فهو بمعنى الاول الآخر فيتصل بما بعده اتصالا ظاهرا وعلى الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر اختصاصه بالملك الاعز قد يتوهم مشاركة غيره أو اختصاصه بملك غير اعز فقال ليس قبل ملكه شيء ولا بعده شيء فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شيء عن حوزة ملكه وعلى كل حال فالمرمى محل الرمي والهدف اريد به الغرض الاقصى الذي ترمى له الآمال وتتوجه نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامي في توجهه لاصابة المرمى بحال العارف الذي معرفة الله اقصى مطالبه ومطمح خواطره كما قيل

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

ولك ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد لله المختص الى آخره اشارة الى المبدأ الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وقوله وليس دونه منتهى الى آخره اشارة الى المعاد كقوله (مالك يوم الدين) ولما كان ذكره بصفاته وانعامه في الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه الخطاب كقوله (اياك نعبد الى آخره) وأتى هنا بما هو بمنزلته وهو قوله (الظاهر) هذا والمناسب للاتمام وبما ذكرناه من انه على سبيل التمثيل لا يرد عليه ان وراء ودون وما معه امور تقتضي التحيز والجهة ومثله لا يجوز استعماله في حقه تعالى لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شيء من مفرداتها واجزائها

ليس للقرب منه نهاية يدركها أحد ولو كان من أهل العناية و يلائمه قوله (ولا وراءه مرمى) مقتبس من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس وراء الله مرمى ولا منتهى أي ليس غيره أو بعده مقصد للورى واصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمي شبه بالغرض والهدف الذي ينتهي اليه سهم الرامي قال النابغة

وليس وراء الله للمرء مذهب

وفي النهاية أي ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية تقصد وحاصل الجملتين انه تعالى ليس في جهة ولا حيز ومسافة ليكون للقرب غاية وللبعد منه نهاية وأما القرب والبعد الثابت في نحو حديث ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت فانما هو القرب والبعد المعنوي لا الصوري والحسي وانما كمال القرب في الحب بحيث لا يشهد السالك الا الله ويفنى عن شهود ماسواه حتى يفنى عن نفسه ويبقى ببقاه ونهاية البعد هو الغفلة عن الله على وجه يشاركه ماخلقه وسواه (الظاهر) أي بالادلة الدالة على وجوده وكمال كرمه وجوده لعين الحقيقة في شهوده (يقينا) وقطعا

وما قيل من ان معناه ليس تحته محل انتهاء ولا بعده مرمى ومنتهى بمعنى مجاز مرسل كرمى لانه مقصد الرمى اريد به مطلق القصد صحيح لكن ماذكرناه انسب بالمقام واولى باداء المرام وما قيل عليه من انه خطأ لانه لابد فيه من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير رحمه الله تعالى جعل العلاقة فيه المشابهة كلام لا وجه له ولا طائل تحته لان الهدف دائما يقصد للرمى والقصد بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن الاثير رحمه الله مخالف للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس فى جهة ولا حيز فنفى الشئ بنفى لازمه والظاهر من اسمائه تعالى وهو فى الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة وهو المراد هنا لمقابلته بالباطن ويصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد أنت الظاهر فليس فوقك شئ وفى شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو صفة فعلية من ظهر عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل العالم بالخفيات انتهى * وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله ولا يقال الا مزدوجا كالاول والآخر فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية فان الفطرة تقتضى فى كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكماء طلب المرء فى الآفاق ماهو معه والباطن باعتبار معرفته حقيقة ذاته ولذا قال الصديق غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر بآياته باطن بذاته وقال المرتضى تجلى لعباده من غير ان يروه فاراهم نفسه من غير ان يتجلى لهم انتهى (أقول) قد عرفت مما ذكرناه ان للظاهر اذا اطلق على الله معانى هو باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينئذ الا مزدوجا وباعتبار الآخر يطلق عليه مفردا كما قاله الراغب رحمه الله تعالى ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه فى شرح أسماء الله الحسنى (لا تخيلا ولا وهما) يعنى ان ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم وقيل لا بحسب الظن أو السهو وقيل لا بحسب الطرف الراجح أو المرجوح أو لا بحسب ادراك القوة المتخيلة أو الواهمة فان من شأنهما ادراك ما لا تحقق له فغلبت المتخيل والموهوم على كل ما لا تحقق له فنفى ان يكون ظهوره كذلك انتهى وهذا الاخير هو الاصوب وذكر السهو لا وجه له وان وقع ذلك فى كلام أهل اللغة لان الاستعمال على خلافه وقال الراغب التخيل تصوير خيال الشئ فى النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى ظننت يقال باعتبار تصور خيال الشئ المظنون فى النفس وفى حواشى شرح المطالع الفكر حركة النفس فى المعقولات والتخيل حركتها فى المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفى التردد والغلط وفى المقتفى الوهم بسكون الهاء وفى الصحاح وهمت فى الحساب أوهم وهما بسكون الهاء اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت فى الشئ بالفتح أوهم وهما بسكون الهاء اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى الشئ ووهم وأوهم بمعنى ونصبهما على الحال أو التمييز أو بنزع الخافض فالمعنى ما مر وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا بادراك القوة المتخيلة أو الواهمة التى تدرك ما لا تحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة هى القوة المتصرفة فى الصور والمعانى بالتركيب والتفصيل كتصور شخص برأسين واختراع ما لا حقيقة له كالغول والواهمة القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات كادراك الشاة عداوة الذئب ورد بان هذا مبنى على فلسفة لا يرتضيها الاسلام أهل السنة الان فقال انه ابطال ونفى له ولا ضير فى مثله وليس فى وصف الله بانه ظاهر ما يدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف فى وقوع ذلك وامكانه على ما فصل فى الاصول فلا حاجة للتعرض له

(لا تخيلا) أى لا ظنا بالقوة الخيالية (ووهما) بسكون الهاء أى ولا وهما كما فى نسخة مصححة ولا غلطا بالقوة الوهمية والمراد ان الله تعالى ظاهر بصفاته لدلالة مصنوعاته وظهوره لنا ليس على جهة ظن ووهم منا بل ظهورا يغلب نورا أدركناه بعيون بصائرنا فى الدنيا وسيرونه الاحباب بعيون ابصارهم فى العقبى والحاصل ان جميع المخلوقات دالة على وجود ألوهيته وتحقيق وحدانيته *(ففى كل شئ له آية تدل على انه واحد)*

هذا

هنا على ان فى اقترانه بقوله (الباطن) ما يدل على خلافه لانه بمعنى الذى لا يدرك بالابصار ادراك احاطة
لقوله (لا تدركه الابصار) كما حقق فى محله وقد وقع فى اكثر النسخ بدون عاطف كما ذكرناه وهو الصحيح
رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عاطف لما بين المنفرد والمختص من كمال الاتصاف ولما بين
الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما لا يجتمعان كما فى قوله عز وجل (مسلمات
مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) فان عطف الصفتين الاخيرتين فيه لعدم
اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه فى حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقوتها وبنعوت ذاته
وأفعاله التى لا تخفى باطن خفى عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب انوار اللاهوتية فى عالم
الغيب والشهادة عن مشاهدته وهذا مما اهمله أهل المعانى فى مباحث الفصل والوصل بل فى كلام
بعضهم ما يدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتأخرين رحمه الله واشار اليه العلامة الزمخشرى فى
مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد يعنى الصفات الجارية على واحد قد تذكر بالعطف
للمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها اشعارا بالاستقلال كل منها وقد يذكر فى موضع و يترك
فى بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن أو لزيادة مناسبة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان
الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع انسب انتهى * وهذا بناء على ما فى النسخة الاخرى
من ذكر العاطف ولا يخفى ما فى توجيهه من القصور لاهماله العطف لعدم الاجتماع كما مر فى ثيبات
وابكارا وكانه اعتبر ما وقع لهم فى قوله تعالى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذى الطول) والذى ذكره الزمخشرى فى نزغة اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس
محل تفصيله وقد علمت مما قلنا معنى الظاهر والباطن وقال السهيلى معناه العالم بما ظهر وبما بطن
(تقدس الاعدما) اعرابه كاعراب ما قبله والتقدس تفعل من القدس وهو الطهارة والتنزه اى ان بطونه
وخفاءه لتنزهه وعلوه من ان تحيط به البصائر والابصار لا لكونه معدوما أو غائبا أولا من جهة عدمه
أو عدم كمال منه بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان أريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا
فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الرؤية فيها والعدم بضم فسكون من عدمته اعدمه
كعلمته اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وما قيل من ان معنى العدم
هنا الفقد كما فى الصحاح أى ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفى بعض الفقراء لفقره فهذيان محض ولبعض
الشراح هنا كلام لا معنى له تركناه لانه غنى عن النقد والتزييف (وسع كل شئ رحمة وعلما) العلم مطلقا
معلوم وفى صفات الله تحقيقه فى الكلام والرحمة ميل الطبع ورقته وهو ما لا يوصف الله تعالى به فيعتبر
باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام أو ارادته وذهب الباقلانى رحمه الله الى انه تجوز به عن معاملته
معهم معاملة الراحم بمن يرحمه وذهب الاشعرى رحمه الله الى انه تجوز به عن ارادته ذلك فعلى رأى
القاضى يجوز ان يقال اللهم اجمعنا فى مستقر رحمتك وعلى رأى الشيخ لا يجوز وفى القرآن مواضع
تناسب كلا من الرأيين فقوله (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) يناسب بحسب الظاهر الارادة
لاقترانها بالعلم الذى هو صفة ذاتية وقوله (هذا رحمة من ربى) اشارة الى ان السيد يناسبه الاحسان كذا
فى شرح الاربعين الرازية للقرافى ولبسط الكلام فيه مقام آخر يأتى اوائل الباب الاول ووجه ارتباط هذا
بما قبله انه لما كان مطمح نظره فى هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه النعمة
العظمى على جميع المخلوقات بدأ بحمد الله تعالى ونعمته بما يدل على عظمته فى ذاته وان الملك له لا تصرف
فيه لاحد سواه ثم ثنى ببيان حال خلقه فى ملكه وما يعاملهم به على وجه ينساق الى المراد اذ يقال وسع الى
آخره ولو قال الذى وسع كان أولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشئ الموجود مطلقا أو اعم

(الباطن) وفى نسخة والباطن أى باعتبار ذاته دون صفاته (تقدسا) أى تنزها فانه كما قال الغزالى وغيره كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (لا عدما) بضم فسكون لغة فى المفتوحين أى لا فقدا وعدما اذ لا يقتضى عدم ظهوره نفى وجوده ونوره لانه قد ثبت بالدليل القطعى قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه والتحقيق المتضمن للتدقيق على وجه التوفيق انه باطن لا يدرك احد حقيقة ذاته ولا يحيط احد بكنه صفاته وهذا بالنسبة الى ما سواه فانه لا يعرف الله الا الله ونصبهما على التمييز واما قول الدلجى المفاد تعليل لكونه باطنا فهو وان كان صحيحا فى هذا المبنى لكن التعليل لا يصح بحسب المعنى فى قوله (وسع كل شئ رحمة وعلما) أى احاط بكل شئ رحمته وعلمه فان كل شئ لا يستغنى عن رحمته ايجادا وامدادا وعلمه شامل للجزئيات والكليات احصاء واعدادا والجملة مقتبسة من قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما والاقتباس ان يتضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه منه

منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ماسوى الله وان صح اطلاقه عليه كما في قوله تعالى (قـل اى شئ أكبر شهادة قل الله) لان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهـر لان كل شئ منعم حتى المعذب بترك الاشد والمعدوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستأنفة وتعلق العلم بكل شئ كليا وجزئيا مبرهن عليه في الاصول * وفي شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لا نعلم كنه صفات الله كما لا نعـلم كنه ذاته وانمـا المعلوم لنا انا لا نعلمـها الا بلوازمها وآثارها وذاته لم تـكمل بها لان الذات كالمبدأ لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال الذات يستلزم الصـفات * وفي عوارف المعارف أجمع الصوفية على ان له تعالى صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل بمعنى نفي الضد وثبوتها قائمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما أوهم كلامهم خـلافها وتوضيحها انه لا احتياج له تعـالى الى الصـفة الموجودة في تحقق أثرها بل لو لم تـكن موجودة كان الاثر بحـاله الا ان وجودها الكل لاقتضاء كمال الذات لها ويدفع قول الحكيم الكامل بالذات اعلى من الكامل بماسواه لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلى عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فائدة وان سلم فليكن سببا عاديا للآثار كسائر الاسباب عند الاشعري رحمه الله فلا استـكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى * أقول قوله لاستكمال الذات بالممكن بالذات اشارة الى ماقاله في تعليقه له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله تعالى مخـلوقة لانها لم تسـبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات أى محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن فليست واجبـة بالذات بذواتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات ليس شئ منها مسـبوقا بالعـدم بل موجودة ازلا وأبدا وان جاز ان يقـال في سائرها انهـا مخـلوقـة وان الذات خلقتها او اوجـدتها ونحوه لـكن بمعـنى انهـا محتاجـة الى الذات لانهـا أوجـدتهـا بعـد العـدم * لـكنهـم يتحاشـون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون الخوض في مثـله سؤالا وجوابا بدعة لعدم وروده في الشرع فـلا محذور في تلك التعرض له الا اذا الجأت له الضرورة ولذا قال في التفسير الـكبير الذات المقدسة كالمبـدأ للصفات وقد استشكل ظاهره لانها اذا لم تكن مبدأ لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو لا يجوز * (واجيب بان المتبادر من المبدأ انه موجد بعد العدم والصفات غـير مسبوقة بعدمها بل لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليهـا كالمبدأ الا مبتدأ لما مر انتهى) * واعلم ان بعض علماء المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفي الصفات لشبه تقرب ممـا قاله المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها اشرط لبقـاء بعض كالحياة للعلم فيـلزم الافتقار والتأخر وهو مناف للوجوب * واجيب بمنع الملازمـة فان الافتقار للغـير ان كان في افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعي هذا بل نقول جميع صفاته واجبة الوجود غنية عن مقتضى الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافي الوجوب ولمـا اعتقد الامام رحمه الله صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات تقتضي التركيب والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقص بصفاته تعالى فقال نستخير الله في القـول بامكانهـا لذاتها ثم جزم به ووفاه بكلمة والعياذ بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هي ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذات الله تعالى والذات قابلة لصـفاتهـا وفاعـلة لها وهي زلة شنيعة * اقول هـذا من نفائس الذخائر المستودعة خزائن القلوب وقد تـكلم فيها قدماء الحـكماء والمتـكلمين كما نقله الامام في المسائل الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العـلامة القرافي في حواشيه على هذه المسـائل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام بنفسها فان عنيتم بالافتقار هذا القـدر

فسلم

(وأسبغ) اى أكمل بالرحمة الخاصة والعلم المختص بالهداية (على اوليائه) اى المؤمنين على قدر كمالاتهم ومراتب حالاتهم (نعما) بكسر ففتح جمع نعمة وفى نسخة بضم فسكون مقصور الغة فى النعمة لكنه يكتب بالياء مع انه غير ملايم لقوله (عما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة وهى العامة الشاملة التامة ووهم من قال من المحشين انها جمع عمة فانه يقال نخل عم ونخلة عميمة والحاصل ان رحمته وسعت كل شئ فى أمر الدنيا الكن له رحمة خاصة بارباب العقبى كما قال ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الآية وكذا علمه بكل شئ محيط بمعنى المعية كما قال وهو معكم أينما كنتم ونحن أقرب اليه من حبل الوريد لكن لارباب الخصوص معية خاصة كما يدل عليه قول موسى عليه الصلاة والسلام ان معى ربى وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا وتأمل التفرقة بين الكلامين فان الثانى مشير الى مقام جمع الجمع والاول مشير الى مقام التفرقة والمنع واما ماذكره الدلجى من ان تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ماقبلها مع ان اجزاء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعرة به يلوح بزيادة جمعية وارتباط معية ففيه مناقشة خفية لان اجزاء الصفات المفردة يؤتى بها من غير واو الجمعية فى الجمل الاسمية كقوله تعالى وهو الغفور الودود مع جواز اتيان العاطف بخلاف الجمل الفعلية ولهذا قال

فسلم لكن العبارة ردية ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير فى القيام لا فى الوجود ولا يلزم من الافتقار فى القيام الافتقار فى الوجود فان العرض مفتقر للجوهر فى قيامه ومستغن عنه فى وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره باعتبار كيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها وباعتبار وجوده كافتقار الاثر للمؤثر وهذا هو المقتضى للامكان فالافتقار اعم والامكان اخص والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى * أقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق الاحتياج للغير مستلزم للامكان او الاحتياج فى الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا بالاول والقرافى ومن نحا نحوه كالسنوسى منعوه وقالوا بالثانى وشنعوا على من خالفهم ولا يتم لهم هذا بسلامة الامر فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سواء كان علة او شرطا لوجوده كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا المحذور فيه فى صفات الله القائمة به وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من مخدرات الاسرار التى لا تدرج اغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التى ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات لاسنادها اليه وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فائدة لكونها صفات كمال فليست مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد للذات التى هى كالمبدأ لها لانها قديمة ليست منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا الاينافى الامكان ولا يقتضى الحدوث الزمانى وبقولنا كالمبدأ ظهر ان قول المعترض انها مبدأ وفاعل تقول عليه وقال الاسنوى فى شرح منهاج البيضاوى بعد مانقل قول الامام فى الاربعين ان صفات الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله الامام ان الصفات واجبة للذات لا بالذات اى واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود نفسها انتهى * وقال بعض فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة فى حد أنفسها معللة بالذات القديم لكن يجب ان يكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ماسواها من مخلوقاته والالزم حدوثها بناء على ما تقرر من ان الصادر عن المختار حادث البتة انتهى (واسبغ) اى اتم واكمل وهو فى الاصل صفة للدرع والثوب الطويل استعيرت من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه (على اوليائه) جمع ولى فعيل بمعنى فاعل او مفعول اى موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو (الله ولى الذين آمنوا * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهو من الموالاة وهى الاتصال والقرب ويكون ذلك فى النسب والدين والصداقة والنصرة وله معنى يعم كل مؤمن وآخر يختص بمن اخلص لله فولاه امره واخص منه وهو من افاض الله عليه مافضله به على غيره من أسرار ومعارف الهيئة أنار بها بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت وهى مرتبة جليلة ويأتى لذلك مزيد بيان وكل نبى ولى ولا عكس وقيل ولاية النبى افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولى على النبى كما توهم والمراد هنا الاول او الثانى ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم المسبغة بملبس يصونه على انه استعارة مكنية وتخييلية كما فى قوله

اذا ما عزا دهرى وخفت خطوبه * على دروع من نداء سوابغ

(نعما) جمع نعمة وهى ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد على الانعام أمكن من الحمد على النعم كما فصل فى محله (عما) هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة

مشددة تليها الف اما زائدة كالف زيد فى قولك رأيت زيدا حالة الوقف فالفه زائدة او بدل من التنوين كما فى سائر المنصوبات المنونة او هى ألف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اى عامة شاملة لكل شئ من الاجزاء والجزئيات قال ابن عصفور فى شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

طافت به الفرس حتى بذناعضها * عم النخيل اقاحا غير منتشر

العم الطوال من النخل واحده عميمة عن ابى حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع المثلين وقال اللحيانى نخلة عم ونخيل عم اى طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب ذلك لقلته وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمى كحبلى وهذا أقيس الوجوه انتهى * واقتصر على التسهيل على انه فعل بضم فسكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا وفى كتاب النبات للدينورى فى باب لنخل العمة النخلة التى يصعد اليها اذا جنيت وهى العميمة ايضا والنخل العم الذى استحكمت وكملت وطالت وكذا فى جميع النبات وفى العم يقول * فعم كعمكم يافع * وطفل كطفلكم يومل * اى كبار بلغ نفعهم ككباركم وصغار تومل كصغاركم فسمى صغارها اطفالا انتهى * ومما قصصناه عليك علمت ان قول المصنف عما اما منون او غير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة فى الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام غير واف بحق المقام ثم لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام عطف على قوله اسبغ الخ قوله (وبعث فيهم) من عطف الخاص على العام لبراعة الاستهلال وماقبله تمهيد له والبعث فى الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وبمعنى الاحياء والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفى فمعناه انه جعله بين اظهرهم واذا تعدى بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سواء كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر وضمير فيهم للاولياء بمعنى المؤمنين من غير تكلف لانه ليس قبله مايصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المؤمنين وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لا يقتضى تخصيص البعثة بهم فينبغى ان لا تجعل فى بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله الآتى عربا وعجما وقيل ان ضمير فيهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شئ وقيل بعث بمعنى ارسل فيما بينهم بان أوحى اليه بتبليغ الشرائع والبعث وان كان فى الكفار فان كثيرا منهم قد علم منه انه سيصير من أهل ولايته ومنهم من اشرف عليها وهو المراد بالاولياء أو هذا ليس بيانا الاول البعثة ثم ان البعثة انما هى فى العرب بل فى أهل مكة والمبعوث فيهم جاءته وبين اظهرهم فضمير فيهم لاولياء العرب وضمير انفسهم الآتى للعرب والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاولياء مرجعا لهما الا بالتكلف بان قال كان فيهم العجم والاوجه انه استخدام أو اريد بالبعثة فيهم وجودهم فى زمنها ويكون مبعوثا فى الكل أو فى بمعنى الى أو يراد مطلق الاولياء اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار فرده الانفسية باعتبار الجميع * اقول هذا تعسف نحن فى غنية عنه والحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليائه وهم مطلق المؤمنين وان من أعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما فى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) كما يأتى وهو مبنى على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر والنعمة التامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم مشهور معلوم من غير هذا وقوله (رسولا) مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم والرسول

(وبعث) اى ارسل الله (فيهم) اى فى اوليائه ولاجل احبائه ولذا قيل انه لم يرسل فى الحقيقة الى اعدائه ثم المؤمنون هم المراد باوليائه لقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم (رسولا) أى نبيا مرسلا أمر بتبليغ الرسالة موصوفا بكونه

بمعنى المرسل وهو نبي أوحى اليه بامر بتبليغه والنبي من أوحى اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق وذهب صاحب القاموس رحمه الله الى انه وجهى وفيه نظر وسيأت تفصيله عند كلام المصنف عليه في الباب الرابع من القسم الاول (من أنفسهم) بضم الفاء جمع نفس ولها معان منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة في ظاهر عنصره التي أهله الله تعالى بها الان يكون أهلا لامانته ولم نفسره بما فسر به قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب ثمة العرب امتنانا عليهم واقامة الحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل مقام مقال لانه لا يناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يحول ما للبعض للكل كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافى كون المبعوث فيهم طائفة مخصوصة وبعضهم فتح هذه الفاء قالوا وهو خطأ رواية ودراية (انفسهم) بفتح الهمزة والفاء والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة أو بتقدير عامل اه ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وجره على البدلية من أنفسهم قبله ورجح بانه المروى والموافق لقراءة الآية وفيه اشارة الى القراءتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى الرقاب أفضل قال أنفسها عند أهلها أى أفضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله (عربا وعجما) بضم أولهما وسكون ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة أخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد ثم غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعى واحده عربى وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادى ولذا قيل لا واحد له لان العرب مغاير لهم أو اعم فلا يصح ان يكون مفردا له حتى غلط سيبويه رحمه الله تعالى في القول به وقال الراغب في توجيهه الاعراب جمعه في الاصل ثم صار اسما للسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار ولذا نسب اليه بلفظ فلا يرد ما قالوه وسميت العرب لسكناهم في بلدة تسمى عربة كما قاله الازهرى وما قيل من ان أولهم اسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم وكلهم من نسله ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله بنواحى اليمن وأبوهم قحطان وأمهم أو مقدمهم جرهم والعمالقة واسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج منهم فتكلم بالعربية كما يأتى بيان ذلك والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة بمعنى الخالص وعرب عاربة كليل أليل والمستعربة ولد اسمعيل عليه السلام ومن بعده طرأت عليه العربية وعليه حمل أول العرب أى المستعربة وقحطان بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكونه من ولد اسمعيل عليه الصلاة والسلام غلط نشأ من اشتراك اسمى كما في الروض الانف وغيره ونصبهما على التمييز أو بنزع الخافض (وأزكاهم) افعل تفضيل من الزكاة وهى الزيادة محسوسة كانت أو معنوية والطهارة الحسية والمعنوية أيضا أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرهم عبادة وتقوى ومعرفة بالله وشرفا وأطهرهم وأنزههم عن القبائح عنصرا وخلقا وخلقا لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من دنس البشرية كما سيأتى (محتدا) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر التاء الفوقية وآخره دال مهملة وهو والجرثومة والارومة والمنصب والعنصر والضنضئ بمعنى وهو أصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح حتد بالمكان محتدا أقام وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس من معانيه الاصل والطبع فاصل معناه الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته أصل النسب فكانه مشترك وعلى كل حال فما في شرح المواقف من انه مكان أقام به والعرب تقول لله بلاد اطلعتك يعنون به شرف النسب كقولهم لله درك

(من أنفسهم) بضم الفاء من جنسهم العربي أو البشري دون الملكي للحكم الالهي (أنفسهم) بفتح الفاء ونصب السين أي أشرفهم واعظمهم في نفوسهم فالاول جمع النفس بسكون الفاء والثاني أفعل من النفس وجمع بينهما كما قرئ في الآية بهما ونصب أنفسهم الثاني على انه صفة رسولا أو بدل أو حال وفي بعض الحواشي ضبط بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو أنفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه اشرفه (عربا وعجما) بضم فسكون فيهما وهو لغة في فتحيهما والمراد العرب هنا اعم من سكان القرية والبادية كما ان المراد بالعجم ضد العرب الشامل لاهل الفارس والترك والهند وغيرهم ونصبهما على التمييز وقال الدلجى حالان لازمان من ضمير أنفسهم وردا بيانا لنوعى المنفوسين واما قول بعضهم في حاشيته وأنفسهم بفتح الفاء أى اعلاهم وخيارهم وهو من النفاسة ولا يجوز ضمها لان الضمير عائد الى الاولياء فخطأ ولعله مبنى على ان لفظ أنفسهم لم يكن مكررا عنده والا فان اراد عدم جواز الضم في أنفسهم الثاني فلا كلام فيه الا ان تعليله لا يصح وان اراد معنا فغلط محض (وأزكاهم) أي أطهرهم وانماهم (محتدا) بفتح الميم وكسر الفوقية أي أصلا وطبعا

لا يخلو ما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف العرب والعجم وأعظمهم نسبا فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل ليس بشيء يحتاج للرد (ومنمى) بميمين مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمان أو مكان أو مصدر ميمي من نميته اذا نسبته أو من نمى المال اذا زاد أي حسبه صلى الله تعالى عليه وسلم ونسبه الذي انتمى اليه أزكى من جميع الاحساب وأشرف من سائر الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد به انه أزكى من جميع المؤمنين الذي بعث فيهم أو ان محل نمائه أي مكة أو المدينة أزكى مما عداه لازدياد الدين وظهوره بها ويجوز ان يراد أن ذاته في نماء العمر والصبا أطهر على انه مجاز عقلي لما عرف منه صلى الله تعالى عليه وسلم في طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا في الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز أيضا (وأرجحهم عقلا) رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهور في الكتب القديمة وسيأتي ويقابله الخفة والنقص وهو في الاصل يستعمل في الموزون ثم صار حقيقة عرفية في مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا أو مجازا مرسلا أو استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد ما فيها فأريد به لازمه والاستعارة فيه أحسن كما قال الاخطل

وإذا وزنت حلومهن الى الصبا * رجح الصبا بحلومهن فمالا

وفيه اشارة لما في الحديث كما يأتي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما شق صدره قال أحد الملكين للآخر زنه بعشرة الى ان قال لو وزنته بجميع أهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتباري والرجحان انما هو في الفضل وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وامته فالعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحاني تدرك به النفس ومحله القلب أو الدماغ أو هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور يقال العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال الشاعر في التلميح لاصله

قد عقلنا والعقل أي وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

(وحلما) وهو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وقيل الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعد ما ستر وقيل من لا يعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو وغفور فان الحلم ومعناه الا أن يقال انه من يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط أن لا يظهر ذلك فان أظهره فهو عفو وبهذا يظهر الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام وحده هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل العقوبة مع القدرة عليه ويؤخر لحكمة خفية ويفارقه بان صاحبه لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو في صفات البشر ان يملك نفسه فلا يغضب اذا أوذي أو رأى ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله أريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك الانتقام أو تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة وأما الثاني فلا مناسبة بينه وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب الماصدق فانه قد يحلم ولا يغفر كما في حلمه على الكفرة في الدنيا وقد يقال غفر له ولا يقال حلم فتدبر (وأوفرهم) أي أكثرهم وأتمهم من الوفرة وهي الكثرة والسعة (علما وفهما) العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشيء في العقل أو الصورة الحاصلة فيه أو عنده مفردا كان أو مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل في الذهن والملكة والتهيؤ وأكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحس قال الله تعالى (ففهمناها سليمان) وقول الجوهري كغيره الفهم العلم على عادتهم في التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله * وألفى قولها كذبا ومينا * اذ العلم مطلق الادراك

(ومنمى) بفتح الميمين مصدر ميمي أي نمو وزيادة وارتقاء وقد ذكر الحلبي وغيره انه اذا كان الفعل معتل اللام مثل رمى فقياس المصدر منه مفعل مثل نمى منمى ورمى مرمى وسرى مسرى انتهى وفيه ان مصدر الثلاثي المجرد مطلقا يجيء على مفعل بفتح العين قياسا مطردا كمقتل ومضرب ومشرب كما في الشافية فلا وجه لقيده بالمعتل نعم هذا التقييد يعتبر في اسمي الزمان والمكان منه والله أعلم واختار الدلجي انهما اسما مكان فحتد من حتد اذا أقام والمراد بهما مكة المشرفة فان للامكنة دخلا ما في شرف الاخلاق وطهارتها وحسن الافعال ونجابتها (وأرجحهم) بالنصب عطفا على أنفسهم الثاني أي أوزنهم (عقلا) أي تعقلا (وحلما) أي تحلما (وأوفرهم) أي أتمهم (علما وفهما) وفي نسخة بالعكس رعاية لحلما والفهم هو العلم وسرعة ادراك الشيء فالحمل على المعنى الثاني أولى واختلف في حقيقة العقل والاقرب قول القاضي أبي بكر العقل علم ضروري بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولعله أراد به تعريف العقل الكامل والله تعالى أعلم وقيل الفهم ازالة الوهم

والفهم

(وأقواهم) أى أشدهم وفى نسـخة أوفاهـم أى أزيدهـم (يقينا) أى علمـا زال فيـه الريب تحقيقـا (وعزما) أى اهتماما بالغا ليس فيه رخصة مافقيـل جـدا وقيل صبرا (وأشدهم) أى بهم كما فى نسخة صحيحة (رأفة) أى زيادة رحمة (ورحما) بضم فسكون أى رحمة وعطفا قال تعالى وأقرب رحمـا قرأ الشامى بضم الحاء والباقون بسكونها وفى نسـخة مقصور وهو تعميم بعد تخصيص لا لمجرد تغاير لفظى كما ذكره الحلبي وفيه ايماء الى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم من قوله لا تخيلا ووهما الى هنا منصوبات على التمييز خلافا لما بعده ولذا فصله بقوله (زكاه) بتشديد الكاف أى طهره (روحا وجسما) فهما بدلان من الضـمير فانه عينهـما لاغـيرهما على خلاف التمييز وقال الدلجى مميزان حولا عن كونهما مفعولين وايراده ـذه الفقرة بلا عاطف دون ماقبلها لكمال انقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا انتهى وهو وهم منه وغفلة صـدرت عنـه لان هذا الكلام انما يصـح لو عطف فى زكاه وترك العطف فى حاشاه ثم المراد بالجسم الجسد وهو جسم كثيف ظاهرى بخلاف الروح فانه جسم لطيف باطنى أما تزكيـة روحه صلى الله تعالى عليه وسلم فلكونه أشرف الارواح المطهرة لانه أشرفها كما قال المحشى فانه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أول ماخلق الله روحى وسائر الارواح انما خلق ببركة روحه ونور وجـوده كما روى لولاك لما خلقت الافلاك فانه صحيح معنى ولو ضـعف مبنى وأما تزكية جسـده فلشـق جبريل عليه السلام صدره واستخراج حظ الشيطان منه وغسله بماء زمزم لا بماء الجنة كما قاله المحشى الا انه ان صح رواية يجمع بينهما دراية ويمكن أن يكون الروح والجسم كنايتين عن الخلق والخلق فانهما مزكيان من جانب الحق وأغرب المحشى حيث قال فى رأفة ورحما اشترط من أجاز العطف ان لا بد من زيادة معنى فى المعطوف وقال هنا فيه دلالة على جواز العطف وان تغاير اللفظان والمعنى واحد من غير زيادة وأبعد الحلبي حيث تبعه فى الموضعين وقال هنا وهذا لا زائد ولا مساو ولعله فعل ذلك للـ جع انتهى

والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجية لغيرها فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم الناس وأحذقهم وفيه اشارة الى أن علمه صلى الله تعالى عليه وسلم كعلم غيره من البشر ضرورى وكسبى وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية قد رده الشيخ زروق بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينتفى عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا يؤجر عليها وان أريد انه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح (وأقواهم يقينا) اليقين والايقان اتقان العلم بنفى الشبه عنه فلا يوصف به الضرورى ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال المصنف رحمه الله أقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت فى آثاره ولذا قيل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه أقوى انما هو أجلى عند العقل (وعزما) العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه ومنه أولوا العزم من الرسل لقوة بأسهم وامضاء عزمهم فى تنفيذ أوامر الله وتبليغ شرائعه فمن توهمه معنى آخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد القلب بل ما فى قوله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفى التهذيب عزمة من عزمات الله أى حق من حقوقه واجب مما أوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقى والعزم توطين النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح بقوته لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل فى الرأى والتدبير والامر بما يظهر أولو يتغير ما عزم عليه فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله تعالى كما ورد فى مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده (وأشدهم بهم رأفة ورحما) الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال رحمه رحمـة ورحما كقفل ورحمى كرجعى فهو هنا منصوب أو مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام والرأفة بمعناه فذكره هنا للتأكيـد أو هو عطف تفسيرى أو الرأفة أخص لانها أشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره وعلى هـذا قدم الاخص الاعلى فى الاثبات على عكس المعروف فى استعمال البلغاء للفاصـلة كما قاله الشراح وتبعا للقاضى فى التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه فى حواشيه لان الرأفة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها ولو فى غير فاصلة كقوله تعالى رأفـة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت فى الحشو والذى غرهم كلام الجوهرى وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمـة الانعام أو ارادته والرأفة التلطف والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من يفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها على الرحمة كما قيل فى المثل الايناس قبل الابساس وكما قال * اضاحك ضيفى قبل انزال رحله * وقال الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبـل السؤال والرأفة مع البـذل ويوضحه قول قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه ويأتى لهذا مزيد بيان أيضا فى الباب الاول وقال أشدهنا تفننا وايهاما للمطابقة كقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهـم (زكاه روحا وجسما) التزكية

وقد بينت لك الفرق بين الرأفة والرحمة واما الفصل بين الروح والجسد فظاهر للعامة فضلا عن الفضلاء الخاصة (وحاشاه) اى نزهه الله وبرأه (عيبا ووصما) اى عارا على ماصرح به فى القاموس فهو تخصيص بعد تعميم خلافا لمن زعم انهما متساويان وتبعه الحلبى والدلجى ثم نصبهما بنزع الخافض اى من عيب ووصم (وآتاه) بالمد اى اعطاه الله تعالى (حكمة) وهى فى الاصل ما يمنع من الجهالة فانها ماخوذة من الحكمة بفتحتين وهى اللجام المانع من النفور اى علما بالشرائع المشتملة على الحكم المبنية على الاتقان والاحكام (وحكما) بضم فسكون اى قضاء بالاحكام قال المحشى وتبعه الدلجى فيه تجنيس التحريف وهو تحريف من احدهما والصواب التطريف وهو ان يختلف المتجانسان فى اعداد الحروف وتكون الزيادة فى الآخر على ما فى شرح مختصر التلخيص ثم هما منصوبان على المفعولية الثانية واغرب التلمسانى بقوله هما مترادفان وجمعهما للتاكيد (وفتح به) اى فتح الله تعالى بسبب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اعينا عميا) اى عن رؤية الحق وهو بضم فسكون جمع عمياء بفتح فسكون ممدودا وابعد التلمسانى حيث قال عميا صفة للاعين وهو جمع اعمى وقال المحشى كان الاولى ان ياتى بجمع كثرة لكن قد ياتى جمع القلة بمعنى الكثرة كقوله تعالى جنات عدن بمعنى جنان وقد تاتى الكثرة بمعنى القلة كقوله تعالى ثلاثة قروء اى اقراء وتبعه الحلبى وقال الاولى ان ياتى به جمع كثرة لكنه تبع الحديث الصحيح والمراد به هنا وبالحديث الكثرة انتهى وقال الحافظ العسقلانى الكثرة العددية من الامور النسبية فيحتمل ان يكون العدول عن جمع الكثرة فى الحديث الى جمع القلة للاشارة الى ان الكفار اكثر من المسلمين

التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اى خلقه زائدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجرد اوسار فى البدن سريان ماء الورد فى الورد اوهى مالا يدرك كنهه ولا ينبغى الخوض فيه مبسوط فى تأليف مستقل به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته صلى الله تعالى عليه وسلم كونه فى اكمل تقويم واحسن صورة مكملا بالقوى الظاهرة والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنس فى نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سيأتى وفصل هذه الجملة واتى بها فعلية لانها كالمؤكدة لما قبلها اولتلوين الخطاب (وحاشاه) فعل ماض يقال حاشاه يحاشيه قال ❊ ولا حاش من الاقوام من احد ❊ وليس هذا ماخوذا من حاشا الاستثنائية فانها مشتركة بين معان ثلاثة فيكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه كما فى قوله تعالى حاش لله وتكون للاستثناء واحكامها مفصلة فى بابها وليس هذا محله وهل هو بمعنى اخرج اوبمعنى نزه فنصب ما بعده على نزع الخافض اى من عيب اوعن عيب اوبمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سواء ورد عن العرب ام لا وهذا تجوز أو تضمين فمعناه نزه وعزله عن النوع السابق الانسانى الذى هو عيبة العيوب والضمير راجع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل نصب ما بعده على التمييز كامتلأ الاناء ماء وفى الحديث اسامة احب الناس الى ما حاشا فاطمة وليس هذا محل الكلام فيه فالمعنى جنبه (عيبا ووصما) اى كل عيب ووصم لان النكرة فى سياق النفى معنى للعموم مع ان النكرة قد تعم فى الاثبات والوصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الآخر اطنابا فى مقام الخطابية تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما فى القاموس فهما متقاربان والتوصم فى الجسد كالتكسر والفترة والكسل فعلى هذا يفسر بالتوانى وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية ووفقه للجد فى اموره من غير توان لتوفيقه للجد فى اموره (وآتاه) بالمد بزنة اعطاه بمعناه فيتعدى لمفعولين (حكمة) فى القاموس انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقرآن والكلام الحق وهى من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها عن النقائص ومن حكمة الدابة وقال البيضاوى هى فى عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل ولما لم يشمل ما ذكره القاضى فى تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشياء كما هى والعمل به كما ينبغى وفيه نظر (وحكما) اى قضاء وفصلا للامور على الحق سواء كان الزاما للغير ام لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا هنا وهى مساوية لها للاشتقاق السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف وما فيه من السؤال والجواب بعد النظر لها امر سهل لا ينبغى تكثير السواد بمثله (وفتح به) اى بسببه والباء للآلة (أعينا عميا) جمع عين وفتح العين بمعنى فتح اجفانها وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك أوهو عبارة عن كونه واسطة فى نيل سعادة الدارين بسبب دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه سبب عادى لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

(وقلوبا) جمع قلب وسمي به لتقلبه في ايدي مقلب القلوب كما قال الشاعر (وماسمي الانسان الالنسيه * ولاالقلب الالانه يتقلب)

امارة لخلق الهداية فيمن ارسل اليهم كالشبع والري والاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه اه وهنا النكتة كعده قليلة بالنسبة لقدرته تعالى اولكونها كانت قليلة في الابتداء وسيأتي تحقيقه وعميا جمع عمياء ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم البصر عما هو من شانه فان لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت الحواس التي لا ينتفع بها كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبه مانع من استعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي * واسمعت كلماتي من به صمم

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع وملأ الاسماع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه (وقلوبا غلفا) جمع قلب وهو العضو المعروف ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر اه وغلفا بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطاء فهي مغطاة في أكنة ومنها غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته هنا على انه بدل اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة تفلسا اوبتقدير وازالة غباوة قلوب غلف على نهج قوله * متقلدا سيفا ورمحا * وهذا مبني على ان القلب محل العلم والقوة المدركة قائمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية اوتخييلية اومكنية كما حقق في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه فيمن طبع على قلبه وهذا في غيره اوالمنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى (وآذانا صما) آذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالضم ثم التشديد جمع صماء كعمي وعمياء ويجوز فتح صاده على انه مفرد مؤنث ممدود قصر للوقف ووصف به الجمع كجبال راسية والصمم آفة تمنع السمع وفتحه ازالته مجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا لعدم الاذعان للحق والانتفاع به لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشدوا للحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه (فآمن به) اي بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير في امان فهو متعد بنفسه ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالباء كآمن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام وهو في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وتلفظ القادر به شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام (وعزره ونصره) بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقره وعظمه ويكون بمعنى أعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التأسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع فاستعمل فيما ذكر لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له ويرجحه موافقته للقرآن في قوله عز وجل وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه من الاعتماد على أقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا القرآن لكان الاولى ان يقال عززه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها وسيأتي انه قرئ بهما في آية الفتح والاعانة النصر والدفع عنه والضمير في الآية يجوز ان يكون لكل منهما والاظهر ان يكون الى الاخير فان الايمان به متضمن الاول فتامل ثم الفاعل قوله

(غلفا) بضم فسكون جمع اغلف كانه جعل في غلاف فهو لا يعي وقالوا قلوبنا غلف اي ذوات غلف لا تعي كلمة الحق ولا تفهمها لانها لا تصل اليها (وآذانا) بمد الهمزة جمع اذن (صما) بضم فتشديد الميم جمع صماء لا اصم كما سبق اي لا تسمع النصيحة والحاصل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بآيات واضحة ومعجزات لائحة فاجتلت ابصارهم ووعت قلوبهم وقبلت اسماعهم (فآمن به) اي صدق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به (وعزره) اي عظمه ووقره وهو بتشديد الزاي ووهم التلمساني حيث قال تخفف وتشدد في القاموس العزر اللوم والتعزير التعظيم او المعنى منعه من عدوه اذ أصل العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح (ونصره) اي ايده واعانه ايماء الى قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه

(من) أي الذي (جعل الله تعالى له في مغنم السعادة) أي في غنائم السعادة الايمانية وحيز السيادة الايقانية

(قسما) بكسر فسكون أي حظا ونصيبا مقسوما وأما بفتح القاف فهو مصدر (وكذب به) أي كفر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وصدف عن آياته) أي أعرض عن معجزاته البرهانية أو مال عن قبول آياته القرآنية (من كتب الله) أي قدر وقضى وأوجب (عليه الشقاء) بالمد مفتوحا ويكسر أي الشقاوة كما في نسخة وهي الاولى من الاولى كما لا يخفى وقال التلمساني الشقاء العذاب وهو ممدود انتهى ولا يخفى عدم الملايمة بالمقابلة للسعادة مع أن صاحب القاموس قال الشقاء الشدة والعسر ويمد والظاهر ان معناه التعب كما فسر به قوله تعالى فتشقى وقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا بمعنى العذاب المتعارف والله أعلم (حتما) أي حتما مقضيا يعني وجوبا متحتما لازما لا بدله من فعله ولا تبديل ولا تحويل فيه أصلا وقطعا (ومن كان في هذه) أي في الدنيا الدنية التي هي محل تحصيل الكمالات الدينية (أعمى) أي عن الامور العلمية والعملية أو عن طريق الحق وبصيرة الصدق (فهو في الآخرة أعمى) فاعل أو خبر أي فهو فيها أعمى بالطريق الاولى أو أشد عمى للسجع عما كان في الدنيا أو أعمى عن النجاة ورؤية سبيل أهل الهدى والحاصل ان أعمى في الموضعين أفعل وصف والمعنى من كان في الدنيا

ما يضره ويقال نصرت السحابة اذا أمطرت ونصره اذا أعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع الاحتمال * (تنبيه) * في القاموس ان التعزير في اللغة من أسماء الاضداد لانه يطلق على التفخيم والتعظيم وعلى التأديب وعلى أشد الضرب وعلى ضرب دون الحد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمي والظاهر ان هذا الاخير غلط لان هذا وضع شرعي لا لغوي لانه لم يعرف الا من جهة الشرع فكيف ينسب الى أهل اللغة الجاهلين بذلك من أصله والذي في الصحاح بعد تفسيره بالضرب ومنه تسمى ضرب ما دون الحد تعزيرا فأشار الى ان هذه الحقيقة الشرعية منقولة عن الحقيقة اللغوية بزيادة قيد هو كون ذلك الضرب دون الحد الشرعي فهو كلفظ الصلاة والزكاة ونحوهما المنقولة لوجود المعنى اللغوي فيهما بزيادة وهذه دقيقة مهمة نظر لها صاحب الصحاح وغفل عنها صاحب القاموس وقد وقع له نظير ذلك كثيرا وكله غلط يتعين التفطن له انتهى وقوله فكيف ينسب الى آخره قال شيخنا ابن قاسم لا يقال هذا لا يأتي على ان الواضع هو الله تعالى لانا نقول هو تعالى انما وضع اللغة باعتبار ما تعارف الناس مع قطع النظر عن الشرع وقوله (من) موصول تنازعه الفعلان (جعل الله له) أي قضى وقدر كما علم بالنص كقوله أولئك هم المفلحون وكل ميسر لما خلق له

واذا يسر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء

وليس في هذا ايجاب ولا جبر كما توهم (في مغنم السعادة) مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهي الفوز بما يطلب من الشيء ونحوه ويطلق على ما يغتنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة وتختص بالفوز بالنعيم الاخروي واضافة المغنم بالمعنى المصدري لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغنم ويجوز ان يكون كلجين الماء كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة ما أخذ من العدو قهرا فكأن المؤمنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كأنهم سلبوهم اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فائدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفي أو أقوى في المشبه فانه ظاهر لمن له أدنى تأمل (قسما) بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال في المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم أطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمغنم ظاهرة (وكذب به) يقال كذب بكذا تكذيبا اذا أنكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا في كلامه هذا هو المعروف في الفرق بين المتعدي بنفسه وبالباء فالمراد انه أنكر ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره بانه جعله كاذبا أو أنكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقاء الابدي ثابت لمن أنكره كان وصفه بغير صفته كأسود أو غير قرشي فقد فسره بغير مراده (وصدف) بمهملتين وذا بمعنى أعرض (عن آياته) جمع آية وهي العلامة والامارة وآية القرآن ألفاظ منه ذات مقطع ومبدأ وتكون بمعنى المعجزة التي هي علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة أو محركة أو فاعلة ويأتي بيان ذلك مع زيادة أي أعرض عن تدبر علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مكابرة كما قال الله تعالى فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها والآية تضاف الى الله تعالى والى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما هنا لانه جاء بها وجرت على يديه تصديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتب عليه الشقاء حتما) كتب بمعنى حكم وقدر في الازل أو أوجب أو كتبه في اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب السعادة والشقاوة في بطن أمه على جبينه أو بين عينيه أو في رق لا يرى في عنقه كما ورد وهو اما تمثيل لسبق شقاوته وسعادته أو هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقي لا يهتدي لعمى بصيرته نبه على حاله مقتبسا من القرآن فقال (ومن كان في هذه) الدار الدنيا (أعمى) عن مشاهدة الآيات الظاهرة (فهو في الآخرة أعمى) وأضل سبيلا أتى بالصيغة البديعة من الاكتفاء

للسجع وعماه لعدم رؤيته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا أى من كان فى الدنيا أعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان فى الآخرة أعمى على طريق النجاة لا يراها وأضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد أو لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل أعمى الثانى أفعل تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله أبو عمرو ويعقوب فان أفعل التفضيل تمامه بمن فالفه فى حكم المتوسطة كاعمالكم بخلاف النعت فان ألفه متطرفة لفظا وحكما فكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وأمالها حمزة والكسائى وورش على أصله بين بين فيهما وأورد عليه انه ينتقض بمثل قوله الذى هو أدنى الكافرين ألا ترى أن حمزة والكسائى وأبا بكر أمالوها فى الموضعين مع قيام هذا الاحتمال فى الثانى ويمكن ان يقال مراده ان ألفه فى حكم المتوسطة والموضع اللائق للامالة آخر الكلمة حيث تصير ياء عند التثنية فنبه أبو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثانى أو يقال من أمال الثانى راعى المشاكلة بينه وبين أصله وهو المعنى الحقيقى وفى بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل أمال أبو عمرو الاول دونه لان ألفه غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسى والزمخشرى وفيه انهم اما لوا ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن لا يميلوه اذا قدرت معه أولى وأحرى *(أقول)* ذكروا للامالة أسبابا كمجاورة الكسرة أو الهاء ولا يشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن ياء أو تصير ياء فى التثنية ونحوها وهذا يشترط فيه أن يكون ألفه متطرفة كما فى التسهيل ثم انهم قالوا أسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها فى حكم المتوسطة وفاتت ما هى متطرفة حقيقة فترك امالته اذا أميل الثانى للفرق بينهما أرجح من الامالة فيه فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يعنوا ان أفعل التفضيل مع من ظاهرة أو مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها لا سيما مع قصد الفرق بين أفعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكر ما يأباه وأما الكافرين فلا يحتاج للعذر لما مر *فان قلت شرط أفعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على أفعل فعلى كالعيوب وما قابلها والالوان لان حق فعله ان يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا صحت عينه اذا كان ثلاثيا كعور رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله تعالى الاقرب أن يقال لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل كاعور لم يبن منه اسم تفضيل لئلا يلتبس أحدهما بالآخر *قلت قد أجيب عنه بانه فى العيوب الظاهرة وهذا من العيوب الباطنة وهذا على التعليل الاول ظاهر وأما على الثانى فغير تام الا أن يقال حق وصفه ان لا يكون على أفعل فعلا ويشهد له قول الجوهرى عمى وما خالفه محمول على غيره شذوذا فاذا أريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان أريد عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون ان فى القيامة مواقف مختلفة باختلاف أحوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لما ذكر أن من كذبه وأعرض عن آياته متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفى الكشاف ان العمى حقيقة فى البصر والبصيرة والعمه مخصوص بالثانى فحينئذ يجوز بناء اسم التفضيل منه فان كان حقيقة كما فى البصر فقط لم يتجه بناؤه كما فى درة الحريرى لان ما يمتنع فى الحقيقة فى مجازها لانا اذا قلنا لا يجوز بناء التعجب من الموت لا يصح أن يقال ما أموته فمن منع بناء التفضيل من الالوان والعيوب لا يجوزه بعد التجوز فيه وأما القول بانه تمثيل فلا يجدى الا الفساد اذ لا تجوز فى مفرداته فهو غفلة من قائله وسياق الكلام على الاقتباس فى آخر الخطبة ولما ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم وصل الى أعلى مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه ويدعو له أداء لبعض حقه وتوسلا به الى الله فى قبول حمده واتمام قصده فقال (صلى الله عليه وسلم) والصلاة فى العرف عبادة معروفة وفى اللغة الدعاء وفى اشتقاقها كلام مفصل فى محله كما سيأتى

لا يبصر طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته وقيل أعمى الثانى للتفضيل كاجهل وابله ولهذا عطف عليه فى الآية وأضل سبيلا ولم يمله أبو عمرو ويعقوب لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسط كما فى أعمالكم ولا يبعد أن يراد بالعمى فى الدنيا الجهالة والضلالة فى الامور الدينية وكونه أعمى فى الآخرة الطريق الصورية والمعنوية (صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة خبرية مبنى انشائية معنى

(صلاة تنمو) بفتح فسكون فضم من النمو اى تزيد عددا دائما (وتنمى) بصيغة المجهول من الانماء أى

ويزيدها الله أو يزيد
ثوابها أبدا والمعنى
تزيد فى نفسها ويزاد فيها
وفى نسخة صحيحة بدل
الاولى تنمى كترمى
باليا بدل الواو وهو الاولى
من جهة صنيع الجناس
المستحسن فى المبنى مع انه
اللغة الاشهر عند الاكثر
ففى الصحاح نمى المال
وغيره ينمى نماء وربما
قالوا ينمو نموا وأنماه الله
تعالى انماء انتهى وفى
غالب النسخ المصححة
تنمو بالواو وعن الخليل
انه الافصح وبهذا يتبين
ان قول الحلبى وفى لغة
ينمو وهو ضعيف هو
الضعيف لمخالفة الجمهور
ولمعارضة شيخه مجد
الدين الفيروزابادى
صاحب القاموس حيث
قال نما ينمو زاد كنمى
ينمى وأما ما نقل عن
الكسائى لم أسمعه بالواو
إلا من أخوين من بنى
سليم ثم سألت بنى سليم
فلم يعرفوه فالجواب عنه
انه على تسليم صحته يكون
لغة لغيرهم ومن حفظ
صار حجة على من لم
يحفظ (وعلى آله) أى
اتباعه ولذا لم يقل وأصحابه
وفى نسخة وصحبه على انه
تخصيص بعد تعميم أو
المراد بالآل أقاربه
والعطف لزيادة التشريف والتكريم (وسلم) بفتح اللام عطف على صلى (تسليما) أى تسليما عظيما

بعض الكلام عليه وما اشتهر من أنها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء صح عن السلف وبه تمسك الشافعى فى الجمع بين معنى المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور فى كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف عدى بعلى للمنفعة مع تعدى الدعاء بها للمضرة وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فان السلف فسره بلا اذكر الا وتذكر معى كما سيأتى الكلام عليه واذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد الصلاة عن السلام لفظا وكتابة أو هو خلاف الاولى كما سيأتى بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالصلاة والسلام استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم كما سيأتى فى محله والاصح انه لا يكره الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم على الصحابة رضى الله تعالى عنهم وان كان من آداب الشريعة تركه رغما للشيعة فى التسليم على آل البيت وعندى انه يكره الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم من العامة فى موطن لم تؤثر فيه لا سيما منفردا (صلاة) اسم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة لافادة تقوية عامله وتقرير معناه (تنمو وتنمى) كذا فى غالب النسخ كما قاله التلمسانى وفى بعضها تنمى بفتح المثناة وكسر الميم وتنمى بضم المثناة الفوقية وفتح الميم وفى المقتفى ان الاول أصح وأوضح رواية ودراية وفى المصباح نما الشئ ينمى من باب رمى نماء بالفتح والمد كثر وزاد وفى لغة نما ينمو من باب قعد ونميته الى أبيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط الثانى على الرواية الاولى بفتح المثناة والميم مضارع نمى ينمى كابى يابى وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو مجهول من نمى الحديث ينميه أى رفعه وبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف تضاعف الحسنات أو هو دعاء بتكثيرها الى غير النهاية والثانى بمعنى ترفع الى الملأ الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * وقيل تنمى الاول بصيغة المعروف أى تزيد وترفع بنفسها كالشجرة وفى نسخة صحيحة تنمو بالواو وضعف بان صاحب الصحاح ضعفه ورده حكايته فى القاموس وغيره انتهى والظاهر أن تنمو الاول بمعنى تزيد والثانى بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سيأتى من أن لله ملائكة تبلغه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما قيل من أن الثانى بصيغة المجهول أى يزاد عليها بانضمام مثلها معها فاندفعت المناقشة بان كل رحمة تنمى فهى تنمى على انه يحتمل التأكيد انتهى فانه تعسف أنت فى غنية عنه بما قدمناه وكذا ما قيل من أن المطلوب صلاة مستقرة مستمرة تنميها فتنمو وتزيدها فتزيد وهذه الجملة للانشائية والخبرية تنبهنا عليه (وعلى آله) عطف على قوله عليه وقيل على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع ولذا فسره بهم فيما سيأتى ولم يضف فى الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد قيد الذكور والكل أغلبى لقولهم آل الله وآل البيت قال

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

فهو أخص من الاهل ثم خص فى العرف ببنى هاشم وبنى المطلب وقيل هم عترته وأهل بيته وقيل هم جميع أمته كما سيأتى فى كلام المصنف مع الكلام عليه واختاره الامام مالك والنووى والاصح جواز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا أضيف يقال أهله وأصله أول من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه بقرابة ونحوها الان الكثير يرجع اليه فى المهمات وقيل أصله أهل فقلبت الهاء همزة والهمزة ألفا واستدل بتصغيره على أهيل ولا دليل فيه لانه قيل أهل وأهيل وآل وأويل قيل كان ينبغى ذكر الصحب مع الآل لان الصلاة عليه تستحب عليهم وأجيب بان معناه هنا الامة والاتقياء منهم فيشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمصنف رحمه الله مالكى المذهب وقد تفرد ابن عبد السلام رحمه الله بانه لا يستحب الصلاة الا على من ورد ذكره فى الحديث من الآل والازواج والذرية وهو غير مرضى (وسلم تسليما) سلم بصيغة الماضى أو الامر وهذا موجود فى أكثر النسخ وقد سقط من بعضها كما فى

بعض

ووقع في بعض النسخ زيادة كثيرا وهو مخل بالسجع المرعى في الفواصل ثم ظاهر آية يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما دال على وجوب الصلاة والسلام عليه كما ذكر وكذا حديث من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله تعالى وحديث رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وبه قال الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية واللخمى من المالكية وابن بطة من الحنابلة والجمهور على انها في العمر فرض مرة والمحققون على انها فرض في كل مجلس ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه والله تعالى أعلم (أما بعد) بضم الدال مبنيا لحذف المضاف اليه وكونه منويا وقال الحلبي وبفتحها اجازه هشام وقال النحاس انه غير معروف ورفعها منونة وكذا نصبها انتهى وذكر النووى في باب الجمعة من شرح مسلم انه اختلف العلماء في أول من تكلم بأما بعد فقيل داود عليه الصلاة والسلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقال بعض المفسرين أو كثير منهم انه فصل الخطاب الذى أوتيه داود وقال المحققون فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل انتهى وفي الكشاف ويدخل فيه يعنى في فصل الخطاب أما بعد فان المتكلم اذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد انتهى وفي غريب مالك للدارقطنى بسند ضعيف أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة

كلامه أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء وهذا يدل على ان أول من تكلم به يعقوب لا داود عليهما الصلاة والسلام ونظير فصل الخطاب كلمة هذا فانه يفصل بها بين الكلامين كقوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب أى الامر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا المعد للمتقين وأما تنظير المحشى بقوله تعالى هذا وان للمتقين لحسن مآب فغفلة عن لفظ التنزيل وهو قوله تعالى هذا ذكر وهو ليس من هذا الباب نعم نظيره ما قال الشاعر

* (هذا وكم لى بالجنينة سكرة * أنا من بقايا خمرها مخمور)

فانه أشار بهذا الى كلام تقدم ثم استأنف كلاما ثانيا والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان قس بن ساعدة الايادى بضم القاف وتشديد المهملة بليغ حكيم ومنه الحديث يرحم الله قسا انى لارجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده قيل هو أول من كتب من فلان الى فلان وفيه نظر لقوله تعالى انه من سليمان وأول من خطب بعصا وأول من أقر بالبعث من غير سماع قيل انه عاش ستمائة سنة وقد رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسوق عكاظ وهو راكب جملا له أحمر وورد رحم الله قسا انه كان على دين أبى اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام رواه الطبرانى عن غالب بن الحر وفي رواية رحم الله قسا كأنى أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه رواه الازدى في الضعفاء عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ومن قوله أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ثم هو من أهل الفترة وأما يعرب بن قحطان فهو أبو اليمن وقيل هو أول من تكلم بالعربية وههنا قولان آخران في أول من قال أما بعد فقيل كعب بن لؤى وقيل سحبان وهو بليغ يضرب به المثل لكن هذا القول غير صحيح لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولها في خطبته وهو قبل سحبان اجماعا لانه كان في زمن معاوية وما أجيب عنه بانه أول من قالها بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في الاسلام لا يخفى بعده لانى ما أظن ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا لا يتركونها في خطبهم بعد ما سمعوها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته والله تعالى أعلم

بعض الشروح وهو يحتمل أن يكون تسليما على من ذكر قبله تأكيدا له بحسب المعنى لفعله ومصدره أو لقوله وعلى آله بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام بعد تشريكه معهم في أصل الصلاة والتسليم تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب أن لا يفرد الآل بالصلاة عن السلام أردفه به تتميما للمقام كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل أن يفيد العطف التشريك في الصلاة والسلام أى على النبى وآله اذ لفظ سلم في الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليست من كلام المصنف وان اقتضى كلام الشارح انه ثابت في كلامه ويكون ما ذكرناه تأكيدا له وهذا دعاء المقصود به تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه السلام عليه أو جعله سالما من النقائص والآفات وأما تأكيد السلام بالمصدر دون الصلاة اقتداء بالنظم المجيد فلان الصلاة من الله ومن الملائكة رحمة وتعظيم واقعة منهم بلا تردد وأما البشر فلما صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من أذيتهم وتنقيصهم أمر وامع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد وأكد لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا خفى على بعض الناس وقال انما كها في الصلاة لما أكدت بالاعلام بان الله وملائكته يصلون عليه وبتقديمها اعتناء بشأنها ولا كذلك السلام فحسن تأكيده بالمصدر جبرا له وهو لا يجزى هنا كما توهم لانه أخبر ان الله عز وجل صلى عليه بقوله صلى الله عليه فيكون قوله بعده وسلم بصيغة الامر أى سلم أى أوجد السلام عليه فيطابق الآية لفظا ومعنى وهو تعسف غنى عن الرد * ثم ان المصنف أتى بسجع الخطبة على روى واحد ولم يجعل كل فاصلتين على حدة وهو أسلوب من أساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع ومثله كثير في الخطب فمن توهم انه منه وأورد عليه أنه يطول بعض فقره وهو معيب فقد توهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف (أما بعد) أما حرف شرط لوقوع الفاء

بعدها لفظا أو تقديرا وتوكيدا لان معناها مهما يكن من شئ فقد علق مشروطها على وقوع شئ مافى الكون مما لايخلو عنه ضرورة فكانه قال انه واقع على كل حال البتة وتفصيل غالبا أوذاغا بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل بينها وبين الفاء بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعدهنا والعامل اما فعل مقدر أو مافى حيز الجواب وهو مبنى على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة وأجاز فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف وروى عن سيبويه رفعها ونصبها كما فصل فى محله وأما بعد قيل انها فصل الخطاب واختلفوا فى أول من تكلم بها على أقوال (أشرق الله قلبي وقلبك) أشرقت الشمس ونحوها بمعنى أضاءت وهو لازم كما قال الله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها وقد استعمل متعديا فى كلام المولدين كما هنا فيكون اما حملا له على اضاء لانه بمعناه والشئ يحمل على نظيره وضده وأضاء جاء متعديا ولازما كما صرحوا به أو هو متضمن معناه أو معنى التصيير أى صير الله قلوبنا مشرقة كما قيل به فى قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والخطاب هنا للسائل الآتى وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزاء لانه بعد ذكر الظرف لايذكر فاصل آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح وماقيل انه لطيفة ربانية لها تعلق بالقلب الجسمانى لايوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية وكانه أراد الاخير ثم ان المصنف رحمه الله تعالى بدأ بنفسه فى الدعاء كما ورد فى القرآن رب اغفرلى ولوالدى وفى حديث رواه الترمذى كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أحدا ودعاله بدأ بنفسه وقد وقع مايخالفه كثيرا فقال الزركشى فى حواشى ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو به واحدا فان تغاير فهو مخير وقال النخعى رحمه الله تعالى كان يقول اذا دعوت فابدأ بنفسك فانك لاتدرى فى أى دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وهذا ليس مخصوصا بالحديث الآخر وهو كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى أخى كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفى شرح العقيدة البرهانية للتفريني انه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد فى الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لبيك عبدى و بك أبدأ فاى فضيلة تلتمس وراء هذه وهى كونه مبدوأ به فى الاجابة فمقام الايثار مقام عال شريف فان شاء بدأ بنفسه وان شاء بدأ بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره فى الافضل من طرقه أقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل امرئ مانوى (بانوار اليقين) الانوار جمع نور وهو كالضوء الا أن بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه فى حواشى البيضاوى وهل هو جرم أم لا فيه كلام فى كتب الحكمة فقيل عرض يحصل فى الاجرام عند مقابلة النير بتوسط جرم شفاف كالهواء والماء والمفيض له المبدأ الفياض للصور بالشروط المعدات للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاجت الى واسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور على مايقبل الاضاءة بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم النار المفيض للنور مايقبل الاضاءة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين ثم ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ماضاهاه كالرسل والعلم والعقل فان فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفى الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لايوصف به علم الله والمعنى الحضورى والضرورى فنور اليقين امامن قبيل لجين الماء أى اليقين الذى هو كالنور فى قوة الظهور وقيل المراد الادلة المبينة له استعارة أو العقل أى رزقنا الله عقلا سليما نهتدى بنوره الى سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ماساله يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدنى وهو معرفة الذات والصفات

(اشرق الله) أى اضاء ونور (قلبي وقلبك بانوار اليقين) أى بانواع انواره من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين على قدر مراتب العارفين فى ميادين الدين والاصل فى النور الظهور * واعلم ان مقتضى القواعد العربية واستعمال الفضلاء الادبية ايراد الفاء بعد امابعد بل بعد بعد أيضا اما التقدير اماوا ما لتوهم اما مع رفع توهم الاضافة وافادة الدلالة التعقيبية وقد قال سيبويه ان معنى امابعد مهما يكن من شئ بعد فتعين اتيان الفاء الجزائية وسياتى فى قوله فانك فالجمل المذكورة دعائية اعتراضية واما قول التلمسانى فى قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فليس فى محله لان اما هذه تفصيلية لاشرطية

بمشاهدة

(ولطف لي ولك) باللام فيهما على الاصول المصححة لا بالباء الموحدة (بما) أي بمثل ما وفي نسخة كما (لطف باوليائه) فما مصدرية وفي نسخة صحيحة بما لطف لاوليائه فما موصولة وفي نسخة بعباده المتقين بالباء جمعا بين اللغتين وتفننا في العبارتين فمن الاولى قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء ومن الثانية الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ولطف بفتح الطاء من اللطف وهو على ما في المجمل بمعنى الرفق والرأفة وعلى ما في الصحاح بمعنى التوفيق والعصمة وقيل بمعنى الهداية واما بالضم

فمعناه دق وصغر والالطف مقال بعضهم من ان اللطف في اللغة الرقة وهو من الله تعالى زيادة بره للانام بامور تدق عن الافهام منها هدايتهم للايمان والاسلام وتوفيقهم لطاعاته ومراعاة الاحكام وكفهم عن المعاصي والآثام وتيسير أسباب الراحات الدنيوية والاخروية عليهم ودفع المضار المانعة عنهم وجلب المنافع اليهم ثم التقوى هو التوقي عن مخالفة المولى (الذين شرفهم) أي الله تعالى كما في نسخة (بنزل قدسه) بضمتين ويسكن الثاني فيهما الا ان السكون في الثاني اقل وفي الاول أكثر ثم النزل ما يهيأ للضيف من الكرامة لانسه وقيل النزل المنزل وبه فسر قوله تعالى جنات الفردوس نزلا وقد جزم المحشي بانه مراد المصنف هنا والظاهر انه لا منع من الجمع كما أشار اليه صاحب القاموس النزل بضمتين المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه كالنزل والمعنى بالنزل الحال المقدس عن الدنس وفي نسخة بنور قدسه وهو اظهر معنى لان المراد به وبما بعده مقامات العارفين في الدنيا وان كانت سبب درجات في العقبى فلا يلايم تفسير نزل قدسه بالجنة لنزاهتها عن الكدورات الدنيوية كما اختاره الدلجي ثم قال ويجوز ان يريد به ما يهيأ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل أهل الجنة زيادة كبد الحوت واما ما هو في ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى عطائهم مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف

بمشاهدة كشفية لا بمجرد دلالة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر عليه الصلاة والسلام وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده (ولطف لي ولك) لطف كقعد من اللطف وهو الرفق والرأفة وهو من صفات الله تعالى وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان أو معاملة عباده بذلك وايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفاء وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثمة قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم بالدقائق التي لا يهتدى لها والمشهور تعديته بالباء كقوله تعالى الله لطيف بعباده وجاء تعديه باللام في قوله ان ربي لطيف لما يشاء لما فيه من معنى التوفيق والتيسير أو ضمن لهذا أو لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه حقيقة وفي النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه أشار من قال هو اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له وكذا جمع المصنف رحمه الله تعالى بين حرفي التعدية فقال (بما لطف به لاوليائه المتقين) وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا أو تجعل الباء سببية لا معدية وفي نسخة بما لطف به بعباده بالباء فيهما وهو أيضا امر فلا غبار على كلامه كما توهم والاولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله أو بمعنى مفعول لانه تعالى تولى أمره وله معنى عام وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته المجتنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق في شهود الذات المتجلي بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لا يشترط فيه ان يكون له كرامة وقال الدواني وهو المتقي العارف بالله وصفاته المتوجه بكلية قلبه الى جناب قدسه قالوا والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب أو ملاحظة ذاته وصفاته في كل افعاله وعند الصوفية هو الفاني في الله الباقي به والفناء لاستغراق في شهادته القلبية حتى لا يشعر بغيره حتى بنفسه وعدم شعوره وهو انتهاء السير اليه والبقاء به لكونه مظهر الافعال الله وارادته من غير اختياره في غير اختياره والمتقين صفة كاشفة أو المراد بها معنى خاص لان المتقي اسم فاعل من الوقاية وهي الصيانة وفي العرف من يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله مراتب أولها التوقي عن العذاب بالتبري عن الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عما يؤثم فعلا وتركا حتى الصغائر عند قوم وعليه قوله ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته فهو دعاء بان يوفقه لتيسير ما يسره (الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه) الشرف في الاصل المكان العالي نقل لعلو المرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وهو أيضا ما يهيأ للضيف اذا نزل ثم قيل لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال الله تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويصح ارادته أيضا والقدس بضمتين ويخفف ثانيه مصدر بمعنى الطهر واسم جبل القدس لطهارته بالعبادة فيه والقدس من اسماء الله تعالى بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة وهو المراد أي شرفهم باكرامه لهم في جنته أي باسكانه اياهم فيها أو بكرامة تطهيره اياهم أو بجعل الطهارة

(وأوحشهم) من الوحشة ضد الانسية يقال أوحشه فاستوحش أي جعلهم ذوي وحشة (من الخليقة) وفي نسخة من بين الخليقة (بانسه) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس ولا يمكن دفع العوائق الا بقطع العلائق فالمعنى أبعدهم الله تعالى عن الخليقة وقربهم منه على مراعاة الشريعة والطريقة والحقيقة فيكونون كاثنين بائنين قريبين غريبين عرشيين فرشيين مع الخلق في الصورة ومع الحق في السريرة كما هو دأب الانبياء وعادة الاولياء به آنسون ومن غيره آيسون (وخصهم من معرفته) أي جعلهم أهل الخصوص من أجل معرفته وفي نسخة بمعرفته أي جعلهم مخصوصين بها بحيث لا يلتفتون الى معرفة غيره أصلا (ومشاهدة عجائب ملكوته) فعلوت من الملك بزيادة الواو والتاء للمبالغة وفرق بين الملك والملكوت اذا اجتمعا بان يخص الاول بظاهر الملك والثاني بباطنه أو الاول بالعالم السفلي والآخر بالعالم العلوي قال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال عز وجل فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ومعنى المشاهدة المعاينة واغرب التلمساني حيث فسرها بالحضور مع قوله مصدر شاهد بمعنى رأى ثم العجائب جمع عجيب وهو ما يتعجب فيه من الامر الغريب (وآثار قدرته) أي من مطالعة مصنوعاته (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة أي مسرة من الحبور وهو السرور وقيل معناها النعم والكرامة ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون أي ينعمون ويسرون ويكرمون ثم الجار متعلق بخص أو بالمشاهدة ومن مصدرية أو موصولة وقلوبهم مفعول به وحبرة مفعول ثان كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حق الكفار يوم الاحزاب ملأ الله قبورهم نارا أو منصوب بنزع الخافض وايصال الفعل كقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة وقيل منصوب على التمييز واما ماذكره التلمساني من انه يقال بفتح الباء الموحدة وتسكينها فوهم لان الفتح انما جاء بدون التاء على ما في القاموس أو بضم الحبرة وهي سرور ظهر حبره أي أثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا في الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره وبكسرهما وقد يفتحان أي بهاؤه وجماله (ووله) بالتشديد (عقولهم) أي جعلها والهة بتدبرها وتفكرها (في عظمته) وفي نسخة من عظمته (حيرة) أي ذوات تحير بما غشاها من ضياء جمال وبهاء كمال وفي نسخة وذرعقولهم أي تركها متحيرة ولا يخفى صنعة التجنيس بين حبرة وحيرة

نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيره لهم عن النقائص ولتقدم التخلي على التحلي عقبه بقوله (وأوحشهم عن الخليقة بانسه) في نسخة من بدل عن وأوحش ماض بمعنى صيرهم في وحشة ونفرة عما لا يلائم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما يهوى ولذا قيل الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بكسر الحاء صفة منه بمعنى المتوحش وشاع في العرف بمعنى القبيح ولذا تظرف القائل

ووحشة لم تزل تحركها * يد النوى فهي دائما وحشه

والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة يقال طبيعة خليقة بكل مدح وخليقة جديرة والباء بانسه سببية يعني ان انسهم بالله واستغراقهم في مشاهدته تفرقهم عمن سواه والانس هنا روحاني كما قيل

فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس

(وخصهم من معرفته) من بيانية مبينة لما الآتية ان قلنا بجواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والآتي تفصيل له أبهم وأجمل في ذلك المقدر ومعرفة الله معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا خلاف فيه انما الخلاف في معرفة الذات بالكنه هل هي واقعة أم لا ممكنة أم لا كما فصل في الكلام ومعنى المعرفة معروف (ومشاهدة عجائب ملكوته) المشاهدة المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا فهو ما غاب عن الحس وقيل بل المراد هنا الملك المشاهد ومن في قوله من معرفته ابتدائية لا بيانية أي ان الله خص أولياءه بما سرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا في عجائب مصنوعاته فنشأ لهم ما ملأهم نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع في الوصول واليأس

حيرة عمت فأي فتى * رام عرفانا فلم يحر

ومن تحتمل البيانية بناء على جواز تقديمها كما مر ففيه احتمالان لكل منهما وجهة (وآثار قدرته) الآثار بالمد جمع أثر وآثار القدرة المقدورات البارزة في الوجود بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهد المحسوس وما قبله على عالم الغيب كما سمعته آنفا وهو الاحسن من حمله على الثاني (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ويجوز فتحها كما قال التونسي ثم راء مهملة تليها هاء تانيث وملأ مهموز ضد فرغ والحبرة السرور وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف كما مر (ووله عقولهم في عظمته حيرة)

وله

أوله مشددا اللام تفعيل من الواه يقال وله يوله وولها من باب تعب وفي لغة قليلة من باب وعد والذكر والانثى واله ويجوز في الانثى والهة كذا في المصباح والواه الحزن أو ذهاب العقل الناشئ منه وفي المصباح واه اذا ذهب عقله من باب فرح أو حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة للنفس بها ادراك الانسان وتمييزه عما سواه

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * ادنى الى شرف من الانسان

والحيرة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والراء المهملة قال في المصباح حار في أمره يحار حيرا من باب تعب وحيره الامر لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وقال الازهري أصله ان ينظر الانسان الى شئ فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه وفي الصحاح الواه ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر فيه الفعل أو الحيرة فلا بد فيه من التجريد والا فلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لواه وتمييز والمعنى انهم عجزوا عن ادراكها فلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا ونبو را فان العظمة جلال الله وكبرياؤه التي تقف العقول دونها وفي التفسير في حديث الكبرياء (ردائي والعظمة ازاري) اشارة الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير سواء استكبره غيره أم لا وسواء عرفت هذه الصفة أم لا والعظمة عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية والذاتية أعلى وأشرف فلذا جعلها ازارا وتلك رداء وقيل له متكبر دون متعظم فتأمله وفي العبارة تجنيس ولف ونشر ان قلنا الذي ملأ القلوب سرورا معرفته والذي حير العقول عجائب ملكوته وآثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته وترقب فيضه والعبد يزهو على مقدار مولاه وأثرت تلك المشاهدة الواه والحيرة لان عيون البصائر لا تطيق النظر لاشعة أنوار القدس (فجعلوا همهم به واحدا) الفاء تعقيبية أو تفريعية والهم في الاصل مصدر بمعنى الحزن والعزيمة والارادة في كل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعاني غير الاول جائز هنا أي لما شاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم في كبرياء عظمته علموا ان ماسواه كلا شئ فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحدة فلا مراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة فكان العبد يقول همومي في الدنيا والآخرة غير متناهية فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية فانا لا أقدر على دفع حاجاتي ولا تحصيل مهماتي بل القادر عليها الله سبحانه فانا لذلك أجعل همي مشغولا بذكره ولساني واقفا على ذكره فاذ فعلت ذلك كفاني برحمته مهمات الدنيا والآخرة قلت أنا في معناه

من صير همه جميعا هما * يكتال به السرور كيلا جما
والحر فتى بذاك ختماهما * من يسبح لا يخاف بحرا طما

والباء سببية لا صلة الهم أي جعلوا قصدهم واعتناءهم به تعالى حال كونه واحدا في القصدية فلا مقصد سواه أو حال كون قصدهم واحدا والمآل واحد * وقيل المعنى انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الا اياه الا أن فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق لهم طلب وتطلب فقصدوه لا لشئ وهذا معنى قولهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الجاه فتجلى لهم جمال ذي الجلال حتى نسوا أنفسهم ونسيانهم وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى والجار والمجرور يجوز أن يكون مفعولا ثانيا لجعل وواحدا حال من الضمير المجرور أو من الضمير المستتر في الجار والمجرور به وهو الاولى (ولم يروا) حقيقة لا مجازا وقيل لا حقيقة ولا مجازا (في الدارين) الدنيا والآخرة وأصل معنى الدار معروف وقد شاع في لسان الشرع استعماله فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكأنهما القتهما ما عند الله بمنزلة دار أنزل

(فجعلوا همهم به) أي بالله ودينه قائمين بحقوق ألوهيته ووظائف عبوديته (واحدا) أي هما واحدا اشارة الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة والمراد بالهم هنا القصد والهمة والعزم والجزم التام ولا يبعد ان يكون بمعنى الحزن الموجب للاهتمام في سبيل الله أو بسبب دينه فالضمير له سبحانه وأبعد التلمساني في جعل الضمير للواه المفهوم من واه (ولم يروا) أي لم يعتقدوا أو لم يبصروا (في الدارين

غيره مشاهدا) بضم الميم وفتح الهاء أى مشهودا لانه كما قال بعض العارفين من أرباب الاسرار ليس فى الدار غيره ديار وقال آخر من أصحاب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وزاد أبو يزيد على من سواه وقال ليس فى جبتى غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال أنا الحق وقال مجنون بنى عامر فى هذا المعنى   أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا
فهذا مقام وحال لارباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال ويؤيد هذا المقال قول الملك المتعال كل شئ هالك الا وجهه ويقويه ما ورد عن النبى النبيه عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وفى نسخة بكسر الهاء وهو لطيف جدا موافق للفظ واحد   ٢٨   فانه يفيد بانضمام الفتح لارباب الفتوح انه شاهد ومشهود كما انه حامد ومحمود وقد علم كل اناس مشربهم وفهم كل طائفة مذهبهم وكل حزب بما لديهم فرحون ولعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ مشاهدا فاسقطه مع انه لم يتم بدونه التسجيع بقوله واحدا وكانهم اكتفوا بلفظ غيره حالة وقفه (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) وفى أصل التلمسانى يتمتعون أى يتعيشون والمعنى انهم بمطالعة صفات انعام ولائه ونعوت بلائه وابتلائه يتلذذون فاستوى عندهم المنحة والمحنة فى ثبوت كمال المحبة خلافا للناقصين فى المودة على ما أخبر الله تعالى فى حقهم من الحرف بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه وفى هذا الحال قال بعض أرباب الكمال   لا
وليس لى فى سواك حظ * فكيف ماشئت فاختبرنى   وفى القضية اشارة خفية الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين صفتى الجمال والجلال ونعتى البسط والقبض المعبر عنهما بالبقاء والفناء والتفرقة والجمع وأمثال ذلك من اصطلاحات الصوفية والسادات السنية وفى كثير من النسخ المصححة كماله بدل جماله وهو غير ملائم لمقابله لان الكمال هو الجمع بين الجمال والجلال وقد يوجه باتيان الاخص بعد الاعم والله تعالى أعلم * ثم لما ترقى الى أعلى المقامات وهو مشاهدة الذات تنزل الى ملاحظة الصفات فان تلك الحالة العالية قد تكون لحظة ولمحة لا تستمر فى الازمنة الماضية فقال (بين آثار قدرته) أى من صفات الافعال (وعجائب عظمته) أى من صفات الذات ولو قال وأنوار عظمته لكان له وجه حسن فى بلاغته (يترددون) أى تارة الى هذا ينظرون وأخرى بهذا ينتظرون بخلاف أهل الحجب والغفلة فهم فى ريبهم يتحيرون

فيها بعض عبيده والغافل يظنه مجانا سكنها والحال نقد عمره كراؤها (غيره مشاهدا) الضمير لله وجملة لم ير والمعطوفة على جملة جعلوا الانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا عما عداه ويحتمل عطفها على أول الجمل وهذا محتمل لمعنيين الاول ان يريد ان فى الكون مشاهدات سواه ولكن العارف المستغرق فى مشاهدة جماله وجلاله لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها الصوفية الفناء فى التوحيد والثانى ان يريد انه ليس فى الوجود غيره لان كل شئ هالك الا وجهه وكان الله ولا شئ معه وهو الآن كما كان على ما قاله أرباب الشهود فالمراد انه لا مشاهد حتى يروه على حد قوله * لاترى الضب بها ينجحر * ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة أو الحضور وفى الشروح هنا كلام طويل ولا حاجة لنا به (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) الجمال الحسن الذاتى لا الصورى والمتبادر من الحسن الثانى ولذا لا يوصف به الله بدون تقييد وورد وصف الله به فى الحديث فقال (ان الله جميل يحب الجمال) وليس للمشاكلة كما فصله شراحه والجلال العظمة يعنى انهم يشاهدون جمال ربهم وأنوار ذاته بعيون البصائر والبصر فى الآخرة ويرونه دون احاطة كرؤية غيره ويومى اليه جعل المشاهد نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال الله تعالى (ورضوان من الله أكبر) على ما بينه المفسرون ولم يخلق الجن والانس الا للعبادة وبها تصفية الباطن وصقل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه وقوله بمشاهدة متعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفى نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما بالجلال فقيل انه يقتضى الادب والخوف فلا يناسب التنعم فيحتاج للتأويل أو التغليب وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يتقرب لحظائر قدسه أعظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفى حكم ابن عطاء الله النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه (وبين آثار قدرته) أى مقدوراته (وعجائب عظمته يترددون) يعنى انهم قائمون فى مقام جائلة فيه أفكارهم لا يفترون عن الجرى فى ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدائع المصنوعات المشاهدة فى مرائى آثار باهر قدرته وتارة ترقى لسرادق عظمته فتظل أعناقهم خاضعة وعيون أبصارهم خاشعة والتردد المجئ والذهاب فشبهت حركات الافهام المعنوية بحركات الاجسام الجسمية ومنه التردد بمعنى الشك قال الشاعر

(وبالانقطاع اليه) لقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا (والتوكل عليه) لقوله عز وعلا فاتخذه وكيلا (يتعززون) وفيه اشارة لطيفة الى انهم الى غيره ما يتذللون لانهم بما آتاهم الله تعالى يرضون و يقنعون (لهجين) بفتح فكسر اى حال كونهم مولعين ملازمين ومواظبين مداومين متمسكين (بصادق قوله) من اضافة الصفة الى الموصوف اى بقوله الصادق المطابق (قل الله) اى موجودا و معبودا ومشهودا وقل الله وليس فى الكون سواه (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) اى اترك اهل الغفلة واللعب والاشتغال بما لا يعنيهم فى دينهم وما لا يحملهم على الحضور مع ربهم حال كونهم فى شروعهم فى الباطل وهو ما سوى الحق يضيعون اعمارهم ويخربون آثارهم عبثا بلا فائدة عائدة فى امر اولاهم وفى حال اخراهم وهذا المعنى الذى أوما ليه الشيخ من الاشارات الصوفية لا ينافى ماذكره المفسرون وارباب العربية من أن لفظ الجلالة فاعل لفعل مقدر او مبتدأ خبره محذوف لما يدل عليه السياق والسباق بالاتفاق لانه جواب عن سؤال تقدم فى قوله تعالى فى حق اليهود وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الى ان قال قل الله اى امتنعوا عن الجواب وعجزوا عن الكلام الصواب قل الله اى انزل الكتاب وفى هذا كفاية لاولى الالباب

لاتنكرن عدم الزيارة سيدى ❊ فمحبتى طبع بغير تردد

والمراد انهم مواظبون على التفكر فى عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية (وبالانقطاع اليه) الانقطاع مطاوع قطعه اذا فصله فانقطع ثم شاع فى التوجه لاخذ من شئ لامر وترك غيره وهو المراد هنا وتعديته بالى و يتعدى باللام ايضا يعنى انهم لما توجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علائق الخلائق لتوكلهم عليه ورضاهم بما قضاه وقدره وبجعلهم امورهم مفوضة الى الله عزوا وتقووا الان عبد الملك العظيم الملازم لسدته قوى عزيز ولذا ورد فى الحديث من خاف الله خاف منه كل شئ (والتوكل عليه يتعززون) والتعزز تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكل من المعنيين جائز هنا (لهجين) جمع لهج بزنة حذر اى ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح الهاء وسكونها وهى فى اللغة اللسان او طرفه و يطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشئ من باب تعب اولع به ولزمه كما فى المصباح (بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) يعنى ان هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دائما ذكر الله والاعراض عما سواه متمثلين بهذه الآية يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره فلذا يأمرون أنفسهم او يأمر بعضهم بعضا بما ذكر والصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف ووصفت هذه الجملة الانشائية به نظر الماتضمنته او لقول مقدر كربنا الله ونحوه او لان الامر للمتاركة ما له نحن لا نعبأ بكم ومقصود المصنف التمثل به كما تمثل به الشبلى رحمه الله تعالى لمن قال له اوصنى فقال عليك بالله ودع ماسواه وكن معه ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ❊ و بهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشاء بالصدق وان الآية ليست مناسبة هنا فانها هكذا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الى آخره اى قل الله الذى انزل التوراة او انزلها الله فامره الله بجواب منكرى الوحى اما لتعين الجواب او تنبيها على انه لا يمكن غيره او تنبيها على انهم مبهوتون لا يقدرون على الجواب لهم ثم قال ذرهم فى اباطيلهم فما عليك الا البلاغ و جملة يلعبون حالية فتمثل بها المصنف رحمه الله تعالى لترك ما سوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلى رحمه الله تعالى وان كان سياقها فى التلاوة لمعنى آخر اذ يكفى لمثله المناسبة بوجه ما ❊ وقيل وصف هذا القول بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص او الثبات والكمال الصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولا حاجة اليه لما مر واضافة صادق كجرد قطيفة واستعارة الخوض من المشى فى الماء للاقتحام فى الباطل كما قدره المفسرون ونحوه استعارة الحياض وفى بعض النسخ بعد قوله تعالى وهى جملة معترضة او حالية للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الآية قل يا محمد جوابا لهم عن قولهم من انزل التوراة الله انزلها ثم ذر الكفار فى أباطيلهم وهو لا يناسب هذا المقام الان يقال مآله الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل ❊ اقول ما ذكروه لا يترا آى فى بادى النظر وليس بشئ لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد لهجين بمثل هذا اقتداء بقوله تعالى فى دفع المنكرين المغرورين بالدنيا التى امها لهو ولعب باطل الا ما فيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل و يناسب المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف الثمام وههنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة لا ثواب فيها قال

الخطاب فى شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه فاجاب بانه بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لابد فيه كلام من ان يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقينى رحمه الله فى قوم لايزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم يقولون فى آخره مكرم معظم فاجاب بانه ترك أدب وبدعة لم ينقل ولايثاب عليها وكذا قولهم على محمد وتابعه عليه كثير من علماء * أقول ماذكره فى اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكررا من كونه بدعة ظاهر لانه مع كونه لم يتعبد به داخل فيما نهى عنه لقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا كما سيأتى بيانه ولم يرد تعظيم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالدعاء له والصلاة والسلام عليه فلو عظم بمثل ذلك كان مراغما للسنة ولو ذكر احد سلطانا باسمه زجر وهو وأهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر به ووعد ذاكره بالثواب فى آيات واحاديث لاتحصى كقوله تعالى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفى الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين الى غير ذلك مما لايحصى ولم يقيد بقيد على ان الذاكر قصده التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظا لمعناه فكانه قال معبودى واجب الوجود ومستحق لجميع المحامد ولم يزل اهل الله من العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكرى رحمه الله يفعله ويقول أستغفر الله مما سوى الله وكل شئ يقول الله وفى مجالسه اجلة العلماء والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف فى رد مقابلة ابن عبد السلام هذه عدة رسائل رأيناها وممن صنف فيها القطب القسطلانى والعارف بالله المرصفى والشيخ عبد الكريم الخلوتى وبعض من عاصرناه اللهم احشرنا فى جملة الذاكرين ولاتجعلنا من الغافلين (فانك) جواب اما واكده لان المسئول عنه يحسن توكيده والخطاب لسائل معين محقق سائله أو لغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المصنف رحمه الله اعلى من ان يفرض سائلا يخاطبه وان قوله الا [illegible] تى كررت السؤال ومابعده يأباه ليس بشئ لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت واقع فى القرآن والحديث كثير كقوله (ولو ترى اذ المجرمون) وغيره مما لايحصى ويجوز ان يكون من باب التجريد كقوله * طحا بك قلب فى الحسان طروب * ومابين اما والجواب معترض (كررت على السؤال) التكرار اعادة ذكر الشئ مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثانى والاول ومجموعهما والجار متعلق بكررت لما فيه من معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعطام وهما معروفان (فى مجموع) المجموع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفى العرف كتاب يجمع من كلام الغير كما فى قوله

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات فى عقدها
كانت مجامع الورى عنده * تموت للخجلة فى جلدها

ففى عبارته هضم لنفسه بانه ليس فيه الا الجمع والتقدير فى تأليف مجموع وتقدير فى شأن مجموع ركيك وفى متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لايتعدى بفى بخلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفى اذا كان بمعنى الرجاء والشفاعة دون الاستعطاء فتقول سالت الامير فى كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كدخلت امرأة النار فى هرة فيصح تعلقه بكررت ايضا (يتضمن) التضمين جعل الشئ فى ضمن الشئ وداخله فالتعبير به لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه اوهو من ظرفية الكل للجزء لما فيه من زيادة شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس كما فعل فى شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوى عليه وتفسيره يتحصل منه وبسببه ففيه تسمح (التعريف بقدر المصطفى) التعريف الاعلام واصله جعل الغير عارفا والتعريف فى الميزان معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر الشئ مقداره غلب فى رتبة شرفه

(فانك) سبق انه جواب اما والجملة الدعائية معترضة بينهما (كررت على السؤال) اى راجعته واكثرته (فى مجموع) اى فى مصنف جمع فيه صنف من الشمائل النبوية ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية (يتضمن التعريف) اى يحتوى الاعلام (بقدر المصطفى)

وأصله تقدير الشئ بوزن ونحوه والمصطفى المختار المنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبلغ لحد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام أو الاضافة وليس كذلك وانما ذكر في الاسماء لانهم يخصوها بالاعلام كما سيأتي فما قيل من انه لقب وضعي أو بالغلبة واللام للمح الاصل ليس بشئ لانه لم يسمع في عهده وأسماؤه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية على المشهور كما سيأتي قيل ولو قال ببعض قدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أحسن ولا يخفى انه لا يلزم من سؤاله وقوع مسؤله وكذا قال فيما يأتي جلتي أمرا أمرا على أنه اذا أريد الاجمال سقط القيل والقال (عليه الصلاة والسلام) وفي نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يقصد السجع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلاة لله كما يأتي أكثر تعظيما (وما يجب له من توقير) تعظيم (واكرام) افعال من كرم بمعنى نفس بالضم وعز أي عده موقرا معظما لمحبته وتعظيم آله وأصحابه (وما حكم من لم يوف) أي يتمم ويكمل من وفاه حقه اذا أعطاه ياه وافيا تاما والحكم ما حكم به العلماء فيه أو خطاب الله المتعلق به (واجب عظيم ذلك القدر) أي مقامه الشريف وهو من اضافة الصفة لموصوفها أي والقدر العظيم واضافة واجب لامية واحد مفعولي يوف محذوف أي لم يوفه أو يوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لم يوف واجب قدره حقه فالمحذوف الاول أو الثاني أو هو بمعنى يتمم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب في محل نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما استفهامية أي يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة والعائد مقدر على الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان اكتسب الصدارة مما أضيف اليه لا يصح عمل ما قبله فيه الا انه قصد به لفظه على طريق الحكاية أي جواب قولك ما حكم الى آخره فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق العامل عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من أفعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر نحو فلينظر أيها أزكى طعاما لتعديه بما بفي وارا واجب ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (أو قصر في حق منصبه الجليل) التقصير والاقصار ترك ما لا بد منه وفي المحكم قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه ما يستحقه مما لا بد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد المهملة في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره أهل اللغة واستفاض في كلام الفصحاء كما قال أبو تمام ※ ومنصب عناه ※ ووالد سماه ※ وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد أي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه لغة المرجع ويطلق على المرتبة وقيل القدر فكأنه من نصب اذا جد وارتفع وأما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في كلامهم أصلا كقوله

نصب المنصب أوهى جلدي ※ وعناي من مداراة السفل

فكأنه لانه نصب فيه للنظر في الامور أو هو من النصب والحيلة واطلاقه على ما وضع عليه القدر كقول أبي تمام

كم قلت لما فار غيظا وقد ※ أزيح عن منصبه المعجب

لا تعجبوا ان فار من غيظه ※ فالقلب مطبوع على المنصب

وفيه مع استعماله المولد تحريف آخر (قلامة ظفر) أي تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته

(عليه الصلاة والسلام) أي بتعظيمه كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وتوهم الحلبي ان المراد بالقدر هو المقدار فقال لو قال ببعض قدره لكان أحسن والمراد بالمصطفى المختار المجتبى المرتضى لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وهذا بحسب النسب واما بطريق الحسب فلقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ولقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولا شك انه الفرد الاكمل في هذا المعنى (وما يجب له من توقير) أي ويتضمن بيان ما يجب له من تعظيم واحترام (واكرام وما) أي وبيان أي شئ (حكم من لم يوف) بالتخفيف ويجوز التشديد أي من لم يكمل ولم يوقر (واجب عظيم ذلك القدر) الاضافة بيانية أي القدر الواجب من تعظيم ذلك القدر العظيم (أو قصر) أي أو ما حكم من فرط (في حق منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد أي مقامه (الجليل) بالجيم وهو الشريف المنيف (قلامة ظفر) بضم فسكون واختير للسجع والافصح ضمتين هو الافصح ويجوز بكسر الظاء وسكون الفاء أيضا وقد قرئ بهن في الآية لكن السكون مطلقا شاذ والقلامة بالضم ما يسقط من الظفر وهو كناية عن الشئ الحقير والامر اليسير

مقام المصدر أو بنزع الخافض بعد حذف المضاف وقلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر أو غيره كالشجر ولذا سمى القلم به لقطعه وهو قبل القطع يراع ونصبه كما ذكره أهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد وزنه فعالة تكون لما يلقى من الشئ كالقمامة والكناسة وشذ منه الخلاصة مع مافيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات أفصحها ظفر بضمتين وتسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على أظفر ويقال ظفر بزنة جمل وأظفور كاسبوع وقول الجوهري انه جمع ظفر سهو أو من طغيان القلم أراد أن يقول أظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة كما قال أبو نواس

أيها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

وبقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربي حيث قال

ناديت من أهواه وهو مقلم * أظفاره يا نزهة المتأمل

أبعدت ظفرك وهو بعضك فالذي * يهواك أجدر بالبعاد الاطول

فاجابني انظني قلمتها * عن حاجة لكن لمعنى عن لي

لاريك يا من بالهلال تقيسني * ان الهلال قلامة من انملي

يعني انه حقير مبتذل عنده والمراد بعدم توفية حقه ترك ماحقه ان يذكر كله أو بعضه والتقصير ترك ذكره على ماينبغي فهو مغاير لما قبله فلا يلزمه عطف الخاص على العام باو وقد أباه النحاة أو يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه (وأن أجمع لك ما لاسلافنا) جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من أصولك وأقربائك ثم عم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلماء وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا في محل جر معطوف على مجموع (وأئمتنا في ذلك) أي أئمة الدين المقتدى بهم من أصحاب الكتب والمذاهب جمع امام وأصله أأممة بهمزتين فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد أئمة مذهب المالكية (من مقال) بيان لما (وابينه بتنزيل صور وامثال) أبين بالنصب عطف على أجمع أي يوضح ماينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده أوصفاته أو أمثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلي لعدم تحققه في الخارج بعيد عن الافهام كالعالي والجزئي محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهي النوع أو الصفة أو الفرد كما ذكره أهل اللغة ومنه قول العلماء صورة المسئلة كذا والامثال جمع مثال أو مثل وفي بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن رسلان قال والمراد الآيات من تسمية البعض باسم الكل مجازا والتنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال مشهور على ما فيه وقيل انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد فان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه في الخارج وذكر نظائره (فاعلم) أي اذا لم ترجع عن الحاحك في الطلب فاعلم أمره بالعلم لصعوبة ماطلبه قبل الشروع فيه ليلقي فكره له وسمعه اعتناء به وبجوابه وكثيرا ماياتي به المصنفون لذلك ويأتي الكلام عليه وانه قد استعملته العرب كما في قوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سيوف ياتي كل ماقدرا

فلذا خصه بالدعاء له بالاكرام فقال (أكرمك الله) بعد مادعا لنفسه وله سابقا وهي جملة معترضة دعائية أي جعلك الله تعالى معززا مكرما لحسن سؤالك وعظم ماسالت عنه وكونك باعثا لي على تدوين مثله ويجوز أن يقال انه أكرمه بسؤاله له لاعتقاده انه أهل لما طلبه منه مخصوص به في عصره فلذا جازاه بهذا الدعاء (انك حملتني) بالحاء المهملة أي كلفتني مايشق كحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما في قوله

(وان أجمع لك ما لاسلافنا) أي لعلمائنا المتقدمين (وأئمتنا) أي لمشايخنا المتأخرين (في ذلك من مقال) أي فيما ذكر من وجوب تعظيم قدره والحكم فيمن صدر عنه بخلافه من الاقوال (وأبينه) أي المقال (بتنزيل صور وأمثال) أي بتصوير صور وامثال وتقرير محامل يزول به الاشكال ايضاحا للمعنى وايصالا الى الذهن في المبنى (فاعلم) أي أيقن وتنبه أيها المخاطب (أكرمك الله تعالى) أي كما قصدت اكرام النبي المكرم (انك حملتني) بتشديد الميم أي كلفتني بالجمل

(من ذلك) أى الامر الذى سالتنى (أمرا امرا) بفتح الهمزة فى الاول وكسرها فى الثانى أى أمرا شاقا أو شيأ عظيما واما قوله تعالى لقد جئت شيئا امرا أى عجيبا أو منكرا (وارهقتنى) أوقعتنى (فيما ندبتنى) أى دعوتنى (اليه عسرا) بضم فسكون وبضم أى أمرا عسيرا لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو واليسير كما قيل فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ولا ترهقنى من أمرى عسرا (وارقيتنى) أى أصعدتنى واطلعتنى من الترقى بمعنى الصعود وهو يائى وفى القاموس رقى اليه كرضى رقيا صعد كارتقى وترقى أو مهموز حيث قال رقأ فى الدرجة صعد لكن النسخ المصححة بالمركز تؤيد الاول فتامل والحاصل انهما لغتان والاول هو الاشهر فى البيان واما قول التلمسانى بهمز ويسهل والهمز أفصح وقيل التسهيل فيتوهم منه ان الاصل هو الهمزة وهو غير صحيح لان التسهيل بمعنى الابدال غير مطابق لقواعد الاعلال فانه انما يكون على طبق ما قبله من الحركة كما لا يخفى على أرباب الكمال والله تعالى أعلم بالحال (بما كلفتنى مرتقى) بضم مصدرا أى ارتقاء (صعبا) أى شديدا وليس كما توهم التلمسانى بقوله وكان المعنى ارقيتنى فارتقيت مرتقى صعبا أى محلا عسيرا حيث جعل المرتقى اسم مكان فاحتاج الى تقدير فارتقيت والله تعالى أعلم (ملأ قلبى رعبا) بضم فسكون وبضم أى خوفا وفزعا

تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها (من ذلك) الاشارة للمسؤل عنه ومن بيانية على أحد القولين فى جواز تقدمها على المبين كما مر او ابتدائية لان حمله لذلك ابتداء مما يطلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية (أمرا امرا) أمرا الاول بفتح الهمزة واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول أولى والثانى بكسرها وهو بمعنى عظيم أو منكر او عجيب والكل محتمل هنا الا الاول أولى أى كلفتنى أمرا عظيما لا أصفه أو منكرا عندى أو عجيبا طلبه منى لانى لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه (وارهقتنى) بتاء الخطاب والارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق وأصل معنى رهق غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقنى من أمرى عسرا بلا تكلفنى أمرا صعبا لا أقدر عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما ساله (فيما ندبتنى اليه) أى طلبته منى ومنه المندوب (عسرا) بزنة فعل وهو الامر العسير (وارقيتنى) من الرقى وهو الصعود للمكان العالى أى الجاتنى اليه بتكرير سؤالك والحاحك على فى طلب الاجابة (بما كلفتنى) ما مصدرية أى بتكليفك ما سالته وهو من الكلفة وهى المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلف تغير فى الوجه كالبهق كما قلت فى قصيدة

للبدر قات وقد حكى وجهاله ❊ فضح التكلف شيمة المتكلف

(مرتقى) مصعدا أو صعودا (صعبا) وعرا شاقا (ملأ قلبى رعبا) خوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية وتخييلية وفى جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه (فان الكلام فى ذلك) المسؤل وهو تعليل لما ذكر من الصعوبة والمشقة (يستدعى تقرير أصول) أى يقتضى ما لا بد منه من التقرير وهو التحقيق والتثبيت وفى النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة وأصل معناه جعل الشئ قارا فى مكانه والمراد قراره فى الذهن أو الخارج والاصول جمع أصل وهو فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح ما يبتنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منها هنا وتقدمه على ما بعده ظاهر (وتحرير فصول) أى تهذيب أمور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل أو مفصول وتحرير الشئ تلخيصه واظهار زبدته وأصل معناه جعل الشئ حرا أى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه وحر الطين ما لم يخالطه غيره والحر مقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد به عام وأصله الكتابة المخصصة أو كتابة العتاقة والحرية كما فى كشف الكشاف (والكشف) أى الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعى لا على الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة المعنى وان صح (عن غوامض) جمع غامض أو غامضة وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكر لخفائه وجعله غامضة ليناسب الحقائق فى التانيث أو تانيثه لا يلتفت اليه لا لان فاعل الصفة لا يجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه اما اسماء الاجناس وصفات ما لا يعقل فيجوز فيها لجعلها بمنزلة الاسماء غفلة (ودقائق من علم الحقائق) جمع دقيقة فعيلة

ووقع فى أصل التلمسانى خوفا ورعبا فقال معناهما واحد لكنه مخالف لسائر الاصول من النسخ المصححة ثم الضمير فى ملأ راجع الى ما أو المرتقى والثانى أقرب لكن يؤيد الاول قوله (فان الكلام فى ذلك) أى المكلف (يستدعى تقرير أصول) أى تمهيد قواعد مقررة (وتحرير فصول) أى تشييد فروع محررة مما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ويمتنع كما سياتى (والكشف) أى ويستدعى البيان (عن غوامض) جمع غامضة وهى ما لا يدرك الا بعد روية (ودقائق) جمع دقيقة وهى أدق مما قبلها مما يدق فهمه فى كل قضية (من علم الحقائق) بيان لما قبلها وهى جمع الحقيقة وهى الامور الثابتة من الادلة النقلية والعقلية وقد ابعد الحلبى والتلمسانى فى عطف الكشف على الكلام مع عدم ظهور خبره فى المقام

(عما يجب) أي اثباته (للنبي عليه السلام ويضاف اليه) أي وجوبا (أو يمتنع أو يجوز) أي اطلاقه (عليه ومعرفه

من الدقة وهي خلاف الغلظة أو صغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض أحواله التي لا تدركها العقول القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هي الغوامض السابقة لا سيما اذا فسرت بأمره قبل البعثة فليست تابعى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتأتى هذا مع قوله من علم الحقائق وهي جمع حقيقة وهي الذات والماهية المركبة من الذاتيات أو العلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه أرباب السلوك وهي غير منافية للمعنى الاول وهي في كلام العرب الامور التي يحق حمايتها والانفة عن تركها عن الرؤساء وقال الخليل الحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه كما قال

ألم تدرأني قد حميت حقيقتي * واشرت حد الموت والموت دونها

قال المرزوقي (عما يجب للنبي) صلى الله تعالى عليه وسلم بيان لما قبله وقيل انه بيان للمكشوف وما يجب له كالعظمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحوه (ويضاف اليه) أي ينسب له ويوصف به وعطفه بالواو لانه غير مقابل لما قبله وهو كالقيد له وقيل المراد به خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يرد عليه ما سيصرح به لما سيأتي (أو يمتنع عليه) كالعيوب والنقائض وما لا يليق بمقام الرسالة (أو يجوز عليه) من أمور البشر كالاسقام والامراض التي لا تورث نفرة ويضاف وما بعده معطوف على الصلة لا صلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون في نحو قوله

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

كما بين في محله (ومعرفة معنى النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة) روى بالنصب عطفا على مفعول يستدعي وروى بالجر عطفا على ما يجب لا على دقائق كما في المقتفي وقيل على المضاف اليه تقرير والمراد بالمعرفة هنا معناها المشهور لا التعريف وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء كثير من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم عليها (وخصائص هذه الدرجة العلية) مجرور معطوف على النبي والدرجة واحدة الدرج وهي المراقي والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره ولذا لم يقل خصائصه وقيل الجامعة لهذه الصفات كلها والخصائص ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة أو خاصية على كلام فيه في شرح المفتاح (وههنا مهامه) ههنا اشارة الى المسلك الذى سالكه للوصول لمقصده والمهامه جمع مهمه كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لانها لكونها مخوفة يخفض فيها الاصوات فيقول كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة اصمت (فيح) بفاء مكسورة وياء ساكنة وحاء مهملة جمع أفيح أو فيحاء وهي الارض الواسعة والمهمه يذكر ويؤنث كما قال * ومهمه مغبرة ارجاؤه * وفي هذا الاستشهاد نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ما ذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على انظار دقيقة في معرفته مقام النبوة فانه قد يقع فيها ما لا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم أو يصفه بما ليس فيه فيدخل في زمرة من كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من عطف القصة على القصة لبيان صعوبته ما كلفه السائل بطريق آخر حيث جعله أولا جبلا شامخا وعر اصعوده ثم بعد النزول منه مفازة بعيدة كما قيل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

ومما يقضى منه العجب ما قيل انه جواب سؤال مقدر أي كيف زعمت انك كلفت أمرا عظيما صعبا وهذا أمر لا صعوبة فيه فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا شانها وكيف يصح جعله جوابا لسؤال مقدر مع اقترانه بالواو مع انه لا وجه للسؤال ولا للجواب سوى تسويد وجه الصحف

النبي والرسول) أي بالحدود الفارقة بينهما ومعرفة مجرورة معطوفة على مدخول عن أو من أو منصوبة على انها معمولة ليستدعي أيضا (والرسالة والنبوة) بالجر لا غير والمراد بهما الحالان فهما مغايران لما قبلهما (والمحبة والخلة) بضم الخاء وهما نعمتان كاملتان ما اجتمعتا في غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وخصائص هذه الدرجة العلية) بالجر جمع خصيصة وهي ما يختص به الشخص والدرجة المنزلة والمرتبة والرفعة ودرجات الجنة ارفع منازلها والدرجات ضد الدركات وقد سومح في التسجيع بين العلية وما قبلها فانه من الامور الرسمية ثم رأيت ابن السكيت قال العلية بفتح العين وكسر اللام وكسر العين وسكون اللام فتعين الثاني موافقة المرام (وههنا) أي وفي هذه المواضع المذكورة فها للتنبيه وهنا اسم اشارة للمكان القريب (مهامه فيح) أي مفازات واسعة ومهامه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية جمع مهمه بفتحتين مفازة بعيدة وخلاء ليس فيه ماء والفيح بكسر الفاء جمع فيحاء بفتح ومد لا جمع افيح كما توهمه التلمساني أي الارض الواسعة

(يحار

(يحار فيها القطا) حار يحار كخاف يخاف اذا لم يهتد لقصده وضمير فيها للمهامه والقطا طائر معروف واحدته قطاة وهى توصف بسرعة الطيران والاهتداء فى الظلمات والتبكير حتى يقال انها ترد الماء من مسيرة عشرة أيام ثم تعود من ليلتها فلا تخطئ صادرة ولا واردة ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل

والناس اهدى فى القبيح من القطا * وأضل فى الحسنى من الغربان

وهذا اما داخل فى التمثيل أو ترشيح له للمبالغة فى بعد هذا المقصد والمراد انه مما يضل أرباب الهداية وتتحير فيه وقيل انه استعارة أخرى تصريحية (وتقصر عنها الخطا) وفى نسخة بها بدل عنها وتقصر بفتح التاء وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخاء جمع خطوة بضم الخاء وفتحها وهى ما بين القدمين والمعنى أن هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها وغيره أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشى فيها من مد الخطا وباء بها بمعنى فى أو سببية وعلى النسخة الاخرى قصرها عنها بمعنى العجز عن المسامرة أو طولها أو هو على حد قوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر * فالمراد انها لا تسلك أصلا وهو من جملة الترشيح أو التمثيل أو هو تمثيلية أخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطيئة الحركات أو عاجزة عنها رأسا وما بعده كالتجريد كما ستراه (ومجاهل) مرفوع غير منون جمع مجهل وهو المفازة التى لا اعلام فيها كما فى المقتنى وهو المراد هنا وقيل المجهل المفازة أيضا وفى القاموس المجهل ما يحملك على الجهل وجهله تجهيلا نسبه اليه وأرض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيدة فى قوله

* انا لنصفح عن مجاهل قومنا * مجاهل فيه ليس له واحد بكثر غلبة الا قولهم جهل وفعل لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل اسم الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف له اما على القياس لان مفعل ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل أو يكون ثبت ذلك عنده فان قلت ما معنى قوله فى القاموس ما يحملك على الجهل قلت يريد ما ذكره أهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل تكون للزمان وتكون فى كلام العرب لا يقتضى وقوع ما اشتق منه ويدعو اليه وان لم يقع بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة أى يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب وبخيلا لحرصه على بقائه لبر ولده وبخيلا ليبقى ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه (تضل فيها الاحلام) تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد أو بمعنى هلك والاحلام جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام بمعنى العقل أى العقول غير مهتدية لمعرفتها على الاستعارة المكنية والتخييلية أو هو اسناد مجازى وهو أحسن من تقدير ذى الاحلام لانه يزيل بها رونق الكلام وجعل الاحلام مجازا عن أصحابها والمراد الصعوبة بعيد (ان لم تهتد بعلم علم) تهتد مبنى للفاعل أى ان لم يحصل لها الهداية لتمسكها بها وسلوكها دليلها ويجوز بناؤه للمجهول وعلم بفتحتين العلامة المنصوبة فى الطريق لتعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل أيضا لانه يهتدى به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وفى قولها صخرا وهو اسم أخيها لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل لاضافة المشبه به للمشبه كقوله * ذهب الاصيل على لجين الماء * وقد يضاف المشبه للمشبه به كما تقول

نهر شربت منه ماء الدر المذاب ولك ان تقول انه استعار العلم بفتحتين للكبير من العلماء لاهتداء الناس بعلمه كما يقال فلان جبل فى العلم أو لعلو قدره واشتهاره كما فسر به فى البيت وبين علم وعلم

(تحار) بفتح التاء أى تتحير (فيها) أى فى سبيل معرفتها افهام ذوى النهى كما قد تحار فى سير المفازة المحسوسة اذا سلكتها (القطا) وهو بفتح القاف مقصور طير يضرب به المثل فى كمال الهداية فيقال هو اهدى من القطا سمى بصوته وقد قيل انه يترك فراخه ويطلب الماء مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده ويرجع فيما بين طلوع الفجر وظهور الشمس ولا يخطئ صادرا ولا واردا وهو اسم جنس وقول الجوهرى على ما نقله الحلبى غيره انه جمع قطاة فيه تجوز والحاصل ان القطا يعرف فى المجاهل مظان المياه فلا يكاد يخطئها فاذا رأت الماء قالت قطا قطا فتعرف العرب دنو الماء ولهذا يقال فلان أصدق من القطا (وتقصر) بضم الصاد (بها) وفى نسخة فيها (الخطا) بضم ففتح جمع الخطوة بضم وفتح أى تعجز فى تلك المفازة أو بسيرها الخطوات من الاعياء (ومجاهل) بفتح الميم وكسر الهاء عطفا على مهامه وهو جمع مجهل للمكان الذى لا علم فيه يهتدى به (تضل) بفتح فكسر أى تضيع وتهلك (فيها الاحلام) بالفتح جمع الحلم بالكسر أى العقول (ان لم تهتد) أى الاحلام (بعلم علم) بفتح العين واللام فى الاول وبكسر فسكون فى الثانى أى بعلامة يعلم بها فالعلم بمعنى العلوم أو المراد به نوع من العلوم وأغرب الحلبى بقوله الظاهر ان المراد بالعلم الجبل وأبعد محش آخر بقوله المراد به الراية ولعل محمل كلامهما قصد الاستعارة بهما وقال الدلجى من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد أى بعلم كالعلم

(ونظر سديد) بسين مهملة أى وبتامل على صوب صواب (ومداحض) بالرفع أى مزالق (تزل) بفتح فكسر فتشديد
(بها) أى بسببها أوفيها (الاقدام ان لم تعتمد) أى الاقدام مجازا أو أصحابها (على توفيق من الله وتايد) بياءين أى تقوية واعانة على نيل المراد من التحقيق (الكنى) أى مع هذا كله من صعوبة الحال ومزلة أقدام الرجال بحيث كاد قبولها أن يكون من المحال تحملت المقال وقبلت السؤال (لما رجوته) بكسر اللام وتخفيف الميم على ان اللام للعلة وما موصوفة أوموصولة وهو بصيغة المتكلم وفى نسخة بالخطاب وهو بعيد ولا يبعد ان يضبط لما بفتح اللام وبتشديد الميم على الظرفية كما عليه جمهور القراء فى قوله تعالى لما صبروا الا انه يمنعه وجود من البيانية بعده والحاصل ان خبر لكن مقدر كما أشرنا اليه وقوله (لى ولك) متعلق برجوته (فى هذا السؤال والجواب) أى بسببهما لف ونشر غير مرتب وقدم نفسه فى الدعاء لانه الادب المستحب وقدم السؤال لان وجوده مقدم على الجواب وشهوده (من نوال) بيان لما أى حصول حسن منال وطيب حال ومآل فى الدنيا (وثواب) أى وتحصيل جزاء وعطاء فى العقبى

تجنيس وقيل فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى ان علم الاول بكسر فسكون والثانى بفتحتين عكس المشهور وهو وان لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى (ونظر سديد) النظر بمعنى الابصار والفكر وهو ترتيب أمور معلومة للتادى الى مجهول وقيل ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول والملاحظة توجه النفس نحو المعلوم الحاضر فى ذهنه والسديد ماله سداد بفتح السين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل بالنظر (ومداحض) معطوف على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحاء مهملتين وضاد معجمة وهو الزلق وسقوط الماشى ونحوه مما يزيل الاقدام عن محالها والوحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية بتشبيه الوقوع فى الخطا لغموض المطالب ودقتها بزلة القدم فى المزالق المؤدية للسقوط وقوله (تزل بها الاقدام) بفتح حرف المضارعة وكسر الزاى المعجمة أوفتحها من الزلل وهو الزلق فى الطين ونحوه ومتحرز به عن الخطا فهو تأكيد لمداحض وترشيح أوتجريد نحوى والاقدام جمع قدم وهو معروف وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا وماقيل من ان المراد بالاقدام المعقول فى الاذهان المدركة بجامع الايصال الى المرام على انه استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجل للعقل لاتخفى ركاكتها على من له عقل (ان لم تعتمد على توفيق من الله عزوجل وتأييد) لاعتماد افتعال من العمدة وهى فى الاصل مايتكأ عليه ويستند اليه ثم شاع فى كل مايعول عليه وهو بمعناه الاصلى مناسب لمداحض والثانى مناسب للمقصود ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل خلق الطاعة وقيل تسهيل سبيل الخير وأصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق كما ان الاتفاق افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو أوفق باصله من قول المعتزلة انه اظهار الآيات الدالة على وحدانيته وابداع مايعرف به فى الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتأييد التقوية والاعانة من الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله بتوفيقه وتايده زل وأخطأ وما أحسن تذييل الحيرة والضلال بقوله لم يهتد الخ وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ماذكر للسائل من صعوبة [illegible] توقفه على أمور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدرك دفعه بقوله (الكنى لما رجوته) بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعائد لها الهاء ويجوز أن تكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا لما المصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدر مقدم أومؤخر للحصر أى اجبتك لهذا دون غيره أودون غيرك والرجاء المترقب مايرجى حصوله والفرق بينه وبين الطمع ان الراجى مؤمل لعدم الفوت بسبب رجائه له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر كقوله تعالى والذى اطمع أن يغفر لى خطيئتى (لى ولك) قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدأ بنفسه فى الخير وليس الايثار مطلوبا فى كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه فى الدعاء كما رلا لماقيل من ان النفس تراعى حالها أولا الامن شرفت نفسه فانه يؤثر غيره (فى هذا السؤال والجواب من نوال وثواب) فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب ناظر لقوله لى والسؤال والجواب لقوله لك والنوال العطاء كالنائل والمنال والتناول تفاعل منه والثواب من ثاب اذا رجع وهو الجزاء بخير أوشر لكن العرف والشرع خصصه بالخير كما فى النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين وقد يقال ليس فيه توزيع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان للمصنف رحمه الله تعالى عطاء من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسائل نوال وعطاء لوصوله لمسؤله وثواب لتسببه لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كما سيأتى كفاعله ووجه الاول ان النوال عطاء دنيوى عاجل للسائل بسؤاله والثواب أخروى للمصنف رحمه الله تعالى على اجابته لان المتبادر من النوال الدنيوى ومن الثواب الاخروى فلا وجه لماقيل من انه لادليل عليه وفى بعض النسخ ثواب النوال بالاضافة وهو مؤيد

للثانى (بتعريف قدره الجسيم) التعريف التبيين والباء سببية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم الجسم فاريد به مطلق العظيم على انه مجاز مرسل أو استعارة بتشبيه العظيم المعنوى بالحسى والقدر الجسيم ان كان علو مرتبة عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه عليه ظاهر وان أريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض الشراح (وخلقه العظيم) الخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس مايصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ماصدر بغير تفكر فكله لايسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق الحسن من أعظم المنن من الله وفى الحديث أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وخلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الاخلاق قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسيأتى الكلام فيه (وبيان خصائصه) جمع خصيصة وهى ماخصه الله تعالى به فانفرد به عن كل ماسواه أو انفرد به عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو عن أمته والاولى خصائص مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لابمعنى ماتفرد به ولا الخاصة بمعنى الاثر الذى لايظهر سببه كجذب المغناطيس الحديد فى مصطلح الاطباء وكخواص التراكيب عند أهل المعانى على مافصل فى شرح المفتاح وماذهب اليه بعض علماء الشافعية من منع الكلام على الخصائص النبوية أو كراهته قيل انه متاول وقيل غير صحيح كما فى الخصائص الكبرى للسيوطى وسيأتى بيانه وقيل محل الخلاف بيان ماحرم عليه كنزع لامته وخائنة الاعين وفيه نظر والحق ان منها مايلزم ذكره لئلا يقتدى به غيره أو يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على أربع وماهو مستحب كغيرها ويدخل فيها مااختصت به أمته عليه الصلاة والسلام واذا عرفت هذا فقوله (التى لم تجتمع قبله فى مخلوق) بيان شامل لسائر الاقسام لان المراد انه تفرد بجموعها دون كل فرد فرد منها فاعرفه (ومايدان الله تعالى به) أى يعبد ويطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصائصه وقيل على قدره (من حقه) بيان لما وقد ورد فى الادعية المأثورة أسألك بحق محمد فقالوا المراد بحقه رتبته ومنزلته أو الحق الذى جعل الله له على أمته تفضلا به عليه كما فى الدر المنظم لابن حجر والمراد هنا الثانى وهو مايجب له صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته من حق بمعنى ثبت ويجوز أن يراد به مايقابل الباطل من اليقين الثابت حقيته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعاء بيان جميع حقوقه أو المراد جنس الحقوق فتأمل (الذى هو أرفع الحقوق) صفة مادحة والمراد انها أرفع من غيرها من حقوق البشر لا مما عداها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة وهى العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد أو الاستغراق العرفى ويجوز أن يكون صفة مخصصة للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه الحصر (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الاستيقان استفعال من اليقين من يقن كفرح واستيقن وتيقن وأيقن بمعنى علم علما محققا لاشبهة فيه لاتقانه بالادلة النافية للشبه ولذا قيل انه لايوصف به علم الله ويقال بلغ اليقين دون العلم كما فصلناه فى عناية القاضى وقوله ويزداد افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام فيه مفصل فى محله لاحاجة لنا به هنا واقتبس المصنف رحمه الله الآية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصائصه الذى به يتيقن ذلك أو لكون أنعمه بدت ببيان حقوقه فكأنه قال بتعريف فضائله

(بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم) بضمتين ويسكن الثانى أى بسبب تبيينهما (وبيان خصائصه) أى فضائله المختصة (التى لم تجتمع قبل) أى قبل خلقه (فى مخلوق) ومن المعلوم استحالة وجود مثله بعده (ومايدان) أى وبيان مايطاع (الله تعالى به) أى ويتخذ دينا (من حقه الذى هو أرفع الحقوق) أى بعد حق الحق (ليستيقن) متعلق بتعريف أى ليثبت أو يتيقن (الذين أوتوا الكتاب) أى نبوته ايقانا يريد العلماء (ويزداد) أى بذلك (الذين آمنوا ايمانا) يريد العوام أو الاعم والله أعلم ثم قوله ليستيقن علة لقوله بتعريف قدره وبيان خصائصه وأما قول التلمسانى أى لكى أفعل لما رجوته وليستيقن فخالف للنسخ المصححة حيث لم يوجد فيها الواو العاطفة

وخصائصه بتحقق تيقن أهل الكتاب حقية رسالته لموافقته لنعمته المذكور في كتبهم و يزداد ايمان
المؤمنين من أمته بتحقق ماله صلى الله عليه وسلم من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى
والكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هؤلاء بالذكر ليس للحصر
لان المراد تعميمه وشموله لجميع أهل العلم باحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا لمجرد اتباع
معنى النظم القرآني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين أوتوا الكتاب أهل العلم
بالتفسير والحديث وبمن بعدهم من عداهم من المؤمنين والمعنى ان هذا التعريف المتيقن ماتضمنه
العلماء و يزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس ان يقصد غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت
هذه الآية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر فانه مما استيقنه أهل الكتاب لموافقته ما عندهم
وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي الآية دليل على أن الايمان يقبل الزيادة والنقصان والكلام
فيه مشهور فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى ان ايمان الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ليس كايمان
غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم
من ما الموصولة أو الموصوفة وتقدير العائد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب
(أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب) المراد بالذين أوتوا الكتاب هنا أيضا أهل العلم مطلقا أو أهل
الكتب المتقدمة في النزول أو اليهود كما هو أحد التفاسير في هذه الآية وقد استدل بها على وجوب نشر
العلم والمراد به العهد والميثاق الذي أخذه الانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ان يبلغوا ما
سمعوه كما قال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ونحوه وقيل المراد ما أخذ
من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر (ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليلا) ولم يتل الآية بتمامها لعدم مناسبة باقيها لما أراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لعلمه مما سبق في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى
القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلماء
ويدخل فيه أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخولا أوليا ولم يؤكد يكتمونه كما أكد ليبيننه لما انه
جملة جوابية ولا يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدأ أى وهم لا يكتمونه لأجل الواو الحالية
لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة أو هو معطوف على
الجواب فهو جواب والجواب المنفي لا يؤكد كما قيل وهو أصوب *(تنبيه)* قال الزركشي في قواعده
تصنيف كتب العلم ان منحه الله فهما واطلاعا فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر أعمارها
في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلا يحل كتمه فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس وقد قال
الله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الخ وفي التوراة علم مجانا كما علمت مجانا انتهى * فان قلت قوله
ليبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق أو مقدر * قلت هذا محتمل الا أن ابن الاثير قال في
البديع ان للعرب ألفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به القسم كقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس الآية وتارة لا تتلقاها به كقوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم وفي معنى هذه الآية قوله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون قال شيخ والدي الشهاب ابن
حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى وقيل في اليهود ولكتمهم صفته صلى الله
تعالى عليه وسلم التي في التوراة وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ثم ذكر الآية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى وقال انها نزلت في اليهود وكتمهم صفته

(ولما) عطف على لما
رجوته أى ولاجل ما
(أخذ الله على الذين أوتوا
الكتاب) أى من الميثاق
وفي نسخة ميثاق الذين
أوتوا الكتاب أى من
العلماء (ليبيننه) بفتح
اللام على انه جواب للقسم
الذى ناب عنه قوله أخذ
الله ميثاق الذين أى
استحلفهم والمعنى ليظهرن
أمر محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم جميعه (للناس
ولا يكتمونه) أى شيأ
منه وهو المناسب للمقام
أو الضمير للكتاب وهو
مشتمل على المرام وفي
بعض النسخ بالخطاب
فيهما وهو صحيح وقد قرأ
بهما السبعة في الكتاب فالياء
لغيبتهم والتاء حكاية
لمخاطبتهم وتتمة الآية
المقتبس منها فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليلا فبئس ما يشترون
وعن على كرم الله تعالى
وجهه ما أخذ الله على
أهل الجهل ان يتعلموا
حتى أخذ على أهل العلم
أن يعلموا

(ولما) اى وللحديث الذى (حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) وهو هشام بن احمد بن هشام بن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الفقيه الحافظ ولد سنة ثمان واربعمائة واشتغل بالفنون وقرأ على المشايخ ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان غاية فى الضبط والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها قال وكان له نظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وكان من المتسعين فى ضروب المعارف وكان يعرف الفرائض والهندسة وغيرهما اومات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى وهو هشام بن أحمد بن هشام الهلالى يعرف بابن بقوة ٣٩ بالباء الموحدة المفتوحة والقاف الساكنة بعدها واو مفتوحة وتاء مقلوبة فى الوقف هاء وهو امام حافظ وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره وكثرت الروايات عنه فى أسانيد القاضى رحمه الله تعالى وتكرر السماع عليه ذكره الحافظ أبو محمد بن عبيد الله الحجرى وأبو العباس أحمد بن الزبير الثقفى وللقاضى رحمه الله تعالى شيخ آخر على نحو هذا الاسم هو القاضى أبو الوليد هشام بن أحمد بن سعيد الكنانى الوقشى الضابط صاحب كتاب غريب الموطأ جليل النفع كبير القدر والله تعالى أعلم (قال) أى هشام (حدثنا الحسين بن محمد) زاد فى نسخة الجيانى بجيم مفتوحة فسكون تحتية فهمزة ممدودة فنون فياء نسبة وهو الحافظ أبو على الغسانى وستأتى ترجمته مبسوطة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى له كتب مفيدة جدا توفى سنة ثمان وتسعين وأربعمائه (حدثنا أبو عمر) بضم العين (النمرى) بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم وهو أبو قبيلة وانما فتح فى النسب استيحاشا لتوالى الكسرات وهو حافظ الغرب وشيخ الاسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى الاندلسى الشاطبى ولد فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وترجمته شهيرة وتصانيفه كثيرة توفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام واعلم انه وقع فى أصل التلمسانى زيادة حدثنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب الشيبانى التبريزى البغدادى مات فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة حتى قال الناس مات فى هذه السنة حافظ المشرق وحافظ المغرب يعنون أبا بكر الخطيب

صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها أيضا بعموم اللفظ والبينات ما نزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب والوحى والهدى الادلة العقلية والنقلية قال وقوله فى الآية الثانية من بعد ظرف لقوله يكتمون لا لانزلنا لفساد المعنى يعنى ان البيان متأخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو غير مسلم لجواز أن يراد بما أنزل وبين ما أنزل فى التوراة وبين لاسلاف بنى اسرائيل وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا فى زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا يجوز تعلقه بكل منهما ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال بالحديث فقال (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم أيضا (حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله) هو الامام القرطبى الزاهد المحدث المعروف بابن العواد أحد شيوخ المصنف وقد اجتمع للمصنف من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجازه مائة شيخ وهو ممن عرض عليه القضاء ولم يقبله وتوفى بقرطبة سنة تسع وخمسمائة وولد سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وفى نسخة هو ابن هشام بن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الحافظ الفقيه ولد سنة ثمان وأربعمائة واشتغل بالفنون وسمع من أبى عمر الطليطلى وابن عمر السفاقسى وأبى عمر بن الحداد وروى عنهم ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان فى غاية الحفظ والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها فقال وكان ينظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وقال الرشادى ولى القضاء ببلاد من بلاد الاندلس وكان من المتفننين فى ضروب المعارف وكان يعرف الشروط والهندسة والفرائض وغيرها مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة (بقراءتى عليه) قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه يقول حدثنا وأخبرنا وأنبأنا قال العراقى وهو متجه ومن قرأ عليه أو سمع بقراءة غيره عليه فالاجود ان يقول قرأت على فلان أو قرئ عليه وأنا أسمع وفى العرض يقول حدثنا فلان بقراءتى عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع كما فصل فى مصطلح الاثر ولذا قال المصنف بقراءتى عليه (قال حدثنا الحسين بن محمد) هو الحافظ أبو على الغسانى المشهور قال (حدثنا أبو عمر) أى قال الحسين حدثنا أبو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم (النمرى) القرطبى صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة بقرطبة وتوفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة وعمره خمس وتسعون سنة وقوله النمرى بفتح النون والميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو فى الاصل اسم جدهم نمر بن قاسط بن هنب وفتحت ميمه فى النسبة تخفيفا لئلا تتوالى كسرتان وياء مشددة على القياس المطرد فى كل مكسور العين مضموم الفاء أو مكسورها أو مفتوحها فان كان مكسورها كابل

وأباعمر رحمهما الله تعالى (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) أي القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر قال الذهبي في الميزان كان تاجرا صدوقا لقي ابن داسة والكبار كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني يعرف بابن الزيات شيخ أبي عمر بن عبد البر روى عنه في المسند الكبير (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر) أي ابن محمد بن عبد الرزاق بن داسة بمهملتين وتخفيف الثانية عند الجمهور بصري وهو أحد رواة أبي داود وعنه مشهور الترجمة وقد روى عنه بالاجازة أبو نعيم الاصبهاني (حدثنا سليمان بن الاشعث) وهو الامام الحافظ صاحب السنن أبو داود السجستاني قال أبو عبيد الآجري سمعته يقول ولد سنة ثنتين ومائتين وكتب عنه شيخه أحمد بن حنبل حديث العتيرة وأراه كتابه فاستحسنه ومناقبه معروفة قيل الين الحديث لابي داود كما ألين الحديد لداود عليه السلام مات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (حدثنا موسى بن اسمعيل) وهو أبو سلمة التبوذكي نسبة الى تبوذك دار اشتراها الحافظ روى عن شعبة وهمام وخلق وروى عنه البخاري وأبو داود وقال عباس الدوري كتبنا عنه خمسة وثلاثين ألف حديث توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثقة ثبت أخرج له الجماعة أصحاب الكتب الستة (حدثنا حماد) هو ابن سلمة بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام روى عن أبي عمران الجوني وغيره وروى عنه شعبة ومالك وغيرهما صدوق يغلط وليس هو في قوة مالك وأخرج له مسلم والاربعة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو حماد بن زيد بن درهم يكنى أبا اسمعيل الازرقي مولى لجرير بن حازم البصري الازدي أخو سعيد مات سنة تسع وتسعين ومائة (أخبرنا على بن الحكم) أي البناني البصري روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وطائفة منهم نافع وعنه الحمادان وعبد الوارث وعدة أخرج له البخاري والاربعة (عن عطاء) أي ابن أبي رباح أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الاعلام يروى عن عائشة وأبي هريرة وخلق وعنه الاوزاعي وابن جريج وأبو حنيفة والليث وأمم توفي وله ثمانون سنة أخرج له الائمة الستة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو ابن يسار أبو محمد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو هلالي مدني

عبد

جار فيه الفتح وابقاء كسرها كما ذكره النحاة قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) في المقتنى هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار وأخذ عنهم الا انه لم يكن جيد الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف رحمه الله نسبه لجده قال (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر) المعروف بابن داسة من مشايخ الحديث المشهورين وداسة بدال مهملة تليها ألف ثم سين مهملة بعدها هاء تأنيث وهو أحد رواة سنن أبي داود قال (حدثنا سليمان بن الاشعث) هو الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة اثنين ومائتين وسمع بمصر والحجاز والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ ومات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة قال (حدثنا موسى بن اسمعيل) هو أبو سلمة بن اسمعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة فموحدة مضمومة فذال معجمة مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم من أهله عند أبي سلمة هذا فقيل له تبوذكي أولانه كان له دار بها وأصل معنى التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوه وقيل انه نسبة أيضا لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى هذا روى عنه أصحاب السنن ووثقوه وقيل انه فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين قال (حدثنا حماد) أطلقه والمراد به كما قاله البرهان الحلبي حماد بن سلمة بن دينار أحد الاعلام مولى قريش أو تيم وهو ثقة لم يتهمه الامن رق دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم كسرعة الصلاة لطي الزمان لهم اولغيره كما ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد بن زيد وان كان من الكبار ايضا لان التبوذكي تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة ولم يروعن حماد بن زيد كما قاله ابن الجوزي في كتاب الجمال في اسماء الرجال فما في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة مائة وسبع وستين وله ترجمة في الميزان (قال حدثنا على بن الحكم) البناني البصري وقد روى عنه الحمادان وعداه من المحدثين توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو ثقة وقيل فيه لين (عن عطاء) هو اسم مشترك بين جماعة منهم ابن أبي رباح ابو محمد المكي القرشي مولاهم أحد الاعلام روى عن عائشة وجابر وابن عباس وزيد بن ارقم رضي الله تعالى عنهم وروى عنه الاوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفي سنة خمس أو أربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفي المقتنى انما ميزته لاشتراك اسمه بين جماعة رووا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمساني المراد به عطاء بن يسار الهلالي مولى ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ورجح الاول بان الذهبي وابن الجوزي لم يذكرا لعطاء بن يسار رواية له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولا يخفى انه لا يلزم من عدم ذكرهما أن لا يكون له رواية عنه في الواقع مع ان النووي وغيره قالوا له رواية عنه * أقول هذا كله خبط عشواء فان المصنف رحمه الله روى هذا عن ابن

(عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه) وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من بين نيف وثلاثين قولا وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى كمه هرة فقال يا أباهريرة فاشتهر به وقد بسطنا ترجمته فى المرقاة شرح المشكاة والاوجه فى وجه عدم انصراف هريرة فى أبى هريرة هو ان هريرة صارت علما التلك الهرة ونقل التلمسانى فى كنيته انه هل يجر أولا قال أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى انه يجر و رواه عن الائمة المشارقة منهم ابن حجر يعنى العسقلانى وذكره الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق وقال هريرة اسم جنس مصروف اضيف اليه فهو على ماهو عليه وهو جزء اسم وجزء الاسم يجر وذكر لى بعض اصحابنا ان ابا الفضل هو الذى افاد المشارقة صرفه فانهم كانوا لايجرونه فابدى لهم علة الجر واستحسنوها وصوبوها وقال قوم انه لايجرونه قال الشمنى المشرقى وأبو عبد الله من شيوخنا وألف فيه وقال انه بعد التركيب حدث فيه المنع لانه علم وفيه تانيث وهما مانعان ومنه قوله فى أبى خراشة

اباخراشة امانت ذانفر * فان قومى لم تاكلهم الضبع

وروى أبو شاة فى قوله فقال رجل يقال له أبو شاة واكتبوا لابى شاة بالوجهين وهو كابى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان على هذا النسب وقع اجماع الامة وقد ضبطت هذه الاسماء فى رسالتى المسماة بالمورد فى المولد وقد ولد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا التى بنتها زبيدة مسجدا

(٦ - شفا ل)

عبد البر وقد ذكره فى كتاب العلم وصرح بانه ابن أبى رباح كما رأيته فيه وعبارته قال قرأت على عبد الوارث بن سفيان بن قاسم بن اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا الوارث عن على بن الحكم عن رجل عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذى يرويه عن عطاء يقولون ان الحجاج بن ارطاة وليس عندى كذلك والحجاج بن ارطاة مشهور بالتدليس ورواه حماد بن مسلمة عن على بن الحكم ولم يقل به رجل و كذلك رواه عمارة الصيدلانى عن على بن الحكم عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله عنه ثم ذكر له طرقا أخر وقال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد الاغما اللهم اليك نشكو هذا الغثاء الذى كنا نحدث ان أجبناهم لم يفقهوا وان سكتنا عنهم وكلناهم الى غى شديد لولا ما اخذ الله على العلماء فى علمهم ما انبأناهم بشئ ابدا وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول لولا آيتان فى كتاب الله ماحدثتكم شيأ ان الذين يكتمون ما انزلنا والتى تليها الحديث انتهى * فاخذ المصنف رحمه الله ماقاله ابن عبد البر وقدم فيه وأخر وغير والمراد انه فى اصله صرح بان عطاء هو عطاء بن أبى رباح فما فى الحواشى ناشئ من عدم الوقوف على ماتقول الائمة (عن أبى هريرة) الدوسى وهو ممن غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كناه بها لما رآه يحمل هرة فى كمه وقيل المكنى له غيره صلى الله عليه وسلم وفى اسمه اقوال نحو الثلاثين أشهرها انه عبد الله أو عبد الرحمن وكان اسمه فى الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد من احفظ الصحابة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه مالم يرو غيره وفى البخارى عنه انه قال لم يحفظ احد أكثر منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس شيأ سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفى الشروح الجديدة نقلا عن الحافظ ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسرة لان المجموع علم منقول والمنقول يبقى على أصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطى مثله حكم العلم لم تدخل اللام فى مثل شمس الدين فيجوز أبو الهريرة وأبى هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة ورد عليه انه يلزمه رعاية الاصل والحال فى لفظة واحدة فيعرب اعراب المضاف اليه نظر الاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبى قال هريرة لاينصرف لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طائل وانا اقول هذا كلام ناشئ من عدم التامل وهو مما يقضى منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علماء العربية وهو مصرح به فى ايضاح ابن الحاجب وفى كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا فى شهر رمضان المركب الاضافى اذا جعل علما فجزؤه الثانى هو المنظور اليه فى احكام العلمية ولزم أل اذا قارنت الوضع وامتناعها فى غيره كابن داية وصرح به سيبويه وأبو على رحمهما الله تعالى واغاغرهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة تبعهم فى بعض حواشى المفصل انه لامانع من لمح اصله الا انه يأباه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه فى السوانح فان اردت شفاء الغليل فانظره (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(من سئل عن علم) اى مما يتعين تعليمه وقيل الحديث ورد فى الشهادة وقيل فى تبليغ الرسالة عند الحاجة والاظهر ان المراد به العلم الشرعى كما قال به الحليمى وكثيرون يؤيده حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى الدين الجمه الله بلجام من نار والعلوم الشرعية ما يستفيدون من الكتاب والسنة من اصولها وفروعها ومقدماتها التى تتوقف على معرفتها بقدر الحاجة اليها دون التوغل فيها (فكتمه) اى بعد ما علمه (ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) اى عند قيامهم من قبورهم واللجام بالكسر ما تلجم به الدابة ليمنعها عن النفور وشبه ما يوضع فى فيه من نار بلجام فى فم الدابة وهو انما كان جزاء امساكه عن القول الحق وخص اللجام بالذكر تشبيها له بالحيوان الذى يسخر ويمنع من قصد ما يريده فان العلم من شانه ان يدعو الناس الى الحق القويم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وقد اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وقال الترمذى حسن واخرجه ايضا احمد وابن حبان والحاكم وصححه وفى حديث ابن مسعود فكتمه عن اهله وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كتم علما علمه الله او اخذ عليه اجراجىء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال الشافعى

ومن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وسئل بشر عن هذا الحديث فقال اياى تعنى دع هذا اللجاج هنا حتى يأتى اهله فان نشره فى غير اهله كمنعه عن اهله وروى عن انس مرفوعا قال لا تطرحوا الدر فى افواه الكلاب يعنى الفقه والعلم فى ايدى الظالمين والمرائين وطالبى الدنيا وعن انس ايضا مرفوعا طلب العلم فريضة وواضع العلم فى غير اهله كمعلق الجوهر واللؤلؤ على الخنزير وروى مرفوعا ان عيسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل وقال لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها عن اهلها فتظلموهم ومما ينسب لعلى كرم الله تعالى وجهه

وناشر العلم بين الجاهلين به * كموقد الشمع فى بيت لعميان

من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق ابى داود واخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهى واسنده ايضا ابن عبد البر من طرق كام فانقل عن الامام من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفى الفاظ طرقه اختلاف ففى بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفى بعضها ثم كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوا بالعلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه و يتعين كتعليم حديث عهد باسلام ما يتعلق بالصلاة ومستفت فى الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السائل لحديث واضع العلم عند غير اهله كمقلد الدر رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتاء فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال الفقهاء ايد الله الدين ببقائهم يجب على الامام فى كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم الناس امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وما يستحيل عليه ومباح كالعلوم التى ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة والكتم الاخفاء ولجام بزنة ركاب ما يوضع فى فم الدابة معروف وهو معرب لكام او لغام وقيل انه عربى لتصريفه كالجم وملجم وهو فى المعرب نادر والجمه اذا وضعه فى فيه والجمه الغرق اذا وصل الماء لفمه ويقال الجم اذا سكت قال ابو نواس

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما السالم من الـ * ـجم فاه بلجام

والالجام فى السكوت والغرق مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه الغرق بمعنى اهلكه ابلغ من علا عليه الماء لما فيه من بيان سبب هلاكه بمعنى النفس والمقصود هنا انه يحرق جملته كما فى الجمه الغرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار فيه أو بوضع حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه كالحيوانات العجم فجوزى من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو مجاز مرسل والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا والباء بلجام للآلة او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار يوضع فى فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص اللجام لتشبيهه بدابة منعت عما تريده وهو تكلف وهذا لا ينافى قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية لان فى القيامة مواقف متعددة لكل منها حال يخصه يوم القيامة سمى به اليوم الموعود لقيام الناس فيه من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب من قام بمعنى ظهر * (تتمة وفائدة مهمة) * قال النووى فى الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون فى احتياط فى شئ من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف ابن العربى المالكى فى ذلك فقال ان الحديث الضعيف

الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوى فى كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله
تعالى مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعيف غير
شديد كحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثانى ان يكون مندرجا تحت اصل
عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب الى
النبى صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائى
الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفى رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من
رأى الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابى حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الرأى
والقياس اذا لم يجد فى الباب غيره فتحصل ان فى العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل
به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به فى الفضائل بشروطه وقيد ابن الصلاح رحمه الله تعالى جواز رواية
الضعيف باحتمال صدقه فى الباطن وهل يشترط فى الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر
كلام مسلم رحمه الله تعالى انه اذا لم يكن قويا لا يعتد به انتهى وللعلامة الدوانى فى انموذجه على هذه المسئلة
اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشئ وهو انه قال اتفقوا على انه
لا يعمل بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز بل يستحب العمل
به فى فضائل الاعمال كما فى الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية
فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافى ما تقدم ويناقضه وحاول بعضهم
التفصى عنه بان المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذى يصلح للتعويل عليه ان يقال اذا وجد
حديث فى فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهية يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون
الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به رجاء للثواب فان دار بين
الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة والاستحباب فلينظر ايهما اقوى خطرا يرجع
اليه وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح يصير بالنية مستحبا فجواز العمل به
واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث
على ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم من
القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط فى الدين فلم يثبت شئ من الاحكام بالحديث انتهى
* اقول اذا احطت خبرا بما قدمناه فى كلام الحافظ السخاوى عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم
برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التى ابداها لا تفيد سوى
تسويد وجه القرطاس والذى اوقعه فى الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم
من العمل به فى الفضائل والترغيب انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما الاول فلان
من الائمة من جوز العمل به بشروطه وقدمه على القياس واما الثانى فلان ثبوت الفضائل والترغيب
لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روى حديث ضعيف فى ثواب بعض الامور الثابت استحبابها او الترغيب
فيه او فى فضائل بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم او الاذكار المأثورة لم يلزم مما ذكر ثبوت حكم
اصلا ولا حاجة لتخصيص الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضائل الاعمال واذا
ظهر عدم الصواب لان القوس فى غير يد باريها اظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال (فبادرت) بادر
فاعل بمعنى فعل والمبادرة العجلة الى فعل ما رغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى يقال بادرته وبادرت اليه
ولما كانت الفاء لا تدخل فى خبر كان لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه
معطوف على مقدر هو الخبر المتعلق به قوله لما اى لكنى اجبتك لما رجوته فبادرت

(فبادرت) عطف على الخبر المقدر لقوله لكنى قبلت وما تأخرت بل اقبلت فبادرت

الى آخره (الى نكت) أى الى جمع نكت وتاليفها ونكت جمع نكتة كبقع ونقطة ويجمع أيضا على نكات بالكسر كبقاع وعليه اقتصر فى القاموس وسمع فيه أيضا نكات بالضم وقيل ألفه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن وهى فى الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف فى التراب بعود ونحوه والانسان يفعله اذا تفكر فى أمر خفى فنقلت لما ذكر اما لتأثيره فى النفس أولانه يحتاج لفكر وتامل أوهى منقولة من النكتة بمعنى نقطة من لون تخالف ماهى فيه اما لدقتها فى النظر بالنسبة لما هى فيه أولمخالفتها لغيرها من الكلام وماقيل من أنها تطلق على قليل صدا فى وجه المرآة أو السيف كالوسخ كما ورد فى حديث الجمعة لايناسب المقام مع انه مأخوذ مما مر (مسفرة) وفى نسخة سافرة وفى أخرى مسفرة سافرة بالجمع بينهما وهو الكشف مطلقا وقوله فى القاموس سفرت المرأة كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تعالى والصبح اذا اسفر وفى المقتنى سفر بمعنى كشف قال * سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومِلن غصونا والتفتن جآذرا وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغى ان يتغاير فسفرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض بحيث لايحتاج لكتاب آخر قيل وفى وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة أى لانها تكشف ماتحت التراب وهو أمر سهل (عن وجه الغرض) الوجه بمعنى الجهة المقصودة والوجه الذى به المواجهة ويستعار لخيار الشئ وأوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمتين بينهما راء مهملة مفتوحة كاوله الهدف ويتجوز به عن الفائدة المقصودة من الشئ وهو حقيقة عرفية لكونه مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة أو مجاز مرسل من استعمال المقيد فى المطلق أو الشئ فى لازمه والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففى الغرض استعارة مكنية يرشحها سافرة أوهو استعارة أيضا (مؤديا من ذلك الحق المفترض) مؤدى اسم فاعل من أداه تادية اذا أوصله من الاداء وهى حال من فاعل باردت أو من وجه الغرض والاشارة على الاول للغرض الذى هو تعريف حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين أو تبعيضية لان حق المصطفى أكثر من أن يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثانى الاشارة للحق الذى هو نعت اسم الاشارة وهو على الوجهين مفعوله لتعديه لمفعولين والثانى على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثانى هو المفترض ويصح أن يفسر هنا بموصلا الى السائل مراده أو قاضيا لحقه كانه ليقين اجابته عليه دين فى ذمته يلزمه أداؤه والافتراض افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا مبالغة والكلام فى الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعى فرض وغير واجب وما ثبت بدليل ظنى واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر واعتقاد ما فى هذا الكتاب واجب جملته لابيانه كتابة وتاليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية وأعاد المصنف رحمه الله تعالى اللام الجارة فى قوله لما اشارة الى استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولاشك فى كفاية كل واحد منها فان الاجر الجزيل والعطاء الجليل اذا ترتب على فعل يكفى فيه تقريره وان لم يدون والمقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير فى سلوك أيهما شاء لاسيما وهذا الطريق أكثر ثوابا وأحسن لعدم انقطاعها وفى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به وأما كراهة بعض السلف تدوين الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على خلافه وقد أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وناهيك به الزهرى بتدوين الحديث وكتابته كما فى البخارى وكان مالك أول من صنف فى الحديث لا أول ما كتب منه فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه فى العصر الاول لخوف التباسه بالقرآن اذ لم يكن حينئذ

(الى نكت) بضم ففتح جمع نكتة وهى ما خفى ادراكه حتى يفتقر الى تفكر ونكت فى الارض أى طعنها وأما قول بعض هى كل نقطة من بياض فى سواد وعكسه فليس فى محله المراد أى الى بيان لطائف (مسفرة) بكسر الفاء أى مضيئة ومنيرة وموضحة ومبينة وفى نسخة سافرة أى كاشفة (عن وجه الغرض) أى المطلب والمقصد (مؤديا من ذلك) أى حال كونى مؤديا من أجل ما ذكر (الحق المفترض) بفتح الراء

يدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل من ان العلتين الاخيرتين لا يقتضيان المقصود هنا واقتضاء اعادة العامل الاستقلال فى غاية الظهور فلا حاجة لاثباته كما قيل (اختلستها) الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله (على استعجال) تأكيد او تجريد فان فسر بالاخذ خفية أو بالاستلاب كما فى القاموس فهو تاسيس ومنهم من أخذ فيه قيد القهر أو المكابرة وفيه لطف لجعله كالمحارب للزمان لينال فرصة ينتهزها كما قيل انتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
وفى المقتنى اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا التوجيه بان المراد ان القوم اختلسوها من يد العوائق وانا تلقيتها منهم ودونتها وصحح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور خلافه وهو الوجه لا الصواب كما توهم (لما المرء بصدده) المرء مثلث الميم الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفات ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما أنا والصدد بفتحتين ومهملات بمعنى المقابلة أو القرب والثانى أقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال أو للاختلاس يعنى انه أسرع فيه لخوف ان تحول العوائق بينه وبين مراده (من شغل البدن والبال) الشغل بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها و بالغين المعجمة المضمومة واسكانها قال شغله اذا عاقه واشغله بالهمزة لغة رديئة وكتبه بعض أعمال الصاحب اه فى رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالى لا يصلح لاشغالى ولا وجه لترديد صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان منها الفكر والحال والقلب وهو أقرب هنا ولو فسر بالقلب صح أى الامراض والهموم عائقة عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم (بما طوقه) ماض مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين أولهما المستتر القائم مقام الفاعل والثانى ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف وابتلى به أو طوق العنق فهو استعارة لما الزم به ومنه طوق الحمامة لبياض فى عنقها كما قال المتنبى
اقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام
وهذا ورد فى كلام العرب لكل أمر لازم محمودا كان أو مذموما وقوله فى كشف الكشاف انه لم يرد الا فى الذم لا وجه له لانه سال حاتما ابن له عن ابل له أفناها القرى فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره فى مرآة الزمان ويأتى له فى الفصل الثالث مزيد بيان فى الشرح هنا كلام طويل بغير طائل (من مقاليد المحنة) بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له من لفظه أو واحده مقليد أو مقلاد أو اقليد وهو معرب اكليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح أو الجزء منه والاول أنسب باصله وورد بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده أى أموره هذا محصل ما قالوه فى معناه وحينئذ فالمراد به ما كلفه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه ماخوذ من المعنى الاول والثانى لانها كالمفتاح لغيرها أو اسباب لغيرها أو كالخزانة أو كالحبل المفتول فى عنقه الذى يربطه على ما كلف به ويعوقه عن السعى فيما يريده أو هو كناية عن كل محنة لان من أعطى مفتاح شئ فكانه مسلم له فالمعنى انه ابتلى بجميع المحن أو بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له أو جعلت المقاليد بمعنى الحبال المفتولة وجعل كونها فى خناقه بمنزلة العقود والاطواق التى يتحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله السهيلى فى قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد لاقتضاء التطويق له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى المصيبة أو البلية اما لان المرء مختبر بها فيعرف صبره وتجلده أو لان الله يختبر بها عباده أى يعاملهم معاملة المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى أو لان المبتلى بها يختبر بها زمانه وأصدقاءه واخوانه
جزى الله المصائب كل خير * عرفت بها عدوى من صديق
وفى المقتنى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضاء الذى ابتلى به المصنف رحمه الله تعالى وكانه صح له بنقل عنه

(أختلستها على استعجال) وكان الاولى ان يقول الاستعجال ليلائم تعريف البال وفى نسخة اختلسها بالمضارع المتكلم ووقع فى نسخة اختلسوها بالواو أى المفروض من نشر العلم واظهاره لاسيما بعد السؤال وتكراره وهو خطا ظاهر ثم الاختلاس بالخاء المعجمة اختطاف الشئ بسرعة ففى الكلام تأكيدا وتجريد (لما) بكسر اللام علة للمبادرة أو الاختلاس وما موصولة أى للامر الذى (المرء بصدده) أى فى سبيله مما استقبله (من شغل البدن والبال) أى من الاشتغال المتعلق بالقالب والقلب والمال والحال وحسن المآل ثم الشغل بضمتين وبضم فسكون وقرئ بهما فى السبع وبفتح فسكون وقيل بفتحتين ضد الفراغ والبال بالموحدة القلب والحال ويصح ارادة كل منهما خلافا لما قاله الحلى من ان المراد به الاول لذكر البدن (بما طوقه) أى الانسان كما فى نسخة صحيحة هو بضم طاء وكسر واو مشددة أى بسبب ما حمله الله وكلفه وفى نسخة صحيحة بما قلده الانسان أى الزمه كالطوق فى عنقه (من مقاليد المحنة) أى مفاتيح المشقة والدالة

(التى ابتلى بها) بصيغة المجهول والظاهر انه أراد بالمحنة جميع الامور التكليفية والحوادث الكونية النازلة على الافراد الانسانية
والحلبي حملها على محنة مباشرة الاحكام والقضاء وأورد حديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين رواه أصحاب

فانه ثقة والقضاء أعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم (التى ابتلى بها) صفة كاشفة أومؤكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء مختص بما يسوء الناس وان كان فى الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر و بما يكره لينظر هل يصبر أم لا فالبلاء يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلى بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة (فكادت تشغل عن كل فرض ونفل) أى عوائق الدهر ومحنه قاربت ان تعوقه عما يهم من أمور الدين ولم يقل شغلت لانه غير واقع والادعاء ليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة رديئة وقال كل فرض ليدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعانى وقد فرق بينها كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعى وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لا خلاف فيه أو ثبت بذلك والنفل والسنة والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينها كما فصل فى محله (وترده بعد حسن التقويم الى أسفل سفل) أى تردنى تلك الشواغل والعوائق بعد حسن ونضارة روض شبابى واستقامة غصن قوامى لعكس ذلك من تعويج قناتى وتصوب ماء حياتى أو تعدل بى عن الطريق المستقيم المستبين الى أسفل سافلين وسجن سجين لبيئة تلهاء عن عبادة رب العالمين أو المراد ترد نوع الانسان بعد ما كان فى أحسن صورة مستجمعا الخواص الكائنات لانه النسخة الكبرى قائما بوظائف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله السابق لما مر بصدد ما استعد له كل أحد بالطبع فى أمور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضى دخول المتكلم فيه بطريق برهانى وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر بقوله بما طوقه ناظر لشغل البال وترده الخ لشغل البدن فانه نهاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل فى المحنة والمشغول عن جميع الفرائض والنوافل من أهل الدرك السافل وليس هذا المصنف ولا الانسان معين بل للجنس كقوله تعالى ان الانسان لفى خسر ومع ذلك كان فى الاثبات نفى فلا يرد عليه شئ كما يتوهم وهو لم يذكر الآية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم الاستقامة فى الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضاة ربه كما كثر من تولى القضاء وهو المذكور فى قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور فى سورة التين لانه غير ملائم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك ما يتضح به ما فى هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو و يكون حسيا ومعنويا ثم شرع فى التأسف على ما ابتلى به نوع الانسان وعلى ما ضاهاه بما ابتلى به هو فى نفسه فقال (ولو أراد الله بالانسان خيرا) أى لو أراد الله تعالى بجنس الانسان وجميع افراده خيرا حتى أكون مندرجا فيهم وخيرا بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال الله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شركما لا يخفى (لجعل شغله) فاعل شغل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله ما يشغل به نفسه من افعاله وأقواله لوقوعه فى مقابلة همه وقيل المراد به ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه (وهمه) أى ما يهتم و يعتنى به أو ما يعزم عليه عزما مصمما من هممت بالشئ اهم بالضم من باب قعد يقعد فعطفه على الاول من قبيل عطف المتغايرين وعلى الثانى

السنن الاربعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى رواية للنسائى من استعمل على القضاء فكانما ذبح بالسكين وقال التلمسانى أراد المصنف بذلك كونه فى حيطة القضاء التى هى محنة وبلية كما قال بعضهم (فكادت) اى قربت مقاليد المحنة (تشغل) أى الانسان (عن كل فرض ونفل) وهو بفتح التاء والغين واما الشغل فهو لغة جيدة أو قليلة أو رديئة على ما فى القاموس (وترد) أى وكادت ترد السالك (بعد حسن التقويم) أى باستقامته على الطريق القويم (الى أسفل سفل) وهو بضم السين وكسرها ضد العلو والمعنى الى قبح التنزيل بارتكاب الفعل الذميم ايماء الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم أى من الفطرة المستقيمة ثم رددناه أسفل سافلين أى من ارتكاب المعصية الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون يعنى وهم فى أعلى عليين من
وثوابهم غير مقطوع فى كل زمان وحين (ولو أراد الله بالانسان) أى بفرد من هذا الجنس وفى نسخة بعبده (خيرا) أى فى تحصيل كماله وتحسين مآله (لجعل شغله) أى جعل اشتغال خاطره (وهمه) أى ما يهتم به الانسان ويروى ووهمه أى باله يعنى اهتمام باله

من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين والحزن وبينهما فرق وقد يجيئان بمعنى لكن الاول أوفق لان هذا لا يلائم ما بعده لان الحزن لا يكون الا مستقبلا ولذا احتاجوا لتأويل قوله اني ليحزنني ان تذهبوا به وأيضا الحزن لا يكون فيما يحمد الا بتكلف كاعتبار فواته فمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختياري والحزن انفعال النفس لخوف ما سيأتي وليس المراد به الارادة كما توهم من وهم بكذا اذا أراده فان كلام المصنف مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا أكبر همه أنساه الله صنيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا راغبة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان لكلام المصنف رحمه الله معنى آخر بدليل سياقه وسباقه مع ان الهم في الحديث أيضا يجوز أن يكون بمعنى الارادة ويعضده ما وقع في بعض طرق الحديث وكانت الآخرة نيته فتدبره وقوله (كله) تأكيد للشغل والهم معا أو تأكيد للثاني وتأكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغني في أنواع الحذف له فان حذف التأكيد ينافي المقصود منه مع انه لا مانع منه ويجوز جعله تأكيدا للثاني كما قيل لان الهم اذا لم يكن في شئ يدل على عدم الاشتغال به بفحوى الخطاب وجعل مبني للفاعل وبناؤه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمل وقوله (فيما) متعلق بجعل أو بالشغل والهم على التنازع فيقدر في أحدهما (يحمد غدا أو يذم محله) بفتح الحاء لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذي يحل فيه وسيأتي المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذي بعد يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيامة وهو المراد هنا وفي المثل لكل يوم غد وأما قوله * وسوف ترى يوما وليس له غد * فهو كناية عن يوم الموت وأصله غدو وربما جاء على الاصل في ضرورة الشعر كقول ذي الرمة

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وفي الشروح يجوز في يحمد ويذم أن يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع ويجوز بناؤهما للمجهول والرفع وضميره لله أو للانسان أيضا والمحل مكان الاقامة * وليس المحل بمعنى كالمقام في قول الشماخ

وماء قد وردت بغيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسماء ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه في نفسه على أبلغ وجه أو يجعل حمد جزاءه وذمه كحمده فتجوز في نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايماء لما عليه الاشعري رحمه الله من أن الفاعل الحقيقي هو الله والعبد محل للكسب ومباشرته لما خلقه الله وأوجده * فان قلت كيف يكون شغل العبد الذي يريد الله به خيرا مما يذم وهو الحرام وما يقرب منه * قلت أجيب بان الشغل أعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشغله فيما يحمد بفعله وفيما يذم بتركه فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويؤيده عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وبين ما قبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن أو التقدير في معرفة ما يحمد ويذم كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

ولك أن تقول المراد بما يحمد ويذم الامور المهمة التي من شأنها ذلك يعني ان اشتغاله وهمته في معالي الامور دون سفسافها وغدا قيد لهما كما هو معروف في القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل للانسان بعد موته كما قيل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(كله فيما يحمد) بصيغة المعلوم أي في فعل مأمور وترك منهي مما يمدحه الانسان (غدا) أي يوم القيامة (أو يذم) أي مما يكره السالك (محله) بفتح الحاء ويجوز كسرها والحاصل أن يكون شغله وهمه في بيان الامر الممدوح والمذموم بان يرتكب الاول ويجتنب الثاني وقال الشمني أي فيما يحمد بفعله واجبا كان أو نفلا أو فيما يذم بتركه وهو الواجب انتهى وبعده لا يخفى وفي نسخة صحيحة ولا يذم بصيغة المجهول فيه وفيما قبله وهو ظاهر جدا ومحله مفعول ليحمد ويذم على التنازع خلافا للتلمساني حيث جعل العائد على الموصول فيما يحمد منصوبا محذوفا وأما بناء الفعلين على صيغة المجهول ورفع محله كما قاله الدلجي فخل للتسجيع بقوله كله

او يقدر مثله في الثاني واذا اشتمل الشغل القلبي فاولا تاباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلائق مما يحمد في القيامة ويذم اليوم لفقر صاحبه نغدا قيد للاول فقط او لتغاير محليهما وفاعليهما وفي بعض النسخ محله مرفوع نائب عن الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفي بعض النسخ اولا يذم بزيادة لا فيه على ان ما يحمد الطاعات وما لا يذم المباحات اى شغله وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المترادفين لبعده الان همه في المباحات لا يناسب المقام فان نصب روى الاولى وبنى جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان في كليهما كما قيل في قوله تعالى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا اذ لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغلة عن الخيرات عقبه بان هذا مقتضى النظرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصائب وجعل شغله مقصورا على كسبه الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو منه احد ومن حاسب نفسه قطع العلائق ولم تقعده العوائق كما قيل

ارالك تطلب دنيا الست تدركها * فكيف تدرك اخرى الست تطلبها

(فليس ثمه) بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبني على الفتح وترسم بهاء السكت لانها ملحقة في الوقف وقيل انها تاء تأنيث في لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد أو القريب وكل منهما صحيح هنا وفي شرح التسهيل كونها للقريب أقرب وهي من قولهم ومن ثمه كان كذا اشارة لمعنى يكون منشا الغيره وكذا فسروها من أجل وهو استعارة بجعل منشا الشئ كمكانه ويؤخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما أفاده شيخنا رحمه الله تعالى في الآيات البينات والفاء فصيحة أو تعليلية تفريعية والاشارة للدار الآخرة ومكان القيامة كما قيل لانها نصب عين المؤمن وهي تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار بها اليه أي اذا انكشف الغطاء في ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير ما ذكر (سوى حضرة النعيم) سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون بمعنى المجلس والفناء والكتاب في الانشاء يستعملونه للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تأدبا باضافة ماله لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم أو المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه في العيشة وفي نسخة نضرة النعيم أي بهجته وحسن منظره (أو عذاب الجحيم) العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتاججة واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى في ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر بغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء أي ليس في الآخرة الا أحد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد وانه ينبغي للعاقل ان لا يزال مفكرا في الآخرة ومعرفة ما يذم ويؤدي للعذاب الاليم وما يحمد فيؤدي للنعيم المقيم فيدأب في الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضرة أو النعيم تهكما به والاول أولى وهذا اما بناء على عدم الاعتراف أو بادخالها في النعيم باعتبار المآل للنعيم أو بعده نعيما بالنسبة للجحيم (ولكان عليه بخويصته) وفي نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو وأعاد الكلام فيه اشارة الى انه جواب آخر مستقل وليس من تتمة ما قبله والضمير المستتر في كان للانسان وجعله لله بتقدير لكان الله متصرفا في شانه الزم خويصته تعسف من غير داع وعليه متعلق بمقدر وكذا بخويصته اى لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طالب من الخير وخاف من محن الدهر الشاغلة عنه وعروض ما يضعف عزمه وبدنه العائق عنه وعن غيره من العبادة

(فليس ثم) بفتح وتشديد ويوقف عليه بلا هاء السكت كما في قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت وقال التلمساني ولك الاتيان بهاء السكت وهو الاكثر اى هناك غدا (سوى حضرة النعيم) اى حضوره وفيه اشارة الى قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وفي نسخة صحيحة نضرة النعيم واقتصر عليه التلمساني اشعارا الى قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اى بهجته وحسنه وابعد من قال انه اضافة الشئ الى نفسه ويمنعه البصري ويجوزه الكوفي على ماذكره التلمساني (او عذاب الجحيم) اى لانحصار المنزلتين كما قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم (ولكان) عطف على لجعل (عليه) اى لوجب عليه الاشتغال (بخويصته) بضم ففتح فمشددة تصغير خاصة والمراد بها نفسه او الامر الذي يختص به من المهمات الدينية والدنيوية وروى بخويصة نفسه وقد قيل المراد بها الموت وفيه ايماء الى قوله تعالى عليكم انفسكم والى ما ورد عليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة ومن غريب ما وقع ان بعض الناصحين قال لمن كان في صدد ان يكون من السلاطين عليك بخويصة نفسك فلما تولى بعد مدة من الزمان قال اقتلوه

كالقضاء وأمور الدنيا عقبه بان من يرد الله به خيراوفقه لاشتغاله بما هو خير لان ما آله لجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم عليه و يتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيد ع العوائق من أمور غيره وأمور نفسه التى لا تهمه فان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فعلى هذا عليه ليس مفعولا للامر وقيل انه اسم فعل للاغراء وهو الحث والطلب لانه يقال عليك وعليه وعلى بمعنى الزم والاخير شاذ وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالباء نحو عليك بذات الدين فيفسر بما يناسبه وقال الرضى الباء زائدة وهى تزاد كثيرا بعد أسماء الافعال لضعفها فى العمل لانه فسر على بناء ولين وعليه بيلزم وقال ابن عصفور فى حديث من لم يستطع فعليه بالصوم الصوم مبتدأ خبره عليه والباء زائدة واعترض بانه يقتضى ايجاب الصوم وزيادة الباء فى مبتدأ غير حسب وفيه كلام طويل فى كتب العربية فعليه متعلق بمقدر أواسم فعل و بخويصة متعلق بمقدر كما رأو بعليه أو هو مبتدأ والباء زائدة وعليه خبر مقدم لتأكيد الحصر والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة بضم الخاء وفتح الواو وسكون الياء لان ياء التصغير لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهى ما يختص وحيث وقع خويصة مع النفس وأريد به النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره والاول هو الاصل ففيه اشارة الى أن من تقيد بنفسه قلت أموره وخفت أحواله فلم يصرف زمانه الا فى المهمات وفى الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم كعرق النساء أو هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد والمراد عوارضها الذاتية المختصة بها و بنفعه دون الناس ومالا يفيد وقيل هو ذكر الموت وتهيئة أسبابه ولا يخفى بعده (واستنقاذ مهجته) المهجة لها معان منها الروح وهو المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص أى عليه بتخليص روحه من العذاب باصلاحها وصونها عن القبائح (وعمل صالح يستزيده) الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة فى زيادته ويجوز ابقاؤه على أصله و وصفه بالزيادة اشارة الى أنه ليس بفرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم لانه المقصود أو للترقى (وعلم نافع يفيده أو يستفيده) من العلوم الشرعية ومالا بدمنه كالعقائد الحقة وقدم الافادة وان كان مؤخرا عن الاستفادة لانها أنسب بالمقام وأشرف (جبرالله صدع قلوبنا) الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذى لم يبن فى الاجرام الصلبة كالزجاج والعظم وفيه اشارة الى أن هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة فى الجبر أو تجوز بالاطلاق فى المقيد أى أزال الله مافى قلوبنا من النقائص وأصلح مافيها من العيوب والاحسن ان يقال دعاء بان يزيل الله مافى قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ماينفعه فشبه القلوب القاسية باناء صلب مكسور لا يقر فيه شئ ففيه استعارة مكنية فى قلوبنا وتخييلية فى صدع والجبر ترشيح وهذا أولى مما فى الشروح (وغفر عظيم ذنوبنا) من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص العظيم امالان الصغائر من الله بغفرتها بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها أولان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى أولان كل ذنب عظيم نظر العظم من عصى كما قيل ان الذنوب كلها كبائر * فان قلت ما الفرق بين العفو والمغفرة * قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كأن يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه أو يستره و يجازيه عليه اما بالنظر بكرم الله فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال فى مقام الملاطفة فى الاكثر عفا الله عنه كما سيأتى فى تفسير قوله تعالى عفا الله عنك (وجعل جميع استعدادنا) معنى الاستعداد طلب العدة بالضم وهى مالا بد منه لوجود الشئ ثم شاع فى لازمه وهو التهيؤ وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق كما فى المحاكمات وهما متقاربان (لمعادنا) أى جعل

فان صغير صاده فى أذنى الى الآن (واستنقاذ مهجته) بضم الميم أى استخلاص روحه مما يرديه (وعمل صالح يستزيده) أى الانسان بان يجعل ذلك العمل سببا لزيادة درجته (وعلم نافع) أى شرعى (يفيده) أى لغيره فيكون معلما (أو يستفيده) بنفسه بان يكون عالما أومن غيره فيكون متعلما (جبرالله صدع قلوبنا) أى أصلح الله كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق أحن (وغفرعظيم ذنوبنا) أى ومعاصينا العظيمة وسترها (وجعل جميع استعدادنا) أى عدتنا فى أمر زادنا (لمعادنا) أى ليعود نفعه لنا فى مرجعنا وآخر أمرنا

اشتغالنا بما فيه عوننا على النجاة والفوز بالسعادة في الآخرة والمعاد محل العود فخص بالمحشر لعود
الارواح لابدانها فيه أو تعود للقاء الله ليجزيهم بأعمالهم كقوله تعالى اليه مرجعكم وللمفسرين في
قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم
كانوا فيها في عالم الذر أو لكونها معدة لهم كأنهم كانوا فيها فان العرب تجري ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما
بالفعل فيقولون جفنة يقعد فيها ثلاثة رجال أي واسعة وعليه قول ابن القيم

فحي على جنات عدن فانها * منازلك الاولى وفيها المخيم

(وتوفر دواعينا) معطوف على جميع أو استعداد والتوفر الكثرة والدواعي جمع داع أو داعية وهي
ما يحمل على فعل الشئ قال الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي اذا علم الانسان أو ظن أو اعتقد ان له
في الفعل أو الترك مصلحة راجحة حصل في قلبه اليه ميل جازم فهذا العلم ونحوه هو المسمى بالداعية
مجازا من دعاه لكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعي غرضا وهذا هو
المراد لانه المعروف في كلامهم * قيل المراد دعوتنا وطلبنا ودواعي الدهر ما يستدعيه من الحوادث
والمراد أعمالنا وما نطلبه انتهى فالمقصود الدعاء بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان
لما قدمه (فيما ينجينا) هو أفعال أو تفعيل من النجاة وهي الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد
عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله كانها
متمكنة فيه فالظرفية مجازية كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل الدواعي تضاف لما يترتب
عليه كدواعي الوباء وليس بلازم كقولهم دواعي الدهر وكما في عبارة المصنف (ويقربنا اليه زلفى)
زلفى فعلى من أزلف بمعنى أدنى وقرب قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين فالمراد قربا أو تقريبا
كاملا فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا أو بمقدر من لفظه ففيه
ايجاز بليغ كما في تبيان الطيبي لان معنى انبته نباتا أنبته فنبت نباتا والمراد قرب المنزلة والرتبة المعنوية
باكرام الله تعالى الذي هو أقرب من حبل الوريد (ويحظينا) بضم المثناة التحتية من الحظوة بضم الحاء
وكسرها وهي القبول وعلو المرتبة عند من تحب وهي قريب معنى مما قبله لان القرب المكاني ينزه عنه
الباري وما ورد في حقه في القرآن والحديث المراد به قرب معنوي باعتبار علمه به أو كرامته لديه وهذا
هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل على الغير فالمعنى انه طلب من الله ان يكرمه ويفضله
على غيره لتغاير الجملتان بحسب الظاهر وان تقاربا معنى وما أورد عليه من أنه لا يفيد ما ذكر هنا لانه انما
يفيده اذا تعدى بعلى كما قاله الجوهري رحمه الله ولا صلة له هنا لا وجه له لانه غير مسلم مع ان باب التقدير
واسع (بمنه) متعلق بما قبله وهو خبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده على القول بتوسط المتنازع فيه
ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير لا داعي اليه والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهي
تحسن من الله ومن أسمائه المنان ويقبح من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة
لغير من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل أحد وقيل حرمتها مخصوصة بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر فانكاره من عدم الاطلاع وتكون نفس الانعام (ورحمته)
بالجر معطوف على منه وهي في الاصل رقة القلب ولامتناع ذلك في حقه تعالى أريد بها غايتها وهي
اللطف والاحسان فهي من صفات الافعال أو ارادته فهي صفة ذاتية والباء في قوله بمنه سببية وقيل
انها بالاستشفاع وأورد عليه انه معنى غريب لم يقله أحد من النحاة ورد بان مراده انها للتعدية ولكن أريد
التشفع بمدخولها كما يقال في باء البسملة انها للتبرك فالمراد انه توسل الى الله به كما ورد أعوذ بك منك ولك
ان تقول انها للقسم الاستعطافي وما له الاستشفاع وتمثيله له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه فلا غرابة

(وتوفر دواعينا) أي
وجعل تكثير مكاسبنا
ومطالبنا (فيما ينجينا)
من الانجاء أو التنجية أي
فيما يخلصنا وفيه ايماء
الى الدعاء المأثور ولا تجعل
الدنيا أكبر همنا وفي
نسخة بفتح الفاء في توفر
على انه جملة دعائية معطوفة
على ما قبلها من الجمل ولو
روي بصيغة المضارع
المعلوم لناسب قوله
(ويقربنا الى الله زلفى) أي
تقريبا خاصا وفي التنزيل
ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى قال البيضاوي
زلفى مصدر أو حال وأغرب
التلمساني في قوله انه جمع
مفرده زلفة اذ الصواب
ان جمع زلفة زلف ككلف
جمع كلفة (ويحظينا)
بضم أوله وكسر الظاء
المعجمة أي يرفع قدرنا
ويخصنا بالمنزلة العلية
والمرتبة الحظية (بمنه)
أي بسبب امتنانه وهو
متعلق بيحظينا أو يقربنا
أيضا وأبعد التلمساني
في قوله أي متوسلين بمنه
(ورحمته) أي باحسانه
والمعنى انه لا يعاملنا
باعمالنا ولعل الجمل
المضارعية أحوال من
الجمل الدعائية

(ولما نويت تقريبه) أي وحين أردت تقريب التصنيف الى عالم وجوده بفضل الله وجوده (ودرجت تبويبه)

ولااستغراب الامن عدم التدبر نعم يبقى الكلام فى ان القسم الاستعطافى الواقع فى السؤال هل يختص بالباء والوقوع بعد الامرام لاظاهر كلامهم انه لم يسمع الا كذلك وفى الكشف فى أول سورة النساء انه غير لازم (ولما نويت) لما بالفتح والتشديد ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفى العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم (تقريبه) أى جعله تقريبا الى الافهام أوالى الحصول بالتدريج الآتى ونحوه والتقريب عند أهل المعقول سوق الدليل على وجه يقتضى المطلوب (ودرجت تبويبه) أصل التدريج جعل درجة بعد درجة وفى الصحاح درجه اليه أدناه على التدريج وتبويبه مصدر مبنى للمفعول أى جعله أبواب والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد بالتدريج التأنى والمهل كما قال

درج الايام تندرج * وبيوت الهم لاتلج

يعنى انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا متناسبا (ومهدت تاصيله) أصل التمهيد بسط المهاد وهو الفراش والتاصيل ذكر القواعد والاصول يعنى انه ذكر فيه قواعد وأدلة تبتنى عليها مسائل أبوابه فليست مجرد دعوى خالية عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله وأوضحه كما لايخفى (وخلصت تفصيله) أى ميزت فصوله أو فروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة وأصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل ويحتمل ان يراد بالتاصيل الاجمال وعبر به رعاية للفاصلة ولو قيل انه على هذا من الاصول والقواعد كان أظهر (وانتحيت حصره) بالحاء المهملة أى قصدت من نحا نحوه اذا قصده وأصله انتحوت وفى نسخة انتخبت بالخاء المعجمة والباء الموحدة والحصر أصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل أوالكلى فى اجزائه أو جزئياته أى قصدت أواختصرت حصر أنواعه فى هذه الابواب أو الابواب المعينة فلا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة المشهورة وحصر الكل فى اجزائه ظاهر وقوله فى عروس الافراح انه لايمكن لان الحصر جعل الشئ فى محل محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور مظروف وشان الكل مع اجزائه على العكس لان الكل محيط بالاجزاء والاجزاء منحصرة فى الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها ليس بشئ لانه اصطلاح لامشاحة فيه والمراد ان الاجزاء المفصلة لايخرج عنها الكل كما لايخرج المظروف عن ظرفه وهو أمر سهل (وتحصيله) أى جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة وقيل المراد ان الناس يحصلونه لاختصاره وضبطه فان ما كل من طلب العلم حصله ولا كل من حصله أصله ولا كل من أصله فصله ولا كل من فصله وصله (ترجمته) جواب لما والمراد سميته وأصل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى ويكون بمعنى التبليغ لما خفى من الكلام لبعد قائله أوالحائل بينه وبين سامعه أولقصور فهمه كما فى شرح البخارى ومنه قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة أخرى وهو مجاز متعارف والقول بان التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لاحاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربى وقيل انه معرب درغمان تصرفوا فيه وفيه لغات فى كتب اللغة (بالشفا) متعلق بترجمته بمعنى سميته (بتعريف حقوق المصطفى) الباء سببية متعلقة بالشفا أو بمعنى فى قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتاب نزهة العيون الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القرآن على ثلاثة أوجه الفرح كقوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين أى يسرهم والعافية كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفاء لما فى الصدور وهو مع ما بعده هنا علم منقول والكلام فى أسماء الكتب هل هى أسماء جنس أوأعلام جنسية أوشخصية ومسماها المعانى أوالالفاظ أوالنقوش أومجموعها احتمالات ليس هذا تفصيلها والشفاء ممدود وقصر هنا للوقف على فواصل السجع كالقوافى والممدود يجوز ان يقصر اذا

بتشديد الراء أى جعلت تبويبه مرتبا ومدرجا يعنى درجة درجة فى التاليف (ومهدت تاصيله) بتشديد الهاء أى صيرت أصوله ممهدة مؤسسة واغرب التلمسانى حيث قال مهدت أى فرشت وتاصيله أى تفريقه (وخلصت تفصيله) أى وجعلت فصوله مبينة معينة (وانتحيت) أى وقصدت (حصره وتحصيله) أى تبيينه فى الامور التى ذكرها قال التلمسانى وفى رواية بالخاء المعجمة والباء الموحدة من الانتخاب وهو التصفية الا ان الرواية الاولى اظهر من الثانية قلت بل لايظهر له معنى أصلا فالمراد انتخبت حصره فهو تصحيف وتحريف بلاشبهة (ترجمته) جواب لما أى سميته (بالشفا) وهو بكسر الشين ممدودا وقصر وقفا أو مراعاة للسجع بقوله (بتعريف حقوق المصطفى) وقد أجاز النحاة للناثر ما يجوز للشاعر من الضرائر وقصر الممدود سائغ اتفاقا وأجاز عكسه الكوفيون ومنعه البصريون حجة الاولين *فلا فقر يدوم ولا غنا* ورد بان الرواية الصحيحة *فلا فقري بدوم ولا غنا كا* واغرب الحلبى فى نقل كلام ابن مرزوق بقوله ويقال انه قصر لان هذا الكتاب

وقف عليه حقيقة أو تقدير أو هو لمشاكلة مصطفى وهو مجوز محسنة فلا غبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن شان هذه الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجرى فى الشعر تجرى فى السجع كما فى شروح التسهيل وهو غريب من قائله واغرب منه تجويزه مد المصطفى وغيره مما لا طائل تحته راسمه موافق لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب قراءته لشفاء الامراض وفك عقد الشدائد وفيه أمان من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم واذا صح الاعتقاد حصل المراد وقد كنت حال كتابة هذا المحل فى ضيق صدر وحرج وانا الآن منتظر لكل خير وفرج كما قلت

يا رب ظهرى مثقل بالعنا * وما أقاسى من شديد الجفا
والمتن قد كل وصدرى به * ضيق فوسعه بشرح الشفا

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد النبى الامى الطاهر الزكى صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب (وحصرت الكلام فيه فى أقسام أربعة) ضمير فيه للكتاب أو لتعريف حقوق المصطفى والجار والمجرور متعلق بالكلام أو حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس لغة واصطلاحا تخصيص شئ بشئ بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر فى مثله استقرائى وجعله عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل فى أجزائه وتسمية الكل جزأ باعتبار معناه لغة والفرق بين الجزء والجزئى ان الاول لا يطلق المقسم عليه اذ كل واحد منهما لا يسمى كتابا حقيقة وفى الاصطلاح القسم الجزئى لا الجزء فان أطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل الى أجزائه وادعى بعضهم انه حقيقى أيضا ولا مانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان اعاد الضمير للتعريف فهو من تقسيم الكلى لجزئياته والاقسام على ظاهرها (القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى لهذا النبى) الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا وفعلا) التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع قدره أو يظهر رفعته والعلى من أسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلى حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلى أيضا وان كان لا علو لغيره بالنسبة اليه وأعلى المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يخفى موقع العلى الاعلى هنا فان التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو رتبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان ناسبت ان يشار اليها بما يدل على البعد الا ان المصنف رحمه الله آثر اشارة القرب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وأدنى منزلته وانه ينبغى لمن يحبه ان يكون نصب عينه كانه حاضر عنده ولذا قال النبى دون الرسول لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه و بين الخلق و بهذا الاعتبار كانت أفضل كما فى قواعد القرافى وسياتى مفصلا الكلام فيه والاشارة تاتى للتعظيم كما بينه أهل المعانى (وتوجه الكلام فيه) توجه بصيغة الماضى أى تم وكمل من قولهم توجه اذا صار ذا جاه وليس المراد كما فى بعض الشروح انه حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل والجهة المقصودة بالتوجه لما فيه من التكلف وقوله (فى أربعة أبواب) من حصر الكل فى اجزائه لا الكلى فى جزئياته كما توهم

(الباب الاول فى ثنائه عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول)

الباب يطلق على الفرجة التى يدخل منها للدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ويطلق فى عرف المصنفين على مسائل من الكتاب متناسبة أفردت بترجمة لان ما فيها من المسائل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياته أولانه يصونها ويحفظها وقيل انه بمعنى البابة وهى النوع وهو سمج بارد وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسائل مفصول عن غيره أو ترجمته فاصلة بينه و بينه فهو مصدر بمعنى فاعل أو مفعول كما يشتمل الكتاب على الابواب غالبا والثناء الوصف بالجميل ولا يختص باللسان فى المشهور لقوله أنت كما أثنيت على نفسك على ما فيه وقدر الشئ مقداره وشرفه ورتبته ويكون بمعنى التعظيم كما فى قوله وما قدروا الله حق قدره أى ما عظموه حق تعظيمه فى أحد الوجوه فيه فيجوز تفسيره

يقصر عن حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم (وحصرت الكلام فيه) أى فى هذا الكتاب (فى أقسام أربعة) وفى نسخة أربعة أقسام وهذا بيان بعد الاجمال والله تعالى أعلم بالحال (القسم الاول) بكسر القاف وهو النصيب والجزء واما بالفتح فهو مصدر قسمت الشئ (تعظيم العلى الاعلى) من باب اضافة المصدر الى فاعله أى الله سبحانه وتعالى (اقدر هذا النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم نسخة الكريم والاولى زيد فى وجود المصطفى (قولا وفعلا) كما سياتى كذلك (وتوجه الكلام) بصيغة الماضى أى انحصر (فيه) أى فى القسم الاول ولا يبعد ان يكون مصدرا مبتدأ خبره قوله (فى اربعة أبواب الباب الاول) أى من القسم الاول (فى ثنائه تعالى) أى حسن ذكره (عليه واظهاره عظيم قدره) أى مرتبته (لديه) وهو مع مراعاته للسجع أخص من عنده على ما قاله النحويون من ان عنده يجوز ان يكون بحضرته وفى ملكه واما لديه فيختص بالحضرة (وفيه عشرة فصول) سياتى تفصيلها

هنا بكل منهما ولديه بمعنى عنده وبينها فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته عليه تعالى فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما في قوله تعالى فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما فرق دقيق بيناه في حواشي القاضي في سورة النور ويكون بمعنى فضل الله كما في قوله تعالى قالت هو من عند الله

(الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا)

المحاسن جمع حسن على خلاف القياس أو هو جمع لواحد مقدر كمحسن بزنة مقعد أولا واحد له وهي الامر الحسن مطلقا أو الحسن الخفي وخلقا وخلقا بفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز والخلق الايجاد والخلق السجية والطبيعة وهي ملكة راسخة في النفس لا تقبل الزوال بسهولة على الاصح وهي للنفس كالخلق للجسم لان أحدهما صورته الباطنة والآخر صورته الظاهرة وبحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة ولذا يمدح به كمل الرجال ولذا اخطأ الامدي رحمه الله تعالى من اعترض على أبي تمام في وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لما ذكرنا (وقرانه جميع الفضائل) القران بوزن العيال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله والفضائل جمع فضيلة وهي الصفة الحميدة مطلقا سواء كان لها أثر متعد أم لا وقد يختص بالثاني الفضائل وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادي رحمه الله تعالى يقول في مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا كالفقير والمسكين وهو كلام حسن (الدينية والدنيوية) الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات في العقبى فيخص بالدين الحق الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ويستعمل فيما يشمل الباطل كما في قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) ان لم تقل انه تشاكل أو بحسب اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان أخر كالجزاء والطاعة والدنيوية منسوبة للدنيا وهي الارض وما عليها من المخلوقات وأحوالها ويطلق على المال وما يملك وفي النهاية انه اسم لهذه الحياة والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثاني نحو حسن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم وصحة بدنه وغير ذلك وهي فعلى مؤنث أدنى من أفعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسماء وجردت من معنى التفضيل ولوازمه ولذا ورد تنوينها شذوذا وفي النسبة اليها ثلاث لغات حذف ألفه فيقال دني وقلبها واوا فيقال دنيوي وزيادة ألف فيقال دنياوي كما بين في علم التصريف وداله مضمومة وقد يكسر من الدنو بمعنى القرب وقيل من الدناءة كما قال الشاعر

أعاف دنيا تسمى من دنائتها * دنيا والافمن مكر وهها الداني

ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد في الحديث وغيره وقد تقابل بالآخر أيضا وكل منهما صحيح فصحيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعنيها لا تقابل بالدين لكن ساغ مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة أو المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الآخرة أيضا ولا يخفى ما فيه من الخلل فتدبر (فيه نسقا) ضمير فيه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق بقران أو بقوله نسقا بناء على جوازه ونسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو مأول بصفة والا فهو على ظاهره يقال در نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض وفسرها التلمساني تبعا ولا وجه له (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال السيد ليس في الكتاب الا ستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه به وكذا الحال في جميع ما عد من الفصول الا ما في موضعين يقل الكلام فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لم يعد ما بين القسم الى الباب بابا لان العادة تسميه المسائل الجمة بالباب ولم يدخل في باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمساني وزاد عليه انه لم يذكر أوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول أو الثاني الخ فيعلم منه ان الصدور عنده من جملة الفصول وبذلك يستقيم الامر ويتم العدد

(الباب الثاني) أي من القسم الاول (تكميله تعالى له المحاسن) أي المناقب الصورية والمعنوية جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن (خلقا) بالفتح (وخلقا) بضمتين وبسكون الثاني وقدم الاول لسبق وجوده الناشئ منه اظهار كرمه وجوده (وقرانه) بكسر القاف أي وفي مقارنته وجمعه (جميع الفضائل الدينية والدنيوية) بحذف الالف عند مباشرة ياء النسبة والمراد بها الفضائل الدنيوية التي تنفع في الامور الاخروية والافقد قال أنتم اعلم بامور دنياكم ثم الدنيا على ما قاله المصنف في مشارق الانوار اسم لهذه الحياة لدنوها من أهلها وبعد الآخرة عنها انتهى وقيل لدناءتها (فيه) أي في حقه (نسقا) بفتحتين أي جمعا متتابعا ولا معنى لقول التلمساني هنا أي عطفا وتبعا ولقد أجاد الدلجي حيث أفاد أي متناسبا بعضها بعضا مستوية في كمالها كجواهر منتظمة في نظام واحد زيادة لجمالها (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال التلمساني بل هي ستة وعشرون فصلا أقول ولعله أتى بالسابع فضلا (الباب الثالث) أي من القسم الاول من

(الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها)

الخبر في العرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه أهل العربية واحتمل الصدق والكذب في حد ذاته والمحدثون يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرقون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخباري بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف رحمه الله تعالى هنا لانه أشمل واذا كانا بمعنى فالمراد به ما أضيف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو نحوه ويدخل فيه ما هم به قلبه اذا علم بنوع من الوجوه وكذا ما يتعلق بحليته الشريفة وفي هذا المقام تفصيل مذكور في مصطلح الحديث والصحيح والحسن كل منهما اما لذاته أو لغيره لانه اذا رواه عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه وانجبر بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على أعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعددت رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سواء كانت شهرته بين المحدثين أم لا وهو الذي عناه المصنف هنا ولذا عطفه على الصحيح وأهل الحديث يستعملونه بهذا المعنى أيضا كما ذكره ابن حجر ويدل عليه قول المصنف في أول هذا الباب * اعلم أن الحديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على العام (بعظيم قدره) متعلق بورد لانه مصدر بمعنى رفعته أو منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف اليه لان المضاف صفة له فكانه هو المعمول لان تقديره قدره العظيم حال كونه كائنا (عند ربه) فتدبر (ومنزلته) أي رتبته الرفيعة عنده أيضا والعرب تقول المنزلة في المعنوي كالمكان والمكانة فكان التاء للنقل (وما خصه به في الدارين) الدنيا والآخرة تسميتهما بهذا شائعة كما مر لانهما مسكن ابن آدم فاما أن تكون الدار حقيقتها هذا ثم خصت بما يحيط به بناء ونحوه أو تكون مجازا صار حقيقة عرفية وخواص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما خص به عن سائر الخلق حتى الرسل ومنها ما هو بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها ما هو بالنسبة لامته كما مر وسيأتي (من كرامته) أي مما فيه تكريم وتبجيل له صلى الله تعالى عليه وسلم فمن بيانية أو تعليلية كقوله (مما خطيئاتهم اغرقوا) وهو بيان لان المذكور هنا بعض الخصائص التي خص بها تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم دون ما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه في الجملة ولم يذكر لذلك وهو غير مناسب لغرض التأليف (وفيه اثنى عشر فصلا) هكذا هو في النسخ كلها وهو المروي عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك الشراح في الجواب عنه مسالك منها ما قاله التلمساني ان الثلاثة الزائدة بعد ما أكمل العدد أجنبية من هذا الباب مناسبة للباب الاول لانه ذكر جملة من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في أثنائه كقوله (رؤف رحيم * وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * ذي قوة عند ذي العرش * الله نور السموات الخ) الى آخر ما ذكره في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ففهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح في خاطره أمر يعذر تركه أوجب ذكرها وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على جعلها اثنى عشر فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بناء على ان الخطبة مقدمة على التأليف والقول بان قوله السابق نويت ودرجت يأباه غير مسلم وهكذا كما انه جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا أضعفها لان كلامهم في الاستدلال به في النصوص وأما في المخاطبات فلا فالحاصل انها ذيل للاثنى عشر المقصودة أو أمر زاده على ما كان في تصوره وذهنه

(الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات)

الكتاب (فيما ورد من صحيح الاخبار) أي الاحاديث والآثار (ومشهورها) أي مشهور الاخبار عند الاخيار (بعظيم قدره عند ربه ومنزلته) أي مكانته وهو عطف تفسير لعظيم قدره (وما خصه) أي الله تعالى كما في نسخة يعني وبما جعله مخصوصا (به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا) هكذا في النسخ كلها التي عليها الرواية والتصحيح والمقابلة والذي في هذا الباب من الفصول خمسة عشر ولعله زاد بالاثنى عشر فصولا مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتممة وهذا ما اخص كلام التلمساني (الباب الرابع) أي من القسم الاول (فيما أظهره الله تعالى على يديه) أي بسببه (من الآيات) أي العلامات التي هي خوارق العادات (والمعجزات) وهي تختص بالتحدي

الآية جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى أصلها أربعة أقوال لاهل العربية * أحدها للخليل رحمه الله تعالى وهو ان أصلها ايية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت الياء الاولى ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها على خلاف القياس اذهو يقتضى قلب الثانية أو الادغام لتقدمه على الاعلال * الثانى للكسائى رحمه الله تعالى ان أصلها آيية على وزن فاعلة فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة * الثالث للفراء رحمه الله تعالى أصلها أيية بسكون الياء الاولى فقلبت الفاء على خلاف القياس * الرابع لبعضهم أصلها أييـة بكسر الياء الاولى فقلبت الفاء لثقل التضعيف والمعجزة أمر خارق للعادة معجز للبشر أظهره الله على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم واسناده الى الله تعالى لانها من أفعاله كما قال ابن الهمام رحمه الله تعالى وأما كونها قد تكون من قبيل الترك كان يقول نبى آية صدقى ان أضع يدى على رأسى ولا يقدر أحد على ذلك فلندوره لا يعتد به أولانه باعتبار انه كف كالفعل الوجودى وكذا اخباره عن الغيب وانما أسند الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار صدوره عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على ما عليه أهل السنة والآية والمعجزة يشتركان فى الدلالة على صدقه لكن الآية أعم لانه لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدى فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه آية وليس بمعجزة وأما قول السهيلى رحمه الله تعالى فى بعض الخوارق أنها علامة للنبوة لا معجزة بناء على عدم اقترانها بالتحدى المشروط عنده فرده ابن الهمام رحمه الله تعالى بان أمره مبنى على دعوى النبوة فى كل زمان وهو غير وارد عليه وسيأتى للمصنف رحمه الله تعالى كلام فى هذا (وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا) المذكور فى الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر ونبه عليه التلمسانى والخصائص جمع خصيصة وهى الصفة الخاصة به سواء كانت فى ذاته أو صفاته أو فيما يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من معجزاته وكراماته فهى تشتمل على أمور كثيرة ذكر منها فى الباب الثالث تفضيله فى ذاته وسيادته صلى الله تعالى عليه وسلم لبنى آدم فى الدارين وقربه من ربه بالاسراء والمحبة والخلة وذكر هنا ماجرى على يديه من المعجزات وماضاهاها من الكرامات فقصد البابين وماذكر هنا يختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف بالنظر فى الكتاب فلا يرد عليه ان ماذكر هنا هو بعينه فى الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية ما يقال فى توجيهه انه أراد فى كل موضع بيان مابقه فالمراد بالثالث الكرامات التى لم يقصد بها اثبات النبوة وكونها علامة كاسراء والامور الاخروية وفى الثانى ما يقصد به ذلك وفيه مافيه انتهى وقد عرفت سقوطه وانما أوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف التمام على انا نقول انهما متغايران معنى كما يعرف بالتامل الصادق وقيل ان الخصائص والمعجزات آيات كما سيأتى فى بابه والكرامة لغوية لا اصطلاحية فلا تنافى المعجزة وأما الكرامة التى خص بها صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدارين المذكورة قبله فقد قيل انها مالم يقصد به اثبات النبوة ولا كونها علامة عليها كالاسراء ولا طائل تحته وقيل ان الكرامات هنا الخوارق التى قبل دعوى الرسالة وفى شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا وهو التأسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتأسيس لها فان قلت اخباره عن المغيبات كيف يعد معجزة قلت هو على قسمين ماوقع فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كعير قريش ونحوه ولا شبهة فى كونه معجزة وماوقع بعده كاخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وذى الثدية وتسميته كرامة أقرب لعدم مقارنته للتحدى والقول بانه معجزة لعجزهم عنه سواء كان العجز عدميا أم لا لا يجدى (القسم الثانى فيما يجب على الانام) أى يلزمهم حتى يأثموا بتركه والانام الخلق أو الانس والجن أو كل ما على وجه الارض والمناسب هنا الثانى وقيل انه ما يعتريه النوم (من حقوقه) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع حق وهو الامر الثابت له وقدم تفسيره (ويترتب القول فيه فى أربعة أبواب) يترتب أى يتمكن أو يذكر

(وشرفه به من الخصائص والكرامات) تعميم بعد تخصيص وايماء الى ان كرامات أولياء أمته بمنزلة معجزاته وفى مرتبة كراماته (وفيه ثلاثون فصلا) قال التلمسانى الذى فيه من الفصول تسعة وعشرون ولعله عد ماصدر من الباب الى الفصل فصلا (القسم الثانى فيما يجب على الانام) قال المحشى فيه أقوال فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات قلت يرد القول الاول انه مهموز لا معتل العين فى القاموس الانام كسحاب الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى ولعل الخلق خصه بالحيوانات أولا ولا يخفى ان المعانى الثلاثة محتملة فى قوله تعالى والارض وضعها للانام وأما هنا فيراد به الانس والجن أو جميع الخلق على القول بانه بعث الى الخلق كافة كما فى رواية مسلم فيجب على كل فرد من المخلوقات ما يناسبه فى كل مقام من حقوقه عليه الصلاة والسلام (ويترتب القول) قال التلمسانى أى يتمكن والظاهر ان المعنى يجىء الكلام مرتبا (فيه) أى فى هذا القسم (فى أربعة أبواب)

(الباب الأول) أي من القسم الثاني (في فرض الايمان به) أي في بيان كون الايمان به فرضا عينيا على جميع الاعيان (ووجوب طاعته) أي في سائر ما أمر به ونهى عنه (واتباع سنته) أي متابعة طريقته أي قولا وفعلا وتخلقا (وفيه خمسة فصول) قال التلمساني بل هي أربعة والعذر تقدم

(الباب الثاني) أي من القسم الثاني (في لزوم محبته ومناصحته) أي مصادقته وموافقته ومخالصته (وفيه ستة فصول) بل هي خمسة

(الباب الثالث) أي من القسم الثاني (في تعظيم أمره) أي شانه أو حكمه (ولزوم توقيره) أي تعظيمه ونصره (وبره) أي زيادة احسانه وعدم مخالفته فانه فوق منزلة الاب وفي قراءة شاذة وهو أب لهم فيجب بره ويحرم عقوقه ولو في أمر مباح في حده وقيل طاعته (وفيه سبعة فصول) بل ستة

(الباب الرابع) أي من القسم الثاني (في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك) بالجر أي وفي بيان فرض ماذكر (وفضيلته) أي وفي ثواب ماذكر وزيادة فضله (وفيه عشرة فصول) بل تسعة

*(القسم الثالث فيما يستحيل) أي لا يمكن وجوده (في حقه) أي عقلا ونقلا (وما يجوز عليه شرعا) أي قولا وفعلا (وما يمتنع) أي في الجملة أو ما لا يجوز عليه شرعا (ويصح) أي وما يصح (من الامور البشرية ان يضاف) أي ينسب خلاصة فائدتها (اليه) فلا

مرتبا من الترتيب وهو جعل كل شئ في مرتبته اللائقة به وكونه من تقسيم الكل أو الكلي تقدم مع ما فيه

(الباب الاول في فرض الايمان به) أي كون التصديق برسالته صلى الله تعالى عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول أو هي لامية أو بيانية فيجب الايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم وبشريعته وانها ناسخة لغيرها ووجوب ذلك على كل من بلغته الدعوة (ووجوب طاعته) أي اطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والانقياد له (و) وجوب (اتباع سنته) أي طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم التي أمرنا باتباعها أمر ايجاب (وفيه خمسة فصول) وقد أجاد في تفننه فعبر بالفرض تارة وبالوجوب أخرى كما قال في القسم الاول وتوجه الكلام فيه وفي الثاني ويترتب القول فيه وفي الثالث وتحرير القول فيه وفي الرابع وينقسم الكلام فيه

(الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه ستة فصول) النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سيأتي والمفاعلة على حقيقتها لانها ان يفعل ويقول لصاحبه ما ينفعه الآخر به وان لم يتحد فنصيحة الامة ايمانهم بما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بتبليغهم ما أمر بتبليغه وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمخادعة في قوله (يخادعون الله) وما ذكر في الكتاب من ثواب محبته ونحوه استطرادي وله تحقيق في شروح الكشاف

(الباب الثالث في تعظيم أمره) أي شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل اللائق هنا تقديم اللزوم الآتي لا توسيطه فيقول لزوم تعظيم أمره وتوقيره فكأنه أشار الى تقديره تقديرا لان من اللازم تعظيم أمره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفي ذكره ايماء الى ان توقيره أشد لزوما من توقير أمره مع ما في تركه أولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتناء بنفس التعظيم ففي كلامه ترق من الادنى الى الاعلى (ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول) توقيره تعظيم ذاته وأحواله ومن ينسب اليه وأمته ومعاهده وآثاره بحيث لا يدانيه أحد فيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما مر وبره بكسر الباء وأصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع في الشفقة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله تعالى عليه وسلم بصلة اتباعه من أهله وغيرهم ممن مر ذكره

(الباب الرابع في حكم الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (والتسليم) من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله (وفرض ذلك) أي فرضيته أو المفروض منه من عطف الخاص على العام (وفضيلته) أي فضيلة المذكور من الصلاة والسلام ولتاويله بما ذكر أفرد الضمير ويكثر مثله في اسم الاشارة كقوله تعالى عوان بين ذلك (وفيه عشرة فصول) مع ما ذكر معه استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم

(القسم الثالث فيما يستحيل في حقه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه وأصل معنى الاستحالة التغير من حال الى حال ومنه استحال الخمر خلا ويقال استحال اذا صار أعوج وقد ورد في كلام العرب استعماله في كلامهم كثيرا كما وقع في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبي كانك مستقيم في محال (وما يجوز عليه) أي يصح ان ينسب اليه سواء كان واجبا أو جائزا أو المراد ما يصح اتصافه به صلى الله تعالى عليه وسلم كاعراض لا تشين رتبته العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله (وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه) المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض لنوع الانسان في بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسيري

وهذا القسم) أى الثالث (أكرمك الله) جملة اعتراضية بين المبتدأ وخبره وردت دعاء لمن خوطب به كما فى قوله (ان الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان) وقد يرد الاعتراض للتنزيه كما فى قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أو للتنبيه فى مثل (واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتى كل ما قدر) (هو سر الكتاب) أى خلاصته (ولباب ثمرة هذه الابواب) أى أبواب هذا القسم كما فى ذكره الدلجى والصواب أبواب هذا الكتاب والمعنى انه زبدة نتيجتها وخلاصة فائدتها (وما قبله) أى من القسمين (له كالقواعد) جمع القاعدة وهى الاساس فى المنقولات والمعقولات من قوانين كلية مشتملة على مسائل جزئية (والتمهيدات) أى التوطئات (والدلائل) أى وكالدلائل العقلية والنقليه (على ما نورده فيه) أى فى حقه ما يجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك مما يعذر قائله أو يؤدب (من النكت البينات) أى اللطائف الواضحات (وهو) أى هذا القسم الثالث أيضا (الحاكم على ما بعده) أى من القسم الاخير (والمنجز) بصيغة الفاعل مخففا أى وهو الموفى (من غرض هذا التاليف وعده) أى الذى سبق وعده

فلا يرد عليه ما قيل انه لم يذكر ما يجب واللائق ذكره أولا لانه اذا بين ما يستحيل منه فقد بين ما يجب لان استحالة الشئ تستلزم وجوب نقيضه فلذا أجمل واختصر والمراد باضافته أن يقول انه متصف به واما انه ذكر ما يجب وقد تعرض له فيما يأتى فيأباه جعله ثمرة ولبابا لانه من أعظم الثمرات كما لا يخفى (وهذا القسم أكرمك الله) جملة دعائية والمعنى جعلك الله مكرما مبجلا (هو سر الكتاب) أى خلاصته أو أفضله والخفى منه والمراد انه المقصود بالذات منه ولما كان ما تضمنه من بيان ما تصح اضافته اليه وما لا تصح مما تمس الحاجة اليه فى تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التأليف لئلا يقع أحد فيما لا يليق بمقامه أو يترك ما لا بد منه كان ما ذكر هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ما سبقه مبنى على العصمة من الرذائل ولا تساعده اللغة (ولباب ثمرة هذه الابواب) لباب كل شئ خالصه كما قال الزبيدى ومنه اللب للعقل ولبيك أى أجابه مع اخلاص والثمرة بمعناها الاصلى وتكون بمعنى الفائدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة أبواب الكتاب أو البعض السابق من الابواب بناء على انه كالقواعد لما بعده وما بعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا فى النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيل ورد بان القواعد تأباه اذ لا ذكر للكتاب فى هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره أو المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالدليل أو المراد ان ثمرته أى تعلمه والانتفاع به لباب الثمرات (وما قبله له) أى ما ذكر قبل هذا القسم من الابواب والاقسام ما هو (كالقواعد) القواعد فى الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج فيها والعمد وأتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضعها ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية (والتمهيدات) جمع تمهيد أى أمر ممهد وهو فى الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش كما مر والمراد انها مقدمة وتوطئة له (والدلائل على ما نورده فيه) ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورد الماء وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم تجوز به عن الاتيان بشئ ما والدلائل جمع دليل على خلاف القياس وفى الآيات البينات انه جمع دلالة فان فعالة تجمع على فعائل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز ويأتى ايضاح ذلك مبسوطا عند قوله فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته (من النكت البينات) قد مر ان النكت الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة بالنسبة للاذكياء ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على ما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقائص لعلو قدره وظهور شرفه صح جعله دليلا الا انه لما لم يكن مستلزما له استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام وما فى غيره اقناعى وان كان لا شبهة فيه لمن جلا الايمان مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا أن تكون بمعنى بينة المدعى أو هو ايهام وتورية لقوله بعده (وهو الحاكم على ما بعده) تشبيه بليغ أى كالحاكم على القسم الرابع من جزاء سابه ومنقصه صلى الله عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين واجراؤه وابرازه أيضا ولا يخفى موقعه هنا والحاكم فى الحقيقة هو القاضى ونحوه لا هذا القسم ونحوه فان مسائله ومن يعلمها اذا حقق ما يجب له ويجوز تبين له ذلك فجعل تبين ذلك كالحكم فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وشان منقصه (والمنجز من غرض هذا التاليف وعده) الوعد معروف وانجازه ايقاع ما وعد به واعطاؤه وأصل معناه الاتمام أو الاحضار

من نجز الامر والغرض هو المقصود من الشئ ومن ابتدائية أو بيانية والمراد بالغرض هنا تعريف
حقوق المصطفى وضمير وعده راجع لما رجع اليه قوله هو أولا حاكم لا للغرض والمنجز بصيغة الافعال
أو التفعيل وفاعله ما رجع اليه الضمير أيضا والفاعل الحقيقي هو المصنف رحمه الله تعالى فالنسبة
مجازية أو استعارة مكنية مخيلة مرشحة بجعل هذا القسم لتتميمه غرض التاليف كانه كريم وعده
التفضل بمقصوده واجابة السائل لما سال منه من تاليف جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفاء بالكلى
أو هو من قبيل الحج عرفة والسائل وان لم يسئل مافي هذا القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه
مقصود له بالذات فلذا اعتنى به المصنف رحمه الله (وعند التقصي) هو تفعل من الاستقصاء بالقاف
والصاد المهملة وهو بلوغ أقصى الشئ وغايته أو طلبه كما في قوله

يامطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

وفي بعض النسخ التقضي بضاد معجمة من تقضى الامر اذا تم ومضى أو بمعنى التقاضي والالحاح
ويحتمل على الوجهين أن يكون أصله تقضض فابدل احدى المثلين ياء للتخفيف كما قيل في تظننت
تظنيت واللام في قوله (لموعدته) بمعنى وعده أو موعوده صلة له أو تعليلية والمجاز الموعد مقابل لخلافه
قال الله تعالى (انه لا يخلف الميعاد) وتقرر عندهم ان الوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده
ويجوز الخلف فيه ولو من الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقول الله تعالى لاهلكن
من عادى رسلي فانه نصرة لهم وههنا اشكال مشهور وهو ان تخلف الوعيد كذب غير جائز على الله
تعالى وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا
فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار * وسئل أبو عمرو بن العلاء رحمه الله أيجوز أن يعد
الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه قال لا قال فاذا أوعد عقابا أفلا بد ان ينجزه فقال له من قبل المعجزة
وأنبئت ان العرب كانت شرفها ان تفي بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال

واني وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قالوا ولا يلزمه الكذب لا لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لان فساده ظاهر لانه عدم
المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط مقدرة مسلمة معلومة من شئ آخر كعدم
الاصرار أو عدم التوبة أو عدم العفو فيكون في قوة الشرطية فلا يلزم الكذب أصلا وقيل ان الوعد
والوعيد انشاء لا يتصف به كما ذكره علماء الرسوم في مثل قولهم الصبي يقاوم الاسد انه لانشاء التعجب
وفي قوله تعالى رب اني وضعتها انثى لانشاء التحسر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد حق
الله والكريم قد يترك حقه ولا يشاحح فيه وفي قواعد القرافي اختلف في لزوم الوعد والوفاء به الفقهاء
فقال مالك لا يلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وقال سحنون يلزم اذا دخل في أمر
كقوله لآخر بع دارك وأنا أقرضك دراهم تشتري بها دارا تسكنها هذا ما قالوه برمتهم في هذه ولها تتمة
لعل الدهر ينجز ميعادها (والتفصي عن عهدته) هو تفعل بالفاء والصاد المهملة منقوص بمعنى
الخروج والخلاص ه بينه وبين ماقبله تجنيس والعهدة بضم العين المهملة وهاء ساكنة يليها دال مهملة
ضمان مايتعهده العاقل في ذمته فيلزمه وأصل معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سائله كامر
التزمه في ذمته يلزمه أداؤه ففيه استعارة تصريحية وعن متعلق بما بعده من قوله (يشرق به صدر العدو
اللعين) يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف الشراب ونحوه في الحلق والغصة
مثله لكن استعمالها في غير المائعات أكثر والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله

لو بغير الماء صدري شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

(وعند التقصي) بالقاف بمعنى الاستقصاء والتتبع أي وعند بلوغ المقصد الاقصى (لموعدته) بفتح الميم وكسر العين والتاء فيه للوحدة وهو بمعنى الموعد والمراد به المصدر وان كان يصلح أن يكون زمانا أو مكانا وقيل الموعدة اسم للعدة (والتفصي) بالفاء أي التخلص والتفلت (عن عهدته) أي التزامه وتحمله (يشرق) بفتح الياء والراء أي يضيق (صدر العدو) أي قلبه وأغرب التلمساني بقوله هو مقدم كل شئ وأوله (اللعين) أي الملعون حسدا منه والمراد بالعدو الجنس أو ابليس واقتصر عليه التلمساني والاول أظهر وأتم لشموله كل كافر كما يدل عليه مقابلته بالمؤمن في قوله

ويسند للانسان نفسه وأما اسناده للصدر كما في عبارة المصنف رحمه الله فغير معروف فكأنه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تكون سائغة اسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا يدفع وشرق هنا بمعنى تالم واغتاظ كما في قول الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمصنف رحمه الله وتعريف العدو جنسي أو استغراقي وهم اعداء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه باللعين للذم لا للتقييد اذ كل عدو له صلى الله تعالى عليه وسلم كافر مستحق اللعنة وأصله المطرود مطلقا كما في قول الشماخ

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله أو للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعين لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من شرق بريقه عند موته وفي المقتفى يضيق صدره حسدا (ويشرق قلب المؤمن باليقين) مضارع أشرق اذا أضاء وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والباء آلية أو سببية كما في قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) والقلب مشبه بما يقبل الاضاءة أو بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه الجهل بالظلمة ويجوز فتح ياء يشرق لانه يقال شرقت الشمس وأشرقت بمعنى والمعروف المزيد وان أثبت أهل اللغة الثلاثية أيضا والاشراق صفة الكواكب ونحوها وما يقع عليه الضوء من الاجرام (وتملأ أنواره) الضمير المضاف اليه لليقين والاضافة له مع انه جعل قبله النور عين اليقين اما لانه من قبيل لجين الماء اشارة الى أن الاضافة لا تخص القلب بل تفيض على ما حواه فتملؤه أو المراد بالانوار أنوار أخر حاصلة من ذلك النور أيضا كالهداية الى الحق ودفع الشبه الى نحوه كما ان نور الشمس الذاتي يحصل منه أنوار أخر تملأ الكون والمراد بكونها مالئة له انها عامة شاملة له وهو استعارة مكنية مخيلة حيث شبهت الانوار بالمياه الفائضة من البحار وأثبت لها المل‌ء ويجوز عود الضمير للقلب (جوانح صدره) جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب كالضلوع مما يلي الظهر ولذا أضيف للصدر واضافة الصدر بضمير القلب لما بينهما من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة به كل الانسان وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المصنف رحمه الله فلا وجه له كما مر (ويقدر العاقل النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (حق قدره) يقدر بزنة ينصر يعرف مقداره ويتصور عظيم مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو وقد فسر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته والعاقل بعين مهملة وقاف وفي حواشي التلمساني انه بغين معجمة وفاء قال المراد انه يكون سببا لتنبه الغافل وقدرته ولو لم يقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ ومن له لب اذا تنبه لما قاله المصنف وأحاط به خبرا عرف اجمالا جلالة شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولمعت من أفق اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بجملته فانه لا تسعه العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال

انما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء

ويقدر معطوف على يشرق (ويتحرر) الكلام فيه أي يتم ويجيء محررا مهذبا في هذا القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر أو اسم مصدر يعمل عمل فعله أو حال منه وقوله (في بابين) متعلق بيتحرر

* (الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية) * أي الامور المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين (ويتشبث به القول في العصمة) التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وباء موحدة مشددة

(ويشرق) بضم أوله وكسر الراء أي يضيء ويستنير (قلب المؤمن باليقين) قيد مخرج للمنافقين وفي الكلام تجنيس تحريف (وتملأ أنواره) أي أنوار يقينه (جوانح صدره) بفتح الجيم وكسر النون جمع جانحة أي أضلاعه التي تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر والمراد الاحاطة بجميع جوانب صدره (ويقدر) بضم الدال وقول التلمساني بضم وبكسر ليس في محله أي يعظم أو يعرف (العاقل) المهملة والقاف وفي نسخة بالمعجمة والفاء (النبي حق قدره) أي حق عظمته أو حق معرفته

* (اذ مبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم) *

ولذا قال بعض العارفين الخلق عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وليتحرر) يتلخص ويتلخص (الكلام فيه في بابين الباب الاول) أي من القسم الثالث (فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث) أي يتعلق (به القول في العصمة) وهي خلق الله تعالى الامتناع من المعصية والامور الدينية

ومناسبة التعلق والتمسك بمنافيه ضعف كقولهم الغريق يتشبث بالحشيش أى النبات وضمير به لما فهم مما قبله أى بما ذكر أو بما يختص الى آخره جعله لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفى التعبير به مع العصمة لطف لانها فى الاصل بمعنى الربط ثم صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها ولكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا يتوهم انه مبنى على القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهو وليس بمذهب أهل السنة ويكون أيضا بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما فى قوله تعالى والله يعصمك من الناس كما سيأتى واذا وقع لبعض الاولياء تسمى حفظا لا عصمة فلا يقال لغير الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه معصوم ولذا اختلف فى الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز أم لا والصحيح كما قاله ابن حجر فى الزواجر انه يجوز لانه ورد فى الادعية المأثورة اللهم اعصمنا فى الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسيأتى تحقيقه وتعلق العصمة بما ذكر لانها مبدأه ومنشاه (وفيه) أى فى هذا الباب (ستة عشر فصلا) يأتى بيانها

(الباب الثانى فى أحواله الدنيوية) أى الطارئة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا من جهة الاشباح لا من جهة الارواح ولذا قال (وما يجوز طروءه عليه) أى عروضه وحدوثه يقال طرأ مهموزا بزنة فعل طروءا كقعود وتبدل همزته واوا فتدغم فى مثلها فيقال طرو كعلو وقد سمع ذلك كما فى كتب اللغة القاموس وغيره ولا فرق بينهما وان كان فى كلام ابن القطاع ما يقتضيه وفى المقتفى انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا أسند الى الناس كان بمعنى القدوم يقال طرأ علينا فلان أى قدم فلذا قال (من الاعراض البشرية) جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض له من جهة ظاهرة سواء كان عرضا قارا أم لا والاطباء يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ويصف الاعراض الطارئة الحدوث حقيقة ولو فسر بالقدوم كان مجازا لكنه لا داعى له لسماعه والبشرية المنسوبة للبشر ففيها الاشارة الى انها غير مختصة به وما يجوز احتراز عن الاعراض المنقصة التى لا تجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم

(القسم الرابع فى تصرف) هو تفعل من التصريف الذى هو التحول (وجوه الاحكام) ومعنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على أربعة أوجه وتصرفها تحولها وتبدلها كتصريف الرياح وقيل تداخلها كونه بمعنى تنويعها وذكر الوجوه تجريد وعدول عن الجادة بلا فائدة والمراد بيان أنواع الاحكام المتعلقة بها وما يلزم من قالها (على من تنقصه) متعلق بتصرف أى نسبة ما فيه نقص لجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم المبرأ عن النقائص (أو سبه) السب الشتم أى بيان حكم من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بينه وبين ما قبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص أعم منه فان من قال يا محمد فقد تنقصه وليس بشتم له وينبغى ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لا يصح العطف بها هنا أو يتكلف فيقال حكم العام غير حكم الخاص أو يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بتصرف أو بالحكم وكونها بمعنى الى أى تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة تعسف من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا (وينقسم الكلام فيه فى بابين) ضمن ينقسم معنى ينحصر ويتم كما عبر به قبيله فمن قال معناه الى بابين أو حال كونه فيهما الى أمور فقد تكلف

(الباب الاول فى بيان ما هو فى حقه سب ونقص) النقص هنا أعم من السب أو بمعناه كما مر فلذا عطف بالواو وليست بمعنى أو كما قيل وقيل الواو بمعنى أو كما فهم من كلامه الآتى (من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول) المراد بالنص هنا التصريح وله معان أخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض ما يفيد معنى يلوح له الكلام ويومئ اليه كانه يؤخذ من عرضه

الدنيوية وما يجوز طروءه) بضمتين فسكون واو فهمز وفى نسخة بالادغام أى وقوعه وحدوثه (عليه من الاعراض البشرية) أى من العوارض الانسانية فان الاعراض جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض للانسان من مرض ونحوه من السهو والنسيان ثم اعلم ان صاحب القاموس ذكر مادة طرأ مهموز او معتلا وعلى تقدير الهمز يجوز الابدال والادغام (وفيه تسعة فصول) بل ثمانية (القسم الرابع فى تصرف وجوه الاحكام) أى تنوع أنواعها من مسائلها ونوازلها (على من تنقصه) أى من عد فيه نقصا أو تكلم بما يتضمن نقصه (أو سبه) تخصيص بعد تعميم أى شتمه (عليه الصلاة والسلام) وفى معناه سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام) وينقسم الكلام فيه فى بابين (الباب الاول) أى من القسم الرابع (فى بيان ما هو فى حقه سب ونقص) تعميم بعد تخصيص (من تعريض) أى كناية وتلويح (أو نص) أى ظاهر وتصريح وقال محش نص عليه اذا عينه وعرض اذا لم يذكره منصوصا عليه بل يفهم الغرض بقرينة الحال (وفيه عشرة فصول) بل تسعة

أى جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وهو قسم من أقسام الكناية والمراد هنا ما يقابل النص لوقوعه عدلا وفيه كلام طويل فى كتب المعانى والتفسير بيناه فى حواشى البيضاوى

(الباب الثانى فى حكم شانئه) هو اسم فاعل مهموز الآخر من الشنآن هو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها (ومؤذيه) هو الآتى بما فيه اذيته قولا أو فعلا يقال أذاه يؤذيه ايذاء واذاء ولاعبرة بما فى القاموس من انكاره للايذاء كما بيناه فى كتابنا شفاء الغليل (ومتنقصه) بتشديد القاف وفى نسخة صحيحة منتقصه بتقديم النون على المثناة الفوقية يقال انتقصه ونقصه وتنقصه اذا أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل أو ترك يقتضى ذلك (وعقوبته) بالجر عطف على حكم أو على شانئه والضمير عائد على كل واحد لتأويله بالمذكور أو على أحدهما لانه عين الاخير والعقوبة ضد العفو ما يقع فى مقابلة ذنب واما قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو مشاكلة أو بمعناه اللغوى (وذكر استتابته) معطوف على حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا ونفيا وأصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحويل عن أصله الى غيره كقوله * ان البغاث بأرضنا تستنسر * أى يتحول من البغاثية الى النسرية فالمراد به التحول الى التوبة بعد الكفر فتدبر (والصلاة عليه) أى الصلاة على جنازة من ذكر بعد موته (ووراثته) أى حكم وراثته نفيا واثباتا كما فى ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره أولا وتأخير الصلاة والوراثة عن الاستتابة فى غاية الاحكام لصادفته محزه (وفيه عشرة فصول) كذا فى كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ والصواب كما فى بعض النسخ خمسة فصول وهو الذى صححه مغلطاى والشمنى فى حواشيه وهو الظاهر ولا يتأتى فيه ما مر فى الزيادة كما قيل اذ لو كان زيادة لم يضر بخلاف النقص فكان المصنف بيض له ولم يلحقه بعد أقول هذا ما قاله برمتهم وسيأتى قريبا ما يرشدك الى الصواب فيه (وختمناه) أى جعلنا اختتام هذا القسم لا الباب الثانى كما قيل أو الضمير للكتاب (بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله) أى لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل فلولا ما قصده كان هذا خاتمة الكتاب أو قسما خامسا (فى حكم من سب الله ورسله) عليهم الصلاة والسلام مطلقا أو غير نبينا صلى الله عليه وسلم (وملائكته وكتبه وآل النبى) عليه الصلاة والسلام (وصحبه) رضى الله تعالى عنهم أى فى حكم من صدر منه سب لواحد من هؤلاء أو للجميع أو الفريقين منهما مجتمعا أو منفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه بقى حكم من سب فردا من هؤلاء غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضى انه فى حكم من سب هؤلاء على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى ان يقال الواو بمعنى أو فان العموم يكفى لصحة امكان شموله سواء كان ذلك فى الواقع أولا مع ان مثله انما يدقق فيه اذا كان فى كلام يستدل بلفظه كالقرآن والحديث اما فى كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجرى فيه أقسامها فسقط ما فى بعض الشروح هنا من التعسف (واختصر الكلام فيه) بالماضى المجهول وفى بعض النسخ نختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى أى جعل الكلام متصفا بالاختصار فيما ذكر (فى خمسة فصول) قيل الصواب فى عشرة كما فى بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعده بناء على تقدم الخطبة على التاليف أو العدد لا مفهوم له فلا ينافى الزيادة تقدم ما فيه ولك أن تقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتى يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه كان هم ان يجعل الباب الثانى عشرة فصول فاختصره فى خمسة وأفرد للخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت فصوله خمسة وهذا وان كان فى غاية الخفاء أحسن من حمله على المقصود

(الباب الثانى) أى من القسم الرابع (فى حكم شانئه) بهمز بعد النون أى مبغضه ومنه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر (ومؤذيه) بالهمز ويجوز ابداله أى مضره وهو أخص مما قبله وبعده وهو قوله (ومنتقصه) وفى نسخة متنقصه (وعقوبته) أى وفى بيان عقابه وجزائه فى الدنيا (وذكر استتابته) أى طلب توبته (والصلاة) أى وذكر صلاة الجنازة (عليه ووراثته) أى من المسلم أو المسلم منه (وفيه عشرة فصول) قال الحلبى هكذا فى الاصول لكن بخط مغلطاى ان صوابه خمسة يعنى عوض عشرة (وختمناه) أى القسم الرابع (بباب ثالث جعلناه تكملة) أى تكميلا (لهذه المسألة ووصلة) بضم الواو أى توصيلا (للبابين اللذين قبله) أى من القسم الرابع (فى حكم من سب الله تعالى) متعلق الباب الثالث (ورسله) وكذا حكم أنبيائه (وملائكته وكتبه) أى المنزلة (وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه) عموما أو خصوصا (واختصر الكلام) بصيغة المجهول الماضى وفى نسخة بصيغة المتكلم وفى أخرى واختصرنا الكلام أى بالاقتصار (فيه) أى فى هذا الباب (فى خمسة فصول) بل فى عشرة فصول على ماذكره التلمسانى وقال الحلبى هكذا وقع أيضا فى الاصول وصوابه عشرة فصول لانه فيما يأتى ذكره عشرة

الخطاوهذاماوعدناك به فان صادف محز القبول والافطارحه فى زوايا الغضول ويكون هذا معنى قوله (وبتمامها) أى بتمام هذه الفصول المكملة لماقبلها (ينتجز الكتاب) تفعل من نجز بجيم وزاى معجمة أى تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال ابن القطاع نجزت الحاجة وأنجزتها فتنجزت قضيتها وقالوا نجز بالفتح والكسر أشهر وفى غيره انه بمعنى يحضر أو يتم أو ينقطع وفى المقتنى أنجزت حاجتك قضيتها والكتاب حاجة للسائل موعود بها وهو مختلف فى النسخ ففى بعضها من الافتعال وفى بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه أبلغ وقيل ليفيد انه بفعله (تنبيه) فى الملائكة أقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة فعل شذوذا وقيل مفرده ملأك كشملال حذفت همزته بعد القاء حركتها على ماقبلها ثم ردت للجمع فوزنه فعائله وهمزته زائدة وقيل ملأك على وزن مفعل فيمه زائدة ووزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده مألك فنقلت فوزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده ملاكة كفعالة من لاكه يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفعل وملائكة وزنه مفاعلة ويقال فيه ملائك أيضا (وتتم الاقسام) يعنى الاربعة المذكورة (والابواب ويلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة) يلوح بالحاء المهملة بمعنى يبدو ويظهر والغرة فى الاصل بياض فى جبهة الفرس ويطلق على كل شئ وأوله واللمعة بضم اللام من لمع الشئ يلمع لمعانا اذا أضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة أيضا البقعة فيها الكلأ والقطعة من النبت اذا يبست فابيضت وموضع لا يصيبه ماء الغسل ذكره الصغانى وعليه استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من أنار ويكون لازما ومتعديا أى ذات نور ويكون بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذاتم مافى كتابه وانتقش فى صحائف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام اذا قرن بتعظيم هذا النبى الكريم ومحبته والعلم بما تؤدى اليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لاعلى عليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعله لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ماذكره ولمعة الموصوف تمييز أو حال وغرة الايمان أشرفه وأظهره فاضافته حقيقية أو هو كلجين الماء لانه به يشمر صاحبه وتظهر سعادته فى الدارين أو يظهر انه جواد سابق فى حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة مكنية وتخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله * وفى الرحمن للضعفاء كاف * واللمعة هى الغرة أو غرة الايمان بمعنى ظاهره واعلاه على انه استعارة مصرحة وجعل ماذكر فيه لمعة فيه أى نورا لا أنحا عليه لانه زيادة فى ايمانه واشار بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالانارة فان فهمت فهو نور على نور وفى بعض الشروح انه شبه الايمان بفرس ينجى صاحبه من المهالك والاغر محمود فى جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل أو شبه كتابه هذا بلمعة منيرة فى غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان عن الكتب المؤلفة فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه وان له من بينها شانا لجمعه ما تفرق فيها أو فاعل تلوح لمعة لا ضمير الكتاب كما توهم أو الغرة مطلق البياض والايمان التصديق بما جاء به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها أى فى الدين النقى يلوح لمعة منيرة واللمعة كتابه فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم أو للتقليل بالنسبة لشرف مقامه والاول أولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون ذماله غايته ان له زيادة عليها واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بجعله للمعة فى الغرة بانها لا تظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح فى جبهة الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المرام وانه غنى عن الرد ولك ان تقول اللمعة هنا جزء من الغرة لا أمر زائد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون ويعنى ان هذا الكتاب شعبة من شعبه

(وبتمامها) أى باتمام فصول هذا الباب الثالث من القسم الرابع (ينتجز الكتاب) أى ينقضى وينتهى (وتتم) أى وتكمل (الاقسام) أى الاربعة (والابواب) أى الثلاثة عشر جميعها وهو كالتفسير لماقبله (وتلوح) أى تضىء وتظهر به (فى غرة الايمان) أى بياض جبهته ومقدمة طلعته (لمعة) بالضم أى قطعة (منيرة) أى منورة لمن اطلع عليها وقد يقال الغرة استعيرت للشرف والشهرة

وهذا أحسن وأوضح مما قالوه وقوله (وفى تاج التراجم درة خطيرة) أى عبارته الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقراربه بمنزلة تاج على رأس عظيم لدلالتها على رفعة قدره وما دل منها على هذه المعانى كدرر مكللة بها التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهرة فهو على هذا خبر مبتدأ مقدر عبارته أو هى درة على الاستخدام لان ما تقدم معان وهذه ألفاظ وكونها زينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذى سلطان واثبت له ما هو من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة فى كلامهم كثير كقوله فى ادب الكاتب ترجمة تروق بلا معنى وقدم انه معرب وفى شرح ادب الكاتب انه عربى وهى تفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال الله تعالى رجما بالغيب قال

ماكان من غيب ورجم ظنون ❊ فكان الترجمان الذى يصيب

بظنه معنى كلام المتكلم بلسانين ويقال ترجمان وترجمان وفى النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التاء وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة بخاء معجمة وطاء وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما ألف فى معناه كدلائل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء بناء على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه من الانوار الربانية أردفه بجعله من بين نظائره كدرة باعها اماعلى انه شبه التراجم أى الكتب بالملوك للانقياد لها والعمل بما يقتضيه أو تشبه كتب السير بتاجها الذى به مجرزها وكتابه بدرة نفيسة تشبيها بليغا أو استعارة تمثيلية أو مكنية مخيلة مرشحة وتاج التراجم كالجبين الماء وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين فى غنى عنه وفى تاج معطوف على قوله فى غرة فهو متعلق بيلوح (تزيح كل لبس) تزيح كتزيل وزنا ومعنى والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة وهو أولى من رجوعه لدرة لازالتها بضيائها ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استئنافية واما كونها حالا فبعيد واللبس فى الاصل الخلط والاختلاط قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه أو الشبه يعنى ان كتابه يزيل الاشتباه فى احواله صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى الدين فى الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة (وتوضح كل تخمين وحدس) لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع فى بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة وفى المقتفى انه سقط من نسخة المصنف فتخمين قافية مع ما بعدها على نمط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد بمجرد الظن والتوهم وعند أهل الميزان الحدسيات أمور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة عليه كالحكم بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها فالمراد هنا ان كتابه هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث يشرق عليها انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس أيضا على سرعة الانتقال من المبادى للطالب والمراد الاول لانه حقيقة لغة (وتشفى صدور قوم مؤمنين) مناسبة هذا للكتاب وللمعنى المقصود فى الآية ظاهر لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والشبه والغيظ حيث حكم بقتل العدو كما حكم هنا بقتل الساب الا انه وقع هنا فى نسخة يشف بدون ياء فى آخره لانه مجزوم فى النظم الكريم وفى نسخة بياء فى آخره لانه مستأنف مرفوع فى كلام المصنف رحمه الله اذلم يتقدمه ما يقتضى الجزم قالوا وهو مصحح هكذا فى نسخ المشايخ كمغلطاى والنسخة الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس وأورد عليه انه جعله من كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف تقصد التلاوة والضمير فى الآية لله لا للدرة واللمعة حتى يرد عليه انه ينبغى ان تكون العبارة تشفى بالتاء الفوقية لان فاعله ضمير المؤنث ويعتذر عنه بانه عائد عليها باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلف انت فى غنى عنه بما سمعته آنفا وأول الآية

(وفى تاج التراجم) بكسر الجيم أى ويلوح فى تاج تراجم الايقان (درة خطيرة) أى ذات خطر وقدر ويعنى بها جوهرة نفيسة أو لؤلؤة ليس لها قيمة لمن وقع يده عليها ثم كل من لمعة ودرة مرفوعة على الفاعلية لان لاح فعل لازم ففى القاموس ألاح بدا والبرق أومض كلاح وجعل التلمسانى ضمير يلوح الى الكتاب المتقدم ذكره وانتصابهما على الحال (تزيح) استئناف مبين أو جملة حالية من الازاحة أى تزيل اللمعة وفى معناها الدرة (كل لبس) بفتح فسكون أى اشكال وخلط وشبهة وخبط (وتوضح) أى تكشف وتظهر (كل تخمين) أى قول من غير تحقيق (وحدس) أى صادر عن ظن ووهم وهو قد سقط من أصل المؤلف على ما قاله بعضهم لكن لابد من ذكره لتمام السجع وهما بمعنى واحد (وتشفى صدور قوم مؤمنين) عطف على تلوح وفى نسخة بحذف الياء ولعله قصد التلاوة لكنه مع ما بعده بصيغة التانيث فى نسخة صحيحة

فاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وهو مجزوم فيها في
جواب امر غير مذكور ولا يقدر في كلام المصنف رحمه الله تعالى ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكر
والمقتبس قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما في قول ابن الرومي

فقد أنزلت حاجاتي * بواد غير ذي زرع

فان المراد به في القرآن والانبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالقوم بنو خزاعة
وهنا مطلق المؤمنين والمراد انه يشفي صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم
لايمانهم حتى يقال ان المؤمنين قلوبهم مشفية ويجاب بان الايمان يقبل الزيادة وزيادة الشفاء شفاء فانه
كلام ناش من سوء الفهم وقد اختلفوا في جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه آخرون مطلقا
وفصل بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف من
هزل ونحوه فان فيه تلاعبا بالقرآن لا يجوزه لذا نقل عن الامام مالك رحمه الله انه لا يجوز التفاؤل من
المصحف وما وقع في فتاوى الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه فعله لا أصل له اه وفي كتب فقه الشافعية
جواز ذلك مع الكراهة (وتصدع بالحق) أي تجهر بما يدل على الحق وهو الامر الثابت في حقه صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال ابن عرفة رحمه الله تعالى في قوله فاصدع بما تؤمر أي فرق بين الحق والباطل
يقال تصدع القوم اذا تفرقوا وأي يظهره أو يحكم أو يفصل ويأتي الكلام على هذه الآية عند ذكر
المصنف لها وما قيل انه يحتمل ينشق بالحق أي يظهره من خلال تراكيبه تعسف لا داعي له وقيل
المراد بالحق هنا القرآن لما فيه في كثير من آياته وقد جاء الحق مرادا به القرآن في الآيات وهو تكلف
أيضا وهو في الاصل استعارة من صدع الاناء اذا شقه وقيل المراد ينشق القلوب بما فيه من الادلة
القاطعة والبراهين الساطعة (ويعرض) بضم أوله وكسر ثالثه رباعي أي يصد (عن الجاهلين) بحقوق
الله ورسوله والغافلين عن علي قدره واعراض الكتاب عنهم استعارة لعدم التفاته لاقوالهم ذكر وردا
كمنكر الحشر ونحوه فلا يعبأ بهم فانه انما صنف كتابه للمؤمنين أو المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت
عليهم الشقاوة والسامع للحق اما مؤمن يستشفي به صدره ويزداد ايقانا أو كافر له عقل سليم يرتجى قبوله
الحق أو ذو غباوة مفرطة أو معاند فاشار الى الاول بقوله تشفي والى الثاني بقوله تصدع والى غيره بقوله
تعرض الخ وهذا لا يلاحظه المصنف في كلامه لان كتابه انما صنفه للمؤمنين كما صرح به وقد يراد في بعض
الاقسام من يضاهيهم في بعض الصفات (وبالله سبحانه لا اله سواه استعين) في النسخ هنا اختلاف ففي
بعضها بدل سبحانه وتعالى وفي بعضها اسقاطهما وفي بعضها لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف
معنى والتسبيح التنزيه عما لا يليق وسبحان مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله وطلب المعونة
من الله على ما قصده من التاليف والانتفاع به وسبحه لان السائل ينبغي ان يقدم الحمد والتعظيم قبل
الطلب كما وقع في الفاتحة فنزهه أن يخيب قاصده ولذا قال لا اله سواه أي لا معبود ولا مقصود وفي المهمات
سواه والجملتان معترضتان بين استعين ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية
لا تكون الا من الله وغيره وسائط ولذا استشكل حصر الاستعانة في اياك نستعين مع الاستعانة
باسمه في باء بسم الله على أحد الوجوه * وأجيب بان طلب المعونة لا يكون الا من الله واما معونة
الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كانبيائه ورسله كما ذكره شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف
عليها الفعل كالآلة أو مسهلة كالراحلة للقادر على المشي كما فصله القاضي في تفسير واياك نستعين قيل
وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده أيضا ولذا منع أهل المعاني
العطف به بعد الحصر كما في عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم أجاب بان الذي منعوه بعدما

(وتصدع بالحق) أي
تجهر به وتظهره (وتعرض
عن الجاهلين) أي
تتركهم ايماء الى قوله
سبحانه وتعالى فاصدع
بما تؤمر واعرض عن
المشركين (وبالله تعالى
لا اله) أي توكلنا اذ لا معبود
بحق موجود (سواه) أي
غيره والجملة معترضة حالية
(استعين) أي أطلب
المعونة به لا بغيره من
المخلوقين بقوله تعالى
اياك نستعين أي نخصك
بالاستعانة لان غيرك عاجز
عن الاعانة وفي نسخة
وبالله لا سواه استعين لا اله
الا هو الملك الحق المبين

والا فلا يقال ما قام الا زيد لا عمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق بينهما مع افادته الحصر وقصده غير متعين الى آخر ما قرره فاطال فيه * أقول هذا اعجب منه فان هذه المسئلة ذكرها عبد القاهر والسكاكى ووقع فى كلام الزمخشرى فى مواضع ما يخالفه كقوله تعالى فى سورة آل عمران ماهى الاشهوات لاغير وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العلامة والخلاف انما هو بعد ما والا والنفى الصريح لا فى غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه فى السوانح ثم انه شرع فى المقصود فقال

(القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى)

أسماء الكتب وألفاظ التراجم فيها احتمالات مشهورة أقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعانى فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف أى فى بيان تعظيم الخ والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص فى العام لدخوله فيه وشموله له فشبه احد الشمولين بالآخر وعلى المشهور المعنى لما يخيل أولا وأتى له بلفظ تقديره كان كالظروف المقصود الذى يؤتى له بظرف مناسب أو هو كاللباس كما فصلوه وقيل فى بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافى ذكر غيره بطريق التبعية والعلى هو العالى شانه فى نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم والثانى بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معنى انه لا يشاركه ولا يدانيه شئ ولذا عدى بعن فقال الله تعالى (عما يقول الظالمون) لبعده عن مخلوقاته ولذا قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * فان قلت لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى سجودكم ولما نزل (فسبح باسم ربك العظيم) قال اجعلوها فى ركوعكم فما وجهه * قلت هو الهام والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى وقد فهمه من الموحى به لان تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته فى علوه وتعظيمه يكون قولا واعتقادا وفعلا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهره وضع أشرف اعضائه فى تراب الذل الذى ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب فلذا كان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه مستجابا ولما كثر تعظيم العظماء بالانحناء قائما امر بان يقول سبحان ربى العظيم فى الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفى تعبير المصنف رحمه الله من البلاغة ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو فى المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفى الرتبة على يعلى كرضى يرضى (لقدر النبى المصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم معناه (قولا وفعلا) وفى نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام للتقوية وفى تعظيم قدره أى رتبته تعظيم أبلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول ما ورد فى القرآن والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه به من التاييد ورفع ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقرآن والثانى بالمعجزات الا ان يكون قد اقتصر على أعظم ما أعظم به فليس بسهو كما قيل (قال القاضى الامام أبو الفضل وفقه الله تعالى وسدده) هو عياض ابن موسى السبتى بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب لانه كان بها قاضيا كما مر ولذا اشتهر بالقاضى اليحصبى بالحركات الثلاث فى الصاد كما مر وهى قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد أفردها بعض أهل العصر بجزء سماه * زهر الرياض * فى محاسن عياض * وما وقع فى النسخ من قوله الامام من تلامذته النساخ لانه لا يمدح نفسه كما تقدم (لا خفاء على من مارس شيأ من العلم) أى ليس شئ من الخفاء والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهى وضع الحبل فى البكرة للسقى ويقال مرس الشئ اذا عركه كما فى افعال ابن القوطية ثم شاع فى كل ملابسة

(فصل)
(فى تعظيم العلى الاعلى) أى رفعة ورتبة (لقدر النبى المصطفى) وفى نسخة بحذف النبى ووجوده أولى كما لا يخفى (قولا) ورد به القرآن الكريم والفرقان القديم (وفعلا) من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض (قال الفقيه) على ما فى نسخة (القاضى الامام) على ما فى أخرى (أبو الفضل رحمه الله تعالى) ففيه اشعار بانه ملحق من كلام غيره وفى نسخة صحيحة وفقه الله وسدده ففيه تصريح بانه من كلام نفسه لكن لا يلائمه حينئذ وصف الامام (لا خفاء) بفتح الخاء أى لا يخفى (على من مارس) أى لازم ودارس (شيئا) أى قليلا (من العلم

مع المزاولة والملازمة وشيأ المراد به شئ قليل أو شئ يعتدبه والاول أبلغ والثانى أنسب بالممارسة ونفس الامر والمراد بالعلم المعلومات أو الاصول والقواعد مطلقا أو الشرعى منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشئ ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والوجود فى الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشئ أى ليس مما يصدق عليه لفظ شئ ولا مانع منه كما قيل (أوخص بادنى لمحة من فهم) خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضى بمعناه الاصلى من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل أى صار ذا فضل ان لم يكن التخصيص اضافيا والمقام يأباه لان المراد ان الله تعالى خصه بشئ قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكاء فان ماذكر اذا لم يخف على مثله لم يخف على أحد غيره واو على أصلها الاحد الشيئين أى لا يخفى على مثل هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من اللفظ أو سرعة الانتقال و يجوز أن يكون أو بمعنى بل كما فى قول جرير

كانو اثمانين أو زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادى

فهى للترقى عمن عنده علم الى من له أدنى فهم وأدنى يكون بمعنى أصغر مقابل الاكبر و بمعنى أقل مقابل الاكثر و بمعنى أخس وأرذل مقابل أشرف كما فى قوله تعالى (تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) والكل من مادة دنى وقيل الاخيرة مقلوب أدون من الدون وهو الردى أى أردأ ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما فى القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا كنى بها عن القلة كقوله تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) وقال التلمسانى اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فان صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن فى قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر للبصيرة ويؤيده انه وقع فى نسخة بادنى لحظة واللحظ النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائية أى لمحة ناشئة من فهم فهو مجوز فيه أن يكون باقيا على حقيقته وفى نسخة من الفهم معرفا (بتعظيم الله قدر نبينا) أى مرتبته وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم والباء قيل انها للملابسة وقيل بمعنى فى وقيل بمعنى من أى من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر ولغو وفى متعلقه احتمالات و وجوه أشار اليها الشراح وعلى كل حال لم ياتوا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المصنف رحمه الله تعالى انه لا خفاء فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من له أدنى بصيرة وحينئذ فخفاء اسم لا وقوله على آخره متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفى عليه كذا فهو حينئذ منون لشبهه بالمضاف بتعلق الجار ويجوز بناؤه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداد وقد روى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا مانع لما أعطيت) بلا تنوين فقال المحقق الحفيد رحمه الله تعالى جمهور النحاة على وجوب التنوين فى مثله بجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف وأما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى اذ المقصود كونه للاسم لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين و كذا جوزه الزمخشرى وتبعه القاضى فى قوله لا تثريب عليكم اليوم الا انه منعه فى قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين فى الموضعين انتهى فان قلنا على متعلقة بخفاء على الوجهين فقوله بتعظيم الى آخره خبر لا والباء بمعنى فى أو للملابسة أو بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالباء متعلقة بعلم أو بفهم لان العلم قد يتعدى بالباء وقدر بالنصب متعلق بتعظيم (وخصوصه اياه) أى تخصيصه نبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم من بين سائر الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لا بمعنى التفصيل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مفعوله (بفضائل

أوخص) بصيغة المجهول أى خصه الله تعالى من بين العوام (بادنى لمحة) بفتح اللام وهى النظرة الخفية وروى لحظة وأما قول التلمسانى هى بضم أوله أى شئ قليل من النظر وأصله من لمح البصر وهو نظر لا تردد فيه واللمحة بالفتح المرة وهو والاولى ههنا لانه اذا كان يفهم ذلك مرة فيظهر فذو المراد أولى وأشهر فهو كلام غير محرر اذ ضم اللام غير مشتهر فتدبر (من فهم) ويروى من الفهم وهو أظهر (بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام) الباء ظرفية متعلقة بخفاء وقدر منصوب على المفعولية (وخصوصه اياه) أى وتخصيص الله تعالى نبينا (بفضائل) أى بزوائد من الكرامات

ومحاسن ومناقب) كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما أعطاه الله له من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التي لا يدانيه فيها أحد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضائل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيادته وشفاعته في المحشر كما هو مقتضى العطف وأصل الفضائل جمع فضيلة وقد يخص بما لا يتوقف تحققه على تعدي أثره ويقابله الفواضل كما مر والمحاسن الحسن في الصورة جمع حسن على خلاف القياس أو جمع محسن وهو الموضع الحسن من البدن كما في القاموس والمناقب ما يفتخر به كما مر وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة عليه ويأتي في الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) أي انا لا أفتخر به كعادة الناس وان كان لا فخر أعظم من فخره وقوله ولا فخر احتراس وتكميل وهو يكون في الاول والآخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخيرين فالاول كقوله

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلا ✽ ولا زال منهلا بجرعائك القطر

والآخر كالحديث والوسطى كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها ✽ صوب الحياء وديمة تهمي

فان الدعاء بالسلامة أولا احتراس ولا ينافيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادباء وان غفل عنه من فضل بيت طرفة عليه (لا تنضبط بزمام) فتضبط بالتاء الفوقية ويجوز بالتحتية على ان الضمير للفضائل وما معها أو للمذكور وأصل الضبط الحفظ بالامساك بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصاء والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل بينهما فرق عرفي فلم يرد في اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكلي لجميع افراده حافظ لها وممسك وللتجوز وجه أي ما ذكر لا يمكن احصاؤه وتفصيله وبزمام روى بالباء واللام كما قال التلمساني والاول أظهر والثاني أشهر فان باء السببية ولام التعليل متقاربان معنى والزمام بكسر الزاي المعجمة ما يزم به أي يشد البغل والناقة ولا تختص بالثاني كما في القاموس وفي كلامه هنا استعارة تصريحية أو تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل في المثل كثرة الشد ترخي فافهم وأما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضائل بناقة قوية تغلب صاحبها فركيك جدا (وتنويه من عظيم قدره) يقال نوهت اسمه اذا رفعت ذكره وأشعت تعظيمه قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه انا أول من نوه بالعرب أي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء وهو مجرور بالعطف على التعظيم أو الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفي نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور من المبينة لمقدر يفسره قوله (بما تكل عنه الالسنة والاقلام) أوله بناء على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم ما في حيز الصلة عليها الا انه على هذا متعلق بمقدر أو حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام أو زائدة وبما متعلق بتنويه وما عبارة عن أمور أو وجوه وتكل بمعنى اعيي وتعجز الالسنة والاقلام عن احصائها أو على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس أو هو من كل السكين بمعنى عدم قطعها فهو أيضا استعارة مصرحة أو مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم أحد اللسانين فيشبه أحدهما بالآخر وينسب له كما قيل

والسنة الاقلام تشكر دائما ✽ صنيع الذي أوليت في اليد والفم

(ومحاسن) أي ومستحسنات من الاخلاق المكرمات (ومناقب) أي وبنعوت وصفات كثيرات من الكمالات العلمية والعملية التي أسناها معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث الذات والصفات (لا تنضبط) أي لا تجتمع لكثرتها ولا تنحصر ولا تدخل تحت ضبط (لزمام) بكسر الزاي قال التلمساني يروى بالباء واللام انتهى لكنه في النسخ المصححة باللام فقط أي لضابط يريد ضبطها ويقصد ربطها ويجتهد في احصائها ويتوهم امكان استقصائها وهو مستعار من زمام الناقة وهو ما يجعل في حلقه مسكوكة في أنفها لحصول انقيادها (وتنويه) أي وبرفع ذكره ومن تبعيضية وأبعد الدلجي في قوله من زائدة (من عظيم قدره) أي من قدره العظيم وفي نسخة صحيحة من عظم قدره وفي أخرى بعظيم قدره (بما تكل) بفتح فكسر فتشديد أي بما تعجز وتعيى (عنه الالسنة) أي ألسنة الانسان في البيان (والاقلام) أي وتبيان البنان

(فمنها) أى مما عبر عنه بما من الفضائل (ما صرح به فى كتابه) الضمائر لله أى نص عليه وأظهره وقال المرزوقى رحمه الله تعالى فى قوله * فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان * فقال صرح الشر بالنصب اذا أظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشر وبين هو فيكون لازما متعديا بالباء ومتعديا بنفسه (ونبه به) أى بما ذكر فى كتابه وأصله معنى ايقاظ النائم وتذكير الغافل ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمصنفون يخصون بذكر أمر تبين أو سبق ذكره ومنه تنبيه فى التراجم وقال التلمسانى أصل التنبيه أن يكون فى شئ وقعت فيه الغفلة عنه من قول أو فعل فلا اشكال ولا التباس (عن جليل نصابه) فى المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب كمسجد العلو والرفعة وله منصب صدق أى منبت ومحتد وامرأة ذات منصب أى حسب وجمال لانه رفعة لها انتهى فأصل معنى النصاب والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام أى ان الله جل وعلا بذكره له صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتابه المنزل نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو أصل معناه فى استعمال العرب فما قيل انه لم يظهر له معنى هنا الا أن يكون مأخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذى ساد فيه الخلق كلهم كلام ناش من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق الكلام فيه فتذكره ويأتى أيضا الكلام عليه (وأثنى به عليه من اخلاقه وآدابه) بيان لما أى بما مدحه الله به مما ذكر والثناء ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقى هو ذكر الحمد ولا يكون فى الذم وهو فعال من ثنيت تقول ثنيت وأثنيت عليه ثناء حسنا والثناء الاسم وربما استعمل فى الشر قال زهير

سيأتى آل حصن حيث كانوا * من الكلمات ما فيه ثناء

والقائل أن يقول انما سمى الذم ثناء على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر فى الخير والشر والفعل منه نثا ينثو ويأتى فى صفة مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لا يبنى منه فعل وقال بعض أهل اللغة الثناء يكون فى الخير والشر والنثا لا يكون الا فى الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح ان الثناء مخصوص بالمدح والنثا عام فيه وفى مقابله وليس مخصوصا باللسان كما مر فثناء الله حقيقى ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو واظهار الصفات الكمالية مطلقا والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مائدة الجود فى ساحة الامكان كشف كمال صفاته وأظهر نعم مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم فسكون الطبع والسجية التى فطره الله عليها والآداب بالمد جمع أدب والادب فى اللغة كما قاله البطليوسى أدبان أدب نفس وأدب درس ويقال أدب خبرة وأدب عشرة كما قيل

ياسائلى عن أدب الخبرة * أحسن منه أدب العشرة

وقال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب الادب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء قال الغنوى

لم يمنع الناس منى ما أردت ولا * أعطيهم ما أرادوا احسن ذا أدبا

كانه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر أديبا ويسموا هذه العلوم أدبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب أو من الادب مصدر أدب القوم اذا دعاهم قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر

فكانه تعجب منه لحسنه أو من صاحبه لفضله اذ يدعو الناس الى المحامد والفضل وينهاهم عن القبائح والجهل والفعل منه أدبت فانا أديب انتهى فالادب هنا بمعناه اللغوى وهو اجتماع خصال الخير

(فمنها ما صرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه) أى عظيم منصبه (وأثنى) أى وما أثنى (به عليه) أى فى كتابه (من أخلاقه) أى أحواله الباطنة (وآدابه) أى أفعاله الظاهرة كما أخبر به عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أدبنى ربى فاحسن تاديبى

والفقهاء يطلقونه على مايقرب من السنن فى العبادة وفى بعض الشروح الادب حسن التناول والاخذ (وحض العباد على التزامه) الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة الطلب الشديد السريع والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم أيضا أو كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق والآداب كما قال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له طاعات ومحاسن فأمر الناس باتباعه فيها وأمرهم الله تعالى أيضا بذلك بقوله وما آتيكم الرسول فخذوه وفيه اشارة الى انها على قسمين قسم أمر باتباعه وقسم لم يؤمر به كالامور الجبلية والخصائص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان كان كل ماهو عليه حسن قيل والمراد به ماكان فرضا ونفلا فان التزم ذلك فرضا فنحن نلتزم فعله وفريضته وان التزمه نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذى التزمه اذ المختص به كما يعلم من مقابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله (وتقليد ايجابه) لمنافاة الايجاب للنفلية ولك ان تقول انما عنى المصنف ان ما أمرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب أشار اليه بقوله حض العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابى كما بين فى الاصول و واجب أشار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تأكيدا لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالآداب والتقليد وضع القلادة فى الجيد استعير للالتزام استعارة تصريحية أصلية لا تبعية و يجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب مصدران مضافان للمفعول و يجوز فى الثانى أن يكون مضافا للفاعل وما قيل من ان الثانى أخص من الاول والايجاب ليس بمعناه الحقيقى بل هو مبالغة فى الاحتراز عن تركه أو مجازا عن الاتيان من أوجب اذا أتى بالوجبة والضميران لما صرح به أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى ما حض به على التزام أمره تعسف لا ينبغى ان يصدر عن مثله (فكان جل جلاله) الجلال العظمة وفى جعل الجلال جليلا مبالغة فى تعظيمه كما حققه الامام المرزوقى فى جد جده وقال الاصمعى الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف به غيره كقول الحماسى

المم على أرض تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جلالها

ويجوز أن يكون المعنى جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس فالاسناد حقيقى فان أريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازى كجد جده والتفريع على ماقبله على ما أعطاه الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه وأعلا مقامه فانه يدل على انه (هو الذى تفضل وأولى) أى أنعم وأعطى أفضل رسله عطايا جزيلة جليلة بان خلقه أعظم الناس حسبا ونسبا وجعله أشرف الرسل وأكثرهم أمة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره وأولى بمعنى أعطى وفى النهاية أن العطاء من غير مكافأة فعلى الاول هو عطف تفسيرى وعلى الثانى من عطف الخاص على العام (ثم طهره وزكى) الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد طهارته وهذا ناظر لاخلاقه وآدابه صلى الله تعالى عليه وسلم والعطف للتراخى الزمانى أو الرتبى لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التحلية مؤخرة على مافسرناه (ثم مدح بذلك وأثنى) على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مواضع كثيرة من القرآن كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ونحوه مما يأتى وهذا ناظر لقوله وأثنى الخ والمدح الثناء بكل جميل اختيارى كان أولا ولذا اختاره وأما كونه للاشعار باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثناء قدمر وقيل المراد بالتفضل هنا لتفضل علينا بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الذى هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك

(وحض) بتشديد المعجمة أى ورغب وحث (العباد على التزامه) أى حملهم على قبول تكليفه بوصف دوامه (وتقليد ايجابه) أى باطاعة جنابه فيما أوجبه فى كتابه (فكان جل جلاله) أى عظمت عظمته وعز جماله (هو الذى تفضل) أى أعطاه من فضله (وأولى) أى أنعم عليه بما علم المولى بانه الاولى وهذا قبل ظهوره بجوده لما تعلق به من كرمه وجوده (ثم طهره وزكى) أى طهره بالتخلية وزينه بالتحلية فى عالم دنياه بما ينفعه فى عقباه من التحلية وأما قول الدلجى ثم طهره من عبادة الاصنام فلا يناسب لمقامه عليه السلام (ثم مدح) أى مدحه (بذلك وأثنى) أى عليه مع انه من آثار فعله وأنوار فضله فهو الحامد والمحمود كما انه هو الشاهد والمشهود فى جميع ميادين الوجود فليس فى الدار غيره موجود

والآثام والثناء علينا بكنتم خير أمة وغيره وهو لا يناسب السياق والسباق (ثم أثاب عليه الجزاء الاوفى) اثاب بمعنى أعطى الثواب وهو الجزاء فاما انه تجرى بداو أثاب بمعنى أعطى أو الجزاء مفعول مطلق من غير لفظه كجلست قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر أى أثابه وعليه ضميره راجع لما تفضل عليه والوافى بمعنى التام والاوفى أفعل تفضيل منه (فله الفضل عودا وبدأ) أى أولا وآخرا والبدء الابتداء والعود الرجوع والابتداء يقابل بالانتهاء ويقابل بالعود أيضا وعنه المبدئ والمعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا أو من غير مقابل وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض أى انه تعالى ابتدأ بانعامه على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان خلقه على أتم خلقه وأكملها وأتم زكاء وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على احسانه فتممه وزاده الثناء الجميل والثواب الجزيل ولولم يشبه لانه أوجده وأقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد وبالعود الجزاء والمعاد كقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد والسياق يأباه لتفرعه على ما قبله بالفاء الواقعة أحسن موقع فالمراد انه تفضل عليه بما أولاه من المحاسن والمناقب ونسب ما فعله بكرماله ثم مدحه وأثابه عليه أتم ثواب فكان بذلك متفضلا فى البدء والعود (والحمد أولى وأخرى) أى هو مستحق للحمد فى أول الامر وآخره أوفى الدنيا والآخرة لانه المتفضل دائما فى الدارين وقيل تقديره أولى الحمد وأخراه لانه صيغة تفضيل وقد حقق أهل اللغة انه يكون من اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجرى عليه أحكامه ووزنه على الاول افعل وعلى الثانى فوعل وهذا ينون فيقال أولا واذا كان اسم تفضيل تجرى عليه أحكامه ومؤنثه أولى ومؤنث الاول أولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره المرزوقى فى شرح الفصيح ومقابلهما أخرى وآخرة وقد تغلب عليهما الاسمية للدارين فيصيران بمنزلة اسمين جامدين يستعملان استعمالهما لان اسم التفضيل يلزم التذكير والافراد ان لم يضف أو يقترن بالالف واللام ولذا خطئ أبو نواس فى قوله

كان صغرى وكبرى من مواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وان أجابوا عنه كما فصلناه فى شرح الدرة وأما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه المطابقة وعدمها فرد بانه سماعى كما فى التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة والاخرى متأخرة فلا يصح أن يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع فى القرآن والكلام مثله كاف فى ثبوته مع انه يرد على مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية فهل هذا الا جمع بين الحادى والملاح * واعلم ان ما ذكره المصنف معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع ثم يمدح عبده ويثنى لقبوله لنعمائه ويجزيه على ذلك أتم جزائه وهو أحسن من قول ابن طباطبا ممدوحه

لا تنكرن أهداءنا لك منطقا * منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه

وله نظائر فى معناه فى كتب الادب وفى لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى من أنعم عليه متجملا قد يحسده ويؤذيه وهو أحد الوجوه فى قول المتنبى

وأظلم أهل الارض من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

(ومنها ما أبرزه) أى أظهره ظهورا تاما لان أصله جعله على براز بالفتح أى مكان مرتفع (للعيان) ما يشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال وفى المثل كما سيأتى فى كلام المصنف ليس الخبر كالعيان بل ورد فى الحديث وروى كثيرون منهم أحمد وابن حبان (يرحم الله أخى

(ثم أثاب) أى جازاه (عليه الجزاء الاوفى) أى بالجزاء الاوفر والحظ الاكبر أو نصبه على المصدر من غير فعله (فله الفضل بدأ وعودا) أى فله الاحسان على وجه الزيادة فى الابتداء والاعادة (والحمد لله أولى وأخرى) أى فى الدنيا والعقبى وفى نسخة والحمد أولى وأخرى عطفا على الفضل أى وله الحمد كما فى قوله تعالى وله الحمد فى الاولى والآخرة فهذه النسخة أولى من الاولى كما لا يخفى ويجوز أن يكونا اسمى تفضيل أى وله أولى الحمد وأخراه والمراد استيعابه كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وأما قول بعضهم ان اسم التفضيل لا يستعمل الا مضافا أو موصولا بمن أو معرفا باللام فمنقوض بقوله سبحانه ولعذاب الآخرة أخزى كانوا هم أظلم وأطغى اللهم الا ان يعتبر من المقدرة فى حكم المذكورة (ومنها ما أبرزه) أى أظهره (للعيان) بكسر العين أى للمعاينة

موسى ليس العاين كالمخبر أخبره ربه تبارك وتعالى ان قومه فتنوا به فلم يلق الالواح فلما رآهم وعاينهم ألقى الالواح فتكسر منها ما انكسر) و روى للعيان ما أبرزه الله للعيان فاللام للتعدية أو للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان مشاهدا أو منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن و يصير كالمشاهد لانه عد منها تاييده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد عصره غير مشاهد الا أنه بمنزلته لصحته لا للتواتره لان أعاده في جميعها التواتر غير مسلم ولك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد ولكثرته (من خلقه) بفتح الخاء وسكون اللام كما قيده الشمني وفي المقتفى انه بضمها وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو التخصيص به فلا تكرار فما قيل انه غير سديد لانه ما أبرزه للعيان ولانه سيذكره غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتاييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق والايجاد وهو تأويل من غير حاجة وضمير خلقه لله أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم * واعلم ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الآتي مجرورا معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف على ما أبرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر (على أتم وجوه الكمال والجلال) الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه أم لا أو صفة مقدر أي خلقا كائنا على آخره أو حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على أتم الوجود أو هو متعلق بمضاف مقدر أي ابراز خلقه أو هو حال والوجوه الانواع والمراد أتم الوجوه المتحققة في زمن ما أو الوجوه الممكنة وهو أحسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا على أن يساويه ولا داعي لهذه التكلفات فانه غني عن التأويل والمراد بالجلال مهابته في عين رأيه (وتخصيصه بالمحاسن الجميلة) مر بيان المحاسن والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله كما في حديث (ان الله جميل يحب الجمال) وفي عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المصنف وفي الحواشي التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم أي لازم والثاني بمعنى مفعول ولا بد من لحوق التاء في آخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز أن يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما أن يكون بمعنى فاعل كعليم بمعنى مفعول كجريح وفي المحصول للفخر التاء في فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة أكيلة ونطيحة يعني لغلبة الاسمية وتقديره ان هذه التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلفظ بالتاء وقد ثبتت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسماء فتثبت فيه التاء كهذه جريحة وأما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد أقوال فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاؤه على كل حال ولم نر من ذكره غيره و بقية كلامه ظاهر (والاخلاق الحميدة) أي المحمودة وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب والعقاب قيل وهو مبالغة أو مجاز والتخصيص في الجملة لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها أو مجموعها (والمذاهب مذهب الكريمة) المذاهب جمع وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقهاء والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم في أحواله مع أمته أو في نفسه * وللناس فيما يعشقون مذاهب * وهو مأخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقاصد سواء وصل اليها أم لا ولذا اختلف فقهاؤنا فيه فقيل لا يشترط الوصول وقال نصير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بمعنى ائتياه والكريمة بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة

(من خلقه) فتح الخاء المعجمة خلافا لمن توهم وضبطه بالضم اذ المراد هنا شمائله الظاهرة ومن لبيان ما الموصولة (على أتم وجوه الكمال) أي أكمل أنواع وجوه كمال الجمال وهي صفات اللطف والاكرام (والجلال) وهي صفات القهر والانتقام أو المراد بالكمال النعوت الثبوتية وبالجلال الصفات السلبية وهي قولنا في حقه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا في زمان ولا في مكان وسائر الامور الحدوثية فحينئذ يقال معناه المنزه عن شوائب النقصان في نظر أرباب الحال وفي نسخة بكسر الخاء المعجمة بمعنى الخصال (وتخصيصه) أي ومن جعله مخصوصا (بالمحاسن الجميلة) أي الحسنة من الافعال (والاخلاق الحميدة) أي المحمودة من الاحوال (والمواهب الكريمة) أي المرضية من الاقوال

(والفضائل الغديدة) أى الكثيرة التى عدها من المحال وهو من العدو ومعناه الكثير لا من العدد فيتوهم انها حصرت واحصيت
وروى السديدة أى الفضائل الواقعة على سنن السداد (وتأييده) أى ومن تقويته (بالمعجزات الباهرة) أى البارعة
الفائقة الغالبة القاهرة (والبراهين الواضحة) أى وبالادلة الظاهرة (والكرامات البينة) أى الخوارق اللائحة وهى أعم من المعجزات فانها مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة مما يصدق الله تعالى بهما أنبياءه فى دعوى النبوة وسميت معجزة للاعجاز عن الاتيان بمثلها وسميت آية لكونها علامة دالة على تصديق الله تعالى لهم مع ان المقام مقام يذم فيه الايجاز ويمدح الاطناب سيما فى خطاب الاحباب (التى شاهدها) أى عاينها واغرب التلمسانى بقوله أى حصرها ففاعل بمعنى فعل أى شهدها (من عاصره) أى من أدرك عصره وزمانه وروى من عاصرها أى البراهين والكرامات (ورآه من أدركه) أى صادف أوانه ويروى من أدركها (وعلماء علم اليقين) وفى نسخة علم يقين أى من غير شك وتخمين قال بعض العارفين علم اليقين ماكان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه بنعت العيان بعد
فعلم اليقين لاصحاب العقول وعينه لاصحاب العلوم وحقه لاصحاب المعارف (من جاء بعده) أى من التابعين واتباعهم (حتى انتهى) أى الى ان وصل (علم حقيقة ذلك) أى بلغ حقيقة ماهنالك (الينا)

المنزهة عن النقائص (والفضائل العديدة) أى المعدودة من المفاخر من قولهم فلان عديد بنى فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به أو المراد الكثير قال صاحب المحكم فى قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاج مصدرا وقال المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون نعتا لسنين والمعنى ذوات عدد والفائدة فى قوله عددا فى الاشياء المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشئ لانه اذا قل فهم مقداره وعدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى العد فالعدد فى قولك أقمت أياما عددا تريد به الكثرة انتهى فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمسانى انه من العد بالكثر لما فى الكثير تكلف نشأ من ان ذكر العدد يدل على القلة كما ذكره ابن هشام عن ابن عبد السلام فى هذه الآية من ان عددا بمعنى معدودة ذكر ليدل على القلة لان ما كثر فى الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة رؤس الآى انتهى (وتأييده بالمعجزات الباهرة) التأييد النصر والتقوية من الايد وهو القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدى وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما فى الاصل أمر وجودى أو متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال عجز الحجر عن الحركة وهو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى أو بزمانه على وجه يدل على صدق مدعى النبوة لذى من شانه التحدى ولا يشترط فيه التحدى بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة أو الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه قمر باهر أى تام الاضاءة أو الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

(والبراهين الواضحة) جمع برهان وهو الدليل القوى الذى يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقى لميا وانيا وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة (والكرامات البينة) جمع كرامة وهى أمر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فيكون للنبى والولى وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى بالقوة أو بالفعل وبقولنا أكرم الخ خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك (التى شاهدها من عاصره) أى كان فى عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين من الشهود وهو الحضور عنده أو المراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر (ورآها من أدركه) أصل معنى الادراك اللحوق يقال أدرك زمنه اذا لحقه ومنه أدرك الطعام والثمر أى لحق حال النضج وادراك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر الشئ لحوقه برؤيته ثم شاع فى معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا واذا كانتا وهم يمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وشاهد حاله كله من الاولين والسابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب فى مقام الخطابة مستحسن وفى نسخة عاصرها وادركها والاولى أولى (وعلمها علم يقين من جاء بعده) من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار بعض آخر منها ونحو ذلك مما ينفى الشبه وعلم اليقين كشجر الاراك فاضافته لامية أو بيانية على رأى ويلحق به ما كان بطريق الكشف (حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا) أصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون كما فى قوله

* وكل شئ بلغ الحد انتهى *

والمراد انه بلغنا ووصل الينا الان من انتهى اليه الشئ وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا لا يناسب ما مر من تفسير من أدركه بمتاخرى الصحابة ممن ولد

وفاضت أنواره) أي ظهرت آثاره وكثرت أنواره ويروى أنوارها (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا) وفي بعض النسخ أخبرنا (القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ) رحمه الله تعالى وهو

الاندلسي المعروف بابن سكرة بضم فتشديد ترجمته معروفة استشهد بثغر الاندلس سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان من أهل العلم بالحديث (قراءة مني عليه) نصب قراءة على نزع الخافض أو على انه تمييز أو حال أي حدثنا بقراءة أو من جهة قراءة أو حال قراءة مني عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخاري ومن تبعه (قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار) أي ابن أحمد الحمامي بفتح مهملة وتخفيف وهو من أهل الخير والصلاح على ما ذكره ابن ماكولا في اكماله (وأبو الفضل أحمد بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية ممنوعا وقد يصرف ثقة عدل متقن له ترجمة في الميزان توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة قال الحلبي رأيت عن المزني ان الاصل في خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه لشبهه بالجمع المذكر السالم

بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة مفتكون عبارته شاملة لجميع الامة تفصيلا والافهذا داخل فيما قبله لانهم ممن جاء بعده (وفاضت أنواره علينا) أصل معنى الفيض في الماء ونحوه من المائعات يقال فاض السيل اذا كثر وأفاض بالالف لغة وفاض الاناء فيضا امتلأ وافاضه صاحبه ملأه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث انتشر واشتهر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعي وأثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بماء سائل متدفق والمراد بانواره ما ظهر من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو للعالم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما أو أراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذة من ظلمة الضلال وفي نسخة وفاضت حقيقته وأنوارها أي الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال في نفس الامر وضمير أنوارها للحقيقة أو للكرامات (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا) أي دائما عقب ما ذكر مما وصل للامة من خيره بالدعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم ولولا ه الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة مني عليه) قراءة منصوب بنزع الخافض أي بقراءة مني عليه أو مفعول مطلق أي وانا اقرأ قراءة مني عليه صفتان له وهذا الحديث أسنده المصنف رحمه الله تعالى من طريق الترمذي وهو حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقي في سننه والقاضي المذكور شيخ المصنف قرأ عليه بالاندلس وهو ابن فيرة بن حيون الصدفي السرقسطي الاندلسي المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة في اسماء الرجال وقال الشهيد لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس في وقعة قتندة وقعت في سادس ربيع الاول سنة أربع عشرة وخمسمائة وله من العمر نحو من ستين سنة والحافظ وصف لكل من أكثر رواية الحديث واتقنها وقد انقطع هذا في عصرنا وكان آخر الحفاظ السيوطي والسخاوي وبين بقوله قراءة الخ وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم يكون بقراءة الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع ابن الصلاح رحمه الله تعالى ان يقول من قرأ على الشيخ حدثنا مطلقا وان أجازه غيره كما فصلوه (قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار) ابن أحمد المعروف بالحمامي بفتح الحاء المهملة وتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من أهل الخير والصلاح (وأبو الفضل أحمد بن خيرون) في المقتفى هو الحافظ الناقد أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادي الباقلاني سمع من أبي علي بن شاذان وأبي بكر البرقاني وروى عنه خلق كثير وروى عنه شيخه الخطيب أبو بكر وأبو علي بن سكرة وأبو عامر العبدري وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفي في رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وله من العمر أربع وثمانون سنة وقد ذكره في الميزان وصحح عليه وخيرون بفتح الخاء المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المزني ان الاصل في خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى يعني ان هذه الصيغة لما لم تعهد في الاعلام المفردة اشبهه من الاسم الاعجمي وهو أحد الوجوه في امثاله من الاعلام التي على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما في شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرف بالحروف اعراب الجمع حكاية لاصله و يعرب بالحركات مع لزوم الياء كغسلين أو الواو كهارون ويمتنع حينئذ من الصرف كما ذكرناه وقال أبو العلاء المعري في كتاب عبث الوليد ان بعض العرب يجعل ألف نحو الصلاة واوا فهذا منه ولذا امتنع انتهى والاظهر انه بناء على اعتبار المزيدتين مطلقا عند بعضهم كالفارسي كما قالوا في سيرين وغلبون

(قال) أى كلاهما (حدثنا أبو يعلى البغدادى) بالمعجمة فى الثانية وهو الاصح والا فيجوز بمهملتين ومعجمتين وباهمال احداهما واعجام الاخرى وهو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر يعرف بابن زوج الحرة (قال حدثنا أبو على السنجى) بكسر مهملة وسكون نون فجيم نسبة الى بلدة تسمى سنج مرو (حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى المروزى التاجر الامين راوى جامع الترمذى عنه مشهور (قال حدثنا أبو عيسى بن سورة) بفتح مهملة وسكون واو فراء (الحافظ) أى الترمذى وهو صاحب الجامع الضرير قيل ولد اكمه قال الذهبى ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول أبى محمد بن حزم انه مجهول فانه ما عرفه ولا أدرى بوجود الجامع ولا الى علل انتهى ولاشك ان تجهيل الترمذى يضر ابن حزم بلا عكس كما لا يخفى (قال حدثنا اسحق بن منصور) هذا هو الكرسج الحافظ روى عن ابن عيينة فمن بعده وعنه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه (حدثنا عبد الرزاق) أى ابن همام بن نافع أبو بكر الصغانى الحافظ أحد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وابى ثور وعنه أحمد واسحق صنف الكتب أخرج له أصحاب الكتب الستة (أنبانا معمر) بفتح الميمين ابن راشد أبو عروة البصرى عالم اليمن أخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى أربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله ابن سرجس وأنس وخلق وعنه أيوب وشعبة وخلق (عن أنس رضى الله عنه) أى ابن مالك خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترجمته شهيرة ومناقبه كثيرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى) أى جىء (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء سمى به لسرعة سيره كالبرق أو لشدة بريقه وقيل لكونه أبيض وقال المصنف لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقد وصف فى الحديث بانه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة فى البيض انتهى وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ويضع حافره عند منتهى طرفه كما فى الصحيح وفى رواية على ما نقله ابن أبى خالد فى كتاب الاحتفال فى أسماء خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى وفى تفسير الثعلبى جسده كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كانه ياقوتة وظهره كانه درة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يمر كالبرق

صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه أراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والا فشرطه صيغة منتهى الجموع وتبعه الشارحان خبط ناس من عدم الوقوف على كلام النحاة فى أمثاله (قال حدثنا أبو يعلى البغدادى) أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا رحمه الله تعالى وقال انه سمع على بن على السنجى جامع الترمذى ببغداد ويعلى بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة (قال حدثنا أبو على السنجى) بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم ياء نسبة لسنج مرو وهو كما قال ابن ماكولا أبو على الحسين بن محمد بن أحمد ابن شعبة المروزى السنجى ورد بغداد وحدث عن الترمذى بجامعه عن أبى العباس محمد بن أحمد ابن محبوب عن الترمذى وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره (قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى المروزى راوى جامع الترمذى (قال حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ) سورة بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة ثم راء مهملة وهاء والد أبى عيسى الترمذى الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن قيل انه ولد أكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات بترمذ فى رجب سنة مائتين وتسعة وسبعين قال الذهبى فى الميزان انه ثقة مجمع عليه ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف أحواله وترمذ بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعانى ونصبهما كما قاله النووى فى التهذيب (قال حدثنا اسحق بن منصور) الكوسج الحافظ المشهور توفى فى سنة احدى وخمسين ومائتين وهو ثقة فى الرواية (قال حدثنا عبد الرزاق) بن همام بن نافع أبو بكر الصنعانى أحد الاعلام الثقاة الذين يروى عنهم أصحاب الكتب الستة وهذا حديث حسن مسند فى الترمذى وغيره ولم يروه الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قاله صاحب المقتنى والسيوطى فى تخريج أحاديث هذا الكتاب قال (أخبرنا معمر) هو بفتح الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالراء معمر بن راشد بن عروة البصرى عالم اليمن ثقة له أوهام معروفة احتملت له فى سعة ما أتقن وله ترجمة فى الميزان توفى فى رمضان سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة باليمن أخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى أربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وأنس وخلق كثير وعن أيوب وشعبة وخلق توفى سنة سبعة عشر بعد المائة وقيل غير ذلك وله ترجمة فى الميزان (عن أنس بن مالك) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وستاتى ترجمته فى الباب الثانى (ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق) بصيغة المجهول أى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام

والسلام به فحذف فاعله لشهرته كما صرح به في غير هذه الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث (براق) كغراب
دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به لشدة سرعته كما يقال مركانه برق خاطف أو لشدة تلألئه وبريقه
أو بياضه وقال المصنف رحمه الله تعالى انه سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقاء اذا كان خلال بياض
صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث من انه أبيض
الأذن يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتاب خيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه
الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور وجسده كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان
وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مضمومة وراء مهملتين وفاء كعرف الفرس وقوائمه كالابل واظلافه
كالبقر كأنها ياقوتة وظهره كدرة بيضاء وله جناحان في فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما ورد في
الصحيح وهو مذكر وسمع تأنيثه باعتبار الدابة وقيل تذكيره كتذكير الملك وتذكير وصفه فان بني
التذكير على عدم التأنيث لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه ليس بذكر ولا أنثى وقول جبريل
في رواية ثاني يابراق لا تنفري لا ينافيه لانه نظر الظاهر حاله واحتمال التأويل أو نظرا للحوق تاء
الوحدة اذ لم يقم دليل على أحد الشقين وقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين أغلبي أو مخصوص
بدواب الارض وصيغة المذكر لا تختص بماله مؤنث لانها أصل فلا جمع بين معنيين متنافيين في قائم
وقائمه كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مانع
منه كذلك العرش أو هو دابة مخلوقة في الجنة وقد قالوا انها تدخلها بعض دواب الارض أيضا وبلغوها
نحو عشرة ونظموها في شعر مشهور (شعر)

براق شفيع الخلق ناقة صالح * وعجل لابراهيم كبش لنجله
وهدهد بلقيس ونملة بعلها * حمار عزير كلب كهف لمثله
وحوت ابن متى ثم باقورة لمن * يبربام في رحاه ومحله
فهذه عشر في الجنان وغيرها * يكون ترابا يوم حشر لكله

(ليلة أسري به) بصيغة المجهول والجار والمجرور قائم مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية لان
والاسراء كان ليلا في سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل لسبعة عشر خلت من رمضان وقيل سبع
وعشرين من ربيع الآخر وقيل من رجب وقيل انه كان في شوال وكان ليلا لانه أدل على القرب وسنه
صلى الله تعالى عليه وسلم خمسون سنة وتسعة أشهر وأسرى وسرى بمعنى وهما سير الليل وقيل أسرى
لاوله وسرى لآخره واختار السهيلي ان سرى لازم وأسرى متعد ترك مفعوله والاسراء والمعراج كانا
في ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سيأتي لان ما ذكر هنا استطرادي (ملجما مسرجا)
مخففان بزنة مصحف أي مهيأ للركوب بسرجه ولجامه وهما حالان من البراق وهل هو علم أو اسم
جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده معرفا ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال
عليه بقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين مما لا ينبغي الاشتغال به لكن الامام السهيلي رحمه الله
تعالى أفاده انه كان قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركبه الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ذكره في شرح السيرة وستسمعه عن قريب (فاستصعب عليه) ضمير استصعب
للبراق أو للركوب المعلوم من السياق وضمير عليه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي انه صلى الله
عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق أيضا أي صار
الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول لانه

(ليلة أسرى به) ظرف
بني على الفتح لاضافته
الى الجملة الفعلية الماضوية
المبنية للمجهول (ملجما
مسرجا) اسما مفعول
من الالجام والاسراج
وهما حالان مترادفان
أو متداخلان (فاستصعب)
أي استعسر البراق
(عليه) أي لبعد عهده
بالانبياء من جهة طول
الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام
على ما ذكره ابن بطال
في شرح البخاري وهي
ستمائة سنة على ما ذكره
التلمساني أو لانه لم يركبه
أحد قبل نبينا محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم بناء
على خلاف سيأتي في
ذلك وقيل استصعب
تيها وزهوا بركوبه عليه
السلام

سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت الامر أي وجدته صعبا يعني انه امتنع وأبى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر أي شمس كما ورد في بعض الروايات ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون وروي ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام مسك ركابه وميكائيل عليه الصلاة والسلام زمامه ومن هنا علم ان قول بعض الشعراء في مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم * جبريل خادمه وميكائيل * ليس بمنكر لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه أحد قبله قال الشمني رحمه الله تعالى وهو مبني على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يركبه أو هو لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه في ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه أحد منهم وان ركبوا غيره أو لما في جبلة الفرس الاصيل من عدم التذلل كلام واه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأباه ما روي من انها نفرت ونفشت عرفها وقيل كان خوفا من تقصيره في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انما توقف حتى يأخذ عليه العهد أن يركبه في الجنة كما في قصة الجزع وحنينه ومن القريب ما في تذكرة القرطبي في تفسير قوله تعالى خلق الموت والحيوة ان الموت خلق في صورة كبش والحياة في صورة فرس انثى بلقاء وقد كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وطعن الحلبي في صحته عنه وقال السهيلي في الروض الانف بعد ما نقل الخلاف في ان البراق هل كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تركبه قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولا وما ورد فيه ان سبب نفاره ما ورد في كتاب البعث ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال له يا محمد هل مسست الصفراء اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لمن يعبد من دون الله وقد اختلفوا في المراد بالصفراء فيه فقيل الذهب وعبادتها حبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل لكل شئ مغناطيس ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم من ذهب كسره صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح وسببه اما اهانة أو لارادة كسره أو غير ذلك وقال ابن حجر رحمه الله تعالى هذا واه جدا * أقول في الخصائص الكبرى ان ابا يعلى وابن عدي والبيهقي وابن عساكر أخرجوا عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال الطبري والبيهقي معنى قوله انما عهده الى آخره انه شهد من استلم الاصنام لا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم استلمها أو المشاهد مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد الاصنام وقال ابن حجر هذا الحديث أنكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده الى آخره فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس بمراد انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروي أيضا ان بوانة صنم كانت لقريش تشهده يوما في السنة وأبو طالب معهم فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ان يحضره فابى فغضب هو وعماته فقالوا له يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا أو تكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال اني أخشى ان يكون بي لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رأيته قال اني كلما دنوت من الصنم منها تمثل لي رجل أبيض يصيح وراءك يا محمد لا تمسه فما عاد صلى الله تعالى عليه وسلم الى عيدهم حتى تنبأ وانما فصلنا هذا الان الامام السهيلي تردد فيه في الروض بقي هنا انه هل أردف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل أم لا فذكر البرهان

انه أردفه خلفه وفى رواية انه ركب قدامه والذى ظهر لى انه انما استصعب لما لم يعرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وظن انه غير نبى فلذا عرق خجلا لما اعلمه جبريل عليهما الصلاة والسلام بانه نبى الله (فقال له جبريل) عليه الصلاة والسلام للبراق لما فعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت أربعة عشر لغة جبريل وجبرين وغيرهما مما يأتى فى اثناء الباب الثانى وببعضها قرئ وهو عبرانى أو سريانى ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله تعالى فى لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لا يعرف من أسماء الله تعالى ليس بشئ (أبمحمد تفعل هذا) فى نسخة زيادة يا براق وفى رواية ابن حبان ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه وروى البيهقى يا براق والله ما ركبك مثله وروى البزار يا براقة لا تنفرى من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل من محمد ولا اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى أحب أن اكون فى شفاعته فقال انت فى شفاعتى انشاء الله قيل ففى رواية المصنف رحمه الله تعالى اختصار فان قيل بتعدد الاسراء فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكارى وقدم الظرف لتخصيص الانكار أو زيادته به لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب أو لما فهم منه كما أشار اليه بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه) ألفاء للسببية وأكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللؤم والكرم فى العرف بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول فان قلت المراد انه ليس أحد عند الله أكرم منه ولا أفضل ولا مثله ولا يدانيه والعبارة قاصرة * قلت قال فى شرح المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ومثله وان كان ظاهره نفى أفضلية الغير لكن انما يساق لاثبات أفضلية المذكور ولهذا أفاد أفضلية أبى بكر رضى الله تعالى عنه والسر فيه ان الغالب فى حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوى فاذا نفى افضلية احدهما ثبت أفضلية الآخر انتهى وقيل اذا قيل ليس فى البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف فى استعمال البلغاء وروى هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ الافضل لا بد له من مساواة المفضول من بعض الوجوه وان زاد فى بعض آخر فقصد بنفيه نفى لازمه وهو المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر انه ثابت وقال النووى انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقيل الذى رواه النسائى والسهيلى وابن هشام والقرطبى انه ركبه غيره من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام حتى قيل ان ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحج عليه فى كل سنة حتى قيل له براق ابراهيم وقول النووى اشتراك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه يحتاج الى نقل صحيح يحتمل انه انكار لعموم المشاركة ثم ان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه فى الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف أى معراج من نور وقال الشيخ عز الدين بن غانم المقدسى فى كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى بيت المقدس الاول البراق ثم مركبه الثانى الى سماء الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث من سماء الدنيا الى السماء السابعة أجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم مركبه الخامس

(فقال له جبريل) وفيه ثلاث عشرة لغة والمتواتر منها أربع معروفة (أبمحمد تفعل هذا) أى يا براق كما فى رواية وضبط تفعل بالخطاب المذكر ولو روى بصيغة المجهول الغائب لكان له وجه والهمزة للانكار التوبيخى والاشارة الى الاستصعاب المفهوم من استصعب (فما ركبك) بالخطاب المذكر تعظيما له (احد اكرم) بالرفع والنصب (على الله تعالى منه) وفى رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى أحب ان اكون فى شفاعته فقال أنت فى شفاعتى

(قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنس رواية عنه (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة أى فسال البراق (عرقا) نصب على التمييز المحول من الفاعل أى تبدد عرقه حياء وخجالة مما صدر عنه بمقتضى طبعه فهذا يؤيد القول الاول فتامل وقد قال الزبيدى فى مختصر كتاب العين فى اللغة وصاحب التحرير وهى دابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء قال النووى وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الانبياء معه يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد قال ابن بطال بما معناه ركبها الانبياء وأقره السهيلى على ذلك وفى سيرة ابن هشام انه بلغه عن عبد الله يعنى ابن الزبير فى حج ابراهيم البيت وفى آخره وكان ابراهيم يحجه كل سنة على البراق انتهى ونقل القرطبى فى تذكرته قبيل أبواب الجنة بيسير عن ابن عباس ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فتجعل الموت فى هيئة كبش لايمر بشئ ولايجد ريحه شئ الامات وخلق الحياة فى صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار دون البغل لاتمر بشئ يجد ريحها الاحيي الى أن قال حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس والماوردى عن مقاتل والكلبى وفيها أيضا فى صفة الجنة ونعيمها ان البراق يركبها الانبياء مخصوصة بذلك فى أرضها وهذا من كلام الترمذى الحكيم وحديث فما ركبك أحد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم صريح فى ذلك وكل هذا يرد على النووى كذا قاله الحلبى لكن فيه بحث اذ ليس فيما ذكر نقل صحيح ولادليل صريح على ان البراق واحد مشترك فيه فعلى تقدير صحة التعدد ينبغى أن يجعل اللام للجنس جمعا بين الروايات وان يكون لكل نبى براق لكن أخرج الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا وأبعث على البراق فهذا يشير الى اختصاصه عليه السلام يومئذ به واشتراكه قبل ذلك اليوم وقد ذكر السيوطى فى البدور السافرة قال معاذ وأنت تركب العضباء يارسول الله قال لاتركبها ابنتى وأنا على البراق اختصصت به دون الانبياء يومئذ الحديث فهذا ظاهره اتحاد البراق مع احتمال اختصاصه بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء حينئذ والله تعالى أعلم وقد جاء فى بعض الروايات ان جبريل عليه الصلاة والسلام أيضا ركب معه عليه الصلاة والسلام والظاهر انه ركب خلفه بل جاء صريحا فيما رواه الطبرانى فى الاوسط من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه ان جبريل أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه الحديث قال الطبرانى لايروى عن أبى ليلى الا بهذا الاسناد قال الحلبى وهو معضل ويرده قول العسقلانى انه ليس بمعضل بل سقط عليه قوله عن جده وهو ثابت فى أصل الطبرانى انتهى وفى مسند أبى يعلى عن علقمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت بالبراق فركب خلفى جبريل عليه السلام الحديث قال الحلبى فهذا نقل فى المسئلة ولكنه مرسل قلت والمرسل حجة عند الجمهور وقد ذكر ابن حبان فى صحيحه ان جبريل عليه السلام حمله على البراق رديفا له قال الحلبى هذا وما تقدم يتعارضان لكن حديث أبى يعلى ضعيف ولو صح لجمع بينهما بانه تارة ركب هذا ذهابا أو ايابا والآخر كذلك اذا قلنا ان الاسراء مرة وهو الصحيح على ماقاله بعضهم قلت الصواب فى دفع التعارض والجمع بين التناقض ان يجعل رديفا حالا من الفاعل فى حمله على ما هو الظاهر ليكون الضميران المستتران لجبريل عليه السلام والبارزان له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المقتضى للادب خصوصا فى الرسول بالنسبة الى المطلوب المحبوب ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابى ذر وقد رآه يمشى امام أبى بكر أتمشى أمامه وهو خير منك ثم اعلم انه اختلف فى الاسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة أولا وأيهما كان قبل الآخر وهل كان ذلك فى اليقظة أو المنام أو بعضه كذا وبعضه كذا أو يقال أسرى به ولايتعرض لمنام ولايقظة على مافى أوائل الهدى لابن القيم فتصير الاقوال خمسة وهل كان المعراج مرة أو مرات واختلفوا فى زمانه فقيل للسابع والعشرين من شهر ربيع الاول وقيل من الآخر وقيل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وبه جزم النووى فى الروضة فى السير وخالف فى الفتاوى فقال انهما ليلة السابع والعشرين من شهر الربيع الاول وخالف المكانين المذكورين فى شرح مسلم فجزم بانهما ليلة السابع والعشرين من شهر الربيع الآخر تبعا للقاضى عياض وعن الماوردى انهما فى شوال وسيأتى أقوال سبعة فى تعيين السنة

الرفرف الاخضر من النور مد ما بين الخافقين (قال) هو من كلام الراوى عن أنس رضى الله تعالى عنه (فارفض عرقا) أرفض بهمزة وراء ساكنة مهملة وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة أحمر بمعنى سال وتصبب وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله أو مهابته من استصعابه وثبوت الخجل لنحوه غير مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشرش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف رحمه الله ارفض بمعنى خر على الارض

و برك

وبرك كما روى انقض أيضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقر وفي السيرة ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار وقلت في معناه بديهة (شعر)

عرق البراق وقد أراد محمد * يعلوعليه لاجل جل مصالحه

فكانه لنفاره خجلا بدا * لتأسف يبكي بكل جوارحه

واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى انما ذكر هذا الحديث مستندا على خلاف دأبه في هذا الكتاب وغير أسلوبه في غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا أول الاقسام وتاج التراجم والمرام وتقديمه له لاهتمامه به صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة على ما أراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا مالم يتيسر لغيره من الانبياء عليهم السلام مما يقصر عنه الافهام وتتحير فيه العقول والاوهام وهو دعوة الملك الجليل له ليلا لحظائر قدسه كما يدعى المقرب المطلع على الاسرار وأرسل لدعوته عظام ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوا وأرسلوا له بعض المقربين بمركوب كانوا يسمونه فرس النبوة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة وتجلى له بلا حجاب ولذا قال جبريل عليه الصلاة والسلام انه أكرم خلقه عليه وسيأتي تفصيله في بابه ان شاء الله تعالى

* (الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه) * الثناء المدح كما تقدم تقريره (واظهاره عظيم قدره لديه) بقول غير ثناء ظاهرا كالقسم به والامر باتباعه فهما متغايران اذ الاصل في العطف التغاير أو أراد بالفعل القول الصريح في ثناء وغيره والمراد عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو مطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهي وهو تباين جزئي فالثناء من غير تفضيل ينفرد به الاول وينفرد الثاني بالاسراء ونحوه ومادة الاجتماع تفضيل بالقول على غيره فان اريد بالثناء ما يدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح (اعلم ان كتاب الله العزيز) بالجر صفة لله أو للكتاب لان العزيز بمعناه القوي الغالب ويقال عزه اذا غلبه وفي المثل من عزبز وهو من أسمائه تعالى ويوصف القرآن به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فان كل كتاب وغالبه واعلم أمر من العلم يصدر به ما يعتنى به من الكلام تقوية وتأكيدا وحثا على القاء البال لما بعده تنبيها على انه مما ينبغي ان يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك في القرآن وكلام العرب كقوله (فاعلم أنه لا اله الا الله) ولذا التزم بعده غالبا ان المؤكدة كقوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتي كل ما قدرا

(آيات كثيرة) اسم ان كثيرة وصفته جمع آية وأصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القرآن وجمع من الحروف له مبدأ ومنقطع مندرجة في سورة في الاكثر وفي اشتقاقها وتصريفها ما مر شيء منه (مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مبينة له والافصاح لغة الكشف ويقال أفصح اذا أتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمصنف رحمه الله تعالى عداه بالباء ولم يسمع فهي بمعنى عن فانها تأتي بمعناها ولا يختص هذا بمادة السؤال كما في قوله عز وجل فاسئل به خبيرا أو هو مضمن معنى ناطقة أي دالة أو محمول على ما هو بمعناه كانبي أو المراد انها مبينة في حد ذاتها والباء للملابسة من أفصح اللبن اذا ذهبت رغوته وجميل ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بان الذكر الجميل يظهر بها لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات وخصه بعضهم بالاختياري ولنا فيه كلام في حواشي التهذيب (وعد محاسنه) أي تفصيلها لما بينهما من الملازمة في الجملة وفيه ايماء الى ان تفصيلها لا يحيط

(الباب الاول) أي من القسم الاول (في ثناء الله تعالى) أي مدحه (عليه واظهاره عظيم قدره لديه) أي عنده في مقام قربه كما يفهم من الآيات المتلوة والاحاديث النبوية وقال الدلجي أي عنده في اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة زيادة شرفه وتميزه على غيره اذ هي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه انتهى لكنه يحتاج الى نقل كما لا يخفى ثم قال الدلجي الثناء هنا باعتبار غايته فهو اما نعام بانواعه من تكريم وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى الحمد والشكر أو المدح أو عام فيهما وموورد ذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا لكون العلاقة غير المشابهة ففيه بحث ظاهر اذ الثناء من باب الكلام وهو في حقه سبحانه وتعالى ثابت حقيقة على ما عليه أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فلا يحتاج الى اعتبار مجاز الغاية بخلاف صفتي الغضب والرحمة لما حقق في محلهما والله تعالى أعلم (اعلم) خطاب عام وهو الاحق أو خاص بالسائل كما سبق (ان في كتاب الله العزيز) أي النادر في بابه أو الغالب على سائر الكتب بنسخه في خطابه (آيات كثيرة مفصحة) أي موضحة مصرحة (بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المجتبى في باب الصفاء والوفاء (وعد محاسنه) أي وبتعداد مكارم أخلاقه

(وتعظيم أمره وتنويه قدره) أي رفعة شأنه وحكمه (اعتمدنا منها) أي معظم تلك الآيات (على ما ظهر معناه) أي من منطوق الدلالات (وبان فحواه) أي تبين مقتضاه من مفهوم العلامات على ماله من الكمالات (وجمعنا ذلك) أي ماذكر من الاصول في عشرة فصول (الفصل الاول) أي النوع الاول من هذا الباب (فيما جاء) أي في كتابه (من ذلك) أي مماذكر من الآيات (مجيء المدح والثناء) نصب مجيء على المصدر (وتعداد المحاسن) بفتح التاء أي ومجيء تكرار أخلاقه الحسنة وهو جمع حسن على غير قياس ونصبه على ما في نسخة غير مستقيم (كقوله تعالى) ٨٠ وفي نسخة لقوله تعالى باللام وهو غير ملائم للمرام (لقد جاءكم رسول من أنفسكم

به نطاق البيان (وتعظيم أمره) أي شأنه وماله في نفسه أو هو مقابل النهي والمراد ايجاب اتباعه فترك النهي اكتفاء لان الامر بالشئ نهي عن ضده أو المراد مطلق الطلب مجازا (وتنويه قدره) أي رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم أو تعميم بعد التخصيص (اعتمدنا منها) أي من الآيات والمراد باعتماده على بعضها اقتصاره عليه أو جعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اذا اتكأ عليه وليس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة آيات وجمعنا الآتي بعده معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على رأي من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر (على ما ظهر معناه وبان فحواه) ظهر وبان بمعنى أي اتضح وانكشف والمعنى ما فهم من اللفظ ويراد به ما يقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفاء لا ما اصطلح عليه الاصوليون والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد ويقصر والاشهر فيها القصر كذا قال أبو علي في المقصور والممدود مأخوذ من الفحا وهي التوابل والابزار قيل وينبغي ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف ولذا اعتبره فقهاؤنا في ظاهر الرواية وانما الخلاف في صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه لما قيل ان المصنف مالكي المذهب ومالك رضي الله تعالى عنه لا يقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه قائل به لخروجه عن سنن السداد وقيل انه بمعناه اللغوي فهو من عطف أحد المترادفين على الآخر وقد تخص الفحوى بما يفهم قطعا أو من خلال التراكيب وان لم يكن بالمطابقة (وجمعنا ذلك) المعتمد عليه (في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء) وليس من قبيل الفصول المذكورة والمدح والثناء متقاربان وليس من عطف الخاص على العام كما قيل (وتعداد المحاسن) بالجر عطف على المدح وذكر الحلبي انه صحح نصبه ووجهه بان أصله ومجيء تعداد على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بعد حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوبا على الحانية سهو وتعداد بفتح التاء مصدر بمعنى التعديد (كقوله) تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية) بالنصب بتقدير أعني أو اذكر أو اقرأ اشارة لبقية الآية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الآية آخر آية نزلت وقد قيل يستفتونك في آخر النساء وآخر سورة براءة وقيل آية الربوا وأراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع في حديث جمع القرآن ان هذه الآية لم توجد الامع خزيمة الانصاري رضي الله تعالى عنه ووقع في البخاري مثله في قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخره واستشكل ذلك بانه ينافي اتفاقهم على تواتر القرآن وأجيب بان المراد التثبت في تلقيها ممن تلقاها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة في استظهار ما كتب بين يدي النبي صلى الله

الآية) بدأ بها فانها مشتملة على جملة من امتنانه سبحانه مما يوجب تعظيم رسوله ويعلي شأنه منها القسم المستفاد من اللام المقرونة بقد الدالتين على تحقيق الكلام ومنها الايماء في جاء الى ان رسولنا لو كان في الصين لكان الواجب عليكم المأتى اليه لتعلم علم الدين ومعرفة اليقين فيكون اتيانه فضلا منا عليكم واحسانا منه اليكم فيجب حسن استقباله واطاعة أمره واقباله ومنها تنكير رسول فانه يشير الى انه رسول عظيم تفخيما لشأنكم وتأييدا لبرهانكم ومنها انه جعل من جنسكم البشري فانكم لن تطيقوا على التلقين الملكي وليكون ادعى الى متابعته حيث يفعل هو أيضا بمقتضى مقالته ولو كان ملكا لربما قيل ان القوة البشرية

تعالى

ليست كالقدرة الملكية ومنها انه جعل من صنفكم العربي والا لقلتم أرسل اليه عربي والرسول اليه أعجمي ثم بقية الآية عزيز عليه ما عنتم أي شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم في عذابكم حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم والرأفة أشد الرحمة فذكر الرحيم تذييل أو عكس مراعاة للفواصل لا لكونه أبلغ كما توهم الدلجي

(قال السمرقندي) بفتح سين مهملة وميم وسكون راء هو المشهور على الالسنة وا ماضبطه بعض المحشين كالتلمساني وغيره من سكون ميم وفتح راء فهو لحن على ماصرح به القاموس وهو الامام الجليل الحنفي المحدث المفسر نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه أبو الليث المعروف بامام الهدى تفقه على الفقيه أبي جعفر

الهندواني هو الامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة العديدة توفي سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة له تفسير القرآن أربع مجلدات والنوازل في الفقه وخزانة الفقه في مجلدة وتنبيه الغافلين وكتاب البستان وذكر التلمساني انه أبو علي واسمه الحسن ابن عبد الله منسوب الى بلدة سمرقند من أهل الظاهر روى عن داود ابن علي الظاهري لكن المعتمد هو الاول وسيأتي في مواضع من كتاب الشفاء حيث روى عنه القاضي بواسطة واحدة والله أعلم أبو الليث السمرقندي متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره التلمساني (وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء) وهي قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وقرأ به عكرمة وابن محيص وغيرهما في المستدركة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها كذلك (وقراءة الجمهور بالضم) وضبطه بعضهم بالفتح وهو غير مشهور وضبط قراءة بصيغة المصدرية ويمكن قراءته بالجملة الفعلية ثم رأيت في حاشية انهما روايتان والجمهور بالضم معظم الناس (قال القاضي الامام أبو الفضل وفقه الله تعالى) أي المصنف (أعلم الله تعالى المؤمنين

تعالى عليه وسلم أوانه وجد من شاركه في حفظها فتواترت وقيل المنفي وجودها مكتوبة لامحفوظة فتدبر (قال أبو الليث السمرقندي) رحمه الله تعالى نسبة لسمرقند مدينة معروفة بما وراء النهر قال التلمساني المصحح في النسخ بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الراء لحن وفيه نظر وهي معرب شمر كند وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندي هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفي المشهور صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان توفي ليلة الثلاث لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة من أئمة الحنفية أيضا آخر يدعى بابي الليث السمرقندي متقدم على هذا كما قاله السمعاني وهذا يعرف بالحافظ وبهذا اللقب يفرق بينهما (وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقرأ الجمهور بالضم) أي بفتح الفاء وضمها او اوفي قوله وقرأ من المحكي فهو معطوف على مذكور في أصله وفي عبارة المصنف على مقدر وفي المحتسب لابن جني انها قراءة عبد الله بن قسيط المكي ومعناها على الفتح من خياركم وأشرفكم ومنه قولهم هو من أنفس المتاع أي اجوده وخياره ومنه المنافسة وهي اشتداد الرغبات في أمر يقتضي التحاسد عليه والغبطة وهي كما في شرح ادب الكاتب مأخوذة من النفس فكان المنافس فيه لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه عنده وهذه القراءة شاذة كما علم من نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم لابن محيص ورواها فاطمة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم وانفس على الفتح أفعل تفضيل وجوز التلمساني فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى الضم جمع نفس لانه مامن قبيلة الا وقد ولدت من نسله صلى الله عليه وسلم كما يأتي الا بني تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور بالضم كثير من الخلق جمعه جماهير وحكى التلمساني فتح جيمه وهو غريب (قال القاضي الامام أبو الفضل) عياض وهو رواية بالمعنى لانه لايمدح نفسه وعبارة المصنف كما في بعض النسخ قال أبو الفضل وفقه الله تعالى وقد سقط كله من بعض النسخ المتداولة (أعلم) ماض من الاعلام (الله تعالى المؤمنين) جعل المخاطب هنا المؤمنين لقوله تعالى في سورة آل عمران (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب هو المسمى في الاصول بخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم في زمان النزول أو النازلين في مهبط الوحي أو يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلف فيها بعد الاتفاق على دخولهم في حكمه وانما الخلاف في كونه يدل عليهم وضعا أولا فالدلالة هل هي قياس أو اجماع أو دليل آخر وليس هذا محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور في المنطق بين الفارابي وابي علي في عنوان موضوع القضية وان لم ينتبهوا له ووجه التخصيص بالمؤمنين انهم المنتفعون ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم في الدارين وان كان رحمة لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب الامتنان عليهم أو اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعامه تغليبا اهتماما بارشادهم ولذا أكد بالقسم أوهو وللاشارة الى ان نطاق علمهم لم يحيط بعظيم قدره وقيل انه

لتنزيل العالمين منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن عظيم هذه النعم والتقصير عن شكرها وقيل هو لقصد
اعلام الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل ان قوله بالمؤمنين التفات مراعى فيه نكاته أو هو
من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعد هنا ورد بان المؤمنين
لاسيما الصحابة رضي الله تعالى عنهم عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان ينزلوا
منزلة غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها أو اراد مجرد توجيه الكلام نحوهم
والاظهر ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل عن هذه الصفات وفوائدها كما مر أقول هذا زبدة
القيل والقال هنا وتحت الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير يحتاج
للتنقيح والتقفير فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد
بناء على عدم المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التأكيد لعدم جهل المؤمنين وترددهم في
مضمونه احتاج للتوجيه فتدبر (أو العرب) على ان المراد بانفسهم جنسهم وانه صلى الله تعالى عليه
وسلم عربي مثلهم وقد رجح هذا أكثر المفسرين لتبادره ولان قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله
يدل على عموم اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عائد على الامة المسلمة السابقة في قوله من ذريتنا أي ابراهيم
واسمعيل اذ أمة من ذريتهما الا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته صلى الله تعالى عليه
وسلم بهم مدفوع بالقرائن والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذرية اسمعيل عليه الصلاة
والسلام والصحيح عند أهل التاريخ خلافه وقال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب اسمعيل
ليس أول من نطق بالعربية لان العرب من ولد قحطان وهو أول من تكلم بالعربية حين
تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل باليمن هو وأولاده ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل
بالحجر فكان منهم تسعة قبائل قديمة فنطقت ألسنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب
عليهم الصلاة والسلام ولما نزل أبو الله اسمعيل الحرم وهو صغير وأنبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم
فرأوا الماء فكونوا رأوه فأخبرتهم أمه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشأ اسمعيل عليه
الصلاة والسلام معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم فانكحوه منهم وقالوا انطق بالعربية ثم غيروه فقالوا
بالعربية لسان العجمي ويقال لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة في العرب كثير ز
و بعاس انتهى والذي قاله الازهري كما مر انهم نزلوا ببقعة أو سكنوا بلدة يقال لها عربة فسموا بها عربا
(أو أهل مكة) لانهم أقرب نسبا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانهم أول من جاء اليه أو لانهم أشرف
العرب وهو أشرفهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم
لان التخصيص المذكور لا يفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به
صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا عليه
الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم يبق على الارض الا من كان
معه فعموم رسالته لهم لعدم وجود غيرهم كآدم صلى الله عليه وسلم واما نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم فعموم رسالته من أصل بعثته على ان دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لم تعم من بعده وكون
نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل كما ورد في الحديث الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه
واستدل لعموم رسالة نوح صلى الله تعالى عليه وسلم بدعائه على جميع أهل الارض حتى هلكوا غير
أهل السفينة وأجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يؤمنون به فدعا على من لم يؤمن

أو العرب أو أهل مكة

من

من قومه وغيرهم الا انه لم ينقل لنا وأيضا شريعة نوح عليه الصلاة والسلام لم تبق الى يوم القيامة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم فاشركوا فدعا عليهم لانه عليه الصلاة والسلام لطول مدته اشتهر أمره فى جميع الارض وقال ابن دقيق العيد رحمه الله بالدعوة للدعو يجوز ان تكون عامة فى حق بعض الانبياء عليهم السلام وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن (أو جميع الناس) من بنى آدم الموجودين فى عصره ومن بعدهم الى يوم القيامة لامن تقدمه لان المذكور هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على غيره لما فى الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص وان دفع بان الادلة قد قامت على خلافه وقدمران فى الاول وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى منشئ ماذكر ولذا رجحه بعضهم وقدم الكلام فى ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليه بكونه من جنسهم لمشاهدتهم معجزاته التى تدعوهم للسعادة مع مافيه من الرفق بهم لان الجنس لجنسه أميل وآنس به ولذا قيل لو كان ملكا بهيئته الاصلية لم يتيسر لهم التلقى عنه ولا التلبس عليهم * فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس جميع المكلفين فيشمل الجن وقد صرح فى القاموس باطلاقه عليهم قلت قد صرح به جماعة من أهل اللغة والتفسير وصرح به ابن خالويه رحمه الله تعالى والعرب تقول ناس من الجن وفى الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل لهم من أنتم فقالوا ناس من الجن ولذا جوز بعضهم فى قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا للناس ومن الغريب قول السبكى انه مشترك بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك وقيل الناس هنا شامل لمن تقدم عهد الرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة الاخيرة انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم أو العالم فقصد اظهار المنة أو غلب وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار المنة للعالم وفى صحته نظر اقول وجه جعل المجئ شاملا لمن تقدم انه أخذ عليهم الميثاق على ان يؤمنوا به ويخبروا أممهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كانه جاءهم حقيقة أولانه سيشفع لهم فى المحشر فكان مجيئه لهم كغيرهم ولا يخفى بعده وان صح ثم ان اعلام الله بفائدة الخبر أولازمها اذا كان لكثيرين لامانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه لامانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بمافيه نفع عظيم ويمتن به فالتردد فى صحته لاوجه له (على اختلاف المفسرين) أى اعلامنا مبنيا على اختلافهم فى اختيار بعض لبعض هذه الوجوه وآخر لآخر لمابدا لهم من وجوه الترجيح كما أشرنا اليه (من المواجه بهذا الخطاب) من بفتح الميم اسم استفهام نونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه بكسر الميم حرف جر بيان للمؤمنين أى من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لائق والمواجه بضم الميم اسم مفعول مرفوع خبرا أو مبتدأ على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهه أو لخطاب مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى مايدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منها هنا وعلى مامر متعلق بمقدر صفة أو خبر مبتدأ مقدر أى هذا وماذكر مبنى الى آخره واصله فى جواب القائل من المواجه الى آخره والاختلاف مصدر متعد بالحرف يقال اختلف فى كذا والاختلاف مامر من التخصيص والتعميم فالمطلوب تعيين أحد الوجوه للسائل وهو كما قيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب امالتضمنه معنى العلم كما قالوه فى قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو على قول يونس يجرى به فى جميع الافعال أو الجملة الاستفهامية مستأنفة كما فى قوله تعالى

أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه) أى من الذى وقع له المواجهة من المؤمنين أو غيرهم (بهذا الخطاب) يعنى جاءكم فمن بفتح الميم موصول وكسر نونه فى الوصل لالتقاء الساكنين والمواجه بصيغة المفعول مرفوع ثم الظاهر العموم الشامل لجميع الانس بل والجن أيضا على وجه التغليب امامن اختار المؤمنين فلانهم المرادون فى الحقيقة والمنتفعون بمتابعته فى الطريقة واما من اختار العرب فاما يدل عليه ظاهر قوله تعالى حريص عليكم ولما يتبادر من قوله أنفسكم جنس العرب ولا ينافى مااخترناه من العموم فتح الفاء لانه اذا كان أشرف جنس العرب فيكون أفضل سائر الاجناس فانهم أكرم الناس لما تقرر فى محله واما من اختار أهل مكة فلما أشار اليه المصنف بناء على قراءة الضم

ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون في قراءة من بفتح الميم فتعلق الاختلاف متروك أو مقدر كأنه لما ذكر الآية قيل فيما اختلفوا فقيل في جواب القائل كما قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السؤال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وأيضا المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده وليس مرادا في هذه الآية الى آخر ما طواه بغير طائل مع ذكره أمورا مفصلة من العربية ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الا ان علماء الحنفية فرقوا بينهما كما ذكره الخصاف في أدب القضاء فقال الخلاف ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون في محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره يجوز له فسخه بخلاف الثاني وهذا معنى قولهم خلاف لا اختلاف (انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ان بالفتح وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولي اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التأويل الا انه لاشتماله على النسبة في حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع الوجوه كما بينه النحاة كما ذكروه وقد أفردناه بالتأليف في الرسائل ولذا قال المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما توهم ووأنفسهم هنا بضم الفاء جمع نفس والضمير في بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من قوله بهذا الخطاب بدل كل أو اشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان الخطاب للمؤمنين فالمراد بكونه من أنفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم ونوعهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشأ من تربيتهم وبين أظهرهم وان كان للناس فالمراد انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من بعث منهم ومن هنا تعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام (يعرفونه) بيان لفائدة كونه منهم وهي معرفتهم لذاته وصفاته وأحواله وذكره في الكتب القديمة وتواتر اخباره واضاءة أنواره وهذا جار على الوجوه كلها أيضا والمراد بالمعرفة المعرفة بالفعل أو بالقوة لان عندهم ما لا يخفى من ذلك والفعل على التغليب ولم يرد معرفة نبوته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان صح بالتأويل السابق (ويتحققون مكانه) أي قدره ورتبته ويحتمل ان يراد محله الحقيقي خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فائدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على أذيته أو انهم يعلمون انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأخذ ما جاء به عن أحد وفي نسخة مكانته بالتاء وهي أولى لان المكان الحقيقي والمجازي بخلاف المكانة فانها تختص بالثاني كما صرح به أهل اللغة فكان التاء فيه للنقل وهذه النسخة أنسب بالمقام وبقوله يتحققون فتدبر (ويعلمون صدقه وامانته) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين وتوضع عنده الودائع والامانات وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما عداها ويؤيده حديث هرقل مع أبي سفيان رضي الله تعالى عنه المذكور في الصحيحين (ولا يتهمونه بالكذب) أي لا يصفونه به ولو افتراء وتهمة لانه نشأ بين أظهرهم وجربوه فلم يسمع من أحد منهم ما يتهم به ولذا قال هرقل في حديث البخاري ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وهم يهم بمعنى غلط أو ظن واتهمه أدخل التهمة عليه أو نسبها له وفي القاموس تهمة كهمزة ما يأتيهم به وفي معنى التقريب ان هاءه قد تسكن وفي النهاية أتهمته ظننت فيه ما نسب اليه وباء بالكذب للسببية أو للملابسة أي لا ينسبون ولا يظنون ملابسته بالكذب أو لا يتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية (وترك النصيحة لهم) ترك بالجر معطوف على الكذب أي لم يتهمه أحد بترك النصيحة حتى كانوا

(انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون) أي محله ومرتبته بحليته ونعته (ويتحققون مكانه) أي مكان ولادته ونسبه ورتبته أو رفعة قدره وعلو شانه ويؤيده ما في نسخة مكانته وهو مخل بالتسجيع لما قبله ملايم لقوله (ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب) في دعوى رسالته أي ولذا كانوا يسمونه محمد الامين لكمال ديانته (وترك النصيحة لهم) أي وترك ارادة الخير لهم

يرجعون اليه فى مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش وفى معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا أراد له الخير وأظهره وغشه فى ضده ومنه التوبة النصوح وهى الخالصة ظاهرا وباطنا الذى لا يرجع صاحبها عنها أصلا ورأيت فى فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان فى زمن عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم تاب توبة مشهورة فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتوب الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قائله اذ لم يسمع بأحد سمى نصوحا فى الاعصر المتقدمة ولم يقل هذا أحد من المسلمين فضلا عن العلماء وانما ذكرت هذا لانى سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه فى مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله (لكونه منهم) متعلق بيعرفون أو به وبما بعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام أو هو خبر مبتدأ أى هذا الكونه الى آخره وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب أو بلا يتهمون فتكون دليلا له وقدم أن الكلام يحتمل أن المراد انهم يعلمون نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقوة أو بالفعل وقد تقدم ما فيه فتذكره (وانه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة أو قرابة) انه بالفتح وهو وما بعده فى محل جر عطف على كونه وهو عطف مغاير أو تفسيرى تفصيلى وهذا أولى من عطفه على ان الاول لبعده ولانه لم يعلم به الا بتكلف بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح القاف بنو أب واحد وجمعه قبيل وقيل هما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنو أب واحد والثانى من أباء مختلفة أو هو أعم وطبقات أنساب العرب ستة وهو الشعب بالفتح وهو أكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى العشيرة وقد نظمها النادى فى قوله شعر

شعب بفتح الشين والقبيله * من بعدها عمارة أصيله
وهى بكسر العين ترى ثم قل * بطن وفخذ بعدها ولا تحل
وسادس فصيلة تؤويه * وهى العشيرة التى تليه

والشعوب بضم العين جمع شعب بفتحها فى العجم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب ولذا قيل لمن يفضل العجم على العرب شعوبية ونسبة له وهو جمع لانه كانصارى وقوله الا ولها الى آخره يعنى به ان فى كل قبيلة من العرب له صلى الله تعالى عليه وسلم أب أو جد أو أم ولو جدة بدون واسطة أو بواسطة وفى هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو قولان فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور على انها حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال النسب لامتناع الواو والتفريغ فى الصفات كما فصل فى محله والمراد بالقرابة القرب من عمود النسب الفرعى والاصلى مطلقا الا انها فى العرف اذا أطلقت خصت بالفرعى ولذا لو أوصى أو وقف على أقاربه لم تدخل فروعه وأصوله والفرق ظاهر بينه وبين أقرب أقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال من قرابته الا تجوزا أو يكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريرى له فى الدرة بينا رده فى شرحها والمراد فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى بالقرابة المعنى العرفى لانه لو كان بمعناه الحقيقى لغة لزم عطف العام على الخاص بأو وهو انما يكون بالواو كعكسه وفى شرح السيد انه يكون بأو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما فى المغنى وغيره وقوله لم يكن فى العرب الخ ورد فى الاثر كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه الآية قيل ومثله لا يكون من قبل الرأى فهو فى حكم الحديث المرفوع وفيه

(الكونه منهم) وهو أبعد للتهمة فى ترك النصيحة فى حقهم (وانه) بالفتح عطف على انه السابق الواقع مفعولا ثانيا لاعلم ولا يبعد أن يكون مجرور المحل معطوفا على كونه والحاصل انه (لم تكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على للمصاحبة قوله تعالى وآتى المال على حبه أى مع رسول الله (ولادة) أى قرابة قريبة (أو قرابة) أى بعيدة

بحث الا انه سيأتى رفعه أيضا وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم به قرابة كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

وسطت نسبتى الذوائب منهم * كل دار فيها أب لى عظيم

ووقع فى بعض نسخ الشفاء عند بعض الشراح هنا زيادة وهى قوله (وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى) قل لا أسئلكم عليه أجرا (الا المودة فى القربى) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج أحاديث هذا الكتاب ان هذا له طرق كثيرة استوفيناها فى الدر المنثور ومنها ما أخرجه البخارى من طريق طاوس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لم يكن بطن من قريش الا كان لى فيهم قرابة ألا تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة) وأخرج الطبرانى نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه فالقربى على هذا قرابة أهل مكة خاصة وعلى ما رواه أبو نعيم فى الدلائل كما مر قرابة جميع العرب لاتصال نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم كما مر فمعنى الآية عند ابن عباس رضى الله عنهما ألا تودونى لأجل القرابة بينى وبينكم والخطاب بقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه فنزلت وما روى من انها نزلت فى آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روى من انها نزلت فى الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا يا رسول الله انك تنوبك نوائب وقد جمعنا لك ما تستعين به عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله ان الآية مكية وأقوى ما ورد فى سبب نزولها ما أخرجه قتادة من أن المشركين قالوا لعل محمدا يطلب أجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا محصل ما قالوه فى سبب نزولها وقيل الآية مكية والذى صححه ابن حجر يخالفه وفى قوله فى القربى تعليلية كما فى ان امرأة دخلت النار فى هرة الحديث أوهى للظرفية المجازية وهو حال أو صفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان القربى ظرف المودة * واعلم انهم اختلفوا فى هذا الاستثناء هل هو متصل أو منقطع فقيل انه متصل والآية منسوخة بقوله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وقيل هو منقطع لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يبغون على تبليغهم أجرا فالمعنى انى ذكركم المودة فى القربى وفى زاد المسير انه اختيار المحققين فلا يشوبه نسخ وفى شرح البخارى أن الآية نزلت لاستكشاف شر الكفار فهى منسوخة بآية القتال وهو لا يتم على كونها مدنية ويعضد الانقطاع ما فى الكشاف عن أن المودة ليست أجرا حقيقة لان قرابته قرابتهم وصلته لازمة لهم مودة وهو مقتضى السياق فما فى بعض الشروح من ان الصحيح الذى يرتبط به كلامه ما أخرجه البخارى من انه لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم قرابة لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى كما أخرجه أبو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشرى نظر اذ لزوم اتصال شئ لاحد لا ينافى كونه أجرا مطلوبا بعمل نعم المتبادر من الاجر انه ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم بدونه لا يسمى أجرا والثواب لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر أو ان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شئ أو بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو المراد فى هذه الآية وان أريد حقيقته فهو منقطع وهو المنفى فى الآية الاخرى فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن أقول هذا زبدة ما مخضه التتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة أقاربه أو مودة بعضهم لبعض وما طلب أجره بتبليغ الرسالة واداء الامانة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لحرصه على هدايتهم وشفقته عليهم عد طاعتهم نفعا له لما فيها من كثرة أتباعه وقوة شوكته والقربى ذوى القرابة القريبة أو البعيدة كما قيل

اذا كان أصلى من تراب وكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

(وهو) أى هذا المعنى المستفاد من قوله وانه الخ (عند ابن عباس) كما رواه عنه البخارى والطبرانى (وغيره) أى من المفسرين (معنى قوله تعالى الا المودة فى القربى) فى قوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أى على التبليغ أجرا الا المودة أى لكن المودة فى القربى لازمة من الجانبين وأنا لا أقصر فى نصيحتكم وارادة الخير لكم ومحبتكم فيجب عليكم أيضا ان تجتهدوا فى متابعتى ونصرتى ودفع الاذى عن أهل ملتى

فكلام

فى كلام المصنف رحمه الله تعالى منزل على الاقوال كلها والضمير فى قوله وهو عند الجميع ماذكر قبله أو للاخير فلا غبار عليه ثم شرع فى توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال (وكونه) ولم يعطفه بالواو لتحقق المعنيين والقراءتين كما قيل وقد جوزوا فيه أن يكون عطفا على مدخول اللام فى قوله لكونه والنصب لعطفه على مفعول اعلم أو تعلمون والرفع على انه مبتدأ خبره قوله نهاية الى آخره واقتصر عليه فى المغنى واستبعده بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية تؤيده لان ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة ولذا أخره (من أنفسهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح) أى بناء على قراءة الفتح للفاء وهذه المتعاطفات متقاربة فلك أن تفسرها بما يجعلها متقاربة والامر فيه سهل وأفاد النظم لزيادة شرفه وفضله لانه أخبار من الله تعالى الذى لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبنى على القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى النظم لا أصل له ولا ما توهم من أن الامر كذلك قطعا فلا ينبغى على القراءة الشاذة نعم يرد على رفع كونه و يدفع بالتأويل وكذا ما قيل من أنه مبنى على القراءة المتواترة أيضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع (وهذه) أى المنقبة والصفة الجميلة التى تضمنتها الآية على هذه القراءة أو على القراءتين أو هذه الآية باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية والتأنيث لرعاية الخبر ارتكاب لما يحتاج للتأويل من غير داع له (نهاية المدح) فى بابه ونهج المقصود منه وهذا يمكن عوده الى القراءتين وان كان الظاهر الثانى فقط فعلى القراءة الاولى نهاية المدح بعلو الحسب والنسب لان العرب أشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة ألسنتهم فكان صلى الله عليه وسلم أجل منهم كلهم وهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه فى قولك هو واحد من الناس أو من بنى فلان ونحوه وعلى الثانى هو نهاية النهاية لانهم أنفس الناس وهو أجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عز وجل كانت من القانتين وقوله فلان من العلماء فانه أبلغ من كانت قانتة وفلان عالم ولذا عدل عنه مع انه أوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه لا دخيل كقوله مثلك لا يبخل كما فى شرح المفتاح وهو مأخوذ من كلام ابن جنى فى المحتسب وعبارته العرب تقحم لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون جعله من جماعة هذه أوصافهم تثبيتا للامر وتوكيدا له ولو كان فيه وحده لاقلق منه موضعه ولم ترسخ فيه قدمه ولم يؤمن عليه انتقاله الى ضده ومثله قولهم فى مدح الانسان أنت من القوم الكرام أى لك فى الفضل سابقة وأول وأنت مقيم عليه محفوف به لست دخيلا فيه من غير أول ولا أصل فيخشى نبوك عنه ولما أريد مثل هذا فى الثناء على الله ولم يجز أن يكون تابعا فيه لسلفه ولا موجودا فيه نظير عدل به الى وجه ثالث وهو أن يجعل قديما وراسخا عليه فكان أثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام أم أن كونه من أشرفهم لان من كان أشرف وهو رسول الله فهو أشرف من الاشرف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه أن كونه من جملة أشرفهم ليس نهاية المدح انتهى ليس بشئ فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين الرضا فيما قلناه * واعلم ان دخول من على أفعل التفضيل كما فى عروس الأفراح على وجهين الاول أن تكون جماعة فاضلة مستوية فى الرتبة فى زيادتها على غيرها فتقول فى كل منها هو من الافضل ولا يقال ذلك عند تفاوتها الثانى أن يكون نوع أفضل الانواع فيقال فى كل فرد منه انه من الافضل كما فى قوله (من أنفسكم) على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى * أقول هذا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبى صلى الله عليه وسلم أولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق ما قدمناه فانه أنفس وأعجب من هذا ما قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله

(وكونه) قال الحلبى هو بالرفع لكن الظاهر كما اقتصر عليه الدلجى انه بالجر عطفا على قوله والمعنى وهو معنى كونه عليه السلام (من أشرفهم) أى نسبا (وأرفعهم) أى حسبا (وأفضلهم) أى سخاوة ونجادة (على قراءة الفتح) أى بناء عليها (وهذه) أى المنقبة (نهاية المدح) أى من هذه الجهة

تعالى بحثنا ظاهر الان مافى الآية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك هو أنفس الخلق وأفضلهم أبلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما يتم اذا كانت من بينية لا ابتدائية أو تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح فى القرآن فيه خفاء فالاظهر انه مبالغة أريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المصنف لا محصل له ويقتضى ان الآية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقتضى منه العجب (تنبيه) قال بعض الفضلاء رحمه الله تعالى عليه هنا فى حديث (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش) أى من نطق بالضاد العربية وبيد بمعنى من أجل ولا يلزم من كونه من قريش الذين هم أفصح العرب أن يكون أفصحهم وممدوحا بالفصاحة وقد ترددت فيه زمانا حتى رأيت الفاضل الكورانى فى شرح جمع الجوامع قال بعد ما ذكر الحديث وان بيد بمعنى من أجل وفيه نظر قوى وهو ان كونه من قريش لا يقتضى كونه أفصح من قريش فالحق انها بمعنى غير من المدح الذى يشبه الذم أقول هذه غفلة على غفلة لانه ترك آخر الحديث وهو تربيت فى بنى سعد والذى صححه ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى (أنا سيد ولد آدم بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد واسترضعت فى بنى زهرة) وروى أنا أفصح العرب الخ واللفظ الاول مقلوب فانه نشأ فى بنى زهرة واسترضع فى بنى سعد وأما أنا أفصح من نطق بالضاد فلم يصح يعنى انه اتفق لسانه فى قبيلتين هما أفصح العرب وأملحهم فحاز أبلغ اللسانين المليحين وكل أحد انما يفوق فى لسانه قومه فقط فلزم منه أن يكون أفصح فى جميع العرب ثم ان ما ظنه منجا لا منجا فيه فانه لا يفيد أولا كونه أفصح من سائر قريش فقد وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا الشهاب أحمد بن قاسم رحمه الله من الآيات البينات ذكر كلام الكورانى ورده على عادته فى التصعب عليه انتصار الاجلال بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وأنا أفصح منهم فزاد فى الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك (ثم وصفه بعد) أى بعد الاعلام المذكور (باوصاف حميدة) أى محمودة أو حامدة على التجوز فى النسبة (وأثنى عليه بمحامد كثيرة) قيل ثم هنا بمعنى الفاء كما فى قوله جرى فى الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب فى الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام فى كتاب المجاز بان فى صحته نظرا لان الترتيب فيه ان ثم لا تفيد التراخى الا بتعسف يرجع لغيره من الوجوه فالاحسن أن يقال انها للتفاوت الرتبى لان بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه على هدايتهم وشفقته دونها بمراتب ولك أن تقول وجه ما قاله النحاة ان الترتيب المذكور لما كان على ما يقتضى من الالفاظ يعطى حكم البعيد كما قرره الزمخشرى فى الاشارة اليه بذلك فى قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه على ان ما ذكر كل منهما أمر ممتد يجوز عطفه باعتبار آخره بالفاء وباعتبار غيره بثم كما قالوه فى قول السكاكى فاوضح ثم ليقل فهو تأسيس لا تأكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف به لا المصدر وحميدة بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهى المحمود به أيضا والثناء بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله فى مقام الخطابة مع انه لما كانت الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الآية والثانى لما تضمنته مما لا يحصى (من حرصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على هدايتهم ورشدهم واسلامهم) من بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف وما بعده والحرص فرط الشره وقيل هو الشح على الشئ أن يضيع وفيه نظر والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه والهداية الدلالة مطلقا أو الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتداء لعطف الرشد عليها وقيل المراد ما قاله الاشاعرة من انها خلق الاهتداء الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس على الدعوة التى على عادته

(ثم وصفه) أى الله سبحانه و(تعالى بعد) بالضم أى بعد قوله من أنفسكم (باوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد) بالمنع جمع محمدة بمعنى مدحة (كثيرة) أى عديدة (من حرصه على هدايتهم) أى دلالتهم على العقائد الدينية (ورشدهم) أى ارشادهم الى ما فيه صلاح أمورهم من الاحكام الشرعية (واسلامهم) أى انقيادهم واستسلامهم للحوادث الكونية بقوله حريص عليكم

ولا

ولايخفى مافيه وحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على الدعوة المراد طلب تأثيرها لامجردها والرشد وان كان ضد الغى فهو الهداية فينبغى تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا لتغايرها كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام رحمه الله قال فى القواعد فى قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا أكثر الاحكام تبنى على ظاهر الامر حتى يظهر خلافه ومايبطله لانه لوشدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل على أشتراط الشافعية فى الرشد حسن التصرف فى المال والصلاح فى الدين بحيث لايلم بكبيرة ولايصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهدايا هم مما يأباه والآية لاتدل على ماذكروه والعجب من الامام فانه قال فى النهاية اذا بلغ الصبى ولم يوجد منه مايخالف الرشد انفك الحجر عنه * أقول قد رد كلام الفقهاء بوجوه ثلاثة مخالفة الاجماع ونص القرآن ومناقضة كلام النهاية له مع انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد من المصلح * فان الذى قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلاشبهة والمشروط فى الآية استئناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور اماراته فالمنظر لظاهر الحال وهو الذى عول عليه الفقهاء وأشار اليه فى النهاية فلامخالفة بين ماقالوه والاسلام معروف وهو مغاير لماقبله ولذا عطف بالواو ثم انه قيل ان المصنف قدم هذه الصفة مع تأخيرها فى الآية لان المقام مقام مدح وهو فى الحرص أتم وأكمل وسياق الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الى تفاوت المقامين * فان قيل المنة فى الحرص أتم * قلنا مسلك الآية على الترقى وماهنا بخلافه للتفنن فتدبر تدرمقاصد المصنف ولطف نظره أو يقال لما كانت العزة منشأ لحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت فى الآية على وفق الواقع لبيان حاله فى ابتداء أمره فلما حكاه المصنف رحمه الله بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذى به الحمد ثم انه جعل متعلق الحرص فى كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسرون لدلالة السياق عليه ولقوله فى غير هذه الآية ان تحرص على هداهم فان القرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لايتعلق بالذوات (وشدة مايعنتهم) من الاعنات قال الله تعالى (ولوشاء الله لاعنتكم) أومن التعنت وبكل منهما روى كلام المصنف رحمه الله وأثبتهما أهل اللغة فقالوا يقال عنته وأعنته والعنت المشقة أو الوقوع فيها ويجى بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب رحمه الله تعالى على عبارة المصنف رحمه الله هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على مجرور على التى تعلقت بالحرص ولايستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور معطوف على الحرص المجرور بمن أى وكراهة شدة الى آخره أقول هو كما قال معطوف على حرصه ولكن لاحاجة فيه الى تقدير لان معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لمايضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن أوقعه التقدير فيما وقع فيه وعزته عليه الآتية معطوف عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة أو مصدرية وفى قول المصنف المذكور اشارة الى جواز الموصولية فالتقدير ماعنتموه لاماعنتم به لان حذف العائد المجرور ضعيف فماقيل من أن المصنف أشار الى ان المراد فى الآية ماعنتم به وقد جعلت مامصدرية أى عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لاوجه له قال فى المصباح تعنته أدخل عليه الاذى وأعنته أوقعه فى العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى (ويضربهم فى دنياهم وأخراهم) يضر بفتح الياء وضم الضاد المعجمة مضارع ضر وروى بضم الياء وكسر الضاد مضارع أضر لانه يقال أضره وأضر به فلايلتفت ان أنكره لظنه ان همزته انما تكون للتعدية ومعنى أضره وأضر به أوقعه فى الضرر والدنيا تقال فى مقابلة آخرة وأخرى كما فى عبارة

(وشدة مايعنتهم) من الافعال أو التفعيل أى مايشق عليهم ولايطيقونه (ويضربهم) ضبط فى نسخة بضم الياء وكسر الضاد وهو غير صحيح لوجود الباء زائدة فى مفعوله وقول الدلجى ان الباء زائدة غير صحيح ففى القاموس ضره وبه وأضره والصواب ضبطه بفتح وضم والتقدير ومايضرهم (فى دنياهم وأخراهم

المصنف (وعزته عليه) عطف على شدة عطف تفسير لقوله تعالى (انما أشكو بثى وحزنى) ففيه اشارة الى تفسير عزيز فى الآية وانه من عز عليه كذا اذا صعب وشق كما قال

* بعز علينا ان نفارق من نهوى * وادمعان أخر مفصلة فى كتب اللغة تركناها لعدم مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه أن يؤخر الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يعتمد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع فى عليه فان التفسير لا ينافى التنازع (ورأفته) صلى الله تعالى عليه وسلم (ورحمته بمؤمنيهم) معطوف على حرصه وقوله بمؤمنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع فى الآية الاعلى رأى من يجوز التنازع فى المتقدم والرأفة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لاللفاصلة كما قاله القاضى ومن تبعه لوقوعه كذلك فى الحشو كقوله تعالى (رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها) بل لان أصل معنى الرأفة التلطف والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما شهد له كلام فصحاء العرب كقول قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت لهم ولا كبرياء

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما فى المثل الايناس قبل الامساس والذى غرهم قولهم فى كتب اللغة الرأفة أشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره والرحمة فى كلامهم بمعنى رقة القلب فى حق البشر وهى فى حقه تعالى بمعنى الانعام أو ارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رأيت الامام القرطبى قال فى شرح الاسماء الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة الآية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم فى الذكر وسببه ان الرحمة فى المشاهد انما تحصل بمعنى فى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرأفة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذى جاد بلطفه ومن بعطفه انتهى فحمدت الله تعالى على موافقة الصواب ثم اضافة مؤمنيهم للضمير ظاهر فى ان الضمير ليس للمؤمنين فقط ودخوله تحت قوله السابق أعلم الله الى آخره يشعر بان رأفته ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم بمؤمنى المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المؤمنين و بينهما تدافع كما قيل ودفع التدافع بان الاضافة بيانية أى بالمؤمنين الذين هم المخاطبون وأتى بالظاهر ليبين علة الرأفة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا أو قصد عود الضمير على ذكر غير المؤمنين فى الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى أن يقال الضمير عائد على شئ مفهوم من الكلام كالمخاطبين أى من ذكر او الامة (وقال بعضهم) القائل هو الحسين بن الفضل (أعطاه) أى أعطى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الآية شرفا له صلى الله تعالى عليه وسلم (اسمين من أسمائه رؤف رحيم) الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر مبتدأ مقدر أى هما رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو أعنى ونحوه أو على انه بدل من اسمين وجره على انه بدل من أسمائه والاسم يكون بمعنى العلم وما يقابل الفعل والحرف وما يقابل الصفة المشتقة والمراد هنا ما يطلق على ذات ومسمى صفة كان أم لا وفى بدائع ابن القيم الاسماء التى تطلق على الله وعلى غيره كحى وعليم هل هى حقيقة فى الله مجاز فى غيره أو على العكس أو حقيقة فيهما أقوال ثلاثة أظهرها الاخير انتهى وقول المصنف رحمه الله تعالى أعطاه الى آخره فيه ميل الى القول الاول * فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا و بعض الاسماء مجاز فيهما كالنور و بعضها مجاز فى الله حقيقة فى غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب أو بالعكس كالملك وقاضى القضاة * قلت لم يعن بالحقيقة الوضعية اللغوية ولو أراد ذلك لم يصح بل العقلية أو العرفية الشرعية وقيل انهما مشترك اشتراكا لفظيا لعدم تشاركهما فى معنى ونقل عن الغزالى رحمه الله تعالى * فان قلت كثير من أسمائه تعالى يطلق على غيره

(وعزته عليه) أى ومن غلبة ما يعنتهم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله عزيز عليه ما عنتم وكان الاولى مراعاة الترتيب القرآنى كما لا يخفى بان يقدم قضية العزة على الشدة ثم يقول (ورأفته ورحمته بمؤمنيهم) أى ومؤمنى غيرهم وفى نسخة بمؤمنهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس بطريق الاستغراق بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة أدق من الرحمة ولعل التفاوت بحسب القابلية والرتبة (قال بعضهم أعطاه) أى الله (اسمين من أسمائه رؤف) بالاشباع ودونه فمن الاول قول كعب ابن مالك الانصارى (نطيع نبيا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا) ومن الثانى قول جرير (يرى للمسلمين عليه حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم) (رحيم) أى على وصف التنكير وأما بصيغة التعريف فالظاهر انه لا يجوز اطلاقهما على غيره سبحانه

كحى وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت قال الغزالى المراد انه تعالى أعطاهما له بمعنى من المعانى التى أطلق بها على الله فجعله صلى الله تعالى عليه وسلم متجليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه الاكمل اللائق بجناب العزة كما قيل كل ما يصلح للمولى على العبد حرام والمقصود انه لما ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرآن وصفه بصفتين خلع عليه منها خلعتى اكرام دال على تميزه عما عداه وفى تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير * فان قلت ما وجه اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بتسميته باسمين من أسمائه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلاة والسلام كريما فقال تعالى وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لاتخف انك أنت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حليما واسمعيل عليه الصلاة والسلام عليما حليما فقال فى آية وبشرناه بغلام عليم وفى أخرى حليم * قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا فى سلك واحد ونسق متصل فى القراءة ولا يكاد يوجد هذا الا فى وصف الله تعالى لنفسه فهى كرامة أكرمه الله تعالى بها ليدل على مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم وان رتبته فوق سائر الرتب * (تتمه) * اعلم ان الآيات القرآنية حيث ختمت باسمائه تعالى وقعت مكررة وما كرر اما فى معنى ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة فى تلك الصفة على وجه يليق بالربوبية أو مغاير له كعزيز حكيم لافادة احتراس وتكميل لان العزيز قد يفعل بعزته ما لا تقتضيه الحكمة فلما أجرى ما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الاختفاء به ما لا يخفى فتدبر (ومثله فى الآية الاخرى قوله تعالى) سقط هذا من بعض النسخ ووقع بدون واو (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية) بالنصب كما مر أى اقرأ الآية أو اذكرها فانها مماثلة لتلك فى الدلالة على انه مبعوث فى قوم هو من جنسهم سواء ضمت الفاء أو فتحت لانه اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم من أشرفهم كان منهم ضرورة وفى تفسير ابن المنير من أنفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه ما قرأ ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هى عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه أمر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ فى ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق أن يجعل المقتضى مانعا فيلحدون ويجحدون انتهى وقوله فى الآية الاخرى صفة مثله لانه نكرة متوغل فى الابهام لا يتعرف بالاضافة وليس بحال لانها لا تجىء من المبتدأ على الاصح لا لان مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة واللنكرة مسوغة له بلا خلاف ويجوز أن يكون مثله مبتدأ خبره فى الآية وما بعده بدل منها والمن الانعام مطلقا أو على من لا يطلب و يكون بمعنى تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله تعالى لانه عنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لقوله (ولا تمنن تستكثر) حتى قيل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم حرمة المن وهو مكروه من غيره ولذا قيل انه حرام أيضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة كما قال الله تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال الشاعر

وان امرؤ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها انه لبخيل

(وقال آخر) اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * من المكارم حتى يثمر الشجر

ولا تشنه بمن منك تتبعه * فشيمة المن أن تؤذى به الثمر

والمنعم المالك الحقيقى وعطاؤه عز وعطاء غيره ذل لا آخذه يجعل يده سفلى (وفى الآية الاخرى * هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الآية) فى هذه الآية امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامى هو الذى لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ ما حفظه بالسماع من غيره وانما سمى أميا نسبة الى الام كناية كيوم

(ومثله) أى ومثل معنى الآية الاولى (فى الآية الاخرى فى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين) خصوا لكونهم المنتفعين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفى آية أخرى هو الذى بعث فى الاميين) أى العرب الذين غالبهم ما قرأ ولا كتب (رسولا منهم) أى أميا مثلهم لكن الامية فى حقه عليه الصلاة والسلام معجزة ومنقبة وفى حق غيره معيبة ومنقصة (الآية) تمامها يتلو عليهم آياته أى مع كونه أميا فهذا أظهر معجزاته ويزكيهم أى من خبائث الاحوال والاعمال و يعلمهم الكتاب والحكمة أى السنة والشريعة (وقوله) أى وفى الآية الاخرى قوله

ولدته أمه فانه يكون على جبلته من غير ان يحسن كتابة ونحوها أو لامة العرب لانهم كانوا أميين الكتابة مفقودة فيهم الا النادر والاحكم له كما ورد في الحديث بعثت الى أمة أمية ثم أطلق الاميون على من كتب منهم ومن لم يكتب كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تغليبا وقيل الامي الذي يقرأ ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي مثلهم قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والآخرين وقصص سيرهم وأخبارهم وفيه أيضا موافقة ماتقدم من بشارة الانبياء عليهم الصلاة والسلام به ونعته في كتبهم بانه أمي واليه اشار البوصيري رحمه الله تعالى بقوله

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

و بالاشارة الى الوجه الاول نظر في القائل

من أعجب الاشياء اني امرئ * عمي خالي وأبي أمي

(تنبيه) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتاب تخريج أحاديث الرافعي عد فقهاء الشافعية رحمهم الله تعالى ان مما حرم الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالآية المذكورة وبحديث انا أمة أمية لانكتب ولانحسب والاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعدان كان لايعلمها لقوله من قبله في الآية فان عدم معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن أبي شيبة وغيره مامات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجاهد فذكرت هذا للشعبي فقال قد سمعت أقواما يذكرون ذلك وليس في الآية ماينافيه وروى ابن ماجة عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة وأجيب باحتمال أقدار الله تعالى له على ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو أبلغ في المعجزة أو فيه تقدير أي سألت عن المكتوب فقيل لي هو كذا وفي حديث سهل بن الحنظلة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر معاوية رضي الله تعالى عنه ان يكتب للاقرع بن حابس وعيينة بن حصين قال عيينة أتراني أذهب الى قومي بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال قد كتب لك بما أمر قال يونس بن ميسرة راويه فنرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بعد ما أنزل عليه ومن الحجة عليه ما أخرجه البخاري في صلح الحديبية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث وقال ابن دحية واليه ذهب أبو ذر وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي وصنف فيه كتابا وسبقه اليه ابن شيبة وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده في الحديبية وقال أبو بكر بن عربي لما قال الباجي هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم متشتتا فعقد مجلس المناظرة فاقام الباجي الحجة ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الآفاق افريقية وصقلية وغيرهما فجاءت أجوبتهم بموافقته ومحصل ما توارد وا عليه وان معرفة الكتابة بعد معرفة أميته صلى الله تعالى عليه وسلم لاينافي المعجزة بل هي معجزة أخرى بعد معرفة أميته وتحقق معجزته وعليه تتنزل الآية السابقة والحديث فان معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تقدم تعليم معجزة وصنف أبو محمد بن مغوز كتابا رد فيه على الباجي وبين خطأه وحكى ان أبا محمد الهوري كان يرى الباجي فرأى في النوم ان قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انشق وماج فلم يستقر فاندهش لذلك

وقال

وقال لعله لاعتقادي لهذه المقالة ثم عقدت التوبة مع نفسي فسكن واستقر ثم قص الرؤيا على ابن معوز فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الآية ومحصل ما أجاب به ابن معوز عن ظاهر حديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد وقع في رواية البخاري من حديث البراء أيضا لما صالح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الحديبية كتب على رضي الله تعالى عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله فتحمل الرواية الاولى على ان معنى كتب أمر الكاتب ويدل عليه رواية المشهور في هذه القصة أيضا والله انى لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا في الاحاديث بمعنى أمر كحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الى قيصر وكتب الى النجاشي وكتب الى كسرى ونحوه وكلها محمولة على انه أمر بالكتابة ويشهد له قوله في بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارنى فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلى رضي الله تعالى عنه فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره يحتمل أن يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون والى هذا ذهب القاضي أبو جعفر السمناني انتهى ولا يخفى بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية في هذه الآية غاية المدح كالتي قبلها لما فيهما من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة فيها كما بين في التفسير فلا حاجة الى اعادته كما في الشرح الجديد وفي هذه ايذان بانه تعالى أتم النعمة بارساله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أكمل دينه وفي الكاف وجهان أحدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الآية لاتم نعمتى عليكم بالشريعة الحنيفية وأهديكم لدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله كما ذهب اليه الفراء وهي متعلقة بما بعدها وهو فاذكروني أذكركم والخطاب جار على الوجوه السابقة فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا الكلام ربه مزكيا لامته معلما لحكمته وقدم يزكيهم هنا وأخر في دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام نظر القصد والفعل فيهما كما قاله القاضي أحمد رحمه الله تعالى يعني ان التزكية هي المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة فلذا قدمت في الآية لانها أهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت فرقا بين المقامين قيل لو استشهد المصنف رحمه الله تعالى بآية دعوة ابراهيم لكان أحسن وأوفى بالمقصود لما اشتملت عليه من المدائح مع افادة ذكره على ألسنة الانبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله تعالى عما ذكر فيفيد وقوعه والدعاء لا يفيده والباب معقود لثناء الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لثناء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان حكاه الله تعالى فهذا ناش من عدم معرفة مقاصد الكتاب (وروى عن على رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من أنفسكم) قال الفاضل الحلبي يعني في قراءة من فتح الفاء كما قاله ابن رسلان ويعضده ما في المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ من أنفسكم بالفتح وقال انا أنفسكم نسبا الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من الحديث المرفوع وهذا مما أهمله المخرجون لاحاديث هذا الكتاب فلذا (قال نسبا وصهرا وحسبا) تمييز لاسم التفضيل لايهام المفضل به الذي يفسر بتمييزه وقد فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته والنسب القرابة مطلقا أو من جهة الاباء وفي النهاية النسب الولادة القريبة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ورد في الحديث لم يبعث

كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية الى قوله فاذكروني بالطاعة أذكركم بالمثوبة (وروى عن على ابن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه عنه عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه ابن أبي عمر العدني في مسنده (في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا) أى قرابة مختصة بالآباء على ما في القاموس ونصبه على التمييز وكذا قوله (وصهرا) قال البيضاوي في قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن والحاصل انه شريف الجانبين وكريم الطرفين ثم قوله (وحسبا) أريد به ما يعده الانسان من مفاخر آبائه من الدين أو الكرم أو المال وقيل الحسب والكرم قد يكونان بمن لا شرف لآبائهم والشرف والمجد لا يكونان الا بهم

(ليس في آبائي) أي أسلافي من الاب

والجد والام والجدة (من لدن آدم) بفتح لام وضم دال وسكون نون ويجوز وسكون الدال وكسر النون أي من عند ابتداء زمن آدم عليه الصلاة والسلام الى وجود الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم (سفاح) بكسر السين وهو صب ماء الرجل بلا عقد على ماقاله المحشي والاولى ان يقال المراد به الوطئ من غير مجوز لان السريئة لا عقد لها والحاصل ان المراد به الزنا ومالا يجوز وطؤه شرعا (كلنا نكاح) أي ذو عقد أو كل واحد منا ناكح أو قصد به المبالغة كرجل عدل وهو واقع على التغليب والافام اسمعيل عليه الصلاة والسلام سرية اللهم الا ان يقال قد اعتقها وعقد عليها قال المحشي ويروى كلها نكاح وهو كذا في نسخة ولعل التقدير كل المجامعة ذات نكاح وفي حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط

نبي الا وهو ذو نسب في قومه وفي المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة يقال بينهما نسب أي قرابة سواء جاز بينهما التناكح أولا وجمعه أنساب ومنه استعيرت النسبة في المقادير والصهر واحد الاصهار وقال الخليل أهل بيت المرأة وقال الازهري رحمه الله تعالى الصهر يشتمل على قرابات النساء من ذوي المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة وأولادهم والاعمام والاخوال والخالات فهؤلاء اصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته فهم اصهار المرأة أيضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الاحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم والحسب بفتحتين مايعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكون في الانسان وان لم يكن لآبائه ورجل حسيب أو كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كان ذلك فيه وفي آبائه وقال الازهري رحمه الله تعالى الحسب الشرف الثابت له ولآبائه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها الانه مما يعتبر في مهر المثل والحسب الفعال الحميدة له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا اعدوها (ليس في آبائي من لدن آدم) عليه الصلاة والسلام (سفاح كلنا نكاح) وفي نسخة كلها نكاح بالهاء بدل النون وكذا وقع في سنن الترمذي مرويا بالوجهين أي ليس في آبائي من حيث أبوتهم فيلزم ان لا يكون في امهاته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدى ظرف مكان بمعنى عند الا انهما لا يستعملان الا في الحاضر يقال لدنه ولديه مال اذا كان حاضرا وجاء من لدنا رسول أي من عندنا وقد يستعمل لدا في الزمان واذا أضيف لمضمر قلبت ألفه ياء الا في لغة بني الحارث وماقيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تصح الا في ابتداء الغاية كما في عبارة المصنف رحمه الله تعالى الحصر فيه لا وجه له فانه اغلبي والسفاح الزنا والفجور من سفحت الماء اذا صببته فكأنه أراق ماءه واضاعه وعلى رواية كلها الضمير المؤنث للوطئات واسناد النكاح لها حقيقة ان كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق في محل التقييد وعلى الاخرى وهي أصح الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولآبائه واسناد النكاح لهم بتأويل ذي نكاح ونحوه أو على التجوز في الاسناد كأنهم تجسموا من النكاح كقوله فانما هي اقبال وادبار والنكاح يطلق على الوطئ والعقد بلا خلاف انما الخلاف في انه حقيقة فيهما أو في أحدهما على اقوال مفصلة في الفروع والاصول وقيل ولم يرد في القرآن الا بمعنى العقد لانه في الوطئ صريح في الجماع وفي العقد كناية عنه وهي أوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان بمعنى العقد هنا فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام أو لغيره من الاديان السالفة وحيث أخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بوحي من الله أنبأه الله به انه صانه واسلافه عما يشين وطهر أرحامهم عن دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الوفاء ينقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة مصفى مهذبا لم يتشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال السيدان المؤرخين اتفقوا على ان هاجر أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام كانت ملكا لابراهيم عليه الصلاة والسلام فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد في الحديث النكاح بعموم المجاز عقد صحيح يبيح الوطئ اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير محذور كما حققوه هذا وظاهر الحديث انه لا فجور في الآباء مطلقا لكن الاظهر بشهادة ماسبق ومايأتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم يلتق أبواي على السفاح ان المراد طهارة النسل كما أشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلي أقول ويمكن ان معنى لم يلتق نسب أبواي بقرينة

(قال ابن الكلبي) وهو محمد بن السائب أبو النصر المفسر النسابة الاخباري بترجمته معروفة في الميزان وغيره (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم) لعله أراد به التكثير والا فمحال أن يكون بينهما خمسمائة أم اذ بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عدنان أحد وعشرون أبا اجماعا وبين عدنان وآدم على ما بينه ابن اسحق وغيره ستة وعشرون أبا فيكون بينه صلى الله تعالى عليه وسلم و بين آدم عليه الصلاة والسلام سبعة وأربعون أبا فسبع وأربعون أما ولا يبعد أنه

عد أمهاته وأمهات أعمامه وأمهات أعمام آبائه الى آدم والله تعالى أعلم (فما وجدت فيهن سفاحا) أي ذات سفاح (ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية) أي من أخذ الاخدان لشهادة حديث ابن عدي والطبراني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وقد نقل عن أكثر أهل السير كزبير بن بكار وغيره أن كنانة خلف على برة بعد أبيه خزيمة على عادة العرب في الجاهلية في أن أكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها وهذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كلنا نكاح ليس فينا سفاح ما ولدت من سفاح أهل الجاهلية وذكر السهيلي وغيره في هذا اعذارا منها أن الله تعالى يقول ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أي من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء

أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وبعده لا يخفى وذكر الحافظ أبو عثمان عمرو بن بحر في كتابه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة أبيه بعد وفاته وهي برة بنت أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمها وتقارب نسبها قال وهذا الذي عليه مشايخنا من أهل العلم بالنسب قال ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت بنكاح وقال من اعتقد غير هذا فقد أخطأ أو شك في الخبر ويؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نتقلب في الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة

الروايات الاخر جميعا بينهما (قال ابن الكلبي) هو محمد بن السائب الكلبي أبو نصر المفسر النسابة المحدث أخرج له الترمذي وستأتي ترجمته مفصلة ونسبته الى كلب وهي قبيلة معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة أربع وثمانين ومائة قاله الحلبي وصاحب المقتفى هذا والمشهور أن الشافعي توفي شهيدا يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين وقال التلمساني وصاحب المواهب انه هشام بن محمد بن السائب فالكاتب هو الولد فلعله نسب الكتابة الآتية تارة الى نفسه حقيقة أو تجوزا فرواه المصنف كذا قال السيد (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا) أي وطئا بطريق الزنا قيل أراد بالام ما يشمل الجدات ومن في حكمهن كام العم والعمة وأم عم الاب ونحوه فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى آدم عليه السلام سبعة وأربعين أبا ويعلم من هذا النقل أن السفاح لم يقع في الاقارب كما في الشرح من ان ذلك النقل أحط رتبة لا طائل تحته * أقول هذا اشارة الى السؤال المشهور وعلى ما قاله ابن الكلبي رحمه الله تعالى من أن أمهاته صلى الله تعالى عليه وسلم وجداته لا تبلغ هذا العدد فكيف ما قاله وأنت اذا تأملت قول المصنف السابق لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرابة أو ولادة عرفت انهم لم يقفوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب وأغصان متفرقة متفرعة فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما يدانيه فضلا عن ان يساويه وان نظرنا الى الفروع والشعب وسائر قبائل العرب فجميعهم لهم به صلى الله تعالى عليه وسلم اتصال نسبي ونساؤهم أمهات له واحاطة ابن الكلبي واضرابه بمثل ذلك غير مستبعدة فانهم لهم اعتناء بالانساب يعدونها من أعظم علومهم وتوضيحه انك اذا نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل واحد فجميع ذكورهم آباؤه صلى الله تعالى عليه وسلم أو أعمام أو أخوال وجميع نسائهم جدات أو عمات أو خالات لعدة قرابتهم وولادته والمراد أن نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بحواشيه وأطرافه جبل لم يمسه دنس عار فاذا فتحت عين البصيرة لم تجد غبارا فاعرفه وانما أطلت الكلام لاني رأيتهم استشكلوه ولم يأت أحد فيه بما يشفي الغليل (ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية) وفي نسخة مما كان في نسخة أهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى أهل مقدر أو المراد الامة أو المراد بالجاهلية أهلها كما يطلق المجلس والمقام على أهله والجاهلية زمان كثرت فيه الجهالة أو ناس كذلك وهي ما قبل الاسلام أو أيام الفترة وقد تطلق على زمان الكفر مطلقا وعلى ما قبل الفتح والمراد أنه ليس في نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيأ الخ من عطف العام على الخاص لا من عطف الخاص على العام كما قيل فانهم كانت لهم أنكحة لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المصاحفة وعدد منها في بعض الشروح أمورا أكثرها زنا وأطال فيها من غير طائل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب وأورد عليه الزبير ابن بكار ما ذكره المؤرخون أن كنانة خلف على برة بنت اد زوجة أبيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من

غيرها وردعا روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الانكاح كنكاح الاسلام و بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عن الكلبي وقد أجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال السهيلى رحمه الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف فان الاستثناء يدل على تحليله وانه ليس فى نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مايعاب وانه لم يكن فى نكاح أجداده صلى الله تعالى عليه وسلم سفاح ألا ترى أنه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يستثن من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لانه كان مباحا فى شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل واختها اليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى و تنبيه على هذا المغزى ونقل هذه النكتة عن ابن العربى وهذا بناء على ان نكاح زوجة الاب كان جائزا قبل الاسلام و كانوا اذا مات أحدهم ورث أولياؤه نكاح زوجته ولو كرها فأنزل الله تعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وظاهر كلام بعض المفسرين أن نكاح زوجة الاب كان جائزا فى أول الاسلام و يأباه قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان كان هنا بمعنى لم يزل وهو أحد معانيها الزائدة فانها لا تزداد اذا عملت وذهب بعض المفسرين الى أنه لم يكن حلالا أبدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل عليه ولذا اعترض على من استدل به ودفع ما مر بما نقله الجاحظ من أن كنانة من خزيمة وان خلف على زوجة أبيه بعده وهى برة بنت ادبن طابخة وهى أم أسد فهى لم تلد منه ذكرا ولا أنثى حتى تكون جدة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن كانت ابنت أخيها وهى برة بنت مر بن ادبن طابخة أخت تميم بن مرة عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما ما قال وهو الذى عليه أهل العلم بالنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نكاح مقت وقد قال مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد غيره وشك فى هذا الخبر فقد أساء وأخطأ وكذا ما قيل من أن هاشما خلف على واقدة زوجة أبيه فانه رد بانها ليست جدة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان أم عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار أخواله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فصل فى السير * واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر آيات قرآنية فيها الثناء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سردها فى ترتيب أنيق لم ينبه عليه أحد ممن تكلم عليه فانه بدأ بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية الدالة على أن الرسول الذى جاءهم أزال عنهم العنت والمشقة وهداهم النور المبين وهو منهم معروف فيما بينهم ثم عقب ما ذكر من التخلية بما يدل على التحلية من قوله تعالى لقد من الله الخ فدل على أنه منة ونعمة عظيمة لتعليمه وارشاده للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما بدأ منه أحد من الامم ثم يختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم أميون لا قدرة لهم على القراءة والكتابة مع أن الكتب السالفة ليست بلسانهم فلولم يبعث منهم هذا النبى الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينقذوا من الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا) وروى أخرجك قال السيوطى هذا الحديث أخرجه ابن سعد والبزار وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابى المشهور وحبر هذه الامة وترجمان القرآن الفائق فى العلم والكرم أحد العبادلة توفى سنة ثمان وستين فى أيام ابن الزبير وقد كف بصره كما سيأتى والتقلب تفعل من القلب وهو التحول من جهة الى أخرى وجعل أعلى الشئ أسفله وهو بالمعنى الاول فى الآية وفيها وجهان آخران

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) أى كما رواه ابن سعد والبزار وأبو نعيم فى دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبى الى نبى حتى أخرجك) وفى نسخة صحيحة حتى أخرجتك (نبيا) ولا يخفى أن المراد به أن بعض الآباء كانوا من الانبياء وفى الآية عنه وعن غيره معانى أخر

غيرماذكره ابن عباس أحدهما ان المراد تردده في تصفح أحوال الصحابة في تهجدهم بعدما نسخ فرضية قيام الليل فان بيوتهم مملوأة بالذكر والصلاة ولهم دوى كدوى النحل أو تصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة الا في هذه الآية وعلى هذا اقتصر أكثر المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازى في أسرار التنزيل واستدل بها على اسلام آباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجداده فقال انه كان ينتقل ذرة من ساجد الى ساجد فتدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين ويدل عليه أيضا ما ورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل ينقل من أصلاب وأرحام طاهرة وقد قال الله تعالى انما المشركون نجس وسيأتى تفصيله في حال الابوين ولا دلالة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب نبى الى نبى ولو مع الوسائط والمراد بالحديث انه ليس في أصوله سفاح كما مر وفي الحديث تصريح بان هذا هو المراد فالمراد تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه بعد مدحه بان الله طهر أصوله كما طهر فروعه وملائمة هذا لما قبله وهو فتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك الخ ظاهرة لان المعنى فوض أمورك كلها في جميع أحوالك الى من يراك اذا قمت لكل صلاة أو لصلاة الليل ويراك في أخفى من هذا ان كنت ذرة في أصلاب المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه أعظم وأقرب الى الله فان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك لاستواء الظاهر والخفى في علمه خلافا لمن توهم انه لا ملائمة بينهما وبهذا ظهر أيضا مناسبة هذه الآية لما قبلها في كلام المصنف ووجه تأخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها أو الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك أى حفظك في جميع حالاتك من حين كنت نطفة فكيف لا يحفظك من أعدائك وينصرك عليهم وسقط أيضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان جميع الاصلاب التى حوته كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بنى اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد روى عن ابن عباس أيضا ما ذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان عنه (وقال جعفر) هو جعفر الصادق أبو عبد الله (بن محمد) بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه روى الحديث عن أبيه وعن نافع وعطاء والزهرى وغيرهم وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على امامته وجلالته وسيادته ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه في قبر واحد ويقال انه ولد في الصديق مرتين لان أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق وأمها أسما بنت عبد الرحمن بن الصديق وكذا يقال ولد مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه في رواية الشافعى وابن معين وأبو حاتم والذهبى وهو من فضلاء أهل البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا رواية أولاده اذا لم ترد من طريق آخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا تزر وازرة وزر أخرى وكانه لذلك لقب بالصادق (علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته) في نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة من أطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد أطاعه اطاعة واذا وفقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاعة والقدرة أى انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن اطاعته كما ينبغى من غير أن يكون بينهم وبينه واسطة من جنسهم لها تجرد باعتباره وتعلق بمقتضى الفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كانت الرسالة سفارة بين يدى الله وبين العقلاء يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة ولا حاجة هنا كما قيل الى تفضيل معنى النبوة والرسالة (فعرفهم ذلك) العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينهم وبينه رسولا موصوفا بما سيأتى ولذا أقام الله عذر من لم يأته رسولا فقال وما كنا

(وقال جعفر بن محمد) أى ابن على بن الحسين بن أبى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق أمه أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وكان يقول ولدت في الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى في تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة انتهى وقد أخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى في كتابه أدب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) أى عن معرفة ما يطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول وبعثته لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء أى فاعلمهم (ذلك) أى العجز

معـذبين حتى نبعث رسولا (لكي يعلموا أنهم لاينالون الصفو من خدمته) ينالون بمعنى يصلون ويأخذون والصفو بمعنى الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوتها خلوصها من الحظوظ النفسية فلايشوبها ما يكدرها من التقصيرات (فأقام بينهم وبينه) وفي نسخة بينه وبينهم بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوساطة فقدموا رعاية للمقام واقامته بينهم جعله قائما وموجودا بينهم أو أقامه خليفة له (رسولا مخلوقا من جنسهم) وسقط رسولا من بعض النسخ أي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوي وهو أعم من المصطلح لشموله النوع وغيره وما قيل من أن المراد من جنس أشرافهم اذ أصل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف أو المراد من العناصر ونحوها ما يعم الثقلين ولذا عدل للجنس كلام لايناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه خير وفي الاخير يكون الظرف لغوا والقصد بهذا زيادة الالتئام وسهولة الاتباع وقوله (في الصورة) أي جنسيته صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سيأتي في القسم الثالث لتتكرر المناسبة بين الجانبين فيتأهل للوساطة بين الله وعباده (وألبسه) أي كساه الله حللا (من نعته الرأفة والرحمة) ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورأيت في بعض كتب العربية ان بعض النحويين فرق بينهما فقال النعت لا يقال الا في غير الله لقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعت الله بخلاف الوصف والصفة والمشهور هو الاول وعليه كلام المصنف رحمه الله والضمير المضاف اليه نعته لله والرأفة مفعول ألبس الثاني وقد قدمنا لك الفرق بين الرأفة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح أطال فيه هنا بغير طائل *(تنبيه)* قال القرافي في التقييد شرح مسائل الاربعين الرحمة أصلها ميل الطبع ورقته وهو مستحيل على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه أراد لاحسان وأحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى أن التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته معاملة الراحم المرحوم وذهب الاشعري الى أنها ارادته فعلى رأي القاضي الرحمة محدثة وعلى رأي الشيخ قديمة وعلى رأي القاضي يجوز أن يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى رأي الشيخ يحرم ذلك لان مستقرها لذات وفي القرآن مواضع لاتستقيم الا على أحد الرأيين فقوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا من رحمة ربي الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل أو استعارة تبعية أو تمثيلية احتمالات بينها في حواشي القاضي * واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر في هذا المحل آيات دالة على نهاية الثناء على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث في هذه الامة الامية رسولا هو أعظم مخلوقاته حسبا ونسبا أودعه في الاصلاب الطيبة والارحام الطاهرة وجعل واسطته أنبياء ورسلا وأوحى اليه بكتاب هو أعظم الكتب السماوية وجعله مشتملا على علوم الاولين والآخرين فأقام به الملة السمحة وأتم به دينه ونصرهم على أعدائهم وملكهم الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا أمثالهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك رأفة بهم وأتم نعمة عليهم وعلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك اذ رأف بهم وأنعم عليهم بنعم الدنيا والآخرة ولذا وصفه بصفتين متجاورتين في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة تمييزا له وتكريما كما يفعله الملوك فقوله ألبسه من نعته الرأفة والرحمة يعني به المذكور في الآية السابق ذكرها ولم يجمع له غيرهما * فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين أيضا في قوله تعالى في آية الاسراء لنريه من آياتنا

(لكي يعلموا انهم لاينالون الصفو من خدمته) أي الخالص من طاعته بل انما ينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفي قضية ابليس ايماء الى أن كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فأقام الله بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة) أي مباينا لهم في السيرة (ألبسه من نعته الرأفة والرحمة

انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير لعبده * قلت هذا مما ذهب أكثر المفسرين الى خلافه وان الضمير لله تعالى ولو قلنا انه له فهاتان الصفتان لم يجز لهما ذكر هنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المصنف بالذكر فما قيل معنى البأس الرأفة والرحمة انه وصفه بهما بما شاركه فى أصل المعنى وان تغايرا فى الحقيقة وان بينهما مشاركة لفظية ومناسبة ما وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما البعثة للثقلين ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معيار المريدين فى قوله (تخلقوا باخلاق الله) معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه أن يأخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا من سراج أو يأخذ علما من عالم فانه لا يأخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من أشراق سراجه سراج ومن افاضة علمه علم آخر هو كلام من لم يصل الى العنقود مع انه لا تحصل له وليس تحته كبير فائدة (وأخرجه الى الخلق سفيرا صادقا) المراد انه أخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجى العينى أو من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول أى رسولا من الله لهم وهو مأخوذ من سفرت الشئ سفرا اذا كشفته وأوضحته لانه يوضح ما أمر به ويظهر ومنه اسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم أو جميعهم لعموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتى وصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله تعالى عصمه من الكذب ولم يؤثر عليه تهمته به فضلا عن وقوعه كما مر فى حديث هرقل (وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته) طاع وأطاع بمعنى انقاد وأذعن وقيل طاع بمعنى انقاد وأطاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المآل والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر أى من اتفق معه على ما كان عليه فى دينه وقبول ما جاء به فقد وافق الله والضمير الاول للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى لله ويجوز العكس لانه لا طاعة لله الا بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا طاعة للرسول الا بطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقى لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والآمر هو الله أولانه لا يأمر الا بما فيه طاعة الله وعبادته فطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته فى الوجوب لان الله أمرنا باطاعته قيل وهو قصور أو خفاء وذكر الموافقة بعد الطاعة وهى بمعنى الاطاعة للتأكيد قيل وتوضيح الاتحاد الحقيقى ان من أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق وهذا كما قيل ان وجود العرض فى نفسه هو وجوده فى الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون تابعا للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم فى الحيز فلذا انتقل عنه كما قاله التفتازانى ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقى هو ان يصير شيئا بعينه شيئا آخر من غير أن يزول عنه شئ أو ينضم اليه شئ وهنا قد انضم الى أوامره ونواهيه كونها وحيا من الله تعالى ليست كاوامره ونواهيه بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطانى لوزيره مر الناس عنى بكذا فانه صادر من الوزير صورة ويعد أمر اللوزير وهو فى الحقيقة أمر السلطان فالاتحاد مجازى بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هواء أى زالت عن هيولاه صورة خلقتها أخرى أو هو من قبيل صار الابيض اسود أو انضم اليه شئ آخر كصار التراب طينا وما قيل فى توضيحه أيضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقى وعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هى حقيقة الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هى طاعة الله وأين الوجود من الحقيقة وقد تقرر أن وجود العرض والجوهر زائد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت فى الخارج لم يكن فى موضوع على ذات البارى لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده فى موضعه انهما لا يتمايزان فى الاشارة الحسية وقد توهم

(وأخرجه الى الخلق سفيرا) أى وأظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا مصلحا لما بينهم (صادقا) أى مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما أى كطاعة الله تعالى أى فيما يأمره وينهاه وهو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته وكذا قوله (وموافقته موافقته) أى فى أمر دينه ودنياه فلا تجوز مخالفته فى طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى فى حقه فليحذر الذين يخالفون عن أمره

من هـذه العبارة ان وجود السواد مثلا في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشئ اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهـذا يقتضي المغايرة * أقول انما قلت هـذا مع طوله لئلا يظن ان في السويداء رجالا وتحقيقه ان المدلولين اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله تعالى اذا أوجب الصلاة وأمر بها فامر الرسول عليه الصلاة والسلام بها الخلق فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اقامة الصلاة وهي أمر واحد في الخارج وان تغاير مفهوماهما فانه أمر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه ووجوده في موضوعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شئ آخر كالخشب والسرير والماء المنقلب هواء ليس من هـذا القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا القائل خبط عشواء وأطال من غير طائل * فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا أمرهم باجتهاده هل يقال اطاعة أمره اطاعة لله مع احتمال أمر بخلافه كما في قصة الاسراء * قلت نعم هو اطاعة لله لقوله (وأطيعوا الرسول) من غير قيد ولذا عقبه المصنف رحمه الله تعالى قوله (فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله) تقدم ان ضميري طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله منحصرة في طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ما وافق الشرع والشرع من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أبلغ الا ان دلالة هذه الآية عليه ليست بظاهرة وتوضيحه كما قيل ان معناها ليست الا صلى الله تعالى عليه وسلم اطاعة الا وهو لله بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله تعالى (وما رميت اذ رميت) ويحتمل أن يكون معناها من يطع الرسول عليه الصلاة والسلام في تفاصيل ما جاء به فقد أطاع الله في قوله تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الا ان هذه الآية هي الدالة على انه جعل طاعته كطاعته في أصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته طاعته انه جعلها قبلها في الوجوب لان قوله فقال الخ يأباه لتفسيره أو تفريعه عليه بما يخالفه كما سيأتي ورده بانه لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الآية الثانية لان الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى دالة على ذلك أيضا فان مضمونها انه جعل طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك وان لم يكن مثلها في كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد جعفر الصادق بقوله انه جعل طاعته مثل طاعته في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه القائل ان القاضي وغيره قال في تفسير قوله تعالى (من يطع الرسول) الآية ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبلغ والآمر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا آمر ولا ناهي سواه وانه لا اطاعة لغيره الا بحسب الظاهر وأنا أقول هـذا كله من ضيق العطن فان كون الامر كله لله ليس فيه اشتباه وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على ذلك الا بأمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت اطاعته وتصديقه واجبان علينا جعل أمره ونهيه أو مثله بعد حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا أحد * أبر في قول لا منه ولا نعم

وفي هذا التفريع خفاء ليس هـذا محل بيانه فاي باس في النظر بهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه بليغ كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ويجوز عكسه وجعل عينه ادعاء فلا ينافي الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظر المانافي نفس المقام ولكل مقام مقال (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) هذا اما ابتداء كلام في ذكر ما جاء في الثناء من الله تعالى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو من تتمة

(يقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد روى من أحبني فقد أحب الله ومن عصاني فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة على ما رواه الحاكم عن أبي هريرة

كلام جعفر رضى الله تعالى عنه وبه جزم فى الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول كلامه أى لما علم عجزهم عن نيل صفو خدمته أقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعث رحمة للعالمين أو بقوله ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وهو أقرب والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للكافرين بتأخير العذاب ومنع الاستئصال فمن خالفه فعذابه من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهى رحمة لهما وما قيل ان المفسرين لم يتعرضوا لبيان نفى الغضب مع وقوعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله تعالى ببعثته ان لا يؤمن به قوم فيعذبهم وليس الحصر هنا نظرا لعموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو يقال القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو فى جنب الرحمة كالعدم أو المعنى لاجل للرحمة على الكل لا الغضب على الكل الى آخر ما قاله واطال فيه من غير طائل ولعمرى ان ما ظنه مشكلا فى غاية الظهور فانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة شاملة كما ورد انما أنا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا وقد اجتهد فى نفع كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما سيأتى بيانه ولعمرى ان صاحب الكشاف أجمل وأجل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به أى ما أرسلناك الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفى مسلم قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال انى لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف أى الا ذا رحمة أو هو عين الرحمة وليس للعالمين متعلق بارسلناك لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد والمعنى الا لارحم بالبناء للفاعل لا للمفعول كما قيل (قال أبو بكر بن طاهر) قال الشمنى والبرهان الحلبى هو أبو بكر بن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى وقال التلمسانى هو عبد الله بن طاهر الابهرى وهو من أقران الشبلى ومن مشايخ الجيلى عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة وهناك أبو بكر بن طاهر واسمه محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلى القيسى يروى عن أبى على الغسانى وروى عنه السهيلى والاول أقدم من الثانى وهو المراد والله أعلم والذى عند سيدى أبو الحسن أبو بكر بن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى والله أعلم أيهم هو انتهى (زين الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) يعلم من هذه العبارة ان فى قوله السابق ألبسه الرأفة والرحمة استعارة مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية (فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق) الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان التامة أى وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره من ربنا قبيح وما بعده معطوف عليه والزينة ما يتزين به لباسا أو غيره واضافته للرحمة كلجين الماء أو بيانية وقيل الزينة هنا اللباس أى ألبسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله بها عليه غير الجبلية البشرية والشمائل جمع شمال بالكسر مثل شمال خلاف اليمين قال الازهرى الشمال خلقة الرجل أى خلقه وجمعه شمائل ورجل كريم الشمائل أى فى اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمى كتاب الشمائل وما الطف قول ابن الوردى فيه مضمنا

يا ألطف مرسل كريم ❊ ما ألطف هذه الشمائل

من يسمع لفظها تراه ❊ كالغصن مع النسيم مائل

فعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يخصص بالصفات الظاهرة والشمائل بخلافها وقال الشراح صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم تشمل غضبه وظاهر مرآه لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة فى ذاته وامام رآه الحسن فانه لمحبته والتصديق به ألا ترى ان عبد الله بن

(قال أبو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر أى ابن محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلى القيسى وبهذا يعرف ان ليس المراد به عبد الله بن طاهر الابهرى الذى هو من أقران الاشبيلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبى روى عن أبيه وابن على النسائى وغيرهما وأجازله أبو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) أى بزيادة الرحمة (فكان كونه) أى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم والمراد بها أخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) أى عامة وخاصة

(فمن أصابه شئ من رحمته فهو الناجى) قال اللسانى أى الخالص (فى الدارين) أى حالا ومآلا (من كل مكروه) أى مغضوب (والواصل فيهما) أى وهو والواصل فى الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ماورد من الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش

عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه فقد ضل وغوى (ألاترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغائب المجهول أى ألا تعلم (ان الله تعالى يقول وما أرسلناك الارحمة) أى ذا رحمة وأريد بها المبالغة (للعالمين) أى من غير تقييد للمؤمنين ولامته دون غيرهم من المخلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة) بل وليس هناك موت ولافوت بل انتقال من حال الى حال وارتحال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حى يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيمارواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده والبزار باسناد صحيح (حياتى خيرلكم) وهو ظاهر (وموتى خيرلكم) قال الدلجى بشهادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم حيا وميتا انتهى وغرابته لاتخفى فالاظهر ان يقال لانه يعرض على أعمالكم فاشفع فى غفران سيئاتكم وادعو لكم فى تحسين حالاتكم والمعنى انى متوجه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا بالنسبة الى حاضركم وغائبكم أو التقدير وموتى قبلكم خيرلكم فيوافق ما أراده المصنف بقوله

سلام رضى الله تعالى عنه لما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به قال انى لما رأيت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه كذاب فان أريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله (فمن أصابه شئ من رحمته فهو الناجى فى الدارين) أى فى الدنيا والآخرة والناجى بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره قيل المراد به من انتفع انتفاعا معتدا به بان يكون مصدقا به أو انتفع بشئ معتد به أو ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته هداية فمن اهتدى بشئ منهما نجا وقيل المراد بشئ من رحمته انه اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الماء ولم يرو كانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف فالمعنى ان من هداه الله للايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم سلم من كل مكروه ونال كل مرغوب فاسقام الدنيا وآلامها لاتعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل الحسنات (من كل مكروه) يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به فى الدنيا كالقتل والسبى واخذ الجزية وفى الآخرة العذاب المخلد (والواصل فيهما الى كل محبوب) اما فى الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية فى دنيا سريعة الزوال كان ما أصابه من المكروه لايصاله للنعم الاخروية محبوبا عنده واما حاله فى الآخرة فغنى عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن العاصى المعذب وبان مصائب المؤمنين فى الدنيا كثيرة الا أن يقال فى الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب أو المراد انه سبب فى الجملة أو ان كل بمعنى الجل لاوجه له فانه من قسم الوسواس (ألاترى ان الله يقول وما أرسلناك الارحمة للعالمين) وفى نسخة ألم تره فى نسخة اسقاط ان أى ألم تعلم ان الله لما قصر بعثته على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ نيله ينافى الحصر وهذا ترغيب كما فى حديث (من قال لااله الاالله دخل الجنة) فلا مسامحة فى المدعى حتى يحتاج للتأويل وهذه العبارة تسميها العلماء تنوير الانها تشير الى ان ما بعدها موضح لما قبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابن طاهر فلا تكرار فيه والكلام على الآية مبسوط فى التفسير وشهرته تغنى عن ذكره (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتى خيرلكم وموتى خيرلكم) هذا الحديث رواه ابن مسعود رضى الله عنه بسند صحيح ورواه الحارث ابن أسامة فى مسنده بسند صحيح أيضا والحديث الذى بعده فى صحيح مسلم وفى رواية موته بدل مماته أى كل منهما نافع لامته صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتوهم انقطاع نفعه صلى الله تعالى عليه وسلم عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع عمله عنه وعن غيره الا ما استثنى والخير النفع الذى يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل تفضيل مخفف من أخير كشر من أشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (بلال خير الناس وابن الاخير) وقرئ فى الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا أى كل من حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب أو ان حياته أنفع من موته فى وقتها وموته انفع فى وقته من وجه لنفعه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم لانه وشفاعته عند عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشى على الاحتياط وكالانابة بالحزن لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشئة من اختلاف أمته وارتفاع الشديد بتوقيره وفى الحديث زيادة فى بعض التعاليق وهى اما حياتى فابين لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله وما رأيت منها سيئا استغفرت وأيضا فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه وتبلغها له فى وقت واحد وان لم يحص عددها كما سيأتى

كالشمس

كالشمس فى كبد السماء وضوئها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

كما فى بعض الشروح ونقل فى بعضها مالامساس له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عربى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مامت لا أزال أنادى فى قبرى أمتى أمتى حتى ينفخ فى الصور فطنين الآذان لما تدركه الروح المتمكنة فى قلبه ورأسه من ذلك النداء فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الآذان اذ اداء لشئ من حقه كما فى العطاس كما قاله الترمذى رحمه الله تعالى ولعظم الاجر على مصيبته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سادت فاطمة أمها خديجة رضى الله تعالى عنهما وجميع اخواتها من مات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى صحفها من مصيبتها به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل عليه انه لاشبهة فى ثوابها بهذا الرزء العظيم ولكنها لم تفضل أمها بذلك بل بكونها بضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى سنن أبى داود لا أعدل ببضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا واما تفضيلها على اخواتها فلحديث فاطمة أفضل نساء العالمين الا مريم بنت عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عائشة رضى الله تعالى عنها خديجة رضى الله تعالى عنها والاكثر على خلافه ثم أورد على حد الاجتهاد من الخير الذى حصل بموته صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان فى زمنه أيضا كما بين فى كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب والتأليف قيل وعرض الملائكة عليهم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم من لا يحصى فى وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما سيأتى بنفسه فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته لهم فى حياته لانه هداهم لسبيل الخير ومادام صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم فهم آمنون من عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ورحمته لهم فى مماته لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فرطا لهم كما سيأتى وبه فسر قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة وعائشة رضى الله تعالى عنهما بامر لا ينافى كون خديجة رضى الله تعالى عنها أفضل لانه قد يكون فى المفضول ماليس فى الفاضل كما لا يخفى واعلم انه حكى عن الاشعرى والقشيرى وأصحابه انهم قالوا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بنبى فى قبره وان رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكى انه افتراء عليهم وقد كتب بذلك الى الآفاق وكيف يقال مثله مع ماصح فى الحديث من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره باق على ما كان عليه حتى سئل النووى رحمه الله تعالى عمن رآه صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه يأمره بامر هل يجب عليه أم لا فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له فى خاصة نفسه ينبغى العمل به وانما لم يجب لان النائم لم يضبط ماقيل له وربما لم يفهمه أو يكون اشارة لما يحتاج للتأويل وهو كلام حسن فلا ينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من رآنى فقد رآنى حقا الحديث (وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا) هذا الحديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه فقال اذا أراد الله تعالى رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة أمة أحيى نبيها فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره وهكذا فى النسخ بتقديم الفرط ووقع فى بعضها مؤخرا وكانه من الناسخ والذى فى مسلم اضافة رحمة لامة مخالف لما فى الشفاء فقول المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى مافيه فلعله رواه من طريق آخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكما قال) أى على ما رواه مسلم (اذا أراد الله تعالى رحمة بامة) قال الحافظ المروزى المعروف رحمة أمة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازى قلت وفى الجامع الكبير أيضا بلفظ ان الله تعالى اذا أراد رحمة أمة من عباده (قبض نبيها قبلها) أى قبل موته جميعها (فجعله لها فرطا وسلفا) أى بين يديها كما فى الصحيح وهما بفتحتين أى متقدما وسابقا فانها ما اصيبت بمصيبة أعظم من موت نبيها واصل الفرط هو الذى يتقدم الواردين ليهيئ لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم فى منازلهم ثم استعمل للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما فى صحيح مسلم عن أبى موسى مرفوعا واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره

ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم أمة الاجابة وهم وغيرهم أمة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل أخذ الشئ واستيفاؤه يقال قبض المال والمتاع ويقال قبض الله أو الملك زيدا أو روحه والمشهور في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم ولا تأكل الارض أبدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن أرسله الملك لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين أصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهئ لهم لوازمهم أولينظر واماله من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفر اليه أم لا أو ليزيل ما يخاف وينظر هل به عدو أم لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره و يطلق على الطفل الذى يموت قبل أبويه أو أحدهما كما ورد فى دعاء الجنازة وهو من هذا القبيل لا معنى آخر فهو اما لانه يحصل بسببه أجر كمنافع المنازل أو لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقى أبويه وفيه استعارة بديعة لجعله القبر منزلا كل أحد سائر اليه وموردا وكل وارد عليه ولذا يقال حيا من الدنيا وموردها من صيرته الحياة فى ظهر فالموت ورد لابد ان يرده وان الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم

وانا لفي الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

ويقال أفرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف بوزنه معناه ما تقدم اعطاؤه في المال كالسلم وبمعنى القرض وسلف المرء من مضى من آبائه وأقربائه لتقدم موته ولذا يسمى الصدر الاول السلف الصالح فكان ما أصاب الامة بفقد نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم جعل سلما أو قرضا للاجر الذى يجازوا به على الصبر

والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليه فانه مذموم

ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذى هو مبدأ الحياة ولذا كانت زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم أمهات المؤمنين ففى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم من الرحمة مالا يخفى كما مر فاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبول ما بلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشهادتهم على ابلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبة وحمده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه أعمالهم قريبا فجزاه الله حيا وميتا خير الجزاء (وقال السمرقندى) الامام الحنفى وقد تقدمت قريبا ترجمته (رحمة للعالمين يعنى الجن والانس) هذا تفسير للآية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد أعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة أو ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والطابع وقيل غلب العقلاء أو جعل اسما لذوى العلم من الثقلين أو الثقلين والملك أو الانس قال الشريف الجرجانى يطلق على كل جنس لا فرد فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها لا للمجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه أو خصه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر أراد انه يشملهما لا ان معناه ذلك وهذا يقتضى ان هذا غير مخالف لقوله (وقيل لجميع الخلق) وسياقه مع تمريضه يأباه فالحق كما فى بعض الشروح انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسير المرضى ثم أخذ فى بيان ما به تكون الرحمة على ما اختاره فقال (للمؤمنين رحمة بالهداية) أى أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن آمن بهداية تزيد على هداية الايمان أو لمن قدر ايمانه قيل وهو على الثانى عام شامل للملائكة والجماد ان قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل اليهم على أحد القولين فيه وسيأتى تحقيقه وان عمته رحمته أيضا وقوله

(وقال السمرقندى) أى أبو الليث امام الهدى الحنفى كما ذكره الدلجى (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعنى) أى يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس) أى المؤمنين بقرينة تقابله بقوله (وقيل لجميع الخلق) أى المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعها أى رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الآية وليوافق قوله

(ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) أي الى العقبى ولا يبعد ان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة المختصة بالهداية كما قال الله تعالى هدى للمتقين أي بالدلالة الموصلة التي هي خلق الهداية في خواص الانسان من أهل الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التي هي بمعنى البيان (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما والطبراني والبيهقي في دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما ١٠٥ أصاب غيرهم من الامم المكذبة) أي من أنواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين يشمل الملائكة أيضا ويدل عليه قوله (وحكي) بصيغة المجهول وقال الحجازي وروي (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل أصابك من هذه الرحمة) أي المنقسمة على هذه الامة من نبي الرحمة (شئ) أي من الرحمة مختص بك فالاشارة الى موجود في الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون (قال نعم كنت أخشى العاقبة) أي آخر امري من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه التلمساني بصيغة المجهول ففي القاموس الامن ضد الخوف أمن كفرح وقد أمنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى ان بناء المجهول غير ظاهر في المعنى اذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذي نزل عليك (لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين) أي صاحب مكانة (مطاع) له أي بين الملائكة (ثم) أي فيما هنالك (أمين) أي على أمر الوحي غيره ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه في محكم كتابه العظيم وأخبر عن حسن حاله للنبي الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد ان يجعل قوله أمين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى أعلم بالحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نور وجوده وظهور

للمؤمن الى آخره بدل من قوله للعالمين أو متعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان لمختاره وهو الظاهر وعلى الثاني بيان لصاحبهما (ورحمة للمنافق بالامان من القتل) مطلقا بخلاف الكافر فانه لا يأمن الا بالامان أو اداء الجزية والنفاق اسم اسلامي معناه اخفاء الكفر واظهار الاسلام مأخوذ من نافقاء اليربوع أو من النفق بمعنى السرب (ورحمة للكافر بتأخير العذاب) وفي نسخة المؤمنين والمنافقين والكافرين بالجمع والمراد تأخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة وقيل المراد نفي الاستئصال والمسخ والخسف وأورد عليه أيضا ان الزنديق سواء ادخل فيه أو في الكافر عذابه مؤخرا أيضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء احكام الاسلام عليه ظاهرا أو يقال انه أراد في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامان انسب بالمقام للعموم ثم ذكر ان من رحمة الكافر أيضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم لسائر المخلوقات فائدة اذ لولاه ما خلقت فتأمله (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في تفسير هذه الآية وبيان من شمله العالمين (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا) أي عافاهم الله تعالى بالعفو عنهم عاجلا (مما أصاب غيرهم من الامم المكذبة) أي المكذبة للانبياء السالفة فان الله عاقب من كفر منهم بالاستئصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم من السماء فلا يرد من قتل في غزوات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واما النفاق فلم يشتهر في الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا اسنده اليه في الطبراني ودلائل البيهقي وفي تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم (وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل) عليه الصلاة والسلام حكي بالبناء للمجهول كما صححه البرهان في المقتفى فهو مقطوع عن كلام ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد في شئ من كتب الحديث نقله كما في تخريج السيوطي وغيره (هل أصابك من هذه الرحمة شئ) فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة زائدة نالته من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ان كان من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ناظر لما في الآية على مختاره الاول فكأنه قال هل دخلت في العالمين فناسب السؤال لارادة الثقلين وان كان على الثاني فكأنه قيل هل دخل في الخلق فاصابه شئ من هذه الرحمة وقيل لا شبهة في انه صلى الله عليه وسلم واسطة كل رحمة وخير وان رحمته أصابت جبريل وسؤاله اما ليعترف ويتحدث بالنعمة أو للتلذذ أو من باب طرح المسئلة والاختبار وهذه كلها أمور واهية وجبريل عليه السلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به صلى الله عليه وسلم تغني عن التلذذ وطرح المسئلة ليس بشئ (قال) جبريل عليه الصلاة والسلام (كنت اخشى العاقبة) بتقدير مضاف أي سوء العاقبة أو المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشئ ويحصل منه خيرا كان أو شرا (فامنت) بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبني للفاعل من الامن ضد الخوف وسيأتي فيه ضبط غير مقبول (لثناء الله عز وجل علي بقوله) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) عند الله في علمه

كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا أوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التي وسعت كل شيء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد ويتصره القول بانه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والانبياء مقدمته والاولياء مؤخرته وسائر الخلق من أصحاب الشمال واليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق ١٠٦ كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية والسفلية في رسالتي المسماة بالصلاة العلية في الصلاة المحمدية

(و روى عن جعفر بن محمد) أي الباقر (الصادق) نعت لجعفر (في قوله تعالى فسلام) أي فسلامة من كل ملامة (لك) أي لرحمتك (من أصحاب اليمين) خبر سلام أي حاصل من أجلهم ولو كان من أعظمهم واجلهم (أي بك) أي بسبب وجودك أو كرمك وجودك (انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بالشفاعة العظمى فانها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الاولى والاخرى فشملت رحمته في الابتداء والانتهاء في الدنيا والعقبى وقال التلمساني لمحمد روى باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر في المعنى قال الدلجي أي من أجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم أغرب الدلجي ان من على هذا زائدة ويجوزان تكون بمعنى لام التعدية أي بسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من أجل اكرام الله تعالى اياك وماقاله تكلف بعيد انتهى والكل تكلف بل تعسف والتحقيق انه أراد ان الخطاب في ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب اليمين وقوله من أجل توضيح لقوله بك اما بطريق عطف البيان أو على سبيل الاستئناف والالتفات في التبيان وهذا التأويل خلاف ماقاله أهل التفسير فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أي يقال له سلام لك أي مسلم لك انك منهم أو يا محمد انك لاترى فيهم الا ما تحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيامة سلام عليك

أي في حكمه وقضائه اذ ثناء العظيم يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اطمأن خاطره وامن سوء الخاتمة واما ماورد من انه قال ماجفت لي عين منذ خلقت النار مخافة ان أعصي فيقذفني فيها وان الله تعالى قال له لم تبكي وقد أمنتك فقال من يأمن مكرك كما في الاحياء فهو لا ينافي ماذكر لان المقرب لا يزال خائفا ممن يهابه فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أو لانه من عظمة الله هل يذهل عن الامان وقد مدح في الآية بامور منها القوة وهي معلومة من الاحاديث الواردة في اقتلاع المدائن والجبال واهلاك صيحة كل من سمعها وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانته بمنزلته عند الله جلت عظمته وشانه ولذا قال عند ذي العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سرادقات عزه الى مالم يصل اليه غيره من المقربين وهو مطاع في السماء والارض أمين على سر الغيب والوحي وموازين القيامة لكن سيأتي انهم اختلفوا في رسول كريم وان الاصح انه جبريل عليه الصلاة والسلام لقوله (ولقد رآه بالافق المبين) فان الرائي هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرئي جبريل في صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع الامين سيد العالمين وقدمر ان أمنت بزنة علمت مبني للفاعل وقال التلمساني انه مبني للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من الامن فكذلك لالان أمن لازم فانه متعد ألا ترى (قوله لا يأمن مكر الله) بل لان مفعوله الثاني يكون من المعاني دون الذوات فيحتاج لتقدير وحذف على ان اصله أمن سوء عاقبتي ومثله لاداعي له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به في ألقي الى كتاب كريم وان جاز وفسره المصنف رحمه الله تعالى فيما سيأتي في الكلام على هذه الآية في الفصل الخامس من هذا الباب بقوله أي كريم عند مرسله (وروى عن جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته قريبا في قوله تعالى في سورة الواقعة (فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) في هذه الآية وجوه ذكر منها هنا ماروي عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثناء الله عليه وهو وقوله (فسلام) أي سلامة (لك) يا محمد (من أصحاب اليمين أي بك) فسره به بناء على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان وان فرق بينهما أي لاجلك واجل كرامتك ومعناه انه (انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فقد جعل الله في هذه الآية

الآية من حضره الموت ثلاثة أقسام مقربين وأصحاب اليمين ومكذبين ضالين والمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم في قوله تعالى أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثاني من لا حساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق أيضا في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات أو أصحاب اليمين من غلبت حسناته سيئاته أو عفي عنه ولو بعد حين والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل في التفسير لا ينبغي تكثير السواد به هنا وفسر مكي قوله (فسلام لك من أصحاب اليمين) بان الله سلمه من عذابه قيل وعليه الخاطب بقوله لك المحتضر المذكور أولا وأصله فسلم أيها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه مفعولا مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار ولك صفة سلام ومن تعليلية أي من أجل انك من أصحاب اليمين وقيل المخاطب بقوله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسلام مبتدأ ولك خبره ومن أصحاب اليمين حال من الضمير المستكن في الخبر أي فلك يا محمد سلامة من جهة أصحاب اليمين أو من أصحاب اليمين خبره ولك حال واللام تعليلية أي سلامة وأمن من عذاب الله من جهة أصحاب اليمين حال كون ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر وقدم الجار والمجرور الذى هو حال على عامله وهو متعلق من أصحاب اليمين لافادة الحصر أي انما سلم أصحاب اليمين لاجلك ومن للابتداء أي سلامة ظهرت منهم انما هي لاجلك فليست انما لمجرد المبالغة لان أصحاب اليمين لم يكونوا مقربين ففيهم مما يقتضى عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله تعالى ولا قلب في الآية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة أو المعنى لك يا محمد منهم سلام تحية اذ يزورونك في الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلي الله ويسلم عليك أو هو تحية أصحاب اليمين في السلامة هنا أقوال هذا محصل ما في بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما في شرح ابن الحنبلي من انه على قول جعفر الصادق في الآية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله بك لانه واقع موقع منك أي من أجلك وفي القلب تنبيه على شرف أصحاب اليمين كما في عكس التشبيه في نحو قوله

وبدا الصباح كأن غرته ※ وجه الخليفة حين يمتدح

فان افادة الآية ان ليست سلامتهم الا من أجل كرامتك بمعونة المقام فانما المبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما في الجنى الداني عن ابن عطية ان انما لا تفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الاصح صح والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك في الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات من أصحاب اليمين مبشرين له ببشارتين سلام لك انك من أصحاب اليمين انتهى أقول الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر وقوله انما الى آخره بيان لحاصل المعنى المراد وأصحاب اليمين بمعنى الفائزين لان اليمين يتبرك بها كما يتشأم بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كائن ومن متعلقة بمعدود أي سلامة المعدود من أصحاب اليمين لاجلك أولك متعلق به مقدم من تأخير لافادة الحصر أي لم يجعلهم الله تعالى من أصحاب اليمين الا بسببك أي لاتباعهم أو لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام الضمير وتوضيحه ان في الآية معان كما مر اختار منها المصنف رحمه الله تعالى ما ذكر لافادته من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان اما فصل بينها وبين جوابها بشئ من اجزاء الجواب مفردا وفي حكمه كجملة الشرط فما بعد الفاء جملة هي جواب الشرط وسلام مبتدأ لان اصله سلامتهم ولك خبره ومن أصحاب الخ حال من المضاف المقدر أو من الضمير المستتر في الخبر والمعنى ان كان من أصحاب اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من أصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم أو من التعليل ولا قلب كما توهم فتدبر

(وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) أى منورهما كما قرئ به ومظهر ما خلق فيهما أو موجد أنوارهما (الآية) بالنصب ويجوز رفعها وخفضها أى اقرأها أوهى معلومة أو الى آخرها والمراد ما بعدها وهو قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم وقد أوضحت معنى الآية فى الرسالة المسماة بالصلاة العلية فى الصلاة المحمدية عند قوله اللهم صل وسلم على نورك الاسنى واعلم أن النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف ونحوه من نوع تأويل (قال كعب) وفى نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن ماتع بالمثناة فوق أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل أدرك الجاهلية وصحب عمر وأكثر ماروى عنه وأيضا روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه أيضا جماعة من الصحابة والتابعين وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهود ويسكن اليمن توفى فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر أيضا بفتح الحاء وكسرها لكثرة علمه أخرج له البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وأغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصارى (وابن جبير) وهو سعيد بن جبير أحد أكابر التابعين والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه أمم من المحدثين أخرج له الجماعة فى كتبهم الستة وكان أسود الصورة وأنور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين شهيدا فى شعبان ومما يدل على كماله فى اليقين وتمكنه فى الدين ماروى انه لما دخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه فقال له أعوذ منك بما استعاذت مريم اذ قالت أعوذ بالرحمن

منك ان كنت تقيا فقوله ما اسمك قال سعيد بن جبير وقال شقى بن كثير فقال أمى أعلم باسمى قال شقيت وشقيت أمك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا أصابت اسمى أمى يعنى اذا كنت شهيدا أكون سعيدا قال فما تقول فى محمد قال نبى ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحى وأنقذ به من الجهالة امام هدى ونبى رحمة قال فما تقول فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل وانما استحفظت أمر دينى قال فأيهم أحب اليك فقال أحسنهم خلقا وأرضاهم لخالقه وأشدهم منه فرقا قال فما تقول فى على وعثمان أفى الجنة هما أم فى النار قال لو دخلت فرأيت أهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن أمر غيب عنك قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال فما لك تسألنى عن امرئ أنت واحد من ذنوبه قال فمالك لم تضحك قط قال لم أر ما يضحكنى من خلق من التراب والى التراب يعود قال فانى أضحك من اللهو قال ليست القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيئا قال لا فدعا بالزمر والعود فلما انفخ فيه بكى فقال له الحجاج ما يبكيك قال ذكرنى يوم ينفخ فى الصور وأما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع فى غير حقه وأما هذه المثانى والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فانى قاتلك قال ان الله قد وقت وقتا أنا بالغه فان أجلى قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله أولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له استحفظها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة فأمر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال له الحجاج ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال فحولوه عن القبلة قال فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال اضربوا عنقه قال اللهم لاتحل له دمى ولا تمهله بعدى فلما قتله لم يزل

(وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الآية) أى اقرأ الآية أواذكرها وهى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الى آخره وفى هذه الآية أسرار ولطائف أفردها بالتأليف الامام الغزالى فى كتاب سماه مشكاة الانوار وفيه فوائد جمة وكذا الامام السهيلى (قال كعب) هو كعب الاحبار بن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هينوع ويقال عمرو بن قيس بن معز بن جسم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبا الحميرى الشافعى أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم فى خلافة أبى بكر وقيل فى خلافة عمر وصحبه وأكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه أيضا وكان أدرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفى فى خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحاء المهملة وكسرها لكثرة علمه ويأتى فيه كلام متعلق به وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم (وابن جبير) هو سعيد بن جبير الوالبى مولاهم أبو عبد الله أو أبو محمد التابعى العابد الزاهد الثقة أحد أعلام رواة الحديث وروى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصر وخرج له أصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما فى سنة خمس وتسعين ولم يسلط على أحد بعده بدعوته رضى الله تعالى عنه

عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة (المراد بالنور الثاني هذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) النور من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع لانتشاءه أولا زالته الظلام فكانه ينفر منه ثم أطلق على الله وعلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى القرآن كما في هذه الآية وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته في عناية القاضي عند الحكماء كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كما يفيض من النيرات على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضيء فتتصل بالمستضيء كما فصلوه في كتبهم ويقرب منه الضوء الا أن الزمخشري قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء أبلغ من النور لقوله تعالى (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وأنكره في الفلك الدائر وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الآية وأجيب بان كلام ابن السكيت بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من أن الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا أطلق النور على الذوات دون الضوء ولكون الابصار بمد حلية الضوء كان فيه مبالغة من جهة أخرى وتنويره ما حققه في الروض الانف في قول ورقة

ويظهر في البلاد ضياء نور ✽ يقوم به البرية أن تموجا

بان في البيت ما يوضح الفرق بينهما فان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور أصله ومبدؤه كما قال تعالى (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لا سيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضياء فعلم أن بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما أبلغية من جهة وان اطلاق النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي أن يكون النور على الاطلاق أقوى لقوله تعالى (الله نور السموات) لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجازا اما بمعنى المنور أو استعارة الا ان الغزالي رحمه الله تعالى قال في المشكاة انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره ثمان فهمت فهو نور على نور وهو ميل لما قاله الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق (الله نور السموات والارض) لا بمعنى منورهما على ما تقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور والبحث وان سائر الانوار من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمي نورا أيضا فتفسير النور الثاني به كما قالوه ظاهر الا ان قوله يأتي ما فيه (وقوله تعالى مثل نوره أي مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والمثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور يشير الى الظهور وهو أمر اضافي فقد يظهر الشيء لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى الحواس الدراكة أقوى وأجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليها ثلاثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض ولما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك كان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور

دمه يغلي حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره فلما رأى ذلك هاله وأفزعه فبعث الى بياذوق المتطيب فسأله عن ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك ففاض دمه ولم يجمد في نفسه ولم يخلق الله شيئا أكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع منه النوم فيقول مالي ولك يا سعيد بن جبير ستة أشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقي بعد سعيد ابن جبير ستة أشهر ونقل ان السجون عرضت بعد موته فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفا من المظلومين وقد أحصى من قتله صبرا فوجد مائة ألف وعشرين ألفا (المراد بالنور) أي بنوره (الثاني هنا) أي في تتمة هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لقوله (وقوله مثل نوره أي نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) على انه عطف بيان لما قبله وبهذا يندفع ما قاله الدلجي في قوله هنا أي في هذه الآية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضميره لله تعالى وقوله مثل نوره أي نور محمد عليه الصلاة والسلام ان كان قولهما فهو مناقض لما قبله الا أن يقال الاضافة بيانية أي مثل محمد الذي هو نوره هو بعيد أو لغيرهما فلا تناقض انتهى والاظهر أن يقال المراد بالنور محمد والتقدير مثل نور الله الذي هو مشرق ظهوره ومظهر نوره في عالم الكون بخلقه وأمره حسب قضائه وقدره كمشكاة الى آخره فان النور عبارة عن الظهور وقد انكشف به الحقائق الالهية والاسرار الاحدية والاستار الصمدية وبه أشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات وبه صلى الله تعالى عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

بالنور الباصر أحق منه بالنور فلذا أطلقوا على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصرة نورا الا أنه موسوم بانواع النقصان فان يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا مابعد ولا هو وراء حجاب و يبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر مالا يتناهى و يغلط كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا ثم ان قلنا ان فى قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهو أولى باسم النور لسلامتها من تلك النقائص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق أنوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكمة كلام الله تعالى فنزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ يتم به الابصار فلذا سمى القرآن نورا فقال والنور الذى أنزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هى من عالم الشهادة وعين باطنة هى من عالم الغيب دقيقة اذا كان مايبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملة مايبصر به غيره أيضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذى لا يؤثر فى غيره أصلا بل بالحرى وان يسمى سراجا منيرا لفيضان أنواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسى النبوى اذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلائق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم سراجا منيرا وكذا الانبياء والعلماء وان تفاوتوا والذى يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهى التى تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من أنوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد زيته يضىء ولو لم تمسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار و يقابل النور الظلمة ولا ظلمة أشد من كتم العلم انتهى وقد اعترض على عبارة المصنف رحمه الله تعالى بانها غير محررة وآخرها مناف لاولها لان أولها يقتضى ان النور أطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور فى قوله مثل نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاللائق التفريع وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نوره أى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصح بوجه والموافق ان يقول نور الله أى محمد وأجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا صدر من كعب وابن جبير بل كلامان أولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش وذلك مغن عما قيل من أن اضافة النور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيانية فالنور منحصر فى ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم بانه ليس فى كلامه قرينة تدل على ماقاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول فى تفسير القرطبى والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول المصنف رحمه الله تعالى المراد بالنور الثانى محمد يعنى به المقصود من النور الثانى ماهو شأن محمد فليس محمولا عليه حمل هو غايته انه تجوز فى العبارة وهذا أقرب وأسلم من التكلف الا أنه لا ينبغى منع كون الاضافة بيانية أيضا أقول هذا محصل ماقالوه من الاعتراض والجواب وأنت اذا تاملته رأيته متعسفا ومثله لا يخفى على هؤلاء والذى ظهر لى ان النور الثانى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله أضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثانى مضاف لله للتشريف والتعظيم والثالث اضافته كلجين الماء أتى به بيانا للتشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باوفر اسم منه فسماه باسمه وألبسه حلته كما ألبسه الرأفة والرحمة ثم فسره بنوره محمد أى هو محمد النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها ويأخذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض فينشط من الاشكال كما ينشط الفحل من العقال وفى نسخة أى محمد باسقاط مثل ولا غبار عليها (وقال سهل بن عبد الله) بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التسترى كما سيأتى الصالح المشهور الذى لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب

(سهل بن عبد الله) هو التسترى منسوب الى تستر قال النووى هو بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمسانى والتاآن مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى وبضم الثانية ويقال ششتر بشينين معجمتين من أعمال الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفى القاموس تستر كجندب بلد وبشينين معجمتين لحن وسورها أول سور بعد الطوفان وقد روى انه كان صاحب الكرامات العالية ولم يكن فى وقته له نظير فى المعاملات ولم يزل يشتغل فى الرياضة العملية الى أن كان يفطر فى كل يوم على أوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد فى عام وهو مع ذلك يقوم الليل كله ولا ينام وأسلم عند وفاته يهود نيف على التسعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا أقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته و يصعدون وينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ذا النون المصرى بمكة وتوفى سنة ثلاث وثمانين فى المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة ومولده سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهى بلدة من كور الاهواز ويقال شُشتر بمعجمتين وبها قبر البراء بن عازب وقال النووى رحمه الله تعالى هى بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة مدينة بخورستان (المعنى الله هادى أهل السموات والارض) هذا التفسير هو المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال الامام الرازى فى شرح الاسماء الحسنى هذا حسن الآن تفسيره بما ذكر فى الاسماء الحسنى التسعة والتسعين لايجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادى اعم كما قالوه فى الرؤف الرحيم أو يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة فى الجملة كالرحمن الرحيم وقوله لايجوز لاوجه له فان له نظائر فى هذه الاسماء وفى شروح الكشاف معنى نور السموات والارض هادى العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحى منزل ونبى مرسل والتأويل الذى عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا وسباقا وما قبله من قوله تعالى (سورة أنزلناها) الى هنا اشارة الى ضمن ما بين من الاحكام الى نزاهة المؤمنين وطهارة ساحة أفضل المرسلين هدانا بها الى معالم الحكم فذكر بعدها انه الهادى ثم قال (يهدى الله لنوره من يشاء) فاخذ الكلام بعضهم بحجز بعض فاقبل من ان تشبيه بالنور فى الهداية وبناء كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عليه مستبشع عندى كلام لاوجه له فاى استبشاع فى مثله وفى ذكر أهل اشارة الى ان الاضافة فى الآية للسموات والارض مجازية تجوز فى نسبتها الاضافية كما فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) أوهو بتقدير مضاف والاول أولى وفى بعض الشروح الزواية عن المصنف رحمه الله تعالى قراءة عليه نصب أهل والمعروف الكسر ثم (قال) أى سهل رضى الله تعالى عنه (مثل نور محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذكان مستودعا فى الاصلاب) وفى نسخة فى اصلاب آبائه وهذا من تتمة تفسيره المذكور وقيل انه على تفسير آخر منقول عن سهل أيضا كما نقله عنه البغوى فى تفسيره والظاهر الاول لان قوله ثم الى آخره نص فيه والضمير المستتر فى كان راجع لنور محمد أو لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى صلب آبائه لانوره وفيه نظر أى مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته العجيبة وقت كونه فى الى آخره والاصلاب جمع صلب بضم فسكون وقد تضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت وأصل معناه الشديد فسمى به الظهر وعظم فيه ممتد ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهى فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة قيل كان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى جبهة آبائه من آدم الى أبيه عبد الله وهو نور حسى كالقمر فى الليلة الظلماء والمستودع فى الاصلاب مادة جسمه اللطيف والنور تابع لتلك المادة وكان يظهر فى أمهاته أيضا كما ورد فى صحيح الاخبار واستيداعه فى الاصلاب وجوده فيها كما قيل

أنواره كانت بجبهة آدم * لاتختفى عمن له عينان
وبصلب آدم كان وقت هبوطه * وبصلب نوح وهو فى الطوفان

*قلت أنكر اولا أن يكون النور فى الاصلاب ثم اعترف به و كونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا والمستودع بالفتح سيأتى بيانه (كمشكاة صفتها كذا) فى نسخة وصفها كذا و كذا كناية عن قوله (فيها مصباح) الى آخره فانها استعملت كذلك أى صفة نور محمد صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم مالا ينفذ ولايخرج وقيل انها معربة من الحبشة وقيل هى القنديل وقيل هى موضع الفتيلة وقيل معلاقه والمصباح القنديل وقيل الفتيله ماخوذ من الصباح أو الصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس يطلقه على محلها وهو مجاز مشهور

(المعنى) أى معنى الآية كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (الله هادى أهل السموات والارض) أى فهم بنوره يهتدون وبظهوره يوحدون ففسر النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) أى سهل بن عبد الله (مثل نور محمد) أى صفة نوره العجيبة الشأن الغريبة البرهان (اذا كان) أى حين صار (مستودعا) بفتح الدال أى مودعا (فى الاصلاب) أى اصلاب الآباء أولهم آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) أى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح أى سراجا أو فتيلة المصباح فى زجاجة أى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها فشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الآباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة مع قوله

(وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة) أى وأراد بالزجاجة (صدره أى كانه) يعنى صدره المعبر به عن الزجاجة (كوكب) أى نجم (درى) بضم أوله وتشديد آخره أى مشرق يتلألأ كانه منسوب الى الدر المضىء وتخفيف ياء فهمز نسبة الى الدرء بمعنى الدفع فكانه يدفع الظلام بنوره ويرفع الحجاب لظهوره وبكسر أوله مع التخفيف والهمز واعله من تغيرات النسب كما يقال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) أى من نور الايمان والايقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول من أوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقراءة التأنيث مرجعها الزجاجة وقراءة التذكير مرجعها مصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) أو مبتدأة منشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (أى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو اصل شجرة التوحيد وفصل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول أو الفاعل أى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) وعين قطو بى اشجرة لها هذه الثمرة فجعل عليه الصلاة والسلام لكونه معدن اسرار عوارف المناقع وأنوار لطائف الشرائع الذين هم أكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غالبهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها اذ هو فاكهة وادام ودواء ودهن لضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر طهورا بينا فى ظهر

هذا معناه لغة وأما المراد هنا فاشار اليه المص بقوله (وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره) الزجاجة بالضم وهى مثلثة لكن هذا أعرفها وأفصحها وعلى ما ذكره المص تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب فى الصدر أى فى جانبه الايسر مما لا شبهة فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير أخر هنا منها ان المشكاة ابدان آبائه والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سيأتى فى شعر العباس رضى الله تعالى عنه وانما جعل المصباح فى المشكاة لانه يكون فيها أقوى ضوءا وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالزجاجة اسماعيل عليه الصلاة والسلام والمصباح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (أى كانه) أى صدره الشريف (كوكب درى) فى الزاهر لابن الانبارى الدرى الكوكب المضىء وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمز وبدونها مشدد الياء قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه فوزنه فعلى وهو بالضم والهمز فعيل من درأ الكوكب جرى أو دفع أو طلع بغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق اسم العصفر أعجمى وعده سيبويه رحمه الله تعالى من أبنيتهم وقال أبو عبيدة أصله درو كسبوح فجعلت الضمة كسرة والواو ياء كما قالوا فى عتو عتى ومن قال درى بكسر الدال كسره من اجل الياء التى بعد الراء مجانسة لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمزة من تغييرات النسب وعلى الكسر وفعيل كشريب وسكيت صفة مشبهة وهو أفصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح بعد وروده فى القرآن واما درىء بفتح الدال والهمز فشاذ لا نظير له الا السكينة بفتح السين فى لغة حكاها أبو زيد فدرى بمعنى متلألئ أى مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستناره قيل ولم يشبه بالشمس أو القمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفاء بالكلية وهو قابل له فى كل أوقاته فالصواب ان يقال ان هذا أوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لا يحويهما مكان ضيق منيران فيه وأيضا اشراقهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان أحسن وقوله (لما فيه من الايمان والحكمة) ضمير فيه للصدر وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصها بعلوم القرآن وقيل المراد بها هنا النبوة كما فى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (يوقد من شجرة مباركة) فى يوقد قراآت بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعين لشئ منها هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر واشارة على قراءة توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة وللزجاجة والضمير فى الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذى فيه الزجاجة ونسبة التوقد اليه أولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل أوقد المسجد مع ما فى التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبه به السارية الى فرعه ومن للابتداء أى ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى متيمن بها الكثرة منافعها ونباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر فى كتاب الفلاحة ان الحكماء يصفون شيئا من أغصانها فى بيوتهم فى كل رأس كل سنة تبركا بها (أى من نور ابراهيم) المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من أبيه ابراهيم اليه عليهما الصلاة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء وجد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوته (وضرب المثل بالشجرة المباركة) المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك من ضرب

ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ صار علما في علم التوحيد ولا سيما في باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان أكثرهم في جهة الشان من الارض التي بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لاشرقية ولا غربية أي حيث لا تقع الشمس عليها احيانا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة جبل مرتفعة أو صحراء واسعة فان ثمرتها تكون أنمى وزيتها أصفى أو لا نابتة في شرق المعمورة ولا غربها بل في وسطها وهو توابع الشام فان زيتونه أجود الزيتون في غيرها وهذا بطريق العبارة وأما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة أهل التوحيد وكعبة أهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى ولا غربية كقبلة اليهود وبالجملة اشارة الى أن الملة الحنيفية أعدل الملل الاسلامية فأهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلا خوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولا رجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لا دنيوية ولا أخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضيء أي يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة أي تظهر (للناس قبل كلامه) أي بادعاء النبوة حالة الرسالة لقوة مافيها من الانوار الالهية ولكونه مظهر الاسرار الصمدية (كهذا الزيت) أي في صفاء ظاهره وباطنه حيث يضيء ولو لم تمسه نار من الانوار الحسية وبعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نور على نور كما في اجتماع النار مع ضياء الزيت في كمال الظهور يهدي الله لنوره أي لاجل نوره وبواسطة ظهوره أو الى حضرة نوره وأخذ النور من حضوره من يشاء من خواص أوليائه وأكابر أصفيائه ويضرب الله الامثال للناس فيه أشعار بان ما قبله انما هو مثل للاستئناس ليدرك المعنى في قالب المبنى لكن لا يعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضي الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم

اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد هنا الثاني لانه شبه ظهور نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتشبيه المتصل به بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض أجزاء التمثيل لظهور مافيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المحسوص لتتضح وترسخ في الاذهان ولذا أكثر في الاحاديث والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب صدر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالزجاجة وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح الذي تحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووضعها بلا شرقية ولا غربية اشارة الى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لان النصارى تصلي للشرق واليهود للغرب وعلى ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى بعد قول سهل لا بد من اعتبار أن التقدير في الآية كمثل نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ما قيل من أن التقدير كمصباح في مشكاة أي كمثل ضوء في مشكاة بناء على أن في جانب المشبه قلبا كقوله

وكان النجوم بين دجاها ✽ سنن لاح بينهن ابتداع

وفي شرح البخاري أن هذا الذي حكاه المصنف من أن المصباح كناية عن قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام تاويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من أنه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لقصور أفهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما أشبه هذا التأويل بتأويل المفضل قول الفرزدق

أخذنا بأطراف السماء عليكم ✽ لنا قمراها والنجوم الطوالع

لما سأله الرشيد عنه فقال أراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك فقال له أحسنت انتهى وفيه نظر (وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه) أي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه (كهذا الزيت) تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكلم كقوله ✽ فان كلامها شفاء لما بيا ✽ أو المراد به ما يتكلم به فيقدر مضاف أي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقيل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بزيت أخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي المأخوذ من النور الخليلي سبب لاضاءة سراج قلبه الذي أضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهاره النبوة والدين وأورد عليه أن نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان في الاصلاب قبل خلق جسمه الشريف وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بما مر الا أن يقال أصل المادة موجود مع كل واحد من أجزائها الاصول موجودة في الاصلاب كما سيأتي من تعلق الروح به فيتم التشبيه والاوجه ما روى عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه

(وقد قيل فى هذه الآية) أى على ماذكره المفسرون وأرباب العربية (غير هذا) أى غير ماذكرناه مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى أعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا المواضع نورا) أى عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) أى شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به أقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) أى الله تعالى (قد جاءكم من الله نور) أى لظهور الحق وابطال الباطل وأطلق عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز ومبين الاحكام بالايجاز وهذا ١١٤ شأنه للمدعى الاول وبيانه أن الاصل فى العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بأنه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظى وان المراد بهما القرآن وقد يقال فى مقابلهم وأى مانع من أن يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخبار (وقال) أى الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) أى على من بعثتك اليهم بتصديقهم وتكذيبهم أو شاهدا على جميع الشهداء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده أحوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) أى منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل أو تفنن العبارة فى المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) أى جميع الخلق (الى الله) أى الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) أى بأمره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل فى المعتقدات وبين الحلال والحرام فى المعلامات وبين محاسن الاخلاق ومساويها فى الرياضات فهو الداعى بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية لانه

والمصباح نبوته توقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا فسر النور بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم المشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذى مشكاة أو أن التشبيه باعتبار الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل أن تمسه النار اشارة الى ان نبوة ابراهيم التى هى بمثابة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يبين للناس قبل كلامه ولما كان قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمثابة المصباح الذى يوقد مما فيه من زيت تلك الشجرة التى تكاد تضىء ولو لم تمسسه نار وكان ما فيه من نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فأشار الى ذلك مكتفيا بذكر أحدهما احالة للآخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت والاشارة للذى فى الآية الموصوف بالاضاءة (١) قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفاء كالاظلام والتكلم كامساس النار فى ترتب ظهور شئ ما عليه (وقد قيل فى الآية غير هذا والله تعالى أعلم) من الوجوه المنقولة فى التفاسير واقتصر المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر لما فيه من الثناء على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد سماه الله فى القرآن فى غير هذا نورا وسراجا منيرا) لما ذكر أن بعضهم فسر النور فى مثل نوره بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلماء أردفه بما يغنى عنه أو يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله أطلق عليه النور فى غير هذه الآية حيث سماه نورا على ما تقدم فى كلام الغزالى وغيره من انه المرشد الهادى للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية والمنير الزائد النور أو المظهر لغيره ما خفى عليه (فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) الخطاب لاهل مكة فى قوله يا أهل الكتاب قد جاءكم الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فلذا فسر النور به وبالقرآن فسماه نورا لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا وحد الضمير لاتحاد الطريق فى هدايتهما فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن كما سيجىء (وقال الله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) الاذن على ظاهره لان أمره أذن له أو المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما فى مجاز القرآن لابن عبد السلام رحمه الله تعالى وفسر بتوفيقه أيضا وتيسيره (وسراجا منيرا) واطلاق النور ثم بيانه واطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاسلام والقرآن فان بكل منها تتقوى البصيرة على ادراك المعقولات كما يتقوى بالنور على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد على أمته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى أممهم وهو المبشر لهم الجنة ونعيمها والنذير بضده لمن كفر وهو الداعى الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه صلى الله تعالى عليه وسلم بالسراج فى غاية الوضوح والبلاغة

(١) قوله قبل اقتباس النار هكذا وجدنا النسخ كلها حيث راجعناها وهو وان كان مناسبا من جهة المعنى الا أن سياق الآية يأبى عن ذلك فالظاهر قبل امساس النار حتى يكون موافقة للآية لمصححه

(ومن هذا) أى من الباب أو النوع أو القبيل (قوله تعالى ألم نشرح لك الى آخر السورة) استفهام أفاد انكار نفى الشرح مبالغة فى اثباته اذ انكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات أى قد شرحناه لك ومن ثم عطف

عليه قوله ووضعنا عنك وزرك

لانه يستضىء من الوحى ويضىء للناس بما أتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس فى قوله شمسا وقمرا ووصف السراج انه منير للتوكيد وقيل لان من السراج ما لا يضىء اذا أرق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضر رسول بطىء وسراج لا يضىء ومائدة ينتظر اليها من يجىء (ومن هذا) القبيل الذى عقد هذا الفصل لذكره من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) الهمزة لانكار النفى ونفى النفى اثبات فناسب عطف المثبت عليه وقوله الى آخر السورة يقتضى انها كلها ثناء من الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان الكلام فيه والثناء بحسب الظاهر انما هو فى أوائلها الى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قلت هذا بحسب بادى النظر كما قيل وعند التحقيق هى كذلك بأسرها فانها تدل على نعم أنعم الله بها على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى متضمنة للثناء عليه بما أعطاه الله تعالى من الكمال الذى لم ينله سواه ولا يدانيه فيه واحد وهو من أبلغ الثناء ففى قوله تعالى (ان مع العسر يسرا) اشارة الى أنه ثبت جاشه لما اقتحمه من الشدائد كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر فى مكابدة قومه وايذائهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره بانه كرر يسره وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة وفى قوله تعالى (فاذا فرغت فانصب) أى اذا فرغت من التبليغ فاتعب فى العبادة اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم أدى الامانة ونصح الامة وتمت له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مدحه والثناء عليه وأمره بالشكر على ما أولاه والابتهال اليه لا الى غيره فى كل ما ينوبه وبهذا تبين ان السورة كلها من هذا القبيل (شرح أى وسع) الشرح قال الراغب أصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهى وقال غيره التوسعة مطلقا ولا تختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار امكان ظرفيتها لامور فوصف القلب به باعتبار اتصافه بامور فاذا قيل شرح صدره أوله فهو متصف به واذا أطلق كما فى الآية فالمراد تخليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به الفرح وعدم الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسر ما هنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه فى صباه كما ذكره القاضى ومما يدل على ان أصل معناه الاتساع المقابل للضيق قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وتفسير المصنف له بالماضى المثبت لان الاستفهام الانكارى نفى معنى ونفى النفى اثبات كما مر ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره فى النظم على شرح وهو أوضح وأوجز لانه أبلغ لانه ذكر الشىء بلازمه وهو اثبات بينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له أى ان الله وسع قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء الحق ودعوة الخلق أو بما أودع فيه من العلم والحكمة أو بما يسره من تلقى الوحى بعد ما شق عليه كما ذكره المفسرون (والمراد بالصدر هنا القلب) فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم المظروف والقلب معروف وتفسيره بلطيفة يمتاز بها الانسان عمن عداه ليس بشىء كما مر (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما شرحه بالاسلام) وروى بالايمان أى التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله أى بحلوله فيه وقبوله واذعان حقيقته واتباع مقتضاه وهذا أخرجه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ابن مردويه وابن المنذر من طريق عطاء وابن أبى حاتم عن عكرمة (وقال سهل) قد تقدمت ترجمته وقوله (بنور الرسالة) رداء الطيبى والرسالة هى ارسال الله اياه لتبليغ وحيه والمعنى انه شرحه برسالة شبيهة بالنور لاظهارها الشريعة وسائر العلوم فهو كلجين الماء أو المراد

اشارة الى المبنى ورعاية للمعنى (ومعنى قوله شرح وسع) بالتشديد (والمراد بالصدر هنا القلب) لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع أى وسع قلبه لتجليات ربه وتنزلات حكمه بعد ما كان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون أى فينا أو فى القرآن أو فيك ثم قال تعالى كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه فهذا نهى تكوين كما ان قوله تعالى كن أمر تكوين فيكون المأمور ولا يكون النهى وبه ينتفى التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومفاداة الخلق بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا عكسه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى كما رواه ابن أبى حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر فى تفسيرهما عنه انه قال (شرحه بنور الاسلام) وفى نسخة بالاسلام وفى أخرى بالايمان والمعانى متقاربة المبانى

أى فسح قلبه ووسعه بسبب نور الانقياد وتفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد فى جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) أى شرحه به خصوصا فلا ينافى ما تقدم عموما

عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت أمه خادمة أم سلمة رضي الله تعالى عنها من أمهات المؤمنين فكان اذا بكى في صغره جعلت ثديها في فمه فأصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل في كمال العلم والعمل أخرج له الجماعة في الكتب الستة (ملأه) بالهمزة أي ملأ قلبه (حكما) أي ما يحكم من الاحكام (وعلما) أي بجميع ضروريات الانام وفي نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله أراد بها السنة وبالعلم ما يتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقراءة المبنى (وقيل معناه ألم نطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لا يؤذيك) وفي نسخة لا يقبل (الوسواس) أي لا يشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين في حالة الحضور في حضرة العيان وهو أتم وأعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشياطين والحاصل ان الهمزة للتقدير في البيان والمعنى قد طهرنا لك صدرك ولذا عطف عليه قوله

آثارها المضاهية له لجعله معدنا للحقائق والباء للتعدية أو للسببية (وقال الحسن) هو الحسن بن أبي الحسن البصري التابعي واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو من أجل التابعين وهو في الزهد والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج من محل الطاعة ولقي كثيرا من الصحابة وتروى عنه أحاديث كثيرة وحيث أطلق المحدثون الحسن فهو المراد وجلالته لم يختلف فيها ولم يخرج وانما اختلفوا في كونه لقي عليا رضي الله تعالى عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى أنه لم يثبت رؤيته له ولانه ألبسه خرقة المشايخ الصوفية قدس الله أرواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة المعروفة بينهم وذهب كثير من المحدثين الى أنها دعة لم تصح ولكن الجلال السيوطي رحمه الله تعالى صنف فيها جزأ لطيفا وقال انها ثابتة وأثبت أيضا ان الحسن رحمه الله تعالى اجتمع بعلي كرم الله تعالى وجهه وكذا ذكره الحافظ بن حجر فلا عبرة بانكار مثله وسن الحسن متحمل له والمثبت مقدم على النافي فانه مولى للانصار وولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة ستة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت أمه تخدم أم سلمة زوجة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رضي عنها فكان اذا بكى عندها في صغره وضعت ثديها في فمه فأصابه بركتها حتى صار يضرب به الامثال في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة (ملأه حكمة وعلما) وروي كما في بعض النسخ حكما بضم الحاء المهملة وسكون الكاف أو بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهي العلم بالحقائق النافعة والشرعية والحكم بالضم أيضا يكون بمعناها كما ورد في الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل أنه يريد رواية الحكمة هنا ما في حديث الشق لصدره من أنه حشي ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه أو القضاء بالعدل أو التصديق أو الكمال والعطف للتأكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شئ غيره أو عن كثرته وقيل انه جعل على صورة جسم ثم ملئ به فهو حقيقة وبعض أهل البصيرة يرى الايمان والعلم مجسما شعاعا ومصباحا ومشعلا وأنا أرى ذلك من ثمرتهما كما سيجئ انتهى (وقيل معناه ألم نطهر قلبك) أي ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام وهو اشارة الى ما ورد في شق صدره الشريف واخراج علقة سوداء منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسيأتي مفصلا مشروحا وفي بعض النسخ لك قلبك كما في الآية وزيادة لك مع عدم الحاجة لما قيل للاشارة الى أن الله غني عن العالمين فاللام للتعليل أي فعلنا ذلك لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا لشئ من المخلوقات وفي تفسير القاضي انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك يعني انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع ولما قبل لك اشتد ابهامه وتوهم انه أعرض عن ذكره فلما ذكر بعده صار أوقع في النفس وآكد لانه في قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان لك بمعنى شيئا لك ثم قال صدرك عينه قيل والفضل للمتقدم (حتى لا يؤذيك الوسواس) قال ابن مالك فعلل ضربا صحيح كدحرج وثنائي مكرر نحو كبكب ولهما مصدران مطردان فعللة وفعلال بالكسر كزلزال وهو أقيس فيه وأما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير في المكرر كتمتام وفافا وهو للمبالغة كفعال في الثلاثي والحق أنه صفة وجعله مصدرا أريد به الفاعل أو بتقدير ذو مما لا داعي له كما جنح اليه الزمخشري ومن تبعه انتهى فعلى ما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقية من غير تأويل فهي بمعنى الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشري يفسر بالوسوسة لانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر أو هو اشارة الى ما ورد في الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله لما أراد الله تقديسه وتنويره بنوره منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحي ومشاهدة

الملكوت

(ووضعنا عنك وزرك) أى اثمك وأصله ما يحمل على الظهر ولذا قال (الذى أنقض ظهرك) أى أثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) أى فى المراد من قوله وزرك (ما سلف من ذنبك) يعنى من التقصيرات أو الهفوات والغفلات (يعنى) أى يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه كان بعدها فى مرتبة العصمة (وقيل أراد) أى الله تعالى به (ثقل أيام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة ويجوز تسكينها تخفيفا وهو لا ينافى ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لاشك ان المراد به نوع من أثقال الاحمال وهو الواقع فى أزمنة الجاهلية من أصحاب الفترة قبل ظهور نور الدلالة الاسلامية وقبل اعلاء اعلام العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أى تفاصيل ما يتعلق به على وجه الايقان ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا أى جاهلا عن كمال المعرفة فهدى أى فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع الامة واما الثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلا يبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فعرفها الله تعالى عنه حتى تمكن فى مقام تفويضه وتسليم أمره (وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة) أى اعبائها فانه من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند أرباب الولاية الا بعد حصول مرتبة جمع الجمع الذى يزيل تفرقه بالكلية بحيث لا تشغله الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة (حتى بلغها) بتشديد اللام أى حتى بلغ الرسالة بعدما بلغ تلك الحالة (حكاه الماوردى) من علماء الظاهر وهو ممن تفقه على أبى حامد الاسفرائنى وصنف فى الفقه والتفسير والاصول توفى سنة خمسين وأربعمائة وهو أبو الحسن على بن

الملكوت ونحوه مما لا تطيقه القوى البشرية وهذا مما يؤذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج لتأويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص غير متجه وبهذا يندفع الاشكال فى هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فاوجه الجمع بين المنقول والا فاوجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة وحديث النفس والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت الحلى وسواس وقد اشتهر ذلك فى كلام العرب وما أحسن قول على الباخرزى فى المعنى

وخريدة تكسو الجمال لباسا ❊ قاسى الفؤاد لحبها ما قاسى
حنت خلاخلها بنغمة ساقها ❊ ولذاك سمى رسمها وسواسا

وما أحسن قول أبى الفتح الطى يقال شعرك وسواس هذيت به ❊ وقد يقال لصوت الحلى وسواس وفى الحديث ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم يعمل به أو تتكلم والكلام فى ان جميعه معفو عنه وفيه تفصيل كما بين فى محله لا حاجة للتطويل به هنا كما فى بعض الشروح واما شق الصدر وما فيه فسيأتى فلا حاجة لتلقى الركبان به (ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك) الوزر الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى الازالة وقال ابن عبد السلام فى مجاز القرآن شبه اسقاط مؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط مشاق الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب أيضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر وقبل صوت الجمل أو الرجل أو المركوب اذا أثقل ما عليه ولا يدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض التثقيل فى الحمل حتى يسمع له نقيض أى صوت كما قاله الازهرى وقال ابن عرفة هو اثقال يجعل ما حمل عليه نقضا أى مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا أثقل حمله فله نقيض والفعل بالمعنى المجازى على ظاهره أو على ارادة القرب أى يكاد ينقض أو على التشبيه البليغ أو على تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسيأتى للمصنف كلام فى هذه الآية (قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة) مرضه لما سيأتى من عصمته صلى الله عليه وسلم من الصغائر والكبائر قبلها وبعدها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف عقلا أو بشرع سابق انه خلاف الاليق أو من أمور حرمت عليه فى دينه فعدها أوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من غير مناسب لكلامه الآتى فتدبر (وقيل أراد ثقل) هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا وللاثقال معان أخر مذكورة فى كتب اللغة أى أراد بالوزر (أيام الجاهلية) هى زمن الفترة بعد عيسى عليه الصلاة والسلام الى بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وثقلها عدم رضاه بما هم عليه منها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب المقاتلة للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه صلى الله تعالى عليه وسلم لسلامة فطرته (وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى) أى الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة فى ابتداء تلقيه الوحى من هيبة الملك وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه على القبائل

وشدة أذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاصحابه رضى الله تعالى عنهم ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك عليه بعدما كان يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين أظهرهم لان هذه السورة مكية ووضع الوزر فى القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب أو خلق القدرة عليه كالحذف المستعمل عند المصنفين فى عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب أمة الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة والماوردى هو على بن حبيب القاضى أبو الحسن الماوردى نسبه لأبيه لعمله أو لبيعه والقياس الوردى وهو صاحب التصانيف الجليلة فى التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوى والاحكام السلطانية وهو كتاب جليل لم يصنف فى بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال فى تصنيفه المسمى بالغياثى انه قال فى الاحكام يجوز ان يكون الذمى وزيرا ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدق للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن فى طبقاته والذى جوزه أى الماوردى انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فتنبه له قلت قد تنبهنا لذلك فرأينا جوابه غير صحيح وله رحلة لابى حامد ودرس بالبصرة وبغداد واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم فى بعض أقوالهم مات رحمه الله تعالى سنة خمسين واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة (والسلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو أبو عبد الرحمن السلمى صاحب الحقائق واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة ونقل الذهبى عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكى فى طبقاته واطال فى ترجمته بما لا يناسب الكتاب (وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى) قيل انه يعنى ان الوضع مجاز عن ان لا يخليه بتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم فما هذا المقصود اذ كان النعمة والثناء عليه وسيأتى الكلام على هذا فى القسم الثالث أقول لا بعد فيه فانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وازالته فاذا أريد منعناك منها لعدم خلق الذنب ودواعيه فيك أو لعدم أقدارك عليه لم يبعد لما فى كل منهما من عدم تلبسه بالوزر وأى بعد فى هذا وقد ورد مثله كثيرا لتنزيل ما بالقوة منزلة ما بالفعل ألا ترى الى قوله فى الحديث رفع القلم عن ثلاث ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان أحدا من أهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم عجيب من قائله ومثله غنى عن الرد وقد نقل هذا القرطبى فى تفسيره والسمرقندى تقدم الكلام عليه (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة) يحيى بن آدم بن سليمان الاموى مولاهم الكوفى أبو زكريا أحد الاعلام الذين أخرج لهم أصحاب الكتب الستة وقد وثقه ابن معين وغيره وتوفى سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده امام فسر بالرسالة أو المراد قبولها أو يفسره بغير ذلك ولذا فيه كلام سنبينه ولا يلزم من رفعه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يكفى رفعه على من فى عصره وقيل المراد بالنبوة ما سبق بها سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الازل وآدم عليه الصلاة والسلام بين الماء والطين حيث أخذ الميثاق على ان من أدركه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم اتبعه ولا دليل عليه فى كلام المصنف أقول هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج اليه اذا نقل المراد سواء تعلقت الباء برفع أو بذكر انه شرف ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث خاطبه بيا أيها النبى ويا أيها الرسول فعظمه وقال الله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وهو المذكور فى شروح الكشاف اما اذا قلنا بذلك فلا يحتاج اليه ولكن هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه له

حبيب الشافعى (والسلمى) من علماء الباطن وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الكوفى سمع عليا وابا موسى وغيرهما توفى فى زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتى عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم كذا ذكره التلمسانى وهو غير صحيح فانه متناقض الآخر والاول فتأمل والصواب ما ذكره الحلبى بقوله هو أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة له ترجمة فى الميزان (وقيل عصمناك) أى حفظناك من ارتكاب الذنوب فى فعلك (ولولا ذلك) أى عصمتنا لك (لاثقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندى) أى أبو الليث وبقى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) أى ابن سليمان الاموى مولاهم الكوفى أحد الاعلام اخرج له أصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) أى ورفعنا ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة او بالنبوة المقرونة بالرسالة بين جميع الامة أو بالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقه آدم بين أرواح المرسلين والملائكة المقربين

(وقيل

(وقيل اذا ذكرت) بضم التاء والضمير لله (ذكرت معى) بفتحها او الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والفعل مجهول فيهما (قول لا اله الا الله محمد رسول الله) قول بالرفع بدل من الجملة قبله أو خبر مبتدأ مقدر به ويجوز نصبه بتقدير أعنى وما يضاهيه أى أعنى بذكرك معى ذكر لا اله الى آخره وفى بعض النسخ روى قول الى آخره قيل وهذا بناء على العادة الغالبة أو على الافضل المأمور به وهذا جواب عن سؤال انه قد يقول المؤمن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا ما يذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد فى كثير من مواطن العبادة وأجيب بان اذا الشرطية لا عموم لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر ورفعنا الى آخره بقوله اذا ذكرت ذكرت معى لما سيذكره المصنف عن الخدرى وكذا هو فى زاد المسير وفيه عقبه قال قتادة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله الآتى فى كلام المصنف رحمه الله وهذا تفسير مأثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره تعالى على أفضل الذكر وهو لا اله الا الله الى آخره حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل الصيد فى جوف الفرا والقرينة على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه مذكورا معه اذا ذكر أفضل الذكر أليق بمقامهما وتوسيط المصنف هنا قيل وهى صيغة تمريض والقول للجمهور لا يخفى ما فيه انتهى ولم يرض هذا الشارح الجديد فقال المراد ذكر المؤمن وهو لا يذكر الله الا ويذكر معه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالمصلى اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفى ذهنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه الذى أمره بها فليس المراد بالذكر الذكر القولى فقط بل الاذكار الفعلية والتركية والقلبية والقائل فهم ان المراد بالذكر اللفظى وهذا فهم من لم يتتبع مقاصد الشريعة ثم أطال فى هذا بما محصله ما ذكر ولم يأت بشئ غير ان زاد فى الشطرنج بغلة وفى الطنبور نغمة * أقول هذا جملة ما قالوه فى هذا التفسير المأثور ولم يأتوا بما تقرر به عين التقرير فان قوله اذا ذكرت ذكرت معى ان أخذ كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحده وان عين موضعا فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى ما فى الاهمال من الركاكة وقد أمعنت فيه النظر فلم أر ما يثلج الصدر وترديد السائل غير صفر حتى لاح لى ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على الذكر فى مجامع العبادة ومشاهدها فان ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم مقرون بذكره فيها الى الواقع فى الصلوات والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكره تعالى فى يوم من الايام ولا ليلة من الليالى بل ولا فى وقت من الاوقات المعتد بها فتتجه الكلية * فان قلت من أين لك هذا التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح * قلت المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره صلى الله تعالى عليه وسلم واشاعته على قدر الدال على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه كقرب اسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره فى المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد وأى اشاعة أقوى من الاذان لا فى الاسواق والطرق التى يطرح فيها كل ذكر ثم انهم اعترضوا على المصنف رحمه الله تعالى باتيانه بقيل فى تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب وهذا أيضا من قلة التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله (وقيل فى الاذان) دال عليه فسقط ما قيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد فى البيان وفى الاذان ظرف لذكرت أو رفعنا قيل وهو الاظهر على ما نقله فى المعالم عن مجاهد وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الاذان والاقامة والخطب والتشهد ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص أو تخصيصه برفع الصوت على المبالغة وقيل فى الآخرة وقيل باخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمتابعة

(وقيل) أى فى معناه (اذا ذكرت ذكرت معى) وسيأتى ان هذا حديث مرفوع (قيل فى قوله) كذا بالاضافة الى الضمير أى فى قول القائل والاظهر ان يقال فى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) كما فى نسخة وهو مجرور كما هو ظاهر واغرب الحلبى حيث تبع ضبط بعضهم بالرفع وحاول وجهه بما لا طائل تحته ولعله مبنى على انه وجد فى نسخة قول بلا حرف الجر (وقيل فى الاذان) والاول اعم ولا يبعد ان يقال المراد برفع ذكره انه جعل ذكره ذكره كما جعل طاعته طاعته ولا مقام فوق هذا فى المرتبة وهو تشبيه بليغ يمنع الاتحاد القائل به أهل الالحاد

قيل وهذا مبنى على الغالب أيضا والافقد يقتصر فى الخطبة على ذكر الله تعالى وهو جائز عند أبى حنيفة ومثله نادر فى حكم العدم وفى بعض النسخ فى الاذان والاقامة والنسخة الاولى أشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد وردا طلاق الاذان على الاقامة أيضا والشئ بالشئ يذكر * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الامام الشافعى فى أول رسالته الجديدة و بينه السبكى فى تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله تعالى قال الامام رضى الله تعالى عنه عن مجاهد فى تفسير الآية لاأذكر الاذكرت معى أشهد أن لااله الاالله أشهد أن محمدا رسول الله قال الشافعى يعنى ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية قال السبكى هذا الاحتمال من الشافعى جيد جدا وهو مبنى على أن المراد بالذكر الذكر بالقلب وهو صحيح فعلى هذا يعم لان الفاعل للطاعة أو الكاف عن المعصية امتثالا لامر الله تعالى به ذاكر للنبى صلى الله عليه وسلم بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا أعم من الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان والتشهد والخطبة ونحوها قال الشافعى فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا فى دين أو دنيا أودفع عنا بها مكروه فيهما أوفى واحد منهما الاومحمد صلى الله عليه وسلم سببها انتهى * أقول علم من هذا انه ان أبقى العموم والحصر على ظاهره حمل الذكر على الذكر القلبى فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة فان العاقل المؤمن اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته وهداه الى طاعته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل فانت باب الله أى أمربه اتاه من غيرك لايدخل ومن كلام النبوة الاولى من أراد الوصول الى الله تعالى من غير باب النبوة قطعه الله تعالى عنه ولك ان تقول المراد برفع ذكره تشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمقارنته لذكره فى شعائر الدين الظاهرة وأولها كلمتا الشهادة وهما أساس الدين ثم الاذان والصلاة والخطب فالحصر اضافى (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف وقدمران هذا من تصرف النساخ والافهو يقول يقول الفقير ونحوه (هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) الاشارة لما وقع فى سورة ألم نشرح وهو بيان لحاصلها قال فى المغنى التقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر ويجب ان يليها أى الهمزة الشئ الذى يقرره به وحمل الزمخشرى قوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير على التقرير مراده به التقرير بمابعد المنفى لابالنفى وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا للنفى والمصنف رحمه الله تبع فيما ذكره الزمخشرى (ولكل وجهة هو موليها) فعلى هذا التقرير تفعيل من الاقرار وقد يكون من قرقرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفى حمل ماهنا عليه تكلف لانه لابدفيه من ايلاء المقر راداة الاستفهام نحو ازيدا ضربت فى تقرر المفعول وهنا وليها المنفى ولم يقصد تقريره فينبغى ان يحمل على الاول ويؤيده ماورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى عزوجل فقلت يارب انه قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح الى آخره فقال يامحمد ألم نشرح لك صدرك الحديث * أقول يجوزان يراد بتثبيت مابعد النفى كما أريد فى الاول الاقرار بمابعده فان كلامنهما تأويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعاء الظهور فى احدهما دون الآخر تحكم وقد فسر التقرير هنا بالتمهيد (على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه) على متعلقة بالتقرير سواء كان من الاقرار أو بمعنى التثبيت اما الاول فتأويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فاما كان أولابه عدى تعديته واما على الثانى فظاهر وقيل ان على بمعنى الباء لان الاقرار يتعدى بها فتقول اقر بكذا هو كقوله تعالى حقيق على أن لاأقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والاقال المصنف رحمه الله تعالى تقرير من الله تعالى جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت أى تثبيت من الله عزوجل لنبيه على ماأحاط به علمه من عظيم

(قال القاضى أبو الفضل الفقيه رحمه الله) أى المصنف (هذا) أى ماذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) أى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه) أى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) أى دال على عظمة نعمه السابقة الظاهرة والباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) أى قربه ومرتبته (عنده) أى عنديته المعبر بها عن المكانة (وكرامته) أى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى

(بان شرح قلبه للايمان) أى الكامل الايقان (والهداية) أى الموصلة الى مقام الاحسان أوهداية افراد الانسان الى مراتب حقائق الايمان (ووسعه) بتشديد السين أى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) أى حفظه (وحمل الحكمة) أى وتحمل ما يحكم العلم به من أمر النبوة (ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة أى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية أى لقواعدها وكان الظاهر أن يقول وبغض سيرها له ولعله من باب القلب على قصد المبالغة وأما ما ضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلا وجه له أصلا لا نوعا ولا فصلا (وما كانت) عطف على سيرها أى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع أى بغلبة أمر دينه وتعليته (على الدين كله) أى على الاديان جميعها (وحط) أى وضع الله (عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة) أى تكاليف ثقلهما وحملهما وهو الجمع بينهما بالاخذ عن الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو منزلة الرسالة وهو أمر صعب الامن وفقه الله تعالى وقواه ومنه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء

نعمه وذلك لان هذه النعم عامها وخشى لعدم شكره أن لا يكون منعما فثبت فؤاده على مشهودانها نعم جسيمة ولا يخفى ما فيه والباقى بان شرح الآتى للسببية أوهى متعلقة بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر أى منبها على عظيم الى آخره فلا حاجة الى ما قيل ان على بمعنى الباء والمنزلة تقدم انها الرتبة العلوية علوا ومعنويا والكرامة عليه يعنى كونه مكرما معززا عنده موقرا (بان شرح قلبه للايمان والهداية) تقدم معنى الشرح وان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل ما يدخل من ايمانه وتصديقه بالله فى أول أمره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء أو المراد قبول الهداية أوهدايته الناس كما قال الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة) معطوف على شرح عطف تفسير والوعى الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه فى الدين وفهم القرآن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الآية السابقة وترك بعضها اكتفاء بحكمة فتذكره (ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه) أى أزالها وثقل بزنة عنب ويجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرائع وارتكاب أمور رفعها الله لما جاء الحق وزهق الباطل كما مر (وبغضه لسيرها ولما كانت عليه) السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار وأسار وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهى الهيئة والحالة وشاعت فى الطريقة يقال سار سيرة حسنة أو قبيحة كما قال * وأول راض سيرة من يسيرها * وغلبت السير والسيرة فى السنة أهل الشرع على المغازى كما فى المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال التلمسانى سيرها عوائدها وبغضه فى النسخ فعل ماض مشدد مبنى للفاعل وفى الطرة بغضه مصدر أى بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه صح والصواب أن يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد فى نسختى سوى ما ذكرته أولا انتهى وفى بعض الشروح الذى فى النسخ المقروءة على أبى ذر المحدث أو البرهان الحلبى بغضه بصيغة الفعل المشددة المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على أمور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بغضه لسيرها لبقائه وبقاء لوازمه وأما عطفه على وعى ففاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع من أثناء معنى الشرح وذكر معنى الشرح فى معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا أن ثقل البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب لمعنى الآية أوهو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حيه أقول ما فى الحواشى التلمسانية من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعى بمعنى فهم وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله أى وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه حتى كان لا يخالطهم فى أعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذا كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير فى تفسير كما توهموه وعلى قراءة بالفعل يكون فى كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغض له سيرها (بظهور دينه على الدين كله) متعلق بشرح وقيل برفع وقيل الباء للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة عليه بحيث قهر أهله وأبطل حكمه ولذا تعدى بعلى وأصله ضد الخفاء والدين للجنس الشامل للاديان ولذا أكده بكل (وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة) معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله ووضعنا عنك وزرك والرسالة والنبوة غير محتاجه للبيان لا سيما هنا والاعباء بالمد كالاحمال والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان

منها الامان والموثق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه وأصلحته وحفظته وتسمى
وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدته هذا عليك أي تبعته وما تلزم منه فالمعنى
هنا ان الله حمله احمال الرسالة ولذمته باجراء أحكامها وتبليغها فكان في أول الامر في حرج ومشقة من
خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك انشرح صدره واستراح من ثقلها وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ
الامة وأدى الرسالة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه أقدره على التحمل والصبر ولذا قيل
ان حط العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللائق وهو كلام حسن (لتبليغه
للناس ما نزل اليهم) وروى بتبليغه بالباء بدل اللام وهما متقاربان أي حط عنه تلك الاحمال وأراحه
من الاثقال لاجل انه بلغ ما أمر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه فعل ذلك لاجل التبليغ
فالسببية غايته أو أراد بيان الحط بان وفقه على التبليغ على الكلام ولا يخفى انه غير مناسب للمقام
مع ما فيه من التعقيد بلا فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملائكة أيضا كما
سيأتي بيانه لان حط الاعباء انما هو بتبليغ الناس وتسخيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه
وحاربوه وكذبوه وأما الجن فجرد سماع القرآن أطاعوه ولم يقع منهم ما يتعبه وان كان منهم من لم يؤمن
وليس الكلام في بيان رسالته ونحوها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انما اكتفاء كقوله سرابيل
تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه عليهم وفي الحديث ناس من الجن وبه
فسر قوله تعالى قل أعوذ برب الناس وجعل قوله من الجنة والناس بيانا له وروى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكي انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما
معنيان متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بني آدم أصله أناس ومادته ان الناس من الانس ضد
الوحشة وبالمعنى العام للثقلين أصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف المقصود بالذات
وأنت في غنى عنه كله بما مر (وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه اسمه باسمه)
قدمر انه يقال ناه بالشئ نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر في حديث عمر أنا أول من نوه بالعرب
أي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما في المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
وتنويهه بالجر معطوف على قوله لتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه ويسره لانه يدل على
قبول رب العزة لما فعله من أدائه ما في عهدته وبذل جسمه وروحه في تتميم خدمته وهذا في غاية
الظهور وقيل معطوف على ان شرح وقيل على تقريره فهو مرفوع والداعي لارتكابه مع بعده انه كان
الظاهر أن يقول نوه تفسيرا لرفعنا على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر
الصريح على المأول لئلا يتوهم انه كلام مستأنف والباء في قوله بعظيم متعلقة بتنويهه وليست زائدة
فانه قيل نوهه ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالباء كما مر في كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه
وقوله رفعة ذكره بكسر الراء وآخره تاء تأنيث مضاف لذكره وروى بفتحها واضافته للضمير ونصب
ذكره وروى رفيع عطف على جليل ورفعة ذكره اما بهذا الرفع أو برفع زائد عليه واسمه الثاني منصوب
مفعول قران بكسر القاف مصدر بمعنى الضم والجمع ومنه قران التمر واقران غلط فيه وقيل رواية
وفي نسخة وقرانه اسمه مع اسمه (قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) قد مرت ترجمة قتادة رحمه الله تعالى
وتأتي أيضا ومر أيضا تحقيق هذا الكلام الا انه بقيت أمور ينبغي التنبيه لها وهي ان بعضهم قال هنا ان
ما ذكرها هو الاكمل الجاري في العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة ليست شرطا في أصل الخطبة
وهذا في الدنيا ويعلم أمر الآخرة بالمقايسة عليها وفي الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة فهي كاليد

بكسر فسكون فهمز (لتبليغه) باللام وفي نسخة بالباء وما لهما واحد اذ اللام تعليلية والباء سببية أي لابلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم (للناس ما نزل اليهم) أي متلوا كان أو غيره من أمر ونهي ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (وتنويهه) أي ولرفعه قدره المشعر (بعظيم مكانه) أي مكانته وشأنه (وجليل رتبته) أي عظيم مرتبته (ورفعه) أي ولرفع الله (ذكره) وفي نسخة ورفعة ذكره وروى ورفيع ذكره (وقرانه) أي وجمع الله أي في كلامه بامره وحكمه (مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله عز وجل ذكره في الدنيا والآخر) أي رفعة حسية ومعنوية (فليس خطيب) أي فوق منبر (ولا متشهد) أي عند ايجاد الايمان أو تجديد الايقان (ولا صاحب صلاة) أي في قعدة أخيرة (الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) أو عبده ورسوله وان الاولى مخففة من المثقلة

الجذماء والمراد بالصلاة الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة والمتشهد من تشهد بالوحدانية سواء كان بهذا اللفظ كمن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله المروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وعليه أبو حنيفة فلا يرد انه قد يقتصر فى خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح ونحوه وقيل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله تعالى قائلا به فى عصره وهذا ليس بشئ يتصدى بجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره فى الدنيا التى هى عنوان رفعة الآخرة وقوله فليس خطيب الى آخره يريد ان الخطباء قبله كانوا يعدون مآثرهم ومفاخر قومهم فلما جاء الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باى مذهب كان وأى خطبة كانت كما فى الحج والخسوف والعيد والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله تعالى شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره مقتديا بهديه والمصلى لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وأنت ترى ما فى هذا الكلام الذى لا محصل له ولا يجدى شيأ فالقول ما قالت حزام والتمرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى من أعم الاحوال أى ليس يوجد فى حال من الاحوال الا قائلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقى وابن أبى حاتم فان قلت ما وجه التفريع فى قوله فليس الى آخره وأمر الآخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد أعم من الخطيب والمصلى فكان ينبغى تقديمه أو تأخيره قلت أخذه من اطلاق الآية والحديث والتفريع وجهه ان من رفع الله ذكره فى الدارين حقيق بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد منه الآتى بكلمة الشهادة فى غير الخطبة والصلاة لان غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر (روى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) وهو سعيد بن مالك ابن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة المنسوب اليه على الاصح وسيأتى الصحابى الانصارى ونسبته بخدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة يليها راء مهملة وهاء وهو حى من الانصار سمى باسم جدهم ثم نسب اليه كتميم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة أمه وهذا الحديث كما قاله السيوطى والشيخ قاسم فى تخريج أحاديث هذا الكتاب أخرجه أبو يعلى فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والطبرى فى تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل من ان فى زاد المسير ما يخالفه فان ذلك من واد وهذا من واد ولا لما قيل ان فى المعالم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الآية فقال قال الله تعالى الى آخره فلعله بعد السؤال جاء وقال ان ربى الى آخره وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة اما فى كلام المصنف رحمه الله وقوله (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك) تقديره أتدرى فحذف من حرف الاستفهام وهو جائز مع القرينة فى النظم والنثر كما فى المغنى وغيره وقول التجانى انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روى هذا الحديث أيضا أتدرى بثبوت الهمزة على أصلها سواء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا وان سرق أو غير حقيقى كقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم على قراءة والاستشهاد بهذه الآية للحقيقى سهو والاستفهام هنا غير حقيقى لاستحالته على علام الغيوب والسرائر بل هو تقريرى ليقر بعد علمه فيعلمه من لدنه والمشهور فى مثله ان معناه أتدرى جواب هذا السؤال وليست كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه فى بيان حاصل المعنى فما قيل من انه مخرج عن معنى الاستفهام أى تدرى كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة التوجه والافتخار لكنه أعجمية مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به أهل اللغة وتدرى متعلق عن الجملة التى بعده كما فى قول زهير

وما أدرى وسوف أخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وكيف فى محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة فى اعرابها من انها ان وقعت قبل

(وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند أبى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) أى أتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك قلت) وفى نسخة فقلت

(الله ورسوله أعلم) الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع في نسخة زيادة يعني جبريل فانه لا يلائم المقام (قال)

أي الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي الزاهد البغدادي أحد مشايخ الصوفية بالعراق كان قانتا مجتهدا في العبادة لا ينام من الليل الا ساعتين ويختم القرآن في كل يوم وله أحوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة كذا ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني والحاصل انه قال معنى رفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكري معك) وفي نسخة بذكرك معي وهو الاظهر فلا يصح ولا يعتد به شرعا مالم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما في صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجي وفيه ابحاث ليس هنا محلها

كلام تام فهي حال والا فهي خبر الا ان هذه القاعدة غير مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف وهي سؤال عن الحال والصفة أي على أي حال ومعنى رفعت لك ذكرك وليست منصوبة بتدري لان لها الصدر ووقع في بعض النسخ فقلت الله ورسوله المراد به هنا جبريل عليه السلام لانه من رسل الملائكة الذين يرسلون بالوحي لانبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام اعلم كذا عندي في نسخة مصححة مقروءة على المشايخ وفي نسخة شرح عليها الشارح الجديد اسقاطها وقال لم أجدها في نسخة من الشفاء واللائق عدم ذكرها وليس كما قال والتفضيل اما في الزيادة في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت أصل العلم له في هذه المسئلة أو المراد اعلم فيها نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجوزا وظنا فالترجيح في الكيفية والمطلوب حصول اليقين أو وجه آخر واعلمية جبريل عليه الصلاة والسلام منه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والآخرين كما ثبت في الصحيح أو بالنظر الى علم الله فعلمهما أتم من علمه وان كان علمه أتم من علم أحدهما أو بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دائمة له صلى الله تعالى عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق أقول الظاهر انه أراد تفضيلهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في خصوص هذا العلم أو على الاطلاق اما على الله فظاهر واما جبريل فلعلمه ببعض الامور التي لم يعلمها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاعلام الله له بها او لكونها في الملا الاعلى ولا يلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه واما ما ورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم علم الاولين والآخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد أمره الله بان يقول لا أعلم الغيب ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال لا أدري ما يفعل بي ولا بكم وهذا مما لا يشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والآخرين متعلق بمعرفة الله وأحوال الامم السالفة والآتية اجمالا من خير وشر وأوحى اليه ببعض المغيبات أيضا وأخبر بها بعض أصحابه كما في حديث حذيفة فتعلق أفعل مني أو من كل أحد غيرهما أو لا متعلق له كما في قوله الله أكبر في أحد الوجوه وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله أكبر أو اعلم مني بناء على انه علم رفع ذكره وهذا مما لا ريب فيه أو فهم من جبريل عليه الصلاة والسلام انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها اه ولو كانت مما استأثر الله به قال لجبريل ما المسؤول عنها باعلم من السائل كما في حديث آخر أو المراد انهما سيان في عدم العلم لان قولك ما زيد باعلم من عمرو المراد به نفي المساواة كما مر وهو أحد احتمالات في مثله واما ما ورد من علم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم الاولين والآخرين فلعله كان آخر أحواله بعد انقطاع مجيء جبريل اه وقيل المراد ان الله أعلم من كل عالم ومنه يستمد العلم أي لا أعلم الا ما علمني ربي واما كونه علم علم الاولين والآخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوائده كما أنعم الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقي واحتياجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الوحي مقتضى مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذه آخر أحواله غير سديد لان هذه القصة وقعت ليلة الاسراء وهي من أول أحواله وجبريل عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا ومع هذا ابتناؤه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالسويداء رجالا تركته رأسا (قال اذا ذكرت ذكرت معي) قدمر شرحه (قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك) لم يسم المصنف رحمه الله تعالى ابن عطاء فلم يدر ما مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمساني هو أبو عبد الله محمد بن عطاء شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيري سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقال الشمني انه أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الزاهد البغدادي الآدمي وجزم بانه المراد هنا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضي الله تعالى عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين انه

تواجد

تواجد فقال أما الصحابة فكوشفوا بالشريعة في سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف
من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكرى معك روى بذكرك معى وهذه النسخة واضحة
والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجئ لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه
باعتبار الاكثر المعتاد في مواطن وأقوال مخصوصة كقول المتشهد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله وقد قيل ان في كلام المصنف رحمه الله تعالى تكرارا وانتشارا واللائق بالمصنف ذكر الاقوال
ثم حاصل معنى الآيات وفي بعض العبارة قلب ايماء الى شرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله لا يذكرك
أحد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل وانا أقول هذا من عدم الوقوف على مراده
لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو بصدده عقبها بذكر
أقوال المفسرين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه وأيه مسنده ثم ختمه
بكلام أرباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معى
وذكرى معك وذكرك عين ذكرى وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله
أو معه أو بعده اما الاول فظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة في
نفس الامر واما الثاني فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل وقد تقدم

فانت باب الله أي امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل

وأما الثالث فلانه من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآني
فقد رأى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن ليس له قلب ينظر بعين الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما
لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة وأما من يقول بانه مجرد
التصديق فجعله تماما باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يأت به لسانا لان الامر مبني
على الظاهر والله أعلم بالسرائر قيل وهذا قول غير قتادة لانه لم يعتبر كونه من تتمة الايمان فتوهم العينية
فاسد وفيه نظر فتدبر (وقال أيضا) أي وقال ابن عطاء المعرى قولا كالذي قبله وأيضا مفعول مطلق لفعل
مقدر من آض اذا عاد ورجع قيل واستعير هنا لمجرد الانضمام ولك ان تبقيه على معناه الحقيقي لانه
عاد لكلام ابن عطاء رحمه الله تعالى (جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني) ذكرا مفعول ثان
لجعل والظرف بعده صفة أو تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثاني والمعنى واحد أي كان
ذكرك عين ذكرى لعدم انفكاكه عنه غالبا أو هو مثله في التقرب به والاجر او هو معدود من افراده لما
ورد ان كل مطيع لله ذاكره والاسناد مجازي والفاء تفسيرية أو تفريعية (وقال جعفر بن محمد الصادق)
تقدم بيانه قريبا (لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية) الاستثناء من أعم الاحوال والجملة التي
بعد الا حالية ولا حاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية صفة مصدر من الرب وهذه الياء تسمى
الياء المصدرية ولا بد معها من تاء التأنيث وفي هذه الياء بحث ذكرناه في رسالة المصدر والسوانح ومعنى
كلام جعفر رضي الله تعالى عنه انه لا يعترف أحد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته
لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية أو سمعا كما ذهب اليه غيرهم
كما تقرر في الاصول وقيل المراد الا وقد أراد ذلك أو عبر بالماضي عن المضارع مبالغة في تحقق وقوعه وفي
الاول اشكال لعدم مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه أو لان معنى الرسالة شرعا انه انسان بعثه الله
لتبليغ أحكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة لمربوبية الرسول
للمرسل اليه وقيل المراد ان من آمن بك آمن بي وفيه تكلف ظاهر ثم ان ما قاله الصادق وغيره مشترك

(وقال) أي ابن عطاء
(أيضا جعلتك ذكرا
من ذكري) أي نوع ذكر
من اذكاري (فمن ذكرك
ذكرني) أي فكأنه ذكرني
وهو قريب مما قبله
(وقال جعفر بن محمد
الصادق) بالرفع (لا يذكرك
أحد بالرسالة) أي
بالارسال للعبودية (الا
ذكرني بالربوبية) أي
وبتوحيد الالوهية

فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بحسب الظاهر فالانسب حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتميز انتهى وقد عرفت معناه وانه محمول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضى لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبد باظهاره والنداء به على رؤس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذى بينه وبين الوضع صنعة الطباق واما عدم مقارنة الحال فظاهر السقوط لتقدم الايمان بالله أو ارادته على الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل بعد مقارنا عرفا ومثله يكفى عند النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ما ادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة فى نداء الاذان والاقامة والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر فى الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فيختص القرآن الواقع فيه بهذه الكيفية بسيدها ونبيها عليه أفضل الصلاة والسلام اختصاصا حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا فى غاية الظهور (وأشار بعضهم فى ذلك الى مقام الشفاعة) المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله فى ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا فى الدنيا والآخرة فانه فى الآخرة بالشفاعة وهو أحد أقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردى وقال البرهان لا أعرفه (تتمة لطيفة) لما ذكر الله عز وجل فى آخر السورة التى قبل هذه قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ثم أتى بعدها بقوله ألم نشرح لك صدرك قال بعض المشايخ اشارة الى ان شكر النعمة والاعتراف والرضا بها انما ينشأ منه انشراح الصدر ورفعة الذكر ثم وسط بينهما اعباء الرسالة التى تنقض الظهر وفذلك عسر بين يسرين فلذا قال فان مع العسر يسرا الى آخره ثم أشار الى ان مقصوده من الدنيا انما هو اداء خدمة الامانة وانه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه الذى هو مطلبه لاما سواه فلذا قال تعالى فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح بل اجتهد فيما يقربك والى الله تعالى فارغب كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فتنبه لاسرار التنزيل (ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال أطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله) لما قرر الثناء من الله برفعة قدره وذكره فانه اذا ذكر ذكر معه كما ورد ذكر القرآن فى كلام الناس وما يحكى عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كالآيتين المذكورتين وفيه ما زيادة على ما ذكر لا بن عطاء لفظا قران طاعته لطاعته لان أحدهما لا ينفك عن الآخر كما قال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قال

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ❊ فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكروا اما مصاحبة الطاعة للطاعة فهى معنوية لا لفظية هنا بمعنى انها لا تنفك عنها بل هى عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره أمر حقيقى لا من قبيل عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فانه فى الآيتين كذلك لاقتران الطاعة لله بطاعته فى قوله تعالى أطيعوا الله والرسول لانه بمعنى وأطيعوا الرسول وأما قوله آمنوا بالله ورسوله فقال لمقارنة الاسم على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل آية مثالا لهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذى هو الانقياد والاستسلام وقد يكون بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا فى الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له كمطيع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذاكر الله عز وجل ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر مجازى فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثانى حقيقة وان الآية من باب عموم المجاز

(وأشار بعضهم كالماوردى (بذلك) أى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية ثم لا منع من ارادة الجمع (ومن ذكره) جار ومجرور ومضاف (معه تعالى) أى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية (طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال وأطيعوا الله والرسول) وكان الاظهر ان يقال وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى

اذا المراد بالذكر هنا معنى يعمهما فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا انتهى والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى ان قصد اقتران الاسمين وزاد الطاعة لوقوعها فى الآية والحديث فالامر فى الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شئ مما قالوه وان أراد به ان كل منهما على اللف والنشر لان فى كليهما اقتران الاسمين فظاهر أيضا وان أراد اقتران الطاعتين والاسمين فى كل منهما فهو الذى يحتاج للتكلف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدأ مؤخر واما كون من مبتدأ الانها بمعنى بعض كما قيل فى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا) فى البقرة فلا وجه له (فجمع بينهما بواو العطف المشرك) بكسر الراء المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل للاسمين والطاعتين وجعلها مشتركة لافادتها المشاركة المتعاطفين فى الحكم من غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت الرتبة لا التسوية وكذا الفاء والواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتأخر والمعية على الصحيح (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه السلام) قيل أى جوازا من غير نهى فلا يباح * واعلم ان الجواز يطلق فى لسان حملة الشرع على أمور كرفع الحرج أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مكروها وعلى مستوى طرفى الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح لفقهاء فى العقود هكذا ظاهر والغريب ما فى قواعد الزركشى ان جاز كذا استعملوه فى الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دائرا بين الحرمة والوجوب فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة فيبقى الوجوب أى تشريك الله تعالى وغيره بالعطف بالواو فى حكم من الاحكام لا يجوز الا فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر شرف به رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر فى تفسير ورفعنا لك ذكرك وقد اعترض بعض الشراح على هذا وقال ان القاضى وهم فيه فان الذى لا يجوز لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع اسم الله واسمه مع اسم غير النبى فى ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا أن يرد عن الله كقوله (ان الله وملائكته يصلون على النبى) واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما أظن ان أحدا منعه وكيف يختص هذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله) وقوله (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفى الحديث القدسى (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين) وقيل أيضا ان أراد أن مثله لم يرد فى القرآن وغيره فليس كذلك وان أراد انه لا يجوز لنا فأى مانع من ان يقال أطع الله وأطع القاضى أو الامير لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وأجاب بعضهم بان مراده انه منهى عنه تنزيها وأدبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب فى اللفظ وترك ما يوهم خلافه بالاتفاق وأطلق نفى الجواز اعتمادا على تصريح الخطابى وغيره ولا دليل فى الآية لما سيجئ ولاحتمال الجواز بالتبعية نعم يشكل هذا بقوله تعالى (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) و(من كان عدوا لله وملائكته) و(أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) ومثله فى الحديث الا أن يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل أولى وأقوى وان يختص النهى بالامة والله تعالى يفعل ما يريد كما ذكره القرطبى فى معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع الواردة مختصة أو الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاول فتأمل وقال تلميذه ابن الحنبلى قوله (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو فى حق غير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر أطيعوا مرة أخرى كما لم يكرر اللام فى حديث (الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) فى العامة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالى فى الاحياء يدل على انه حرام كما ذكره فى باب آفات اللسان الا أن الله تعالى يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه وأطال بما هذا محصله وسيأتى تحقيق هذا المقام فى شرح الحديث الآتى بما يثلج به الصدر

(فجمع بينهما) أى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء وفى نسخة بتخفيفها أى الجاعلة للمعطوف اشتراكا فى المعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لا ينافى ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه) أى فى حق أحد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) أى ممن لا يكون فى مرتبته من وجوب الايمان والاسلام والانقياد آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأمثاله وكان الاظهر ان يقال ولا يجوز لاحد غير الله سبحانه وتعالى أن يجمع هذا الجمع فى الكلام كما يدل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال

(حدثنا الشيخ أبو على الحسين بن محمد الجيانى) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة له كتب مفيدة فى تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو فى اصطلاح المحدثين من أحاط علمه بمائة ألف حديث (فيما أجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو أبو على بن سكرة الصدفى أو غيره من مشايخه (عنه) مرويا عن الجيانى وقد أجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) أى الجيانى فى الاجازة أو الراوى عنه فى القراءة (انبأنا أبو عمر النمرى) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسه) سبق ذكره (حدثنا أبو داود السجزى) بكسر مهملة وسكون جيم فزاى نسبة الى سجستان بكسر أوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو أقاليم ذو مدائن بين خرسان والسند وكرمان (حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلى (الطيالسى أخرج له الجماعة الستة قال أحمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هو ابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) أى ابن المعتمر أبو عتاب السلمى توفى سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبد الله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هو الجهنى الكوفى أخرج له أبو داود والنسائى وهو اخو سليمان وسعيد توفى عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) أى ابن اليمان (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق أبى داود ورواه أيضا النسائى وابن أبو شيبة عن

ان شاء الله تعالى قال (حدثنا الشيخ أبو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه) الشيخ من طعن فى السن ثم شاع فى كل من تصدر لافادة العلوم وأبو على الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد الياء التحتية وألف ونون تليها ياء النسبة الى جيان وهى بلدة بالاندلس ولد فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الائمة وروى عن ابن الحكم وابن سكرة وزهير وخلق وتوفى فى ليلة الجمعة لاثنى عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يخرج من الاندلس وقوله وقرأته على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ائتمنه واستوثق أحكم ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف رحمه الله تعالى من أراد قال البرهان لا أعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله أجازنيه يعنى انه روى عنه بالاجازة وان كان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد رحمه الله تعالى وتوثيق مثل المصنف رحمه الله تعالى لشخص يخرجه عن حكم المجهول وايهام التعديل فيه خلاف فى كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك أخبرنى الثقة وكذا يقوله الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل يقبل ممن عرف انه اذا أطلق يعنى به معينا وقال أبو حاتم الرازى اذا قال الشافعى حدثنى الثقة عن ابن جريج فهو مسلم بن خالد الزنجى واذا قال أخبرنى الثقة عن ابن أبى ذئب فهو ابن أبى فديك واذا قال أخبرنى الثقة عن الليث بن سعد فهو يحيى بن حسان واذا قال أخبرنى الثقة عن الوليد بن كثير فهو عمرو بن أبى سلمة واذا قال أخبرنى الثقة عن صالح مولى التوءمة فهو ابراهيم ابن أبى يحيى والاجازة يأتى الكلام عليها وهى أن يقول له أجزتك أن تروى عنى كذا أو جميع مروياتى وفى تصحيح لفظها كلام فى ابن الصلاح فيه كلام كتبناه فى حاشية ليس هذا محله وهى مقبولة ولا عبرة بقول أبى طاهر الدباس انها لا تقبل نعم هى انزل من غيرها وانما قدمها المصنف رحمه الله تعالى لعلو سنده فيها على السماع الذى بعدها وان كان بينهما فرق قال (حدثنا أبو عمرو النمرى) هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن أحد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره أيضا وكذا أبو بكر بن داسة الذى ذكره بقوله (حدثنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود السجزى) هو سليمان بن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزى بكسر السين المهملة تليها جيم ساكنة وزاى معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب الى سجز وهو اسم سجزستان أو بلدة منها قال فى جامع الاصول وهو الاشبه وهو أقليم بقرب خراسان قال (حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله ابن يسار عن حذيفة) رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الطيالسى هو هشام ابن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن ظرف أخباره انه روى عن سبعين امرأة وهذا فى غاية الغرابة وروى عنه أحمد وأبو داود وقال أحمد انه كان فى عصره شيخ الاسلام وأخرج له أصحاب الكتب الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين وله من العمر أربعة وتسعون سنة كما فى الميزان واما عبد الله ابن يسار فبمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهنى الكوفى أخرج له أبو داود والنسائى توفى عام احدى وثلاثين ومائة ولهم عبد الله بن يسار كنيته أبو همام لكن قال الحافظ البرهان انه لم نر لواحد منهما رواية

عن حذيفة فى الكتب الستة وأما خارجها فلا أدرى وليس فى الكتب الستة أحد يقال له عبد الله بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث روى من طرق كثيرة وأما حذيفة فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث كما قال ابن الجوزى وممن يقال له هذا اللقب أيضا سفيان الثورى (قال لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ولكن ماشاء الله ثم شاء فلان) قال التلمسانى وقع فى نسخة باثبات مابعد ثم أى ثم ماشاء وعليه صحح العرفى وفى الطرة ثم شاء بدون ما وهو كذا بخط القاضى وهذا هو الاشهر وهو المروى فى شرح مسلم للنووى وهذا النهى تنزيهى لرعاية الادب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوى كما سيأتى بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا وفى شرح التجانى انما جاء النهى عن التشريك فى المشيئة بين الله وغيره لايهامه ان مشيئة الله تعالى موقوفة على مشيئة غيره تعالى عن ذلك فاذا وخلصت المشيئة لله جاز أن يعلق الفعل على مشيئة غيره مجازا ثم التى للتراخى وعطف مشيئة العبد على مشيئة الله على أن يكون ما موصولة أو عطف مشيئة العبد على مشيئة الله على أن تكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف أى كائن أو كائنة انتهى ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه التنفير عما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على أن قوله ماشاء الله الى آخره وقوله ماشاء الله وفلان هو شامل لماشاء الله ومحمد و يعضده ماورد فى الحديث عن الطفيل انه رأى ناسا من اليهود والنصارى فقالوا له نعم القوم أنتم لولا قولكم ماشاء الله وشاء محمد وفى رواية أنهم قالوا له انكم تشركون ولا تدرون فاخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ماشاء الله وحده ثم محمد وقول المصنف رحمه الله السابق لايجوز هذا الجمع فى غير حقه لايوجب جوازه فى حقه فى الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين وقد صرح بعضهم بكراهة أعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان انتهى* ثم أن هذا الحديث روى بلفظ آخر وهو ولا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد بل قولوا ماشاء الله ثم شئت قال العلامة الطوفى فى كتاب اللآلى هذا تنبيه على تراخى رتبة المخلوق عن الخالق والواو تفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب* فان قيل قد أقرهم صلى الله تعالى عليه وسلم على قولهم الله ورسوله أعلم ولم يأمرهم أن يقولوا ثم رسوله* أجيب بان فى ماشاء الله وشئت تسوية بينهما فى أصل المشيئة وقوتها لفظا ولا كذلك الله ورسوله أعلم فان أعلميته بالنسبة اليهم حق و بين الله ورسوله اشتراك فى أصل الاعلمية لان الله أعلم من الرسول وكل أحد والرسول أعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخلق له فى المشيئة لقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وفيه نظر لان علم الخلق متأخر عن علمه تعالى أيضا وبقى فى هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الآتى (قال الخطابى) بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو أبو سليمان حمد بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن ابراهيم البستى المعروف بالخطابى وجاء عنه أنه قال ان اسمى الذى سميت به حمد لكن الناس كتبوا أحمد فتركته قيل انه نسبة الى زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى أخى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقال الذهبى لم يثبت هذا وكان رأسا فى سائر العلوم لاسيما الحديث والفقه والادب شافعى المذهب أخذ العلوم عن كثيرين فالفقه عن القفال واللغة عن أبى عمر والزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة منها معالم السنن وغريب الحديث وشرح أسماء الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفى ببست سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله (أرشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب فى تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه) أرشده دله وهداه لما فيه الرشاد والصلاح وفى المصباح عن أبى زيد يقال أرشده اليه وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وفعله أدبته وأدبته ومنه أدبه تأديبا اذا

لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان) أى مع اعادة الفعل بصريحه فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك فى معية المشيئة وان كانت الواو مفيدة [illegible] الجمع والاشتراك لاشك انه من الاشتراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) أى يجوز له أن يقول (ماشاء الله ثم شاء فلان) على ما فى الاصول المصححة أى متابعة لمشيئته موافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تأثيرا فى قضيته فان شاء الله كان سواء شاء وأبى فلان ومالم يشأ لم يكن سواء شاء أو ماشاء فلان مع أن العبد لم يكن له مشيئة الا بعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله (قال الخطابى) بفتح معجمة وتشديد مهملة هو الامام الحافظ أبو سليمان البستى نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفى ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (أرشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) أى الواجب مراعاته من جهة الرب (فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه)

عاقبته على اساءته لانه يدعوه الى حقيقة الادب أى دلهم على رعاية الادب فى كلامهم هذا وأما الادب المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد فى كلام العرب العرباء والمشيئة الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه فى الاصل والفرع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات (واختارها بثم التى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك) ضمير اختارها لمطلق المشيئة أو لمشيئة الله أو لمشيئة من سواه أى اختار المشيئة ملتبسة بثم على المشيئة بالواو وليس هذا من باب الحذف والايصال وأصله اختار لها كقوله تعالى عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فانه لا داعى له هنا أى أرشدهم الى أن يراعوا الادب فى هذا بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة غيره معطوفة بثم والنسق العطف بأحد الحروف المشهورة من نسقه اذا ضمه والتراخى تفاعل من الرخاء وأصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفى الامر تراخ أى فسحة كما فى المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك فى الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا تنافيه فى الواقع أيضا فليس فى ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما يوهم خلافه لاسيما اذا لوحظ العدول عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة الدالة على ترك الادب وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هو الصحيح عند النحاة وقد أنكر الفراء دلالة ثم على التراخى وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون حقيقيا ورتبيا وذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه فى كتاب المجاز كفانا ترك المصنف له مؤنة ذكره وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائى وغيرهما وهو حديث صحيح ثم انه قيل هنا أن المنع فى الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله وغيره فى حكم الاتيان بالواو فالاستشهاد به ظاهر وان كان الامر فى المشيئتين فهو يدل على النهى عما يوهم خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المصنف استنباطا فلا يرد عليه أن المنع فى الحديث انما هو لاجل أن مشيئة العبد متأخرة عن مشيئة الله تعالى لا للعطف والجمع وأيضا فى الكلام ايهام توقف مشيئة الله على مشيئة العبد فمنع لهذا لانه على التقديرين يفيد مدعاه أيضا كما مر ثم ان ظاهر كلام المصنف يقتضى انه لا يمنع الجمع بين مشيئة الله ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقى رحمه الله تعالى فى حديث طويل لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المصنف من الطاعة والايمان ونحوه مما لم يرد فيه نهى *(فائدة)* فى بعض الشروح أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اذا ضم لقوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله أنتج ان ما تشاؤن كائن لا محالة وهو خلاف لتخلف كثير من مشيئتهم وأجيب بان المعنى ما تشاؤن شيأ كائنا الا ما شاء الله كينونته (ومثله الحديث الآخر) أى هو مثله فى التنزيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح فى صحيح مسلم وسنن أبى داود مسندا (أن خطيبا خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم كما قاله الطوفى وقال البرهان الحلبى لا أعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابى الانصارى الذى شهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وان فى عبارة المصنف مفتوحة ويجوز كسرها على الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهى معروفة وهذا الخطيب كان قد خطب قومه عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى الخطب للامور المهمة وللنكاح قاعدا أو قائما وكذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) قال فى المصباح الرشد الصلاح وهو خلاف الغى والضلال ورشد رشدا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال مثله غيره من أهل اللغة فشين رشد فى الحديث مفتوحة وهو المشهور رواية ويجوز كسرها وروى من

(واختارها) قال الحجازى ويروى واحتازها بمهملة وزاى والظاهر انه تصحيف أى اختار العبارة فى تغييرها التعبير بها (بثم التى هى للنسق) بفتحتين أى للعطف بالترتيب (والتراخى) أى المهلة فى الوجود والرتبة (بخلاف الواو التى هى للاشتراك) وهو قد يكون بالمعية والقبلية والبعدية وبخلاف الفاء التعقيبية (ومثله) أى مثل الحديث المتقدم فى النهى (الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هو ثابت بن قيس ابن شماس (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) بفتحهما وبكسر الثانى بمعنى اهتدى

باب علم أيضا ومن الغريب ما حكاه السبكى فى طبقاته أن شهاب الدين بن المرحل قرأ على الحافظ المزى رشد بكسر الشين فرد عليه وقال رشد بالفتح وقال له قال الله تعالى لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل وكذلك قال فأولئك تحروا رشدا فسكت يعنى الحافظ أن يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا أو مضموما والثانى غير محتمل فتعين الاول فأجابه بان مصدره ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر فعل المكسور قال ابن هشام والذى فى كتاب سيبويه رشد كسخط فجاء السماع على وفق سماع ابن المرحل فلله دره قال السبكى رحمه الله لا وجه للقياس مع الرواية فان المروى فى الحديث هو المشهور فى اللغة انتهى وكذا نقله السيوطى فى شرح سنن أبى داود واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (ومن يعصهما) قيل آثر المصنف رحمه الله تعالى رواية الوقف على يعصهما ليظهر منشأ القول بان المنع للوقوف وان لم يرض به كما ستراه وقد خفى هذا على المعلقين انتهى قلت كيف يخفى وقد ذكره الدلجى فلا ينبغى مثله من مثله (فقد غوى) فى النهاية غوى يغوى من باب ضرب والغى والغواية الضلال والانهماك فى الباطل وفى شرح سنن أبى داود غوى روى بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب) وفى سنن أبى داود قم اذهب بئس خطيب القوم أنت فان لم تتعدد القصة فبعضها رواية بالمعنى الا أن قوله أو قال يقتضى شك الراوى ويحتمل أنه اختلاف فى الرواية ان كان القائل غير الراوى الاول وهو معطوف على مقدر مثله أو هو معطوف على الاول فتدبر ولم يكتف بقوله بئس الى آخره حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا أدب له لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم أيضا اذهب من مجلسى كما قال

كأس اذا أبصرت فى القوم محتشما * فى الحال قالت له قم غير مطرود

وأما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له أو باسقاط العاطف أى قم فاذهب وبئس مستوف لجميع الذم كاستيفاء نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه الخطبة يخطبها القاعد والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة أو مفاخرة على عادتهم فقد أخطأ فى فهم المراد وكيف يتوهم أن يخطب للجمعة غيره بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أبو سليمان) هو الخطابى (كره) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) أى كره أن يعبر عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر أى بين مسمى الاسمين بكلمة واحدة وهى ضمير التثنية فى قوله يعصهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة المخصوصة عند النحاة ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهرى فى التهذيب كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أى الكلمة التى قرأها أو قرأته ومنه الحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف فى أحد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى أفرد بالتأليف وأما مجىء الكناية بمعنى الضمير فاصطلاح كما فى الكشاف فى أول سورة البقرة وقال الرضى الكناية فى اللغة والاصطلاح أن يعبر عن معنى لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح فى الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجاء فى فلان أو للاختصار كالضمائر الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية أو طريقة الكناية أو كلمتها وهى الضمير وهذا هو الاشبه فيه وان نوقش فى الاختصار بان بعض الضمائر أطول من بعض الظواهر كزيد وايا فقيل بانه أغلبى وعدل عنه الشريف فى شرح الكشاف وعلل بدفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية آلته وهى ضمير الغائب بان أراد معناها من ضمير واحد والحرف لغوى أفرد لارادة الجنس أو لشدة الاتصال ولانه الاصل لها وقال الرضى الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة

(ومن يعصهما) أى فقد غوى كما فى نسخة صحيحة أى ضل عن طريق الهدى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم) أى من هذا المجالس أى فانك قليل الادب والحديث أخرجه النسائى فى اليوم والليلة وأبو داود فى الادب ورواه مسلم أيضا (قال أبو سليمان) أى الخطابى (كره) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أى من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر تعبير كوفى بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذى هو الخفاء ويقابلها الظهور والظاهر وهو ضد المضمر وهو تعبير بصرى (لما فيه) أى فى الجمع بينهما بالكناية

ظاعتهما وعصيانهما متلازمان فى ترتب الهداية والغواية كما يشير اليه قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه بافراد الضمير الشامل لكل منهما وان كانت رتبته تعالى أجل وأعظم من تقابل بمرتبة مخلوق وان كان تشرف وتكرم ولذا قال النووى والصواب ان سبب النهى والذم هوان الخطيب شأنه الايضاح واجتناب الرمز والاشارة لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع منها قوله عليه الصلاة والسلام أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومما يقوى كلام النووى ان كلام الخطيب جملتان مستقلتان (وذهب غيره) أى غير الخطابى وأراد بعضهم (الى انه انما كره الوقوف) أى التوقف (على يعصهما) لوصح هذا الوقف سواء أتى بعده بقوله فقد غوى أو اقتصر اكتفاء بما يعرف من الضد فانه مقصر لا محالة لعدم تمام الكلام ونظام المرام ووجود الايهام (وقول أبى سليمان) أى الخطابى (وأصح) أى من قول القائل السابق (لما روى فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) أى فى هذا الحديث (الوقوف على يعصهما) وأنت قد عرفت

المرجع ولا يخفى ان أنا وأنت فيهما تصريح بالمراد وقال التلمسانى الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن وهى الستر انتهى فقد نفخ فى غير ضرم فانه كيف يعد صريحا وهو صادق كل متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه والعجب ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشى الشمسية للعماد وممن تبعه وقال انه اصطلاح منطقى وفى الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحياء يقتضى انها تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان حسان رضى الله تعالى عنه شاعره ولما قدم وفد تميم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام خطيبهم فخطب وافتخر قام ثابت رضى الله تعالى عنه فخطب بكلام جزل وهو من كبار الصحابة الانصار شهد المشاهد فبشره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة كما ورد فى الحديث فكيف يقال له بئس خطيب القوم أنت وأجاب عنه بانه لا ينافى ذلك زجره لخطائه بمخالفة الادب لاسيما وقد ورد فى الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال شارطت ربى فقلت اللهم انما أنا بشر فاى المسلمين لعنته أو سببته أو آذيته وشتمته فاجعله له زكاة وأجرا ورحمة وفى رواية اجعله كفارة له يوم القيامة وفى رواية أبى داود فى السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه (لما فيه) أى الجمع (من التسوية) والآتى بيان المراد بها (وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول أبى سليمان أصح لما روى فى الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما) وقال النووى الصواب ان سبب النهى ان الخطبة شأنها الايضاح واجتناب الرمز ولهذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وقال العلائى فى كتاب الفصول المفيدة قيل فى الجمع بين هذه الاحاديث وجوه * منها ان هذا خاص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يعطى مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه أصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع فى الضمائر بين الله وغيره فلذا اجاز الجمع بينهما فى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وغير ذلك وأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الى آخره ويعلم منه ما فى كلام الله بالطريق الاول ويرد عليه حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه الذى علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا أن يقال يؤخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون فى خطبة الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع فيها وفيه نظر * ومنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين أنكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين عند الجمع فى الضمير ولعل هذا أقرب مما قبله * ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاول لما فى افراد اسم الله عز وجل من التعظيم له بدليل انه ورد خلافه فى الاحاديث وهو قريب مما قاله الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب * ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك الخطيب لانه فهم من التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث أبى داود الذى علم فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمته كيفية خطبة الحاجة قوى الاحتمال ومثله قيل فى حديث لا تفضلونى على موسى عليه الصلاة والسلام انتهى أقول فى هذا المقام اضطراب وأشكال لان مقصود المصنف رحمه الله تعالى ذكر ثناء الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وأدرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو المشركة عقبه بحديث النهى عن قول ما شاء الله وشاء فلان

مؤيدا به انه لا يجوز العطف بالواو فى حق غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على هذه الرواية والنهى
عن عطف مشيئته بالواو دون ثم ثم ترقى الى النهى عن جمع اسم الله وغيره فى كلام واحد وهو كلام
متجاذب الاطراف بحسب الظاهر سواء قلنا النهى تنزيهى على الصحيح أو تحريمى لكن اذا تأملت
كلامه وجدته مخالفا لما فى نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لوروده فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا فى القرآن والحديث ولا مانع منه عقلا وشرعا
والحديث الاول فيه رواية أخرى صحيحة كما مر ماشاء الله وشاء محمد فلا يكون مؤيدا له بل مخالفا وجمع
الضمير ورد فى القرآن والاحاديث كقوله أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ولما رأى
الناس هذا مخالفا للمأثور ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم انه كان فى ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل
الخطبة شأنها الافصاح وان كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جملة واحدة ايقاع الظاهر فيها قليل
لغة بخلاف كلام الخطيب وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو أفرد كان معظما وهو أعظم الناس
تواضعا وقيل انه أدب شرعى مخصوص بغير كلام الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد ما فى
القرآن والحديث وقيل فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبيان الجواز وأما الحديث الاول
فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص المشيئة لقوله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله وما تشاؤن
الا أن يشاء الله فانه ندب لتعليق الامور بمشيئة الله وحده فلا يجوز تشريك مشيئة غير الله بمشيئته سواء
فى ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره الا بثم الدالة على التراخى فان نفس مشيئة العبد بمشيئة الله
أيضا لانه الذى خلق فيه الدواعى وغاية ما وجه به كلام المصنف انه مكروه عنده فى حق غير النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان فى كلام غير الله وكلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لما فيه من
الابهام وانه لما ذكره فى العطف أتى بالمشيئة وما بعده استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من
التسوية أى فى تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول عن
العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال ليقل (من يعص الله ورسوله) وليس فى الواو
تسوية عند المصنف رحمه الله تعالى كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضى التغاير والاستقلال لقيامها
مقام تكرار العامل أو تقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه
وقوله ذهب غيره أى غير الخطابى الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ذلك لعى
أو سعال أو نحوه فيوهم عطفه على الفاعل فيكون العاصى راشدا وهو فاسد وقيل المراد بالوقوف سكتة
خفيفة بقطع النفس لا قطع الكلام مرة واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفاء بالمقصود
وتنبيها على جواز الحذف أو ذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلفه وصرفه عن ظاهره وقوله وقول أبى
سليمان أصح أى من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع فى الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله
ورسوله صريح فيه وأما القول بان الجمع وارد أيضا الى آخره فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل به
وأما قوله أصح دون هو الصحيح فلان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا يعينه
لا سيما مع احتمال تعدد القضية (وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعانى) قال بعض الشراح لم يرد
بعلم المعانى هنا علم البلاغة المشهور بل أراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معانى الكتاب والسنة
غير المفسرين بقرينة المقابلة وجوز أن يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذى هو من مباحثه كما
سيأتى (فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى هل) واو (يصلون راجعة) وعائدة (على الله
تعالى والملائكة أم لا) وفى نسخة وعلى ملائكته ورجع يتعدى بعلى والى والمراد بالرجوع والعود
ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف غنى عن الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادلتها أم كما ورد

الاحتمالين ومن حفظ
حجة على من لم يحفظ
والاثبات مقدم على النفى
(وقد اختلف المفسرون)
للقرآن (وأصحاب المعانى)
أى من أرباب البيان
(فى قوله تعالى ان الله
وملائكته) الاكثر
على النصب عطفا على
اسم ان (يصلون على
النبى هل يصلون) أى
جملتها باعتبار كنايته
العائدة (راجعة الى الله
تعالى وملائكته جميعا)
وخبر عنهم مشتركة بينهم
فى ضمير واحد (أم لا)
أى بل هى راجعة الى
الملائكة فقط ويقدر لله
عامل آخر لتغاير الصلاتين

(فاجازه بعضهم) أى ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين فى اطلاق واحدفان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعي وأتباعه (ومنعه آخرون) أى منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) أى بين المعنيين ومنهم أبو حنيفة وأشياعه أو لاجل توهم الاشتراك فى الفعل وأجازه الاولون لظهور المغايرة عند أرباب العقل ونهى الخطيب

انما كان لترك الادب الذى هو كما رشان الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) أى البعض الآخرون (الضمير) أى فى يصلون (بالملائكة وقدروا الآية) أى هكذا (ان الله يصلى وملائكته يصلون) أى وجعلوا خبر الثانى دليلا على خبر الاول كما فى نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز و يقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من أنواع التعظيم وأصناف التكريم والاولى عندى أن يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند المقربين وفى كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لاسيما اذا قلنا انه أيضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيقى على ماذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هى الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقراءة ابن عباس وروبت عن أبى عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان مبتدأ خبره محذوف وهو مذهب البصريين (وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى ولم أدر من رواه (انه قال) أى مخاطبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عند الله تعالى) أى من جملة فضائلك فى حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله

فى الحديث هل تزوجت بكرا أم ثيبا والكلام عليه مبسوط فى محله وقوله فى قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور فى أمثاله اختلفوا فى جواب هل الى آخره اذلا اختلاف فى الاستفهام وانما الخلاف فى الرجوع وعدمه فهل الضمير عائد على الله تعالى والملائكة أم على الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف أى ان الله يصلى وملائكته يصلون (فأجازه) أى الرجوع اليهما (بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك) أى للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما فى عبارة واحدة وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة فى حقهما واحدا كما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال على التفريق بالتفريق أو بنفسه على مافيه فان كان هذا التعليل نقل مذهبا لبعض من منع فلا كلام فيه والمصنف رحمه الله تعالى ثقة وأجل من أن يكون لم يفهم مرادهم فسقط مافى بعض الشروح من انه لم يقله أحد سواه والمنع له علة أخرى مذكورة فى كتب أصول الفقه وهى لزوم استعمال اللفظ المشترك فى معنييه أو الجمع بين الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء فان كانت هذه معان حقيقة لزم الاول والا بان يكون فى واحد منها حقيقة وفى غيره مجاز الزم الثانى *وأجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله فى معنى عام مجازى شامل لهما على الاحتمالين أو من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه المجوزون الذين استدلوا بهذه الآية وبان المنع على ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى انما هو فى غير الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام يوهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشاء ويخلعه عمن يشاء وهو لا يسأل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي فى تفسيره هنا وفى تفسير القاضى لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته يصلى عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى الدعاء وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى وفى دقائق المنهاج للنووى ان التفسير المذكور للصلاة شرعى وكلام شيخ الاسلام زكريا يقتضى انه لغوى *واعلم ان فى تفسير الصلاة السابق كلاما لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محلها فحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد (وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلى وملائكته يصلون) أى من ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة وقدر فى الاول خبرا فالتقدير عنده ان الله يصلى وملائكته يصلون فحذف من الاول ما يدل عليه الثانى على عكس المشهور فى الحذف والتقدير ولكن مثله جائز ان قرأ بنصب ملائكته عطفا على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المصنف رحمه الله تعالى الهرب من التشريك وعند غيره مامر وكون الحذف من الاول لدلالة الثانى عليه ضعيف غير مسلم مع انه قيل عليه أيضا انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ (وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) من فضيلتك خبر مقدم وعند متعلق به وان جعل مبتدأ مؤخر والعكس بجعل من التبعضية لكونها بمعنى بعض مبتدأ أخرق للسياج من غير احتياج وان ذكره بعضهم

فى

وقد قال تعالى) الظاهر انه ليس من قول عمرو عطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) يعنى ويغفر لكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين فالآية الثانية تدل على ماتقدم من ان اطاعة الرسول كاطاعة الله وقوله فان تولوا أى أعرضوا أو تعرضوا عن كل من اطاعة الله وطاعة الرسول فان الله لايحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الآية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية أولى حيث جعل متابعة حبيبه شرطا لتحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فتابعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة أزلية وأبدية علمية وتنجيزية بل المحبة الاولية هى التى أوجبت المحبة الآخرية كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية والسالكية والمجذوبية فابواب أرباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لايخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى مافيه كمال يحملها على مايقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا الله وان كل كمال فى نفسه أوغيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا لله تعالى وفيه تعالى وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها بالارادات أشد منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى

فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله كما مر وهذا الحديث قال المخرجون انهم لم يجدوه فى شئ من كتب الحديث وان ورد ماهو بمعناه فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى (وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) هذا يحتمل ان يكون استئنافا من المصنف رحمه الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضى الله تعالى عنه أيضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل أول كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ماقيل من انه قد سبق بلفظه فلا فائدة فيه غير الاطالة وقيل انه لاتكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه أولا ذكر اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلاء قدره وذكره هنا لان الله عظمه مع تأدبه مع ربه فجعل طاعته نفس طاعته ولايخفى انه لامحصل له نعم لك ان تقول ان مانحن فيه أبلغ مما مر فيكون ترقى فى مدحه لان اقتران شئ بشئ دون كونه عينه بحيث لايمكن انفكاك أحدهما عن الآخر وان من عصى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عصى الله فان كان هذا مراده فرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس فى ذكر هذا مع مامر كبير فائدة فلو اقتصر على أحدهما حصل المراد وقال القاضى فى تفسيره المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على مايقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا الله عزوجل وان مايراه العبد كمالا من نفسه أومن غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغى المحبة الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته وبهذا علمت وجه الملازمة فى الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من أنواع الارادة وان الارادة لاتعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه وأما محبة الله له فهى عبارة عن ارادة الخير له فى الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا بان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشئ آخر فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف لانه لايمكن ان يقال ان كل شئ انما كان محبوبا بالمعنى آخر اذ لابد من الانتهاء الى شئ يكون محبوبا بالذاته فكما نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع أخبار رستم فى شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته وأكمل الكمال لله فيقتضى انه محبوب لذاته من ذاته وقيل المراد هنا ان صدقتم فى دعوى المحبة فاتبعونى فان اتباعى علامة ذلك فاذا اتبعتمونى يزيدكم الله فضلا فيحببكم فتتم الملازمة أوهى أمر اعتبارى أى انما تعتبر محبتكم باتباعى أوهى قضية اتفاقية أوبواسطة قضية ضرورية عرفية أقول هذا محصل ماقالوه وفى الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طائل والحق الحقيق بالقبول ان المصنف رحمه الله تعالى قصد بعدماذكر ان الله رفع ذكره وطاعته قرينى ذكره وطاعته ان يبين ان طاعته تقتضى محبة الله تعالى ورضوانه الذى هو أكبر من جميع مامر لان محبة الله واجبة اذبها يكمل الايمان فانه لايؤمن أحد حتى يكون الله أحب اليه من نفسه

وحبه لايكون الا بطاعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وطاعته انما تكون بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانها أعظم ما امر به لقوله أطيعوا الله وأطيعوا

(قالوا) أي بعض الكفار (ان محمدا يريدان نتخذه حنانا) أي ربا ذا رحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل متحببا وقيل متمسحا به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذته حنانا أي لاجعلن قبره موضع حنان أي مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم ومسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عز وجل) أي بعد تلك الآية (قل أطيعوا الله والرسول) تأكيد للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله عليه وسلم) أي تعظيما لقدره وتشريفا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر أي غيظا لانوفهم وكرها لالوهم في القاموس الرغم الكره ويثلث وأصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه بالكسر اذا ألصق بالرغام فالمعنى الصاق الانوفهم بالتراب جزاء لانفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب

الرسول) ومتابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه في أوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن أحب الله أحبه كما قيل

لا وحق الخضوع عند التلاقي * ماجزا من يحب الا يحب

وبهذا علمت ان ذكر آية الطاعة أمر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الخلق الى الله تعالى لانه يحب من اتبعه فادعاء التكرار من قصور الانظار ومابعده من فتق الديباج وترقيعه بالخيش وبهذا عرفت معنى محبة الله لعبده ومحبة عبده له * (وروى) كما رواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الآية قالوا) أي الكفار أو المنافقون والقائل منهم عبد الله بن أبي سلول لعنه الله نزل قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته عندهم (أن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى) صلى الله تعالى عليهما وسلم (فانزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم) الحنان بفتح الحاء المهملة بعدها نون مخففة يليها ألف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله تعالى (وحنانا من لدنا) وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما أدري ما الحنان وفي النهاية أن ورقة مر ببلال رضي الله تعالى عنه وهو يعذب في الله فقال والله لئن قتلتموه لاتخذته حنانا والحنان الرحمة والعطف والرزق والبركة أي لاجعلن قبره موضع حنان أي مظنة رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد أن يجعلنا ممن نتبرك به ونخضع له خضوعا يؤدي لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لان محبة الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا رضي الله تعالى عنه انما عذب بعد ما أسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تأمل فانه قيل ان القائل ذلك زيد بن عمرو ابن نفيل وانما قول المعترض ان ورقة أسلم قبل البعثة فليس بصحيح لما في البخاري مما يخالفه صريحا (٢) وانما الذي لم يدرك البعثة زيد المذكور والنصارى مفرده عند سيبويه نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بياء النسبة وقال الخليل واحده نصري كمهري ومهاري وقيل هو منسوب الى نصرة وهي قرية نزلها عيسى عليه الصلاة والسلام وقال قتادة هي ناصره ولكنه غير في النسب ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى عليه الصلاة السلام وقد افترقوا فرقا بسبب قصة يونس المفصلة في التواريخ وذكرها هنا التلمساني أيضا وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماتان قال التلمساني لم يذكر الله امرأة في القرآن باسمها الا مريم ذكرها في نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائر زوجاتهم باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم يحتشموا عن التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى أنها أمة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا على اليهود الذين قالوا في عيسى عليه الصلاة والسلام ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لانه اسم عجمي معرب والاشتقاق مختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه ألحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أو أربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانين سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن حجر في الاصابة واختلف أيضا في مكثه في الدنيا بعد نزوله من السماء فقيل سبع سنين وقيل أربعين وقيل غير ذلك ونزول الآية رد لما قالوه لامره بطاعته وتوقيره بما يليق به فغيه تكذيب لهم وتسفيه ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الراء بمعنى تذليل

(٢) وما في النهاية ذكره ابن اسحق في السير وأيده ابن حجر بما في البخاري نسخه

رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى أم الكتاب) أى أصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب
من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم) أى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا أولى ماقيل فى الآية وهو

وقهر واكراه وأصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب فى الارض على التراب ثم عم فقيل له أرغم
الله أنفه ورغما عليه أى قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له أى ارادة ذلك بهم وتحصيله وفيما
ذكر من تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتذليل أعدائه أتم مناسبة بغرض المصنف رحمه الله هنا
(وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى) سورة (أم الكتاب) وهى سورة الفاتحة ولها أسماء
كثيرة مذكورة مبينة فى محلها لا حاجة لنا بذكرها هنا ووجه هذه التسمية فيه وجوه أشهرها انها سميت
به لانها مبتدؤه ومفتتحه فكأنها أمه أو لاشتمالها على مقاصده اجمالا ووجه التسمية لا يلزم اطراده مع
مافيها من المرجحات وفيه تحقيقات تكفلت بها شروح الكشاف فعليك بها ان أردتها (اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال أبو العالية والحسن البصرى) تقدمت ترجمته وأما أبو العالية
فهو اسم مشترك والذى رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعى الذى أسلم فى خلافة الصديق رضى
الله تعالى عنه فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات فى سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد بن فيروز
البراء بتشديد الراء المهملة لانه كان يبرى النبل وهو أيضا ممن خرج له الشيخان ومات فى سنة تسعين
أيضا وتردد بعضهم فى المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووى فى تهذيبه الرياحى نسبة لامرأة من بنى
رياح أعتقته سائبة فهو مولاها أسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه
أصحاب الكتب الستة ومعنى السائبة ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا انما كان فى الجاهلية
ونهى عنه فى الاسلام وهذا التفسير مما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية عن ابن عباس
رضى الله عنهما وصححوه ورواه الحسن البصرى كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وتسميتها أم الكتاب
وأم القرآن على طريق الاستعارة أمر مشهور وان أطلق الاول على غيره كاللوح المحفوظ والقول
بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت اليه وان ذكره بعضهم تكثيرا للسواد وقيل وانما صرح المصنف
رحمه الله باسم السورة مع ظهوره وكونه على خلاف عادته فيما يذكره من الآيات لما فيه من تعظيم الله له
واعتنائه بشأنه حيث ذكره فى أول كتابه ومبدأ خطابه (الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه) جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية
وتعديتها ومراتبها مفصلة فى حواشينا على تفسير البيضاوى والصراط جادة الطريق من السرط وهو
الابتلاع ومثله تسميته لقما لانه يلتقمه وقرئ بالصاد والسين وباشمامها زايا وبها خالصة فى رواية
ضعيفة وهو يذكر ويؤنث والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام أو القرآن أو الايمان وتوابعه
والاسلام وشرائعه أو السبيل المعتدل أو طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى
الله تعالى عنهما أو النبيين عليهم الصلاة والسلام أو طريق الجنة أو طريق السنة والجماعة أو طريق
الخوف والرجاء أو جسر جهنم وهذا ماعليه أكثر المفسرين قال الامام السهيلى ويرد على بعضها أن
المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين الى آخره * قلت هذا ليس بمتفق عليه نعم يرد على ماذكره
المصنف انه اذا فسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه يصير المعنى اهدنا النبى وصحبه ولا معنى له
الا بتقدير طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه
شبههم بالطريق الحق فى ايصاله للمطلوب أى اهدنا اياهم لنؤمن بهم ونتبعهم وقيل سمى المرشد للطريق

صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا أوليا بلا مرية (فقال أبو العالية والحسن البصرى) أما الحسن بن أبى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة وأما أبو العالية فهما اثنان تابعيان من أهل البصرة فاحدهما أبو العالية الرياحى بكسر الراء وبالتحتية واسمه رفيع بن مهران أسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وأبى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره أخرج له الجماعة توفى سنة تسعين والثانى أبو العالية البراء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه أيوب السختيانى وغيره أخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية أشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعظمه ويجلسه معه على السرير ويفرش تحته

(الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو أولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتدائية (هو رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرنى وحديث أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم
اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أتباعه أو يحمل عليه مبالغة كرجل
عدل فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأتباعه لكمال اتباعه عين الطريق فى عالم التحقيق فان من المعلوم انه ليس هناك صراط حسى

فليس المراد الا انه طريق معنوى فمن تبعه أوصله الى مطلوبه و بلغه الى محبوبه (حكاه) أى روى هذا التفسير (عنهما أبو الحسن الماوردى) تقدم ذكره أى عن أبى ١٣٨ العالية والحسن ورواه فى المستدرك عن أبى العالية وصححه (وحكى مكى عنهما نحوه) أى بمعناه لا بلفظه ومكى هذا هو أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى أصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية كثير التاليف فى علم القرآن توفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة (وقال) أى مكى (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت أحكامهما بحضر بقية الصحابة فى مجالسهما فكان أقوالهما وأفعالهما بمنزلة الاجماع التقريرى أو السكوتى بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف فى أمورهم من حيث تنكير بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم فى شانهم ولا عبرة بطعن كلاب أهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الابرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى أبو الليث السمرقندى مثله) أى مثل المحكى السابق فى الصراط المستقيم عن المكى راويا له (عن أبى العالية فى قوله عز وجل) أى فى تفسير قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) أى انه رسول الله وصاحباه وما لهما واحد لان الثانى بدل أو عطف بيان للاول

وبناء

طريقا تسمية للدال باسم المدلول أى المسبب باسم السبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفى المعالم حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو اما رواية أو اشارة الى حذف مضاف فيه كما ذكر والمستقيم المستوى من غير اعوجاج والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله وأصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله أو خيار ورجح هذا لما سيأتى والجر عطفا على أهل بيته وبه جزم فى المقتفى فالمعنى خيار أصحابه والاضافة بيانية هنا وهناك اذ جميع أهل بيته وأصحابه خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام فى تحريره وجزم به العراقى وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكى اجماع أهل السنة والجماعة عليه ويجوز أن تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة أم لا لتفاوت مراتبهم فيها والنعمة لين العيش وخصبه وأصلها من النعومة وهمزة أنعم للتصيير وهو أحد معانى صيغة أفعل وهى نحو أربعة وعشرين معنى (حكاه عنهما أبو الحسن الماوردى) وقد تقدمت ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وصححه (وحكى مكى نحوه عنهما) وهو أبو محمد بن أبى طالب شيخ الصوفية وأهل السنة المتبحر فى التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل توفى بقرطبة سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وأصله من القيروان ولد بها ثم انتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وبها توفى ودفن (وقال) مكى (هو) أى الصراط المستقيم فى الفاتحة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه) العطف اما تفسيرى فالجملة المبنية للمحكى أو هو قول آخر فالمكى فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستانفة وقوله (أبو بكر وعمر رضى الله عنهما) بدل من صاحباه أو عطف بيان وأبو بكر رضى الله تعالى عنه أفضل الصحابة وأسبقهم فى الصحبة وهو أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق أهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه أسلم هو وأبواه وابنه وحفدته وهو الصاحب فى الغار وفى السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضى موحدا لم يسجد لصنم قط وقال أبو الحسن الاشعرى لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف فى مراده فقيل لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيؤمن ويصير من خلص الابرار وقال السبكى لو كان كذلك لساواه كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ذلك وهذه العبارة لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله * قلت هذا هو المعنى الاول بعينه والذى أراه ان ضمير منه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد انه لم يفارقه طرفة عين ولم يخالفه قيد شعرة وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفى سنة أربع عشرة وله أربع وستون سنة وعمر هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى أبو حفص أمير المؤمنين روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحاديث كثيرة وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا فى ترجمته وسيرته وما روى عنه مات رضى الله تعالى عنه سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضائله غنية عن البيان (وحكى أبو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته (مثله عن أبى العالية) السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته فى تفسير الصراط بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم وان اختلفا فى تخصيص الاصحاب وعدمه (فى قوله صراط الذين أنعمت عليهم) هو بدل مما قبله أو عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكى رحمه الله تعالى من الغريب ما قيل انه غير الاول فكانه على رأى من يجوز حذف حرف العطف واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم

وبناء أنعمت للفاعل استعطاف لقبول الدعاء بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل من الذين عند أبي
علي ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله
تعالى انتهى فالمراد عند هذا القائل بالذين أنعمت عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته
وصحبه فهو بدل أو هذا التفسير مع ماسبق على الاحتمال والبدل فلا حاجة الى القول بان أبا العالية
هذا غير القائل بان الصراط النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما سبق لتنافيهما ولا يخفى ان قوله مثله
يأباه (قال) أي أبو الليث (فبلغ ذلك) أي سمع هذا التفسير (الحسن) السابق ذكره (فقال صدق والله
ونصح) أي صدق أبو العالية فيما قاله وانه تفسير للآية والقسم لتأكيد صدقه وجزمه بما قاله أو غلبة
ظنه وقال بعض الشراح أكثر المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الآية هم المذكورون في قوله تعالى
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو قول ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن أولئك رفيقا وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين
أنعمت عليهم تجده شرحا له لان الصراط الطريق وهو محتاج للرفيق وفي الحديث خير الرفقاء أربعة
يعني قوله من النبيين والصديقين الى آخره فانهم أربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي أقول ونحوه
من اللطائف ماقاله الحوي تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه أقاليم التعاليم ان بسم الله الرحمن الرحيم
اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو في الازل خالق الخلق برحمته ولهذا لا يقال
رحمن لغيره ثم بعد الخلق أبقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم أي له رحمة بها يرزق ولذا قيل لغيره
رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذا رحمن رحيم خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا
قال الحمد لله رب العالمين ثم انه تعالى في مرة أخرى بعد الموت والفوت يخلق المكلفين كما كانوا ويرزقهم في
الدار الآخرة فهو رحمن رحيم كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم باعتبار المعاد الذي هو مالكه فلذا
قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق أولا وآخرا فلا عبادة الاله فقال اياك نعبد ولما كانت
النعمة لا تفي ولا يفي بها الشكر من عباده الضعفاء قال واياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده
ويليق بجلاله فاذا عبدناه وأعاننا ينبغي الوصول اليه ليحصل الشرف الاقصى بالمثول بين يديه وذلك
بسلوك طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم ومن أراد سلوك طريق بعيد لابد له من رفيق
فقال صراط الذين الى آخره أي النبيين والصديقين فهم أحسن الرفقاء ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع
الطريق فقال غير الى آخره واذا أمن منهم خيف الضلال في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين
انتهى (وحكى الماوردي) السابق ذكره (ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن
زيد) بن أسلم المدني وهو يروي عن أبيه وابن المنكدر وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام وضعفوه وله
تفسير وترجمة في الميزان وأخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وثمانين بعد المائة وفي تفسير الصراط
بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه من الثناء والتعظيم مالا يخفى لاسيما ذكره في أم الكتاب ومبدئه
الواجب قراءته في كل صلاة وهو ذكر اسم السورة على خلاف عادته كما مر (وحكى أبو عبد الرحمن
السلمي) مر ذكره وترجمته (عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم) أول الآية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد) الى آخره
والطاغوت ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان وفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير واستمسك
مبالغة في التمسك يقال مسك وأمسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في الاصل النبات
الثابت في الارض ويقال لما تعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص والكوز

(قال) أي أبو الليث
(فبلغ ذلك) أي فوصل
تفسير أبي العالية هذا
(الحسن) أي من عاصم
(فقال صدق والله) أي
في البيان (ونصح) أي
الامة في هذا التبيان
وحكى الماوردي ذلك
أي القول المذكور (في
تفسير صراط الذين أنعمت
عليهم عن عبد الرحمن بن
زيد) أي ابن أسلم المدني
روى عن أبيه وابن المنكدر
وعنه أصبغ وقتيبة
وهشام ضعفوه له تفسير
وقد أخرج له الترمذي
وابن ماجه ووالده زيد
يروي عنه البخاري
بواسطة (وحكى أبو عبد
الرحمن السلمي عن
بعضهم) أي بعض
العارفين (في تفسير قوله
تعالى فقد استمسك) أي
تمسك (بالعروة الوثقى
انه) أي العروة الوثقى
وتذكيره باعتبار خبره
وهو (محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم) اذ من وثق به
نجا ومن تبعه اهتدى

ثم استعيرت لكل ما يستعصم به يلتجأ اليه ووثقى فعلى من الوثاقة وهى الاحكام والشد الوثيق الربط المحكم الذى لا انفصام له أى لا انقطاع والانفصال فاذا أريد بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول والتحاقه بالحقيقة والمراد ان من صدق وآمن به سلم من كل سوء فى الدنيا والآخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح أو استعارة تبعية فان فسرت بالتوحيد والاسلام كما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحيح البخارى فالمراد ان نفعه والسلامة بسببه محكمة متصلة فى الدارين وصاحبه آمن من السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم قال بعض الشراح لم يسمه ولم أره ولا وجه لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه (وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد) أى قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهادة التوحيد قول أشهد أن لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهى كلمة التوحيد أى الايمان بوحدانية الله تعالى عز وجل قيل وأول هذين القولين الصق بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت) الى آخره وعليهما ففيه ثناء على ما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويلزمه الثناء عليه نفسه والظاهر عند التجانى غيره وان الآية استعارة لعقده لنفسه عقدا وثيقا لا تزل معه قدمه ومن شان العرب تشبيه المعانى بالذوات المرئية فيشبه فى الآية التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لا تنقطع ونحوه قول السعد فى شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى فى الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر المشبه به وأريد المشبه ولا يمتنع كون العروة استعارة للعهد أو الكتاب كما فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله انتهى وعدهذا أقرب من استعارته لذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد عليه شئ مما مر (وقال سهل) هو سهل بن عبد الله التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذه الآية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والتاء للوحدة بحسب الاصل والعد يقتضى الكثرة ولذا قال الحساب الواحد ليس بعدد الا أنه قد يعم ويستغرق نوعية أو جنسية فلك أن تقول فيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الواحدة حقيقة تشتمل على نعم لا تحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهى تشتمل على صحة كل جزء جزء فى كل حين ظاهرا او باطنا فلو أراد أحد تفصيلها عجز وفى حواشى المطول للسيرامى المعنى ان تشرعوا فى عد افراد نعمة من نعم الله لا تطيقون عدها وانما أتى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق انتهى وأصل معنى الاحصاء العد بالحصا وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى ✽ وانما العزة للكاثر

ثم صار حقيقة فى العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصاء لان ما ليس كذلك لا يعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تعدوها أو المراد ان تريدوا عدها وقيل له قال أعاده تاكيدا للاول وللفصل بين كلام الله وتفسيره والقائل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان أريد الاول فالباء للتعدية تقول أنعم عليه بكذا و محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو المنعم به لانه النعمة العظمى لكونه رحمة لسائر الخلق كما وقع فى نسخة مروية عن المصنف نعمته محمد من غير باء وان أريد الثانى فالباء سببية فالمعنى نعمته كائنة بسببه أو انعامه ففيه فوائد ومنافع لا تحصى فلا منافاة بين عدم الاحصاء وكون المنعم به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما قيل من انه من أعظم النعم والمراد بالمعنى الاعم المتناول لها بقوله لا تحصوها والا فالنعمة به من أعرف المعارف المعلومة والاحصاء انما يكون فى المعدود لقوله تعالى وأحصى كل شئ عددا انتهى واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد أو الاستغراق لان الاضافة تاتى لما تاتى له اللام كما تقرر فى الاصول فعدم الاحصاء لها أو لما يترتب عليها

(وقيل) أى المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عبارا تنا شتى وحسنك واحد (وقال سهل) أى التسترى (قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال) أى سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى نعمته محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل فى الثانى اللهم الا أن يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه أصل النعم لصدورها عنه فائضة علينا لا يحصى عد أنواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا

(وقال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآيتين أكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى المراد بالذى هنا تفاسير منها انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه أكثر المفسرين وهو فى غاية الوضوح واقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقدله الفصل من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق أو الجنس الذى بعضه جاء بالصدق وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه صدق به وهم المؤمنون وقيل معنى جاء بالصدق آمن بالصدق الذى هو لا اله الا الله أو القرآن فاولئك هم المتقون مبنى على ان المراد هو ومن تبعه كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون أو تنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له وقال التفتازانى الاوجه ان يراد بالثانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والامة فاولئك على ظاهره وفيه نظر واختلف فى تفسير الذى صدق به كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقال بعضهم وهو) أى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الذى صدق به) المراد بالبعض ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به آمن به كما فى الكشاف وفى المعالم معناه صدق الرسول به أى بلغه الى الخلق وقال البيضاوى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل فى هذا خفاء الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتأمل وقيل ضميره به للصدق فيتناول الرسول والمؤمنين والذى مبتدأ خبره أولئك وهذه الآيات قد دلت على انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبرئيل عليه الصلاة والسلام فيما آتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد به تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذى قد يأتى بمعنى الذين ويغنى عنه فى غير تخصيص كثيرا اذا أريد به الجنس لا افراد امنه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه كما مر وفى شرح التسهيل التقدير فى هذه الآية الجمع أو الفريق الذى جاء الى آخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعى اللفظ فوصف بالمفرد وروعى المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا وليس الذى أصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عائده فان أريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا كقوله

وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

قال ابن مالك فى شرح التسهيل (وقرئ) فى الشواذ والقارئ هو عكرمة وأبو صالح (وصدق على التخفيف) قال فى المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون فى الافعال أيضا فيقال حمل حملة صادقة كما قاله الراغب أى أخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما فى الواقع وهو أيضا معتقد ومصدق به كانه قد يقول الانسان أمرا واقعا لا يعتقده كقول الدهرى العالم حادث أوجده الله أو المراد انه صدق فى تبليغه الوحى كما أنزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من أنه مكرر مع قوله الذى جاء بالصدق والتأسيس أولى من التأكيد مع ما فيه من الخطا وترك الادب لان القراءة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة (وقال غيرهم) وفى نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقائل قتادة ومقاتل (الذى صدق به المؤمنون) يعنى على القراءتين وتفسير الذى جاء بالصدق بمحمد صلى الله تعالى عليه

(وقال تعالى والذى جاء بالصدق) أى بالحق المطابق للواقع (وصدق به) أى جمع بين مجىء الصدق واتيان التصديق (أولئك هم المتقون) أى فى التحقيق وجمع المشار اليه بالنظر الى ان معنى الموصول الجنس المفيد للعموم فالمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم أو المراد هو وأمته وهذا أظهر فى باب التكريم (الآيتين) فيه ان البقية ليس لها دخل فى القضية (أكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لان الكلام فيه والمراد هو وحده أو من معه من الانبياء أو أمته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذى صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذى صدق به لان الثانى متعين فيه (وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض أرباب الاصول

(وقيل هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه) أى واتباعه أو جمع لتعظيمه (وقيل على رضى الله تعالى عنه) أى واتباعه وأشياعه أو جمع لتكريمه والاظهر ان تفسير الجمع بينهما لارادة أمثالهما وخصا بالذكر لانهما أول من وقع منه التصديق على خلاف بين المرتضى والتصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما أشرنا اليه فى سابق الحال (وعن مجاهد رضى الله تعالى عنه) أى ابن جبير بفتح جيم فسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير وروى عن أبى هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اما ما فى القراءة والتفسير حجة فى الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لى بركابى ويسوى على ثيابى اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف أخرجه الستة (فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه) أى بما يذكر ويروى عنه وعن أصحابه لما يفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلمية فى الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس أو بمجرد ذكره وذكر أصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

وسلم فالاخبار باولئك الى آخره على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فيه تقدير موصول أى والذين صدقوا به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه آخرون وقال انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومنه قوله تعالى وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم أى وما أنزل اليكم وقول حسان رضى الله تعالى عنه

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الآية عليه ويقولون هى حالية بتقدير قد أو يقولون الذى بمعنى الجنس الذى الخ من غير حاجة الى التقدير (وقيل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقيل على كرم الله تعالى وجهه وقيل غير هذا من الاقوال) كتفسيره بجبريل أو بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق وصدق به المؤمنون الذين يجيئون فى القيامة بالقرآن ويقولون هذا هو الذى جاء بالصدق وقد اتبعناه واما تخصيص أبى بكر رضى الله تعالى عنه فلانه الصديق الاكبر الذى سبق الناس كلهم لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصدر منه غيره قط وكذا على كرم الله وجهه فانه يسمى الصديق الاصغر الذى لم يتلبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون أبيه على غير الملة ولذا خص بقول كرم الله تعالى وجهه وقيل تخصيصهما للاولية فى التصديق أو للتصديق فى أول اللقاء وهذا منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون الصلة أو ان يراد بموصول مع صلة شئ ومنه مع صلة أخرى آخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذلك كفريق ونحوه والصلة له على التوزيع أى جمع بعضه جاء به وبعضهم صدقه فلا محذور فيه كما ذكره الطيبى وهذا جار فى الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول القاضى ومن تبعه انه اذا كان الجائى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمصدق أبو بكر ونحوه يلزم اضمار الذى وهو غير جائز مع انه ذكر هذا فى الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق بانهما فردان متشخصان هنا لا يجدى نفعا للمار ولا حاجة الى ان الذى أصله الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة أقول الذى غر هؤلاء ان الذى لا يراد به متعدد الا اذا كان غير مخصص بمعين قال فى التسهيل يغنى عن الذين الذى فى غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى (وعن مجاهد) قال السيوطى رواه عنه ابن جرير وابن أبى حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو أبو محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة والراء المهملة المقرئ المفسر الزاهد العابد روى عنه أصحاب السنن وغيرهم وثقه المحدثون كما ذكره الذهبى فى ترجمته ومولده فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه سنة احدى وعشرين وتوفى بمكة سنة اثنين أو ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته أبو الحجاج وان اسم أبيه جبير بالتصغير وقيل انه رأى هاروت وماروت فكاد يتلف (فى قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم) قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر آمرا به جعل عين الذكر كرجل عدل أو على تقدير مضاف أى ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى ذكر رحمت ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص وافراده على المعنى الاول نظرا الاصله فانه يستوى فيه الواحد المذكر وغيره واطمئنان القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمأن بالموضع اذا قام به واتخذه وطنا وموضع مطمئن منخفض واختلف أهل اللغة فيه فقيل ان اطمأن كاحمار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر على ظاهره واطمئنان القلب به لاستئناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددى لدوام ذكره وروى عن مجاهد أيضا أن المراد بذكر الله هنا القرآن وفى الحديث القدسى اذا كان الغالب على

(الفصل الثاني) (في وصفه تعالى له) وفي نسخة في وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة ومايتعلق به من الثناء والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة أو بالتبليغ للانبياء في موقف القيامة بناء على الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله

عبدي الاشتغال بذكري جعلت همه ولذته في ذكري اللهم اجعلنا ممن تطمئن قلبه بذكرك ويكون همته مصروفة بحمدك وشكرك

(الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة) أي بانه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ أنبيائهم لهم وفي بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليست احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه المستتر في قوله تعالى لله وضميراه للرسول وتوهم خلافه بعيد كما في قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا فانه لا يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بعوده له على أن المعنى يسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر (ومايتعلق بها من الثناء والكرامة) أي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني أن المقصود في الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا محضا منور العالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا على أمته وسائر الامم وأنبيائهم وماذكر فيه من الثناء والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبته له وبهذا تبين مغايرة ماعقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا خصوص بقرينة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية) أي وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المصنف رحمه الله أن يذكر الآية في محل لغرض ثم يسوقها في محل آخر لغيره فذكر هذه الآية أولا للتأييد كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونها شاهدا على التبليغ فلذلك قال (جمع الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (في هذه الآية ضروبا) أي أنواعا جمع ضرب أي صنف أو هو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظير أي أمورا متناسبة متماثلة (من رتب الاثرة وجملة أوصاف من المدحة) رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوي والاثرة كما في المقتفى بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم راء مهملة يليها تاء تانيث كذا ضبط هنا والاثرة بالفتح في الهمزة والثاء وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثاء الاستبداد بالشئ والانفراد به والمدحة بكسر الميم الثناء والذكر الحسن فاذا فتحت الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بضم الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما وهو الافصح كما ذكره النووي الانفراد بالشئ ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرروه ومقتضاه أن في الآية أمورا مخصوصة انفرد بها صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فالوجه أنها بالضم المكرمة كما في القاموس أو المراد الافراد بالذكر أو في الجملة أو تحمل الاوصاف على معنى يختص به يعني أنها اذا فسرت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان فسرت بالانفراد اقتضى أن ماذكر هنا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس كذلك فيحتاج للتاويل بما قاله وقد تبعوا فيه بعض الشراح في اعتراضه بقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك

ومايتعلق به أي بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص ببعضه ونسخة صحيحة ومايتعلق بها والمتبادر أنها ترجع الى الشهادة والتحقيق أنها لمعنى ما المبين بما بعدها (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي على مابعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة أو شاهدا لله بالوحدانية أو مشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) أي للمؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذرا الى نذير امراعاة للفاصلة أو تفنن في العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الآية) وتمامها وداعيا الى الله أي الى الاقرار به وبتوحيده باذنه أي بتيسيره أو بامره وهو قيد لجميع ماتقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوي والله تعالى أعلم وسراجا منيرا أي يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره مايتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له في هذه الآية) أي بعد مايتعلق به عين العناية وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) أي أنواعا وأصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة محركة وبالضم وبالكسر مايستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتواترة كالمأثرة على مافي القاموس وقال النووي بالفتحتين هو الافصح (وجملة أوصاف) أي وجمع له نعوتا مجملة أو كثيرة (من المدحة) بكسر الميم أي الثناء والذكر الحسن واذا فتحت الميم قلت

المدح (فجعله) أى الله تعالى (شاهدا على أمته لنفسه) أى لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله أى بابلاغه اياهم مايتعلق بأمر الرسالة (وهى) أى هذه الخصلة التى هى الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة والسلام) أى حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على أمته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت أممهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو أعلم فتشهد لهم به فتقول أممهم لنا بم عرفتم ذلك فتقول باخبار الله تعالى لنا فى كتابه فيسئل الله تعالى نبينا عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وكفى بها حاكما على كون الاجماع حجة (ومبشر الاهل طاعته) أى بالثواب العظيم (ونذير الاهل المعصية) أى بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) أى من الدين القويم وفى أصل الدلجى وداعيا الى الله باذنه على وفق الآية أى بتيسيره وتسهيله

على هؤلاء شهيدا الان قوله هؤلاء للمبعوث اليهم اللهم الا أن تحمل الاشارة على جميع أهل المحشر ولا دليل فيه انتهى ولا يخفى ان ماذكر من الجواب والسؤال لا وجه له أما الاول فلان قوله الآتى وهى من خصائصه يأباه وأما الثانى فلانه بعد تفسير الشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما أرسله الله تعالى به والبشارة لمن أطاعه فى ذلك والنذارة لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له فى ذلك وهذا مما يقتضى منه العجب عندى وهذا حديث اجمالى فلذلك فصله فقال (فجعله شاهدا على أمته لنفسه بابلاغهم) مصدر مضاف الى مفعوله الاول أى بسبب ابلاغه اياهم (الرسالة) مفعوله الثانى وأعجب منه أنه فسره بقوله أى مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به الزمخشرى فالشهادة مجاز انتهى (وهى) أى شهادته عليهم لنفسه (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلى انما كانت الشهادة المذكورة من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الا أنه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته له بالتبليغ لقومه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا بالتبليغ لاممهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تعالى هذا بقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا أولا مكانا وان كنا آخرا زمانا فلله الحمد على ذلك وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدعى بنوح عليه الصلاة والسلام يوم القيامة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته فيشهدون الحديث وقال الشهادة فى هذه الآية شهادة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بتبليغهم وهى من خصائصه أيضا بالنسبة لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بذلك وقدم فى الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميمها لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفى شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به (ومبشر الاهل طاعته ونذير الاهل معصيته) فيه كلام سيأتى فى الفصل التاسع والانذار والتخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال شخص لعبده أيكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذى أظهر سروره فلو قال أخبرنى عتقوا جميعا ومنه البشرة وتباشير الصبح وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم كقوله تحية بينهم ضرب وجيع فهو مجاز من استعمال اللفظ فى ضد معناه كذا فى الشرح الجديد وفيه خطأ فاحش تبع فيه غيره فان أردت تحقيقه فانظره فى حواشينا على البيضاوى فانك لا تجده فى غيرها (وداعيا الى توحيده وعبادته) داعى اسم فاعل من الدعوة وهى طلب الاقبال أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الناس الى اعتقاد وحدانية الله تعالى ونفى الشريك والايمان به تعالى وعبادته قال فى المصباح دعوة الله تعالى ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله فمن قال ان أصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المصنف رحمه الله أشار الى أن الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه أى تيسيره اشارة الى أنه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونته ويجئ بمعنى العلم كقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وقوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله أى بعلمه وتوفيقه انتهى أقول هذا كلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام فى كتاب

مجاز

(وسراجا منيرا) أى مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول أى يهتدى الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية فوحدة قال الحجازى ليس للقاضى عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما يروى عن أبى محمد بن عبد الله بن محمد بن عتاب انتهى وكذا قال التلمسانى هو عبد الله بن محمد بن عتاب

مجاز القرآن ان أذن الله مشيئته وارادته لان الغالب فى الاذن أن لا يقع الا بمشيئة واختيار والملازمة الغالبة تصحح المجاز أو بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الامر غالبا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فهزموهم باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء بقدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كما فى قوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه أى بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذنى ولا قمت وقعدت باذنى ولذا قال الزمخشرى يجوز أن يراد بالاذن هنا الامر أى يدعوكم الى المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى (وسراجا منيرا يهتدى به للحق) وروى يهدى به وهو اشارة الى وجه التشبيه وتنويره وكلاهما مجهول مضموم الياء مروى عن المصنف رحمه الله تعالى وقدم تفسيره وانه صلى الله تعالى عليه وسلم يهتدى به فى ظلمات الجهالة ويقتبس من أنواره وقد وصفه الله تعالى فى هذه الآية بخمس صفات قابل كلا منها بما يناسبها غير صفة الشهادة اذ لم يقل له راقبنى لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له فقابل البشارة ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل الانذار بالنهى عن متابعة الكفار والمبالات باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به لان من أتاه الله برهانا حقيق بان يكتفى به عمن سواه وقال ابن عطية رحمه الله تعالى هذه الآية أرجى آية فى القرآن لانه أمره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسر هذا الفضل بقوله فى آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية وألف وباء موحدة علم منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو فى العرف اسم لكل من تصدى لافادة العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف رحمه الله تعالى سمع منه فى رحلته للاندلس وهو من علماء الحديث توفى فى جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وله سبع وثمانون سنة قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) وهو أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الطرابلسى تلميذ أبى على الغسانى قرأ عليه البخارى مرات وروى عنه وعن القابسى وغيره قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) وهو الحافظ الفقيه العلامة أبو الحسن على بن محمد بن خلف المغافرى أخذ بافريقية عن ابن مسرور بن الدباغ ودارس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه فى نهاية الصحة ضبطها له ثقات أصحابه والقابسى بقاف وألف وباء موحدة وسين مهملة وياء نسبة لقابس وهى بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس ولم يكن منها ولكنه عرف بعمه وعمه كان يشد عمامته شد أهل القابس قال (حدثنا أبو زيد المروزى) وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الامام النحرير الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهى أجل الروايات عنه لجلالة أبى زيد وتوفى بمرو يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلاثمائة وترجمته مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت الزاى على خلاف القياس وفى الثياب وغيرها يقال مروى فرقا بينهما ومن اللطائف قولى فى هذا فى أرجوزة

سمع منه القاضى فى رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلانى هو مسند الاندلس فى زمانه عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب القرطبى الاندلسى سمع من أبيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم بن محمد الطرابلسى وغيرهما وأجازله جماعة من الكبار منهم مكى ابن أبى طالب المقرى وكان ابن عتاب عارفا بالقرآت ذاكرا الكثير من التفسير والعربية واللغة والفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) أى ابن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الطرابلسى وقد قرأ عليه أبو على الغسانى صحيح البخارى مرات (حدثنا أبو الحسن) أى على بن محمد بن خلف المغافرى الفروى (القابسى) بكسر الموحدة وانما قيل القابسى لان عمه كان يشد عمامته شدة أهل قابس توفى سنة ثلاث وأربعمائة

بمدينة القيروان ودفن بباب تونس (حدثنا أبو زيد المروزى) وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الامام البارع المحقق النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهو أجل الروايات لجلالة أبى زيد توفى بمرو سنة احدى وسبعين وثلثمائة

(حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) بتثليث السين وبالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربري وكان ثقة ورعا توفي سنة عشرين وثلاثمائة قال أبو نصر الكلاباذي كان سماعه هذا الكتاب يعني صحيح البخاري من محمد بن اسمعيل البخاري مرتين مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومائتين ومرة ببخاري سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمعت الجامع بفربر في ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء أو بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر أكثر وقيل الفتح أشهر (قال حدثنا البخاري) وهو أظهر من أن يذكر وهو أبو عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري وقد روى عنه الترمذي وابن خزيمة وجماعة والصحيح ان النسائي لم يسمع منه وكان اماما حجة حافظا في الحديث والفقه مجتهدا من أفراد العالم مع دينه وورعه وتالفه ذهب بصره في صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء أمه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين مصروف وممنوع وهو أبو بكر العوفي الباهلي البصري روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه (حدثنا فليح)

بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح أو أفلح مرخما وهو ابن سليمان العدوي روى عن نافع وغيره وعنه جماعة وأخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) أي ابن علي وهو هلال بن أبي ميمونة يروي عن أنس وعطاء ابن يسار وأبي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة مهملة وروى عن ميمونة وأبي زيد وأبي ذر وعدة وعنه زيد بن أسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم أخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاصي) هو اختلف في كتابته والجمهور كما قاله النووي على كتابته بالياء وهو الفصيح عند أهل العربية ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه وأكثرها بخلاف الياء وهي لغة انتهى وقال ابن الصلاح في الاملاء على المسلسل بالاولية يقول كثير من أهل الضبط في حالة الوصل بالياء جريا على الجادة والمتداول على الالسنة والمشهور حذف الياء وهو مشكل على من استظرف من العربية ولم يوغل وربما أنكره ولا وجه لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب وبها قرأ عدة من القراء السبعة كما في قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد أثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها في الحالين وأراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير في اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل أن المنقوص لا خلاف في جواز حذف لامه في اسم الفاعل واثباته وانما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان أو حامل العصا أو الضارب بها أو هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذي اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال في الاجوف والاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص هذا وترجمة عبدالله مشهورة في الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين أبيه عمرو في السن اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد أسلم قبل أبيه وأخرج البخاري هذا الحديث منفردا عن بقية أصحاب الكتب

ومروزي جاء في الاناسي ＊ والنوب مروي على القياس

قال (حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) هو الفربري المشهور سمع البخاري من مصنفه مرتين مرة بفربر ومرة ببخاري ورواه وفربر بكسر الفاء وفتحها وفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة تليها راء مهملة قرية من قرى بخاري وهو ثقة ورع زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين ومائتين وتوفي سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من شوال ويوسف اسم أعجمي مثلث السين وليس مشتقا من الاسف وان وافق ذلك لفظه في قول الله تعالى يا أسفا على يوسف قال (حدثنا البخاري) وهو الامام الحافظ محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه أصح الكتب بعد كتاب الله وترجمته مشهورة ولد سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي بقرية خرتنك من أعمال بخاري سنة ست وخمسين ومائتين قال (حدثنا محمد بن سنان) هو محمد بن سنان العوفي الامام أبو بكر يروي عن همام وجرير بن صارم وفليح وروى عنه أصحاب السنن قال (حدثنا فليح) بفاء ولام وحاء مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح ويحتمل أن يكون تصغير مفلح أو أفلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان بن أبي المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفي سنة ثمان وستين ومائة وهو عدوي مدني روى عن سعيد بن الحارث وضمرة بن سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه وأصحاب الكتب الستة وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائي انه ليس بالقوي وقال الحافظ ابن حجر صدوق لكنه كثير الخطا ولكن الشيخان اعتمداه قال قال (حدثنا هلال) هو هلال بن علي وهو هلال بن أبي ميمون يروي عن أنس وعطاء بن يسار وأبي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما وأخرجه أصحاب الكتب الستة وقال النسائي ليس به باس قال الواقدي مات في آخر خلافة هشام بن عبد الملك (عن عطاء بن يسار) بفتح الياء التحتية والسين المخففة المهملة أبو محمد المدني من كبار التابعين توفي سنة أربع وتسعين أو ثلاث ومائة وهذا الحديث تفرد به البخاري وأخرجه في التفسير بغير هذا السند أيضا (قال لقيت عبدالله ابن عمرو بن العاص) واو عمرو مشهورة قال ابن التلمساني جوز بعضهم تركها وعبدالله هذا

السنة في موضعين أحدهما في التفسير وثانيهما في البيوع وهو الذي ساقه القاضي أبو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفي نسخة قلت (أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي وقع في روايتنا أخبرني

عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ولم يذكرهنا القاضي يعني بل ذكره فيما سيأتي (قال) أي ابن عمرو (أجل) أي نعم أخبرك فكان قوله أخبرني متضمنا لمعنى أتخبرني أو الاتخبرني على ما هو مقتضى حسن الادب في العبارة وان كان الامر أيضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد رد المكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) وفيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ما يوجد في القرآن مع ايجازه واعجازه أكثر مما يوجد في غيره من التوراة ونحوه أو ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة أو غيروا مبانيه أو معانيه قال الحلبي فان قيل ما الحكمة في سؤال عطاء بن يسار لعبد الله ابن عمرو عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو قرشي سهمي قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى في المنام كان في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرأهما انتهى والظاهر ان العسل معبر بالقرآن حيث فيه شفاء للناس وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه أعلى وأغلى من الادهان وان الجمع بينهما نور في عالم الاتقان بالنسبة الى أهل الايقان

هو أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي كان بينه وبين أبيه في السن اثنتي عشر سنة وأمه ربطة بنت منبه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله أسلم عبد الله قبل أبيه وكان كثير العبادة والرواية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قيل انه أكثر رواية من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لانه كان يكتب وأبو هريرة لم يكتب وانما لم تشتهر روايته كابي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وأبو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره ثلاث وسبعون سنة وعمرو أبوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم بالياء وبدونها واثباتها أولى وقال ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل بالياء وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن أنكره فانه لغة لبعض العرب شبهوا ما فيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبها قرئ في السبعة الكبير المتعال ونحوه والذي غر المنكر ان النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه في باب الرسم (فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني صفته صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التوراة فان السؤال يعاد في الجواب صراحة أو ضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع مصرحا به في الرواية الصحيحة وأخبر يتعدى للامر المسؤول عنه وللمنقول عنه الخبر أيضا كالخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالباء وهذا ما لا شبهة فيه عندي فلا حاجة لما قيل من انه انما تعدى بها هنا وهو مخبر به لا عنه لتضمنه معنى الكشف أي أخبرني كاشفا عنها وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد جعل صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة وانه لا يصح تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ فتدبر (قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أي قال عبد الله رضي الله تعالى عنه لمن قال له أخبرني عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة أجل أي نعم هي مذكورة فيها لان كلامه يقتضي ان صفته صلى الله تعالى عليه وسلم مذكورة فيها وأجل كما في المغني لتصديق المخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وصرح في القاموس بانها تجيء بعد الاستفهام وغيره فقال أجل كنعم الا انه أحسن منه في التصديق ونعم أحسن منه في الاستفهام وقال الرضي هي لتصديق المخبر ولا تجيء بعد ما فيه معنى الطلب وهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التوراة واما تقدير الاستفهام أو جعله لتصديق خبر عن نفسه فليس بشيء انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال أجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو مؤول عند من شرط فيه تصديق الخبر أو هو تصديق لخبر نفسه ولذا أردفه بقوله والله والتأكيد لا القسم للاعتناء به لان السائل غير منكر أو لتنزيله منزلته لغفلته عنه أو لما شاع من انكار اليهود وتحريفهم وفي شرح التسهيل أجل لتصديق الخبر ماضيا أو غيره مثبتا ومنفيا ولا تجيء بعد الاستفهام وعن الاخفش انه يجيء بعده الا انه في الخبر أحسن من نعم ونعم في الاستفهام أحسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب كما في هذا الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث بنحوك وهذا بناء على جواز اثبات الاحكام النحوية به وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتوراة اسم لكتاب الله المنزل على موسى صلى الله تعالى عليه وسلم وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها وأصل معناها كلام طويل ليس هذا محله * فان قلت عبد الله

رضى الله تعالى عنه قرشى عربى فلا يناسب سؤاله عما فى التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لا تجوز قراءته فما وجه هذا * قلت ان عبد الله كان يقرأ ويكتب كما م وقال البرهان الحلبى فى المقتفى انه رضى الله تعالى عنه كان يحفظ التوراة وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما رأى فى المنام فى احدى يديه عسلا وفى الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما أصبح ذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرؤهما اذ كره هذا الحديث بعض شيوخى انتهى واما النهى عن قراءتها وان صرح به الفقهاء فليس على اطلاقه لوقوعه فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثير من الصحابه رضى الله تعالى عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها او يضيع وقته فى الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما أنكروه منها كما فى قصة الرجم ويأتى لذلك مزيد بسط عن هذا وقوله ببعض صفته فى القرآن فى بعض النسخ ببعض ما فى القرآن وفيه دلالة على ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرآن أكثر مما فى التوراة لتفصيله وان تفرق فى آيات وسور متعددة وهذا مما لا شبهة فيه فما قيل من ان فيه كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين على بعضها وان زاد كل منهما على الآخر لا وجه له عند من له أدنى بصيرة وقوله فى التوراة كما سيأتى أهب لك كل خلق كريم ولو سلم انه اشتمل من قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم والصفات أعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب بانه وعد يحتمل عدم التنجيز أو التعليق والتخصيص وقد وقع فى الشروح هنا كلام طويل بلا طائل وقوله تعالى (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) بدل من بعض أو بيان له وقد تقدم تفسيره ولفظ النبى صادق محرزه مع قوله انا أرسلناك وخطاب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى التوراة خطاب للحاضر فى العلم بما جعل كالماضى لتحققه أو حكاية لما يقال فى المستقبل أو لجعله على نهج استحضار الصورة الآتية والتعبير عما يعبر به فى ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضى أو نادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا قيل كونه بتقدير سيقول له فى المستقبل كما قيل فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ان تقديره يقال لهم فى القيامة كنتم فى الدنيا يأباه ان ما سيقال فى المستقبل ليس فيه حرزا للاميين والذى فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات انما يتمشى على رأى السكاكى كذا قيل وفى الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن أبى الاصبع وسماه الالتفات فى الضمائر كان يذكر ضميرين لمخاطبين أحدهما لواحد والآخر لغيره أو ضميرين لغائبين كذلك وهنا ضمير فى أصل النداء أى أدعوك أيها النبى وهو للكليم صلى الله عليهما وسلم والآخر فى قوله أرسلناك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكى انتهى أقول الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع أهل المعانى وهو عندهم يسمى الافتنان وتلوين الخطاب والادباء يسمونه التفاتا والاعتراض انما يأتى اذا وقف على أول عبارة التوراة فان كان قبله خطاب لموسى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتراضه وارد والا فلا (وحرزا للاميين) الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين ثم زاى معجمة هو فى الاصل مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة فى المكان الذى يحفظ به فيقال حرز حريز كحصن حصين ومنه احترز عن كذا أى تحفظ منه وأحرز قصب السبق أى حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه أموالهم وأنفسهم فى الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم وخصهم مع عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لشرفهم أو لارساله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم أو لان الحفظ من العجم اختص بهم وقيل المراد حفظه لهم من آفات النفوس وغوائل الدهر أو من آفات العجم وتغلبهم أو من مطاق العذاب ما دام

(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص فى القرآن ولعل معناه مذكور فى التوراة (وحرزا) أى حفظا أو حافظا (للاميين) أى يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون جمع الامى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة نسبة الى أمة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا أو الى الام بمعنى انه كما ولدته أمه وهذا المعنى مستفاد من القرآن حيث قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الآية وفى تخصيصهم تشريف لهم

صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أو من عذاب الاستئصال لحديث سألت ربي عزوجل ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة والاثنتان هلاك السنة والقحط والغرق والثالثة كون بأسهم بينهم (أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل) قدم العبودية لشرفها كما قال

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

ولذا خص وصفها بالذكر في الاسراء وليست بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذي رضيه الله لعبده حتى أطلعه على حظائر قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال أليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة أحد له فانه هو الذي يؤدبه فلذا قال سميتك المتوكل دون جعلتك أو وصفتك وقدم العبودية هنا تشريفا وتعظيما اذ المراد الكامل في العبودية وانظر قوله سميتك دون جعلتك أو وصفتك المنادي بشدة توكله الذي صيره علما له ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة توكله صلى الله تعالى عليه وسلم الساري في أمته (ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق) فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم يكن هذا كلام آخر من التوراة ضمه عبد الله رضي الله تعالى عنه الى الاول وفي الالتفات هنا بعد النظر به هنا حسن الاقتباس اذ لم يوجه بمثله وان كان منفيا والفظ كما في المصباح الرجل الشديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه وغلظ خلاف رق غلظة بالكسر وحكى في البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ بالتخفيف أكدها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولا تشديد على الناس لانه ملته سمحاء وليس بغليظ اما تأكيد له أو بمعنى انه لا يعنف الناس والمراد انه ليس بسيء الخلق قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيء الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الآية وقيل ليس شديد القول فلا تكرار فيه ولا ينافيه وقوع الغلظة والشدة اللائقة أو الواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق فالمراد نفيهما بحسب الطبيعة والخلقة أو في غير محلهما واما ما وقع في الصحيح في حق عمر رضي الله تعالى عنه أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لم يقصد قائله التفضيل بل هو لاصل الفعل قيل ولفظ من يأباه وقيل انه من قبيل الخل أحلى من العسل واختاره الدماميني في حواشي البخاري أي غلظتك يا عمر أشد من رقته صلى الله تعالى عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الفظاظة اللائقة في محلها فما وقع من أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه أزيد مما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار الايسر الاحسن فيما هو محله والفاروق رضي الله تعالى عنه اختار الفظاظة اللائقة فاختار كل منهما الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك في بعض الاوقات الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا محذور في مثله والسخاب والصخاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته وهما لغتان في كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع أمر مذموم جدا والصاد أفصح والسين لغة ربيعة وقد روي بالوجهين هنا وقوله في الاسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والشراء ونحوه وهو يذكر ويؤنث والسوق خلاف الملك ولما كان في الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح لاسيما من الدلالين قيده به والمراد نفيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو أبلغ من الاطلاق وأفصح لانه نفي بدليل على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وللعرب في مثله ثلاث مقاصد نفيهما ونفي القيد ونفي المقيد وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك وردا لقولهم مال هذا الرسول

(سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل على الله أو لكونه رئيس المتوكلين في قوله سبحانه وتعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيئ الخلق قليل التؤدة (ولا غليظ) أي قاسي القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما تفسير الحلبي وغيره الغليظ بالشديد القول فلا يلائم مبنى الآية وان كان شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب والقساوة (ولا صخاب) بصاد وتشديد معجمة وهو سخاب بالسين المهملة من السخب وهو لغة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته فعال للنسبة كتمار لان المراد به نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (في الاسواق) قيد واقعي لان الغالب ان يقع فيها ارتفاع الصوت للمخاصمة والمشاجرة على وفق المشاهدة أو احترازي فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع صوته في التلاوة حال الامامة وفي الموعظة حال الخطبة

يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لانهم قالوا لما أظهر صلى الله تعالى عليه وسلم الدعوة انه ينبغي أن لا يأكل ولا يشرب ويكون ملكا أو لا يدخل السوق ليكون ملكا وفي الشرح الجديد المراد انه ليس بسخاب في موضع من المواضع فالنفي للقيد لانتفاء المطلق وانما نفي المقيد ابتداء للتصريح بنفي ما هم عليه من التقبيح أو للمبالغة في نفي المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا معروفا وقال الطيبي رحمه الله المراد نفي الصخابية وكونه في الاسواق وهو عجيب لان نفي الصخابية فيها لا ينافي كونه فيها بلا صخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق قال شيخنا الاقرب الى الفهم انه نفي المقيد لشناعته مع انه مظنته وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لا يفعله في غيره بالاولى ولا يرد ان صخابا صيغة مبالغة فبتقدير توجه النفي الى قيده وهو في الاسواق تثبت له الصخابية لانا نمنعه بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام في أحد الوجوه ولا ضير اذا كان المراد نفي الصخابة المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفي مطلقها لا ينافي ثبوت أصل الصخب له وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى اقول فيه نظر من وجهين الاول ان رده على الطيبي وتعجبه ليس في محله لما عرفت من انه أحد الاحتمالات في أمثاله وماذكره أمدح لانه نفي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتياد صخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثاني انه ادعى ان المبالغة لا تناسب هنا والتجا الى جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة في النفي لا في المنفي كما ذهب اليه خاتمة المفسرين في الآية الا ان فيه نظرا لان صرف المبالغة للقيد الذي في الصيغة ليس بالسهل مع امكان التفصي عنه بوجه وفي هذا المقام مباحث أخر مذكورة في غير هذا المحل وقد أفردناها في رسالة مستقلة (ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر) لان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فاجره على الله فلذا قال ولكن يعفو ويغفر فلا يسيء لمن أساء اليه ويدفع بالتي هي أحسن وفي الآية مشاكلة وكذا في كلام المصنف وان كان نفيا فتدبر وفي ذكر المغفرة بعد العفو تأكيد ان كان بمعنى أو يعفو تارة ويستر أخرى فلا يفصح فيقول في خطبه ما بال أقوام يفعلون كذا كذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للاول وقيل بين العفو والمغفرة في حق غير الله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطره والمغفرة مشتقة من الغفر وهو الستر ولا يلزم من سترها ازالتها وقوله ولكن الى آخره استدراك بانه لا يلزم من عدد جزائها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى الله تعالى ويؤخره للآخرة انتهى أقول قد ورد العفو والغفور في اسماء الله عز وجل وتغاير مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما متساويان وهو المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام القرطبي رحمه الله تعالى في شرح الاسماء الحسنى من بعض العلماء ان الغفران ستر لا يقع معه عقاب وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب أو عتاب فان استعمل في غيره فهو بطريق المجاز ومر في الخطبة الكلام فيه أيضا فتذكره (ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء) الملة الدين وبينهما فرق والعوجاء مؤنث أعوج وهو ضد المستقيم ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هنا به وقال الشارح المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية بفتح العين في المرئي وبالكسر في غيره وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي عوجتها العرب بتغييرها كما قال الله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم لا ملة الكفر كما توهم فانه أزالها انتهى وفي

على الله وهي مقابلة السيئة بالحسنة لكن الافضل والاكمل ما قاله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ادفع بالتي هي أحسن وهي المقابلة بالاحسان وهذا طريق أهل العرفان (ولكن يعفو) أي ولكن يدفعها بالتي هي أحسن فكان يعفو أي عن الخطائين في الباطن (ويغفر) أي في الظاهر وكان حقه ان يقول ثم ويحسن اليهم على ما هو المتبادر مما سبق ومما يفهم من قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولذا حكي ان بعض الاكابر دخل عليه خادم بطعام حار فانكب على بدنه فقرأ الخادم والكاظمين الغيظ قال كظمت فقرأ والعافين عن الناس قال عفوت فقرأ والله يحب المحسنين قال أعتقتك وقد وقع مثل هذا كثيرا في نعته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حلم على جفاوة الاعراب فيما أغلظوا له بالقول والفعل وأحسن اليهم بالمال الكثير (ولن يقبضه الله حتى يقيم) أي الله (به) أي بسببه وببركته (الملة العوجاء) أي غير المستقيمة ولان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهي العادلة المائلة عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذي هو التوحيد المطلق كما أشار اليه بقوله

النهاية

(بان يقولوا لا اله الا الله) أى ومحمد رسول الله فهو من باب الاكتفاء أو من اطلاق الجزء وارادة الكل أو على ان الكلمة المذكورة هى علم للشهادتين ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة اذ من المعلوم ان اليهود والنصارى وأمثالهم يقولون لا اله الا الله ولا تفيدهم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول الله وفى الحديث ايماء الى قوله سبحانه وتعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (ويفتح) بالنصب عطفا على يقيم أو يقولوا (به أعينا) جمع عين (عميا) جمع أعمى (وآذانا) بالمد جمع أذن (صما) جمع أصم (وقلوبا غلفا) جمع أغلف والغلاف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل أمر المبدأ أو المعاد كما أخبر الله تعالى عن أحوالهم بقوله صم بكم عمى أى عن سماع الحق والنطق به وادراكه ببصرهم فهم لا يعقلون أى الحق ولا يعلمون الصدق ولعله لم يقل والألسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلى البكم الفرعى والله أعلم (وذكر مثله) بصيغة المجهول ولعل مثله مروى لابن عمر ولعطاء بن يسار كما فى البخارى تعليقا وأسنده الدارمى

النهاية الملة العوجاء ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التى غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله ويعبده لان الحنف فى اللغة الاستقامة وانما قيل للمائل الرجل أحنف تمليحا أو تفاؤلا وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حنيفا أى مستقيما وبهذا تعين المراد بالملة وقبضه الله أى توفاه وقبض روحه وأصل القبض أخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قال عمارة

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب

أو هو من باب استعمال المقيد فى المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه (بان يقولوا لا اله الا الله) اقتصر على هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لان العوج الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام وبهذا يستقيم وقيل المعنى انهم يأتون بكلمة التوحيد وذلك كما قيل عصمة دمائهم وأموالهم غير ان المنجى هو التصديق بها عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله وهى قرينة كلمة التوحيد التى لا تكاد تنفك عنها اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها هنا فيه انه يجب على أمة الخليل قبل وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول الله كما صدق به ابراهيم نفسه وقيل المراد الرجوع الى التوحيد ولا ينافيه زيادة الايمان بشئ آخر ففيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك هذا محصل ما فى الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل فى الايمان التفصيلى للامم السابقة ومثله لا يقال بالرأى وما ذكر لا يناسب ما نحن فيه (ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا) قد مر هذا فى الخطبة وهذا الحديث مروى فى البخارى بتأنيث ضمير بها على انه راجع لكلمة التوحيد والمصنف رحمه الله ذكره فجعله عائدا عليها باعتبار اللفظ أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقى عن كعب ليبصر الله به أعينا عورا ويقيم به ألسنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا بنصب أعينا وما عطف عليه ويفتح بالتحتية وعلى رواية البخارى بالفوقية المضمومة ورفع الاعين وما بعده ووقع فى رواية أعين عمى بالاضافة وكذا الكلام فى الآذان والقلوب وعلى هذا فالعمى جمع أعمى وكذا الصم جمع أصم وعلى الاول جمع عميا وصما قيل والظاهر ثبوتهما فى التوراة فلا اشكال أقول لا يخفى ان التوراة عبرانية وهذه ترجمة وان اختلف لفظها معناها واحد فلا اشكال فيها لعدم تغايرها الا فى العمى والعور والذى فى القرآن صم بكم عمى وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفى ماسواه فهم لما أثبتوا الله تعالى والشريك كانوا كفاقد احدى عينيه أو العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم ان العمى يوصف به العين وصاحبها حقيقة فقصره على الثانى تقصير وفتح العين عبارة عن الابصار اما لما فيه من فتح الاجفان أو لتشبيه الابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة بالاعين كما قيل

قد أغلقت أبوابه دائما * كأنها أجفان عميان

وقال وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادق باب الجفن يفتح مقفلا

وفيه معنى دقيق ليس هذا محله وازالة الاحساس فى الحواس المذكورة بآفات تصيبها فشبهت لعدم نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح أذنه وقلبه فهو على حد قولهم متقلدا سيفا ورمحا والغلف جمع أغلف وهو الذى عليه غلاف أى غشاء وغطاء كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمر أى هى أوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لا غير اذ المعنى لا ينظر ولا يسمع ولا يعى ما جئت به (وذكر مثله) ذكر بصيغة المجهول والذى فى البخارى ذكره فى

(عن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وقيل تشدد ابن الحارث الاسرائيلي ثم الانصاري الخزرجي الصحابي كان حليفا لبني الخزرج كنيته أبو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ع م وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه عليه الصلاة والسلام عبد الله أسلم أول قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل في فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وكذا قوله سبحانه وتعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمر فتح بيت المقدس وشهد له صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة روى عنه ابناه محمد ويوسف وغيرهما توفي سنة ثلاث وأربعين أخرج له أصحاب الكتب الستة (وكعب الاحبار) بالحاء المهملة وسبق بعض ترجمته والمعنى وذكر مثله أيضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمي من طريق أبي واقد الليثي (وفي بعض طرقه) أي طرق هذا الحديث (عن ابن اسحق) كما رواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه وفي بعض النسخ أبي إسحق بالياء وهو تصحيف وصوابه بالنون وهو الامام صاحب المغازي رأى عليا واسامة والمغيرة بن شعبة وأنسا وروى عن عطاء والزهري وطبقته وعنه شعبة والجادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب في سعة ماروى تستنكر واختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة احدى وخمسين ومائة أخرج له البخاري في التاريخ ومسلم والاربعة في سننهم

صحيحه تعليقا (عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار) عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة لاغير ونقل التلمساني انه يخفف ويشدد وكذا سلام بن أبي الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخاري وسلام ابن مشكام وماعداه بالتشديد وقال العراقي في ألفيته

نحو سلام كله فثقل * لا ابن سلام الحبر والمعتزلي

وابن سلام هذا أسلم في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما بالتوراة والقرآن وشهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وتوفي سنة ثلاث وأربعين وهو اسرائيلي من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله ونزل في فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وحضر مع عمر رضي الله تعالى عنه فتح القدس والجابية وهو انصاري خزرجي بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم وقد مر ان كعب الاحبار هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق ابن هينوع يكنى بابي اسحق الحميري التابعي المشهور أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وكان على اليهودية وصحب عمر رضي الله عنه وروى عنه كثيرا وعن غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجها الى العراق وقيل توفي بحمص كما مر وكما يقال له كعب الاحبار يقال له كعب الحبر بكسر الحاء وفتحها كما مر باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه أو لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذي يكتب به والحبر أيضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب الاسماء للنووي وفي مثلثات ابن السيد فقوله في القاموس كعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار غير صحيح وهذا الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلائل النبوة وذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر الذي أفرده كما في الكتب السالفة من التبشير بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كتاب بديع في معناه رأيناه ورويناه ومر ان هذا الحديث رواه البخاري مسندا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره المصنف رحمه الله ورواه عن ابن سلام تعليقا على عادته في تعليق ما كان بعض رجاله على غير شرطه كما بينه شراحه وفيما ذكروه مخالفة لما في فتوح الشام للواقدي (وفي بعض طرقه عن ابن اسحق) الطرق جمع طريق وهي معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لاتصالها بالحديث وتلمح القائل

له حديث في الجود مشتهر * ترويه عنه الركبان من طرق

وفي المقتفى للبرهان كان هذا في الاصل عن أبي اسحق فضرب عليه وكتب في الهامش ابن اسحق وهو الامام محمد بن اسحق بن أبي بكر ويقال له أبو عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي رأى أنسا رضي الله تعالى عنه وروى عن عطاء والزهري وطبقته وعن شعبة والجادان وخلق كثير وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب ربما تستنكر لسعة حفظه ولذا اختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه جماعة وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وخمسين ومائة وقيل اثنين وقيل سنة خمسين وجده من سبي العراق وهو أول سبي دخل المدينة منها وقد طعن فيه هشام

لروايته

لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس بشئ لجواز ان يسمع منها وهى خلف الحجاب كما روى الناس عن عائشة رضى الله تعالى عنها وغيرها وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روى عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان أعلم الناس بالانساب وانما أنكر عليه ما كان يأخذه عن أولاد اليهود الذين أسلموا بعض ما ذكر فى الغزوات من عورات المسلمين واشعار الهجاء فيهم لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول فى المغازى وكان شعبة وسفيان يوثقانه ويقولان هو أمير المؤمنين فى الحديث قال السيوطى هذه الطريق أخرجها ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه فى تفسير سورة الفتح ووقع فى حواشى التلمسانى هنا زيادة وعبد الرحمن بن يزيد وقال عمرو بن عبد الله بن على السبيعى رأى عليا واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنهم ولم أر هذه فى النسخ (ولا صخب فى الاسواق) بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت وقد مر بيانه (ولا متزين بالفحش) فحش كقفل وزنا ومعنى فى كل شئ جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيئ ويطلق على الزنا وقيل فى تفسير قوله تعالى ولا يأتين بفاحشة أى لا يزنين والحاصل انه كل قبيح قولا كان أو فعلا ومتزين روى براء معجمة ومثناة تحتية ونون وروى بدال مهملة من الدين وروى منقوصا متزين بياء بدل النون من الزى وهو اللباس والهيئة أى لا يتلبس بامر قبيح أو يتجمل به ويباهى به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد يأتى به غير متجاوز أو غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه على عادة أرباب الفحش فى المباهات بها وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد أو المراد انه لا يرى الفحش زينة فهى مكنية وهذا علامة من علاماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه نشأ بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم (ولا قوال للخنا) قوال فعال صيغة مبالغة أى كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ منه قليلا أو كثيرا لان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة أى ليس بذى قول للخنا كتمار ونبال وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لان من كان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفى المبالغة ولم ينف أصل قوله للصيانة عن توهم الكذب فى كلامه تعالى لو صدر عنه ما يوهم فحشا وعن الهلاك الذى يثمره ذلك التوهم فوق الهلاك الذى يثمره توهم انه ربما يقول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى آخره أخذ فى صفات التحلية بطريق الوعد ممن لا يخلف وعده فقال (أسدده لكل جميل) مستأنفا لمقصد أعلى مما قبله ولذا لم يعطفه وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقائص فقال أسدده الى آخره والجميل الحسن صورة كان أو معنى ومر فى الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتسديده يشمل تسديد جميعه وبعضه فقوله بكل جميل ليس تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة أو هو كاستغراق جمع الامير الصاغة أى بكل جميل يليق به (وأهب له كل خلق كريم) أهب بفتحتين مضارع

ويروى ولا متدين وكذا قال التلمسانى بدال من الدين والزاى من الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لا يحمله دينا وطريقة انتهى ولا يخفى انه لا يفيد نفى الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب فى المدحة الجلية وفى حاشية المنجانى ولا متزى بالفحش أى متصف به والزى غالبا انما يكون فى الاوصاف الحسنة وقد يجئ فى خلافها وقرئ قوله تعالى هم أحسن اثاثا ورئيا بالراء والزاى وعين زى واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها او انكسار ما قبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذاء بالمنطق وأصل الفحش فى كل شئ الخروج عن المقدار والحد حتى يقبح وقيل نفى تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار كون أهله يرونه زينة وفخرا بشهادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان أعمالهم (ولا قوال) بتشديد الواو (للخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر اذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل * فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد واللام فى الحديث والآية لمجرد التقوية (أسدده) قطعه عما قبله لكمال انقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا عن هبات الهية ثبوتية أى أقيمه وأوفقه (لكل جميل) أى نعت جميل (وأهب له) بفتح الهاء أى أعطيه من فضلى (كل خلق كريم) أى من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم

(ولا صخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه ويفهم من بعض الحواشى انه رفع الصوت فى السوق فقوله (فى الاسواق) للتأكيد أو لقصد التجريد (ولا متزين بالفحش) بالضم أى ولا متجمل ولا متخلق ولا متصف بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازى

وهب بمعنى أعطى والخلق بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة التى فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والكمال يقال كرم كرما اذا نفس وعز ويكون بمعنى العطاء الكثير وليس بمراد هنا وان أوهمه قوله أهب ففيه تورية وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على أخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسيأتى نبذ منه (واجعل السكينة لباسه والبر شعاره) اجعل مضارع المتكلم وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة ثم ياء ونون وهاء وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه وبها قرئ فى الشواذ وهى فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة ووردت فى القرآن فى قوله عز وجل هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ووردت فى الاحاديث الصحيحة بمعان أخر قيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها أقوال فعن على رضى الله تعالى عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان وله رأسان وعيون ذات أشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل انها شئ كان يلتى فيه موسى عليه الصلاة والسلام الالواح والعصى وقيل هى رحمة وقال السيوطى رحمه الله تعالى انها اسم ملك مخصوص وفى حديث الوحى غشيته صلى الله تعالى عليه وسلم السكينة وهى ما كان يلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هو مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت أعداؤهم وفى حديث بناء الكعبة فارسل الله السكينة وهى ريح سريعة المرور والمراد هنا الاول وأما هذه المعانى فيحمل عليها ما ورد فى الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار مبدؤه ما يلوح لقلبه فى مراقبته جعله فى الآية فى القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فلكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما فى الآية بمعنى ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه أو العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان أو زيادته والخير والرحمة والشعار بمعنى اللباس الذى يلى الجسد سمى به لانه يمس شعره وبدنه ويكون بمعنى العلامة أيضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو ما يتغطى به الانسان وفى الحديث الانصار شعار الناس دثار أى هم خاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم والناس عامة أوهم أقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سائر أحواله ويراه كل أحد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه أيضا وعم أحواله انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده أيضا وهو قوله (والتقوى ضميره) لان الضمير ما يضمر فى القلب وينوى فى خاطره بحيث لا ينساه والاسم الضمير المضمر الموضع والمفعول قال

مستقر لها فى مضمر القلب والحشا ✻ سريرة ود يوم تبلى السرائر

ويسمى القلب ضميرا لخفائه أو لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفى ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السابقة والتقوى عبارة عما يقى من العذاب فى الآخرة ولها مراتب أولها التبرى عن الشرك والثانى التنزه عن كل ما يؤثم والثالث أن يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت التئامها مع الضمير (والحكمة معقوله) الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها وتطلق على العلوم الشرعية وتطلق على القضاء بالعدل وبه فسر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن تفسيرها هنا بالعلم باحوال

(ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) أى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القالب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الا ما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفراء من جواز تشديدها قال المنجانى وهو نقل غريب وتدفع غرابته بجعل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمانينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم أى ما تسكنون به اذا أتاكم (لباسه) أى دثاره وهو مما يظهر آثاره (والبر) أى الطاعة لله والاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر أوله أى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) أى فى صدره كما فى الحديث التقوى هنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) أى العلمية والعملية (معقوله) أى بحيث يظهر وجه منقوله فى معقوله وقال التلمسانى الحكمة أى النبوة والعلم معقوله ومكتومه وسره ولا يخفى خفاء أمره

الموجودات على ماهى عليه بقدر الطاقة أو مطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمعقول
يكون مصدرا او اسم مفعول فالمراد انها بعقله وادراكه أو ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه
لا ينطق عن الهوى (و) اجعل (الصدق والوفاء طبيعته) أى لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد
أحدا أو وعد وعدا لا يخلفه وهذا أمر طبيعى له جعله الله فيه (والعفو والمعروف خلقه) المعروف
والعرف قال فى المصباح هو الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف
أى من أمر بخير فليأمر برفق انتهى ويقابله المنكر والمعروف ما تعرفه وتألفه العقلاء ولذا قيل المعروف
كاسمه معروف (والعدل سيرته) العدل القصد فى الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهى فى الاصل
الهيئة فى السير ثم صارت اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة أى طريقة وحاله العدل وعدم الخروج
على الحق قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قيل فى تفسيره العدل الفرائض والاحسان النافلة
وقيل العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف
والاحسان التفضيل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقائد والعبادة وأداء الامانات
والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوى العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه
واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والصبر بينه وبين غيره
بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على أذاهم قيل جعل العدل سيرته صلى الله
تعالى عليه وسلم لا ينافى أن يكون الاحسان سيرته فى محل يليق به ولا أن يكون العفو طبيعة له صلى الله
تعالى عليه وسلم لمصلحة تليق بانعام وقيل عليه أن الاحسان أخص من العدل فان تمثيل المشركين
بحمزة رضى الله تعالى عنه فى أحد وعدم تمثيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلاهم احسان
ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا الاحسان ينفرد عن العدل وليس كذلك وأما العفو فان كان باذن
الشرع كعفوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذى اخترط سيفه ليقتله فهو عفو وعدل وعفوه عما لم
يؤذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن مثله أقول هذا القائل فسر
العدل بالمساواة فى المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن يقابل الخير بمثله وزيادة والشر
باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك العفو عنه فلو أذن له فى العفو أو
التقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبة زائدة على العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس بعدل
جور وليس كذلك (والحق شريعته) الذى رأيناه فى النسخ المقروءة بنصبهما عطف على مفعول اجعل
وحينئذ لا يرد عليه شئ كما أورد على الرفع فان تعريف طرفى المسند والمسند اليه يقتضى الحصر فيقتضى
بمفهومه ان ما عداه من الشرائع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد الحق الكامل الذى لا ينسخ
وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج فى تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف أو جعل التعريف عهديا عبارة
عنه لان شريعته فى زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يكن فى الشرائع حق غيرها وما سواها
باطل كذا فى النسخة التى عندى ولا محصل لها ولا يندفع السؤال بما قاله ولك أن تقول ان شريعته
فى زمانه هى الحق لا غيرها لانتساخ الشرائع بها والكلام يفيده بدون تقدير والحق الثابت
وخلاف الباطل وما يستحقه الانسان على غيره والشريعة دينه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى شرعه
الله لامته وهى قانون الهى وضعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ليسوقهم الى خير الدارين
والشريعة قيل انها فى الاصل الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ويكون بمعنى المشرعة والموردة أى المحل الذى يشرب منه من خاض نهرا ونحوه ثم نقلت للدين
أما لانه طريق الخير والسعادة أو لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة المتضمنة لسبب الحياة

(والصدق) أى فى المنطق (والوفاء) أى بالوعد (طبيعته) أى غريزته وجبلته التى لا يمكنه مخالفتها (والعفو) أى عن الاساءة (والمعروف) أى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم أى دأبه وعادته (والعدل) أى فى حكمه أو الاعتدال فى حاله (سيرته) أى طريقته (والحق) أى اظهاره (شريعته) أى دينه وملته

الفانية ورد بان معناها انما هو الطريق والمورد انما سميت به الانهام وصلة للماء وفيه نظر لا يخفى (والهدى أمامه) والهدى الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها أنواع أولها اخلاق القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة التى لا يتمكن بها من الاقتداء لصالحه والثانى نصب الدلائل الحقة والثالث ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب والرابع أن يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشياء * فان قلت كيف تشمل هذه الانواع والاول لم يدلهم الله عليه * قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله أمامه بكسر الهمزة بضبط البرهان الحلبى وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام احدى الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومتبعه وسمى الامام للاقتداء به وقال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام انى جاعلك للناس اماما أى انه متبع للهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل ان تعريفه للعهد أى هدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز أن يراد بالامام الطريق كما قيل فى قوله تعالى وانهما لبامام مبين وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية أى انه ملاحظه كما يقال فى ضده أنه ظهرى وخلف ظهرى (والاسلام ملته) بنصبهما ورفعهما كامر والاول هو المصحح فى النسخ التى عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم أو هو عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية فى التوراة صريحا أو ضمنا لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل أى من قبل نزول القرآن سماهم بهذا فى الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية والايجابية ذكرت فى التوراة والانجيل تعريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى حملها على الكامل منها ليكون من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم التى تميز بها عن غيره والملة كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهى متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج والاسلام أصل معناه اللغوى الاستسلام والانقياد ثم خص فى لسان الشرع بالانقياد لما جاءت به الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام بلا خلاف انما الخلاف فى اختصاص الاسلام بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والمشهور انه لا يختص بهم فيقال لكل ملة الاسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبى أنه مسلم لقوله تعالى فى حق لوط عليه الصلاة والسلام فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة ويوصف به غيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون أممهم وارتضى هذا السيوطى وصنف فيه رسالة مستقلة وأطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام بالمعنى الشرعى المتضمن للشهادتين وسائر الاحكام المفروضة على هذه الامة يختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو اسم منقول كالصلاة وأما بالمعنى اللغوى وهو الانقياد فهو عام لكل منقاد لشريعة من الشرائع ويؤيده قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل أقول فيما قاله السيوطى نظر لا يخفى ثم ان معنى الاسلام والفرق بينه وبين الايمان مفصل فى كتب الاصول فلا حاجة لذكره (وأحمد اسمه) أى جعل اسمه أحمد وسماه به فى الكتب القديمة قبل وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل أى هو أكثر حمدا لله من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجميع الخلق وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة كما سيأتى وقال السخاوى فى سفر السعادة انه صفة كاحمر وأبيض نقلت لهذه وسيأتى الكلام عليه فى أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ذكر صفاته الموصوف بها فى نفسه شرع فى صفاته التى لوحظ فيها غيره وهو جواب

(والهدى) بضم الهاء أى الهداية (امامه) بكسر الهمزة أى قدوته مما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح أى قدامه ونصب عينيه لا يتعدى منه ولا يميل عنه (والاسلام) أى الاستسلام الظاهر والباطن (ملته) أى دينه الذى يمليه ويقرره (وأحمد اسمه) أى فى التوراة والانجيل وهو لا ينافى أن يكون له أسماء أخر بل فيه ايماء بانه أبلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزائدة التى لا توجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كحمد ومحمود فانه بمعنى أحمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتامل فانها من الاسرار الخفية والانوار الجلية

(أهدى به) بفتح الهمزة أى أرشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) أى بعد تحقق حضور رحصولها منهم أو بعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لا ترتفع الا بنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه فقد غوى وارتدى ولا يبعد أن يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى جاهلا بالطريق أو عاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة أى اجعل الناس ذوى معرفة (به) أى بالوحى وانزال القرآن عليه (بعد الجهالة) أى بعد ظهور زمان الجاهلية أيام الفترة أو بعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى تفصيله (وارفع به) أى ببركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول أى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشان وبرهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير أمة أو ارفع شانه بتعليمنا اياه ببيانه بعد خمول ذكره وخفاء أمره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه الشراح ولا يبعد ان يجوز بتخفيف الميم أى أشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (وأكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار أى اجعل الكثرة ببركته (بعد القلة) أى فى ماله وفى عدد اتباعه

لسؤال مقدر تقديره هل ينفع بهذا الظاهر المظهر الكامل فى نفسه غيره فقال (أهدى به بعد الضلالة) كما قيل وقيل انما فصله لعلو رتبة الهداية سواء كانت الايصال أو الدلالة الموصلة وأهدى بفتح الهمزة مضارع هدى وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به تكميل الناجى فاذا قال (وأعلم به بعد الجهالة) والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة ويقال أضل الشئ اذا ضيعه وهى تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كقوله تعالى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى المخطئين وبين الهداية والضلالة صنعة الطباق البديعية والباء للسببية أو للتعدية واعلم مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما فى المقتنى والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذى لا يطابق الواقع وفى المصباح جهلت الشئ جهلا وجهالة خلاف علمته وفى المثل كفى بالشك جهلا انتهى (وارفع به بعد الخمالة) ضبطه ابن رسلان بفتح الخاء المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما هو خمولة وفى الصحاح الخامل الساقط الذى لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا وأخملته أنا وفى الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه * أقول هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفى دليلا لصحتها أو هو لمشاكلة الضلالة وللازدواج معها ولو قلنا انه غير قياس والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك فى الفترة لغلبة الجهل مشهورا شائعا فهو مجاز كقوله تعالى عز وجل ورفعنا لك ذكرك وبين الجهالة والخمالة طباق أو شبهه (وأسمى به بعد النكرة) يقال أسميته كأكرمته وسميته بالتشديد ككرمته ويتعدى بنفسه وبالباء كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسما له وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان فى المقتنى وروى بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول كقول الشاعر فى مجهول النسب

وأمه معرفة * لكن أبوه نكرة

والباء للسببية أى أعرف الناس بسببه أو بما أوحيه اليه الناس المجهولين أو أعرفهم ما جهلوه من التوحيد أو أعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبياء وقصصهم وقيل الاولى التعميم وقيل المراد أعرف به من هو فى حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق ومعنى هذا وما قبله انى أرسله فى زمان جهالة وضلالة وفترة فيؤمن به أول مساكين الناس وضعفاؤهم على عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كان بدويا واعرابيا وبعد اشراق نور النبوة عليه صار صدرا تقبل الجبابرة يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام نكرة لكن لا تقبل التعريف فافاض الله منه على أمته ما لم تسمع به الامم حتى أبدعوا علوما وتآليف تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزاء وهذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأكثر به بعد القلة) أكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها أو بفتح الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال الله تعالى قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقولهم أكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول أى أكثر الفعل من الاكل كما فى المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا أو على من اتبعه أو أكثر أمته بعد قلتها فى ابتداء أمره أو بعد عدمها لان القلة ترد فى كلام العرب بمعنى العدم أيضا وهو بعيد وقيل المراد أكثر به قواعد الملة بعد القلة لانهم كانوا أذلة وجاء

العين وهى الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (وأجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (وأؤلف) أى أوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) أى فى اغراض فاسدة (وأهواء متشتتة) أى آراء مبتدعة غير مجتمعة (وأمم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمسانى وقع هنا بخط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق و بتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهى نسخة العوفى (واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا أيضا لان خيرية أمته انما هى لاجل أفضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا أولى من عكس القضية كما أشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله لما دعا الله داعينا لطاعته بافضل الرسل كنا أفضل الامم (وفى حديث آخر) رواه الدارمى عن كعب موقوفا والطبرانى وأبو نعيم فى دلائله عن ابن مسعود (أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة عبدى) أى المخصوص عندى أحمد

فاقامها وأعاد منها ما انقص بكلمة التوحيد وهو تكلف (وأغنى به بعد العيلة) أغنى مضارع من الاغناء وهو اعطاء الغنى والعيلة بفتح المهملة وسكون التحتية الفقر قال الله تعالى ووجدك عائلا فأغنى من عاله اذا قام بامره وكفله والعامة تقول عيلة بمعنى عيال جمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بليغ كان له وجه من المجاز والصحيح ورود العيلة بمعنى عيال كما فصله البيهقى فى كتاب الانتصار للشافعى والمراد ما كان هو وأمته عليه فى ابتداء أمره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما أحل لهم من الغنائم وفتح من الممالك ما هو غنى عن الشرح والبيان (وأجمع به بعد الفرقة) أى أجمع به بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبائل العرب و بين القبيلة الواحدة ألا ترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما أدى الى الهجرة وترك الاوطان و بين الاوس والخزرج من الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ وأخيه كما قال أبو قراش

وقبلى كان الغدر فى الناس شيمة * وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه * وخلى أمير المؤمنين عقيل

فلما جاء الاسلام ألف الله بين قلوبهم وسل أحقادهم وضغائنهم حتى صار الواحد منهم ينزل عن احدى زوجتيه للآخر و يقطع برده نصفين أو المراد انه جمع العقائد والملل على التوحيد وملة الدين أو المراد الاعم منها فقوله (وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة) عطف تفسير لما قبله ومتفرقة كما قال التلمسانى بتقديم التاء على الفاء من التفرق و بتقديم الفاء على التاء من الافتراق فى نسخة العوفى والتاليف جعل الاشياء مؤتلفة مجتمعة أى أجمع بينهم على مودة وائتلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله فى الآية لا ينافى كون التاليف بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه السبب الظاهرى والفاعل الحقيقى هو الله تعالى عز وجل والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم أو المراد التاليف بين عقائدهم بحيث تكون عقيدتهم واحدة متفقة على الحق والتوحيد والاهواء جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمتشتتة المتفرقة أى أجعل هويهم واحدا متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم والامم جمع أمة وهى الفرقة من الناس وغيرهم يعنى ان كل أمة كانت على دين واعتقاد وعلى طريقة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم من هو على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فنسخ الله بشريعته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الشرائع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقى فى الدارين (واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس) كما قال الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنه تعالى قضى بذلك وقدره فى الازل وعالم الذر وأخرجت بمعنى أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم والمراد أمة الاجابة وهم من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم و يطلق على أمة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد كنتم مذكورين فى الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير لخيرية نبيكم ودينكم أو بما بينه من قوله بعده تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وفى هذه الآية دليل على ان اجماعهم حجة (وفى حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والدارمى عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف (عبدى

(أحمد المختار) أي على سائر الاخيار وفي نسخة بالجر فاللام للجنس الاستغراقي أي أحمد كل من اختيرته واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) أي مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم أي موضع هجرته ومحل نقلته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة ابداء الشهادتين (أوقال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من أسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة أو بطيبة كما في نسخة فاو للشك في الاسم لا في المسمى وقد روى ان لها في التوراة أحد عشر اسما هذان منها وكانت قبل الاسلام تسمى بيثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة والسلام كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة وقد جاء في القرآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين وقال واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبوا الا ما كانوا عليه من جاهليتهم وقد سماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله وقد روى في معنى قوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هي طابة رواه أحمد في مسنده عن البراء (أمته الحمادون لله) أي المبالغون في حمده سبحانه وتعالى تبعا لنبيهم أحمد فكما انه أحمد الخلق فهم أحمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله (على كل حال) أي من السراء والضراء وفي حاشية المنجاني أمته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفي رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت في التوراة زيادة على هذا وهي يوضئون أطرافهم ويتزرون على انصافهم في قلوبهم أناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعد ما غيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغار على ظهور شيء مما بقي فيها وتكتم أشد الكتم وقد أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود في مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل انبعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودي يقرأ التوراة فلما أتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمسكوا وكان في ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لكم أمسكتم فقال المريض انهم أتوا على صفة نبي فامسكوا يعني على عادتهم أو لاجل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى أتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي بكمالها فقال هذه صفتك وصفة أمتك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لولا أخاكم وأخرج الواقدي في مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابي حبرا من أحبار اليهود فلما سمع بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فساله عن أشياء ثم قال ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه ما يحل وما يحرم واذا فيه انك خير

أحمد المختار) أضافه اليه تشريفا له وأحمد عطف بيان أو بدل والمختار الذي اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم (مولده بمكة) أي موضع ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه البقعة الشريفة (ومهاجره) أي محل هجرته الذي هاجر اليها صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمدينة أو قال طيبة) والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع مدائن بالهمزة على القول باصالة الميم ووزنها فعائل وبغير همزة على القول بزيادتها ووزنها مفاعل لان للياء أصلا في الحركة فترد اليه كما قيل في معائش والهجرة في اللغة الترك ثم خصت بترك مكان الآخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة وغالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسماء منها ما ذكروه وطيبة بفتح الطاء وتخفيف الياء الساكنة مؤنث طيب بالفتح لغة في الطيب بمعنى الرائحة الطيبة أو هي مخففة من طيبة بالتشديد ويقال طابة أيضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخبائث وقوله أو قال شك من الراوي فيما قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف تقديره أو قال بطيبة لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة وان جاز على بعد فيه قيل وظرفية طيبة لمهاجره بضم الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلي للجزئي كما يقال الانسان في زيد وكذا مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمي لم يبعد فتدبر (أمته الحمادون لله على كل حال) الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة

الانبياء وان أمتك خير الامم واسمك أحمد وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال أشهد أنى رسول الله والنعمان هذا هو الذى قتله الاسود العبسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) أى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) أى الجامع بين مرتبة النبوة وهى أخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية وبين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة وبين الكمال والتكميل الذى هو أعلى مقامات أرباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام بنعت الرسالة أو الترتيب بحسب التدلى لا الترقى فى المرتبة (الامى) أى مع كونه عاريا عن الكتابة والقراءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات الغيبية (الآيتين) أى الى آخر الآيتين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته

العلية وهو الذى يجدونه أى يصادفون نعته ويعلمون صفته مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يامرهم بالمعروف استئناف مبين لاوصافه المزبورة عندهم أو مطلقا أى يامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه جميع أرباب المعرفة بالمنقولات ويستحسنه أرباب الطبيعة المستقيمة من أصحاب المعقولات حيث يامرهم بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر أى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات أى الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث أى المحرمات والمضرات ويضع عنهم أى عن من تبعه من اليهود والنصارى خصوصا اصرهم أى عهودهم الثقيلة التى أخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات والسياحات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطا واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب فاعليها فالذين آمنوا به وعزروه أى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى أنزل معه أى مع رسالته وهو القرآن أو الوحى الشامل للكتاب والسنة أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا أيها الناس أى الشامل لليهود والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا أى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا مبعوثين الى بنى اسرائيل خاصة ولعله من هنا قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الا اتباعى الذى له ملك السموات والارض أى حيث يعم ملكه العلويات والسفليات شملت رسالته جميع الموجودات على ما بيناه فى بعض المصنفات لا اله الا هو فكانه لا رسول له الا هو فانه لولاه لما خلق غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لا من حيثية مبناه ولا من طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء وبالهداية والاغواء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تاكيد وتثبيت أو تبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع

بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وسفر وحضر فى السراء والضراء لان الله تعالى مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع أو الغالب أو المتعينين منهم أو هذا من شانهم وحمله على الكل تكلف كما قيل والحمد لا يلزم ان يكون فى مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد فى الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما عليه فى كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن الاضر ولك أن تقول كثرة الحمد فى هذه الامة لما فى أوقات الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على الله فيها على أبلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم واعلم ان فى بعض الشروح الاعتراض على المصنف وغيره ممن أكثر النقل من التوراة وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما لا ينبغى التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك فى تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان أو بتأويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينافى الغرض من نسخها فلا يجوز وذهب بعضهم الى أن التحريف فى التاويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها وكثرة نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ولالزامهم بما أنكروه وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ووقع فى الاحاديث النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا آية الرجم التى ألزمهم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفى شرح التجانى اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وأفاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن (وقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيتين)

أى اقرأ واذكرهاتين الآيتين بتمامهما أعنى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وانما اقتصر المصنف على بعضهما للاختصار ونحن ذكرناهما ايضاحا لمن لم يحفظ وادخار الثواب التلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الآيتين لان الفصل معقود للشهادة أى لكونه عليه الصلاة والسلام شاهدا على أمته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكر أولا ما يدل على مقصوده من القرآن العظيم ثم بين بانه موصوف بذلك فى الكتب الالهية كالتوراة والانجيل ثم ذكر هذه الآيات لتعلقها بها فذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التوراة فى ذكره فيها وقد قال فى الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطرادا لما فى الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور فى التوراة كما نقله وفى الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا أميا كما فى التوراة وقيل ذكرت لما فرض من الثناء والمدح له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس لعنه الله تعالى أنا شئ فطمع فى الرحمة فلما سمع قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون أيس من أن تناله الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن متقون داخلون فى هذه الرحمة فلما سمعوا قوله تعالى الذين يتبعون الرسول الى آخره خرجوا عن العموم وهذا كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبنى على ان الذين يتبعون خبر مبتدأ تقديره هم الذين الخ أو بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدأ وقوله يأمرهم الى آخره خبره فلا تخصيص الا أنه يخالف التفسير المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب وغيره وأنكره الهندى لان المبدل منه فى نية الطرح ولا حجة له فيه لانه وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعى رحمه الله تعالى انه كان يقول بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو الحق والامى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم تقريره والقول بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده بعد ذلك تقدم ما فيه وانه نسبة لام القرى أو لامه التى ولدته وفى شرح التجانى أنه قرئ فى الشواذ الامى بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود كل أحد باتباعه واتباع شريعته وفى تقديم الرسول على النبى مع انه أخص منه مخالفة للظاهر فقيل لانه أرسل فانبأ عن الله يعنى انه بمعناه اللغوى وهو المنبئ لا بمعنى من أوحى اليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه لما قال آمنت بكتابك الذى أنزلت وبرسولك الذى أرسلت وقال له قل ونبيك الذى أرسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار وقيل انما أخر النبى لدفع احتمال أن يراد بالرسول معناه اللغوى واحتمال أن يراد بالنبى معناه وحقيقته اللغوية أيضا أجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع معنى ليس فى الانفراد وقيل ليس الصفة مجرد النبى بل النبى الامى لاشتهاره بذلك فى الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض فهو أخص من الرسول أو ذكر النبى للتعميم فذكر أولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته لا للترقى ومعنى وجدانه فى التوراة والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف

كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته

(وقد قال تعالى فبما رحمة) قيل ما مزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة (من الله لنت لهم) أى تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يريد الثبات على النبوة التى هى ١٦٢ الولاية الخاصة الموجبة أن لا يغفل صاحبها عن الحضرة لحظة ولا لمحة عما يوجب التفرقة المانعة عن مقام الجمعية وأراد الله سبحانه وتعالى له الترقى الى مقام جمع الجمع بحيث لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين أن مقام الرسالة أعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنها بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان أول كلامه بان المراد بالولاية النبوة لا جنس الولاية معللا بان الولاية هى أخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هى الافادة بالاضافة المستلزمة للاقبال على الخلق فانا نقول اذا استغرق فى عين الجمع بحيث انه فنى عن الجميع ولم يوجد فى عين الشهود غيره موجود ولا فى الدار غيره ديار فانى يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر بلا قعر فيرجع الى ساحل بلا وعر (الآية) وتمامها قوله ولو كنت فظا أى سيئ الخلق مع الخلق بناء على ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس غليظ القلب أى شديده بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك أى تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من أنسك فاعف عنهم من ماصدر من الغفلة منهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر تلطفا بهم فاذا عزمت بعد المشاورة أو الاستخارة فتوكل على الله ولا تعتمد على ماسواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ما قدره وقضاه فيهديهم الى

انه طاعة لله من ترك الاوزار ومن الاتيان بمكارم الاخلاق كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان بخلافه كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التى تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل أو العهد لان بنى اسرائيل أخذ عليهم العهد بالتزام أمور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم فخفف الله عن هذه الامة بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه بدفع أعدائه عنه والمراد بالنور الذى أنزل معه القرآن أى اتبعوا القرآن مع أتباعه اشارة الكتاب والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية) ذكر هذه الآية لتعلقها بما تقدم فى التوراة من قوله ليس بفظ ولا غليظ أى فبرحمة من الله وما مزيدة لتأكيد الكلام وتزيينه وزعم ابن كيسان انها نكرة تامة فى محل جر ورحمة بدل والاول هو الوجه أى برحمة الله لك وتوفيقه ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق حمولا صبورا لا يؤاخذ الناس بما فرط منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم تكن كذلك كنت فظا أى شديدا غليظ القلب متجاوزا للحد لا يألفونك فيتفرقون عنك يقال فضضت الشئ فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شأن لو فالشرطية ينتج فيها استثناء نقيض التالى لزوم نقيض مقدمه أى لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفاء كونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض ثابت بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود بابطال نقيضه وقيل الاولى أن يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار المنة وان عدم الانفضاض من اللين الذى هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله الخ حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الالهة لان التحقيق ان لو لا تفيد امتناع الشرط لامتناع الجزاء وانما تقتضى انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرره على انه صلى الله تعالى عليه وسلم عالم بحاله وانه ذو لين وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة أنه ذو لين وانما هو لافادة أن لينه ليس الا برحمة منه تعالى وماذكر انما يكون استدلالا لو لم يكن عالما بحاله الا أن يقال المقصود بالاستدلال غيره تعريضا ولو قيل لان بالغيبة لم يكن تعريضا أصلا فتدبر وقال فى الكشاف مامزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازانى فى شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تأكيد ذلك فلذا قيل ان فى كلامه حذفا أى مامزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة الى آخره انتهى فهو من باب اللف التقديرى وتبعهم بعض الشراح هنا أقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب الزمخشرى فى هذه المسئلة فانه ذهب الى أن زيادة حرف فى التركيب يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد يقتضى الحكم أن لا يشاركه غيره فيه قال ابن هشام فى رسالته المشهورة فى اعراب لا اله الا الله ذهب الزمخشرى الى أن الله مبتدأ واله خبره وقال فى أثناء تقريره أن نحو ماجاءنى رجل يفيد نفى واحد غير معين فيجوز للسامع مجئ اثنين فاذا قيل ماجاءنى من رجل علم انه لم يجئه أحد من جنس الرجال ومن ثمه صح أن يقال ماجاءنى رجل بل رجلان ولم يصح ماجاءنى من رجل بل رجلان وكذا فبرحمة

من الله لنت لهم وفبما نقضهم ميثاقهم لعناهم لو لم يؤت بما جوز ان اللين واللعن كانا الشيئين الذكورين واغيرهما وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة واللعن لم يكن الا النقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهوم لا يعتبر الا في مقابلة السبب الظاهر كما اذا رأينا قتيلا في محلة أعدائه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما في شرح الهداية ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقت الشورى على أمر أعزم وتوكل فانك منظور بعين الرضى والمحبة (قال السمرقندي) رحمه الله تعالى تقدم بيانه وترجمته (ذكرهم) أي ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وفي نسخة ذكره وذكر مشدد فيهما وقيل انه مخفف (منته) أي انعامه أو امتنانه عليهم (انه جعله رسولا رحيما رؤفا لين الجانب) بفتح الهمزة بدلا من منته أو بتقدير بانه والضمير لله أو للشان وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الآية في حقهم والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرأفة والرحمة في موضعين وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسيرا للرؤف والجانب أي الذي يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته لهم ولين بتشديد الياء وروى بتخفيفها من اللين بكسر اللام ضد الخشونة (ولو كان فظا خشنا في القول لانفضوا من حوله) المعروف ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهري جعلها ضد اللين وهو الواقع في كلام العرب كقول الحماسي

اذن لقام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

لان اللين في الغالب من الرقة والملاسة فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل وقد يمدح بها اذا كانت على من يستحقها كما في البيت وقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية مطردة غير ممدوح وقد قيل ان ظاهر قول المصنف رحمه الله تعالى هنا ان خشونة القول صفة مبينة للفظاظة فيكون التفرق مرتبا على مجرد الخشونة على أمر واحد وهو في الآية مرتب على أمرين الفظاظة وغلظة القلب فما فسره به الآية غير موافق لها فيحتاج هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه أشار الى ان التفرق مترتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم ترتبه على خشونة القول الفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشأ الخشونة هذه الغلاظة قدمها في الآية واقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى فان الامر القلبي انما يثمر بعد قول أو فعل فتامل أقول للثان تقول ترتب التفرق في الآية على أمرين الذي سلمه المعترض غير مسلم لان الجوهري قال الفظ الغليظ وقال في المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب يقال منه فظ القلب يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية في الآية مبينة للاولى كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ففظا في التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر الفظاظة ففي الآية صفة واحدة وفي التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دأبه ان يستسمن الورم على ان ما بنى عليه كلامه من كون خشنا صفة اساس في الهوى وما بناه عليه كبنيان القصور على الامواج (ولكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا) سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى سهلا ومنه الحديث أتيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد كريم والسهل بزنته وكذا كل ما بعده الذي لا صعوبة فيه أو لا فظاظة ولا غلاظة والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه صفة مشبهة وهو في الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه أي غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف به صاحبه أيضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في قوله

من دأبه الافصاح حين ينطق * طلق طليق طلق طلق [illegible]

الصلاح وينصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى) وفي نسخة ذكر الله تعالى بتشديد الكاف (منته) أي امتنانه وفي نسخة مننه على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) أي سبحانه وتعالى (جعل) ويروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا) أي للمتقين فان الرأفة أرق من الرحمة (لين الجانب) أي مع الاقارب والاجانب في جميع المراتب (ولو كان) أي بالفرض (فظا) أي سيئ الخلق في الفعل (خشنا) أي غليظا (في القول لتفرقوا من حوله) أي ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) أي الله سبحانه وتعالى (سمحا) أي جوادا زيادة على ما طلب منه في معاملاتهم أو مسامحا لهم في فرطاتهم وزاد في نسخة سهلا أي لينا (طلقا) بفتح فسكون أي منبسط الوجه (برا) بفتح الباء أي بارا كثير الاحسان الى أمته كالولد البار بابويه وقرابته أو جامعا للخير كله فانه من البر الذي هو وسيع الفضاء (لطيفا) أي رفيقا شريفا يراعي قويا وضعيفا

والبار من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشفق الناس على أمته وهو من أسمائه تعالى قال الله تعالى الله لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفي غلظة القلب فان البخل في محل الانفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الفظاظة لانها تلزمه غالبا والباقي ظاهر (هكذا قاله الضحاك) قال البرهان الحلبي هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الصحابة ضعفه بعضهم لكن أحمد وابن معين وثقاه وروى عنه أصحاب السنن وغيرهم وله ترجمة في الميزان وتوفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن أجلة التابعين أيضا الضحاك بن قيس المعروف بالاحنف ولشهرته بالاحنف لم يجوز أحد من أرباب الحواشي أن يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه واذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم بآخر وان اتحد نوعهما أو حرف التشبيه مقحم غير مقصود أي هذا وسترى تحقيقه قريبا (وقال الله تعالى عز وجل * وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) سيأتي تفسير هذه الآية وفسر بعض الشراح رحمه الله تعالى قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الآية قبلها أي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم أو جعلنا قبلتكم أصل القبل أقول هذا خلاف ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف فيه وفي أمثاله قال العلامة التفتازاني رحمه الله تعالى في قول الكشاف أي ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل العجيب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم أمة وسطا واذا تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى أقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم أزل أبحث عن هذا كل من ناقشته من الفضلاء فلم أظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت خزائن الضمائر فرأيت في شرح القصائد الطوال في شرح قول زهير

كذلك خيمهم ولكل قوم * اذا مستهم الضراء خيم

نقلا عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا الخبر متقدم أو متأخر فهي نقيض كلا لانها تنفي ذلك فمعنى البيت ان هرما وأباه ثبتت لهم حسن في دفع الملمات اذا نزلت بقومهم وان كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدائد وحلول العظائم ومثله قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب اليه أهل المعاني من ان كذلك يكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغاء العرب وتوضيحه ان وجه الشبه يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقولك هذا الثوب كهذا الثوب في كونه خزا أو برا وهذا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد الثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناها موجودا بدونها وهي مؤكدة له فكانت كالكلمة الزائدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة واما دلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك لا يحتاج لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه أمر غريب وبهذا تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب * فان قلت ما مناسبة كونهم أمة وسطا شهداء على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة * قلت وجهه ان أهل الكتاب لما أنكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم ردعليهم انكارهم بان هذه الامة وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء وشهادتهم مقبولة عند الله فانهم أحق باتباعهم والاقتداء باهل قبلتهم ولا وجه

(هكذا) أي مثل ما سبق لفظا أو معنى (قاله الضحاك) وهو ابن مزاحم الهلالي الخراساني يروي عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهم وعنه خلق وثقه أحمد وابن معين وضعفه شعبة أخرج له أصحاب السنن الاربع وتوفي سنة خمس ومائة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خيارا أو عدولا أو معتدلين في الاخلاق غير واقعين في طرفي الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتير والتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهداء على الناس) أي بتبليغ رسالة أنبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي مطلعا ومشاهدا ومشرفا

صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية) أى بسببها أو فيها بقوله (وفى قوله) أى سبحانه وتعالى (فى الآية الاخرى وفى هذا) متعلق بما قبله (وهو) أى الله سبحانه وتعالى (سماكم المسلمين من قبل) يعنى فى الكتب المتقدمة (وفى هذا) أى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ رسالهم اليهم (وكذلك) أى ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) أى كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) أى بنبى يشهد على أمته (الآية) وفى بعض النسخ تمامها وجئنا بك على هؤلاء أى على الشهداء من الانبياء أو على أمتك من الاصفياء والاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) أى (عدولا) وفى نسخة عدلا أى موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) أى مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب

لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول دونكم وهذا التحقيق لم أسبق اليه فعليك بادخار جواهره فى حقاق الاذهان فانك لا تراه فى غير هذا المكان (قال أبو الحسن القابسى) تقدم الكلام فى ترجمته ونسبته (أبان الله تعالى) أى بين واظهر (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية) الباء للتعدية أو السببية واختار بعضهم كونها ظرفية بمعنى فى لقوله (وفى قوله فى الآية الاخرى) وهى قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل (وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) ضميرهو لله أى الله عز وجل سماكم المسلمين فيما أوحاه لرسله عليهم الصلاة والسلام فى الكتب القديمة ثم سماكم به فى هذا القرآن كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم المسلمين قبل هذا الوقت فى قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أو ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم مسلمين كما نقل عنه فى هذا القرآن وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية شهادة المخاطبين وتصديقها على ان على الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم وعلى الثانية على أصلها ان كان المراد بالناس أممهم أو بمعنى اللام ان كان المراد اياهم فتطابق هذه الآية وماقبلها كما سيأتى فى كلام المصنف وتعاكسهما لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا عن الشهادة فى الاولى والمزكى مؤخر رتبة عن المزكى فى الثانية وترقى فى مدح المخاطبين فى الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى وللاهتمام به قدم ذكره فى الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الآيتان على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت فى احديهما وأخرت فى الاخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم يقضوا حق ماافترض عليهم فنزلوا منزلة من لم يبلغه لعدم الجرى على موجبها فهى كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا أريد شهادة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ على المخاطبين لانها لاتتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل عليهم الصلاة والسلام من يشهد على أممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه مالا يخفى ومنهم من جعلها لام العاقبة (وكذلك) أى كما أبانت الاولى فضلهم أبان (قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية) المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يشهد على ماعملوه أى كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم أو بالاخير فقط أو على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر أكثرهم على الاول لانه أنسب بالتوبيخ والآية بالنصب أى أذكرها أو بقيتها وهو قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا أى جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم أو على الامم أو على التبليغ أو على أمتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم وبين ماسيأتى من ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم امالانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد معهم ثم يزكيهم أو انه جعل التزكية شهادة لانها فى حكمها (وقوله تعالى وسطا أى عدلا خيارا) الوسط بفتح السين ماوقع بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به مايكشف من جوانبه ولو من غير تساو كما فى المصباح وبسكونها بمعنى بين وفى الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه فى شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشئ وخياره ولذا قيل خير الامور أوسطها وقال الشاعر

حب التناهى غلط ※ خير الامور الوسط

للصحابة وان كان الخطاب لجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الآية) أى بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبر عنها بقوله

وردهذا الامام السهيلي في الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما كقولهم أثقل من مغن وسط وقالوا الوسط أخو الدون وانما يمدح به في مقامين أحدهما الشهادة توسط الشاهد في الحق وعدم ميله الى أحد الجانبين والثاني النسب كما قيل في وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها انها كانت وسيطة في قومها لان وسط القبيلة أعرفها وصميمها لاحاطة الاباء والأمهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية عنه وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله في وصف قلعة

كانت هي الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وأورد عليه التجاني في شرحه أنه مخالف للغة فانهم متفقون فيها على أن الوسط صفة مدح ومنه الصلاة الوسطى وليس وارداعليه فان استعمال الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلي رحمه الله تعالى لاينكر كونه بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قاله بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الآية والاول معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون جمعا لخير كسهم وسهام كما صرح به في المصباح والعدل في الاصل مصدر فاذا أطلق على الواحد والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا أفرده المصنف رحمه الله هنا وجمعه فيما سياتي فلامنافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبي عليه السلام فسر الوسط في هذه الآية بالعدل في حديث رواه الترمذي وصححه وثبت تفسيره به في صحيح البخاري والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثاني للجماد ولذا أخره وعطفه الزمخشري باو فجمع المصنف بينهما ان أراد انهما مرادان معا في الآية فلا كثر على منع مثله وان أراد أحدهما فلا ينبغي العدول عما صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا الظاهر أنه بيين مراد الله حتما لا احتمالا والمصنف أعلى شانا من أن لايعرف مثله الا أن يقال أنه ذكر الثاني بالتبعية للاول للزومه له انتهى أقول قد ظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المصنف له بعد العدل دون عطفه بالواو أو باو لجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لابد أن يكون خيرا فلا منافاة بين ماذكره وبين الحديث وليس مثله مما يستشكل ويستصعب وفيه اشارة الى أن التفسيرين مآلهما واحد وعطف الزمخشري له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافي التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما قيل هنا من أن كلام المصنف رحمه الله تعالى محل تامل حيث أفرد عدلا هنا وصفه بخيار وهو جمع خير مع جمعه بعده في قوله عدولا خيار الما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما في الصحاح يقال قوم عدل وعدول فماذكره كله من ضيق العطن وقحط الفطن وفي تركيبه هنا حزازة لانه يحتاج الى تقدير أي قوله وسطا أي عدلا خيارا فيه تفضيل لهم ومدح وقوله (ومعنى هذه الآية وكما هديناكم كذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم أمة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالصدق) اشارة الى أن المشبه به في هذه الآية وهي قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الى آخره الهداية المذكورة قبله في قوله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو كما فضلنا كم بهذه القبلة وقد بينا لك أن المحققين من شراح الكشاف على أن المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقدم تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور في محل نصب أي جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة هنا على هذا في محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم بتاويل جعلنا اياكم فيكون كالضمير الذي يفسره خبره ونحو ان هي الا حياتنا الدنيا وهذا تعسف لامعنى له وقوله بان الى آخره تنازعه الفعلان

(وكما هديناكم) أي المستفاد من قوله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كما هديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة أهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) أي على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم أمة) أي جماعة مجتمعة غير متفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) أي مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) أي الرسل (على أممهم) أي بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) أي بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت أن تكون متواترة فكان حقه أن يقول صح ونحوه ولا يعبر بقيل المشعر بضعفه اذ رواه البخاري وغيره

(أن الله جل جلاله) أي عظم كبرياؤه (اذا سأل الانبياء هل بلغتم) أي أممكم فيما أرسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي عليه الصلاة والسلام) ويجيز الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الآية انكم) بالفتح ويجوز الكسر أي أيها الامة (حجة) أي ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) أي من الامم المكذبة (والرسول حجة) أي بينة واضحة دالة (عليكم) أي على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندي) أي نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) أي فيما أثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) أي من امتك لا من غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) ما قدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابي وغيره من المفسرين وقال بعضهم ما قدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة في اللوح المحفوظ وقد قال حسان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
لاولنا في طاعة الله تابع

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن أسلم) هو أبو أسامة مولى عمر بن الخطاب توفي سنة ست وثلاثين ومائة

ويشهد بالنصب والتخصيص بهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وأنبيائهم والرسول شاهد لهم لم يبق أحد من بني آدم غيرهم يشهد هذه الشهادة فانحصرت أو نقول المصنف رحمه الله تعالى مالكي المذهب ومذهب مالك رحمه الله تعالى افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابي في شرح الآثار عنه في استدلاله بقوله تعالى والحمير لتركبوها على حرمة أكلها فان أردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق أو نظر للواقع الى آخر ما ذكره وأطال فيه من غير طائل بعد ما استشكله غير ظاهر وفي قوله ليشهدوا الخ اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص متعلقة وعليه فالناس في الآية بمعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا باس به (قيل ان الله جل جلاله) هذا أبلغ من قوله جل وعلا فانه على نهج جد جده (اذا سأل الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (هل بلغتم) ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر وأخفى (فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء) عليهم الصلاة والسلام (ويزكيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطي رحمه الله في تخريجه هذا حديث مرفوع أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وقيل عليه ان البغوي روى ان الله يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار ألم يأتكم نذير فينكرون ويسئل الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسئلهم البينة واقامة الحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم من أين علموا وانما هم أتوا بعدنا فيقولون يا ربنا أرسلت الينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل ثم يؤتى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسال عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه نظر واضح اذ ما أخرجه البخاري انما هو في نوح عليه الصلاة والسلام وامته لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال قيل والحكمة في هذا اظهار فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفضل أمته على سائر الامم بقبول شهادتهم وتزكية أفضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السؤال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم بين الامم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم (وقيل معنى الآية انكم حجة على من خالفكم) (١) قال في المقتفى انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها وكسرها بالقلم أي اجماعهم حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجة على الجميع كما قال السمرقندي أيضا (وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) أي لهم تقدم ورتبة رفيعة عند الله عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطاء واضافته الى الصدق لبيان فضله ومزيته قال أبو عبيد كل سابق خير قدم وفيه اشارة الى ان الصدق هنا بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هذا في فصل الشفاعة وأجيب عنه بان هذا الفصل لما كان معقودا لوصف الله له بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله تعالى استطرد التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه (قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم) قتادة هو أبو الخطاب ابن دعامة الدوسي الحافظ المفسر وروى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفي كهلا سنة سبعة عشر أو ثمان عشرة بعد المائة وترجمته مفصلة في الميزان والحسن البصري تقدمت

(١) وفي نسخ المتن وشرح القاري وقع هنا قوله والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي والشارح هذا وان أتى به على طريق النقل في طرز آخر الا انه يرى من الشرح كما هو عادته والظاهر من عبارته (لمصححه)

(قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا) أى فى رواية أخرى (هى) أى قدم صدق وأنث الضمير لتأنيث خبره وهو قوله (مصيبتهم بنبيهم) سواء أدركوا وقت الموت أو حصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازى يروى هى فضيلتهم بينهم أى فيما بينهم ولا يخفى عدم ملائمته للمقام ولعله تصحيف أو تحريف ولو كان فضيلتهم بنبيهم لكان وجها وجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذا معنى نسخة هى محبتهم لنبيهم (وعن أبى سعيد الخدرى) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبير بها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر أهلها (وقال سهل بن عبد الله التسترى هى سابقة رحمة أودعها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى وفى أمته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل أمة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده وأثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره مما لا يلحقه أحد من اخوانه كما أشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله أودعها بصيغة الفاعل وهى نسخة المصنف وفى نسخة العوفى على بناء المفعول وجعله التلمسانى مضارعا

ترجمته وزيد بن أسلم هو الفقيه مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفى سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة فى الكامل والميزان (قدم صدق) مبتدأ خبره المفسر له قوله (هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع) فى نسخة لهم وروى ليشفع وشفيع فالقدم على هذا الشفيع سمى قدما لتقدمه وسيأتى قريبا تفسيره بالشفاعة عن أبى سعيد الخدرى بتقدير قدم انسان صدق أى صادق كرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع أو يقال المراد شفاعة يقدم صاحبها على رجائها كما فى قولهم حمل حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق فى خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته (وعن الحسن أيضا هى مصيبتهم بنبيهم) أى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة ينفعهم حيا وبمماته

كالغيث ان جئته وافاك ريقه ❊ وان تأخرت عنه لج فى الطلب

(وعن أبى سعيد الخدرى) رضى الله تعالى عنه تقدم ان اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة ابن عبيد بن الابجر بموحدة وجيم وهو ابن خدرة بضم الخاء المعجمة واسكان الدال المهملة الذى نسب اليه على الاصح وقيل خدرة أم الابجر الصحابى الرفيع القدر المشهور من فقهاء الصحابة ومن أصحاب الشجرة توفى بالمدينة ودفن بالبقيع سنة أربع وستين وقيل أربع وسبعين وروى عنه أحاديث كثيرة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم) جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها أو تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع الى آخره اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق أو بمعناه المصدرى وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار الشفاعة أيضا كما مر أو الى المسامحة فى تفسيره بالشفاعة فتتوافق الاقوال (وقال سهل بن عبد الله التسترى) تقدم الكلام عليه (هى سابقة رحمة أودعها الله تعالى فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى أودعها بفتح الهمزة والدال والعين وفى نسخة العزفى بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحه اذا سقطت فى ورفع محمد على أنه نائب عن الفاعل وهو الله وليس ما قاله بشئ لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوه هنا ولا باس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر أو فى الازل سابقة رحمة بمعنى رحمة سابقة أو الاضافه بيانية وقيل هى رحمة قدمها بوفاته لما فى الحديث اذا أراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسلفا وتقدم تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد فى الحديث فى صفة النار يضع الجبار فيها قدمه أى من تقدم فى علم الله خلقه لها والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم على ظاهره وليس هذا

وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى وأما قوله ويتجه اذا سقط فى من الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب محل عن الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى فكلام ساقط الاعتبار كما لا يخفى على المعتبرين الاخيار (وقال محمد بن على الترمذى) هو من كبار المشايخ له تصانيف فى علوم القوم ومن تاليفه نوادر الاصول فى الحديث باسانيده وهو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهدى المؤذن روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشان ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور فانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقادا عند أكابر ما وراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده أبو العباس ابن تيمية من أجل كتابه ختم الولاية ولعله ما فهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذى مبنى ومعنى ومنها أبو عيسى الحافظ الترمذى كما تقدم والله أعلم

(هو) أي قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة أي قدوتهم ومقتداهم أو بفتحها أي مقدمهم خلقة ورتبة وقدامهم في مقام الشفاعة كما أشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) أي المقبول الشفاعة ولعله عدل عن الشفيع المشفع للايماء الى قوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعني بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفي في الآية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) أي المستجاب في سؤاله الاعم من الشفاعة وبقية أحواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى) (الفصل الثالث) (فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة) أي في عتابه المنزل في كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع في الاحسان على ما في القاموس (من ذلك) أي من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) معاتبة على وجه الملاطفة (لم أذنت لهم) أي للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين

محل تفصيله (وقال محمد بن علي الترمذي) الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس في اعتقاده لكلام صدر عنه في بعض تصانيفه والله أعلم بالسرائر وترمذ فيها لغات تقدمت (وهو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمى) بضم السين وفتح اللام أبو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكاني الصديق فعيل من الصدق وأصله في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورد في الشرع لمعان يجمعها كلها المبالغة في الصدق وتكثيره فاما اقوال العلماء فيه فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتات منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق بصدقه فعله واشتهر حتى بلغ درجة تلي درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وورد في القرآن العظيم في مواضع كقوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وأولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعني بالشهداء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم شهداء على الناس يوم القيامة فلهم أجرهم ونور لم تره عين ولا أذن به سمعت الى آخر ما فصله ونقل فيه كلام أرباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهي الولاية وتنضم للنبوة أيضا كولاية النبي ولذا قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا ووصف به النبي هنا ومناسبة هذه الآية وتفسيرها لما عقد له الفصل ظاهرة لان العدل في الشهادة المقبول قوله لا يكون الا صادقا صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية في القرآن على القول المرضي فما قيل من ان هذه الآية ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل وتخصيصها بالاستطراد غير واضح لا وجه له لا سيما وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اماما مطاعا مجابا لما سأل يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته

(الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه) أي خطاب الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم والخطاب في الاصل مصدر بمعنى المخاطبة وهي توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول هي نسبة بين المتخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام الازلي القائم بالنفس محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام النفسي كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص في العام وقيل انه بتقدير حين والورود بمعنى المجيء والوقوع مجاز مشهور أو حقيقة عرفية وقيل انه تجوز في اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة بشريعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فقد يرتد ويكون في بعض من تاول من غير داع (مورد الملاطفة والمبرة) مورد اسم مكان أو مصدر ميمي بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له منزلة فعله أو هي لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعان متغايرة وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف وبرة لم يكن بما سبق من المدح والشفقة والقسم (فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) في نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال في الكشاف وتبعه البيضاوي ان هذا كناية عن الخيانة لان العفو مرادف لها ومعناه أخطأت وبئسما فعلت وقد شنع الناس

عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراءة كتابه كما حكى عن الامام السبكى لما فيه من ترك الادب وقال ابن المنير فى تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة فى الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب فى التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء أو خبر معناه لا عهدة عليك لانه تعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهو تخصيص وتمييز لان الاذن ذنب متعلق به العفو ولان تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم جل لا شفقة على نفسه واسقاط الحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه أى قد بلغت فى الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما أجحف بك فى محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر وأين هذا من التخطئة والزمخشرى نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأراد بعضهم أن يصلح ذلك فافسد فقال بدأ بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب فى حيفه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد فى العبادة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولعلك باخع نفسك الخ وان كان يستدعى ذنبا كاستدعاء رضى الله تعالى عنك لغضب سابق فهو تنبيه على انه أمر أن يرفق بنفسه فكانه قيل له ان أتيت الى الحلم والاحتمال فانت غير مؤاخذ بل مثاب لكن برخص له فى لذة وراحة فيعمل بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلا عهدة عليك ايجابا لحقه ورفعا لقدره لا التزامه ما لا يلزمه وذلك أنهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين فى رتبتهم فاستأذنوا ليكون قعودهم باذن لا ينافى دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم فانهم ليسوا فى ورد ولا صدر فلما أذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله تعالى حتى يتبين لك الى آخره وليس فى هذا المخالفة مصلحة مرضية فان الله تعالى بين أنه باذنه لهم طبق نحو الكراهة فانه لا مصلحة فى خروجهم بل فيه مفسدة شوهاء وعاقبة شنعاء لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمائم ويثيرون غبار الضغائن مشتتين للشمل كالغربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكانت المصلحة العظمى فى قعودهم وان كان فيه ستره أمرهم واحتمال مكرهم وغاية الغائلة التباس أمرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشفت له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدور كم ضاق نطاق عمر رضى الله تعالى عنه عن ذلك وأشار بضرب أعناقهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا يا عمر تتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويرتع فى حصائد الالسنة فاشفق على العدو فاستبقاه وعلى الولى أن تزخرجه الشبه عن رتبة تقاه وجل عما ذلك نفسه فى ذات الله تعالى انتهى * أقول جزاه الله خيرا عما أعداه للعقول السليمة من أنفس التحف * ودافع به عن حرم النبوة العالى الرتبة لمن عرف * وأنت اذا تأملت ما بعده من النظم تراه مصرحا بما أفاده ألم تسمع قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم فاى رأى أشد من الاذن فى تخلفهم وأى حلم أعظم من الستر عليهم فكيف يكون فى أول الكلام عتاب وآخره بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان هذا فى رسالة كاتب مزقها سلطانه * فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه (قال أبو محمد مكى قيل هذا افتتاح كلام) أى هذا جار على نهج البلغاء وأرباب الترسل والانشاء فى ابتداء كلامهم بالدعاء توقيرا وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشائية دعائية على أرجح الاحتمالين فيها كما سمعته آنفا (بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله) أى هو مثله فى أنه دعاء للتعظيم لم يقصد اليه لما يوهمه الدعاء بالصلاح من الفساد والغيره من الذل كما ورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف عليه الصلاة

(قال أبو محمد المكى) من الكلام عليه وفى نسخة مكى (قيل هذا) أى قوله عفا الله عنك (افتتاح الكلام) أى ابتداء كلام الله سبحانه له فى كتابه عند خطابه (بمنزلة أصلحك الله) وما صنعت فى حاجتى (وأعزك الله) هلا شرفتنى بزيارتك لى ونحو ذلك فيما يخاطب به الملوك والعظماء بتقديم الدعاء والثناء على أبناء الانبياء ونظيره ما ورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرجونى والحاصل أن العادة جارية فى مقام التبجيل والاكرام لمخاطبة الكرام بنحو هذا الكلام وان لم يكن هناك شئ من الاثام ثم التشبيه لا يقتضى المشابهة من جميع الوجوه فلا يرد أن مثل هذا الكلام انما يكون بين المتساويين فى الاقدام أو من الادنى فى مخاطبة الاعلى لا بالعكس كما لا يخفى

والسلام

(وقال عون بن عبد الله) أى ابن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه أخو عبيد الله الذى هو أحد الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن حديثه عن ابن عمر فى مسلم ولم يلحقه وعنه الزهرى وأبو حنيفة وقد أخرج له مسلم والاربعة توفى فى حدود ستين ومائة (أخبره الله بالعفو قبل أن يخبره بالذنب) تسليته له فى هذا الباب وملاطفة معه فى مقام العتاب وقوله يخبره من باب الافعال أو التفعيل وهما بمعنى واحد وأما قوله الحلبى وكانه أراد التنويع فى الكلام ليس له نتيجة فى المراد لان التشديد فى هذا المقام ليس للتنويع المتفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهرى فى التقرير (وحكى السمرقندى) أى أبو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى يا سليم القلب) عن غير ذكر الرب كما فسر به قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم (لم أذنت لهم قال) أى السمرقندى أو بعضهم المنقول عنه ما تقدم (ولو بدأ) بالهمزة أى ابتدأ الله (النبى) أى له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة ولو بدأه (بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه) أى ينصدع وينقطع (من هيبة هذا الكلام) أى المشعر بانه وقع فى الآثام (لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو) أى مبتدئا بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) أى وسلم من الدهش به وفى نسخة يسكن قلبه وفى بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب

والسلام وكرمه وصبره والله يغفر له وقد قدم هذا المصنف لانه التحقيق المرضى عنده لما ستعرفه فى قوله (وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب) عون هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه أخو عبيد الله الراوى عن أبى هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعى لكن له حديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى مسلم وروى عن الزهرى وأبو حنيفة وأبو العميس وأخرج له أحاديث كثيرة وهو ثقة توفى فى حدود الستين بعد المائة وفى نسخة خبره بدل أخبره والمعنى واحد وكذا يخبره لكن فى المتن أن يخبره فى النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو مع أخبره من تنويع الكلام لان أخبر وخبره بمعنى والتنويع أن يكون فى الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازى على سواد

فى العبارة ثلاثة أوجه قيل المراد بالذنب هنا خلاف الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيئات المقربين والوجه هو الاول بعض الشراح ارجع هذا لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا الا انه على الاول لا ذنب أصلا والجملة انشائية دعائية وعلى هذا هى خبرية فان أراد أن المآل واحد صح ما قاله ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فتخلف بعضهم بالاذن لا باس فيه لا سيما اذا كان فى ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه الآتى ذكره اذا أمر الملك أحدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يامرهم وينهاهم فيمتنع العتب عليه فيما فعله لمصلحة لا سيما اذا كان مقامه فى غاية الجلالة عنده (وحكى السمرقندى عن بعضهم أن معناه عفاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم) فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما فى أصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما فى الحديث نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة وفيه اشارة الى أن الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافى له الا أنه قيل عليه أن سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا فى نحو قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم لان معناه خلوصه من الغل والغش الا أنه صار فى الاستعمال عبارة عن الغفلة وضعف الرأى وقلة الحزم والعزم كما فى لباب التفاسير وأجيب عنه بان ما ورد مدحا فى القرآن يجوز التعبير به فى مقام المدح وان أوهم خلافه لعرف طارئ عليه وفيه نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندى وترجمته (قال ولو بدأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم) بدأ مبنى للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبى منصوب مفعول وبدأ مهموز بمعنى ابتدأ لا معتل بمعنى ظهر (لخيف عليه) أى لخاف عليه من يحبه لا الله (أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام) لتأثيره فى قلبه وجلالة قائله ومهابته خصوصا من هو أخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسياتى الكلام عليه وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد أن يخاف عليه أو يخاف عليه من لا يعرف أنه آمن مغفور له أو خيف عليه بحسب الظاهر أن يكون شانه ذلك فى ذاته ومثله لا يوجب خللا فى المقصود كما توهم وهذا مبنى على أن خوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العقاب بعد تامينه من الله له غير جائز وسياتى تفصيله وانفطار القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله تعالى كما قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه) سكن ماض بالتشديد والتخفيف وفى نسخة سكن وقلبه مرفوع

(ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف) أى عن غزوة تبوك (حتى يتبين لك الصادق فى عذره عن الكاذب) أى فى عذره لما حكى عن مجاهد ان بعضهم قالوا فى غزوة تبوك نستاذنه فى الاقامة ان أذن لنا قعدنا وان لم ياذن لنا أقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر يقبله منا (وفى هذا) أى الخطاب فى مقام العتاب وفى نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى مالا يخفى على ذى لب) أى صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه وبره به) أى انعامه له (ماينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد ويروى فى غير الشفاء مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو فسكون تحتية فهاء مكسورة وفى نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا أيضا ويؤيده ماذكره ابن الصلاح ان أهل العربية يقولون فيه وفى نظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة ابراهيم مضموم ماقبلها مفتوح مابعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ أبا محمد عبد القادر بن عبد الله يقول سمعته

أو منصوب وروى يسكن مضارع مضموم الاول مشددو قلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه يعنى أنه تعالى لرأفته به صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته قدم العفو أولا ليسكن قلبه أى يطمئن ويامن قيل المراد به يدوم له السكون وعدم الاضطراب لامنه أو هو من قبيل سبحان من صغر البعوض واعترض عليه بعض الشراح بانه لاطائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه نحو فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه ورد بانا لانسلم أنه أشد منه أو مثله فانه نهى عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجئ ولو سلم فهذا اعتراض أشد نحو يفامن النهى مع انه لايلزم من عدم الرعاية فى مقام عدمها فى مقام آخر ولا من الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على أن الوعد لايمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام فى يوم القيامة والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسياتى تحقيق هذا ان شاء الله تعالى فى محله (ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب) ثم هنا لمجرد الترتيب الذكرى بغير مهملة أو بمهملة لتنزيل ما تقتضى وانعدم بمنزلة البعيد كما حقق فى قوله تعالى ذلك الكتاب فى أحد الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر ويتميز هذا من هذا وينفصل فيتعلق من به باعتبار ماتضمنه من الانفصال وحتى متعلق بمقدر لا باذنت لفساد المعنى أى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين أى لم أذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك كان عليك أن لاتاذن لهم حتى يتبين الى آخره كما فى لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه اشعار بما ذرره (وفى هذا) المذكور من تقديم العفو وتاخير السؤال (من عظيم منزلته عند الله مالا يخفى على ذى لب) المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان اذا أضيف الى المنزه عن المكان فهى بمعنى فى علم الله أو فى حكمه كما فى قوله تعالى كان عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق وتكون للقرب المعنوى كما فى قوله تعالى ابن لى عندك بيتا فى الجنة وبمعنى احسانه وانعامه كما فى قوله تعالى قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك مايحلو واللب العقل والمراد الكامل أو هو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من أجاز تقديمه أو هو بيان لمقدر مبهم وما بعده بيان أو صفة أخرى للمبهم (ومن اكرامه تعالى اياه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره به) لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعاء والعفو فى أول خطابه كما مر فتذكره (ماينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) نياط فعال من النوط وهو التعليق ومنه المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها وهو عرق غليظ علق به القلب من الوتين وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه فلذا كنى به عن الموت قال ابن خالويه فى كتابه ليس فى أسماء المنية قال الله عز وجل الا أن تقطع قلوبهم بمعنى الا أن يموتوا يقال قطع قلبه ورمى بنيطه ورماه الله بذنبه وطالبه بحقه اذا مات انتهى وللنياط معان أخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد أن له صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة عند الله ورتبة أكرمه بها وأنعم عليه بما لاتطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولاتفى الاعمار بتحصيله

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

فانقطاع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه أو عبارة عن عدم وفاء الاعمار به وحيلولة الموت دونه وما قيل من أنه يجوز أن يكون اشارة الى أنه من عرف كمال اكرام الله تعالى عز وجل ورعايته له عرف أنه فى غاية التقصير فيخاف خوفا يثمر الهلاك تعسف وارتكاب لما يأباه فحوى الكلام والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم من فسرها بجملة الشئ وجعله استعارة وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل (قال نفطويه) هو لقب لابى عبد الله

الحافظ أبا العلاء يقول أهل الحديث لايحبون و يه أى يقولون نفطو يه مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع فى آخر الكلام و يه انتهى وهو أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة لازدى النحوى الواسطى ظاهرى المذهب له التصانيف الحسان فى الآداب توفى سنة ثلاث وثلثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) أى من المفسرين (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية) بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) أى منزه عن ان يعاتب أو ينسب اليه ذنب (بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة فى حاشية الحلبى وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة أى مختارا بين الاذن وعدمه اذلم يتقدم اليه فى ذلك نهى من الله سبحانه كما ذكره الزمخشرى وأقول بل التخيير مصرح به فى قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (فلما أذن لهم) أى فى هذه القضية وفى نسخة فلما ان أذن (أعلمه الله) بما أضمروه مما هو من دأبهم (انه لو) وفى نسخة ان (لم يأذن لهم لقعدوا النفاقهم) أى وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لاحرج) أى لا اثم (عليه فى الاذن لهم) زاد القشيرى بعد ذكر هذا المعنى فى تبيين المبنى ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وهى لم تجب عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب أو انما يقول العفو ولا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولا يلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانما هو بيان ان عدم أذنهم كان أصلح بخصوص شأنهم لفضاحة حالهم وخزية مالهم خلاف ما اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ برضاهم بدناءة أفعالهم استبقاء لهم على أحوالهم واعتمادا على الله فى ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضى أبو الفضل) أى المصنف (يجب على المسلم) أى الكامل (المجاهد نفسه) أى فى مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين و يسكن الثانى وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه

ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الازدى النحوى الواسطى صاحب التصانيف الجليلة توفى فى صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة أربع ببغداد وقيل بواسط وولد سنة أربع وأربعين ومائتين وقيل خمسين ولقب به لدناءة منظره والنفط معروف معرب وفى هذا وأمثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون الياء وبعضهم يسكن الواو ويفتح الياء وقيل انه من تغيير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل فى هجائه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صياحا عليه

وقال المعرى ان هذا مما أحدثه المولدون وويه بلغة أهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز فى مثله الاعراب والبناء على كسر الهاء لتركيبه تركيب مزج وهو الاقيس (ذهب ناس الى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك) أى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ان يفعل ما يستحق العتاب عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا أنه لا عتاب فى هذه الآية بل فيها اعزازه واكرام بالدعاء له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى ان ما فعله خلاف الاولى عند صاحب القيل (بل كان مخيرا) بين الاذن وعدمه اذلم يتقدمه نهى كما قيل وفيه نظر والاولى ان يقول انزل وحى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم كما سيأتى فى أول القسم الثالث الا ان ابن الجوزى قال ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم الى آخره ولفظ مخيرا هنا قد علمت انه بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبى انه فى بعض النسخ مخبرا بموحدة مخففة وهما نسختان مصححتان عنده فالاولى أولى والمعنى على هذه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مأذون له بوحى غير متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد (فلما أذن لهم أعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم يأذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه فكان ما فعله أولى وأصوب (وانه لاحرج عليه فى الاذن لهم) أى ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين أمرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله تعالى عليه وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير يقتضى العتب ولا خطا فى الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم (قال الفقيه القاضى أبو الفضل) هو المصنف عياض كما مر (يجب على المسلم المجاهد نفسه) بتهذيب الاخلاق والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعد فانه الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا أعم من الشرعى بل ما لا يليق تركه وهو شائع بهذا المعنى كما صرح به فى شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفى تعبيره بالمسلم المجاهد لطف لم ينبهوا عليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون للجهاد (الرائض بزمام الشريعة خلقه) هو من رضت الدابة أروضها اذا ذللتها لتنقاد لما تريد وتلين شكيمتها والزمام ما يقودها كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقى أو عبارة عن الاحكام الشرعية على حد ينقضون عهد الله وفسر التلمسانى الرياضة بالتعليم والزمام بالسبب

بما شرعه الله لنا من أنواع تهذيبه والرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر أروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك والزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتادب بآداب القرآن) أي من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وفي نسخة بآداب القرآن فهو مصدر بمعنى المفعول أي بما يتادب به منه (في قوله وفعله) أي مع الحق فيتسم بالعدل والصدق في معاملاته (ومعاطاته) أي عطائه وأخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة أي مخاطباته ومجاوباته ومراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقوق الله وحقوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على أحسن البيان ولذا لما قيل لعائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعني كان يمتثل لمأموراته ويجتنب عن منهياته وفيه ايماء الى أنه لا يكون كمن قال لاخيه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا مفتخرا بذلك متغررا به كافرا لنعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا في غفلته تاركا نظره في عاقبته ولعمري ان أكثر الاغنياء الاغبياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة أحوالهم ناطقة مع شهود أفعالهم (فهو أي القرآن عنصر المعارف الحقيقية) أي أساسها ومنبعها من العلمية والاحوال العملية بضم العين والصاد وبفتح الاصل (وروضة الآداب الدينية والدنيوية) أي المحتاج اليها في أمور الدين والدنيا مما له تعلق ما بأمر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ما فرطنا في الكتاب من شيء أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب والسنة المبينة للخطاب ان يعدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضهما فرض عين خاصة ومنهما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهما اكتساب العلوم المذمومة أو المباحة من المنطق والكلام والهيئة والحساب والفلسفة ودقائق العربية وغيرهما مما كان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفي من أقبل عليها (وليتامل)

والطريقة وفي كلامه تسامح ولا يستغرب مثله (ان يتادب) فاعل يجب (بآداب القرآن) وفي نسخة بآداب القرآن بصيغة الجمع والآداب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ومنه أدبه اذا عاقبه على اساءته لانه داع لحقيقة رياضة محمودة فيخرج الانسان في فضيلة الادب وأدب أدبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام به ودعى الناس اليه فهو آدب بزنة فاعل قال

نحن في المشتاة ندعو الجفلا * لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومنه المادبة للمائدة والقرآن مادبة الله وهو الداعي اليها وفي كلام المصنف رحمه الله اشارة الى الخط على مثل الزمخشري بما خاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب في مقامه الشريف بما لم يقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك ودعاه وقال له هنا أخطات وبئسما فعلت وقد تقدم ذلك بما فيه (في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته) الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته من العطاء والعطية وهي ما تعطيه قال في المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقهاء في مناولة خاصة ومنه فلان يتعاطى كذا اذا قدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر المراد به الافعال الواقعة معه فهي أخص من الفعل كما ان المحاورة مخاطبته ومصاحبته فهي أخص من القول فما قيل من ان المعاطاة الفعلية جمع معاطة كمعادة ومعادات في قوله * موكل بعاداة المعاداة * على ما فيه من احتمال افرادهما وربط تائهما ومحاوراته القولية جمع محاورة بالحاء المهملة وهي المجاوبة ومعاطاته وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمع قطعا فناسب أن يكون مقابله جمعا انتهى لا وجه له كما لا يخفى (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية) ضميره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما لم أو للقرآن وهذا أرجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة ويجوز فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمساني بالمنبع ولا وجه له والمعارف العلوم أو المعلومات والحقيقة المتحققة في نفس الامر والروضة أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة منتزهة والمراد بالدينية هو ما يتعلق بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية والدنيوية ما يؤخذ من الشريعة متعلقا بالدنيا فهي دينية أيضا ككرم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه بالرياض لما فيه مما يدفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية أو شبه الآداب بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية يأباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الا على قول أو تاويل بعيد فتدبر (وليتامل) التامل تفعل من الامل وهو رجاء ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى آخر وهو كما في المصباح التدبر واعادة النظر في الشيء مرة بعد أخرى حتى تعرفه والمصنفون رحمهم الله تعالى يستعملونه فيما فيه دقة أو شبهة واللام لام الغائب وفاعله ضمير راجع للمسلم وفي العبارة حزازة ولو أسقط اللام وعطفه على يتادب كان أولى وعلى هذه النسخة قال بعض الشراح انه أمر معطوف على يجب ان يتادب ميلا مع المعنى لانه في معنى ليتادب فهو كما قيل في قوله تعالى ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته أي ليبشركم وليذيقكم وان كان الاولى انه بتقديره أرسلها ليذيقكم كما في المغني ومن العجب

أى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) أى والمخاطبة الغريبة الكائنة (فى السؤال) أى فى سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) أى المنزه عن المناسبة بينه وبين ماخلق من التراب (المنعم على الكل) أى عموما وخصوصا (المستغنى عن الجميع) أى جميع العباد من السعداء والاشقياء أو عن عبادة جميعهم هذ وقال الجوهرى كل وبعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة أضيفت أولم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطه يكون مضافا أبدا الى مابعده وقد صرح الزجاج بقوله بدل لبعض من الكل كما حكاه عنه أبو حيان (ويستثير) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وكسر المثلثة من ثار الشئ اذا ارتفع وانتشر واستثاره طلب ظهوره ويروى ويتبين وجعله الحجازى اصلا كما فى نسخة والظاهر ان يكون مجزوما للعطف على يتأمل كما جزم به الدلجى ويجوز رفعه كما فى نسخة أى يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج (مافيها) أى فى هذه الملاطفة العجيبة (من الفوائد) اى المنافع الغريبة

م قيل انه أمر معطوف على يتأدب ولو قيل انه من عطف القصة على القصة كان أسهل (هذه الملاطفة العجيبة) كما قدم حيث قدم الدعاء والتبشير على مايوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطره صلى الله عليه وسلم وتطييبا لقلبه وهو العلى الغنى عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة الذين يجب عليهم التادب معه (فى السؤال من رب الارباب) متعلقة بملاطفة أو صفة لها بتقدير الكائنة والرب الموجد المربى والسيد المالك مصدر وصف به مبالغة أو صفة مشبهة وفى اختصاصه به تعالى أقوال فقيل يختص به اذا أطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا جمع كما فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى جار لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله تعالى أأرباب متفرقون خير واما قوله

وهو الرب والشهيد على * يوم الحوارين والبلا بلا

(وقوله)

ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فنادر جاهل لا يعتد به وليس الكلام فى صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام أو مكروه وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته للعقلاء بخلاف رب العرش والدار والاصح انه ينهى عنه اذا أوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السؤال من الرب العالم الغنى عن خلقه كما أشار اليه بقوله (المنعم على الكل المستغنى عن الجميع) لم يبين ما أنعم به واستغنى فيه ليفيد العموم وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتاكيد للغناء وعرف الكل بالالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفين بها فى كلام العرب كما ذكره الجوهرى وغيره من أئمة اللغة وقد جوزه الجوهرى فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة أضفته أولم تضف انتهى يعنى انه يلزم الاضافة لفظا أو تقديرا (١) الا ان الالف واللام قد تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضى صحة دخولها عليهما الا انه تسمح فى قوله معرفتان وتجوزبه عن مضافين لانهما يضافان للنكرة كثيرا مطردا نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قاله نظر الان كل مالم يسمع بعينه يمتنع وقد ذكر ابن خالويه فى كتاب ليس انه سمع نادرا فالحق ماقاله الجوهرى ولا اعتراض عليه وأردف المصنف المنعم بالمستغنى اشارة الى انه لم يرد بانعامه فائدة ولا حاجة له به وعلم مما تقرر انه انما أمر بالتامل حثا على رعاية الادب فى حقه تعالى (ويستثير مافيها) أى فى الملاطفة أو الآداب القرآنية (من الفوائد) ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب من أثار

(١) وقد وجدنا فى بعض النسخ هنا ماياتى ذكره ان انجره فى غالبها ورأينا درجه فى الهامش مناسبا اعتمادا عليه وهو قوله هذا فكأنه جمع بين أل والاضافة وهو تابع فى ذلك للزجاجى وقد اعتذر عنها الزجاجى ان ذلك مجاز وكان الاولى به ان يتركها ولا يعتذر وقد نكت الاديب ابن سهل الاسرائيلى الاندلسى على الشيخ أبى القاسم الزجاجى فى قوله حيث قال أموسى أيا كلى وبعضى حقيقة * وليس مجازا قولى الكل والبعضا خفضت مكانى انجزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا (٢) وهذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم بن سهل قال هذين البيتين قبل اسلامه والله أعلم وروى انه مات مسلما غريقا فى البحر فان كان حقا فان الله رزقه الاسلام فى آخر عمره والموت على الشهادة قلت وكان شيخنا أبو الحسن بن على يقول سمعت شيئان لا يصحان اسلام ابن سهل وتوبة الزمخشرى من الاعتزال فان تصانيفه طافحة يمدح بها أهل التوحيد والعدل وهم اخوانه المعتزلة مع انه فى كثير من المسائل يخالفهم وهو لا يدرى لانه على ما قال كان ينفى حماقتهم وان كان لبلاغته قد صار منهم رأسا وقال أيضا واما ابن سهل فالمشهور عنه ورأيته بخط أبى حيان انه عشق بعد موسى شابا يسمى محمدا فنقل تغزله فى موسى الى محمد وأسلم من أجله والله أعلم (٢) أقول قال فيه أيضا

تسليت عن موسى بحب محمد * ولولا هدى الرحمن ما كنت أهتدى وما عن قلا قد كان ذاك وانما * شريعة موسى بدلت بمحمد

(وكيف) أى ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) أى فى الخطاب (بالاكرام) أى بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا فى الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون أى قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفى نسخة بالفتح والشد وأصل الايناس ضد الايحاش فالمعنى كيف اذهب وحشة الانس وأظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) أى بذكره (قبل ذكر الذنب) من اضافة المصدر الى مفعوله وفى نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازى أصلا والآخر رواية والمراد الذنب باعتبار الصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المعبر عنها بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث الغفلة فى تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) أى بالفرض والتقدير (ثم) بالفتح فتشديد أى هناك (ذنب) والمعنى انه لاذنب هناك حقيقة وانما وقع فى صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) المعنى ولولا ثبوت تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من أدنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهو اياك لوجود تثبيتنا اياك ونظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا لان لولا حرف امتناع للشئ لوجود غيره وان مع الفعل فى تأويل المصدر والجملة فى محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد أى موجود لهلك عمرو والمحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ ليستغنى به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل وهو المحكى عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس أوثاننا فخطر فى باله انه يفعل ليتمكن من استلام الحجر فى مآله وقيل فى استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين (قال بعض المتكلمين) أى من جملة المفسرين

فلا

الارض كما قال الله تعالى عز وجل وأثاروا الارض وعمروها أى يحركه ويبرزه كما يثار الصيد من مكمنه والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره وفى نسخة ابن رسلان يستبين بالنون بدل الراء وفى نسخة بعض الشراح يتبين ويستثير وهو كالعطف التفسيرى كما قال وهو مجزوم معطوف على يتامل أى يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع فى نسخة ويستثير بمعنى يبحث ويستخرج مرفوعا انتهى فيجوز جزمهما عطفا على يتامل ونصبهما عطفا على يتادب أو فى جواب الامر بتقدير ان بعد الواو أى ليكن منه الامران التامل والاستثارة وتعيين هذا كما فى بعض الشروح لا داعى له * والفوائد جمع فائدة وهى ما ينتبه له الزكى من ملاطفة الله له وحسن خطابه ولينه والسؤال عما هو أعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف على ما حققوه من مكائدهم حارس لضباب حقدهم من نافقائها وتعظيمه ورونق خطابه فى المبدأ أو الختام المقتضى للزوم الادب معه (وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو وقبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب) كيف اسم استفهام يسئل به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله شراح البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى ولا حاجة لنا به هنا وابتدأ بفتح التاء والهمزة وثمة تقدم الكلام عليها وانها اسم اشارة بمعنى هناك والهاء المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة أيضا بتاء التانيث وهى احتمال هنا وفى قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لا ذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو من محاسنه كما قال البحترى

اذا محاسنى اللاتى أدل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا يدل على ان قوله قبل العتب المراد منه ان كان هناك عتب ولظهوره استغنى المصنف عن ذكره فهذا من بدائع الاكتفاء وقد حام حول هذا من قال لم يقل المصنف رحمه الله ان كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفاء بالثانى عن الاول لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو صورته لئلا ينافى ما سيذكره من انه لا عتب عليه أصلا وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبره كذا من الزوائد جعله كيف مقحمة وآنس بمد الهمزة بزنة قاتل وروى بالقصر وتشديد النون وقوله وكيف قيل انه معطوف على ما فيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة أى وليتأمل كيف الخ وبعينه قوله فيما سيأتى ثم انظر كيف بدأ الخ فتنبه له (وقال الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أى لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا ففى الآية تصريح بان الله عصمه صلى الله عليه وسلم على الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من انه لا ذنب له رأسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتقصير (قال بعض المتكلمين) أى المفسرين الذين تكلموا على هذه الآية وكثيرا ما يستعمله المصنف رحمه الله وغيره بهذا المعنى اللغوى ويجوز ان يراد المعنى المصطلح أى أهل علم الكلام وأصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهى من مباحثه

فلاوجه لما قيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم (عاتب الله الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (بعد الزلات (وعاتب نبينا) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل وقوعه) العتب والعتاب مخاطبة من توده بما صدر منه مما لا يناسب ليزيله أو يترك العود له وهو يكون ناشئا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزال وأصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ولذا فسر بالخطا وفى التعبير بالوقوع بمعنى الصدور فى الواقع مع الزال لطف لان من زل يقع وضمير وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بتقدير قبل وقوعه فى الذنب ولك ان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيره فى الآية بقوله كدت تركن اليهم أى تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضى عدم وقوعه والمراد بزلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلاف الاولى الذى هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم ولخفائه قيل كان اللائق مع عدم وقوعه فان القبلية تقتضى الوقوع بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى وفى بعض الشروح معترضا على مانقله المصنف رحمه الله تعالى بانه لا عتب فيما ذكروا انما هو تذكير بنعمة العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناف لما سيأتى من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ماهو بصورتها فهو لحكمة كبيان الجواز والتشريع للامم وقال الصفوى العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم أمرين أحدهما وقوع العتاب فى زمن لم يقع فيه الذنب والآخر وقوع الذنب بعده فاستعمله فى لازمه الاول فقط مجازا فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوحدة يقال عاتبه وعتب عليه قال

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود مابقى العتاب

قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان عتاب منجز كما قال لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وهذا انما يكون مع كينونة الركون وعتاب معلق كما فى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك الى آخره وهذا انما يكون مع عدمه أى لولم نثبتك وقع منك ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان أقره المصنف رحمه الله تعالى لاينافى ماجزم به من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعاتب أصلا لان المنفى المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى مافيه فتامل (ليكون بذلك) المذكور أو العتب على ما ادعاه (أشد انتهاء) أى أقوى فى تركه لما ذكر مما لا يليق به والانتهاء افتعال من النهى يقال نهاه فانتهى لا من النهاية (ومحافظة لشرائط المحبة) أى مداومة لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة على ما يرتضيه المحبوب (وهذه غاية العناية) من الله به صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع لما ذكر من الفوائد ولذا أنث أو هو لرعاية الخبر والعناية قصد المساعدة والاعتناء بحفظه وأمره يقال عنيت بأمر فلان بالبناء للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه أقوى من عناية الله بغيره من الانبياء فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة (ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه) أتى بثم لبعد مرتبة هذا عما قبله لان فى المعطوف عليه احتمال صدور الزلة وفى هذا اكرامه وتامينه من صدورها منه وهو اما من كلام المصنف رحمه الله تعالى أو من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمأمور وحثا له على التامل وهو من عطف القصة على القصة أو عطف على مقدر أى تامل ماذكر ثم انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة ولان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة و بدأ بثباته أى لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بثباته ولم يقل بتثبيته كما فى الآية لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح

(عاتب الله الانبياء) أى كآدم ونوح وداود عليهم الصلاة والسلام (بعد الزلات) أى العثرات الصورية والخطرات البشرية الضرورية فان الزلة ماصدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) أى قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) أى بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (أشد انتهاء) أى على المخالفة (ومحافظة الشرائط المحبة) أى وأكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة والمتابعة فى الطاعة (وهذه) أى الحالة (غاية العناية) أى ونهاية الرعاية فى الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة اماترى ان الله تعالى أخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الاداب ليست كالذنب على الباب كما لا يخفى على أولى الالباب (ثم انظر) أى ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما يشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بدأ) أى الله (بثباته) أى على الموافقة (وسلامته) أى من المخالفة (قبل ذكر ما عتبه عليه) وفى نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه

أولان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة عما خيف عليه والمعاتب عليه الركون وخيف مبنى للمجهول أى وقع الخوف مما هو شأنه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كانت حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قالوا فى قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا ليعاملكم معاملة المحبة ولا اختبار ولا ابتلاء أى خاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خيف عليه القرب من شئ خاف عليه ذلك الشئ بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى يقال المراد بالركون فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى الوقوع لانه هو الخوف فهو غير الركون المذكور فى الآية وقيل ان كدت من أفعال المقاربة وقد أخبر به مؤكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب عليه الا ان قوله شيئا قليلا يدل على انه مما لا يضر لقلته وهو عناية به صلى الله تعالى عليه وسلم ونعمة عظمى لانه تعالى صفاه وحماه من شوائب الخطرات القلبية التى لا ثبات لها وانما يؤاخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوه فى تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله (ففى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه تامينه وكرامته) اثناء الشئ بالمداخلة وتضاعيفه يقال جاء فى اثناء الناس أى بينهم جمع ثنى بكسر فسكون وياء تحتية أو ثنى بالقصر والمراد بكون البراءة فى اثنان العتب انها معه فى كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه مقدم هنا كما قيل لان الدال على البراءة قوله لولا ان ثبتناك وفى طيه أى داخله أو فى ضمنه أو فى تخويفه للطى فيما ذكر اذلم يفهم منه صريحا قيل وفيه بعد وتامينه وكرامته تثبيت الله تعالى له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعنى انه عتب بالركون للاعداء وتخويفه بقوله اذا لاذقناك العذاب معلق بما هو صريح فى عصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم عن القرب فضلا عن الوقوع فيه تعريضا بالمنافقين واسماعا لهم على حد قوله * اياك عنى فاسمعى ياجارة *

وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى تركه وكلامه فى غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثناء الكلام الدال على العتب والتخويف فانه لا داعى له (ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك الآية) أى مثل ما تقدم فى اللطف به أو مثل لولا ان ثبتناك فى الشفقة والتسلية وهو أقرب أو مثل عفا الله عنك فى الملاطفة والتهوين وضمير انه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى الماضى أو بمعنى ربما بالنسبة لسائر معلوماته والذى يقولونه انه ساحر أو مجنون أو شاعر أو كذاب ونحوه مما لا يضره أى لا تحزن لنفسك كما فى الكشاف ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهو خبر أريد به لازم الفائدة كقوله انى وضعتها انثى اذ المقصود تطييب قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال على رضى الله عنه) وكرم وجهه وهذا رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال أبو جهل) هذه كنيته كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يكنى أبا الحكم فالله كناه أبا جهل والناس كنوه أبا الحكم والجهل وان كان ضد العلم فالمعروف فى كلام العرب انه ضد الحلم كما قال

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقد قيل انه مع جهله وكفره كان يحنى العصاة ولذا قيل انه مصغر استه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم أعز الاسلام باحد الرجلين أبى جهل وعمر بن الخطاب فلما أسلم عمر رضى الله تعالى عنه علم انه هو الذى أجيبت فيه دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم واما أبو جهل أشقاه الله تعالى فقتل ببدر واختلف فى قاتله كما فصل فى السير وأسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه ونصر الله به الدين تحقيقا لرجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

انا

ففى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه) أى فى ضمن اخافته (تامينه) أى جعله مامونا من المخالفة (وكرامته) أى بالثبات على الموافقة (ومثله) أى فى هذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) أى الشان (ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع من احزنه يحزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاى فى الماضى وضمها فى الغابر وكلاهما متعديان بمعنى واحد واما حزن يحزن من باب علم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق أو فى بعض أوقاتك من التضييق نعلم ان الشان ليوقعك فى الحزن ما يقولون فى شاننا أو فى حق القرآن أو فى حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائى والمعنى لا ينسبونك الى الكذب ولا يتهمونك به ولا ينكرون امانتك وديانتك أو لا يكذبونك فى الحقيقة (الآية) أى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يعنى ينكرونها أو ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفى هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديدهم ولكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولا جهة ملايمة لما نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال أبو جهل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

انالانكذبك)أى فى الصدق والامانة(ولكن نكذب بما جئت به)أى من القرآن الدال على التوحيد والديانة(فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية)وفى نسخة فنزلت وانما هو شهادة من الله تعالى له بالصدق والديانه وبيان ان هذا مما اتفق عليه الامة عامة (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه) وفى نسخة أكذبه(قومه حزن) بكسر الزاى أى اغتم (فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما يحزنك) بالوجهين السابقين (فقال كذبنى قومى فقال انهم يعلمون انك صادق) لكن جئت بشئ ليس لغرضهم موافقا(فانزل الله تعالى الآية) أى المتقدمة قال الدلجى وحديث جبريل هذا أورده بصيغة روى ولم أعرف من رواه(فى هذه الآية منزع) بفتح ميم فسكون نون وفتح زاى أى ماخذ ومشرع(لطيف المأخذ من تسليته تعالى عليه الصلاة والسلام) أى باذهاب حزنه وجلب أنسه(والطافه به) بكسر الهمزة أى اكرامه (فى القول)أى فى قوله(بان قرر عنده)أى بما اطمانت به نفسه (انه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له) أى فى الحقيقة بل مكذبين لنا أو غير مكذبين فى الباطن لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا)أى عامة المشركين(يسمونه) سماه واسماه بمعنى والمراد هنا يصفونه ويعدونه(قبل النبوة الامين)أى من الامانة فى القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة

انالانكذبك ولكن نكذب بما جئت)وفى نسخة مصححة من الشفاء ما جئت به ندون بالجحده لآيات الله تعالى عنادا وبغيا أى ننكره ونجعله كذبا مع انك صادق عندنا وفى لباب التفاسير قال أبو ميسرة أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بابى جهل وأصحابه فقال والله يا محمد انالانكذبك انك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية فهذا هو سبب نزولها كما قال المصنف رحمه الله تعالى (فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك *الآية)وعزاه ابن الجوزى الى ناجية بن كعب من المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونك بالتشديد وما فى الكشاف واللباب من قوله وانك عندنا الصادق مروى فى الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا أن يكون نائلا غير ملتزم للصحة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما ذكره على أنه حق من عند الله وقال الطيبى لا نعتقدك كاذبا وانما ننسب الكذب لما جئت به عنادا أوحسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به فى موضع نجحدك اقامة للسبب مقام المسبب وفيه بعد لانهم لا يقرون بذلك وقيل المعنى لا نقصد نسبتك للكذب وتعبيرك به لانا جربناك فوجدناك على خلافه وانما غرضنا ابطال الكلام أو لا نقول أنت من عادتك الكذب لكن تذكر النبوة فلا يلزم أن يكون كذابا أو انك غير مفتعل متعمد للكذب بل تخيلات أمرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لا فتعاله فما كذبناك ليكون عيبا وهذا أحسن التاويلات وقيل أنت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفى اللباب المعنى لا نخصك بالتكذيب ونقل ابن الجوزى عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا ولا يكذبونك اعتقادا بل قولا وهذا ما ارتضاه الطيبى هذا زبدة كلامهم وسياتى فى كلام المصنف رحمه الله تعالى ما يوافقه (وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام) قال السيوطى فى تخريجه هذا لم أجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يزد على هذا وهو غريب منه (فقال ما يحزنك قال كذبنى قومى) لما حرف وجود لوجود أو وجوب لوجوب كما فصله النحاة والاكثر الافصح فى جوابه عدم اقترانه بالفاء ورد اقترانه بها ومن يا باه يقدر لها جوابا محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان شائعتان فصيحتان بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله كذبنى بالتشديد وروى أكذبنى وهى لغة أيضا واردة تكذيبهم حيث قالوا ان ما جاء به كاذب دون أن يقولوا انه كاذب أو حيث قالوا انه كاذب واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بما سياتى من أنهم معترفون بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا وفعلا واعتقادا ويروى أو اعتقادا اشارة الى القولين السابقين كما مر (فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية) فهو سبب النزول على أحد القولين وفيه دليل على أن المنفى فى الآية العلم (فى هذه الآية منزع لطيف المأخذ) منزع بفتح الميم والزاء المعجمة والعين المهملة محل النزع مصدر ميمى بمعنى المفعول فسره التلمسانى بالمأخذ ورد بان ما بعده يا باه فالمراد به شئ يرجع اليه قال فى القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل من أمره ورأيه واقتصر عليه صاحب المقتفى والمنزع بكسر الميم السهم يقال نزعت فى القوس نزعا وأنزع بمنزع أى سهم وفى المثل عاد السهم الى النزعة أى رجع الحق الى أهله قاله الامام المرزوقى ولطيف المأخذ أى حسن دقيق أخذه واستنباطه منها (من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام والطافه فى القول) قال البرهان الطافه بكسر الهمزة فى النسخ التى وقفت عليها مصدر من ألطفه بكذا اذا أبره به كما فى الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبيان المنزع بتقرير أنه صادق عندهم قولا واعتقادا كما أشار اليه بقوله (بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين) الباء سببية أو آلية وقرر بمعنى بين وحقق هذا

(فدفع) أى الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) أى المذكور فى الآية بالتحرير وهو فى أصل المصنف بالرائين

بحيث قرر وثبت فى نفسه لما فى الآية من بيان ذلك مؤكدا بان و جعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه و كونهم غير مكذبين له مر تحقيقه وستسمعه قريبا ومر أنه روى أو اعتقادا اشارة الى القولين فى الآية و روى أن الاخنس قال لابى جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيرى وغيرك أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب يستلزم الصدق عند الجمهور فالاعتراف باحدهما كانه اعتراف بالآخر فلا يرد ان عدم الكذب أعم وان ورد ان عدم نسبة الكذب اليه لا يستلزم نسبة الصدق لجواز أن لا يعترفوا باحدهما ولو سلم فالآية فسرت بالنفى اعتقادا وقولا فمن أين تقرر الامرين الا أن يقال أن المراد بعدم الكذب الحكم بعدم الكذب لانهم لم يسكتوا فى حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق فالمصنف رحمه الله تعالى جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه أن عدم التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذبه فى بعض الاحيان كما مر والاظهر أن المراد نفى التكذيب باحد الوجوه والتاويلات السابقة فلا ينافى التكذيب ظاهرا كما أشار اليه البيضاوى وهذا غاية ما يمكن هنا انتهى ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله * وزججن الحواجب والعيونا * وكلام النحاة فيه مشهور وتسميته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة بالامين مشهور فى كتب الحديث ويسمى يتعدى بنفسه وبالباء (فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب) الدفع بالدال المهملة منع الشئ قبل وصوله و بعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا الدفع أسهل من الرفع وفى التعبير به اشارة الى عدم تلبسه صلى الله تعالى عليه وسلم بما افتروه والتقرير براءين مهملتين هو ما تضمنه قوله بان قرر الى آخره وفى بعض النسخ التقدير بالدال بدل الراء كما ذكره التلمسانى وقال ان الذى فى أصل القاضى بالراء ومعناه على تلك النسخة فرض الشئ وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من الآخر والارتماض براء مهملة ساكنة وآخره ضاد معجمة افتعال من الرمضاء وهى شدة الحرارة شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه والسمة العلامة وأصلها وسمة فحذفت فاؤه كعدة والمراد وصفهم له بها والاضافة لامية أو بيانية أى سمة هى الكذب فى قولهم انه كاذب (ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الخ عطف على قرر وثم للتراخى الرتبى والاشارة الى بعد الذم عنه أو هى للترتيب الذكرى ولا حاجة لتجريدها لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم جاحدين لانه لما أخبر عنهم بانهم يجحدون فكانه قال جاحدين وقدم الجحد مع تأخره فى الآية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على أن جحدهم نشأ من ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وجحدهم بآيات الله اما انكار حقيقتها أو انكار كونها من الله والباء قيل انها لتضمن الجحد معنى التكذيب الا انه قال فى القاموس جحد حقه وجحد بحقه اذا أنكره وهو يقتضى خلافه (فحاشاه من الوصم) حاشا فعل ماض أى نزهه الله عز وجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبرأه من الوصم بالصاد المهملة فى اللغة مطلق النقص والعيب والمراد به الكذب المذكور فى الآية (وطوقهم بالمعاندة) طوق فعل ماض من الطوق وهو ما أحاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم قال فى كشف الكشاف فى شرح قوله طوقهم بها طوق الحمامة * انه لا يقال الا للامر المذموم الذى لا يفارق من اتصف به فخصه بالذم كقول حسان رضى الله تعالى عنه * لولا سوابق لك طوقتك بها طوق الحمامة * أى هجوتك أقول فى اختصاصه بالذم نظر لما نقل فى مرآة الزمان عن حاتم الطائى انه قال لابنه لما سأله عن ابله التى نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة وعليه

وجعل التلمسانى أصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير وقال وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارتماض نفسه) أى اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين أى بوسمته وعلامته من الوسم وأصلها فى الكى للامارة والكذب بفتح فكسر هو الافصح ويجوز بكسر فسكون وهو أنسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض أرباب العربية فى الابواب الادبية (ثم جعل) أى الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) أى بتسميته اياهم (جاحدين) أى منكرين عنادا (ظالمين) أى بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه) أى نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) أى العيب وهو بسكون الصاد وضبط فى حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ وصف لا مصدر ولا وجه له هنا (وطوقهم) أى ألزم أطواقهم فى أعناقهم (بالمعاندة) أى بسبب المناظرة على وجه العناد

قول المتنبي أقامت في الرقاب له اياد * هي الاطواق والناس الحمام
والباء للتعدية وقيل انها السببية (بتكذيب الآيات حقيقة الظلم) هذه الباء متعلقة بالمعاندة وحقيقة
منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلهم كالطوق في أعناقهم للزومها لهم ففيه استعارة
مكنية وجعله حقيقة الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه لانهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالكذب
وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير مسلم عند
أهل المعاني كما قيل أقول ماذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا ألحق بالاسماء
كالمؤمن والكافر ولا خلاف في هذا بين النحاة وأهل المعاني كما مر (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء
ثم أنكره) ثم للتفاوت الرتبي أو الحقيقي كما مر وهذا ما صرح به أهل اللغة ففي القاموس والصحاح وغيرهما
جحد أي أنكر مع العلم فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده أنه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكر
أئمتنا الحنفية في الاصول انه لو قال للخصم أمقر أنت أم جاحد فان قال مقر أو جاحد فقد أقر و ينبغي أن
يقيد هذا بمن كان من أهل اللسان (كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أتى
بهذه الآية استدلالا على ما ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل أنكروها واستيقنتها
أنفسهم كان صحيحا فيكفي لمدعاه النقل من أئمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى انه تمثيل
لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى وقال الزمخشري الاستيقان أبلغ من الايقان ولم يقل
استيقنوها مع انه لبيان انهم أخفوا علمهم وأسروه ولان فائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم
واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفي شرح الصفوي
أقول اليقين في اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم أعم موردا فلو أريد بالجحود
الانكار مع العلم كما ذكره المصنف رحمه الله أفاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح
فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويين وأهل العربية فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ أن يكون المراد
في الآية مجرد الانكار ليكون قوله استيقنتها تاسيسا لا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من
المفسرين الجحود بالانكار واليقين بالعلم و يمكن أن يكون مراد المصنف رحمه الله تعالى ان الجحود
يطلق على الانكار بشرط أن يكون مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو في الآية
كذلك قطعا لقوله واستيقنتها فيتم الاستشهاد بالآية بلا نزاع واستيقنتها تصريح بما يمكن أن يفهم منه
فتامله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبني على أن الشاهد والمثال سيان في جواز وقوعهما بعد الكاف
و يعضده مجيء الكاف للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وعلى أن اليقين بمعنى العلم
شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد
عليهما جميعا والحق انه تمثيل أقول اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعاء انه شرط
خارج تعسف وجريرة والآية الثانية انما أجابها المصنف للاستشهاد المعنوي وبيانه انه تعالى قال في
الآية الاولى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والدليل النقلي والعقلي دال على أن المراد انكارهم
عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان الجهل قد يعذر صاحبه لكن لما كان فيها اخفاء أتى بالآية
الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا عالمين فالاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقعوا
فيما أوقعوا فيه نعم في ذكر اليقين تاكيد ان لم يكن أخص من العلم وهذا ظاهر فانظر كيف خفي على
من يدعي انه بيضة البلد (ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله * ولقد

(بتكذيب الآيات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثاني لطوق وفي بعض النسخ حقيقة للظلم أي تحقيقا
للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أي تعديا وتكبرا ونصبهما
على العلة لجحدوا والجملة بينهما معترضة بالحالية لا يقال ان الجحد بمعنى الانكار في الماضي مطلقا كما هو مقرر في علم التصريف
فوجود العلم يؤخذ من
جملة واستيقنتها الا انا نقول
الجحد في اللغة هو انكار
مع العلم كما صرح به صاحب
القاموس ففي الآية تجريد
أو تاكيد ثم حاصل كلام
المصنف رحمه الله تعالى
أن الجمع بين الامرين وهو نفي
تكذيبهم واثبات جحدهم
انهم كانوا غير مكذبين له
بقلوبهم فانهم يعلمون
صدقه في كل قضية
ولكنهم جحدوا بناء على
عندهم كما دل عليه الآية
الثانية وهذا تاويل
حسن ومسلك مستحسن
ويصححه ما روى أن
الاخنس بن شريق لقي
أبا جهل يوم بدر فقال له
يا أبا الحكم أخبرني عن محمد
أصادق هو أم كاذب فانه
ليس ههنا غيري وغيرك
فقال له والله ان محمدا
لصادق وما كذب محمد قط
ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة
والنبوة فماذا يكون لسائر
قريش وقيل وجهان
في الجمع بينهما وهو أن
يكون معنى الآية ان
الله عز وجل قال لنبيه صلى
الله تعالى عليه وسلم انهم
لما أصروا على تكذيبك
مع ظهور المعجزات الخارقة
على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبوني أنا وهذا كما يقول القائل لرجل أهان عبده انك لم تهن عبدي وانما أهنتني وهنا وجه ثالث وهو
أن الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ويلائمه ما ذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاي أي سلاه
وصبره (وآنسه) بالضبطين أي سكنه وأزال وحشته (بما ذكره عمن قبله) أي من الانبياء (ووعده النصر) أي على الاعداء (بقوله ولقد

كذبت رسل من قبلك الآية) يعنى ١٨٢ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين

(فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائى (فمعناه لا يجدونك كاذبا) فهو من باب أبخلته وجدته بخيلا (وقال الفراء) بتشديد الراء وهو الامام الكوفى النحوى اللغوى مات سنة سبع ومائتين فى طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولا يبيعها وانما قيل له ذلك لايفرى الكلام أى يصنعه ويأتى بالعجب منه (والكسائى) بكسر الكاف لانه كان ملتفا بكساء عند قراءته على حمزة وقيل لانه أحرم بكساء وهذا القول جزم به أبو عمرو الدانى فى التيسير ونظمه الشاطبى فى كتابه وهو أحد القراء السبعة والامام فى النحو واللغة من أهل الكوفة روى عن أبى بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفى سنة تسع وثمانين ومائة بالرى وقيل بطوس والحاصل أنهما قالا فى معنى لا يكذبونك بالتخفيف (لا يقولون أنك كاذب) فيكون معناه بالنسبة كالاكفار والتكفير وهو أنسب للجمع فى المعنى بين القراءتين (وقيل لا يحتجون) أى لا يستدلون (على كذبك ولا يثبتونه) أى شبهة فضلا عن حجة وهو راجع الى قولهما فى المعنى وان اختلف فى

كذبت رسل من قبلك * الآية) التعزية من العزاء وهو الصبر ومعناها تسلية المصاب بما يخفف حزنه قال

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا

وتختص فى العرف بما يقع عند الموت كقول أبى فراس

كن المعزى لا المعزى به * ان كان لا بد من الواحد

وآنسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون أو بالمد وتخفيفها أى اذهب وحشته وقلقه مما القيه منهم ورجع الاول لمشاكلته لعزاه ووعده النصرة فى الآية لقوله تعالى فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله أى مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وقوله تعالى فيها انا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة لما قيل أن فى هذه الآية دليلا على تحقيق مقام النبوة فانه غنى عن البيان وقوله بما ذكره عمن كان قبله روى عمن كان قبله أى فهون عليك واصبر حتى يأتيك النصر فقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الآية تدل على أن نفى التكذيب فى الآية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوى ويحتمل أن يكون المعنى هون عليك جحودهم لآيات الله وما جئت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا وأوذوا حتى نصروا فلا تدل الآية على ما ذكر وقد قيل فى معنى الآية انها كقول السيد لعبده ما أهانوك بل أهانونى قاصدا تعظيم الامر وتقريره ان اهانتك اهانتى لا نفى الاهانة وهو كلام حسن جدا (فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا) هى قراءة نافع والكسائى من أكذبه كأبخله اذا وجده كاذبا وبخيلا وهذا أحد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة فى أبنية الفعل ومعناه أن صيغة الثلاثى موضوعة للاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان لمعان أخر منها وجد أن الفاعل للمفعول متصفا بالحدث الذى دل عليه الثلاثى وهو معنى حقيقى وضعت له هذه الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب أم لا ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا (وقال الفراء والكسائى لا يقولون انك كاذب) الفراء هو الامام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمى الدولى الكوفى النحوى اللغوى المفسر كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بفنون الادب وتفسيره من أجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشرى توفى سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة وانما لقب بالفراء لانه كان فصيحا يفرى الكلام ويفصله فليس نسبة للفراء لعلمها أو بيعها * والكسائى هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الاسدى الكوفى أحد القراء السبعة امام النحو واللغة والقراآت عاش سبعين سنة ومات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة برنبوية قرية من قرى الرى وقيل بطوس والذى لقبه بالكسائى حمزة شيخه لانه كان يحضره ملتفا بكساء وقيل لانه أحرم فى كساء ولم يجد هذا المعنى السابق فى كتب النحو المشهورة السيد الصفوى قال هنا ان هذا بناء على ان أكذب ككذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضى أو ان معناه بين كذبه كما فى القاموس ويؤيده ما نقله الواحدى عن الفراء أن معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به باطل وفى الصحاح نقلا عن الكسائى ان أكذبته بمعنى أخبرته انه جاء بالكذب وهو لا يوافق المنقول وبالجملة ان فى هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلى فى شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة الاطلاع فان هذه المعنى صرح به أئمة العربية قال ابن عصفور فى كتاب الممنع من معانى أفعل التسمية كقولهم اكفرته واخطأته أى سميته كافرا ومخطئا انتهى وهو معنى النسبة فى العرف لانهم يقولون نسبه للزنا اذا قال انه زان فالاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب (وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه) عطف تفسير لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفى بعض النسخ لا يجتمعون قيل كانه تفسير باللازم فان من معانيه لا يجعلونك كاذبا والجعل انما يكون اذا أثبتوا كذبه فيلزم من نفى الجعل نفى الاحتجاج ومعناه على

المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لا ينسبونك الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك) وهو خلاصة المعنيين وزبدة القراءتين (ومما ذكر من خصائصه) أى الدالة على زيادة قدره (وبر الله تعالى به) أى اكرامه له من بين أصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام) أى المذكورين فى القرآن (باسمائهم) أى باعلامهم دون أوصافهم الدالة على اعظامهم (فقال يا آدم) أنبئهم باسمائهم (يا نوح) اهبط بسلام منا (يا ابراهيم) قد صدقت الرؤيا (يا موسى) انى أنا الله (يا داود) انا جعلناك خليفة (يا عيسى) انى متوفيك (يا زكريا) انا نبشرك (يا يحيى) خذ الكتاب بقوة وأمثال ذلك (ولم يخاطب) بفتح الطاء ويروى ولم يخاطبه كذا ذكره الحجازى لكن لا يلائمه قوله (هو) ولعله غير موجود فى تلك الرواية (الا يا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر) يعنى فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا أحد عبيده باوصافه المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذى لا يشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده أكثر من غيره كما فى عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل وأصله المتزمل المتغطى بالثوب وكذا المدثر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها حين رجع من غار حراء بعد ما حاوره الملك ما حاوره زملونى زملونى وفى رواية أخرى دثرونى دثرونى على ما ورد فى الصحيح وانما خوطب بالمزمل والمدثر فى هذا المقام للملاطفة والتانيس اذ من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم تشتقه من الحالة التى هو فيها كقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلى بن أبى طالب وقد نام فى التراب قم يا أبا تراب هذا بحسب دلالة الخطاب ومن ذلك أنه تعالى منع الخلق صريحا أيضا فى الكتاب أى اسد هذا الباب حيث قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء أى لا تقولوا يا محمد يا أحمد ونحوهما ولكن قولوا

النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه * أقول الصحيح الاول وتوجيهه ان أفعل يكون للدلالة على الشئ والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال فى المنع تقول أبصره أى دله على وجود المبصر وأغفلته أى وصلت غفلته اليه وأما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد (ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب) كقولهم فسقته اذا نسبته الى الفسق وتممته اذا نسبته لبنى تميم وهذه النسبة أعم من النسبة المصطلح عليها وهذا أعلى الوجوه السابقة (وقيل لا يعتقدون كذبك) وهذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وما فى هذه الآية من قولهم لا يكذبونك بان المثبت قولهم والمنفى اعتقادهم لمعنى ما قالوه وأورد عليه أن الاعتقاد المنفى لا يخلو من أن يكون جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضى انه غيره أو غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما يشق عليه فليس فيه تطمين له كما فى الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتماله للثانى بعيد وقصد المصنف بعد ما قرره نقل أقوال المفسرين فى القراءتين لينزل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفاء فى قوله فمن قرأ الى آخره والمعترض توهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل القراءتين بمعنى كما قالوا اقللت وأقللت وكثرت وأكثرت ولك أن تقول المعنى على هذا ان نفى تكذيبهم مطلقا لجعل ما قالوه بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل فى قوله تعالى لا ريب فيه مع كثرة المرتابين فيه وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم وما قرره المصنف وارتضاه مبنى على أنهم معترفون بصدقه حقيقة قولا واعتقادا فلا غبار عليه (ومما ذكر من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبر الله تعالى به) الخصائص جمع خصيصة وهى ما خص به دون غيره تمييزا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيلا له على غيره كما مر وأتى بمن اشارة الى كثرتها حتى أفردت بالتصنيف وبر الله به احسانه ولطفه كما مر (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام باسمائهم فقال يا آدم) بدأ به لانه أبو البشر صلى الله تعالى عليه وسلم المقدم عليهم وهو علم ممنوع من الصرف بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآزر وعاذر وجمعه أوادم وآدمون وقيل انه عربى مشتق من أديم الارض أو من الادمة لون بين السواد والحمرة وأصله على هذا اأدم بالهمزة فابدلت الثانية ألفا ووزنه افعل ومنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل انه منقول من فعل الرباعى كما حكى عن الطبرى وفيه نظر (يا نوح يا ابراهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى) وروى تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام ووقوع الخطاب بها فى القرآن كقوله تعالى يا آدم أنبئهم باسمائهم) غنى عن البيان (ولم يخاطب هو) بصيغة المجهول وضمير هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى لم يخاطبه الله فى القرآن باسمه وفى نسخة لم يخاطبه بالبناء للفاعل والضمير المتصل وقيل هو الاولى والاوجه له (الا) بعبارة فى ندائه دالة على تعظيمه وملاطفته لمنزلته عند ربه كقوله (يا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر) معنى النبى والرسول معلوم وقدم

يارسول الله يانبي الله وان مناداته عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام في الاحكام
(الفصل الرابع) (في قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) أي قسمي يا محمد لعمرك (انهم لفي سكرتهم) أي غمرتهم وغفلتهم (يعمهون) أي يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد جدا غير ملائم للسابق واللاحق على ماذكروه والاظهر أن الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد أن يكون الضمير راجعا الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملائم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبري جزم بان ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبائح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذاداًبه فجدير ان لا ينفعه تاديب ولا يؤثر فيه تانيب وتنفير للسامع عن هذه القبائح المورثة الفضائح

النبي لانه أعم كقوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر * يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا * يا أيها المدثر قم فانذر وقيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب الظاهر المشهور ولئلا يشكل بما سيجيء من ان يسين بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل في طه أيضا فيعتذر عنه بانه بناء على عدم ثبوت هذا وفي العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم في العرف يعرفه كل أحد وفي شرح التجاني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يذكر باسمه في النداء وذكر في الخبر كقوله تعالى محمد رسول الله * وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل أصله المتزمل أي الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير أخر والمدثر أصله المتدثر أي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب وفيهما تلميح الى قوله لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حراء زملوني زملوني وفي رواية دثروني دثروني والقصة مشهورة في كتب الحديث أي غطوني وذكر المدثر والمزمل للملاطفة والتأنيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله حين الخطاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه يا أبا تراب لما رآه نائما عليه فلو ناداه سبحانه باسمه وبامر عار عن مثل هذه الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فاذ ابدأه بما يؤنسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي وذلك لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا النذير العريان وهو مثل للعرب فتمثل به صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقول من بالغ في الانذار بقرب العدو لان المستغيث كان يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعيد الا يسبق العدو صوته وقيل أصله أن رجلا سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحالة فقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وقوله أنا النذير العريان أي مثلي مثله فيه اشارة الى أن المدثر يضاد النذير ففيه تمليح وتلميح وتطرق للملاطفة كما في الاستعارة التمليحية التي ذكرها أهل المعاني وان لم يكن منها وماذكره المصنف رحمه الله في خطاب الله له باسمه في القرآن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله بقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت وقوله له في المحشر ارفع رأسك وقل يسمع لك يا محمد ولم يقل يا أيها النبي ويا أيها الرسول فان قيل الحكمة فيه انه أخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن في الشفاعة وقال السيوطي ان الله شرف أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بخطابهم في القرآن لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا وخاطب الامم السالفة بيا أيها المساكين * واعلم أنه قال في الامتاع ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد أن يناديه باسمه فيقول يا أحمد يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرها مجاهد والضحاك ومقاتل وسعيد بن جبير وأجيب عن قول الاعرابي يا محمد أتانا رسولك الحديث بانه قبل النهي أو هو صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا أبا القاسم فيه نظر انتهى ويأتي الكلام على ذلك والظاهر أن ذلك مخصوص بخطاب المشافهة في حضوره حال حياته

(الفصل الرابع في قسمه تعالى) وفي نسخة عز وجل (بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو المراد ويكون بمعنى المقسم به وقال النحاة أنه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية يؤكد بها جملة أخرى لا على جهة التبعية (قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه والمقسم عليه كما في الفصل الذي بعده فيغايرهما والفرق بينهما ظاهر فالباء في بعظيم قدره متعلقة بالقسم لا سببية حتى يتداخل المقصدان فيحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما وعظيم قدره اما بمعنى قدره العظيم أو الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود من المقسم به تعظيمه

وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه والعرب من عادتها أن تقسم بالشئ اذا أرادت تعظيمه حتى تجعل
الجمل قسما من غير حرف القسم وهذا هو القسم الذي عدوه من أنواع البديع كقوله

بقيت وفدي وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

قال المرزوقي هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعاء ومحصوله القسم وكرر هذا في
مواضع من شرح الحماسة وأشار اليه الزمخشري وقل من تنبه له وهذه الآية في قصة لوط عليه الصلاة
والسلام وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى مبني على أن هذا الخطاب لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على
أحد الوجهين فيها وفي الكشاف أنه على ارادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام
لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب للسياق ورجح
المصنف رحمه الله تعالى الثاني لانه تعالى لما قص عليه قصته بتمامها الى قوله هؤلاء بناتي ان كنتم
فاعلين خاطبه ببيان ما هم عليه من الضلالة مقسما بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم
لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا كسكارى لا يميزون الخطا من
الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى في البصر والعمه في البصيرة كما مر وفيه استعارة
تحقيقية مرشحة بالعمه وشبه تمكنهم في الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف في الظرف لانهم لم يفدهم
النصح للامة طباعهم وحسة أنفسهم ففيه استعارة أخرى تبعية حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش
وقال التجاني أنه بعيد لانقطاع الآية عما بعدها وما قبلها ولذا قيل أن الجملة على هذا معترضة وعبر
بالمضارع حكاية للحال الماضية أو لتشبيه الماضي بالحال فتدبر (اتفق أهل التفسير في هذا) الكلام
أو اللفظ الذي هو لعمرك (انه قسم من الله جل جلاله) هو اسناد مجازي كجد جده وسعد سعده كما مر
وتحقيقه في كتب المعاني (بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا
كان أو كثيرا من مده اذا بسطه وفي بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة أحد غيره والكلام
مسوق للاخبار بقبائح قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكهم تنبيها على أن من كان هذا دأبه لم ينفع
انصحه وتنفيرا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف رحمه الله تعالى الاتفاق دعوى بينتها غير
مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة لوط عليه الصلاة والسلام اذ قالت له الملائكة ذلك
بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه تعالى لم يقسم بمدة حياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
على ما يأتي وقيل أيضا العمر مطلق الحياة أي سواء كانت المدة بتمامها أو بعضها وقيل المراد البقاء فلا
اتفاق أيضا على أحدهما الا أن يريد بمدة الحياة معنى يشملهما وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من
عليه المدار ولو عند المصنف لا يجدي نفعا كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل
التفسير مفسروا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكان
وجيها وعلى هذا فتأخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام لا يخلو من الكدر (وأصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) قال ابن مالك رحمه الله تعالى في باب المبتدأ والخبر
يحذف الخبر وجوبا اذا كان المبتدأ صريحا في القسم ومثلوا له بقولهم لعمرك لافعلن كذا أي لعمرك
قسمي أو ما أقسم به وقال الدماميني في شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى
ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو
عهد الله فيجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقهاء صرحوا
بان كلا منهما كناية لا ينعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقاء والحياة وأجاب بان المراد

(اتفق أهل التفسير في هذا) أي في قوله لعمرك (انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط كما ذكره البيضاوي فالمراد باهل التفسير أكثرهم وجمهورهم مع أن البغوي أيضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به لوطا فالقائل الملك لئلا ينافي ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما حلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا قال ما حلف الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (وأصله) أي أصل استعمال العمر (بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد في القرآن وبالضم والفتح أيضا على ما في القاموس الا انه لا يستعمل في القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما في البيضاوي وغيره

بصراحة الاول اشعاره بالحلف مطلقا فى استعمالهم وأرادوا بنفى كونه يمينا انه لا يعتد به شرعا وقالوا فى باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر ويجوز فى الله النصب والرفع وعمر مصدره محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك فى القسم أيضا ومعناه ذكرتك بالله أو عمرت قلبك بذكره قال الشاعر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

وفيه كلام فى شروح الكشاف لا يسعه هذا المقام وقال السيوطى فى مختصر نهاية ابن الاثير المسمى بالدر النثير فى الحديث خرجوا عمارا أى معتمرين جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر وان لم يسمع فلعل غيرنا سمعه قال الزمخشرى وعمرك الله اى اسأله ان يطيل عمرك ولعمر بالفتح العمر ولا يقال فى القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفى شرح الصفوى قال فى المواهب انه قسم عند الحنفية و[illegible] المالكية وكناية عند الشافعية واللام لتأكيد القسم وانهم جوابه ووقع فى بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم أصلا لم يذكره أهل اللغة لكن فى تفسير القاضى ان الفتح لغة فى الضم وهو يشعر بما ذكره المصنف انتهى ملخصا ومثله فى شرح التجانى وقال ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحقق هذا الموضع وفى التقريب فى شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه * أقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم يصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد وأصله التعمير فحذفت زوائده وله معنيان تعمير الله اياك أو قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ما جنح له ساداتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده فى الدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بما شاء كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى) فالضم أصل فى هذا المعنى لاختصاصه به فى غير القسم فاذا أريد بالمفتوح هذا لا بأس ان يقال انه من قبيل معناه أو معدول به عنه ويؤيده ما فى شرح أدب الكاتب للاقليلى انه سمع نادرا لعمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعنى فى قسم الناس صح ان يقال ان كناية لتوقفه على النية كالمشترك وأما العرب فيقسمون بما أرادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقهاء ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما فى قوله لا يعتد به شرعا من الوهم وبهذا اتضح ما قاله القاضى (ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك) البقاء حمله حياته فى الدنيا وتمام عمره والحياة أعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له معان فى اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين ما بعده لفظية ولذا فسره التلمسانى به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد ولو فسر بالمعيشة فى دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد وقيل المراد معيشته الواسعة الفائضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها مأثورة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من طرق مختلفة ونقل الاخفش معنى آخر وهو وحقك على أمتك قيل وعرض لوط صلى الله تعالى عليه وسلم بناته انما هو اشارة الى نساء أمته لانه كالاب لهم أى ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم بناته لا مانع منه وقيل المراد دوام أبدا لا تبادمعه كما قيل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعنى لعمرك من قولهم لعمر الله أى بعبده والمعانى التى ذكرها حقيقة لتصريح أهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها (وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف) تأنيث الاشارة لانها الكلمة المقسم بها أو باعتبار الخبر وانما كان كذلك لان العظيم اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ملاطفة وتكريما فكيف برب الارباب فى مثل هذا الكتاب وقيل وجه كونه نهاية التعظيم كونه ربه اقسم به وقيل انه فى خصوص القسم بالحياة لانه فى العرف يدل على كمال الالفة

(معناه) أى كما رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) أى ومدة بقائك فى الدنيا (يا محمد) كقوله تعالى والعصر أى عصر نبوته فى قوله أو بقائك بناء بعد فنائك فينا (وقيل) أى كما رواه ابن أبى طلحة عن ابن عباس أيضا وعزى الى الاخفش (وعيشك) أى وطيب معيشتك فى الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة أى فى الدنيا بالزهد فيها او التقليل منها والصبر على مرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) أى باسمنا المحيى والتخصيص للتشريف والكل بمعنى واحد وانما ذكرها لاختلاف ألفاظها (وهذه) أى المعانى كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) أى التكريم (والتشريف

والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله (قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما
برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الخلق الايجاد وذرأ وبرأ بالهمزة فيهما وان كان
بمعناه فيكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور أى
لم يوجد أحدا أشرف منه ذاتا ونسبا وصورة أكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفت فيما سبق ان
مثل هذه العبارة يفيد انه ليس أحد أفضل منه ولا مساويا له وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة
عليهم الصلاة والسلام مطلقا حتى خواصهم كجبريل عليه الصلاة والسلام بناء على المذهب الحق انه
صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشري وغيره من المعتزلة وقد سئل
بعض البصريين عمن يقول بتفضيل الملائكة على البشر على الاطلاق هل يفسق بذلك فاجاب ان عنى
هذا القائل بالاطلاق دخول المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فهذا أمر فوق الفسق لمخالفته
للاجماع وان عنى من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم فالخلاف فيه مشهور والامساك اسلم كما قال الشافعي
رضي الله تعالى عنه لما سئل عن مثل ذلك كنا نتكلم في فضول الاصول فصرنا نتكلم في أصول الفضول
فقيل له اجزم بالصواب من الجواب فقال هذا اعار عظيم المصارع يخشى على قناعه من المقارع والمسئلة
طويلة الذيل وما وقع من صاحب الكشاف في سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما
الصلاة والسلام فهو خرق للاجماع من يعتد باجماعه وقد تصدى للرد عليه فيه ابن خليل السكوني وغير
واحد فليحذر كلامه أعني الكشاف كله من أمثال هذا مما يخالف السنن القويم انتهى وسيجيء تحقيقه
الآن بعض الشراح تعقبه المصنف بانه لو قال روحا أي ذا روح كان أصرح في تفضيله على الملائكة عليهم
الصلاة والسلام أي لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم لتفسير بعض أهل اللغة لها بالجسد وان جاز
تفسيرها بالروح فانه أحد معانيها وعلى هذا يتجوز أو يقدر في قوله من محمد من نفس محمد كما قيل (وما
سمعت الله تعالى) قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على مسببه اذ السماع قد يفيد العلم وقيل انه
هنا من النواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتدأ واليه
ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما
يسمع والتقدير ما سمعت أقسام الله تعالى لا من نبي ولا من كتاب يتلى وقصره على الثاني قصور والجملة
مبنية للقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به في حواشي المطول وفيه
كلام فصلناه في طراز المجالس (أقسم بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي بعض النسخ
غيره وبعد ماذكر هذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تلى الآية لعمرك الى آخره وكلمة غير مجرورة
صفة أحد أو بدل منه الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يفيد انه لم
يقسم بغيره ولذا تلى الآية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثناء فانه يفيدهما
صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق كما مر في قوله ما خلق نفسا أكرم من محمد
وأما أحد فقال شراح الكشاف في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله انه يستوي فيه المفرد والجمع
والمذكر والمؤنث وهو في حيز النفي يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال ما في
الدار واحد بل اثنان ولا يتأتى مثله في أحد وذكره التفتازاني وقال معناه ماذكره أهل اللغة من أن أحدا
اسم لمن يصلح ان يخاطب فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره فاذا أضيف اليه بين وأعيد اليه ضمير جمع
ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين أحد لا نفرق بين
جمع الرسل ومعنى فما منكم من أحد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي فيما رواه البيهقي في دلائله وأبو نعيم وأبو يعلى (ما خلق الله) أي ما قدر (وما ذرأ) أي خلق وكانه مختص بالذرية وفي الحديث انهم ذرء النار أي انهم خلقوا لها (وما برأ) أي خلق الخلق من البرء وهو التراب أو مختص بذات الروح ولذا يقال يا بارئ النسمة أو معناه خلق خلقا بريئا من التفاوت أو أريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتأكيد كما في الحديث نعوذ بالله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ أو المراد ما أوجد من العدم (نفسا) أي شخصا ذا نفس (أكرم عليه) أي أنفس عنده وأفضل لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وما سمعت الله عز وجل) أي ما علمته (اقسم بحياة أحد غيره

ان معنى ذلك انه نكرة وقعت فى سياق النفى فعمت فكانت بهذا الاعتبار فى معنى الجمع كسائر النكرات وفى التلويح نقلا عن النحاة أنك اذا قلت خذ أحد هذين فالفه منقلبة عن واو ويستعمل فى الاثبات واذا قلت ما جاءنى أحد فالفه ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله فى الاثبات وهذا مشكل لان اللفظتين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيهما أصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما واذا كانا مشتقين من الواحدة وأما جعل أحدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح ولم أر من تعرض لهذا حتى رأيت العلامة القرافى فى كتابه العقد المنظوم فى الفاظ العموم أجاب عنه بان أحدا الذى لا يستعمل الا فى النفى معناه انسان باجماع أهل اللغة واحد الذى يستعمل له الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى أحد اللفظين غير مسمى الآخر غايره فى الاشتقاق فانه مناسبة بين اللفظين فى الحروف والمعنى ولا يكفى فيه أحدهما فعلم من هذا ان أحدا الذى لا يستعمل الا فى النفى ما هو واحد المستعمل فى النفى والاثبات فان كان المقصود منه انسانا فهو الاول وألفه ليست منقلبة عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح للنفى والاثبات وألفه أصلية انتهى وفيه بحث وقد أشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يهذبه (وقال أبو الجوزاء) بفتح الجيم وواو ساكنة وزاى معجمة يايها المدوهم أبو الجوزاء أيضا غير هذا وأبو الحوراء بمهملتين راوى حديث القنوت وهذا اسمه أوس ابن عبد الله الرابعى البصرى يروى عن عائشة رضى الله عنها وصفوان بن عسال رضى الله تعالى عنه وغيرهما وهو ثقة كما قاله الحاكم وأخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وثمانين مقتولا فى الجماجم (ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم قيل غير هنا منصوب على الاستثناء وقد سمعته آنفا مع ماله وعليه وقد مر أيضا ان عند ظرف مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة وورد فى القرآن لمعان منها الحلم والعلم كما فى آية الافك فى قوله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وقد يراد بها القرب ورفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على أنواعه ويصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من برأ النسمة فيجوز همزه وتخفيفه والثانى أفصح وأكثر وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض أهل اللغة ثم انه قيل ان الاكرمية لا تقتضى حصر القسم فيه دون غيره ولا قصرها على حياته دون ذاته فالتعليل غير تام الا أن يقال عادة العرب لمن أحبوه وعظموه أن يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضى العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد القسم به وقد يقسم بفاضل مع وجود الافضل وكون الاكرمية تقتضى التخصيص ببعض الامور فلذا خص بما ذكر لانها تقتضى هذا بخصوصه لا يخفى ما فيه أقول هذا كله من التعسفات التى لا حاجة اليها فان فيما ذكر تكريما وتعظيما خصه الله به على ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقى عليه وكله من ضيق العطن وانما تعرضت له لئلا يظن ان فى السويدا رجال وأكرم من الكرم وهى صفة جامعة لكل خير ويقال هذا تكرم على أى هو عزيز عظيم فى قلبى ونظرى وهو فى العرف يختص بالجود وليس بمراد هنا الا بمعنى انه أكثر جامعية لكل خير عنده (وقال الله تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات) لم يصرح ببقية الآيات لانها ليست مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفصل التالى ولم يذكرها هنالك اكتفاء بما ذكره هنا وتفننا فى التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن فى التعبير فن من فنون البلاغة وسيأتى فى أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يتعلق بيس (اختلفت المفسرون فى معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكى) رحمه الله تعالى تقدم الكلام فى ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح ستة وهى أن معناه يا سيد أو يا انسان فى لغة طى كما يأتى أو هو اسم

وقال أبو الجوزاء) بجيم وزاى مفتوحتين بينهما واو ساكنة فألف بعده همزة أوس بن عبد الله الربعى البصرى يروى عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة أخرج له الجماعة الستة وأما أبو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوى حديث القنوت (ما أقسم الله عز وجل بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده) والبرية بالهمزة والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى أولئك هم خير البرية وهى فعيلة بمعنى مفعولة وأنثت لانها خرجت عن الصفة واستعملت استعمال الاسماء المحضة وأما ما جزم به المنجانى من أنها غير مهموزة فغفلة عن القراءة لان نافعا وابن ذكوان قرآ فى الآية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرآن الحكيم) عطف على يس أن جعل مقسما به والا فواوه للقسم وأسند اليه الحكمة لانه صاحبها أو ناطق بها (الآية) أى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون فى معنى يس على أقوال) أى صدرت من بعض المتأخرين أقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على أن الحروف المقطعة فى أوائل السور مما استأثر الله تعالى به علما ويقولون الله أعلم مراده بذلك (فحكى أبو محمد مكى) وقد مر ذكره

(انه روى) أى فى دلائل أبى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق أبى يحيى التميمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن أبى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لا ينافى الزيادة لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) أى أبو محمد مكى ويحتمل أن يكون مرفوعا لكن عبارته تابى عنه وهى (ان منها طه ١٨٩ ويس اسمان له) ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى على ماذكره المنجانى ثم قال وأما هذا القول وهو أنه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر ما يعضه وذلك قول السيد الحميرى *(يا نفس لا تمحضى بالنضح جاهدة على المودة الا آل ياسينا)* يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الآية وكان الاصل أن يكتب ياسين على أصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ماهى عليه المصاحف الاصلية والعثمانية لما فيها من الحكمة البديعية وذلك أنهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولا يقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قراءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل أصل طه معناه طأ من الوطئ فابدل الهمزة هاء وأجرى الوصل مجرى الوقف وقيل معناه يارجل بالحبشية أو العبرانية أو القبطية أو اليمانية (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق أنه أراد) بقوله يس (ياسيد) أى بطريق الرمز

من أسماء الله تعالى لانه السيد الحقيقى أو يا محمد أو يا رجل أو هو اسم من أسماء القرآن كله أو سورة منه وما عدا الاخير فى كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه قراآت فتح الياء وكسر النون وفتحها وكسر الياء واظهار النون وهل هو معرب أو مبنى وجهان أيضا ومعنى الحكيم ذو الحكمة أو الحكيم صاحبه أو المحكم (انه روى) بصيغة المجهول وفى شرح الشيخ قاسم انه أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث على وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وفى سنده مقال وقال السيوطى انه رواه أبو نعيم وابن مردويه باسناد فيه أبو يحيى الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سياتى عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة أسماء) تقدم ان عند الله بمعنى فى علمه فالمعنى انه هو الذى سماه به لاعتنائه به وتكريمه ولذا قال ربى دون الله والعدد لامفهوم له فلا ينافى الزيادة واليه أشار بقوله (ذكر ان منها طه ويس) وورد تسميته بهما فى لسان العرب كقول الشريف الحميرى

يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

أى الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد قوله ذكر امالان فى الحديث زيادة على ماذكر أولانه لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يارجل وقيل أصله طاها أى الارض وسيأتى الكلام عليه (اسمان له) أى هما اسمان فى صلى الله تعالى عليه وسلم بحذف حرف النداء أو القسم ويجوز على بعد أن يكون خبران (وحكى أبو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه أراد ياسيد) فيه اطلاق السيد على غير الله وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقى مسندا فى كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله الى آخره وتحقيقه ان فيه للسلف أربعة أقوال * الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا أطلق على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفى غيره بمعنى الرئيس المتبع وله شواهد فى الكتاب والسنة وكلام العرب * الثانى وهو منقوله رحمه الله تعالى انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه فى الاحاديث المشهورة ولانه من السودد وهو الرياسة على قومه وفخره ولذا لما أطلق على الله فسروه بغير هذا كما مر * الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره تعالى * الرابع التفصيل فى المعرف بال فيختص بالله وغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره * فان قلت ما تصنع بالحديث وهو قوله عليه السلام السيد هو الله المفيد للحصر بتعريف الطرفين * قلت اذا ثبت وصف لشئ وأريد سلبه عن غيره حقيقة أو ادعاء فلهم فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله الثانى أن يعرف الطرفان وهو فى معنى ماقبله الا أن فيه ايماء الى ذكاء المخاطب لاستغنائه به عن التصريح فقد يكون أبلغ من الاول الثالث وهو أدق طرقه أن يجعل من أثبته الزاعم له الصفة على من هى له حقيقة فيقال للدهر الذى يضيف الامور للدهر الدهر هو الله أى لا تصرف لغير الله فى جميع الامور سواء الدهر وماسواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه بطريق برهانى عما سواه على حد قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلوين فصله عبد القاهر فى دلائل الاعجاز وهو مذكور فى الكتاب

قال الصادق فى قوله يس ياسيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكن أخبر عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يامالك فلما أخبر الله تعالى عنه بالسيادة وأمره بتصريحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعانى سيدا وأنا سيد ولد آدم ولا فخر أى ولا فخر لى بالسيادة لان افتخارى بالعبودية أجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة انتهى والحاصل أن الياء منها للنداء والسين اشارة الى لفظ سيدا كتفاء بفاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه فى كلامهم وأشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الاتا أى الاتفعل فيقول الآخر بلى سا أى بلى سافعل. ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد فى الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن أن يقول شاهدا

أى كتاب سيبويه رحمه الله تعالى كقولهم عتابه السيف وتحيته بينهم ضرب وجيع وما نحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا القبيل فلو دليل فيه وقدم بيانه أيضا فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المستودعة فى دفاتر الخواطر ولنا دعوة الى ذلك فى الكلام على الاسماء الشريفة عند قوله سيد ولد آدم (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الطاء منصوب بدل مما قبله أو مصدر فعل مقدر أى خاطبه به مخاطبة مخصوصة به (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (يس يا انسان أراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابن أبى حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون الانسان يس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لغة طى فقيل ان أصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه لكثرة النداء به كما قاله الامام تبعا للزمخشرى وتعقبه أبو حيان بأن المنقول عن العرب فى تصغير انسان انيسيان بياء قبل الالف واستدل به على ان أصل انسان انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها ولم يسمع فى تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره لذلك فلا بد من بنائه على الضم مع أن التصغير أصله التحقير فيمتنع فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا ما قال ابن قتيبة فى المهيمن انه تصغير مؤمن وأصله مؤيمن أبدلت همزته هاء قيل انه قريب من الكفر فليتق الله قائله وأيضا الحذف من أول المنادى غير معروف وسيأتى الكلام عليه فى فصل أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما تقدم من أن أصله ياسيد فانه قيل انه اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع فى كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الاتا بمعنى الاتفعل فيقول بلى فا أى أفعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وورد فى الحديث كفى بالسيف شا أى شاهدا وقال التجانى التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفى فقالت قاف أى وقفت فيحتمل ياسين أن يكون عبر عنه باسمين من أسماء حروفه لا بمسماه كما قاله الرازى وان كانت العرب قد تكتفى ببعض الكلمة كقوله

كانت مناها بارض لا تبلغها * لصاحب الهم الا الناقة الاحد

أى مناياها وقوله * درس المنا بمتالع فابان * أى المنازل وله نظائر كثيرة أقول هذا محصل ما قالوه هنا وقال الادباء كما نقله النواجى فى كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء ان الاكتفاء كما قال علماء البديع أن يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسئل القرية على أحد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفاء بكلمة كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد والى الاكتفاء ببعض الكلمة قال وهذا النوع مما اخترعه بعض المتأخرين من أصحاب البديع وأكثر منه الشعراء المتأخرون والتزموا فيه التورية كقول الدمامينى رحمه الله تعالى

يقال مصاحى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
تعالى نبا كر الروض المغدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى

دع ياعذولى رق الملام فذ سرى * عنى الحبيب فنيت دام له البقاء
والطرف مذ فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا

وأمثاله مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على أنه لا يجوز الترخيم فى غير المنادى بشروطه المذكورة فى بابه فيكون هذا وأمثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يجوز أن يعد هذا من المحسنات البديعية التى انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز أن يخرج على مثله القرآن الكريم وان كان فيه تورية لانها لا يجوز مثله اللهم الا أن يقولوا انه مقيس يغتفر فى الشعر وما وقع فى القرآن

(وعن ابن عباس) أى على ما رواه ابن أبى حاتم (يس) أى معناه (يا انسان) ولما كان الانسان ليس اسم العموم أفراد الانس قال (أراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول

(وقال) أى ابن عباس كما رواه ابن جرير (هو) أى يس (قسم) أى أقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم فالواو فى قوله والقرآن الحكيم عاطفة أو معادة (وهو) أى يس اسم على ما رواه ابن أبى طلحة عنه (أيضا من أسماء الله تعالى) أى تصريحا أو تلويحا وهو لا ينافى أن يكون من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لا بمعنى الاعلام وقد أطلق بعض صفات الله تعالى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالرؤف والرحيم وأمثالهما مع الفرق بين أوصافه سبحانه وتعالى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو أبو اسحق ابراهيم النحوى نسبة الى الزجاج لصنعته مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) أى بطريق الايماء كما سبق فى يا سيد وغيره (وقيل يا رجل) أى بالحبشية كما روى عن الحسن وسعيد ابن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعنى انهم يسمون الانسان سين (وقيل يا انسان) بلغة طى كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على أن أصله يا انيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن ابن الحنفية) كما رواه البيهقى فى دلائله وهو محمد بن على بن أبى طالب نسبة الى أمه وهى خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من سبايا بنى حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر ابن الخطاب وسمع عثمان بن عفان وغيره وأخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) أى باحد التاويلات السابقة (وعن كعب) أى كعب الاحبار (يس قسم أقسم الله تعالى عزوجل به قبل أن يخلق السماء والارض بالفى عام) الظاهر أن المراد به الكثرة الخارجة عن التعديد لا التحديد وان المقصود به هو انه سبحانه وتعالى أقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم فى كلامه القديم

ليس منه بل هو من ذكر اسم حرف من كلمة ايماء الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذى أشار اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك فى صدرى ولم أر من تعرض له وفى كلام التجانى الذى مر آنفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به (وقيل هو قسم من أسماء الله تعالى) قال السيوطى رحمه الله تعالى أخرجه ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به (وقال الزجاج) أبو اسحق ابراهيم بن محمد شيخ العربية الامام فى الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا فى الدين توفى ببغداد سنة ست أو احدى عشرة وثلاث مائة وقد بلغ سنه الثمانين واليه ينسب الزجاجى صاحب الجمل (قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان) فسين أو يسين علم له والمراد بالرجل والانسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وأما ارادة النوع وانه التفات كما قيل فبعيد لا ينبغى حمل التنزيل على مثله وتقديرياو جعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ كقولهم أصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل فى أصل وضعه ثم نقل وجعل علما أو نقول هو بالغلبة التقديرية فلا يحتاج الى أن يقال أن بعض هذه المعانى تقدم وانما أعيدت هنا تتميما لكلام الزجاج (وقال ابن الحنفية) رواه البيهقى فى دلائل النبوة وابن الحنفية هو أبو عبد الله محمد بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه والحنفية أمه واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين رضى الله تعالى عنهما وهو امام عظيم أخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وتوفى بالمدينة فى سنة ثمانين على الاشهر وفيه أقوال أخر فصلها البرهان فى المقتفى وترجمته مفصلة فى التواريخ وهو من كبائر التابعين رضى الله تعالى عنهم (يس يا محمد) أى معناه هذا لانه وضع له ابتداء أو بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قائله وتعدد طرقه (وعن كعب الاحبار) تقدم الكلام عليه (يس قسم) أى مقسم به أو جعله قسما لتضمنه له أو مبالغة (أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والارض بالفى عام) لم يبين المقسم به ففيه الاحتمالات السالفة وفى المواهب فى نقل كلام ابن الحنفية أقسم الله باسمه وكتابه وفيه فائدة ستراها والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلى رحمه الله تعالى كلام فى الفرق بينهما والمراد بمقدار الفى عام والا فقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك أو المراد مجرد الكثرة أو عدم النهاية مجازا فلا يقتضى الحصر وينافى الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السماء والارض لقوله تعالى وكان عرشه على الماء كما قال زين العرب فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الله تعالى مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماء والارض بخمسين ألف سنة وفيه نظر ثم انه قيل انه مشكل أيضا لان كلام الله تعالى قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث * وأجيب بان المراد أبرزه فى أم الكتاب أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكائنات ولم يرتضه التجانى فقال الاولى أن يضعف مثل هذه الروايات ما أمكن فان صحت ترك علمها الى الله تعالى اذ مثله لا يقال بالرأى ولا يدرك بالاجتهاد وقيل القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس المراد معناه النفسى القديم بل احداث ما يدل عليه عند الاشعرية وتعلقه باسماعه

(يا محمد انك لمن المرسلين) فكأنه أراد ان التقدير اقسم بك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) أى اظهارا بعد ماذكره اضمارا وتاكيدا بعد اقسامه تاييدا (والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لابدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفى عام عند ابداع روحه الشريف وابداء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فى كتابه القديم مطابقا لما اقسم

برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ماذكره المنجانى من ان هذا القول عندى فى غاية الاشكال لان القرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر فى تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا الان خلقها محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا اما أمكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذلا يقول كعب هذا الابتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأى انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال فى حقه انه لايقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فوقوفهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر فى علم أصول الحديث حتى لم يعدوا عمرو بن العاص ممن لايقول الا بالتوقيف فافرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ابرزه فى أم الكتاب أى اللوح المحفوظ اذ ما من كائن وفى الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) أى فرض وفى نسخة قرر (انه) أى يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) أى فى القول (انه قسم) أى أيضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) أى من ان الله تعالى ما اقسم بحياة أحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) أى المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح وجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) أى على

وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معتادة وهذا التعلق حادث قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت اندفاعه وكون التعلق حادث ارتضاه بعض أئمتنا كالنفسى ومن لم يقل به يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق الكلام الازلى بالمعدوم الذى سيوجد فلا ينافى الاقسام به أزليته ألا ترى الى قولك الزمان الماضى قبل المستقبل حيث يقصد مجرد بيان تقدمه لايخطر بالبال أى للزمان زمان أو ظرفية لنفسه أقول مثل هذا ورد فى الحديث وهو كثير فالطعن فيه لايليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر لان المراد انه اطلع عليه ملائكته عليهم الصلاة والسلام قبلهما بهذا المقدار أو قديما وهو المناسب هنا لافادته اظهار عظم قدره فى الملأ الاعلى ومجرد تقدم العرش لايقتضى الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر (يا محمد انك لمن المرسلين) ليس قوله يا محمد تفسيرا ليسين لانه غير مناسب لما سيق له الكلام من ان الله اقسم به ولذا ذكر انك لمن المرسلين الذى هو جواب القسم توضيحا لمراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيسين حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وهو مما أباه النحاة كما صرح به فى الكشاف وقال ان العرب تكرهه وبينة الذوق لاتسمع الامع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة لا قسمية وقد خطر لى توجيه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا منهما قسم يقسم به على شئ واحد فيقتضى العطف واجتماع واوين وهو ثقيل أو حذف أحدهما وفيه لبس وترك المصنف رحمه الله تعالى بقية التفاسير ككونه اسم السورة لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوه (ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى أى قال يس والقرآن الى آخره وما قيل من أنه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه وجواب الاول مقدر وهو مراد كعب أيضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له (فان قدر) بكسر الدال المهملة المشددة أى ان قيل بهذا وعبر به لان فيه وجوها اخر (انه) الضمير ليسين والفاء فصيحة أى اذا عرفت ما مر فان قدر الى آخره انه (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح انه قسم) كما سمعته عن كعب ومكى وصح بمعنى ثبت أو أريد به ذلك فى نفس الامر لاحتماله عقلا وان فى قوله فان قدر ليست للشك بل هى شرطية وجوابها قوله (كان فيه) أى فى القسم وقيل فى يس وقيل فى التخصيص ورد بانه لاتخصيص فيه الا ان يريد التخصيص بالذكر (من التعظيم ما تقدم) من القسم بقوله لعمرك وأورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم ما مر ولذا اقسم الله بذات غيره ولم يقسم بحياته فالمراد ما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسى قوله قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض لانه فى محل الجر لانه لم يرد فى غير لفظة الله الاشذوذا وفيه بحث (ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه) عطف مرفوع فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام وضمير فيه ليسين أو للنظم فالمعنى مظروف فى اللفظ والآخر بالمد وفتح الخاء وكسرها كما قاله البرهان الحلبى

وفى شرح الصفوى المعنى انه ذكر بعده مقسما به بالواو والمتبادر منه العطف ويسين اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله فالاولى ان لا تكن الواو عاطفة ولا القسم تلو مثله أو كان المقسم به عطفا على غيره والاول أحسن وانسب وفى العبارة مؤاخذات لان عطف قسم ثان على الاول مثله مبنى على ان يسين قسم فكيف يؤيده مع انه مقسم به لا قسم فالوجه ان تقول يؤكد ذكر المقسم به الآخر وعطفه عليه لو كان قسما وذلك العطف أولى فكذا تسميته أقول هذا مما لا ينبغى ان يصدر من مثله لان يكون القسم بمعنى المقسم به ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادى الذى زعم انه حسن باطل وتعين قسمية الثانى لجره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض قسمية الاول أيضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان المصنف رحمه الله تعالى لما نقل ان يس بمعنى محمد اتبعه بيانه على وجه اختيار العطف لمزيته فقدمه والمعترض توهم ان قوله ويؤكد الى آخره استدلال على القسمية بالعطف والتأكيد وهما انما يتحققان اذا كان قسما والاستدلال على الشئ بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال وكم له مثل هذه مما قرعت له العصا فيه ومما يدلك على ما قلته قوله (وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته) أى ان كان يسين متلبسا بمعنى النداء وهو منادى بتقديريا أو بدون تقدير كما مر وفيه أى فى الكلام قسم آخر بالقرآن المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالأصل الخامس لكنه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه من تعظيمه وتحقيق ذلك بقوله تعالى انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته فى نفسه وغيره بقوله تعالى على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ان واللام والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها ثم استأنف لتوضيح معنى الرسالة والطريق المستقيم فقال مبينا له على هذا الوجه وهو كون يس قسما (أقسم الله تعالى باسمه) أى اقسم الله قسما متلبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم به أو بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه وهو يسين العلم الدال على ذاته انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما أو المراد ما يراد اسمه وهو بعيد انتهى وقوله (وكتابه) بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاحتياج الى التأويل والقسم بكتابه متعين واما بذاته فعلى الارجح عنده كما سمعته آنفا والضمير ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر وانتشار الضمائر وعلى النداء لا ينافى ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده) بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى أى قائلا انه الى آخره ولذا لم يقل انك والارسال بمعناه اللغوى ولذا ذكر الوحى بعده لتخصيصه أو بمعناه الشرعى على التجريد بمجرد ملاحظة الثانى لا يكفى كما قيل (وعلى طريق مستقيم من ايمانه) بيان للطريق وان المراد بها التوحيد او هى تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين أى ممن أرسل على هذه الطريقة فالقسم على أمرين كما قال قبله ان الارسال على أمرين رسالته والشهادة بهدايته لا أمر واحد وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول مهدى على طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا لا ينافى القصد لان هذا أوضح وأتم فى المدح (أى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق) أى بفتح الهمزة وسكون الياء المخففة مفسر للطريق المستقيم وهذا أعم من الايمان فهو تفسير ثان على الاول وتشديد الياء على ان المعنى طريق وأى طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدول الى آخره تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية وللظاهر وان جاز وقد تذكرت هنا قولى

من أحسن العشرة فليلتزم ※ سماحة النفس وترك اللجاج

ذلك القسم فتكون الواو الثانية عاطفة أو مؤكدة كما أشرنا اليه (وان كان) أى مجموع يس (بمعنى النداء) يعنى وليس المراد به أنه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) أى قسم آخر ليس وجهه مما يظهر (بعده) أى بعد ندائه (لتحقيق رسالته) أى بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حيث قال على صراط مستقيم (أقسم الله تعالى باسمه) أى بناء على القول الاول فى يس (وكتابه) أى فى قوله والقرآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) أى الموجب لايقانه والمقتضى لاكمال أعمال أركانه (أى) يعنى معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) أى لا ميل الى طرفى الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) أى عن الحكم الثابت بالوجه الصدق أو عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه

(قال النقاش) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي المفسر المقري توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد أثنى عليه أبو عمرو والداني وقد طعنوا في رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة في كتابه) أي القرآن لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان يراد به جنس كتابه (الاله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) أي وفي هذا التخصيص (من تعظيمه وتمجيده) أي تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تاويل من قال) أي في يس (انه ياسيد مافيه) أي الذي فيه من غاية التفخيم الذي يعجز عن بيانه نطاق التكليم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر) قال المنجاني وأكثر الروايات في هذا الحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذي قلت وفي الجامع الصغير أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد ولفظه أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر انتهى ولا شك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا أقوله افتخار المقامي بل تحديثا بنعمة ربي أو المعنى لا فخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد في اللغة الشريف الذي فاق قومه في الخير وهو فعيل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذي عليه البصريون ونظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف أتى بهذا الحديث عاضدا للقول بان المراد في الآية ياسيد كما بيناه سابقا

ويستر المعوج من خلفهم ❊ أي طريق ليس فيه اعوجاج

(قال النقاش) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلي البغدادي المقري المفسر روى عن أبي مسلم الكجي وطبقته وقرأ بالروايات حتى صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب في الحديث فلذا قالوا ان روايته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب عليه القصص الا ان أبا عمرو الداني اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضي رده وفي حاشية التلمساني انه مغربي توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان وطبقات القراء وقال أبو شامة في شرح الشاطبية انه ضعيف عند أهل النقل وقال الجعبري رحمه الله تعالى المضعف له غالط (لم يقسم الله لاحد من أنبيائه) عليهم الصلاة والسلام (بالرسالة في كتابه الاله) أي بسبب الرسالة أو لم يقسم على رسالة احد غيره كما في هذه الآية وهذا وان دل على ان غيره مرسل أيضا الا أن المقسم عليه بالقصد الذاتي رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدل الى قوله تعالى انك لمن المرسلين عن قول رسول الله أو مرسل وهو أخصر لتثبيت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله تعالى كانت من القانتين لان فلانا من العلماء أبلغ من عالم كما قرره علماء البيان وفصلناه في غير هذا المحل أي لم يذكر هذا القسم في القرآن لغيره تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء مؤكدا بتاكيدات (وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه ياسيد مافيه) التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتاويل حقيقته في اللغة معرفة مآل الشئ وما يرجع اليه من آل ثم شاع في معنى التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم والتاويل بغيره وقد يخص بحمل الكلام على المعنى الخفي دون الظاهر وقال القرافي رحمه الله تعالى الماول هو الكلام الذي فيه الاحتمال الخفي مع الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليس وقوله مافيه فيه ايجاز ومبالغة أي فيه أمر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لوصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيده تفوقه على من سواه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم واسطة كل خير وقد تقدم في الكلام في اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السودد فاصله سيود وقيل انه فيعل بفتح العين فغير على ما مر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا في الصحيح فيعلا بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى أن أصله فيعل ورد بانه لا مانع من الاختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم) أي جميع أولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمساني وفي نسخة (ولا فخر) الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلان بذكره أي لا أقوله تبجحا ولا افتخارا بل تحديثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول أي لا فخر في الدنيا عندي أي لا أتعظم ولا أتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر في الدنيا والآخرة وفي هذا الحديث روايات منها أنا سيد ولد آدم يوم القيامة كما رواه مسلم والترمذي قال التجاني فيه اشارة الى التجاء جميع الخلائق له صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك اليوم من غير منازع كما في الدنيا وهو كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز

(وقال جل جلاله) أى عظم شانه وعز سلطانه (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتأكيد شايع فى كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ماعبر عنه المصنف بقوله (قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى) أى هذا القول عن بعضهم وبما قررناه وبيناه وحررناه اندفع ماقاله المنجانى من ان هذا الذى حكاه عن مكى لايستقيم تنزيله على الآية لانه عكس مقتضاها ألا ترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واو الحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الآية لا اقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ماقال مكى وانما تتاول الآية على ان تكون لازائدة فيها أى اقسم بهذا البلد وأنت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشا هذا الاعتراض هو المقابلة بقوله (وقيل لازائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا أيضا كما قال مجاهد انها رد لكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثبات للقسم ويؤيده قراءة الحسن البصرى لاقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة فى معنى حل على القول بزيادة لا أيضا ولذا قال (أى اقسم به وانت به يامحمد حلال لك) أى من دخول الحرم بغير احرام والمعنى أنت به حلال حال كونه خالصا لك (أو حل لك مافعلت فيه) أى من قتل بعض المشركين فى عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) أى على القولين للمفسرين فى معنى الحل

مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله تعالى وقد قيل انه واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لتبليغ أمته ما يجب فى حقه ولذا قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وهذا لاينافى سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم على الملائكة وماسوى الله تعالى وقوله ولافخر احتراس عما يتوهم من الكبر على حد قوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الحيا وديمة تهمى

وهذا مذكور على طريق الاستطراد والتتميم ومر فى الخطبة الكلام فيه وان الاحتراس على ثلاثة اقسام وقال الله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد يعنى لا نافية للقسم واقامة الظاهر مقام المضمر ولم يقل وأنت حل به استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله تعالى كما أشار الى توضيحه بقوله قيل لا أقسم به اذا لم تكن فيه وروى ان لم يكن وهما بمعنى هنا أى بعد خروجك منه حكاه مكى رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذا خرجت كان أوضح واخصر وفيه ايماء الى ان القسم فى سورة التين بقوله تعالى وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافى بين الآيتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فهى حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله كما قيل

وماحب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

وهو منتظم مع مابعده من قوله ووالد الى آخره أى لا اقسم بالبلد وأقسم بغيره أو أقوله بغير قسم بناء على انسحاب النفى عليه أو لا اقسم بهذا لجلالة القسم والمقسم عليه وان كان مايذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفى القسم عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى وقيل لازائدة أى اقسم به زيادتها نظرا للمعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تأكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لايغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا تاتى زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد فى غيره أيضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لايطلق على مثله انه زائد بل يقال تاد باصلة وهو كلام حسن وقيل لا أنا فحذفوا أنا واشبعت اللام ويؤيده انه رسم فى الامام بلا ألف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتداء (وأنت به يامحمد حلال أو حل لك مافعلت فيه) جملة حالية وهذا مبنى (على التفسيرين) فى هذه الآية بالاثبات والنفى أو فى معنى الحل أو على كليهما ليكون الكلام أفيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة وبمعنى الاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة وأنت مقيم بها شرفك وعظمتك عندى أو انى حللت لك مالم أحل لغيرك فى هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما النسخ حرمتها أو هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره أو فسر بالحرم وهذه الآية محكمة عند ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولابعدى وانما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة وقتاله

صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى عن السلف واو رد عليه الجعبرى فى كتاب النسخ بان قوله احلت يدل على الحرمة فيكون نسخا ولو كان لاستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك هى منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات أخر فى معناها وتمسك بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى انتهى وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أى ان أخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثانى على انتفائه أو كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير أخر فقيل المعنى وانت حلال أى غير محرم مقيم بها أو المعنى يستحلون ايذاءك واخراجك منها وهو تثبيت له منه وتعجيب مما جرى عليه أو اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضى عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان و يجوز اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل أو أنت حال فانه حينئذ ينبغى القسم لك الا انه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى وهو أمر سهل وقال القسطلانى فان قلت هذه السورة مكية أى على ما ياتى وأنت حل بهذا البلد أخبار عن الحال والواقعة التى ذكرت فى آخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمنى الحال وعاملها الان يقال الجملة معترضة لا حالية فتتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضى كما يدل عليه قوله أو حل لك ما فعلته فيه قيل وفيه اشارة الى عظم شانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان المكان اشرف وان شرفه مكتسب فيه والمراد بالبلد عند هؤلاء المفسرين مكة وقيل غيرها كما سياتى وقال الواسطى نسبة لواسطة مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله تعالى أبو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفى بعد الثلاثمائة والعشرين وهو من أجلة العلماء والصوفية (أى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا) نحلف بنون مفتوحة وحاء مهملة تليها لام مكسورة وفاء كذا ضبطه فى المقتفى ولو قرئ بالياء التحتية صح أيضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله تعالى وتسمى هذه النون نون العظمة لان أصلها للمتكلم مع الغير كنحن الان العظيم يتكلم بها ويطلقها عليه غيره تعظيما لعده بمنزلة جماعات كثيرة أولان له اتباعا فى خدمته اذا أراد فكنى عنه وعنهم ولذا قال الراغب فى مفرداته ان الله تعالى انما يوردها فى كلامه فيما يفعله بواسطة ملائكته عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وفى شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعمالنا له وبه أفتى علماء الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما تظرف به ابن نباتة المصرى فى قوله

أغمزه بناظر ولم أفه بكلمه * يحيينى بحاجب لكن بنون العظمه

وقوله الذى شرفته بمكانك أى حصل له ذلك لاجلك ولاجل تعظيمك فتشريفه لانه بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحى ومنبعا للدين وقد قالوا ان هذا القسم ادخل فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم من القسم بذاته و بحياته كما أشار اليه عمر رضى الله تعالى عنه بقوله بابى أنت وأمى يارسول الله قد بلغت من الفضيلة عنده ان أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر ميمى ولذا اعمله كقوله أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلما

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به ولو قال المصنف بمكانك و بركتك حيا وميتا كان أولى لان الانبياء عليهم السلام احياء فى قبورهم حياة حقيقية وان قيل انه تفنن

انه من الحلول أو من الحلال لا تفسيرى كونها زائدة ونافية كما ذكره الدلجى (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطى أى نحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازى يروى بحلولك (بهذا البلد الذى شرفته بمكانك) أى بكونك واقامتك (فيه حيا وببركتك ميتا)

لان بركته صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته كنار على علم يعني المدينة والاول أصح (لان السورة مكية) يعني ان هذا القائل أراد بالبلد المدينة لانها مكانه صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته ومماته وهى على القول الاصح عند المفسرين مكية لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة في حال النزول تعين انها مكية لان هذا يشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست كذلك ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية واشار بالاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف رحمه الله تعالى كما في شرح التجاني ولشدة ضعفه وضعف ما بنى عليه لم يعتد به مدعى الاجماع (ومابعده يصححه) مبتدأ وخبر أى مابعد القسم وهو قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة وفساد قول الواسطى فقوله (قوله حل بهذا البلد) خبر مبتدأ مقدر مع الاقتصار على مناط الدليل واصله وهو قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث كما أشار اليه بعض الشراح لان القائل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد في الموضعين عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنا حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فالاولى الاقتصار على رواية خلافه لصحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الى آخره مجموعه علة للاصحية وهو قوله تعالى وأنت الخ وكونها مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجائز ان يفسره الواسطى بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة كالحلال غير المحرم والسورة مدنية فلا يلزمه شئ مما مر ولا يخالفه قاعدة اعادة المعرفة معرفة كما اذا أريد بالاول المدينة وبالثانى مكة على انه وعدله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه سيكون بها حالا غير محرم على ما فيه من الاشارة في كلام واحد لغائب وحاضر بتنزيل الغائب منزلة الحاضر لنكتة والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم ومابعده القول الحاكم بانها زائدة ويصححه قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد اذ في كونه حلا به اشعار بثبوته مع كونها زائدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله وهذا البلد الامين أصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه بقصد نهج كلام العرب أفرادا وتركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه أى مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو نحو قول الواسطى في ان لمحله صفة مدح بواسطة قول ابن عطاء وان كان قول الواسطى في حق المدينة وقول ابن عطاء في حق مكة وذلك بسببه وهذا النشر يفيد بما فيه من الامان بدعوة الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد عليته له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو آمن لقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقيل بمعنى المامون على ما أودعه من البركات أولانه مامون عن الغائلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه (قال أمنها الله لمقامه فيها وكونه بها) في المقتنى امنها بقصر الهمزة وتشديد الميم كما في النسخ ولا اعرف فيه الامد الهمزة وفتح الميم يعني ان المعروف في اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بها على ما قبله مرادف بمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه بالباء السببية فالامان بسببه وقد فهم من الآية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية فيكون الاقسام لسببه أيضا (فان كونه) أى وجوده (أمان) أى موجب للامان (حيث كان) أى حيث وجد ذاته الشريفة والحيثية

يعني المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه أراد به مكة أيضا الا انه شرفها بمكانه فيها احياء وبصل اليها بركاته مماتا أو ان بعد عنها دفنا بل هذا هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) أى من قولى البلد هي مكة أم المدينة (أصح لان السورة مكية) أى اتفاقا (ومابعده يصححه) أى يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل مما بعده (وأنت حل بهذا البلد) وفيه انه لا تظهر وجه تصحيحه ولا بيان توضيحه لان حلوله في المدينة أظهر لشموله حيا وميتا ولا يدع ان الآية نزلت بمكة اشارة الى ماسيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) أى الآمن أو المامون فيه يامن فيه من دخله (قال) أى ابن عطاء (آمنه الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد ففي القاموس آمنه وأمنه فاندفع به اعتراض الحلبي أى جعل مكة ذات أمن (بمقامه) أى بسكناه (فيها وكونه بها فان كونه) أى وجوده فيها (أمان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم وأغرب التلمساني حيث قال والامين فعيل كفعل أو مفعول وهذا على زيادة لا وعلى نفيها فالقسم به دونها انتهى ووجه غرابته لا يخفى لان البلد الامين في سورة التين وليست هى مصدرة بلا أقسم حتى يستقيم هذا القسم والله أعلم وفي نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لا يخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله

(ثم قال عز وجل ووالد وماولد من قال) أى كمجاهد (أراد آدم) أى بقوله تعالى ووالد (فهو عام) أى فى جميع ولده ولا يبعد أن يراد به خلاصة افراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذى قيل فيه لولا وجود الخاتم ما كان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وماولد) أى من أولاده الصلبية يعنى اسمعيل واسحق واسباطه من أنبياء بنى اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل الجميل بانى البيت الجليل مع والده الخليل وربما يقال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كما أنه زبدة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهى) أى الآية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة) أى المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضعين) أى بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولدا لابراهيم وكونه والدا بشهادة ما فى الكشاف ونقله ابن الجوزى عن ابن عمران الجونى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبى بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوى القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم وماولد ذريته أو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله أعلم بما وضعت أى باى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ما قاله المنجانى من ان ما تقع على ذوى العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا ان من يختص بذوى العقول وما عام ويؤيده قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها وان قال بعضهم أن المراد بها معنى الوصفية المنبئة عن العظمة كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل

قد ترد للتعميم أى فى أى مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهذا الامان كان بعد وجوده وقد يامن وجوده كما آمنه به من الفيل وأصحابه لان ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت فى ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل فى المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا * ومن دخله كان آمنا وأجاب الله دعاءه فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وأجيب عنه بانه لا يبعد أن يكون كل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن وجوده فيه فلما علم الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلاة والسلام عظمه وقبل دعاء خليله أو يكون استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد أن يقال أن المصنف رحمه الله تعالى أشار الى هذا بقوله ثم قال عز وجل ووالد وماولد عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا فى تفسير الوالد فمنهم (من قال أراد آدم) عليه الصلاة والسلام (فهو عام) أى ماولد على هذا التفسير عام شامل لجميع أولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه أشرف مخلوقاته ونسخة توحيده فى ذاته وصفاته وعلى هذا الجمهور لتبادره الى الاذهان من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون القسم بالاول والآخر ولا أدرى ما وجه تركه وعدم تعرض أحد من المفسرين له وكأنه لعدم دليل عليه فتدبر (ومن قال هو ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (وماولد) ضميره للوالد أو لمجموع الوالد والولد والثانى أولى وقيل الاولى أن يقول على منوال ما سبق ومن قال أراد ابراهيم عليه السلام والضمير فى قوله (فهى ان شاء الله تعالى) للقصة وأنت باعتبار الخبر وهو قوله (اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى هو المراد من قوله وماولد عند هذا القائل وهو أبو عمران الجونى كما نقله فى زاد المسير وقيل هم العرب وقيل أولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم أطلق عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما دل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله ان شاء الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده أو هو تادب منه فى الحكم بان مراد الله أو اشارة الى ان فيه احتمالا آخر وجوز بعضهم أن يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين لانه لما حمل الوالد على أكمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث انما أنا لكم بمنزلة الوالد والولد أمته أو ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال فيه ما دون من وما فى الاصل لما لا يعقل قيل لان كثيرا من النحاة جوزوه أو لتاويله بالمبهم أى الولد الكامل الذى لا يدرك كنه ذاته لتناهيه فى الكمال * أقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما قصد به المعنى الوصفى كالمولود هنا نظر اللصفة فانها ليست من جنس العقلاء كما فصل فى حواشى الكشاف قال الزمخشرى فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا أريد الذات وأما اذا أريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد خفى هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقى فان قيل بانه يجوز أن يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب أحد جزئى المدلول وانما ذكروه فى الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجب كما قيل (فتتضمن السورة القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضعين) أشار بالفاء

الى

على وجوده وكمال قدرته وجوده بناؤها وأنت ترى أن هذا تكلف مستغنى عنه اذ يجوز أن ما ترد بمعنى من على ما في القاموس كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فانكحوا ما طاب لكم ثم وقع التناقض بين قولي المنجاني حيث قال فيلزم على قول القاضي ان تكون ما في الآية واقعة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عما اقرر النحويون لها والذي يظهر في الآية والله تعالى أعلم أن الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهو قول ابن عباس فيكون قوله سبحانه وتعالى وما ولد على هذا التأويل طامنها على العاقل لم يلد اذ لو اقتصر في الآية على ذكر الوالد لخرج منها من لم يلد ولدا البتة انتهى ووجه التناقض لا يخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوي العقول في المعنى فيؤول الى قول القاضي في المبنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الثاني بل لو أريد به الفرد الافضل من النوعين لا يبعد لصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذي ذكره لا يخفى على الفقيه النبيه حيث أن المراد بما ولد ما ولده الوالد من آدم او ابراهيم أو جنس الوالد (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل ١٩٩ من علم المعمى في استخراج الاسما

والتقدير ألف لام الحمد ميم فيبقى محمد فهو نداء أو مبتدأ خبره ذلك الكتاب أي هو النسخة الجامعة في الرتبة اللامعة والمرتبة الساطعة وواسطة بين الخالق والخليقة (لا ريب فيه) وسيأتي الكلام فيه (قال ابن عباس رضي الله عنهما) أي فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (هذه الحروف) أي المقطعة في أول هذه السورة وأمثالها من سائر السور المسطورة (أقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (أقسم الله تعالى بها) وفي نسخة بهذا أي بما ذكر على طريق الاشارة والرمز الى أسماء الله سبحانه وتعالى وأوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان يكون الالف رمزا الى ما أوله

الهمز وكذا اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحرف القسم حينئذ محذوف (وعنه) أي ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك) حتى قيل فيها سبعون قولا منها ما عليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان الله تعالى أعلم بمراده بذلك وقيل معنى الم أنا الله أعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هي اسماء الله بشهادة قول علي يا كهيعص يا حمعسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل اسماء للقرآن أو للسور وقيل الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها فجمع تلويحا بان العبد ينبغي ان يكون أول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التستري) وروي عن ابن عباس أيضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) أي اشارة الى لفظة الله بناء على الحرف الاول منه في المبنى أو الى وحدانيته بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) أي بناء على الحرف الاخير (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) نظرا الى أوله واوسطه كذلك وما انسبه حيث كرر مسمى الميم في الاسم والمسمى

الى نشأته مما قبله أي اذا كان كذلك ففي ضمن هذه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم مرتين احداهما في البلد التي هي محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله تعالى عليه وسلم أبلغ من القسم بذاته وحياته كما مر تحقيقه والثاني في قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما أقسم بوالده وهو في صلبه فكأنه أقسم به بعيد غاية البعد وأما القول بانه لتفسير الوالد بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الكشاف فغير صحيح لانه ليس في كلام المصنف رحمه الله تعالى ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا أن يقال من أقسم بأحد ممن مضى من آبائه قاصدا تعظيمه فكأنه أقسم به أي بصفة من صفاته وهي شرف حسبه فتأمل (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم على أنه طائفة من الحروف أو اسم السورة أو القرآن تنزيلا له منزلة المحسوس المشاهد البعيد لرفعة قدره أو لتقضيه كما فصله المفسرون (وقال ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك) الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله بها وقد روي عن ابن عباس وغيره من مفسري السلف في هذه وفيما ضاهاها أقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روي عن الخلفاء الاربعة انها مما استأثر الله به قال البيضاوي ولعلهم أرادوا انها أسرار بين الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه أخفى لحكمة فلم يتحاشوا عما فرمنه * أقول فيه انهم قالوا ان التعقيد المعنوي يخل بالفصاحة فكيف بما لا يمكن علمه وما ذكره لا يدفع ما قاله فالحق في جوابه ما قاله الفاضل الليثي بان هذا انما يشترط فيما أقصد به تفهيم المخاطب كما فصله في حواشي المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكر او الى جميع حروف المعجم كما يقولون تعلمت اب أي جميع الحروف المقطعة كما قال ابن قتيبة فهي أقسام متعددة جوابها مقدر أي لقد بينت لكم السبل وأوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله تعالى ذلك الكتاب وفيها أقوال كثيرة تكفلت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا أشار بقوله (وقال سهل بن عبد الله التستري) تقدم ما فيه قال السيوطي رحمه الله تعالى رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان هذا غير واضح المعنى ولا بد له من مأخذ وفي تفسير الاصبهاني نحو عشرين قولا لم أر فيها هذا الا انه حكي عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى

(وحكى هذا القول السمرقندى) أى مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا أمر سهل اذ لا منافاة بين الاطلاق والتقييد مع احتمال التوارد
فى مقام التأييد فلا ينافيه ما عزاه السجاوندى الى ابن عباس أيضا (وجعل) أى السمرقندى (معناه) أى معنى هذا القول المستفاد
من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله أنزل جبريل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن
لاريب فيه) أى فى المنزل أو المنزل أو المنزل به أو المنزل عليه أو فى كل واحد منها وهو نفى عند أرباب التحقيق ومعناه نهى
بالنسبة الى أهل التقليد
والتضييق والله ولى
التوفيق أو المعنى لاريب
فيه وتوضيحه ان يقال
من حيث انه لوضوح
شانه وسطوع برهانه
لا يرتاب فيه عاقل بعد النظر
الصحيح فى كونه وحيا
بالغا حد الاعجاز لا من
حيث انه لا يرتاب فيه
أحد لكثرة المرتابين
بشهادة وان كنتم فى ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله فانه لم
ينفه عنهم بل عرفه بما
يزيله منهم وهو ان يبذلوا
قواهم فى معارضة سورة
منه وغاية جهدهم فاذا
عجزوا تيقنوا ان لا شبهة
فيه ولا ريبة ثم بهذا
لا يزول وجه اشكال تقديم
جبريل على النبى الجليل
(وعلى الوجه الاول) أى
من قول ابن عباس وهو
ان المراد بها القسم
(يحتمل القسم) أى
المقسم عليه (ان هذا
الكتاب حق لاريب فيه
ثم فيه) أى فى القسم أو
الكتاب على الاحتمال
الثانى (من فضيلة القران اسمه باسمه) وفى نسخة من فضيلته قران اسمه باسمه وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو الملائكة
ما تقدم) أى فى التشهد والخطبة كما قال حسان رضى الله تعالى عنه وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد
(وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم) أى الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى التى هو
من حروفها اكتفى به عنها (حيث حمل الخطاب) أى من ربه (والمشاهدة) أى له ليلة الاسراء

الله تعالى عليه وسلم والالف من الله وهى اقسام اقسم الله تعالى بها وهو فى غاية اللطف والدقة فان كان
المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه وفى هذا تقديم جبريل عليه الصلاة
والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فربما تعلق به مدعى التفضيل وان لم يلزمه مطلق التفضيل
يعنى انه لم يقل انها حروف من أسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه فى غاية الخفاء فان نزل على ما
ذكره الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لا طائل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه
قسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام
هنا فلانه واسطة بين الله ورسوله فالاعتراض به فى غاية السقوط كما أشار اليه بقوله (وحكى هذا القول
السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل) عليه الصلاة والسلام (على محمد) صلى
الله تعالى عليه وسلم (وبهذا القول) وفى نسخة بهذا القرآن (لاريب فيه) كما حكاه القاضى بمعناه عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر
المرتابون كما قال تعالى وان كنتم فى ريب الى آخره (وعلى هذا الوجه الاول) الذى رواه عن ابن عباس
وهو القسم بالحروف (يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لاريب فيه) أن بالفتح أى على انه قسم فى
قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لاريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله تعالى ذلك الكتاب
لاريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما فى المغنى وحذف الجواب
ورد فى القرآن فى قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين فاتى بدل ذلك بهذا
لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر فى المعانى والنكات لا تتزاحم والتردد فى انهما
على حد سواء أم لا كما قيل لا طائل تحته وفى شرح السيد النحرير انه أشار بهذا الى ان الظاهر الاشارة
بالقريب الحاضر فى الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان
لاريب خبر بمعنى حق (ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم) أى فى الم أو فى هذا القول
أو القسم أو الكتاب على قول سهل مطلقا أو على ما ذكره السمرقندى لدلالة الحروف المقطعة من
الاسماء أو لدلالتها عليهما كانها اسماء وأشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر فى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
ولا يخدش القرآن توسط اللام المفسرة بجبريل لما فى وقوعها فى ذكر واحد من القرآن لاسيما
وجبريل عليه الصلاة والسلام سفير محض بينهما لا يعد فاصلا قيل وكون الالف من أول اسم الله
والميم من وسط اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واللام من آخر اسم جبريل مناسب لما ذكر (وقال
ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فالقاف
بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما فى قوله * قلت لها قفى قالت قاف *
والظاهر ان مثله لا يقال بالرأى فلا وجه للاعتراض بانه لم لا يجوز ان تكون من قدرة الله تعالى ونحوه
وقد تقدمت ترجمة ابن عطاء رحمه الله تعالى وقوله (حيث حمل الخطاب والمشاهدة) أى حيث تحمل
وأطاق خطاب الله له ورؤيته ليلة الاسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته مما تشهد له الجبال ولا تطيقه

(ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) أي مع وجود المجاهدة ويناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الاية (وقيل هو) أي ق (اسم للقرآن) أي بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) أي بناء على رمز أولى الاسماء التي أولها القاف كالقادر والقاهر والقوى والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) أي فوقع القسم به لعظمته وهذا قول مجاهد ان ق اسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه ضعيف جدا (وقيل غير هذا) أي غير ماذكر أي ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضى الله تعالى عنه اقسم بقدرته وقوته كما حكى عنه السلمى وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو اخبار بقهر الكفرة أو تنبيه على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل في قول من قال هي حروف أخذت من أسماء وأفعال واستغنى بها عن ذكر ما بقي منها والله تعالى أعلم ولا يبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام والتوقف فيما اشكل من المرام كقول الشاعر قلت لها قفى فقالت لى قاف (وقال جعفر بن محمد) أي الصادق (في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى أي اذا صعد الى مقام دنا فتدلى أو اذا أحب المولى

 وترك السوى فكان قاب قوسين أو أدنى (وقال) أي الصادق (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى انشرح من الانوار) أي لما انبسط وانبث فيه من الاسرار وأغرب المنجانى حيث أنكر على العالم الربانى بقوله هذا تحامل على اللغة في تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك في تفسير الغزنوى وهو أقرب الى الاشتقاق اللغوى (وقال انقطع عن غير الله) أي عن التعلق بما سواه

الملائكة على أحد تفسيرى قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم أو مشاهدة التجليات القلبية (ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) أي لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله أي ان له صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه ورفعة شانه لما أودع في قلبه من اليقين (وقيل هو اسم للقرآن) ضمير هو لقاف وهذا القول تفسير ماثور عن قتادة فما قيل من انه في غاية الركاكة لانه يصير المعنى للقرآن والقرآن المجيد تهجم لا يليق بالادب والعجب منه حيث رواه بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفاء ماقبله ولذا قيل انه في غاية الوجاهة من حيث المعنى اذ حاصله ان هذا القرآن اقسم به وأظهره في مقام الاخبار ليمكن وصفه ودخول حروف القسم عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هي لو صرح باسم القرآن لا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو السر في العدول فتفطن وتادب على انه يحتمل ان يراد بالقرآن هذه السورة (وقيل هو اسم لله تعالى) على نهج مامر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم أو قدير ونحوه أو هو مما لم يطلع على معناه ويؤيد الاول ماحكاه القرطبى رحمه الله من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب (وقيل جبل محيط بالارض) ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزى رحمه الله عن مجاهد وقيل انه من زمردة خضراء وخضرة البحر من انعكاس شعاعه (وقيل غير هذا) فيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أبو بكر الوراق معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تتعداهما والخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته رضى الله تعالى عنه (في تفسيره) وفي نسخة في تفسير بدون ضمير قيل ان لجعفر تفسير لم يشتهر (والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهوى بمعنى نزل أو صعد الى السماء في المعراج من الهوى بتشديد الياء وفتح الهاء وهو الذهاب في انحدار أو مع ضمها وهو الذهاب في ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوى رحمه الله تعالى فلا غرابة فيه رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر (وقال) أي جعفر فله فيه تفسيران أو عنه فيه روايتان على البدل أو الاجتماع ان جوز (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هوى انشرح من الانوار) الربانية المتنزلة على قلبه في مشاهدانه من العلوم والحكم وأنواع الكمال وتنبيه قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح فلانه يقال هوى اذا فتح فا أو مد يدا ولا يضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب أهل اللغة له (وقال) أي جعفر الصادق في رواية أخرى عنه في تفسير هوى (انقطع عن غير الله) وهذا أظهر مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه فارق الناس وقال الامام المرزوقى في شرح اشعار هذيل قال الاصمعى يقال هوى العقاب اذا انقض لغير الصيد وأهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى يهوى هويا بفتح الهاء من أعلى الى أسفل وهويا بضمها بعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى في مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت يقدم على النافى وقوله الان يقال انه من هوى الجوف اذا خلا كما في التقريب فيكون هذا الخلو عن غير الله

(وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) أى تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة فى ميدان الولاية تختفى فى زمان النبوة وأوان الرسالة لان أحوال الاصفياء بالنسبة الى أحوال الانبياء لا تخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية والجاذبات الشهوانية فناسب ان يعبر عنهم بالليالى العشر كما يلايم ان يومى الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع ماقاله المنجانى من ان هذا التاويل بعيد لان الفجر فى الآية مردف بالليالى العشر وفى حمله على ما ذكر تنافر فى النظم وعدم تناسب فى اللفظ انتهى واما أقوال المفسرين فى معنى الفجر وليال عشر فمشهورة لا تخفى والمشهور ان الفجر هو الصبح والليالى العشر عشر ذى الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة أو الفجر والعشر الاول من المحرم أو الاواخر عن شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى أعلم (الفصل الخامس فى قسمه) أى فى حلفه فى كلامه (تعالى جده) أى عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما فى الحديث كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد بدال مهملة فى أنفسنا أى عظم وجل وعن أنس والحسن رضى الله تعالى عنهما غناه بشهادة حديث وما ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لتحقق مكانته) أى منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها وضمها ففى القاموس عند مثلثة الاول ظرف فى الزمان والمكان غير متمكن

أو من هوى ذهب فى جهة العلو لارتفاعه الى الله تعالى تعسف غير محتاج اليه وتوقفه فى هذا دون ماقبله غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفى النجم هنا تفاسير أخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل مانزل من القرآن منجما وقيل الهوى نزوله من المعراج وسيأتى الكلام فيه (وقال ابن عطاء) تقدم الكلام عليه (فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) تفجر بفتح التاء وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان أو بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تفجر الصبح طلع كما قاله ابن رسلان وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من أفق الوحى الماحى لظلمة الكفر أوهو استعارة لتشبيهه بالماء على نهج المكنية واثبات التفجر له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندى ان يشبه الصبح وأنواره بماء متفجر ثم يستعار ذلك لشهرته بما ظهر منه صلى الله تعالى عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تميم رحمه الله تعالى

انظر الى الصبح المنير وقد بدا * يغشى الظلام بمائه المتدفق

غرقت به زهر النجوم وانما * سلم الهلال لانه كالزورق

وفيه تفاسير أخر تركها المصنف رحمه الله تعالى لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب غرضه الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان عطف ليال عشر عليه بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومرارة الارنب والباذنجان محدثة ومثله مخل بالبلاغة أقول نقل الشراح هذا لانه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء أدب وتهجم على كتاب الله تعالى عز وجل وهذا منقول عن السلف والخلف ومأثور منهم وهم أهل لسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يفسر الليالى العشر بعشر رمضان وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد فى العبادة والخيرات فيه ويرى ليلة القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى حالته التى جد فى عبادتى والتقرب الى فيها وأى مناسبة أتم من هذه كما قات

وحبيب هو المنا وليال * كان فيها وصاله ورضاه

وزمانا بالانس كان ربيعا * لا طيعن عاذلا فى هواه

أترى هذا كالباذنجان وبزوره الهذيان أو كوجه الحبيب وغيبة الرقيب والذى عليه المحققون من المفسرين انه على حقيقته أو هو بتقدير مضاف أى صلاة الفجر والليالى العشر عشر ذى الحجة أو الفجر فجر عرفة أو النحر والعشر أول محرم وأواخر رمضان ومما يضاهى قول المصنف رحمه الله تعالى قول الرازى ان الضحى وجه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والليل اذا سجى شعره

(الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده) بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناده تعالى له للمبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد مجازى أو استعارة مكنية وفى بعض النسخ (له) متعلق بالقسم والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم (لتحقق مكانته عنده) اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدى عامل بحرفين متحدى اللفظ والمعنى وقوله (صلى الله عليه وسلم) متعلق بحسب المعنى بضمير عنده والتحقق بمعنى لتمكن حقيقة حقه عنده والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وفى بعض النسخ لتحقق وفى بعضها التحقيق بصيغة المصدر والكل بمعنى واللام قيل انهما مثلها فى قوله تعالى

(قال الله جل اسمه) أي عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى أي) اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها أو بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام وألقى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ في فضيلة صلاة الضحى أو بالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا أو مقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) أي ركد ظلامه أو سكن أهله وقدم الليل في السورة قبلها الا انه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام في تحقيق المرام ان يقال ان في الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان في الليل اشعارا الى شعره عليه الصلاة والسلام أو الى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق أو ايماء بهما الى حاليه من مقامي القبض والبسط أو الفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبي ٢٠٣ الحديث (السورة) وفي شرح الدلجي السورة منصوب بفعل كأنه في قلت أو اقرأ ويجوز رفعها على ان تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض كما في النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة منه أو محتوية على ما فيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على ما فيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت مبدلة من همزة فلكونها قطعة من القرآن فمن السؤر الذي هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لا يخفى اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وما هي مشتملة عليه وليس كذلك في السورة (اختلفت في سبب نزول هذه السورة) أي سورة والضحى (فقيل كان ترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام) أي بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده ما رواه البخاري اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك (فانزل) أي الله تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الثعالبي انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصيب في أصبعه فدميت فقال هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له أم جميل امرأة أبي لهب ما أرى شيطانك الا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن مشركات الا صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة أبي لهب ولعلهما قالتا له ذلك ثم قيل هي أخت أبي جهل زوج أبي لهب وكان اسمها أم جميل وكان أبو بكر بن العربي لا يكنيها الا بام قبيح وقد أجاد فيما أفاد وقيل هي أخت أبي سفيان ابن حرب وهي زوج أبي لهب أيضا وكانت عوراء وكان أحول والقول الاخير ذكره الحاكم في مستدركه في تفسير سورة والضحى وقال اسناده صحيح

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة الفرض لاغرضا الان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وهذا وان اشتهر فالذي ارتضاه النسفي خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظي وعنده مثلث العين والكسر افصح وبدأ افضل بسورة الضحى لمناسبتها الخاتمة الفصل الذي قبله وتضمنها الكريم خطابه وعميم نعمه عليه تشريفا له فقال (قال جل اسمه) كما جل وعلا في نفسه وفيه تأدب وتأس (والضحى والليل اذا سجى السورة) بالنصب ان لم يوقف عليها بتقدير اذكر أو اقرأ السورة الى آخرها والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات فان كانت معتلة فهي منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مدائن العلم ومنازله وان كانت مهموزة فهي من السؤر وهو البقية كما بين في محله (اختلف في سبب نزول هذه السورة) سبب النزول أمر حادث في زمن النبوة ينزل القرآن في حقه ويجوز تعدده وكما ان للقرآن اسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا في كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو الاول (فقيل كان ترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام) روي ان هذه المرأة هي أم جميل بنت حرب واسمها العوراء امرأة أبي لهب وكان أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى يسميها أم قبيح وهذا ما رواه الحاكم في مستدركه وقال اسناده صحيح الا اني وجدت فيه علة وهذه المرأة كان بعضهم لكراهته الا يحب ان يسميها ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى امرأة أو لما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وروى عبد الله بن السكن انها احدى عمات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن جرير انها امرأة من أهله أو من قومه ونقل عن امرأة أخرى وهو غير صحيح وفي شرح التجاني كلام طويل هنا وقال المصنف رحمه الله تعالى بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روي ان أم قبيح قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد ان شيطانك تركك لما رأيت من عدم قيامك ولم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث كما ذكره البخاري قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره الذي تركه به ما روي ان حجرا أصاب أصبعه صلى الله عليه وسلم فدميت فقال صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

(وقيـل) وعليه جمهور المفسرين على ماقيل (بل تكلم به المشركون) أى بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحى) أى عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) أى والضحى وفى نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذى أبطأ جبريل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله سبحانه وتعالى ماودعك ربك وماقلى ويمكن الجمع بين القولين بانه لما فتر الوحى اتفق اذ ذاك انه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ماقالت وقال المشركون من الرجال ماقالوا وقال البيضاوى روى ان الوحى تاخر أياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا أو لان جروا ميتا كان تحت سريره أو غير ذلك فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه أى تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضى أبو الفضل رحمه الله) كذا فى بعض النسخ وهو متروك فى بعضها (تضمنت هذه السورة) أى سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) أى من أنواع اكرامه سبحانه (له صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى من مزيدة أو للتعظيم أى تضمنت شيئا عظيما أكرمه الله به انتهى ولا يخفى ان كونها مزيدة لا يناسب المقام لان الزائدة انما تكون للتنصيص على العموم فى النفى نحو ماجاءنى من رجل أو لتوكيد العموم نحو ماجاءنى من أحد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب انها للتبعيض فانه لاشك ان ماتضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشئ أى رفعه ونوهت باسمه أى رفعت ذكره والمقصود من برهانه رفعة شانه وسطوع برهانه (وتعظيمه اياه) أى بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه) بالنصب على انه مفعول تضمنت وفى نسخة بستة وجوه وكان الوجه ان يقول ستة أوجه الا انه أوقع جمع الكثرة فى موضع جمع القلة توسعا اذ قد يكثر استعمال أحدهما فى الآخر (الاول) أى الوجه الاول من الستة (القسم له) أى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم (عما أخبره به) أى فى هذه السورة (من حاله) أى مما يدل على عظيم جماله وكريم كماله فمن بيان لما أقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل اذا سجى أى ورب الضحى) أى على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لا يقسم بمخلوق لان فيه تعظيم غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك والاظهر ان النهى فى ذلك بالنسبة الى المخلوق وأما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تشريفا وتعظيما لشانه

وقيل انما قالت أم قبيح ذلك لابطاء الوحى عنه وروى أبو داود باسناد صحيح ان أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها قالت له ان ربك وفى رواية ان صاحبك قد قلاك فنزلت وانما قالته رضى الله عنها على سبيل الاستكشاف والشفقة أو هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بتعدد سبب النزول وفيه اطلاق الصاحب على الله وقد ورد فى حديث اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل ولم يقل صاحبى وصاحبك أو ربى وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهى الاشارة الى شدة مراقبته لله وقربه منه قربا لا ينبغى لسواه (وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة) أى تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور فى سبب النزول الاول لابشخصه وعينه والفترة مدة قليلة بين شيئين والسكون والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من الرسل وكان الوحى تاخر عنه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما وقيل سنتين ونصف والاول أصح فقالت قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان اليهود سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل ان شاء الله تعالى فانقطع عنه الوحى وقيل بل كان فى بيته جرو كلب قيل ولا مانع من تعدد السبب كما مر وقول المصنف بل الخ كأنه اشارة الى ان القائل الثانى ادعى ردا القول الاول وجزم بخلافه فالاضراب لذلك وقيل بل لافادة انهم تكلموا به أيضا فهو انتقالى للترقى وهو بعيد ومر منه لان الاول أصح (قال الفقيه القاضى أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله (تضمنت هذه السورة) أى اشتملت سورة الضحى (من كرامة لله تعالى له وتنويهه به) كرامة الله تعالى اكرامه أى توقيره واللطف به وتنويهه به رفعة قدره وجعله مشهورا بذلك واشاعة فضله (وتعظيمه اياه) جعله عظيما مهيبا فى عيون الناس وقلوبهم فهو مغاير لما قبله ومن بيانية ان قلنا بجواز تقدم البيان على المبين كما ارتضاه بعضهم والافهو بيان لمقدر يفسره مابعده وليست زائدة للتعظيم كما قيل (ستة) مفعول تضمنت (وجوه) والوجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شئ وما يواجهك منه ويطلق على الحال فيقال فلان أحسن القوم وجها اى حالا وقول الفقهاء الوجه كذا أى القوى ولهذا وجه أى ماخذ والمراد الاول وهو جمع كثرة استعمله المصنف رحمه الله فى القلة لان كلا منهما يقوم مقام الآخر وقد يقال انه اشارة الى انها أكثر من ذلك كما قيل (الاول القسم له عما أخبره به من حاله) بيان لما والمراد حاله التى له فى الدنيا والآخرة (فقال والضحى والليل اذا سجى) والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهى أول النهار وسجى اذا دخل وأظلم وأصله من السجية وهى التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى وجعلنا الليل لباسا وقلت

للانس لما اختلينا * وغاب داعى الهموم فى حلة للدياجى * مزرورة بالنجوم

ومنهم من فسره باقبل أو ذهب وقيل مامعناه سكن والمراد سكون الاصوات أو أصحابه ولكل جهة (أى ورب الضحى) هذا بناء على الظاهر الذى ذهب اليه الفقهاء

(وهذا) أى القسم له على ذلك (من أعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثانى) أى من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم بيانه (وحظوته لديه) بكسر أوله ويضم على ما فى الصحاح والقاموس وبسكون الظاء المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو بعدها هاء التانيث فانه مثلث الفاء وأصله من حظيت المرأة عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفى المثل ان لاحظية فلا الية يقول ان اخطاتك الحظوة فلا تال ان تتودد الى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد ذكره الجوهرى (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ما ودعك ربك) بتشديد الدال وتخفيف (وما قلى) حذف مفعول قلى لظهوره أو اكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (أى ما تركك) تفسير لودعك (وما أبغضك) تفسير لما قلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة فى الودع أى الترك اذ من ودعك فقد بالغ فى تركك وفى الحديث غير مودع ربى أى غير قاطع طاعته ولا مفارق لعبادته وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء أكثر العرب عنه بترك فلم ينطق به ماضيا لكن قد جاء فى الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفى الشعر أيضا كقوله
(وكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا) ومن التشديد قوله (ليت شعرى من خليلى ما الذى * رابه فى الحب حتى ودعه)
ثم قلى يائى وقليل واوى وعلى الاول يقال فى مضارعه يقلى ويقلى بالياء والالف الا ان الالف شاذ كابى يابى

من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته من المخلوقات فيقدر فيما ورد مخالفا له رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين التى تنعقد ويكون لها كفارة وأما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بابى أنت وأمى وامثاله مما لا يحصى ولم ينكره السلف وقيل النهى مخصوص بالناس تعظيما لله وأما الله عز وجل فله ان يقسم بما أراد ونحوه الصلاة فانها لا تجوز لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم استقلالا على ما فيه وأما هو فله ان يصلى على من أراد كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى والضحى صدر النهار كما مر وقيل هو هنا النهار كله وأما الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انهما وقت الخلوة مع المحبوب أى وحق قربك مناواته وجه وجيه فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله الطيبى رحمه الله تعالى غير ظاهر بالنسبة للضحى فتامل (وهذا من أعظم درجات المبرة) أى القسم المذكور والمبرة مصدر ميمى بمعنى البر وهو الاحسان وفعل الخير وكل أمر مرضى وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعله المبرة منزلا عاليا له درجات توصل اليه ويجوز ان يكون استعارة تصريحية فى الدرجات للمراتب وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير رب يكون التعظيم الذى يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوتى ما لم يؤت أحد من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرة ونحوه مما لا يحصى (الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه) مر مرارا ان المكانة المرتبة المعنوية والحظوة بحاء مهملة مثلثة وكذا كل فعلة لامها واو كما قيل فيه نظر وبعده ظاء معجمة مشالة ويقال فيه حظية بالكسر والياء أيضا من حظى عنده اذا كان له عنده فضل يقربه ويحببه اليه وذكر الشمنى وبعض الشراح معترضا على المصنف رحمه الله ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم للقسم عليه المذكور فى هذا الوجه فجعله وجها مستقلا فيه نظر وهو مثل ما قلناه أولا واجيب عنه بان المراد ان فى هذا القسم والمقسم عليه لفظين متغايرين أحدهما بيان المكانة والآخر القسم عليها وان توقف أحدهما على الآخر وهذه حزازة لا محصل لها (بقوله ما ودعك ربك وما قلى) الوداع له معنيان فى اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثانى هنا على طريق الاستعارة يكون فيه ايماء الى ان الله لم يتركه أصلا فانه معه أينما كان واما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه أشار الرازجانى بقوله اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا
فقوله وما قلى مؤكد له وهذا الامر من ذكره مع غاية لطفه وكلهم فسروه بالمعنى الاول لما مر أو صيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضى الانقطاع التام قالوا ان المبالغة فى النفى لا فى المنفى فتركه لحكم عليه لا لضرره بهجره أوانه فى القيد والمقيد وقرأ عروة بن هشام ما ودعك بالتخفيف وورد فى الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقاء فحشه وورد فى الشعر كقوله
فكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا
ولذا قال فى المصباح بهذا علم ان قولهم فى علم التصريف أماتوا ماضى يدع ويذر خطا وجعله استعارة من الوديعة تعسف وقوله (أى ما تركك وما أبغضك

(وقيل ماأهملك) أى ماتركك هملا (بعدان اصطفاك) أى كلا قال قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ماخلاك ولاقطعك منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) أى من السنة (قوله) أى عز قائلا (وللآخرة) أى والدار الآخرة (خيرلك من الاولى) أى من الدنيا أو الحال الآخرة خيرلك من الاولى ايماء الى أنه دائما فى الترقى الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه امام أهل المغازى (أى مآلك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام أى ماتاول اليه ومصيرك (فى مرجعك) أى معادك باقيا خالصا من الشوائب مما أعدلك من المراتب (عند الله) فى العقبى (أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا) ويروى كما فى بعض النسخ مالك على ان ماموصول والعائد محذوف يعنى الذى أعطاكه فى الاخرى خيرلك من الذى اعطاكه فى الاولى (وقال سهل أى ماادخرت) بتشديد الدال المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهى الشئ النفيس يخبأ للنوائب وذاله معجمة ويقال ادخرته على افتعل يهمل ويعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة مايكون للآخرة وبالمهملة مايكون للدنيا ونسب الى أئمة اللغة وهى غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون فى بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذى خبأته (لك من الشفاعة) أى العظمى أو الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) أى المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع الافراد البشرية (خيرلك مما أعطيتك فى الدنيا) أى من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة ويؤيده ماورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ويجوز أن يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الآية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون ووجوه على انه مقام الشفاعة الكبرى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون بشهادة حديث هو المقام الذى أشفع فيه لامتى أى خصوصا وسائر الامم عموما (الرابع) أى من السنة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء لتأكيد مضمون الجملة أى ولانت سوف (يعطيك ربك) أى مايرضيك وتقر به عينك (فترضى) أى غاية الرضى والجمع بين حرفى التأكيد والتأخير للايماء بان العطاء كائن لامحالة وفى مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم أكثر المفسرين على ان هذا العطاء فى الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وهذه الآية) أى ولسوف وفى بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة) أى ما أعطاه فى الدنيا وماوعده فى العقبى

وقيل ماأهملك بعدان اصطفاك) تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لماقبله وان كان المشهور الثانى والاهمال عدم التصديق مع الترك فهو ترك مخصوص وقوله بعدان اصطفاك أى اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل أن يكون من معناه الوضعى كالهجران فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحذف مفعول قلى اختصارا للعلم به وليجرى على نهج الفواصل التى بعده أولئلا يخاطبه بمايدل على البغض وقيل الاحسن انه حذف ليعم نفسه وأصحابه وأمته فكأنه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ماهجرتك لبغض وسترى منزلتك (الثالث قوله تعالى وللآخرة خيرلك من الاولى قال ابن اسحق) صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (أى مآلك فى مرجعك) ماموصولة وروى مآلك بعد الهمزة أى مايؤول اليه حالك ومرجعك اسم زمان أومصدر فى تقدير وقت رجوعك من الدنيا الى الله فى الآخرة (عند الله) أى فى دار كرامته وجنته وهو متعلق بمآلك أو بأعظم ولام للآخرة لام ابتداء مؤكدة أوجواب قسم ففيه تعظيم آخر أى كما أعطاك فى الدنيا يعطيك فى الآخرة ماهو أعلى وأكثر فلا تبال بماقالوه فهو وعد فيه تسلية بعدما نفى عنه مايكره فهو تحلية بعد تخلية (أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا) من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بماتريد (وقال سهل) التسترى السابق ترجمته فى تفسيره (أى ماذخرت لك ٤) بالذال والخاء المعجمتين أى ماأعددته لك من الذخيرة وهو مايخبؤه الانسان من النفائس ومن الغريب ماقيل هنا ان الذخر بالمعجمة مايكون فى الآخرة وبالمهملة مايكون فى الدنيا قال التلمسانى وهذا غلط أوقعه فيه قولهم تدخرون (من الشفاعة) بل الشفاعات التى ستأتى (والمقام المحمود) هو مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون أو كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ماقبله وقيل المراد ان أحوالك الآتية خير من السابقة فى الدارين وقيل الدار الآخرة خير فى المحبة والوصلة (الرابع قوله) أى مايقوله مما يتضمن ذكره أو هو بالمعنى المصدرى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه ولسيعطيك واللام للتأكيد وقال الزمخشرى انها لام الابتداء وهى لاتدخل الا على المبتدأ فقدرها ولانت ورده ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلان حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لاتدخل على المضارع الا مؤكدا بالنون (وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة) حيث أجله ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كما ترضاه وتريده فقد عممت عموما بليغا

(٤) خيرلك مما أعطيتك فى الدنيا نسخة

(وشتات الانعام) بكسر الهمزة من أنعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين أى متفرقات أنواع الاكرام مما لا يعلم كنهه أحد من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر أى وجامعة للزيادة على ما أعطاه فى الدنيا ووعده فى العقبى من أنواع الكرامة والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى وصاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الائمة اتفقوا على ان مالكا عربى صريح النسب من ذى أصبح حميرى يمانى وذهب ابن اسحق الى أنه من الموالى وقوله شاذ رواة الائمة والله سبحانه وتعالى أعلم والحاصل انه قال فى سيرته (يرضيه) أى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام (بالفلج) وهو على ما فى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام أى الفوز باحبابه والظفر باعدائه ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصف القرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن هشام معناه ظهر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصل نسختين مضبوطتين وفى المثل من يات الحكم وحده يفلج أى يظهر على خصمه (فى الدنيا) كيوم بدر وقريظة والنضير وفتح مكة (والثواب فى الآخرة) أى مما أخفى له من قرة أعين وهذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى أن الآية مقتضية رضاء فى الدنيا والعقبى معا قيل وهو الصواب فى معنى الآية (وقيل يعطيه الحوض) أى المورود (والشفاعة) أى المقام المحمود وهو داخل فيما قبله بلا مرا وكل الصيد فى جوف الفرا وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الكثير تمسكا بما فى رواية البخارى ومسلم أى عن أنس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاء ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الكوثر نهر فى الجنة عليه حوضى أى يمد ماؤه منه وفى مسلم ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فمثناة فوقية مشددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه على ما ذكره

ووجوه بمعنى ضروب أو استعارة من الوجه المعروف وهذه فقرة مع قوله (وشتات الانعام فى الدارين والزيادة) والشتات مصدر بمعنى التفرق أريد به متفرقاته ويعنى به انه تجمع فيك كل نوع من أنواع النعم التى أنعم الله بها على غيرك ممن اختاره واصطفاه والزيادة على ذلك بما خصه به أو الزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أو الاول ما فى مقابلة عمله وهذا غيره أو الاول ما وعده وأعطاه وهذا ما لم يخطر بباله مما سيعطيه وما قيل من انه عطف تفسير للانعام لا وجه له (قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا) الفلج بفتح الفاء وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعداء ويكون بمعنى مطلق الفوز وبفتح الفاء وسكون اللام أيضا فالمراد انه يفوز فى الدنيا وينصره الله ويحميه (والثواب فى الآخرة) الثواب الجزاء بالخير على فعل الخير فى الآخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصلية مطلق الجزاء خيرا او شرا دنيا وآخرة وهذا كالوجه السابق على بعض الاحتمالات السالفة فان جعلت الآية شاملة لكل ما أعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواء كان أيضا قريبا مما قبله وقيل انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وقيل يعطيه الحوض والشفاعة) الحوض ما يحفر مع بناء أو بدونه ليجعل فيه الماء للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض فى حديث مسلم بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه وقال نزلت على آنفا سورة وتلى سورة الكوثر ثم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترده أمتى يوم القيامة الى آخره وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الكوثر وان كان للخير الكثير فهو غيره كما ورد فى حديث آخر الكوثر نهر فى الجنة عليه حوض يمده وهذا التفسير روى عن على وابن عباس والحسن رضى الله تعالى عنهم قيل ان أريد انهما مرادان ولو مع الغير فلا كلام وان أريد التخصيص فلا بد من قرينة وفى مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمتى وبكى فقال الله تعالى لجبريل قل له سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك فيشفع حتى يقول رب رضيت أقول ان أراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ متحمل له والنقل مساعده فما المانع من حمله عليه (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو على رضى الله تعالى عنه قال السيوطى أخرجه أبو نعيم فى الدلائل موقوفا وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان الحلبى روى انه الحسن ابن محمد بن الحنفية وقال الذهبى ان أول من تكلم فى الارجاء زر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى ورواه الثعلبى مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن على ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضى الله

الثعلبي في تفسيره (انه قال ليس آية في القرآن أرجى منها) أى من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) ورواه عنه أيضا أبو نعيم في الحلية موقوفا والديلمي في مسند الفردوس مرفوعا فبطل بهذا قول الحلبي قد ظهر لى والله تعالى أعلم من هذا الرجل هو الحسن بن محمد ابن الحنفية وذلك انه أول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا أرضى أن يكون واحد من أمتى في النار قال الدلجي وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لابد من دخول بعض منهم فيه ويعارضه رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة اذ ليس في الآية لفظ الجميع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق أيضا مدفوع بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى رضى كاملا الا اذا وقع شفاعته لجميع أمته كاملا وهذا أمر في المستقبل فلا ينافى دخول بعض الامة النار في الماضى فتأمل هذا وفي حديث الترمذى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال ما في القرآن آية أحب الى من قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل أرجى آية في القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآية ووجهه انه سبحانه وتعالى أمرنا بالاحتياط لدنيانا الفانية التى نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها وأمرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا لطف بنا فيها بما أرشدنا الله اليه مع حقارتها في طول آية من كلامه فكيف بالدار الباقية دار الخلد في النعيم والالتذاذ الذى لا يساوى بل لا يدانى بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو ما في صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى الى قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل انتهى وقد أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أرجى آية في القرآن لهذه الامة قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبى هذا واخوف آية في القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات وعن أبى حنيفة واتقوا النار التى أعدت للكافرين وعن الشافعي انها قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات انتهى واجتمعت الآيات سبعة في الخوف وعشرة في الرجاء ايماء الى أنه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه خوف عقابه

عنهما وهذه طرق تعضده (انه قال ليس آية في القرآن أرجى منها) أى من قوله تعالى ولسوف يعطيك الى آخره وارجى أفعل تفضيل من الرجاء بمعناه أ كثر رجاء والمعنى ان هذه الآية الكريمة أكثر رجاء من سائر آيات الوعد وهو مجاز أصله ليس سامع للقرآن وآيات الوعد أرجى من سامع هذه الآية فجعل الآية نفسها أترجو مبالغة وهو من بليغ الكلام (تنبيه) اختلف في أرجى آية في القرآن فقيل هذه الآية وقيل وهل يجازى الا الكفور وقيل انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخره وقيل يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين لانه احتاط لدنيانا فكيف لا يحتاط لآخرتنا وقيل ولا يأتل أولوا الفضل الى آخره وقيل ولكن ليطمئن قلبى وأخوف آية ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل غير ذلك (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار أمر مقدر فلو لم يكن من رضاه لزم الخلف في الوعد ولذا قال القرافى رحمه الله لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه ورد في الآثار وفي قوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وبان عدم الخلود مغفرة أيضا واعلم انه أورد ههنا ان مقام الرضاء بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين ولذا قال صاحب المواهب ما يغتر به بعض الجهال من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى واحد من أمته في النار أو أن يدخلها أحد من أمته من غرور الشيطان فانه صلى الله تعالى عليه وسلم يرضى بما يرضى به ربه وهو أعرف بحقه من أن يقول لا أرضى الى آخره ورد أيضا بانه جرأة وسوء أدب والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته وان ضعفت ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضى لله تعالى فلا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضى بالقضاء قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه به يدخلهم

(الخامس) أى من الستة (ماعده الله تعالى عليه) أى ذكرما (من نعـمه) أى نعمائه وهو أنسب الى قوله (وقرره من آلائه) وهما مترادفان على ماقيل والاظهر ان وقت اجتماعهما يراد بهـما نعمه الظاهرة والباطنة واختلف فى مفرد الآلاء فقيـل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قبله) بكسر القاف وفتح الموحدة أى عنده وجهته ونحوه (فى بقيـة السورة) من ألم يجدك يتيما الى فامـا اليتيم تلويحا بانه تعالى كما أحسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل * (لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى) * فمما وعد وقرره وردا له على خلاف ترتيب السورة ما أشار اليـه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله أى من هداية الله اياه (الى ماهداه له) أى المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا أى جاهلا بتفاصيل أحكام الشريعة فهدى أى فهداك اليها ودلك عليها (أو هـداية الناس به) أى فهـدى الناس بـك زيادة على هدايتك فى نفسك فجمع الله له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهـما بالـكمال والتكمـيل اللذين يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من تعلم وعمل وعـلم يدعى فى الملكوت عظيما (على اختـلاف التفاسير) أى فى هدى من التقادير على ما أشرنا اليها فى ضمن التحارير فهدى اما بمعنى هداه الله أو بمعنى

هدى به الناس (ولامال له) جملة حالية أو التقدير ومن كونه لامال له (فاغناه الله بما آتاه) أى أعطاه من مال خديجة أومن الغنائم (أو بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى) أى غنى القلب كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انمـا الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لا ينفـد وهو من قنع بكسر النون فى المـاضى قناعة اذا رضى بمـا أعطاه الله تعالى وبفتحه قنوعا اذا سال بمـا سواه ومنه القانع والمعـتر أى السائل تصريحا والمعترض تلويحا وما أحسـن ماقال من قال من أهل الحال * (العبد حران قنع * والحر عبد ان طمع * فاقنع ولا تطمع * فما شئ أضر من الطمع) * وهذا المعنى مسـتفاد من قوله ووجدك عائلا أى فقيرا أو محتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناه بل أحوج اليك كل من سواه كما أشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة

الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضى بفعل الله انمـا يجب من حيث انه فعـل للمولى الـكريم الحكيم لامن حيث هو فى ذاته وهو المنفى فى الحديث الثانى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لايرضى بدخول أحد من أمتـه النار من حيث هو فى ذاته لامن حيث انه مراد الله فـلا اشـكال أو الرضا مجاز عن ترك الطلب أى لا أترك طلب العفو واحد من أمـتى فى النـار ولا يـلزم منه عدم الرضاء حقيقة وكم طلب صـلى الله تعالى عليه وسلم لامته أمورا وهو فى مقام الرضاء دائمـا واذا وعد بالارضاء فلابد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغى أن يجترئ أحد على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهـذا محصل مافى شرح المـواقف من أن للفـكر نسـبة الى الله باعتبار فاعليتـه له وايجـاده ونسبتـه الى العبـد باعتبار محليته واتصافه به وانـكاره باعتبار النسـبة الثانية والرضى باعتبار النسـبة الاولى وفى بعض الشروح يجوز أن يكون المراد نفى الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاسـتدلال ويجوز أن يكون المراد ولا يرضى أن يعصى الله أحـد من أمته فعبر بالمسبب عن السبب الا أن سـياق الكلام يأباه وقيل مقام الرضاء انمـا هو فى حـق نفسه وهو بعيـد (الخامس ماعده الله عليـه من نعـمه وقرره من آلائه) النعم والآلاء بمعنى وعبر فى النعم بالعد وفى الآلاء بالتقرير أى التحقيق موافقة لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله وفى قوله تعالى فبأى آلاء ربكما تـكذبان فانظر حسـن مقاصده وفى واحدة الآلاء لغات منها الى بفتح الهمزة والـكسر مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواو فى بيان عدماعده (قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بزنة عنب أى عنـده وفى جهتـه ويقال ليس لى بكذا قبل أى طاقة وقوله (فى بقيـة السورة) متعلق بعـده وهو من قوله تعالى ألم يجدك يتيما الى قوله تعالى فاما اليتيم الى آخره تنبيها على انه كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسـن فيما بقى ثم أشار اليه بقوله (من هدايته الى ماهداه له أو هـداية الناس به على اختلاف التفاسـير) بيان لمـا هداه له عام شـامل للقولين فى تفسير قوله تعالى فهدى أى فهداك أو هـدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول أى هداك للشريعة ومعالم النبوة والقرآن وتعليم مالم تعلم أو الطريق التى ضل فيها فى طريق الشام أو فى شعاب مكة فى صغره صلى الله تعالى عليه وسلم وكلها أقوال مذكورة فى كتب التفسير (ولامال له فاغناه بما آتاه) قيـل انه معطوف على مجرور من بتقدير انه لامال الى آخره ولو جعلت حالا جاز ووجد فى الآية بمعنى علم وآتاه بالمد بمعنى أعطاه ولو قصرت على معنى أتاه من عنـد الله بمـا أغناه الله به كمال خديجة وأبى بكر رضى الله تعالى عنهما ومال الغنائم بل بمـا فى خزائن الغيب الذى لو طلب ظهوره ملء الارض لجاز وقيل عياله فى الآية الذين اتبعوه من أمته اذ أغناهم الله به صلى الله تعالى عليه وسلم (أو بمـا جعله فى قلبه من القناعة والغناء) القناعة فى اللغة الرضاء بمـا قسم الله أو الاكتفاء بقدر الضرورة والرضى به كما قيل

ما كل مافوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافى

(ويتيما) ومن كونه يتيما أى لا أب له لموت أبيه قبل ولادته فآواه الى عمه أبي طالب (فحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أى رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) وأذهب عنه غمه وهمه حتى قال
*(والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا)
*(فاصدع بامرك ماعليك غضاضة
فابشر وقر بذاك منك عيونا)*
وفى نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) وأحسن فى تربيته عليه حيث ضمه الى نفسه فى جملة حاله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا أو مقصورا لكن التعدية فى المد أكثر كما ان اللزوم فى القصر أشهر (وقيل آواه الله) أى ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا فى ظل حمايته ورعايته وفى نسخة آواه الى الله أى أغناه بذاته عما سواه وروى آوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه وأسلم الامر لديه وهذه المعانى الاخيرة أنسب الى ماحكى عن جعفر الصادق أنه سئل لم أفرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبويه فكان يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن أن يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس أو لئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لو وجدهما غير مسلمين فى أيامهما وليس الخبر كالمعاينة فى تحققهما

ثم

والقناعة كنز لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد فى الحديث وقد رفع الله قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاحتياج لخلقه وقد خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر والباطن وهو تكلف لا حاجة اليه (ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه) أى وجده صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما لموت أبيه قبل ولادته أو بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذى لا أب له ولا يتم بعد البلوغ قيل واليتيم فى غير الانسان من الام وفى الطير منهما وحدب بفتح الحاء المهملة ودال مهملة مكسورة يليها موحدة واشتهر بفتح الدال وكذا وقع فى بعض النسخ الا أنهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد به العطف والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه أى عطف الله عليه عمه وليس بغلط كما قيل والمراد به أبو طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته له أمر مشهور فى السير وكان يعظمه ويعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله للاسلام وفى الامتناع ان فيه حكمة خفية من الله لانه عظيم قريش لا يمكن أحد منهم أن يتعدى على ما فى جواره فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بدء أمره فى كنف حمايته يذبهم عنه كما قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا

فلو أسلم لم يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته بد من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله أحياه له صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به كأبويه وأظنه من افتراء الشيعة وقوله وآواه بالمد متعد أى ضمه اليه لتربيته وحمايته وآوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم وأما جده عبد المطلب فمات فى صغره وعدم احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه انما لم يتعرض لعطف جده عليه أولا لانه كالاب فكأنه لا يتم معه أو لان عطفه أمر عادى لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والاوجه التعميم خطا منه (وقيل آواه اليه) أى قيل فى تفسير هذه الآية أن معناها آواه الله أى ضمه الى نفسه ولم يحوجه لحماية أحد وايوائه وهذا معنى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روى هذا عن الحسن أيضا وقيل فيه ان عليه فى صغره حقا لغيرهما قطعا كأبى طالب وحق أبويه أولى وأسهل من حق غيرهما فالوجه أن يقال فى حكمته أن فيه تسلية ليتامى أمته وان فيه مع أبويه توطئة لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى أن حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلو كانا حيين معه لكان ينسب اليهما ايواؤه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فقدا علم عناية الله به وآواه روى بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه كما مر وهو أولى وأظهر وبالقصر من آوى الى منزله يأوى من باب ضرب أو يا اقام قال فى المصباح وربما عدى بنفسه فقيل آوى منزله وأنكر بعضهم تعديه وقال الازهرى انه لغة فصيحة وقرئ بها فى الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل انه بمعنى رحمه ورباه أو جعل له مأوى عنده وفاعل أوى ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وفى نسخة وقيل آواه الله تعالى وروى آوى الى الله أى لجأ اليه وكان الظاهر أن يقول آواه الله اليه قيل وانما عدل عنه لما ذكر ولم يقل وآواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله * وههنا أمران * الاول أن المصنف رحمه الله غير ترتيب النص فذكر الهداية ثم الاغناء ثم الايواء وأبقى الاولين على ترتيبهما فيه وقدم الثالث على أخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما فى النظم انه قدم عدم تركه وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه فى سبب النزول لانه جواب لهم ثم أردفه بانه فى الآخرة أيضا غير متروك ولا مقلى وفيه ارغام لانوفهم وجواب أقوى من الاول ثم قال انه سيعطيه فيما يأتى كلما يحب ويرضى فى الدنيا والآخرة

ثم كر على ذلك التفصيل حاله المؤيدة لجوابه فقال انه آواه في صغره ويتمه وعدم الغنى (٢) له فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال ألم يجدك يتيما فآوى فهذا ناظر لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعقبه بانه أبعده عن الضلال وهداه وهدى به لسبيل الرشاد فمن كان هذه حال دنياه فحال آخرته كذلك وهذا ناظر لقوله تعالى (وللآخرة خير الى آخره) وثلث بانه أغناه عمن سواه مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله تعالى ولسوف الى آخره ففيه شبه اللف والنشر على أتم نظام وكذا ما بعده كما سيأتي وهذا هو مقتضى المقام حال النزول والمصنف لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم أعظمها وهو الهداية التي فيها سعادة الدارين ثم الغنى في اليد والقلب الذي هو أعظم النعم الدنيوية بعد الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا بهدايته ثم الايواء الذي هو بمعناه الظاهر دون هذين فغير الترتيب وأتى بترتيب متسق أقرب الى العقول الآن اشارة الى أن النكات لا تتزاحم وأن الحسن يحسن في كل أناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه بتفسيره الاول في الواقع وتأخره في كلام المصنف لتأخره عنهما في النظم تأخر ثانيهما عن أولهما فيه مع ان المقام مقام بيان عظم شانه فاللائق تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر أن الآية وردت في مقام الاستدلال كما ذكره فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والغنى معلومان بالمشاهدة وقد اختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر والقناعة وفي غناه خفاء بالنسبة لتعليم الشرائع والمصنف رحمه الله تعالى قدم الاشد تعظيما وآثر هذا الاسلوب اشارة لا ثرفيه والى أن الانسب في مقام التعظيم تقديم الاعلى كما في البسملة وهذه أمور متكلفة لا تنزل ساحة التنزيل فالوجه ما قدمناه * الثاني ان في قوله آواه الله على احدى النسخ نكتة وهو انه لو قال آواه اليه لزم تعدى الفعل بالواسطة الى ضميره وهو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة في غير أفعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه في نحو قوله تعالى فصرهن اليك فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر فلذا عدل المصنف عنه ولنا فيه كلام فصلناه في كتاب السوانح (وقيل يتيما لا مثل لك) وفي نسخة لا مثال لك (فآواك اليه) أي قيل في معنى يتيما انه لا نظير له من قولهم درة يتيمة أي لا نظير لها وتسمى فريدة أيضا لانفرادها عن نظائرها أي عمك عديم النظير لانه كان واحدا في قريش بل في جميع الخلق قال التجاني وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروى وجعله في الكشاف من بدع التفاسير وفيه ما تقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى آواك اليه كما ر اصطفاك أو ضمك الى عمك ونحوه ففي مرجع ضمير اليه وجهان وفي نسخة لا مال لك قيل ويؤيده ما في المعالم من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين مات أبواك واورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة لذكره مع أن اليتم لا يدل على الفقر وأجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب في رعايته وكفالته فالمنة في ضم اليتيم بدون المرغب أتم والنعمة أعظم وأعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية والثاني لذاته (وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما) حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل عليه ان وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفه عن ظاهره ولذا حمله بعضهم على فقده في صغره أو خطوه في الطريق في سفره كما مر وقال التجاني هذا القول لا يساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب على عامله والفاء العاطفة لا الزائدة كما في قوله تعالى وربك فكبر مع وجود عامل مقدم ملاصق وهو مما لا تجوزه النحاة ولو جعل وجد متعديا لاثنين حذف أحدهما أي وجدك رحيما فآوى بك يتيما ومهديا فهدى بك ضالا لكان أقرب وأكثر النحاة أبوه أيضا وقيل في توجيهه

(وقيل يتيما الامثال لك) أي لا نظير يماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء أي محفوظة ممنوعة معصومة عن أن يكون لها نظير في الصورة والسيرة وفي الكشاف أنه من بدع التفاسير ومعناه ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير (فآواك اليه) والوجود في السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثواني له أو بمعنى المصادفة فهي أحوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية في كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى أن الواو لا تفيد الترتيب في العبارة وأما الترتيب الذكري في السورة فهو على وفق الوجود الوقوعي حيث يوجد اليتم قبل البلوغ وبعده تتحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العلمية (وقيل المعنى ألم يجدك) أي والناس في ضلال (فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا) أي فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير أيضا وان كان يلائمه في الجملة ما بعده من بقية السورة وهي قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وتذكر حال يتمك وأما السائل لكونه فقيرا فلا تنهر فلا تزجر ولا تقهر وتذكر حال فقرك وأما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع ويمكن أن يكون مرتبا بان يكون المراد سؤال العلم كما هو قول أبي الدرداء وغيره وأن التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن أن يحمل على المعنى الأعم ويستفاد منه المراد الاخص والله تعالى أعلم بمراده في كتابه

(٢) وعدم المعين نسخة

(ذكره) بتشديد الكاف أى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تذكير امتنان لا ناشئا عن نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة والعطية وانه بكسر الهمزة والواو للحال أى الشان أو الله سبحانه أو هو صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير) أى بناء على ما علم من انواع التفسير على ما سبق من التحرير (لم يهمله) من الاهمال أى يتركه ربه تعالى (فى حال صغره) أى جهله (وعيلته) أى فقره (ويتمه) أى فقد أبيه (وقبل معرفته) أى وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله ولا تركه ولا دفعه (ولا قلاه) أى ولا ابغضه ولا قطعه (فكيف) أى حاله (بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله واعلامه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه فى أزليته قبل ظهور بدايته بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية وآدم منجدل فى طينته أى وآدم مراد ايجاده منهما فى وقته فلا بينية والانجدال حال نبوته ثم اعلم أن ملخص الاقوال فى تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى ستة أقاويل أولها انه وجدك ضالا عن الشريعة واحكامها فارشدك اليها بتمامها وثانيها انه وجدك منسوبا الى الضلالة عند الاعداء فبين أمرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم ضلال فارشدك الى ماتميزت به عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج ابنتك فى الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان هذا

ان قائله ذهب لما قاله السدى انه من قبيل خطاب السيد بالعبيد أى وجد قومك ضالين فهداهم وقس عليه أخويه والمصنف رحمه الله تعالى نقله بالمعنى أو القائل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله ألم يجدك هنا تفسير لوجدك بما آل معناه لتقاربهما وفى النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير اما المساوية لالم معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله تعالى ألم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا قال بعض الشراح انه صرف للايات عن ظاهر بلا دليل من غيرها مقتضى (ذكر بهذه المنن) ذكره بتشديد الكاف تفعيل من الذكر أى جعله متذكرا والمنن جمع منة وهى الاحسان وقيل ذكره بمعنى وعظه لان التذكير ورد بهذا المعنى كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أى عظه به والذكر على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها أو تفضيلها وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا وما قيل انه لعدم شعوره بكونها مفصلة على ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سالت ربى مسالة وددت أنى لم أكن سالتها قلت أى ربى قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان عليه السلام ومنهم من كان يحيى الموتى وذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغى ولا دلالة فى الحديث لما ادعاه وما أحسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما أنعم به عليه وقيل انه لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة أو النعم كلها على الاجمال يغفل عن تفصيلها وشكره كذلك أو انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته لنكتة وان سلم أن هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى الوعظ لئلا يغفل فلا تغفل والباء زائدة ثم أخذ فى تقرير دليل هذه السورة على أنه ما قلاه بعد ما اصطفاه فقال (وانه على المعلوم من التفسير) وروى على المعهود فال فى المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتم وأخويه من أحواله لا من أحوال غيره وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهوم من الكلام (لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقيل معرفته به) الضمائر الظاهرة كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ضمير انه فانه لله أو للشان أوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلى بينه وبين نفسه والعيلة مصدر عال يعيل فهو عائل والجمع عالة كما فى المصباح الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله وليست العيلة بمعنى العيال كما يقوله الناس حتى يقال الاولى ان لا يوسطها بين الصغر واليتم والصغر بوزن عتب معروف ومفهوم من اليتم وقبل معرفته تفسير لقوله ضالا ولم يصرح به تادبا وان وقع فى الآية موقعا حسنا والضلال قد يراد به ما وجد من غير قصد ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبياء وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد كما فى هذه الآية ونظائرها كقوله تعالى فعلتها اذا وأنا من الضالين ولله أن يقول فى حق عباده ما شاء وليس لنا أن نقول مثله الا على سبيل الحكاية ألا ترى ان السلطان يدعو أكبر خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعده تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك أدب يغضب به كذا فى عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروى المراد قبل أن يعرف الشرائع والاحكام كقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وليس فى على استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عال مرتفع كما قيل (ولا ودعه ولا قلاه) أى ما تركه ولا أبغضه فى هذه الحالة وهذا مفهوم مما فى ضمنه اذ لو كان هذا لما هداه الى ما هدى واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه (فكيف بعد اختصاصه واصطفائه) كيف للاستفهام الانكارى على من قال انه ودعه كقوله تعالى كيف تكفرون بالله أى فى أى حال يكون

هذا بعد اختصاصه بسمى زيادة قربه أو جعله مخصوصا بفضائله الجليلة واصطفائه أى اختياره من بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك فى عالم الشهادة وتقرير الدليل على ماقاله الامام ان كمالك وعبادتك بعد هذه الامور أتم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلى فبالاولى ان لانتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه لايناسب تفسير الغنى بالغنائم ونحوها ممالم يتحقق بعد النزول فان جعلت بمنزلة المحقق اذلا بدمن تحقق أمر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والاثبات والمحلز المذكور لايفيده فالاظهر فى الاستدلال بالمعنى حينئذ ان يقال سنخصك بالطاف جليلة أو انا قدرنا لك ذلك فلانتركك ولا نبغضك لانه مناف له فتدبر * أقول الثابت فى كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبياء وكمله تلميذه الخوى فنسبة ماذكر للامام لاينبغى وما أورده عليه غير وارد لانه ليس فى تفسيره المذكور تعرض للغنى فكيف يلزمه بمالم يقله ومن نظر تفسيره عرف ماقلناه (السادس أمره) أمره بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه به بعض الشراح أو الفعل الماضى كما فى المقتنى والاول أظهر ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما فى قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا لاقرينة تدل عليه (باظهار نعمته عليه) هو عام شامل لجميع ما أنعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة أو القرآن والاظهر الاولى هو الاول والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو عام لامته تعليما لهم والتحديث بالنعمة شكر لها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثناء على نفسه وذكر محاسنه وفضائله فى مواضع استثنوها من الاصل الغالب على الكمل من هضم أنفسهم وروى عن على كرم الله وجهه انه قال اذا أصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره ونوزع فى أمر وللسيوطى رحمه الله تعالى تاليف فى هذا اسماه نزول الرحمة فى التحدث بالنعمة وقد روى مثله عن كثير من الصحابة وأمره تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتحدث بما أولاه يقتضى تعظيمه لان من أمر غيره بشكر نعمة من نعمه انما يأمره فى العادة بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على أمر حقير وهذا يقتضى عظم الامور أيضا وقال بنعمة ربك دون بنعمتى اشارة الى انه رباه وفيه أيضا اشارة الى عظم قدره عنده وعنايته به ففى هذا تعظيم ليس فى الامرين الآخرين ولذا لم يذكرهما المصنف رحمه الله تعالى فاندفع ماقيل من أنه بقى هنا شئ لم يذكره وهو ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الى آخره وخص اليتيم لانه لاناصر له الا الله والسؤال ذل وكسر وهما منت وبان بالفعل بعدهما بتقديرمهما يكن من شئ فاما الى آخره فلا حاجة لما تكلف فى الجواب عنه (وشكر ماشرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله وأما بنعمة ربك فحدث) مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان اظهار النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض آخر يكون شكر النعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن الاعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امره وما بعده (فان من شكر النعمة التحدث بها) اتى بمن التبعيضية اشارة الى ان للشكر طرقا آخر هذا منها كاظهار الملابس والمطاعم والمراكب وفى الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا أنعم الله على عبد بنعمة أحب ان يرى أثرها عليه وماذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم (وهذا خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته)

المشرك لايتزوج المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول أهل السنة فى هذه الآية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة تاركا الطريق وذلك عليه وبينه أو اشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه الى جده عبد المطلب وسادسها انه وجدك ضالا أى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الآية هو المعول كما بينه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (السادس) أى من الستة (امره) فعل ماض على ماصرح به الحلبى والاظهر انه مصدر مضاف الى مفعوله (باظهار نعمته عليه) مصدر مضاف الى الفاعل عام فى جميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد قد تفيد العموم (وشكر ماشرفه به) أى ما أحسنه اليه وعظمه لديه (بنشره) أى بسط ماشرفه به واظهاره تبجحا بالنعمة وقياما بشكر المنعم لا افتخارا بالعطية والحال المال (واشادة ذكره) أى وتشهير ذكر ماشرفه به ورفع قدره وتعظيم شانه واعلاء امره وبيانه وتعريف حاله (بقوله وأما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها) لحديث التحدث بالنعمة شكر وفى نسخة التحديث وفى أخرى الحديث ومن التحدث بها اظهارها فى الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا أنعم الله على عبد أحب ان يرى أثر نعمته عليه (وهذا) أى أمره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانه امامهم فامره كامرهم وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرآن المشتمل على البدائع والاولى حمل الآية على عموم النعمة ولعل هذا منشا ماكان بعض الصالحين يخبر بجميع مايفعله من الطاعات للسالكين كانه ينحو الى انها نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد قصد ان الناس يقتدون به فى فعلها

(وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال أي متعاليا عما لا يليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم) أي في المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) أي من جملة الاقاويل قولهم (النجم على
ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم أو الثريا لغلبته عليها وهي سبعة كواكب على ما ذكره السهيلي ولا يكاد يرى

الاشارة الى الامر المذكور أي بحسب الظاهر والمورد خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المامور
بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان أمره أمر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصائصه صلى الله
تعالى عليه وسلم فهم مامورون بهذا الامر أو بامر آخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر لانه واجب
عليهم تكلف (وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من آيات ربه الكبرى) فقوله تعالى جملة معترضة
وقيل انها حال لازمة من فاعل قال أي متعاليا عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الآية لتضمنها القسم لاجله
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم استطرد فذكر ما معها من الآيات استقصاء لما فيه تعظيمه (اختلف
المفسرون رحمهم الله تعالى في قوله تعالى * والنجم اذا هوى * باقاويل معروفة) أقاويل جمع أقوال
جمع قول فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين أو بمقدر من جنسه لانه يقال
فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا أظهر مما قيل ان تقديره اختلافا مصحوبا باقاويل أو مفصحا
عن أقاويل واذا في هذا ونحوه قيل انها الحال ظرف للقسم أو كائنا المقدر وليست للاستقبال لان أقسام
الله قديم وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم الانشائي لان القديم لا زمان له لتقدمه على الزمان فهو
متعلق بكائنا باق على استقباله بدليل صحة مجيء الحال المقدرة وأجاز بعضهم ان يكون متعلقا بالعظمة
المفهومة من القسم فالمعنى اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان أريد بالنجم الجنس وهو غروبه فعظمته
دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان أريد القرآن المنجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام
وان أريد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته بتكريم من هو أعظم من
كل عظيم كما قيل وفسر الهوى بالطلوع أيضا أقول هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظه أو معناه
النفسي وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره
لان علم شيء في زمان لا يقتضي أن يكون ذلك العلم في ذلك الزمان كما حققه علماء الكلام وهذا المقام لا يسع
تفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته غني عن البيان (منها النجم) محمول (على ظاهره) فيراد به جنس النجم
أو الثريا أو الزهرة لان من المشركين من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف
في عددها على أقوال قيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل احدى عشر نجما وقيل اثني عشر والنجم
صار علما لها بالغلبة وفي الحديث ما طلع نجم فظاهر وفي الارض من العاهة شيء والهوى الغروب أو
الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني مفهوما من النجم لانه يقال نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه
مخلوق بديع دل على صانعه وقدرته وكذا في الهوى بمعنييه (ومنها القرآن) لانه نزل نجوما متفرقة
بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه نجوم القرآن من قولهم نجم الدين اذا جعله حصصا ومن الغريب
ما قيل انه الصحابة رضي الله تعالى عنهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابي كالنجوم حكاه
التجاني هنا وهو يوهم موتهم على هذا وهو بعيد (وعن جعفر بن محمد) الامام الصادق تقدمت ترجمته
(انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ولم يقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته
له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيها والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به قوله
واحد وهو أمر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشري لقول البحتري * وثنايا لك انها أغاريض *
فانظره في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح وقد تقدم تفسير هويه على هذا (وقال)

السابع منها لخفائه وفي الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى في بصره كما ذكر ابن خيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوي في تفسيره أو الذي يرجم به فهواه غروبه أو انتشاره وانكداره يوم القيامة أو انقضاضه أو طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) أي من جملة الاقاويل أن النجم هو (القرآن) لانه نزل منجما في دفعات متعددة وأوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا أقسم بمواقع النجوم الآيات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما ورد عن سيد الائمة أصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره في عين المعاني قال الدلجي فالهوى على هذا كناية عن الموت يعني أي
موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء أعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور
والعلو (وعن جعفر بن محمد) أي الصادق (انه) أي النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجي وكثيرا ما يذكر المصنف السلام
بدون الصلاة مع كون افراد أحدهما مكروها قلت المحققون كالجزري وغيره على انه لا يكره وانما الجمع أفضل (وقال) أي جعفر

(هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنار منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلني نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر في معنى النور وأما على ارادة قلبه فلعل المراد بهواه ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه في حبه ويؤيده ما قلناه من ارادة كله قوله (وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق) أي البادي ليلا وأصله السالك الطريق وخص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه

(وما ادراك ما الطارق) أي أي أشيء أعلمك انه ما هو يعني انه شيء عظيم لا يعرفه أحد ثم بينه انه (النجم الثاقب) أي المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أي (أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عبر عنه أولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين حكاه السلمي) أي نقله في تفسير الحقائق (تضمنت) فقد جمعت (هذه الايات) أي من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) أي الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين أي الشيء الكثير الذي لا تنقطع مادته وأصله في الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (ما يقف) أي العد الذي يقف (دونه) أي ينقطع قبله والضمير للعد وقال الدلجي أي يقف دون كل منهما (العد) بالفتح الاحصاء والاستقصاء والعد أيضا العدد هذا ولما نسبت الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ما ينطق به انما هو عن الرأي والهوى رد الله عليهم وكذبهم (وأقسم اسمه) أي عظم كسماه (على هداية المصطفى وتنزيهه) أي براءة ساحته وأغرب التلمساني حيث قال أي تعظيمه (عن الهوى) أي فيما أخبر به للورى (وصدقه فيما تلا) أي قرأ (وانه متلو) أي وحي يوحى

أي جعفر مرة أخرى وفي نسخة وقال سهل وتقدمت ترجمتهما (هو قلب محمد عليه الصلاة والسلام) اطلاق النجم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر كما أطلقه الشراح وأما اطلاقه على قلبه فلا اشراقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وقيل انه النبات الساقط على الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقديره ورب كما مر وذكر المصنف رحمه الله تعالى السلام دون الصلاة وقد قيل كما مر انه مكروه كعكسه مع ان الذي في النسخ الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به ولم يكتبه أو مذهب المصنف رحمه الله تعالى عدم كراهته (وقد قيل في قوله تعالى السماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم) الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بشدة اضاءته والطارق أصل معناه من يأتي ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا أو الارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه الطريق لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكل ما يرى ويظهر ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري أراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظيم قدره ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره (ان النجم هنا أيضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وذكره لان الله أقسم به على حفظ كل نفس فكيف عن هو أنفس الانفس فهو اشارة الى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تأييدا لقول جعفر فلا وجه لما قيل من أن الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق ولا للقول بانه اشارة الى عدم الاستيفاء أو أنه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم أتى وقد دجى الكفر وأظلم أو لان معناه سالك الطريق كما قاله الراغب (حكاه السلمي) بضم السين وفتح اللام وتقدمت ترجمته (تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد) التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه أي اشتملت أو وفيت بها كما في الضامن بما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدائم الجريان الذي لا تنقطع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منهما وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع به مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض وفيه تجنيس (ما يقف دونه العد) بالفتح والتشديد بمعنى العدد والاحصاء برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمناقبه فبعد عنه حتى أعيي وانقطع دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقديره صاحب العد يذهب برونق الكلام ومائه ودون هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد

ان امرء القيس جرى الى مدى * فاعتاقه حمامه دون المدا

وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة (واقسم جل جلاله) هو كجد جده كما مر وفي نسخة جل اسمه (على هداية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى) هذا ما دل عليه قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى نفي الضلال والغواية فهو كناية عن الهداية وان توهم في بادي النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهدي لكنه لما أكده بنفي الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى ولا نطق به على منوال قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * ولذا ذهب المفسرون لما ذكر والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب الشهوات (وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى) فيما تلاه متعلق بصدقه

أو تنازع فيه هو وما قبله والذى تلاه هو القرآن والتلاوة فى عرف اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذا تبعه وهو وحى متبع وضميرانه راجع لما هو القرآن والوحى يطلق على معان كالكتابة والاشارة والرسالة والالهام ونحوه مما فيه خفاء وأتى بيوحى بعد الوحى للتاكيد ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيا فشيا كما يشير اليه النجم أو الاول بالمعنى اللغوى فهو تاسيس وقيل الوحى كل ما ينطق به وانه يجوز فى قوله تعالى ان هو الى آخره أن يكون استثناء فاغير مقسم عليه وفى ضمير ينطق أن يكون للقرآن و يمكن تطبيق كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه ولم يذكر الحصر المذكور فى النظم اشارة الى ان فحوى الكلام يفيده لان المقصود نفى وجوه البطلان واذا بين انه وحى أكد على وجه دل على هذا كما لا يخفى فلا يرد عليه ما قيل انه أخل بالحصر والقسم به على الاثبات والنفى الذى أفاده قوله تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو أنسب بتعظيم القرآن الذى جاء به النظم المقتضى لتعظيم من جاء به وتبجيله وهو المناسب لما قصده المصنف رحمه الله تعالى ثم أتى بكلام أوهم انه أبو عذرته ماله ما ذكرناه وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله تعالى ان هو الا وحى الى آخره مع انه لم يدخل به القسم ولم يعطف على مدخوله وجوابه والجواب انه بيان لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحى متلو هو القرآن أو ان كل ما ينطق به مما يتعلق بالدين وحى من عند الله ولذا رجح القسطلانى عود ضميره الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وكل منهما وحى من عند الله ولذا فسر قوله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت تنزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينزل القرآن (أوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الشديد القوى) أى أوصل الوحى بمعنييه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد به القرآن فلا خلاف فيه وان كان كل ما ينطق به فهو على التغليب أو المراد انه أوصله بواسطة غيره أو بلا واسطة والشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لفاعلها أى قواه شديدة والقوى جمع قوة وأصل معناه طاقة الحبل المفتول وجبريل عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله ما لا يقدر غيره على تلقيه والقوة الحسية لقلبه قرى قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكه بعض القوم بصيحة منه ونزوله من فوق السموات الى الارض فى أقل من طرفة عين وقيل الشديد القوى هو الله العظيم القدرة (ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا) الباء للالصاق متعلقة باخبر او للتشبيه بقصته وثم للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها الزيادة شرفها والاسراء اسراه من مكة للبيت المقدس والمعراج عروجه منه الى الملأ الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثانى وان كان كل منهما يطلق على الآخر والفضيلة ما أكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه غيره وابتداء القصة من قوله فاستوى الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الى آخره فانها فى المعراج فى قول طائفة قيل والاصح أن قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى المراد به رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية ويؤيده ان ما قبله ليس حكاية عما فى المعراج على رأى الاكثرين ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لتفصيله بل أتى بثم معقبا بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) السدرة واحدة السدر وهى شجرة النبق وهذه من جنسها ولذا ورد فيها أن نبقها كقلال هجر وهى عن يمين العرش وورد انها فى السماء السادسة والسابعة ووفق بينهما بان أصلها فى السادسة وفروعها تنتهى للسابعة وأضيفت للمنتهى بمعنى الانتهاء أو محله لانه ينتهى اليها علم المقادير أو الارواح أو الملائكة وسياتى تفصيل حالها فى مبحث الاسراء وفى الرؤية فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى

أوصله اليه عن الله جبريل) أى علمه شديد القوى على خلاف فى مرجع الضمير المنصوب هل هو القرآن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أى شديد قواه لانه هو الواسطة فى ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعنى شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم أخبر) أى بعد قسمه وبراءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) أى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما أشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) أى بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وهى عند أكثر المفسرين شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق

(وتصديق بصره فيما رأى) أى بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعنى ما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل أو من ذاته سبحانه أى ما كذب قلبه بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم بالبصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ٢١٧ ببصره وأخرى ببصيرته هذا وقيل الضمير فى رأى عائد على الفؤاد نفسه أى ما كذب الفؤاد ما رآه بل صدقه وتحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) أى بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى أى رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية أو كلها فمن مزيدة والكبرى صفة للآيات (وقد نبه) أى الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) أى رؤيته من آيات ربه (فى سورة الاسراء) أى بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا فى المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فى السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) أى الذى رآه (عليه السلام) أى برؤيته بمعنى اطلع عليه ورآه ابتداء لا بمعنى رفع غطاءه وان زعم لانه لو أراد هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ما هنا لك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا أن تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (أو شاهده من عجائب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على أن الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك

عند سدرة المنتهى وفى المرئى اختلاف أيضا هل هو الله تعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية والمعراج هل كان الى السماء أو الجنة أو لما فوقها وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من انتهائه اليها لا ينافى انه لما فوقها (وتصديق بصره فيما رأى) أى تصديق الله له فى رؤيته فى قوله تعالى ما زاغ البصر الى آخره كما سيأتى أى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت فعلا الا أنه يقال صدقت فعله اذا أثبته اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز بصره ما رآه ولم يمل عنه ولم يعدل عما أمر برؤيته ومدح الله تعالى له دليل على عدم خطائه لتركه الالتفات تأدبا فلا وجه لما قيل ان ذلك لا يدل على تصديقه وهذا معنى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أى ببصره مما رأى أى ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر أو ما قال فؤاده لما رآه لا أعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخيلا كما قاله بعض الشراح وقوله وانه رأى من آيات ربه الكبرى اشارة الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لمقدر أو تبعيضية أو زائدة أى رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء الكبرى من آيات ربه وعجائب ملكوته وقال البيضاوى أى والله لقد رأى الكبرى من آيات ربه وعجائبها الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعينة بما رأى والكبرى صفة الآيات والمفعول محذوف أو مفعول ومن آيات حال مقدمة وعلى البيان فهو راء لجميع الآيات وعلى التبعيض المرئى بعضها وزيادة من فى الاثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه رأى ما رأى مما لا يمكن وصفه قيل والاضافة الى الرب تدل على انها غيره ولو رآه لكان الظاهر ذكره دون آياته قال صاحب الكشاف وفيه كما قيل نزعة اعتزالية وفيه نظر (وقد نبه على مثل هذا فى أول سورة الاسراء) ضمير نبه لله تعالى والتنبيه يكون بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل ومطلق البيان وهو المراد لكنه ايماء الى كونه بالليل يشير الى قوله فى أول سورة الاسراء لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لانه فى سورة النجم ذكر تحقق رؤيته بخلافه هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده ولقول المفسرين ان المعنى لنريه من آياتنا برؤية السموات وما فيها من العجائب ومشاهدته البيت المقدس ومقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومواطن عباداتهم وتمثلهم له وبينهما مناسبة بدلالتهما على رؤية الآيات الكبرى الا أن فيها اشارة باضافة الاراءة له بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفى على من له ذوق وافتتحها بسبحان الدالة على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءة ساحته عن استبعاد ما استبعدوه حتى قالوا ما قالوه (ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت) لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع الغطاء والكشف عن الشئ يقتضى معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله (وشاهده من عجائب الملكوت) عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب أن يقول فشاهده لان المشاهدة أثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راعى السجع اذ لا يصح أن يقال رفع غطاء ما هنالك من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت واطلع عليه لا رفع غطاء

والجبروت فعلوت بفتح الفاء والعين ولام مضمومة يليها واو وساكنة وتاء طويلة وتسكين الباء والهمز غلط كما قاله ابن مكى فى تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما فى القاموس وله معنى آخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعانى لايشاهد ولو أبقى على ظاهره جاز وقيل لطلمكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليسا صلة لموصول واحد بل المراد الجنس الذى كاشف بعضه وشاهد بعضه أو انه يقدر موصول بناء على تجويز حذفه مع بقاء صلته وهو تكلف لاحاجة اليه ومر أن الملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل وكان الاظهر أن يقول وعجائب الملك والملكوت وفيه نظر (لاتحيط به العبارات) والعبارة اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال الله تعالى الاعابرى سبيل أطلق عليه لتوهم ان الفهم يعبر به وفى المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكى فى المحكم فتحها أيضا انتهى أى تقصر العبارة عن آدائه لكثرته بحيث لاتفى العبارة بتفصيله وهو على اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى ماشاهده وقوله (ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول) ناظر الى ما كاشفه على اللف والنشر المشوش وهو مبنى على تغايرهما كما مر وتستقل استفعال من أقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون الاستفعال من القلة أى عده الشئ قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

ربما نصر الصديق المقل * عن حقوق بهن لايستقل

وهذا هو المراد أى لايقدر على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول أى لاتطيق العقول غير عقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حمله وأدنى أفعل تفضيل بمعنى أقل أى لايقدر على أقله فضلا عن كله وأكثره وفى كلامه مبالغة واغراق حيث أضاف الحمل للسماع وهو كالتحمل لنقل الحديث يعنى ان التعبير عنه غير ممكن ولو أمكن لايتحمله ويعيد سامعه (رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم) جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز فى الاصل الاشارة الخفية بالعين أو الحاجب ونحوه والايماء الاشارة بالرأس يتعدى بالى قال الشاعر * رمزت الى مخافة من بعلها * والمصنف رحمه الله تعالى عداه بعن لتضمينه معنى التعبير والكناية فى عرف أهل المعانى ماراد به لازم معناه الحقيقى مع جواز ارادته وعند أهل الاصول مايقابل الصريح وهو المراد هنا يعنى انه أتى بالموصول الاسمى المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى أنه لايدرك كنهه كقوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم وقوله وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

مع ترك المفعول أيضا وهذا مما اتفق عليه النحاة وأهل المعانى الا أن فيه اشكالا لانهم اشترطوا فى الصلة أن تكون معروفة معهودة حتى يتعرف بها الموصول فاذا كانت مبهمة لم يعرف معناها حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما اذا لم يقصد ابهامه لايجدى نفعا وان تبعه من بعده كالدمامينى فالتحقيق أن يقال الاتيان بها مبهمة من أعلى طبقات البلاغة لان الذهن يذهب كل مذهب فيقع فى النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذه الطريق ويرتسم فى ذهنه أشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه (فقال تعالى * فاوحى الى عبده ماأوحى) هذا وماسيأتى تفسير وتفصيل للرمز عما كشفه وشاهده مع الاشعار بما فى الابهام من التعظيم وقيل ان هذا مبنى على ان الكبرى صفة الآيات ومن تبعيضية وفاعل أوحى الاول والثانى رب العزة أى أوحى الله ماأوحاه الى نبيه عليه الصلاة والسلام أو هما ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام لان الاول لله والثانى لجبريل أو العكس وان كانت مافيهما مبهمة ظاهرا وكلام المصنف فى الباب الثالث يقتضى اختلاف الضمير فيهما * أقول يعنى انه على بعض

العالم السفلى والملكوت العلوى (لاتحيط به العبارات) أى لاتشمله أنواع التعبيرات ولاتحويه أصناف التفسيرات لقصور الافهام على ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولا تستقل) بتشديد اللام أى لاتستبد (بحمل سماع أدناه) أى أقله (العقول) لعجزها عن حمل أقله فضلا عن حمل أكثره (رمز) جواب لما أى أشار الله سبحانه وتعالى (عنه) أى عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز فى الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز واوما وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) أى جبريل أو الله تعالى (الى عبده) أى عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ماأوحى) أى شيئا عظيما لايعلم كنهه سواه ففى ابهامه من التفخيم ماليس فى ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ماأوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم أوحى الى عبده أن لايدخل أحد من الامم الجنة قبل أمته ولعل المعنى ان هذا من جملة ماأوحى اليه الوجوه

(وهـذا النوع) أى الرمز بالـكناية والايماء (من الـكلام) أى من أنواعه (يسميه أهـل النقد) أى النظر السـديد (والبلاغة) أى الفصاحة والمراد العـارفون بجيد الـكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحى والاشارة) أى هنا لعدم الصراحـــة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذهما أحد ماصـدقاته كالـكناية والالهـام والكلام الخفى قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) أى النوع المسمى بهما (عندهم أبلغ أبواب الايجاز) أى من حيث انه جوامع الكلم المشابهة لـكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسـيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الـفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه أو مساوله أو زائد عليـه ايجاز أو مساواة أو اطنابا وأعلاها الاول من حيث ان المعانى هى المقاصد والعبارات طرق لهـا فـكلما قلت العبارة كان ذلك كالقـرب فى الطـريق فكان أحق بالسلوك ويليه المساواة فى الاستحسان لاقتفائها له فى القرب وأكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالبعـــد فى الطريق فـتراه متروكا غالبا الافيما يحتاج ليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيـد ولـكل مقام مقال بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم

يومون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ جيفة الرقباء

(وقال الله تعالى لقـد رأى من آيات ربه الـكبرى) أى الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة عن ازالة الوهم المسـتولى على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمعنى كلت العقول

الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند أهل البلاغ الآتى ذكره كما صرح به القائل والصور على هـذا اثنى عشر وجها تجرى فى هـذه العبارة من ضرب وجوه من الثـلاثة فى أربعـة جاءت من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها فى وجهـى الـكبرى كانت أربعة وعشرين ولـكن ماقاله لا وجه له فان البلاغة والمبالغة انمـا جاءت من الابهام وهو موجود فى سائر الوجوه لدلالتها على ان ما أوحى اليـه لا يحيط به نطاق العبارة ولا تسـعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على شرفاته الانفس القدسـية (وهذا النوع من الـكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الايجاز) الايمـاء أو الاشارة والوحى كلها بمعنى واحـد هنا وهذا نوع من محاسن الـكلام البليغ صرح به المبرد فى كامله وسماه الايمـاء وصرح به التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام وفى الـكشاف اشارة اليـه وقد وقعت هذه التسمية فى كلام العرب أيضا كقوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى المريب مخافة الرقباء

وهو أن يقصد بالـكلام معنى غير ماوضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه أهـل اللسان الاذكياء ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله * جاؤا بمذق هل رأيت الذيب قط * فانه أراد انه مزج بماء كثير حتى مال الى لون الذيب ثم كنى به عن لومهم وبخلهم ومنه قول المنازى فى صفة واد

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد صرح به أهل المعانى قال أبو هلال فى كتاب الصناعتين فى فصل عقده بهـذا الاشارة أن يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها ولمحـة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى وقول الناس لو رأيت عليا بين الصفين انتهـى ثم أورد له أمثلة وشواهد كقوله * أتعيرنى وأنا أنا * وقوله هذا رجائى وهذى مصر معرضة * وأنت انت وقد ناديت من أنت

كما فصلناه فى طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا لمـا قال تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى قصد انه أوحى اليه باسرار عجيبـة بواسطة غير البشر وبغير واسطة لا يمكن تفصيلها ولا تقدر العقول على ادراك حقائقها وأراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله وله من الزلفى والقرب منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبى فى مقامه الى غير ذلك من المعانى التى لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لمـا لم يقف على مراده قال تسميتـه بالاشارة واضح لـكن الذى عليه أهـل البلاغة انه تفخيم نحو فغشيهم من اليم ماغشيهم وأما تسميته وحيا فلعله اصطلاح قديم وهو نـكتة لايراد المبتدأ موصولا والابلغية فيـه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت فى شئ واحـد علمت ماهو كراهة أن يطلع عليـه غيرك فـاذكره ممنوع وتعقبـه أى المصنف رحمـه الله تعالى من قال انه أتم أنواع الايجاز لاداء المراد بلفظ أقل من المتعارف فيـه وقد ترك المصـنف رحمه الله تفصـيله لعظمته فمنع منعه وزعم دفعه بمـا لا محصـل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له أضربنا عنه لعدم فائدته والعجب من عدم اطلاع هؤلاء وخبطهم خبط عشواء والنقد تمييز الجيد من الردى بنظر شديد ففيه استعارة لتشبيه الـكلام بالذهب ونحوه والعارف به يسمى بالصيرفى وقوله وهذا النوع اشارة الى هـذا الـكلام وأمثاله أو الى النوع الذى فى ضمن جزئى من جزئياته فلا يرد عليـه أن ماذكر ليس بنوع بل كلام لشخص والمراد باهـل البلاغة البلغاء أو العلماء بعلم البلاغة والبلاغة عندهم معروفة (وقال تعـالى * لقـد رأى من آيات ربه الـكبرى * انحسرت الافهام

عن تفصيل ما أوحى وتاهت الاحلام فى تعيين الآيات الكبرى) انحسر بمعنى أعيى وكل وتاه من التيه وهو الضلال فى الطريق والتحير والافهام جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة قفل وهو العقل ويكون بمعنى مايراه النائم وليس مرادهنا خلافالمن توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك فى الطريق الطويلة التى يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه وانحسر مناسبة تامة والتفصيل التمييز وضد الاجمال والتعيين تحقيق عين الشئ وفى ذكر التفصيل مع الانحسار والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك الآيات لجميع مارأى وقيل للمرئى منها وهو آيات كبرى لا الى جميعها لما مر من ان احتمال رؤية البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه وان كان خلاف الظاهر مع أن التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول به الذى هو بعضها واعتبار ان التقدير * لقد رأى من آيات ربه الكبرى مارأى وفيه نظر (قال القاضى أبو الفضل) وهو المصنف عياض رحمه الله تعالى (اشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم يكن كل واحدة منها مشتملة عليه والتزكية تطهيره عن النقائص البشرية وجملة ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذا أخبر الله تعالى بذلك فقد جعله زكيا (وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى) العصمة من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة والمسرى مكان السرى أو نفس السرى على انه مصدر ميمى والآفات جمع آفة وهى مايعرض من المفاسد ولما أخبر الله تعالى فى هذه الآيات بما حصلت به التزكية كان كانه أعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه) قال السيوطى رحمه الله تعالى وقع فى نسخة وزكى بالواو والصحيح انه بالفاء التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيرى كما يكون بالفاء يكون بالواو كما فى قوله تعالى انما أشكو بثى وحزنى وقد يكون أبلغ اذا قصد انه لمغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفؤاد القلب عبر به أولموافقة الآية وعبر بعده بالقلب فرارا من صورة التكرار وقيل الفؤاد وعاء القلب فذكر المحل وأراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل ويجوز ارادته هنا والاول أصح وأوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهى العضو الذى يكتسب به كما فى الصحاح ويعلم ماجرحتم أى كسبتم والظاهر اختصاصها بالاعضاء الظاهرة كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور أو على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل المراد بعض جوارحه أو هو بناء على ان أقل الجمع اثنان أو هو بالنظر لكل من المعنيين أو لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع أو عبارة عنه لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وماعداهما تبع لهما والذى فى نسخ الشراح هنا (قلبه بقوله ما كذب الفؤاد مارأى) بدون اتيان واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد جوز فى مثله أن يكون بدل كل وبعض بتقدير ضمير أو بدونه وفيه كلام فصلناه فى غير هذا الكتاب وفى بعض النسخ وقلبه بالواو على نهج مامر فى العطف التفسيرى وروى فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر أو هو استئناف جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الى آخره والمقام مقام بسط وتطويل وهو مقبول من مثله فالقول بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الى آخره مع نصب القلب ومابعده كان أولى وأخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم وقيل المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه أى اعتقده وهو غير مقبول عند المصنف رحمه الله تعالى لانه يأباه مازاغ البصر وماطغى

(عن تفصيل ما أوحى) أى اليه اذ لا يحيط به حد ولا يحصيه عد والمراد بتفصيل الشئ بيان أجزائه مفصلة وأغرب التلمسانى حيث فسره بالتمييز (وتاهت الاحلام) أى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الآيات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة فى تعبير تلك الآيات أى تبيينها وتفسيرها والعقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى أبو الفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) أى دلت (هذه الآيات) أى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله أى على أخباره سبحانه وتعالى (بتزكية جملته) أى بتطهير ذاته وتنمية صفاته عليه السلام (وعصمتها) أى بحفظ الله جملته (من الآفات) أى التى تجرى فى الذوات (وفى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى أو اسم مكان (فزكى فؤاده) أى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) أى اعضاءه التى يكتسب العمل بها وينتسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما أجمله والظاهر كما فى أصل الدلجى وغيره فزكى قلبه (بقوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى) وتقدم ما تعلق به من المعنى

وقال

(ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) أى لا يصدر نطقه عن هواه بل بوحى من الاله جليا كالكتاب أو خفيا كالسنة وقد تعلق بظاهر الآية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد وعن استنباط المعنى المراد وأما ماذكره ابن عطية من ان ضمير ينطق عائد الى القرآن وان لم يجز ذكره لدلالة الكلام عليه أى لا ينطق هذا القرآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث يفهم منه الامور كلها قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فغير ملايم لمقام المرام (وبصره بقوله تعالى مازاغ البصر) أى ما مال عما رآه الى ماسواه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يحول بصره عما رآه الى جهة من الجهات (وما طغى) أى ما تجاوز وما تعدى عن رؤية ما أمر برؤيته غيره فى مقام الاعلى بل تثبت فيه ورآه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقى الكلام على بقية الآيات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذو مرة فاستوى فظاهره أن الضمير فى استوى لجبريل عليه الصلاة والسلام والكناية بقوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عكس الترتيب فى هذا التركيب ولا يبعد أن يكون الضمير أن يرجعان الى أحدهما والجملة حالية وأما جعل الضميرين لله سبحانه وتعالى فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى فتدلى أى دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد فى القرب وقيل أى دنا محمد من ربه فتدلى وأما قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى أى مقدارهما بل أدنى فهو كناية عن كمال قرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله ورسوله فهو كناية عن المكانة أو من الآية المتشابهات وقد ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم فى رسالتى المعمولة للمعراج (وقال الله تعالى فلا أقسم بالخنس) أى بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماعدا النيرين وهو زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ومجموع السبعة السيارة نظمت فى قوله (زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد أقمار) * (الجوار الكنس) أى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه أى بيته (الى قوله تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (رجيم) أى مرجوم ومطرود ومبعد وما بينهما قوله سبحانه وتعالى والليل اذا عسعس أى أقبل أو أدبر والاول أنسب بقوله تعالى والصبح اذا تنفس أى أسفر قال المصنف (لا أقسم أى أقسم) يعنى على القول بزيادة لا والا فالمعنى فلا عبرة بما قالوا فى حق القرآن وفى شان المنزل عليه بل أقسم أى عاذكر (انه) أى القرآن (لقول رسول) أى قاله عن ربه (كريم) أى مكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى

وقال المفسرون ان القلب لم يوهمه العين ولم ينكر ما رآه ويلزم من تزكيتها تزكيته فلا يقال ان التزكية حينئذ للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده للذى رآه بصره لم أعرفك كما قاله القاضى ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المزكى الرب أو غيره وسيأتى تفصيله والمراد نفى الخطاء عن اعتقاداته (ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى) وهذا وان لم يكن مخصوصا فيكفى شموله له الا اذا خص بالقرآن كما ذهب اليه الاكثر الا أنه بنى كلامه على بعض الاقوال (وبصره بقوله مازاغ البصر وما طغى) أى ما مال بصره صلى الله تعالى عليه وسلم يمينا ولا شمالا ولا تجاوز حده فى نظره لما هو أمامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية له وبيان لثبات جنانه أو كمال أدبه وهو فى رؤيته لربه جل وعلا فى معراجه كما سيأتى (وقال الله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم) هى النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهى ماعدا النيرين من السيارات ولذا وصفها بالجوار لسيرها والكنس التى تغيب فى مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس مقر الظبى كالغيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس تعقر الانف والظباء توصف به والشيطان من الجن مردتهم وقد يخص بابليس من شاط اذا احترق أو من شطن اذا بعد وهو أنسب بالرجيم لانه المرجوم الشهب (لا أقسم أى أقسم انه لقول رسول كريم أى كريم عند مرسله) وهو الله عز وجل فعلى عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره وهو قول لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم ولثبوت الزيادة فى قوله فلا أقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين فى بيان شان القرآن واختاره المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقد له الفصل وأشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم أو اشارة لجواز الامرين أو الفرق بين الموضعين مع ان فى الآية ما يناسب النفى وابهام عدم جواز غيره لا يعتد به وضمير انه للقرآن أولما أخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول المرسل ولم يغير لفظ القرآن كما هو دأبه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم أو الجواد بسعادة الدارين قيل فاعل أقسم جبريل واضافة القسم له لا لقائله له صلى الله تعالى عليه وسلم كلاما مؤلفا ثم صرفه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين وكريم ومكين صفة جبريل عليه الصلاة والسلام على الاصح وقيل المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتفسير المصنف رحمه الله تعالى بكريم عند رسله لا حاجة اليه مع قوله عند ذى العرش مكين والغرض انه عنده غير الاصح ولذا نقله عن الرمانى فيما يأتى * أقول يجوز جعل

(ذي قوة) أي صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا
بصيغة الفاعل على ما ضبطه في بعض النسخ (من الوحي) أي مما أوحي اليه من الحق الى الخلق (مكين) أي ذي مكانة ومنزلة عالية
عارية عن المنقصة في مرتبته (أي متمكن المنزلة) أي الجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش مكين تلويحا
بعظم مكانته ومنزلته وعلو مرتبته كما أشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء وجوز كسرها أي

على الشأن (عنده) أي عنده سبحانه وتعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذي العرش متعلق بقوله تعالى ذي قوة أو بمكين (مطاع) أي ذي اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (أي في السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسراء ملائكة السماء فاطاعوه واجمع في ذلك الانبياء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخي في الرتبة (امين) أي مامون على تحمل ما أوحي اليه وتبليغ ما أنزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال على بن عيسى) أي الرماني النحوي المنسوب الى رمان الفاكهة وبيعه أو اقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من أصحاب ابن دريد مات سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وهو صاحب

ضميرا قسم لله عز وجل واعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى لا وجه له سواء أراد أن المكانة عند الله
يستلزم كرمه عنده أو ان العندية من قوله عند ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما يدل
عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم فتامل (ذي قوة على تبليغ ما حمله من
الوحي) حمله بالتشديد مع البناء للفاعل أي حمله الله أو المفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو
في الاصل استعارة لثقل الامانة وعند ظرف لمكين والقوة معروفة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي
عند السلطان فيتنازع هو ومكين في الظرف أو الظرف صفة أخرى والقوة صفة جبريل عليه الصلاة
والسلام لما حمله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغه لامته
والمراد بالوحي القرآن لقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع
المحل عنده) يعني ان مكين بمعنى متمكن المنزلة أي معظم مبجل رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم
مما مر في اعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم من ان المكانة المنزلة عند الملك كما قيل (مطاع ثم
أي في السماء) ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم مبني على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك وترسم
بالهاء للوقف بها عليه ونقل انه لغة فيه أيضا كما مر ودل على قوله في السماء قوله عند ذي العرش واشارة
البعيد للمقام وهو قريب من قوله في الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بالامانة
وبهما (آمين على الوحي) وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بقبول
القول فصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاطلاق
الامين على كل منهما وكون جبريل عليه الصلاة والسلام مطاعا في السماء أظهر وان قيل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم مطاع فيها أيضا لامامته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها وما جرى بينه وبين ملك
الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر وجوز في ثم أن يكون اشارة للظرف السابق أي مطاع عند ذي
العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد (قال على بن عيسى رحمه الله تعالى) في المقتفي الظاهر أنه أبو الحسن بن
على بن عيسى بن على بن عبد الله الرماني الامام في النحو واللغة والتفسير والكلام له تفسير عظيم لم نقف
عليه وهو تلميذ ابن دريد وروى عنه جماعة توفي ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى سنة أربع
وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وأصله من
سر من رأى والرماني نسبة الى بيع الرمان أو الى قصر الرمان وهو قصر معروف بواسط كما قال ابن خلكان وله
ترجمة في الميزان (الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له
صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة بلفظ بعد ضد قبل أي
بعد ذكره على هذا القول والتفسير ومنهم من قال انه بالمثناة الفوقية فعل مجهول من العدد والجملة خبر
وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به أو بالشيء المقدر وضمير له عليهما أي
على القولين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي على هذا القول الاوصاف المذكورة بعده أو المعدودة للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حتى مطاعيته في السماء كما مر وما قيل من انه في الصفات المذكورة ما يعين انه

كتاب النكت في اعجاز القرآن امام مشهور في سائر العلوم وعن ابن السراج انه مذهب الى الاعتزال والله   جبريل
تعالى اعلم بالحال (وغيره) أي من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى أن يقول رسول كريم (هنا) أي في هذا المقام العظيم
(محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف) أي المذكورة هنا (بعد) أي بعد ذكره وفي نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح
عين وتشديد مهملة أي تذكر (على هذا) أي على هذا القول (له) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(وقال غيره) أي غير علي بن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) أي الرسول الكريم (جبريل عليه السلام ومرجع الاوصاف اليه) أي بخلاف وما صاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه وتعالى عنه ذلك بهذه الآية وبقوله سبحانه وتعالى ما أنت بنعمت ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من أهل السنة في تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام واقتصاره على نفي الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لاعد فضائلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) أي بالافق المبين (يعني) أي يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائي (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل) أي نقل عن ابن مسعود وغيره (رأى) أي محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه أوفى بالغرض الذي هو مدح الرسول (وقيل رأى) أي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورته) أي التي خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض حسبما ثبت في الصحيح (وما هو) أي ليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) أي على ما يخبر به مما أوحي اليه وغيره من الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي (أي بمتهم) يعني من الظنة هي التهمة (ومن قرأه بالضاد

جبريل عليه الصلاة والسلام مبني على الظاهر المتبادر وردوه بان ملك الجبال قال أمرني ربي ان أطيعك ولا يتخلف ملك عن أمره بل الشجر والدواب كذلك لا يخفى ما فيه (وقال غيره هو جبريل عليه الصلاة والسلام فترجع الاوصاف اليه) ضمير غيره هنا راجع الى علي بن عيسى ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولا تابع له أو هو راجع لهما بتأويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذي وافقه على القول المذكور واما كونه هو على ان عنه روايتين في التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم جبريل عليه الصلاة والسلام هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه الواحدي من أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ما أحسن ما أثنى عليك ربك بقوله ذي قوة الى آخره وما من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له هل أصابك من هذه الرحمة شيء فقال كنت أخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الآيتين وعلى القول الاول يحمل ما وقع في خطبة المقامات للحريري فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشي انه عثرة وضعف القول الاول السهيلي بان الآية وردت لتكذيب الكفار أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم تقول القرآن فاضافه الله لجبريل عليه الصلاة والسلام وان كان في الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جاء به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصار كانه قواه فلا يسوغ على هذا أن يكون الرسول الكريم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان رسولا كريما قيل ما ذكره ظاهر ان ثبت انها وردت لهذا الغرض وزدبان لارادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مساغا ولو سلم ما قاله لان مدعى الكفار انه مقال محمد من تلقاء نفسه وقوله انه لقول رسول كريم ناطق بانه قول من أرسله كما مر فينتفي كونه من تلقاء نفسه فتدبر (ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته) يعني الرائي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على التفسيرين واختلف في المرئي فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستمائة جناح ومنه يعلم نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه ويأباه كل الاباء قوله تعالى بالافق المبين سواء كان نواحي السماء أو حيث تطلع الشمس اذ لم يقل احد انه رأى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لربه فرؤيته بالافق كاستوى على العرش أو المراد بالافق الذي فوق السماء السابعة وحينئذ فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة لا المكان أو المراد به المنزلة العالية كما أشار اليه الامام وقولهم لم يقل به احد يرده انه روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم الغيب الغائب عن الحس الذي اخبر به أو ما هو وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن فيستدل به على غيره أو المراد ما غاب عن علمكم فيشمل اخبار عن المشاهد والغائب والظنين بالظاء المشالة ما ينسب الى التهمة للوهم والغلط أو المراد ليس مظنونا به ما نسب اليه مما اتهمته به الكفرة فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه وقرئ في السبعة بالضاد المعجمة أيضا كما أشار اليه بقوله (ومن قرأها) أي الآية أو الكلمة وروي قرأه أي هذا اللفظ (بالضاد) وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن

فمعناه ماهو بخيل) أي (في تبليغ رسالته الى عموم أمته من الضنة وهي البخل بالدعاءبه) متعلق ببخيل أي بدعائه الخلق الى الحق
وفي رواية كما في نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هي من الادعاء اذا قال في الحرب أنا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة
حنين أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) أي وبتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم
أي وليس ببخيل بعلم كونه واجبا أو مندوبا أو حراما أو مكروها أو مباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم

والضنة وهي البخل (فمعناه ماهو بخيل بالدعاءبه والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم باتفاق) الفاء زائدة في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وضمير معناه للفظ أو القول
المذكور وقوله بالدعاءبه الدعاء بالمد بمعنى الدعوة أو المدعو اليه والباء في به على هذه الرواية اشارة الى ان
على في النظم بمعنى الباء أو هي بمعنى الى أو للسببية والمدعو اليه أحكام الشريعة كلها وروى الدعاءله
أو الدعاية بكسر الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه أو الوعظ وحكمه بضم الحاء وسكون
الكاف أو بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ماعلم منه من كل أمر فيه
علم وحكمة أي ماهو ببخيل على الناس في تبليغ ما أوحي اليه وقد أمر بتبليغه وهذه اشارة للآية أو
الصفة على هذه القراءة والاتفاق على هذه بخلاف قراءة الظاء لان هذه العلوم والحكم أمر نفيس فيه
سعادة الدارين ومثله مما يضمن به البشر فنزهه عن مثله لكرم جبلته (وقال الله تعالى ن والقلم وما
يسطرون الآيات) أي اقرأ الآيات الى آخرها أو اذكر أو اعني (اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم
قسمه) أبهم المصنف ذلك اشارة الى عظمته كما والى عظمة ما فيه بناء على ان نون قسم هنا وهي الحرف
أو الدواة أو اسم للسورة فاقسم بالقرآن وما كتب به والقلم هو المعروف أو قلم اللوح وقيل نون الحوت الذي
عليه الارض والقسم على ظاهره أو بمعنى المقسم به (على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما
غمصه) وفي نسخة غمصته (الكفرة به وتكذيبهم له) غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة وغمص
بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم والشئ كذلك وغمص النعم
وأغمصها كفرها وقال التلمساني الغمص بالصاد المهملة العيب والتنقيص وأكثر ما يكون في الدين
وقال ابن حبيب في غريب الموطا الغمض بضاد معجمة أخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد
المهملة اذا صغر الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سواء انتهى فيجوز في
كلام المصنف رحمه الله تعالى الاهمال والاعجام الا ان الاول أرجح وعليه اقتصر الشراح وقوله
وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب الواقع في كلام المصنف كما في بعض الشروح هو قولهم
هذا ساحر كذاب وأجمل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب المضر القادح أو ما كذب به أقول لا يخفى
ان المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر من الآيات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا وليس في كلامه غير
ما أنت بنعمة ربك بمجنون وما قيل أولا لا مساس له بكلامه ونظر المصنف رحمه الله تعالى في مقاصده
دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تعالى أنعم عليه بما علمه وأعطاه من نعم الدارين وأغناه عما سواه ونصره
على أعدائه ومن أوتي مثل هذا لا يكذب فان فعل أو تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل
الحلبي انه تعالى نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الآية ما أنت بمجنون بسبب انه تعالى
أنعم عليك بكمال العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كلا تكذيب لعدم
الاعتداد مع قيام الدليل على خلافه (وانسه وبسط أمله) أنس فعل ماض معطوف على أقسم بقصر

أي ولا يبخل أن يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيئا (وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وهذه الآية وهي وماهو على الغيب بظنين على القراءتين صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (باتفاق) أي من المفسرين اذ لم يقل أحد بعود ضمير هو الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن) اسم للحرف أو الحوت وأريد به الجنس أو للحوت الذي عليه الارض أو للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شيء أشد سوادا من الحبر يكتب به وينصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه ويؤيد الثاني قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه أو المراد جنسه الداخل فيه ويقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو ما كتب به اللوح المحفوظ أو ما يكتب به مطلقا (وما يسطرون) أي يكتبون
والكتبة هم الحفظة كراما كاتبين أو الاعم والله أعلم (الآيات) أي الواردة في اول السورة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم الهمزة
من حسن السيرة والصورة (اقسم الله تعالى بما اقسم به) الكثرة فوائده (من عظيم قسمه) أي تعظيما له وتكريما في تخصيص ذكره
(على تنزيه المصطفى) أي تبرئته وتبعيده (مما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم أي عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) أي وعلى
تكذيبهم للمجتبى في قولهم انه كذاب وساحر ومجنون (وأنسه) من باب الافعال أو التفعيل أي جعله ذا انس بقربه ومستأنسا بحبه
(وبسط أمله) أي نشر مأموله ومقصوده وأكثر له رجاءه فيما شاءه

الهمزة وتشديد النون من التأنيس أو بالمد والتخفيف من الايناس يقال أنست به وآنسه اذا اذهبت وحشته وسكنته كامر والامل الرجاء وبسطه توسيعه وتكثيره أو من الانبساط وهو المسرة كما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال عائشة يبسطها ما يبسطنى أى يسرها ما يسرنى فهو استعارة تدل على انه عامله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطافه حتى كثر رجاؤه أو سره (بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون) محسنا حال من الضمير وروى مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثانى أحسن عند من له ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان رحمه الله تعالى وخطابه مفعول بقوله تعالى وما أنت الى آخره مقول القول وهو جواب القسم فى النظم وتوسيع الامل لجعله متلبسا بنعم الكريم الذى رباه وقوله تعالى وان لك لاجرا الى آخره وفيه ايماء لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتخليته وتحليته وسع أمله لان من أثنى على أحد وسع أمله وهو تكلف أنت فى غنى عنه بما عرفته والباء للسببية أو الملابسة أو المصاحبة وقال الشريف المعنى ان عدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه أو حال كونه متلبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق العلية مما يدل قطعا على كذبهم وهو حال من معمول معنى النفى أى انتفى عنك أو من فاعل بمجنون كما ذهب اليه الزمخشرى والباء زائدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم نفى الجنون المقيد لا مطلقا وأجيب بان القيد دائمى فيصح المعنى ولعل غرضه ان مقام رد المعاند يقتضى ما لا يوهم ولو فى بادى الرأى والتقييد موهم وفيه أن تقييد النفى موهم أيضا لكن ايهامه أقل والقيد للاخبار ومثله كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون فى زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل الباء للقسم وبه جزم فى لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على القسم انتهى * أقول هذا ليس بشئ لانه وقع مثله فى الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهد اصدق لا يحتاجان لتزكية ألا ترى ان أبا البقاء رحمه الله تعالى أعرب قوله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله حالا والعامل اسم الفاعل وهو بمؤمنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطأه أبو حيان رحمه الله بمثل ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشرى غير مسموع أصلا ولا حاجة الى ما أجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملل لاطلناه ولكن الثمرة تدل على الشجرة (تنبيه) خطر ببالى هنا نكتة وهى ان الله تعالى أقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان المجنون مرفوع عنه القلم فاتيانه به يدل على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره (وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة وأعلى درجات الآداب فى المحاورة) الاشارة للامور المذكورة من التنزيه عما قالوه فى حقه تعالى بقوله ما أنت الخ والتكذيب الذى دل عليه والتأنيس بتقديم الدليل بقوله بنعمة ربك قطعا لعرق الشبهة من أول الامر ثم بيان تحقيق آماله بقوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون به عليك أو غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان فى خطابه له صلى الله تعالى عليه وسلم وأقصى مراتب الادب اللائق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما للعباد والمحاورة بالحاء والراء المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا ومعنى ففيه وجوه أكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم كمن رأى من يحبه فى هجوم أعدائه بقتالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم وعده بما هو أعظم مما ذكره (ثم أعلمه سبحانه وتعالى بماله عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع) أى بعد ان برأه ونزهه أعلمه بما أعده له بعد من الثواب على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تعبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع فى مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد فى مقابلته والصبر على الشدائد والمقاساة

بقوله محسنا) من باب التفعيل أو الافعال حال من ضمير ما قبله أى مزينا (خطابه) فى كتابه بقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم فى الآية ومقول القول فى الاصل أى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك أعقل العقلاء وأفضل العلماء وأكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) أى الحالة العظيمة أو المنقبة الجسيمة المأخوذة من قوله آنسه وبسط أمله أو التأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة فى المخاطبة) أى غاية الاحسان والمطاوعة فى المكالمة والمجاوبة (وأعلى درجات الآداب فى المحاورة) أى المراجعة والمرادة (ثم) أى بعد ان نزهه وبرأه عما لا يليق به عما نسبوا اليه (أعلمه بماله عنده من نعيم دائم) أى أبد الآبدين (وثواب غير منقطع) أى غير ممتنع فى زمان وحين

(لايأخذه عد) أى لا يضبطه عد ولا يحيط به حد (ولا يمن به عليه) من الامتنان أى ولا يجعله تحت الامتنان مع ان له المنة فى الاحسان افتعال من المن وهو

الاحسان الذى تمن به على غيرك وفى نسخة ولايمن به عليه يقال من وامتن عليه اذا عد عليه بمعروف اسداه اليه صنعه وقيل الامتنان عد الصنيع لاظهار الفضل (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) أى غير منقطع أو غير ممنون به عليك فانه يعطيك بلا واسطة (ثم أثنى عليه بما منحه) أى أعطاه (من هباته) جمع هبة أى موهوباته وتفضلاته (وهداه اليه) أى ودله عليه والحاصل أن المصنف رحمه الله تعالى جمع بين أقوال المفسرين فى معنى قوله غير ممنون أى غير منقطع وهو قول الاكثر أو غير محسوب ولا معدود وهو قول طائفة أو غير ممتن به وهو قول ضعيف ذكره الهروى فى غريبه (واكد ذلك) أى الذى يدل على ما منحه (تتميما للتمجيد) من المجد وهو الكرم والعظمة أى تكميلا للتعظيم والتكريم بنسبته اليه (بحرفى التاكيد) وهما ان واللام (فقال وانك لعلى خلق عظيم) قيل استعظمه لافراط احتماله أذى قومه مع مبالغتهم فى عداوتهم وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قيل) فى تفسير خلقه العظيم (القرآن) أى ما فيه من مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو ما أمره الله بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تفسيره صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هو المروى عن عائشة رضى الله عنها انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى

فى التبليغ ففيه تثبيت وتخصيص فالثواب هو الاجر وغير منقطع تفسير لقوله غير ممنون (لا يأخذه العد) أى لا يحصى ولا يعد ففيه استعارة كانه اذا عد أخذه أو لا يغلبه العد و يحيط به كما قيل فى قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة فى كثرته (ولا يمن به عليه) يمن بصيغة المبنى للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وصنيعه والتقدير لا يمن أحد من الخلق بها عليه لانها من الكريم الوهاب أو لا يمن بها الخالق و يؤيده انه روى يمن بصيغة المبنى للفاعل وقال الطيبى رحمه الله تعالى أن من شأن الكرام لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص بالمنة فنفيها تأكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه تعالى يمن على عباده كما صرح به فى مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه تعالى اذا العمل لا يفى بشكره ونيل المراتب العلية فضل آخر واعطاء ما لا يجب عليه فضل ثالث فتجرى وجوه المنة منه وهى تشريف منه والتحقيق انها لما قبحت من غيره تعالى واعتادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله تعالى لايهامها ما لا يليق به وان حسنت منه ففيه تأسيس لتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر * أقول ما ذكره من التحقيق ليس بشئ فان المنة فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى وقد ورد التصريح بها فى نحو قوله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان بل قد تستحسن من غيره أيضا ولذا قيل ان هذا شبيه بقول المعتزلة فافهم وفى قول المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى تفسير آخر فى قوله غير ممنون (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) أتى بالفاء لانه متفرع على ما قبله من الاعلام أو تفصيل له فى الجملة أى لك على ما احتملته من أذاهم ثواب غير منقطع أو غير ممنون به عليك من غيره لانه موهبة الهية وأتى بتأكيدات أربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع أو هى موزعة على ما ذكر وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما فى التعريض وقد علمت أن المن له معانى القطع والنقص وتعديد النعم وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك كله بقوله غير منقطع وقوله لا يأخذه العد الى آخره الا أنه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال المشترك فى معانيه أو جوازه فى النفى أو ارادته على البدل فقول المصنف رحمه الله تعالى السابق ثم علمه الى آخره وعطفه بالواو غير حسن الا أن يكون بمعنى أو وكل قسم على تفسير وفى تحرير ابن الهمام المشترك يعم فى النفى وهو المختار والقول بانه أعلمه بما له عنده والبيان من المصنف رحمه الله تعالى لثبوت التفاسير تكلف وتحميل للعبارة ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة فى الآية على وجه يفيد ثبوتها كلها لاستلزام عدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف التخاطب (ثم أثنى عليه بما منحه من هباته) عطفه بثم لما مر أى مدحه بما وهبه وأعطاه من موهوباته السنية (وهداه اليه) من معرفته وتوحيده أو من القرآن وآدابه ودلالته له دلالة موصولة فان أفعال العبد وصفاته بايجاد الله فيه كما هو مذهب أهل الحق (وأكد ذلك تتميما للتمجيد) أى التعظيم من المجد وهو الكرم أى تتميم النسبة اليه (بحرفى التاكيد) زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التاكيد الا أنه اقتصر على التصريح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم يلقى لخالى الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم (فقال وانك لعلى خلق عظيم) أتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف (قيل القرآن) هذا مروى عن عائشة والحسن رضى الله عنهما

عنهما وغيرهما كما سياتي والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه ومنزه عن كل مالا ينبغي مما نهى
عنه فليس هذا تفسيرا آخر كما قيل (وقيل الاسلام) ولذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره
على دين عظيم والخلق يجيء بمعنى العادة والطريقة (وقيل الطبع الكريم) أصل معنى الطبع الختم
وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الانسان عليها ومثله الخلق والخلاق وهو ملكة
نفسية لاتقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما يأخذ الانسان به نفسه من الآداب وأما
ما طبع فيسمى ختما وقد اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من المكارم مالم يجتمع في غيره وقال
الامام المراد التخلق بمجموع أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي مرتبة عظيمة فانه صلى الله
تعالى عليه وسلم أمر بالاقتداء بهداهم ولم يرد أصول الشرائع لعدم مناسبة التقليد فيها فالمراد ما مر وقيل في
دليله نظر لجواز أن يراد الاقتداء في تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد *
(أقول لايخفى ان تقليد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قبله من الانبياء في الاصول الدينية غير صحيح
وهو الذي أراده الامام رحمه الله تعالى فان أراد مجرد سلوك طريقهم الموصلة لها الانفسها فلا خلاف
بينهما فتدبر (وقيل ليس لك همة الا الله جل جلاله) الهمة كما في المصباح أول العزم من هم بالشيء
ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني وهذا محكي عن الجنيد رحمه الله تعالى قال انما
سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معاشرا
للخلق بجسمه ومزايلا لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان عزمه صلى الله تعالى عليه
وسلم في اعلاء كلمة الله وتبليغ ما يوصل اليه وفكره في ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا الاوجه
له (قال الواسطي) في الاول وتقدمت ترجمته (أثنى الله عليه بحسن قبوله لما أسداه اليه من نعمه)
اسدى بمعنى أعطى أو أوصل وهما متقاربان ومن بيان لما الموصولة والباء صلة أثنى أو سببية والنعم
فسرها الفاضل الشريف بالاخلاق العظيمة التي انتظمها الخلق في الآية وتبعه تلميذه ابن الحنبلي
(وفضله بذلك) أي بما أسداه أو بحسن قبوله (على غيره) من جميع المخلوقات الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وغيرهم وقوله (لانه جبله على ذلك الخلق) أي خلقه مطبوعا على خلقه العظيم الكامل الذي
لاينفك عنه وضمير قبوله السابق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوز فيه أن يكون لله أي قبول الله
اخلاقه أو انه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول أولى ولذا اقتصر عليه أكثر الشراح وقيل ان في
كلامه مناقشة لان المجبول على الشيء الذي طبع عليه بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك
الذي جبل عليه لان ما بالقبول لا يكون ذاتيا فكان الاحسن أن يقول أثنى عليه بحسن ما جبله عليه ولله
المنة المطلقة فانه المنعم بالشيء والمثني عليه وتتمة كلام الواسطي تشير لذلك ورده السيد بانه تقرر في العلوم
العقلية ان ما اتصف به المرء اما على الفاعلية أو القابلية والمراد بالقبول تأثره وتحققه فيه فصرح بانه
قابل لافاعل ردا الطبيعيين بل حسن قبوله أيضا من الله فهو قابل له أيضا فأثنى عليه لا لفعله اياه بل
لقبوله وقبوله أيضا ليس منه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد * أقول هذا الكلام كله
تكلف مبني على غير أساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل معنى الآيات كلها فالنعم في كلامه
ليس بمعنى الاخلاق بل كل ما أنعم الله به عليه لعموم الموصول وحسن القبول مأخوذ من اشارة النص
بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون أي لست ممن تستحقك النعم والبطر لمعرفتك بالله ومقدار
نعمه وتفضيله على غيره من كونه له أجرا لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لسلامة طبعه وكمال أخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثناء وبهذا التقرير
سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق الله فيما جعله قابلا لاكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب

عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه (وقيل الاسلام) وهو المنقول عن ابن عباس والمراد بالاسلام ههنا هو التوحيد الحقيقي والانقياد الظاهري والباطني لاوامر الله وأحكامه وقضائه وقدره كما قال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم قال اسلمت لرب العالمين (وقيل الطبع الكريم) ولذا كان يخالق الناس بمكارم الاخلاق ويخالطهم بلطفه وارفاقه وهو المنقول عن الماوردي (وقيل ليس لك همة) أي مقصد دونه همة (الا الله) أي الذي بيده كل رحمة ونعمة فكان مع الخالق بقالبه مباينا لهم بقلبه وهذا منسوب الى الجنيد (قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله) أي أثنى الله على نبيه بقبوله الحسن (وحسن اقباله) اى ذى المنن (لما اسداه اليه من نعمه) أي لما أوصله اليه وأولاه من نعمه الظاهرة والباطنة في دنياه وأخراه (وفضله بذلك) أي بما ذكر (على غيره) أي من جميع خلقه (لانه جبله) أي طبعه وخلقه (على ذلك الخلق)
وفي نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة أو السجية

صلح من غير تراض فتدبر (فسبحان الله اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد) الكلام على سبحان مفصل فى محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل أمر عجيب تنزيها عن أن يوجد شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم الجليلة ثم الثناء على من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد فى ذلك تاثير وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى مثله فى آخر الخطبة وفيما ذكره من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكريم بما اسداه وأنعم به والمحسن لهم بالثناء عليهم والجواد بما أعطاهم من الثواب والاجر والحميد المحمود فى كل فعاله المذكورة أو الحامد لهم أو لنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد غير مسموع فيه وقال فى عمدة الحفاظ لا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل السخى بناء على جواز وصفه بالسخاء كما بيناه فى شرح أسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور فى الممتنع امتنعوا من وصف الله تعالى بسخى لان أصله من الارض السخاوية وهى الرخوة بل وصفوه بجواد لانه أى بالتخفيف أوسع فى معنى العطاء وأدخل فى صفة العلاء انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه تعالى فى حديث قدسى رواه الترمذى والبيهقى انى جواد ماجد ووقع فى بعض النسخ هنا بدل الحميد المجيد أى ذو المجد والكرم وهو أنسب هنا (الذى يسر للخير وهدى اليه ثم أثنى على فاعله) يشير الى قوله تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتيسيره تسهيله بتهيئة أسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى فى كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله والثناء كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال أنت كما أثنيت على نفسك وقوله فانت كما تثنى وفوق الذى تثنى فالاعتراض ساقط (وجازاه عليه) هو ناظر للاجر ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال (سبحانه ما أغمر نواله) أغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو الماء الكثير استعير لمطلق الكثرة والنوال العطاء (واوسع افضاله) السعة معروفة شاعت فى الشمول والعموم والافضال الانعام قال فى المصباح تفضل عليه وأفضل افضالا بمعنى وفضلته على غيره صيرته أفضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر أفضله جعله فاضلا وأفضله غريب خبط لا وجه له (ثم سلاه) بتشديد اللام من التسلية وهى ازالة الغم (عن قولهم بعد هذا) أى عما قالوه فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثناء والظرف مؤكد لما تدل عليه ثم وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر (بما وعده له من عقابهم) أى تعذيبهم بما صدر منهم وفى نسخة بالباء الجارة وفى نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع لتعدد المعاقب وأنواع العقاب وروى عقباهم أى عاقبة سوء حالهم وما يؤول اليه وفى نسخة عقباه أى عقبى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى نصره عليهم والانتقام منهم ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفاء لصدور المؤمنين كما قيل
* مصائب قوم عند قوم فوائد * كان وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد فى الشر مجازا أو لانه فى أصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله وعده متعين والقول بانه عدى بقوله له باعتبار انه ذكر له تغيير فى وجوه الحسان قيل ما ذكر دليل على عدم رجاء اسلامهم اذ لو كان ذلك مرجوا لوعده به لانه أحب اليه والاحسن أن يقول على عقاب طائفة

(فسبحان اللطيف) أى بعباده يرزق من يشاء (الكريم) أى الذى وسع كرمه كل شئ (المحسن) أى الذى لا يستغنى أحد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) أى الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذى يحمده كل أحد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفى أصل الدلجى المجيد أى ذى المجد والكرم ففى الحديث القدسى والكلام الانسى وذلك انى جواد ماجد رواه الترمذى والبيهقى (الذى يسر الخير) أى سهله وفى نسخة للخير أى هيأ أهلا له كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) أى ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم أثنى على فاعله) أى فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجزاه عليه) أى أثابه بما منحه عليه فى الدنيا ووعده بالمزيد فى العقبى بنحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم هذا (سبحانه) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء والملام فهذا أيضا معنى قوله (سبحانه) بدلا مما قبله (ما أغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفى نسخة ما أعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب أى ما أكثر عطاءه (وأوسع افضاله) بكسر الهمزة أى بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهى التعزية والتهنئة والمعنى أزال عنه ما حزنه من الغم وكربه من الهم (بعد هذا) أى بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء وأبعد الدلجى حيث قال أى بعد ما قالوه (عن قولهم) متعلق بسلاه أى عن مقول الكفار فى حقه مما لا يليق بجنابه وهو فى أصل الدلجى متصل بسلاه وقوله بعد هذا (بما وعده يعن عقابهم) بضم العين أى من سوء عاقبتهم الذى هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفى نسخة من عقابهم اى عذابهم وحجابهم منهم

(وتوعدهم) أي وبما أوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) أي الى قوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين وهو منصوب بأعني أو اقرأ أو يجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير في فستبصر للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يبصرون للكفار وهذا الابصار اما في هذه الدار واما في دار القرار للابرار وفي دار البوار للفجار والمعنى فسترى أو فستعلم ويبصرون بأيكم المفتون أي أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول أي عقل فالمعنى بأيكم الفتنة وهي كناية عن الفساد والجنون الذي رموه به أو بأي الفريقين الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء على هذا ظرفية وخلاصته في أي فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الآية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين فكأنه قال هو أعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو أعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل في الدين (ثم) أي بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) أي التفت وكرر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا في قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبي في تفسيره انه أبو جهل ونسب هذا الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا وقيل هو وعتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التي في هذه الآيات انما جاءت أجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلا تطعه فيها (وذكر سوء خلقه) أي وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعد معايبه) أي وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) أي مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) أي من غير وجوب شيء عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) أي الله سبحانه وتعالى في كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروي بضعة عشر

منهم ولذا قيل ان الوعيد تعريض بأبي جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف رحمه الله تعالى لم يقصد العموم ولو سلم فساذكره ممنوع لانه يقال لكل كافر ان لم تتنبه فستبصر ومقابله الوعيد بقوله (وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات) باتي ماذكره كله أي ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعد أو به وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بمقدر كما مر والآيات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور بالاضافة لضعف نحو الثلاثة الاثواب والمقدر أعني أو اقرأ أو نحوه ولا فرق بينهما كما تقدم وقوله تعالى بأيكم المفتون أي أيكم الذي افتتن بالجنون اسم مفعول والباء زائدة أو مصدر لانه يجيء على زنة مفعول قليلا أي بأيكم الفتنة والباء بمعناها أو بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول أيضا أي المفتون في أي الفريقين أفريق المؤمنين أم فريق الكافرين أو من يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى العلم بعده ما معموله أو مستانف أي في أيهما يوجد والعقاب مفهوم من سياق التهديد وبقية الآيات ظاهر (ان ربك هو أعلم بمن ضل) أي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل (عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) بحيازتهم كمال العقل (ثم عطف بعد مدحه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه) بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه أو مقطوع عن الاضافة مبني على الضم فمدحه منصوب على المفعولية لعطف وهو الثابت رواية عن المزي قيل وفيه نظر لانه يقتضي تقدم الذم على المدح وليس كذلك في النظم فالاحسن ان يقرأ بالاضافة وقوله عطف أي التفت أو مال اليه وعلى رواية المزي المعنى انه ثنى مدحه فلا يقتضي تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما ثنى به المدح تكلف فالوجه الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو مدح له صلى الله تعالى عليه وسلم وان تضمن ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف أو ماض معطوف على قوله عطف وعدوه كل من عاداه لا معين كما مر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصد يقال عطفته اذا ثنيته وأملته والعطف النحوي يتعدى بعلى أيضا وما في عبارة المصنف عطف لغوي لا نحوي وتجويزه هنا لكونه بالفاء غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه والتمحل له تعسف وسوء خلقه مقابل لعظم خلقه (متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) حالان من ضمير عطف أي لم يكل ذلك لاحد ولم يجعل بينه وبينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكره بكلامه النفسي أو اللفظي في قوله سنسمه الى آخره (فذكر بضع عشرة) وروي بضعة عشر وفي المصباح بضع بالكسر في العدد وبعض العرب تفتحه واستعماله من الثلاثة الى تسعة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويستعمل أيضا من ثلاثة عشر الى تسعة عشر لكن تثبت التاء في بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين وأجازه

(خصلة) بفتح الخاء أى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة ويكسر ما بين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور وأراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتانيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) أى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى أساطير الاولين) وهو قوله ودوا لو تدهن فيدهنون أى لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك فيميلون أيضا اليك فى بعض ما تدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو عظمت آلهتنا لعبدنا الهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف أى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع مهين أى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير ووزنه فعيل لا مفعول والميم أصلية لا زائدة هماز عياب فى أعراض الناس مشاهده مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنميم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير أى كثير المنع منه وقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال معتد متجاوز فى الظلم أثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله أى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك أى بعد ما عد من مثالبه ومعايبه زنيم أى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لا يعيب أحدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف بذلك وما أحسن قول حسان

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ان كان ذا مال وبنين عاة لما بعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير الآن كان ذا مال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين أى قال ذلك حين تليت عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة وأحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية المنجانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى وأراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر ابن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) أى الله سبحانه (ذلك) أى ما ذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) أى تعبه أو كمال شقاوته (وخاتمة بواره) أى هلكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه ابقاه وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها أشنع وأشيع وقيل أى نجعل على وجهه يوم القيامة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفة به قبل دخوله النار كما قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم أو معناه أنه يعذب اذ ذاك بنار تجعل على أنفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وأنفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على أنف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بما يبقى له مذموما ولا يمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على أنفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الآية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

بعضهم فتقول بضعة عشر رجلا وبضع عشرون امرأة وكذا قال أبو زيد وعلى هذا المعنى البضع والبضعة فى العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف رحمه الله تعالى ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر أو اثنى عشر أو احدى عشر بناء على عد المداهنة والاستظهار بالمال والبنين منها (خصلة من خصال الذم فيه) أى فى عدوه والخصلة بفتح الخاء المعجمة الصفة مطلقا وغلبت فى صفات المدح اذا اطلقته (بقوله تعالى فلا تطع المكذبين) فيما دعوك له من تعظيم آلهتهم ونحوه وهو تهييج له صلى الله تعالى عليه وسلم على تصميمه فى مخالفتهم (الى قوله تعالى أساطير الاولين) أى أباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار جمع سطر وما وقع منه فى القرآن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم أخبار رستم وغيره فكان يقول أنا أحدثكم باحسن مما يحدث به صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل ومن قال سانزل مثل ما أنزل الله (ثم ختم ذلك) أى ما عد من المعائب أورد عقبه كالخاتمة له (بالوعد الصادق) لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روفى نسخة بالوعيد وروى أيضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد أو الصادق هنا بمعنى الخالص الذى لا يشوبه غيره كما يقال صادق الحلاوة (بتمام شقائه وخاتمة بواره) متعلق بختم أى بشقائه التام والبوار الهلاك وعبر به فى نسخة الذى هو خاتمة أمره وآخر أحواله أو حاله تجر اليه فسمى به (بقوله سنسمه على الخرطوم) الوسم العلامة والكى

أى الكاملون فى الغفلة عن الحضرة وقيل انما عدل عن الانف الى الخرطوم لان الانف محل العز والانفة ولا كذلك الخرطوم لانه محل المذلة والاهانة ولذا قيل الانف فى الانف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا فى الانسان وربما قيل له فى الانف كغيره ومحمل الكلام وزبدة المرام فى هذا المقام أى سنجعل له سمة أى علامة على الخرطوم أى على أنفه اما حسا كضرب أنفه بالسيف يوم بدر وبقيت علامة فى أنفه حتى يانف من أنفه أو يكون سوادا فى وجهه زائدا عن غيره من الكفار فى القيامة لشدة عناده وعتوه واما معنى كسوء ذكره بالذم والمقت والاشتهار بالشر بحيث لايخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على

أنفه ويمكن تحقق الجميع فى حقه (فكانت نصرة الله له) أى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (أتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) أى فان من كان لله كان الله له (ورده) أى كان رده (تعالى على عدوه أبلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (وأثبت فى ديوان مجده) أى فى ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودياوين وأصله ديوانه بالفارسية وذلك ان كسرى أمر كتابه آن يجتمعوا فى دار واحدة يعملوا حساب السواد فى ثلاثة أيام وأعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر مايصنعون فنظر اليهم فرآهم يحسبون باسرع مايمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أين ديوانه أى هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل فى كل محفل ديوان وأول من دون فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه ❊ (الفصل السادس) ❊ (فيما ورد من قوله تعالى فى جهته) أى فى حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) أى مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام) أى لحديث تقدم لى عند ربى عشرة أسماء وذكر منها طه وهو فى حساب العدد المرموز فى ابجد أربعة عشر ايماء الى ان بدر وجهه فى غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولعله اشارة الى الطاهر والهادى والمعنيان صادقان فى حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يا رجل) أى فى لغة عك ولعل أصله ياهذا فقلبوا ياء طاء واقتصروا على ها

والكى والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا وأصله يختص بالحيوان كالفيل ونحوه فاستعير للانسان لايذانه باستحقاقه والتهكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبائح فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما وقيل وسمه تسويد وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وخص الانف لانه أظهر الاعضاء تذليلا للمتكبر عن الحق الذى عنده شمم فى أنفه فعوقب بضده (فكانت نصرة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم أتم من نصرته لنفسه) أى نصرته التى تولاها بنفسه فى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم الى آخره ونصرة نفسه على أعدائه هى لله أيضا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لاينتقم لحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم (ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده لنفسه) رده بتكذيبهم بنفسه أبلغ من رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقامة الحجة وان كان هذا أيضا ليس من تلقاء نفسه وقيل المراد لو كان له رد ونصرة وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعل لله ومن كان لله كان الله له (وأثبت فى ديوان مجده) أى أعظم وأقوى ثباتا وأبقى فى صحف الدهر من ان يثبته هو بنفسه فان ما أمضاه الله لانقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال انه فارسى معرب وأصله جمع ديو وهو العفريت شبه به أهله وقيل انه عربى من التدوين وهو الكتابة وهو واوى خفف بقلب احدى واويه ياء ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين وأول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المصنف رحمه الله تعالى تحتملها وهو استعارة فاستعار لمجده أى عظمته ديوانا يثبت فيه فاذا أثبته الله كان أتم وأكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم القيامة

❊ (الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى فى جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) ❊

يعنى ما جاء فى القرآن من الآيات الدالة على اكرام الله له والشفقة به والشفقة اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنى فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله فتجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شأنه وحقه والمورد مصدر ميمى منصوب على المصدر او اسم مكان منصوب على الظرفية وأصله المحل الذى يؤخذ منه الماء فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه والمراد بالاكرام اكرام مخصوص ولو عمم شمل ما فيه غيره من الفصول (قال الله تبارك وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه) أى من أسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغاء يقدمون منه لان البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم أهم مما له تقدم ذاتى كما قرروه فى تقديم الامر بالقراءة فى قوله تعالى اقرأ باسم ربك فتذكره (وقيل هو اسم لله تعالى) هذا منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما واستدل لما قبله بحديث لى عند ربى عشرة أسماء طه ويس (وقيل معناه يا رجل) أى معناه يا رجل وحرف النداء مقدر معه وهو مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى

أى موضوعة لمعان ايمائية والله أعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطى أراد يا طاهر) وفى معناه يا طيب (يا هادى) أى أراد بالطاء افتتاح اسم وبالهاء ابتداء اسم (وقيل هو أمر من الوطئ) أى بالهمز والهاء كناية عن الارض فامر بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وأصله طاء قلبت همزته هاء أوطأ اها قلبت همزته ألفا وأورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان أصله يا هذا وأجيب بانه اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما على صورة مسماهما فى رسمهما (أى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) أى فانه شاق عليك (وهو قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب فى أمر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك انما بعثت بالحنيفية السمحة ثم الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم أشقاهم ولعل الحكمة فى عدوله عن تتعب للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد بحكم الضد أو لمراعاة الفواصل الآتية (نزلت) وفى نسخة ونزلت (الآية) أى أول سورة طه

عنهما أيضا كما ذكره البيهقى وقال عكرمة انه لغة معروفة فى عكل وعك وقيل انها لغة حبشية أو عبرانية أو سريانية أو نبطية ومعناه يا حبيبى وقيل لعل أصله يا هذا فقلبوا الياء طاء واقتصروا على ها وهو بعيد جدا (وقيل يا انسان) رواه البغوى عن الكلبى وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك (وقيل هى حروف مقطعة لمعان) الجمع لما فوق الواحد لقوله (قال الواسطى أراد يا طاهر يا هادى) فالطاء من طاهر والهاء من هادى وقيل الطاء طول الغزاة والهاء هيئتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهدايته وقيل معناه أيها البدر لان الطاء والهاء فى الجمل أربعة عشر (وقيل هو أمر من الوطئ) بالقدم فابدلت الهمزة ألفا (والهاء كناية عن الارض) أى الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره أهل العربية وهذا قول ذكره القرطبى والبيضاوى وقيل ان ها اسم لحرف ماخوذ من ها اسم الضمير فهى كناية اصطلاحية عنه لا أنه ضمير كما قيل فى طا ورد البيضاوى هذا القول بانه يأباه كتابتها بصورة الحرف ورد بانه رسم المصحف غير قياسى فيه كما رسم أيه المؤمنون بلا ألف فى الامام وقرئ طه بسكون الهاء وأصله طا فابدلت الهمزة هاء كاياك وهياك أو هو أمر والهاء للسكت والمفعول محذوف أى طا الارض ويحتمل انه أراد أن الهاء من ها وحدها ضمير كما قاله بعض النحاة (أى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) الاعتماد الاتكاء والاستناد على الارض بقدمه أو قدميه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما سيأتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقوم على قدم واحدة اتعابا بالنفسه ليزيد أجره فى عبادته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت فى الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخالفه ماروى ابن عباس وابن مردويه عن على رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له طا الارض بقدميك وظاهره ان وضع أحدى قدميه كان راحة له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعبا وصرح به البغوى ونقله عن الكلبى فالوجه ان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع قدم دون الاخرى لا ماذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة وقع فى مشقة القيام برجل واحدة لنقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه قيام الليل اقول هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة فى ان القيام على رجل واحدة أشق من القيام على الرجلين كما قيل

اذا الحمل الثقيل توزعته * اكف القوم هان على الرقاب

وان كان فى القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح نسبة الراحة لكل من الامرين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك فانا لا نريد تعبك دل على الراحة ولا منافاة بينه وبين ما رواه والتوفيق الذى ذكره تكلف فتدبر * (تنبيه) * كون الاجر على قدر المشقة كما ورد فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أجرك على قدر نصبك كما فى مسلم قال ابن عبد السلام فى قواعده ليس هذا على أطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان أفضل من الاعمال مع خفته ثم اختار ان أفضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل أفضل من قيامه وانقاذ الحاكم مظلوما أفضل من قيامه الليل وصيام النافلة ونقله الزركشى فى قواعده وارتضاه ولنا عودة الى ذلك (وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت

(فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) أي حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وروى أيضا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي حتى تورم قدماه قال فقيل له اتفعل هذا وقد جاءك أن الله تعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال أفلا اكون عبدا شكورا (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) أي ابن علي ابن شبري بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من أسفل أحد العلماء ٢٣٣ الصالحين من رجال الاندلس مات سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (وغير واحد) أي وكذا حدثنا جمع كثير (عن القاضي أبي الوليد الباجي) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث المنجيني القرطبي صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبيلية وقيل هو من باجة القير وان التي ينسب اليها أبو محمد الباجي الحافظ مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وأربعمائة قيل كان يحضر مجلسه أربعون ألف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما أكبر منه والحميدي وأبو علي الصدفي وغيرهم (اجازة) أي من طريق الاجازة (ومن أصله) أي كتابه الذي قرأ فيه على مشايخه (نقلت) فكان في سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا أبو ذر الحافظ) أي المشهور بحفظ الحديث يعني به الهروي واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله

فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله من السهر والتعب وقيام الليل) الضمير راجع للنهي عن اتعاب نفسه المستفاد من النفي في الآية أي هو المراد من الآية والشقا أصل معناه التعب قيل انه عبر به ليدل على سعادته والنفي على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد فلا يخص بما ذكر ولان تعبه بتاسفه على كفرهم (أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد) أي رواه المصنف عنه وعن كثير من العلماء غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي بن شبرين بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من أسفل من أصحاب الباجي ثقة حافظ توفي يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (عن القاضي أبي الوليد الباجي) بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان وأبو الوليد هذا هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي أصله من مدينة بطليوس وانتقل جده لباجة التي نسب اليها هو والحافظ أبو محمد الباجي ولد في ذي القعدة ببطليوس سنة ثلاث وأربعمائة وأخذ عنه جماعة كابن عبد البر والخطيب والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور بالحرم ثلاثة أعوام ولازم اباذر الهروي وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق وأخذ عن العلماء وتفقه على أبي الطيب الطبري وأخذ علم الكلام عن أبي جعفر السمناني وأقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته في كتابة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيده مشهورة تقدمت الاشارة اليها وقال ابن سكرة انه مات بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة (اجازة ومن أصله نقلت) الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله أهل اللغة الاذن في الانصراف من جاز المكان اذا تجاوزه ومن ثم تعدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسى ومعنى أجازه أذن له في الجواز ثم استعمل لمطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث فصار حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة فالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا فيها كلام لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حواشيه والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه وجعله مالكا له لا السماع وقوله نقلت الخ هو من كلام أبي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي أجازه به وقال ابن الحنبلي انه من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من كلام شيخه كما قيل فان تعلق عن باخبرنا باه ولو قيل كان بدلا عن قال لم يكن من كلام المصنف رحمه الله تعالى والاصل أصل شيخ شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة يتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد أوهم خلاف المراد وقد يقولون أخبرنا وحدثنا في الرواية بالاجازة والمختار خلافه الا أن يصرح بالاجازة ورواية السماع أقوى من الاجازة وسوى بينهما الطوفي في قواعده والخلاف في ذلك في الكتب المدونة كذلك (قال حدثنا أبو ذر الحافظ) الهروي العلامة عبد بدون أضافة ابن أحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي بن السمال سمع بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة توفي في شوال سنة أربع وأربعمائة قال (حدثنا أبو محمد الحموي)

(٣٠ - شفا ل) ابن غفير بغين معجمة ابن خليفة بن ابراهيم المالكي توفي في ذي القعدة سنة خمس وثلاثة وأربعمائة في الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تخفيفه ودون همز موضع بين مكة والطائف واما الهراة فوضع بين مكة وعسفان كذا ذكره التلمساني واما هراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبي وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبد البر وغيرهما (قال حدثنا أبو محمد الحموي) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبد الله بن محمد بن حمويه السرخسي توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

(حدثنا ابراهيم بن خريم) بضم خاء معجمة وفتح زاي قال التلمساني هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خريم (الشاشي) بشينين معجمتين واما الشامي على ما في بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير أي ابن نصر القرشي الكشي بكاف وشين له تاليف في كتاب الله العزيز ومعانيه توفي سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبي هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدي وعلي بن عاصم وابن ابي فديك وغيرهم روى عنه المسلم والترمذي وعلق عنه البخاري في دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبد الحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النضر يعرف بقيصر التميمي روى عن ابن ابي ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث ابن ابي اسامة اخرج له الجماعة توفي سنة سبع ومائتين (عن ابي جعفر) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفي عام عشرة ومائة وقال الحلبي ابو جعفر هذا اختلف في اسمه فقيل عيسى بن ابي عيسى بن ماهان مروزي كان يتجر الى الري روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد

أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخادمه رضي الله تعالى عنه قال الحلبي الربيع تابعي وهو بفتح الراء بصري نزل خراسان وروى عن انس وابي العالية وعنه الثوري وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفي سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية) أي لا لتذكرة لمن يخشى أي لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لا

لما نزل يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا فقامه كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع أخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه أي طا الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والحاصل أن هذا التاويل في طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل أيضا وله تاويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه ويرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طا الارض برجليك معا ولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التاويل هو الذي تاوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الاخرى فقيل له طا الارض بمعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى الترويح باحدى قدميك قال المنجاني وهذا التاويل احسن من التاويل الذي تاوله القاضي والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت في الشرع انه

هو عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي الحموي بفتح الحاء المهملة وضم الميم المشددة ثم واو مكسورة ثم ياء مشددة للنسبة الى جده حموية قال البرهان ورأيت في بعض النسخ التي وقفت عليها من الشفاء بعد الواو همزة مكسورة وفيها نظر والذي في حواشي ابن رسدلان والشمني الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفي ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة رسمت اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة لغة وهو نزيل هراة وبوسنج ووصل لما وراء النهر وهو اصولي محدث ثقة توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة في ذي الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال (حدثنا ابراهيم بن خريم الشاشي) بخاء معجمة مضمومة وزاي معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشي ترجمته مشهورة وهو ابو اسحق بن عثمان ومن قرأه براء مهملة اخطأ وشاش بمعجمتين بلدة بما وراء النهر قال (حدثنا عبد) بلا اضافة (بن حميد) بحاء مهملة مصغر والذي جزم به ابن حبان والبخاري ان اسمه عبد الحميد الكشي بالاعجام والاهمال وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين قال (حدثنا هاشم بن القاسم) أبو النضر المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومائة (عن ابي جعفر) قال التلمساني هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر سمي باقرا لتبحره في العلم من البقر وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة وامام مشهور توفي سنة اربع عشرة ومائة على الاصح ودفن مع أبيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم وفي المقتفى انه اختلف في اسمه فقيل عيسى بن ابي عيسى بن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى تميم مروزي روى له الاربعة وترجمته مشهورة (عن الربيع بن انس) ابو حاتم البكري البصري التابعي صدوق لكن له أوهام كما قاله ابن حجر وما في حواشي التلمساني من انه انس بن مالك رضي الله عنه سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابية توفي سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم أولى سندا ومعنى ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة فيه على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع الاخرى على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله اختيارا منه تطوعا كما مر فلعله تسمح لان الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة وفيه نظر (قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الى آخره) هذا كما مر من غير فرق فما

من جملة التطوعات فيفعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب أو تورم قدم بـل لم يبح ذلك الفقهاء الا للضرورة قلت لا مانع من انه كان في الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب في هـذه الآية ما رواه الفـراء في كتاب معاني القرآن له مسندا عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان رجـلا قرأ بحضرته طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأ طه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا أبا عبد الرحمن اليس امر من الوطئ فقال له عبد الله اقرأ طه بالكسر فهكذا أقرأنيهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهي لا تنافي كونهما من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء

: افي هذا كله) الباء بمعنى في وعدل اليه حذرا عن التكرار أي فيما ذكر من الآية والحديث (من الاكرام) أي اكرام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحسن المعاملة) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسـن القيام وهذا ان جعلناه بمعنى طه طا الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل (أي وقد سبق (أو جعلت) أي هذه الكلمة (قسما) أي اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) أي اتصل هذا الفصل بالفصل الذي قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيق المكانته وافاد نهاية المبرة في مخاطبته واعلاء درجات الآداب في محاورته (ومثل هذا) أي ما ذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم أو قسما به أو هما وما قبلهما (من نمط الشفقة) أي من نوع المرحمة

(والمبرة) المناسبة بينهما قال الدلجي اذ النمط في الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالي ويرجع اليهم العالي انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى في مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ أيضا على ما في القاموس ويمكن حمل الحديث الذي ذكره عليه كما لا يخفى وقد قال الحلبي النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هـذا من ذلك النمط أي من ذلك النوع قاله الهروي في غريبه واخذ منه ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) أي لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اعراضهم (باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي المجدد انزاله (اسفا) أي حزنا وتاسفا وتلهفا (٢) أقول هذا ينافي قوله تعالى لمريم واركعي مع الراكعين اه [illegible]

لا وجه له وهذا كان قبل النهي فحكم الفقهاء بالكراهة كان بعد النهي فلا اشكال فيه * (تنبيه) * لم نزل نتوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الاسراء حتى رأينا ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة وصلاة بني اسرائيل لا ركوع فيها (٢) فلهذا امرهم الله تعالى بالركوع مع الراكعين في هذه الآية ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبراني في الاوسط عن علي كرم الله وجهه انه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهـذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه فيكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة عنه وكذلك الجماعة كما في شرح المجمع انتهى * أقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتاخرة اسلامهم لان الساجد لا بد له من الركوع في هويه لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة (ولا خفاء بما في هذا كله من اكرام وحسن المعاملة) الباء بمعنى في أي في المذكور مما في الآية وما يتعلق بها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال القرآن عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور اتراه يرضى له تعبا فيها فعاملة الله تعالى له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم (وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله) أي ان جعل لفظ طه علما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقسما به أو جعل اسما لله ونحوه مقسما به أيضا التحقت هذه الآية المذكورة في هذا الفصل بالفصل الذي قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما أفاده من نهاية المبرة في مخاطبته واعلى درجات الادب في محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذي قبله على القسمية واضح واما اذا كان من اسمائه فلا فانه تكلف وقيل انه متضمن للقسم باباه جعله قسما لعطفه باو انتهى وقد علمت سقوطه مما بيناه وان كان في عبارته مسامحة والقسم له لا ينافي كونه به أيضا وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف أو المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو من الرابع بل الخامس أيضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقق المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق باحدهما فلا يناسب قوله أو جعلت ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبني على احد الامرين فلعل أو بمعنى الواو وبل انتهى وفيه ما لا يخفى (ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة) في المصباح النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط أيضا الطريق والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على الصنف والنوع فقيل هذا من نمط هذا أي من نوعه انتهى فالمعنى انه نوع من الاحسان واللطف أو من جملتها فكانه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم انه استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط (قوله تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

(أى قاتل نفسك) ويجوز بالاضافة كما قرئ فى الآية (لذلك) أى لعدم ايمانهم بالقرآن (غضبا) أى عليهم (أوغيظا) أى فى نفسه (أو جزعا) أى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد أسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق أعزته فذهبت نفسه حسرات ٢٣٦ على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) أى مثل فلعلك باخع نفسك مما ورده مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل فانها للاشفاق (قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك) وقرئ بالاضافة هنا أى اشفق على نفسك ان تقتلها غما (ان لا يكونوا مؤمنين) أى مخافة ان لا يؤمنوا أولئلا يؤمنوا (ثم قال) أى الله سبحانه وتعالى تسلية لشانه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أى دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاصرة على أهل الكفران والطغيان (فظلت) أى صارت (أعناقهم) أى جماعاتهم وأشرافهم وساداتهم (لها خاضعين) أى لتلك الآية منقادين ولاقتضائها خاشعين أولتلك البلية ذليلين خاشئين وهو عطف على الجزاء أعنى ننزل اذلو قيل أنزلنا مكانه لصح وقيل أصل الكلام فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لان الاعناق لما وصفت بصفة لا تكون حقيقة الا لمن يعقل عوملت معاملة من يعقل فجمعت جمعه (ومن هذا الباب) أى باب الشفقة والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) أى فاجهر به وأظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا أوافرق بين الحق والباطل وأصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف أى بما تؤمر به وجوز الدلجى كون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى كما لا يخفى (واعرض عن المشركين) أى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون وأغرب التلمسانى حيث فسر أعرض بقوله اترك والغ (الى قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) أى فينا أوفى القرآن أوفيك الى

أى قاتل نفسك لذلك غضبا أوغيظا أوجزعا) لعل كما تكون لرجاء المحبوب تكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا الثانى على لسان العباد أوبارادة لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب نفع قتلها من وجد أوغيظ وبخع لى بالحق بخوعا انقاد وبذله كما فى المصباح قال البيضاوى شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم عن الايمان بمن فارق أحبته فهو متحسر على آثارهم ومبخع نفسه وجدا عليهم أواذا ماتوا على الكفر تقول العرب بكى على أثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما تقول لمن أهمه ما يحزنه من غيره اطرح ما أنت فيه وكل أمرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القرآن وهو يطلق عليه قال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا واما اختصاصه بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فعرف طارئ وقوله فلعلك أى لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضى قرئ بالفتح على تقدير لا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية لحال ماضية يعنى على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه فى حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا الى آخره فللاسف معان ثلاثة مأثورة ثابتة فى اللغة وقيل حزنا أوندما والغضب ضد الرضا والغيظ أشده أوسورته أوما اضمر فى النفس وفيه كلام وفسر بالغضب أيضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفى عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا ويطلق على كل منهما بانفراده وحقيقته ثوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان على من تحته انتشر فصار غضبا أوعلى من فوقه انقبض فصار حزنا وهى منصوبة مفعول له أوحال (ومثله قوله أيضا) مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عود الماقبله لمشاركته له فى معناه فلذا فسرت بالتشبيه أى بما أورده مورد الشفقة والاكرام له بشهادة لعل اذهى للاشفاق وهو مفعول مطلق أوحال ومثله نظر المعناه وأيضا نظر اللفظه فلا تكرار ولوحذف كان أولى (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) تفسيره أيضا يعلم مما مر والمقصود منهما منع الغم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه الآية لما فيها من توقع انقيادهم ووقوع أمنيته صلى الله تعالى عليه وسلم فان كانت لا زائدة ففيها غاية الاشفاق عليه (ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) المراد بالآية هنا آية مخصوصة وهى الملجئة قسرا الى الايمان أوما فيه عذاب وعقاب والا فكم من آية نزلت وما انقادوا لها والخضوع التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضى موقعه وعبر بالماضى لتحققه بعد نزول هذه الآية والاعناق الاعضاء المعروفة ويعبر بها عن الرؤساء كما يعبر بالرأس وعلى هذا فخاضعين بجمع العقلاء ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلاء من الخضوع عبر بعبارتهم كما فى قوله رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين أوفى الاعناق مقدر او المضاف اكتسب صفة العقلاء من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتانيث وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المصنف بصدده (ومن هذا الباب) الباب معروف ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شائعا فيقال هذا من باب كذا أى من جنسه ونوعه وهو المراد أى من قبيل ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول من هذا الفصل (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون

(الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين أى دفعنا عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة نفر فمات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون أى عاقبة أمرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك أى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل تسبيحا مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية أو فنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على انه هداك الى الحق وكن من الساجدين أى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون أما هو فقد رأى اليقين قال المنجانى ويحتمل أن يكون اشارة الى النصر الذى وعده الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب أن تكون النصرة غاية العبادة فان العبادة لا يجوز انفكاكها عن العباد مادامت الارواح فى الاجساد (وقوله) أى ومنه أيضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كانه يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا وأوذوا وقد قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (الآية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم أى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزؤن أى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزؤن حيث هلكوا لاجله أو فنزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز أن يكون ضميره راجعا الى الشرع وما ترتب عليه من الثواب وأن يكون راجعا الى العذاب والله تعالى أعلم بالصواب وأما ما جوزه المنجانى من رجعه الى القرآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على أرباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) أى الله تعالى (بما ذكره) أى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) أى من فرط الايذاء (وأعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) أى أصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء أى ينزل به ومنه قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم وأما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) أى شئ عظيم نزل أو الذى حل (بمن قبله) أى من أعداء الانبياء (ومن هذا) أى الباب وفى نسخة

الى آخر السورة) وأصل معنى الصدع صدم الاناء ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تأثيرا ظاهرا وللكلام المؤثر فى النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق والباطل وكان صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال

ترى السرحان مفترشا يديه * كان بياض غرته صديع

وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وأصله بما تؤمره على حد أمرتك الخير ولا يخفى ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر أن يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول المجرور أن يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون أى منه لان الصدع بمعنى الامر كما مر ولا تشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة الآية للفصل اذ المراد لا تحزن لمخالفتك فانها لحكمة سترى عاقبتها لك وعلى أعدائك وأى شفقة وتكريم أحسن من هذا ولم يقل فى الآية التى قبلها الى آخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلى والشفقة به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والطعن فى القرآن وهى منسوخة بآية القتال * قيل كان ينبغى أن يذكر قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين قلت ذكرها ضمنا فى الى قوله وأيضا استغنى عنها بالآية التى عقب هذا وهى فى قوله (وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية) أى فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمستهزؤن خمسة من أشراف قريش كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله كما نقله المفسرون وهى واردة على نهج الشفقة والتسلية والوعد بانه سيكفيكهم باهلاكهم وورد بصيغة الماضى تحقيقا له ولهذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون أى عاقبته فى الدارين كما ذكره القاضى واقتصر فى اللباب على ان عاقبة أمرهم يوم القيامة وقوله فحاق الخ أى أحاط بهم حيث أهلكوا لاجله الاستهزاء باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزأ به أو نزل بهم وباله فوضع موضعه وهذه الآية فى الانعام والانبياء ويحتمل انها آية الرعد وتمامها فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقابى اياهم (قال مكى) تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى (سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين) من استهزائهم وعنادهم وانما يسلى من يحبه ويشفق عليه والتسلية بان اخوانه من أولى العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم عليهم الصلاة والسلام فى الدارين والتاسى بما يثلج الصدر كما قيل

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

وفى التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام ممن آذى المنسوبين لانهم لا يتيقنون عاقبة أمرهم فلذا قال (وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله) اعلم فعل ماض فاعله ضمير الله ومفعوله ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتمادى ان تاخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه

(ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك) أي قومك فلا يهولنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تاس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التي يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة في سائر الامم قبلك مع أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان أجل ما يخفف عن الانسان حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عني بالتاسي (ومن هذا) الباب أو القبيل (قوله تعالى كذلك) أي مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) أي ما جاءهم رسول الا قالوا في حقه هو (ساحر) أي خداع (أو مجنون) أي به جنون واو للتنويع باعتبار قوم أو وقت دون وقت ولا يبعد أن تكون للشك مشيرا الى تحيرهم في أمره مع الايماء الى المناقضة بين أقوالهم فان الساحر هو العالم وهو لا يكون الا في كمال العقل والمجنون لا يكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاي أي حمله على الصبر وسلاه (بما أخبر به عن الامم السالفة) أي عن الجماعات السابقة (ومقالها) أي وأقاويل تلك الامم وفي نسخة ومقالتها (لانبيائهم قبله ومحنتهم) أي ابتلائهم وفي نسخة ومحنهم بفتح فسكون وهو مجرور ووهم الحجازي حيث قال بفتح النون أي وبامتحان أنبيائهم واختبارهم في ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) أي بقومهم وأقوالهم (وسلاه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بذلك) أي بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) أي بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) أي بنظير ما فعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) في تاذيتهم له (وانه) أي وبانه (ليس أول من لقي ذلك) أي الايذاء من قومه

مدى البصر وفي المصباح تمادى في غيه اذا لج ودام على فعله من أمداه أبعده أو من ماديته اذا أمهلته وقوله على ذلك حال أي كائنا ومستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة آية الرعد ويحل به أي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم الحاء وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذي يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والثاني بالكسر فقط انتهى وفي القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل وفي الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني انها عادة الله في مثله (ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أي مثل التسلية السابقة ما في هذه الآية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون له صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما كان لهم من نصره وعلو قدره والانتقام من أعدائه والتسلية لئلا يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به والتعبير بالآية الواقع من بعض النسخ وأطلق فيه الآية وأراد جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرأت بانت سعاد أي القصيدة كلها فالمناسبة للفصل والمماثلة في غاية الظهور (ومن هذا) القبيل في التسلية والشفقة الدال على علو منزلته عند الله (قوله كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) المشار اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكذيبهم وقولهم انه ساحر أو مجنون كقولهم افترى على الله كذبا أم به جنة وتمام هذه الآية أتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام تعجبي تعجب من توارد أقوالهم وأفعالهم وآرائهم على تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام مع بيان أزمانهم والاضراب عن تواصيهم بما ذكر الى تجاوز حدهم في العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما أتى الى آخره كالتفسير لما قبله كما قاله البيضاوي وقيل الوجه أن يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول أتاهم أي جاءهم وبعث اليهم كذابا أو ساحرا أو مجنونا لان المقصود تشبيه فعل هؤلاء المتأخرين مع رسلهم بفعل أولئك المتقدمين مع رسلهم واسنادهم لهم ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمناسبة تامة (عزاه الله) أي حمله على الصبر كما صبروا لانه تفعيل من العزا وهو الصبر (بما أخبره به عن الامم السالفة) الباء للتعدية أو سببية والسالفة بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتاويله بالجماعة وهو مقيس مطرد (ومقالها) بالجر معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور الباء كما في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام في قراءة الجر أي وبمقالها والاول أقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفي نسخة مقالتها (لانبيائهم قبله) والقبلية تصريح بلازم ما في الآية لان كون أنبياء أولئك قبل هؤلاء يستلزم كونهم قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومحنتهم بهم) وفي نسخة محنته أي محنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهؤلاء المكذبين له وعلى الاولى محنة الانبياء باممهم والمحنة الابتلاء والاختبار وهذه النسخة أولى وأنسب بقوله (وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس أول من لقي ذلك) فذلك اشارة الى ما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام مع أممهم مما يضاهي ما وقع له صلى

الله

الله عليه وسلم وقوله وعنله الضمير فيه راجع للمشار اليه وأفرده لتأويله بما ذكر وروى بمثلهم وهو تسلية بالتأسى كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضميرانه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية بقوله ليس الى آخره (ثم طيب نفسه وأبان عذره) ثم للبعد اللفظى أو الرتبى ونحوه كما مر وأبان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصيره فى مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور فى اعراضهم وعدم انقيادهم فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبة شئ من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه فى مثله وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وتفريج كربه وهمه (بقوله تعالى فتول عنهم أى أعرض عنهم) وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل بقوله وذكر أى أعرض عن المجادلة وما يتعبك أو عن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك أو أعرض تارة وذكر أخرى فلا نسخ وماذكر من ان النسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو ماقاله ابن الجوزى رحمه الله قيل وهو غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو المشتركة الا أن تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم وعلى تفسير المصنف رحمه الله تعالى معنى ذكر دم على التذكير والموعظة فتدبر وقوله (فما أنت بملوم) أصله ملووم فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنفى لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما أشار اليه بقوله (أى فى أداء ما بلغت وابلاغ ما حملت) مبنى للمجهول مشدد الميم وما حمله أمانة الرسالة وقد أداها صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل الجهد فلا يتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق مالا يخفى أى أنت لا تلام من جهة الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما أنت مذكر ماعليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك قيل والاولى ماقال البيضاوى من أن المراد نفى اللوم على بذل جهده فى البلاغ اذ المقصود نفى اللوم مطلقا وكلام المصنف رحمه الله تعالى موهم لنفيه مقيدا * وقيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل له لا تهتم بهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الآباء لما أمرتنا به ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفى نفس الامر بل فى اعتقادهم أيضا فلا تعتبر ماقالوه وذكروه وعلى هذا فلا نسخ كما مر * قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وايهام استملوما فى هذا انه يلام فى غيره لا يلتفت اليه لانه على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى وليس فى قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ماقبله لان الثانى فيه كناية عن الاول كما توهم لان المعنى انك بلغتنا الكل وأديته كما ينبغى فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم أو الثانية تعميم بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه بلغ ووفى حق ما بلغه والثانية تفيد انه مامور بالتبليغ كمن أرسل برسالة وأمانة فاوصلها (ومثله) فى التسلية الدالة على الشفقة والمحبة (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أى دم على الصبر فى تنفيذ ما حكم الله تعالى به ولا تحزن ولا تخف من الاعداء فانك محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا يدب بساحتك عقارب كيدهم أو اصبر لاجل حكم الله أى لتبليغ أحكامه وفى المعالم اصبر الى أن يقع ما حكمنا به أو الى أن نحكم أو ننزل حكما وفيه الايماء الى قتالهم واللام بمعنى على أو للتعليل أو بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره فى الازل أى لا تنزعج بالتعب فى سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف اليه لله بصيغة التعظيم ولايهامه التعدد لا يجوز اطلاقه منا عليه بل نقتصر فيه على ماقاله الله فى حق نفسه كما نقله الدمامينى فى شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة أو المجاز المرسل كما يقال هو بعينى أو على عينى وبمراى ومسمع منى وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه أو لكثرة أسباب الحفظ فان رؤيته تعالى تتعلق بكل شئ وليست مخصوصة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى ان جمع القلة مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول ان حفظ جميع مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار بقوله

(ثم) أى بعد ان سلاه (طيب نفسه) أى أرضاه (وابان عذره) أى أظهره (بقوله فتولى عنهم) اشفاقا عليه بترك معالجتهم (أى أعرض عنهم) أى بعد ما بذلت جهدك فى الدعوة وألزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) فى مكالمتهم (أى) حينئذ (فى أداء ما بلغت) أى من الاعلام (وابلاغ ما حملت) بضم حاء وتشديد ميم مكسورة أى كلفت من الاحكام والمعنى فما تلام فى اعراضك عنهم بعد ما كررت عليهم مبالغا فى تبليغ ما أمرت به لهم ومثله (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أى بمرأى منا

(أى اصبر على اذاهم) أى و قائلٌ فى عناهم (فانكَ بحيث نراكَ ونحفظكَ) وجمع العين لجمع الضمير مبالغة فى كثرة أسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) أى بما ذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) أى كما لا يخفى على حفاظ المبنى

(الفصل السابع) فيما أخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) أى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو الغالب على سائر الكتب بنسخه اياها أو النادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) أى مرتبته (وشريف منزلته) أى يشهدان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) هو كما اختاره المصنف على ظاهره من أخذ الميثاق عليهم بما ذكر أو ميثاقهم الذى وثقوه على أممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية والتقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه ودخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها قسما نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك أو موصولة صلتها ما بعدها والعائد محذوف أى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين) وفى يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف أى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية أى لاجل اتيانى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجىء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أى الله تعالى للنبيين أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى أى قبلتم عهدى قالوا أقررنا قال فاشهدوا أى بعضكم على بعض بالاقرار وأنا معكم من الشاهدين على اقراركم وتشاهدكم وهذا توكيد عظيم وتعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه ولا يلحقون مكانه

(أى اصبر على اذاهم فانكَ بحيث نراكَ ونحفظكَ) بيان للمراد من هذه الآية وارادة الحفظ والمجازاة بعيد ولا تلتفت لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفى الشرح الجديد دلالة ما ذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان بعينى استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة لازمه وهو فى حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر فى عينك كان محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط الرؤية عدم مماسة العين للمرئى فان أريد معناه الحقيقى على ان الباء للظرفية المجازية فالحفظ مراد بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها فى حقه تعالى وذهب البيضاوى فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا الى ان الباء للملابسة والتعبير بكثرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا كناية فيه أصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر (سلاه الله بهذا) أى بمثل هذا الكلام وما فى معناه بذكره (فى آى) بمد الهمزة وتخفيف الياء جمع آية أو اسم جنس جمعى لها ولا حاجة لجعل فى بمعنى مع كما قيل وان صح هنا (كثيرة) كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا (من هذا المعنى) من بيانية والتقدير كائنة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد بالتاييد والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال فى المصباح تقول العامة لاى معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب ما معنى هذا بكسر النون وتشديد الياء وقال أبو زيد هذا فى معناة هذا وفى معناه سواء أى فى مماثلته ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابى معنى الشئ ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ وفى التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتاويل واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا فى معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول أبى زيد والفارابى واجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها وهى قولهم هذا بمعنى هذا وهذا فى المعنى واحد وسواء أى مماثله ومشابهه انتهى وللنا فيه كلام فى حواشى الرضى *(الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز)*

أى العظيم الشريف أو القوى أدلته ومعانيه أو الذى لا نظير له فى الكتب (من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحظوة رتبته) وفى بعض النسخ عليهم أى على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الانبياء كما سترى تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الظاء المشالة أى اختصاص رتبته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحظ الاوفر من حظى عند غيره يحظى من باب تعب حظة كعدة اذا أحبوه ورفعوا منزلته فهو حظى على فعيل وقوله على الانبياء متعلق بما قبله لتضمينه معنى العلو (قوله تعالى) وفى بعض النسخ قال الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين) يعنى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

وفى بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال ابن المنير فى تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد أخذ الله الميثاق على النبيين أو على الامم الميثاق الذى شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم وهو بتقدير مضاف أى ميثاق أمم النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعوا النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن أحق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره لانهم لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما آتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية واللام موطئة للقسم لان أخذ الميثاق فى معنى الاستخلاف وعلى الشرطية جواب القسم سادمسد الامرين وهو قوله لتؤمنن به وقرأ حمزة لما بالكسر أى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا فى نصرتكم اياه لانكم أوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كائنا مع من كان ولانه جاء بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم فاذا كانت ما شرطية أو موصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك مايبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف فى الحجة ويجوز على قراءة الكسر والتعليل ان تكون ما موصولة أى أوجبت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام نصرة النبى المدعو به فى المستقبل لاجل الكتاب الذى آتيته كل واحد منهم وجملة جاءكم معطوفة على الصلة أقيم فيها الظاهر مقام المضمر والتقدير لما آتيتكموه من الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق له وقرأ ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوى المصدرية وقيل أصل لما لمن ما أدغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احداهما والمعنى لمن أجل ما آتيتكم من كتاب وهو قريب من قراءة حمزة بالكسر انتهى * واعلم ان هذه الآية أجل آية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أفردها التقى السبكى برسالة سماها التعظيم والمنة فى معنى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فيها فى هذه الآية من التنويه به صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم قدره العلى مالا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون قوله و بعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى ان يفهم منه انه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولهذا رأى آدم عليه الصلاة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلم نبوتهم فى ذلك وقبله فلا بد من خصوصية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاجلها أخبر هذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك * فان قلت أريد ان أفهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سنه أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك فغيره كذلك * قلت قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الى آخره الى روحه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهى ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله بها كل حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام

آتاها الله ذلك الوصف بان يخلقها متهيئة لذلك وأفاض عليها من ذلك فصار صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته عليهم الصلاة والسلام وغيرهم كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته تعجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الكرامة وقد تكون افاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه وتعالى ولا شك ان كلما يقع فالله تعالى عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية له والشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره لعلمهم بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزل عليه القرآن فى أول ما جاءه جبريل صلوات الله تعالى عليهما وسلامه وهو فعل من أفعاله سبحانه من جملة معلوماته من آثار قدرته وارادته واختياره فى محل خاص يتصف بها فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسائط من أفعاله سبحانه وتعالى يحدث على حسب اختياره سبحانه وتعالى منها ما يظهر لهم بعد ذلك ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم من ربه سبحانه وتعالى وانه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وأخذ المواثيق فى معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم فى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه * (لطيفة) * هذا كايمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء وكأنها أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هو نبى الانبياء ولقد أظهر ذلك فى الآخرة بكون جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسراء اذ صلى بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمن آدم وغيره وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما أمره متوقف على اجتماعه معهم فتأخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتى عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نبى كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه يأتى واحدا من هذه الامة نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر أو نهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبى على حاله صلى الله عليه وسلم لم ينقص منه شيئا وكذا لو بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمنه أو زمن موسى وغيره كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق على شرائعهم فى الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته

فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ أو لانسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ماجاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا أحدهما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا الى آخره كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك على ماشرحناه وانما يفترق الحال بين مابعد وجود جسده صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه الاربعين وماقبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لابالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفؤ ولا يوجد الابعد مدة وذلك لايقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل انتهى * أقول بعدما أقدم لك حديثا رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام انه من لقيني وهو جاحد بأحمد ادخلته النار قال يارب ومن أحمد قال ماخلقت خلقا أكرم على منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان أخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم أسود بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال أجعلني من أمة ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في الخصائص الكبرى * واعلم ان معنى كون أحد من أمة نبي من الانبياء انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهي أمة دعوة وأمة اجابة ويلزم من أجابه من أمته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في كل ماجاء به واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع شريعته والتعبد بها ألاترى ان الله أعزه وعظمه وأحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم معظمون له ومحبون لانهم أعرف به من غيرهم مع أنهم غير مكلفين باحكام شرعه والالم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه ألاترى الى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وماني معناها من الآيات اذا عرفت هذا فاعلم ان ماقاله السبكي رحمه الله تعالى واحتج به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له عند من له بصيرة نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من تقدمه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلماء الملل السالفة غير مبالغين في تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى آخر ومن ظنهما أمرا واحدا لايعتد به وقوله لتؤمنن به دون شرعه مناد عليه وكيف يتاتى ماقاله مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى عليه الصلاة والسلام ان يكون من أمته عليه الصلاة والسلام فاجابه الله بما سمعته آنفا في الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم الى آخره لامعنى له وقوله في حديث كنت نبيا الى آخره انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم أظهره الله لغيره

من الملائكة والارواح تشريفاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته ان أراد به روحه رجع لماقبله وان أراد غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعناقه وقوله في حق عيسى عليه الصلاة والسلام انه يأتي في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم جمع بين النصب والنون * وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان توسط بين شيئين أضيف لهما وقد يكون للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى افتراق ويتجوز به عن معان أخر كما يقال بين الخوف والرجاء أي متردد بينهما يكون تارة خائفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض أي مزه والكلمة بين اسم وفعل وحرف أي منقسمة لها وقوله في الحديث بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقي لاقتضائه وجود روح آدم عليه الصلاة والسلام وجسده حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا ولا شئ من المعاني السابقة فالظاهر أنه ظرف زمان أي في زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل خلق جسده على انه نباه في عالم الارواح وأطلع الارواح على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته صلى الله عليه وسلم والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححوه فيكون رواية بالمعنى ان لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مالم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله واذ متعلقة باذكر وامقدرا وحده أو اذكروا يا أهل الكتاب فقوله يا أهل الكتاب ان أريد به جميعهم فظاهر وان أريد به الموجودون في زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فالتنزيل ما جاء آباءهم بمنزلة ما جاءهم أو يقدر اذ جاء آباءكم والميثاق العهد واليمين وقيل انه متعلق بأقررتم وان أخر والمراد بالكتاب الجنس والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد بالنبيين مطلقهم أومع أممهم أو أنبياء بني اسرائيل ومن تبعيضية أو بيانية واللام موطئة أو ابتدائية (ثم جاءكم رسول) التنوين والابهام للتعظيم لان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد أخذ على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يصدق بعضهم بعضا ويأمر باتباعه والايمان به وهو مروي عن ابن جبير كما مر (مصدق لما معكم) من وضع الظاهر موضع المضمر كما مر وقيل تقديره جاءكم به فالعائد محذوف وهو تكلف (لتؤمنن به) أي برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية أو جوابها محذوف وعلى كل حال أي سواء كانت شرطية أو موصولة مبتدأ لابد في الجواب أو الخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التجاني قد يستغنى بعود الضمير الى ما في اثناء الجملة عن العود الى المبتدأ أو الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل هو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلابد من التقدير أي ان ضميره به لما بتقدير المصدق أي رسالته مصدقة *أقول ماعده غريبا أشهر من قفانبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه انه مذهب الاخفش والكسائي وصرح به السيد في شرح الكشاف في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفي الروض الانف ان ما في هذه الآية مبتدأ بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدان على رسول ولكن لما كان رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظائر في التنزيل انتهى (ولتنصرنه) على عدوه (قال) الله لهم (ءاقررتم) للاستثبات (وأخذتم على ذلكم) أي قبلتم على ذلك المذكور (اصري) عهدي وميثاقي (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أي الملائكة على اقرارهم أو بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) على ماسبق (قال أبو الحسن القابسي) تقدمت ترجمته في أول الفصل الثاني من هذا الباب وفي انساب السمعاني قابس بلدة بالمغرب

(قال أبو الحسن القابسي) سبق ذكره

اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) أى بزيادة فضيلة (لم يؤته غيره) أى من فضلاء أنبيائه (ابانه به) جملة استئناف أى أظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفى نسخة ضبط ابانة بالمصدر على أنه منصوب على العلة أى اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شانه وتمام جماله (وهو ماذكره فى هذه الآية) أى مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحى) أى الى أنبيائه (فلم يبعث نبيا الاذكر له محمدا ونعته) أى وذكر له صفته كما فى التوراة والانجيل وغيرهما على مامر (وأخذ عليه) أى على كل نبى (ميثاقه) أى الخاص به وهو (ان أدركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر أنه ينظر فى صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا ماوسعه الااتباعى أى لاجل أخذ الميثاق بذلك والافكان الامر يقتضى عكس ماهنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل أن يبينه) أى أخذه عليه أن يبينه (لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) وفى نسخة لمن بعده أى وهكذا الى أن يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه وتعالى بقوله واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية

استخص الله تعالى) استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله تعالى لا تتخلف فمعنى أراد كذا فعله وهو تكلف لا حاجة اليه (بقوله) أى بسبب قوله هذا فى الآية للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سقط هذا من بعض النسخ (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره) مؤكدا للتخصيص دفعا لتوهم المجاز أو ارادة التخصيص الذكرى (ابانه به) أى أظهر ذلك الفضل له أو فضله وميزه به عن غيره وهو مؤكد لما قبله أيضا سواء كان مستأنف أم لا وباؤه للتعدية أو سببية (وهو) أى الفضل المختص به (ماذكره فى هذه الآية) قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر من أن بعض المفسرين قال انها عامة وان كل نبى أخذ عليه العهد بان يصدق بمن بعده وأن يؤمن بعضهم ببعض وقال البغوى والثعلبى اه عليه كثير من المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فسر الرسول هنا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر ثابت بغير هذه الآية مقرر عندهم وأجيب بان العهد الماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالى من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته أو أن الفضل المخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ العهد بان يؤمنوا به ويتبعوه ان أدركوه حتى يكونوا من أمته والآية محمولة على هذا كما مر عن السبكى فلا اشكال (قال المفسرون) أى بعضهم وكون التعريف للعهد لا قرينة عليه (أخذ الله الميثاق بالوحى) الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحمل هذا على ماوقع فى عالم الذر حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام وأخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم فيكون أخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فالوحى مجاز عن مطلق الاعلام أو هو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اذا وصاه اليه بعيد جدا والحق أن هذا أمر آخر فى هذه النشاة كما يدل عليه قوله (فلم يبعث نبيا الاذكر له محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ونعته) بصيغة المصدر المنصوب والماضى أى ذكر له صفته أى لم يبعثه فى حال من الاحوال الا حال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع فى أوله أو بعده مقارن له فالحال فى زمن العامل (وأخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لم يبعث نبيا أى ميثاق ذلك النبى الماخوذ عليه أو لله تعالى والاول أوفق باضافة الميثاق للنبيين فى الآية أو لمحمد أى الميثاق الماخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة الى أن شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع فيجب على كل من أدركه اتباعه فيعلم الرسل به أممهم ويامرونهم بتبليغه لمن بعدهم وفى الحديث ولو كان موسى عليه الصلاة والسلام حيا ماوسعه الا اتباعى وسياتى ما فى التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح بهذا ومعنى أدركه انه عاش حتى يجىء زمنه فيلقاه فى الدنيا قال الشريف هنا مانقل عن السبكى رحمه الله من أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا من أمته وعلى دينه فى زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد مما لا دليل له عليه ولا قائل به والاحتمال المخالف للظواهر لا اعتداد به انتهى وما نقله عن السبكى غير صحيح وان كان كلامه مردودا من وجه آخر كما بيناه فى صدر هذا الفصل (وقيل معنى هذه الآية (ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم) أى أخذ الله العهد على كل نبى ان يؤمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وينصره اذا أدرك زمنه وفى هذا من تشريفه واعلاء قدره مالا يخفى والايمان لابد فيه من مطابقة القول للاعتقاد واذا تلفظ به علانية فقد بينه فما قيل من أن حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا ولعل المراد ما فى بعض التفاسير انه يصفه ويقول من أدركه منكم فليؤمن به غنى عن الرد وقال التجانى ان المصنف رحمه الله تعالى نقض ماقدمه عن المفسرين من أخذ

الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله (وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وتبعه بعض الشراح فقال هذا لا يصح على القول بانه تعالى أخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل خطاب جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال أخذ ميثاق معاصريه وأضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الآخذون على أممهم وأنهم يأخذونه عنى من بعدهم الى أن يبعث أوسه وانبيين تهكما كما مر ورد بانه من تتمة القول الثاني لا الاول لتصريحهم بخلافه ومنافاته له والمراد ان الخطاب في جاءكم آتيتكم لمن ذكر فالمعنى انه أخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يبينوا لكم أيها المعاصرون بواسطة أصحابهم وجوب الايمان ونصره وليس المراد الخطاب في جاءكم فقط لانه بعيد جدا ولا حاجة للتكلف أن يقال ان المعنى انه قيل للانبياء اذا جاء بعضا بعد كم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ثم جاءكم ولم يتامل هذا من قال من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجعل الخطاب في قوله ثم جاءكم الا لهم ومن يقول أنه لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتاول اضافته للنبيين بانهم الذين أخذوه عن الله تعالى فالاضافة الى الآخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونه من تتمة الثاني ممنوع لان محصله أنه تعالى أخذ الميثاق على كل نبي أن يبين محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لقومه ليؤمنوا به وينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب ان العاصرين أو لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ثم أن الطيبي رحمه الله تعالى نقل عن بعضهم الوقف على النبيين وأن الله تعالى أمرهم بعد ذلك فقال قولوا للامة على مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به فبطل حينئذ القول بان من يقول الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجعل الخطاب الا لهم لان منهم من جعل للامم لا لهم فيحتمل أن المصنف رحمه الله ماش على هذا فالخطاب للعاصرين وأخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) فقط لجواز الوقف عليه فتامل (قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه) وهذا رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة محتملة للنقل بالمعنى أو تعدد القول المروي عن علي رضي الله عنه (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) في حال من الاحوال (الا) في حال ان (أخذ الميثاق عليه) وفي لفظ العهد عليه (في) حق (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث محمد (وهو) أي ذلك النبي (حي ليؤمنن به ولينصرنه) وأمر باخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولينصرنه من أدركه منهم كما قاله البغوي وأشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (ويأخذ العهد على قومه بذلك أي للايمان به ونصرته وعدى أخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) اشعارا بمضرته لهم اذ فرطوا فيه أو نقضوه كما أن فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم في الشئ واليمين وكل منها محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في قوله من آدم لابتداء الغاية وقوله فمن بعده أي واحدا بعد واحد ويأخذ قال الشمني بالنصب رواية عن المصنف رحمه الله تعالى وهو كذلك في النسخ الصحيحة المصححة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير نون التوكيد الخفيفة ورده السيد عيسى بانه يكون حينئذ من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد الا أن يأخذ الانبياء في زمنهم من أممهم أنه اذا بعث وهم أحياء ليؤمنن به ويؤيده ما في اللباب وتفسير البغوي عن علي رضي الله تعالى عنه ما بعث الله تعالى نبيا الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا أدركوا زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الى آخره على أنها في موضع مفرد من باب زرني فاكرمك أي

(وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفي نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الذين كانوا في زمانه ولا يخفى أن هذا المعنى لا يصح على القول بانه تعالى أخذ ميثاق النبيين ذلك اذ من قاله لا يجعل الخطاب الا لهم وانما يصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته في الآية الى النبيين نظرا الى أنهم هم الذين أخذوه على أممهم وأنهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى أن يبعث فتقدير الآية واذ أخذ الله ميثاق الذي أخذ النبيون على أممهم (قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير في تفسيره عنه أنه قال موقوفا يكون في الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) أي نبيا بعد نبي الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (ويأخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كاراد تهافي قوله لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه حيث اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن أي وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفي نسخة برفع يأخذ

(ونحوه عن السدى) أى ونحو هذا القول المروى عن على منقول عن السدى (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة وانه من اجلاء التابعين وعظماء المفسرين وأما السدى فهو بضم السين وتشديد المهملتين كان يجلس فى سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى الكوفى يروى عن ابن عباس وأنس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وأبو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث أخرج له مسلم والاربعة وأما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام ابن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبى والظاهر ان المراد هنا الاول والله أعلم (فى آى) أى حال كون هذه الآية مندرجة فى ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) أى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) أى بل من وجوه متعدده (قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) أى بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الآية) أى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم أولوا العزم من الرسل ومشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته فى عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أى عظيما شانه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر لبيان وصفه تعظيما لمقامه (وقال انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله تعالى وكيلا) وفى نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده أوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشان لا من جهة التقدم فى الزمان والواو وان لم تقتض

أى الا أخذ العهد عليه فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالايمان به والنصر ان بعث وهو حى وبان يأخذ فالوجه ان التقدير وأمر ان يأخذ كقوله أفغير الله تامرونى أعبد فيمن نصب أى بان أعبد على نهج علفتها تبنا وماء ويعضده مامر من التفسير * أقول ماذكره الشمنى ذكره أيضا القسطلانى فى حاشيته وكذلك كونه مؤكدا بالنون الخفيفة على نهج قوله

لاتهين الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه

وعلى هذا ففى الكلام مقدر أى ويأخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حى وهذا التقدير لابد منه على كل حال فاعرفه (ونحوه عن السدى وقتادة) أى مثل ماذكر عن على مروى عن السدى وعن قتادة والسدى بضم السين وتشديد الدال المهملتين هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة المحدث المشهور واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لايحتج به وقال الشمنى انه كوفى تابعى مفسر صدوق الا انه متهم بالتشيع وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم مات سنة سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب الى سدة مسجد الكوفة وهى مايبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه كما فى القاموس وفى المصباح السدة الباب وينسب الها على لفظها فيقال سدى جماعة ومنهم الامام المشهور اسمعيل السدى لانه كان يبيع المقانع ونحوها فى سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه الرواية عنهما أثبتها ابن جرير (فى آى) أى هذا المذكور مروى فى جملة آى جمع آية كآيات (تضمنت فضله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه واحد) وهذه الجملة صفة آى وآى بالمد وتخفيف الياء قال التلمسانى هذا متصل بقوله فى أول الفصل ما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز فى الآية المذكورة مع فى آيات دلت على فضله من وجوه كثيرة وتبين المعنى قال الله تعالى واذ أخذ فى جملة آيات أو عن السدى فيها وفى آى أخر ولو تعلقت باول الفصل وجب تقديمه على الآية لانه من جملة الترجمة وليس ماقاله متعينا كما ظنه (قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية) قيل أخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويعلن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بانه لانبى بعده ففيها تفضيل له صلى الله تعالى عليه وسلم من وجوه كما سياتى وقال التجانى ذكر الله فى هذه الآية النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتى كقوله تعالى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أو لتقدم زمانى لتقدم نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن يكون تقديم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للامرين لحديث كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد فى الحديث ابدؤا بما بدأ الله به وقد راعى هذا الفقهاء فى الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الآية وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أى عظيما شانه أو مؤكدا باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما له وقدم نوح فى قوله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا لاقتضاء المقام له لان السياق لوصف دين الاسلام بالاصالة فى الاستقامة فتدبر (وقال عز وجل انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله وكيلا)

الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم فى الذكر على المتأخر فى اللفظ واليه أشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الحافظ فى كتاب البيان والتبيين ان عبد بنى الحسحاس لما أنشد عمر رضى الله تعالى عنه قوله

*(هريرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا)*

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وهو بعض خبر هنا ذكره الرشاطى كله فى اقتباس الانوار (انه قال) أى عمر (فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبى على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا أى بكيت عليه وذلك حين أفاق من غشيته وتحقق عنده موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة أبى بكر وموعظته قائلا بابى أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم

كذا فى النسخ وفى بعضها الى قوله شهيدا يعنى قوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى بخطا كما توهم لان بعد شهيدا آيات أربع آخرها وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة ومجيئه من الله تعالى بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغى اصلاحه أوانه قراءة شاذة أو قراءة بالمعنى وهم وارتكاب أمور لا تليق واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه الآية غير تامة الغرض فيما عقدله الفصل من تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك الى آخره يدل على الغرض اذ لم يذكر مثل ذلك فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل التشبيه لوحيه بالوحى الى الكل يدل فى الجملة على التفضيل على كل واحد والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفصل فى بيان المنزلة مطلقا وما ذكره استطرادى فلا اشكال يعنى ما وقع فى نسخ الترجمة من حظوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذى استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن يقتضى اختصاصه بشهادة الله له لما أوحاه له وانه أنزله بعلمه مع ان كل ما نزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا عظيما لا يعلمه الا الله وفى هذا من التفضيل والتشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ما لا يخفى وسياتى جواب هو الحق عندى وذكر نوح دون آدم عليهما الصلاة والسلام لانه أول مشرع عند بعضهم أولانه أول نبى عوقب قومه أو أول الرسل أو لعموم دعوته وعلى الثانى فيه تهديد للمشركين (روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) قال السيوطى فى تخريجه لم أجده فى شئ من كتب الآثر لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج فى مدخله ذكراه فى ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق بالاحكام (انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أول هذا الكلام بابى أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فاهلك أولى بالحنين عليك حتى فارقتهم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى عليه الصلاة والسلام أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله تعالى وسلم عليك بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذا باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح فى ليلتك بالابطح صلى الله تعالى وسلم عليك بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أعطاه الله احياء الموتى فما ذاك باعجب من الشاة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت لا تاكلنى فانى مسمومة بابى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنينك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا عليه الصلاة والسلام فى كثرة سنينه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل * بابى أنت وأمى يارسول الله لو لم تجالس الا كفؤك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفؤك لما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفؤك لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت

(فقال) أي عمر (بابي أنت وأمي) متعلق بمقدر وبحذفه أبدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لفظه ور المعنى

الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ويأتي شرح بعض تلك الالفاظ عند ذكر المصنف له وبكى في كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها كما في المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه في غيبته وأبكاه وبكاه اذا حمل غيره على ان يبكي بوجه ما ولو كان هذا مشددا كان المعنى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى وليس هذا مرادا قطعا هنا وان سلم وروده بمعنى المخففة لقول الجوهري بكيت الشئ مخففا ومشددا أي بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الاترى الى قوله ولا يغرركم مني ابتسام * فقولي مضحك والفعل مبكي فلا وجه لما قيل المراد انه بكى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الكلام وذكره بعد وفاته كما نقله الرشاطي أو المعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما في المواهب خطا على خطا انتهى (فقال) أي عمر رضي الله تعالى عنه والفاء عاطفة لمفصل على مجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ولا تقدير ولا تأكيد كما توهم (بابي أنت وأمي يارسول الله) هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه واظهار محبته أي لو نزل بك أمر يقبل الفداء باحد من البشر بذلت في فدائك أبوي فضلا عن المال وغيره وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من أصحابه رضي الله تعالى عنهم وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فخطابه بانت اتنزيله منزلة الحاضر لكونه نصب عينه منتقشا حاله في صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غني عن شاهد وأنت مبتدأ والجار والمجرور خبر مقدم أي أنت مفدى بابي وأمي أو أصله أفديك بابي وأمي فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتأخر والبقاء للمقابلة الدال عليها الفداء ومنع الثاني لا وجه له (لقد بلغ من فضيلتك عند الله) أي في علمه وحكمه وتقربك منه ومن في من فضيلتك جوز فيها ان تكون زائدة في الاثبات على رأي فضيلتك فاعل والمعنى بعد فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل ميلا مع المعنى كما جوز التفتازاني أن تكون مبتدأ في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية أي بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وأن بعثك الآتي مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها بيانية مقدمة على رأي من جوزه كما تقدم (ان بعثك آخر الانبياء) أي جعل بعثتك الظاهرة في آخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ بشريعتك سائر الشرائع ويبقى دينك الى يوم القيامة (وذكرك في أولهم) بصيغة الماضي أي قدم ذكرك على ذكرهم في التفضيل (فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية) ليدل على انك عنده أعظم من سائر الرسل وأشرف وبهذا الذي قال عمر رضي الله تعالى عنه علم ان هذه الآية دالة على ما عقد المصنف رحمه الله تعالى له الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناشئ من عدم الوقوف على ما أراده وما مر من الاجوبة بمعزل عما قصده وهذا ما وعدناك به والاولية التقدم في الشرف والرتبة أي ان من خص بالذكر في الآية من أولي العزم مقدم الرتبة على غيره فهم أول أنت منهم وأعلاهم فلذا قال في أولهم ولم يقل أولهم كما قال آخر الانبياء لانه لا خاتم للرسالة غيره مع التفنن البديع (بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) فيما تقدم مزيد بيان لهذا (ان أهل النار) من أمة الدعوة تلك كلهم أو بعضهم كما سيأتي (يودون أن يكونوا أطاعوك) وروي لو أنهم يكونون أطاعوك والود في الاصل المودة وهي دوام المحبة ثم صارت بمعنى اليمين والذي تمنوه طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه (وهم بين اطباقها يعذبون) جملة حالية والطباق جمع طبق وهي المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض ويعذبون بيان لما أورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف ثم المعنى بدونه (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) يا للتنبيه أو للنداء والمنادى نفسهم كقوله وهل تطيق وداعا أيها الرجل * أو لبعض المعذبين أو للزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقائلين

حتى قيل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقوله الصديق فديناك بآبائنا وأمهاتنا أي أفديك بابي وأمي (يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) أي في مقام الوجود (وذكرك في أولهم) أي في أول بعضهم عند ذكرهم اجمالا أي في معرض الكرم والجود (فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) أي على ما سبق (بابي أنت وأمي) أي أفديك بهما مرة بعد أخرى لانك بذلك أولى وأحرى (يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) أي عند الله سبحانه (أن أهل النار يودون) أي يتمنون ويحبون (أن يكونوا أطاعوك وهم بين اطباقها) أي طبقات النار (يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أي فلم يصبنا هذا العذاب تمنوا حيث لا ينفعهم التمني من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ما قال عمر رضي الله تعالى عنه بابي أنت

 وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بابي أنت وأمي

يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فاذلك ذلك باعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله
تعالى عليك وسلم بابي أنت وأمي يارسول الله لان كان سليمان ابن دواد أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فاذاك أعجب من
البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى عليك وسلم بابي أنت
وأمي يارسول الله لئن
كان عيسى ابن مريم أعطاه
الله تعالى أحياء الموتى فما
ذاك باعجب من الشاة
المسمومة حين كلمتك
فقالت لاتا كلني فاني
مسمومة صلى الله تعالى
عليك وسلم بابي أنت وأمي
يارسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لاتذر
على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا
لهلكنا من عند آخرنا
فلقد وطئ ظهرك
وأدمي وجهك وكسرت
رباعيتك فابيت ان
تقول الاخيرا وقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم
لايعلمون بابي أنت وأمي
يارسول الله لقد أتبعك
في قلة سنيك وقصر عمرك
مالم يتبع نوحا في كثرة
سنيه وطول عمر فلقد آمن
بك الكثير وما آمن معه
الا قليل بابي أنت وأمي
يارسول الله لو لم تجالس
الا الا كفاء ما جالستنا ولو
لم تنكح الا الى الاكفاء
ما نكحت الينا ولو لم
تؤاكل الا الا كفاء ما
واكلتنا لبست الصوف
وركبت الحمار ووضعت
طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتاده) أي كما رواه ابن أبي حاتم في ان
تفسيره وابن لال في مكارم الاخلاق وأبو نعيم في دلائله عنه مرسلا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت أول الانبيا في الخلق) أي
خلق روحه قبل أرواحهم أو في عالم الذر أو في التقدير بكتابته في اللوح أو ظهوره للملائكة (وآخرهم في البعث) أي لكونه خاتم النبيين

والمقول لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة التمني ما فات اظهارا للتحسر وانهم لشدة العذاب عاجزون
عن النطق كما قيل في قراءة يامال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه أشار العلاء الموصلي رحمه الله بقوله

ما كان أغني أهل نار جحيم * اذ نحوا يامال وسط جحيم
عجزوا عن استكمال كلمة مالك * فلاجل ذا نادوه بالترخيم

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أو أهلها عامة على أنهم تمنوا ان تكونوا
من مطيعي الله تعالى لرؤيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم أدركوا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم
وأطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء ويناسب
الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف رحمه الله تعالى له والا فكل طائفة جهنمية من أمة رسول تود
لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له صلى الله عليه وسلم حينئذ فضل على سائرهم من هذه الجهة
وقال التجاني كلام عمر رضي الله تعالى عنه قاله بعد تحقيقه من أبي بكر رضي الله تعالى عنه موت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله لما توفي وارتفع البكاء عليه ودهش الناس كما
روى عن غير واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من
خرس ومنهم من أقعد فكان ممن خبل عمر رضي الله تعالى عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توفي وانه والله مامات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل كما ذهب
موسى عليه الصلاة والسلام وغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى عليه الصلاة والسلام فيقطعن أيدي رجال زعموا
أنه مات واما عثمان رضي الله تعالى عنه فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يتكلم واقعد علي كرم الله
وجهه وبلغ الخبر أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره
وهو مع ذلك جلد العقل والمقال حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه
ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ثم خرج الى الناس وهم في عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم
بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال ياعمر أنت الذي
بلغني عنك انك تقول على باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا والذي نفس عمر بيده مات نبي
الله أما علمت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى في كتابه انك ميت
وانهم ميتون قال عمر فكأني والله لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا شم قال أشهد أن
الكتاب كما أنزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى حي لايموت وعنده نحتسب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم أسقط رضي الله تعالى عنه الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه بابي أنت وأمي
الى آخر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وبما ذكرناه لك علم مناسبة ماذكر من حال أهل النار لهذا الفصل
فسقط مايتوهم من انه حينئذ غير مناسب فاعرفه (قال قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت
أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث) هذا رواه البغوي والثعلبي مسندا عن قتادة عن الحسن عن
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ كنت أول النبيين ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم
بسند فيه راو اسمه مجهول وقال الغزالي أي كنت بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لاترتيب فيه
بل علم الكل دفعة وانما أراد تقدير ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ أو في علم ملك لما في صحيح مسلم مرفوعا

ان الله عزوجل كتب مقادير الخلق قبل السموات والارض بخمسين ألف سنة الحديث فتقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ما روى فى بعض الطرق كتبت بالتاء الفوقية والباء الموحدة الساكنة من الكتابة فالمعنى كنت أول الانبياء فى تقدير الخلق وآخرهم فى البعث لانه تعالى كتب مقادير الخلق كلها كما مر قيل ولا يجدى فى حل الاشكال على الحديث الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى ما قيل من انه تعالى لما صور طينة آدم عليه السلام أخرج منها ذرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ونباها واخذ الميثاق عليها ثم أعادها لظهره وهذا معنى حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أى خفى قبل نفخ الروح فيه كانه أخفى بين الماء والتراب الذى كانت منه طينته ونظيره الحديث المار وهو ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وآدم بين الروح والجسد أى ثبتت لى النبوة وآدم صورة بلا روح كما فى شرح المصابيح وحاصل معنى الحديث الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نبيا وآدم عليه الصلاة والسلام تراب بلا ماء يعجن به ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول * فان قلت ان أريد بالحديثين تعلق علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء والطين والروح والجسد * أجيب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كلمهم على قدر عقولهم وأراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجواب ثان عن الحديث الثانى وهو انه أراد انه تعالى لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبى آخر الزمان وجبت لى النبوة من ذلك الزمان لان ما حكم به وعلمه كائن لا محالة وهذا لا ينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال المراد بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبى يسمى آدم من الماء والتراب ومن صلبه نبى يسمى محمدا فى آخر الزمان وجبت لى النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا معنى قوله انى لخاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته الى آخر ما فصله * أقول مجرد تقدمه فى الكتابة حين التقدير أمر ظاهر ليس فيه تقدم وجودى فالانسب ما قيل ان الله تعالى خلق روحه قبل خلق الارواح ونباها وأخذ عليها الميثاق وأعلم بذلك أهل الملأ الاعلى أو ذلك فى عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار ان جبريل عليه الصلاة والسلام قبض من موضع قبره الشريف طينة منيرة عجنت بماء الجنة فصارت ذرة ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش وفى السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته قبل معرفة آدم وفى العوارف ان ذرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هى التى أجابت لما قالت أتينا طائعين ومنها دحيت الارض فهى الاصل والمراد ان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم أول مخلوق كما ورد فى الاحاديث وهذا أمر آخر غير الروح وهو المنتقل فى الاصلاب وقوله (فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره) من كلام قتادة تعليلا لكونه أول فى الخلق وهذا اشارة للآية وقيل بدل من مقدما أو وصف مبين لكيفية التقدم وفى نسخة على نوح وقد رواه القرطبى أيضا (قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله أى فيه ما يدل على تفضيله ويظهره أو فيه ما ينشأ من تفضيله لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان كان فى الآية تفضيل لكل من ذكر آخصيصه بالذكر بعد التعميم والثانى لا يختص به ففيه تفضيل له من وجهين واما تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم أفضل بعد نبينا عليهم الصلاة والسلام فلتقدمه بالزمان أو لانه أول رسول مشرع أو لما وقع له مما قاساه وصبر عليه (وهو آخرهم) زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام أى قدمه والحال انه آخرهم والتقدم فى الذكر فى الكلام المعجز لا بد له من نكتة وهى اما التقدم زمانه أو لتقدم ذاته بحسب الشرف وقد انعدم الاول فتعين الثانى اذ لا وجه له غيرهما وان كان التقدم عند الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لا مناسبة له بما نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون بحسب الوجود أيضا نظر الروحه وحقيقته والحاصل انه

(فلذلك) أى فلاجل كونه أولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) أى فى الآية السابقة (هنا قبل نوح وغيره) أى من أولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه أو على قومه (قال السمرقندى) وهو الامام أبو الليث من أئمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) أى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) أى لاظهار الاكرم والجود (وهو آخرهم) أى بعثا كما فى نسخة يعنى أى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود

(المعنى أخذ الله عليهم الميثاق اذاخرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعدخولهم في الميثاق
العام المعني به قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة وأخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة وأممهم تبعا انه صلى الله
تعالى عليه وسلم لوفرض انه وجد في أي زمان من الازمنة لتبعه جميع الانبياء وجميع أممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم
تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق في عالم الذر بعدقوله لهم الست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لا اله
غيري وانا ربكم فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا
فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لارب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغني
والحسن وغيرهما فقال يارب لوسويت بينهم فقال انى أحب ان أشكر فلما أقرهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض اعادهم الى
صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافرين العهد اذذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد
وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضي الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام
أول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وفي قراءة ذريتهم أي أخرج ذريته بعضا من صلب
بعض على مايتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره وأشهدهم على أنفسهم أي أشهد
بعضهم على بعض وأغرب الدلجي في انه بعدماذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب أهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية
والاثار عن الصحابة مال الى مذهب ٢٥٢ المعتزلة وتبع الزمخشري وسائر أهل البدعة حيث قالوا قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى
تخييل وتصوير للمعنى أي
نصب لهم ادلة ربوبيته
واودع عقولهم مايدعوهم
الى الاقرار بها فصاروا
بمنزلة من قيل لهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل
تمكينهم من العلم بها
وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة
التمثيل انتهى والله
يهدي من يشاء الى سواء
السبيل وفي كتاب القصص
في لوثيمة ابن الفرات يرفعه الى أبي موسى الاشعري انه قال لما خلق الله سبحانه وتعالى
آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يارب قال من خلقك فقال أنت يارب خلقتني قال فمن ربك قال أنت لا اله الا أنت قال فاخذ عليك
الميثاق بهذا قال نعم فاخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذذاك أبيض ولولا ماسوده المشركون بمسهم اياه لما
استشفى به ذوعاهة الاشفي به فقال الله سبحانه وتعالى امسح يدك على الحجر بالوفاء ففعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى
ثم أخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما أخذه على آدم ثم أخذ
العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان أدركوا زمانه فالتزموا ذلك وشهد به
بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم وأخذ بعد ذلك العهد على سائر بني آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين
والمنافقين لم يطيقوا ذلك لصياصي خلقت في أصلابهم ثم أمر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء
كالسرج والكواكب فقال يارب من هؤلاء قال هم الانبياء والعلماء من ذريتك فقال يارب ومن هؤلاء الذين أراهم ببعض الالوان قال
هم أصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هولاء الذين أراهم سودا قال هم أصحاب الشمال وقد اعددت
لهم الهوان وجعلتهم أشقياء فقال يارب لوسويت بين خلقك أجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها أهلا وخلقت النار وجعلت
لها أهلا ثم اختلف العلماء في محل أخذ هذا العهد ففي كتاب الثعلبي انه كان في السماء وان الله سبحانه وتعالى أخرج آدم من الجنة ولم يهبط
الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفي تاريخ الطبراني ان الله سبحانه وتعالى أهبط آدم من السماء الى نعمان وأخذ عليه
وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان واد في طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون ويقال له نعمان الاراك لكثرته به

للفضل الا أن الجهات مختلفة كذا في الشروح الا أن قوله (المعنى أخذ الله عليهم الميثاق اذاخرجهم من
ظهر آدم عليه الصلاة والسلام كالذر) سواء كان من كلام السمرقندي أو من كلام المصنف يأبى
ماقالوه لان المراد ان تقدمه في الذكر لتقدمه في أخذ الميثاق في عالم الذر كما نطق به السياق والالم يكن
لذكره هنا التئام مع ماقبله والذر واحده ذرة وهي كما قاله التلمساني النملة الصغيرة البيضاء
أو الحمراء أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزأ من شعيرة وقيل جزء من ألف وسبعة وعشرين جزأ
منها وقيل أصغر شئ لا يعلمه الا الله تعالى وعدى أخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير لا التكليف
كما قيل لانه لا يتعدى بعلى وقوله اذاخرجهم أي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه
بعض الشراح بان هذا الميثاق ان كان ما في قوله تعالى الست بربكم الخ فهو شامل للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه وكذا ان كان الميثاق الماخوذ في التبليغ والايمان بالرسل
السابق وقد ورد بان البغوي رحمه الله تعالى نقل تقدمه في ذلك ومثله لا يقال من قبل الرأي لنقله
عن الله وقد تقدم ان الاخذ على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل ذلك اليوم فلعل ذلك كان

في مرة أخرى والسمرقندي لم يرد أن تقديمه لتقدم الاخذ وهو كلام لا محصل له وأخذ هذه الذرات كلها
سواء كان من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام بغير واسطة أو بواسطة أصولهم وآبائهم وتركيب العقل
والادراك فيهم ليأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به ويشهد على ذلك أمر نؤمن به ونصدقه وان كنا
لا نقف على حقيقته كما هي فالبحث عنه كما في الشروح لا نتيجة له فينبغي الكف عنه كما ذهب اليه
السلف وهو ثابت في القرآن والاحاديث الصحيحة وفي قوله كالذر اشارة الى أن الذرية فعلية
من الذر وذالها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فتركت همزته للتخفيف
(وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى جماعة سبقوا في الذكر
أي أو معلومين للمخاطب أو لجميع الرسل عليهم الصلاة السلام وما ورد من عدم الفرق والتفضيل
بالنسبة لاصل النبوة أو ما أول كما سيأتي وقال التفتازاني رحمه الله تعالى أجمع المسلمون على ان أفضل
الرسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ثم آدم وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى
عليهم الصلاة والسلام انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم عليه السلام لما ورد في الحديث انه خير
البرية وقال السيوطي اتفق أهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح لم يذكروا
مراتب بقيتهم انتهى وفيه نظر * واعلم ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال في كتاب الابتهاج
وقع للطوفي في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
انه احتج بهذه الآية على ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة
والسلام لانه أمر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بفعلهم الاتيان بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر
وحينئذ قد فعل صلى الله تعالى عليه وسلم وحده من الطاعة مثل ما فعل هؤلاء جميعهم والواحد اذا
فعل مثل فعل جماعة كان أفضل منهم ويحكى أن هذه المسئلة وقعت في زمن عز بن عبد السلام رحمه
الله تعالى فافتى فيها بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أفضل من كل واحد منهم لا انه أفضل من جميعهم
فقام الأجماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى * أقول نحن لا نشك
في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من كل واحد منهم ومن الجميع أيضا وما ذكره الطوفي رحمه الله
تعالى ماخوذ من التفسير الكبير الا أن في الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما أتى به واحد منهم
الا مساواته للمجموع لا أفضليته عليهم وكأنه الداعي للعز على ما قاله بل قد يتوقف في المساواة أيضا فانك
لو أنعمت على أربعة فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر أربعة كان لصاحب
الاربعة زيادة على كل واحد دون جميع ما لغيره ولو أعطيته ستة كان مساويا لهم ولو أعطيته عشرة زاد
عليهم فينبغي أن يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ساواهم في العمل وزاد عليهم بانه أعلم منهم بالله
وأكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب وعلو المنزلة وهو أكثرهم ثوابا وأمته
صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من جميع الامم وأجرهم له الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن
بعضها فوق بعض كان الذي فوق الاخير أعلى من الجميع وفي الآية ايماء لهذا حيث أبهم وعبر
برفع الدرجات دون أن يسميه ويقول انه أعظم أو أفضل فاعرفه * ثم اعلم ان قوله في تتمة الآية منهم
من كلم الله فيه وجهان أحدهما انه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ومنهم من قال ان المراد
موسى عليه الصلاة والسلام والمناسب هنا الاول وان كان الاشهر الثاني (قال أهل التفسير أراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رفع الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمراد بالبعض محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه
لا يلتبس كما قيل

وأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

(وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم في السورة أو الى كلهم المعهودين في العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام قيل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلام موسى ليلة الحيرة في الطور ومحمد ليلة المعراج في مقام النور حين كان قاب قوسين أو أدنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كالمه ومن ثمة قيل كليم الله بمعنى مكالمه (وقال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أي رفعه على سائر الانبياء من وجوه متعددة ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة

وقيل المراد بالبعض أولوا العزم وقيل غير ذلك ولما أبهم أولا في التفضيل أخذ في التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من آتاه المعجزات وغير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعضهم دون منهم وذكر رفع الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى مباينة هذا القسم لغيره ونظيره قول الحماسي

ومن الرجال اسنة مذروبة * ومزندون شهودهم كالغائب
منهم ليوث ماترام وبعضهم * مماقمشت وضم حبل الحاطب

(لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الاحمر والاسود) أي جميع الناس أو العرب والعجم أو العرب وغيرهم أو الانس والجن وأشهر الاقوال الثاني والمراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول في المرأة حمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم في صفة الناس النقاء من العيوب فاذا أرادوا اللون قالوا الاحمر وهذا قول ثعلب من أئمة اللغة ورده في النهاية باستعمال الابيض في صفات الناس كثيرا كقول امرىء القيس * مهفهفة بيضاء غير مفاضة * وجاء في الحلية الشريفة كما سياق أبيض اللون مشربا بالحمرة وعن أنس رضي الله تعالى عنه أبيض كانما صيغ من فضة ولا منافاة بينهما الا ان الاول في نعت وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول أنس في وصف جسده الشريف وعن البكري مثل ماقال ثعلب وعن جرير الاخطل أو صفتان للخز والحمر أي النساء الحسان ولا منافاة بين القولين أيضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا تعني بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجير غير ممدوح في الناس لقربه من البرص والممدوح منه ماخالطه حمرة من الدم أو صفرة خفيفة واليه الاشارة بقوله تعالى كأنهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وماورد في المثل الحسن أحمر محمول على هذا أو على انه ترتكب له المشاق والشدائد التي تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب تغلب على ألوانهم السمرة والادمة فلذا عبر عنهم بالاسود (وأحلت له الغنائم) جمع غنيمة من الغنم وهو الكسب والربح ويقابله الغرم وهو مايؤخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم السالفة كما لهذه الامة لان منهم من لم يؤمر بالجهاد ومنهم أمر به ووضع الغنائم فتنزل نار من السماء فتحرق مايقبل منها كالصدقات والذبائح فلم تحل لاحد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الامم لاتتصرف في مال الغنائم ممالم تاكله لانفسها وهذا هو الذي عد من خصائص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته وبهذا يجاب عما ورد في بعض الاحاديث الدال على انه كانت لهم غنائم (وظهرت على يديه المعجزات) أي أظهر الله له صلى الله تعالى عليه وسلم معجزات لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فما من معجزة لنبي الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها أو أعظم مع زيادة معجزات باهرة لايقاربها شيء من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن الا القرآن الذي لايشبهه معجزة اذ فيه مالايحصى لكفاه

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

ولم يقل ظهر له المعجزات وأتى باليدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كأنه يظهرها بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لاخفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات العجم والجمادات وبهذا ظهر نظمها في سلك الخواص (وليس أحد من الانبياء أعطي فضيلة أو كرامة) قيل المراد بالفضيلة مافي ذاته العلية والكرامة ماأكرمه الله به مما يشمل المعجزات وغيرها أو الاول مافضل به على غيره والثاني أعم وهما وان اتحدا معنى متغايران مفهوما أو الاول مااقترن بدعوى الرسالة والثاني مالم يقترن بها أو الظاهر من العطف بأو ان يفسر بما يقتضي تغايرهما كما لايخفى (الا وقد أعطي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أي ماهو من جنسها ونوعها أو مماهو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان أعظم منها في الحقيقة كانشقاق زورق القمر له المقابل لانفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام كما قلت

(لانه بعث) أي بالحجج المتكاثرة والايات المتعاقبة المتواترة والفضائل العملية والفواضل العلمية (الى الاحمر والاسود) أي العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على ألوان العجم والادمة والسمرة على ألوان العرب وقيل الجن والانس (وأحلت له الغنائم) أي ولم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) أي الكثيرة (وليس أحد من الانبياء أعطي فضيلة) أي خصلة حميدة (أو كرامة) أي خارقة عادة (الا وقد أعطي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أي مثل تلك الفضيلة أو الكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لانوعا كانشقاق القمر في مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك ممالايعد ولايحصى قيل وفي ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلي برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين عند أرباب اليقين

شهد البدر انه حسنا * عن جميع البدور اذتم خلقا
ثم لما رأى الشهادة ترضى * ان تثبت فشق فى الحال شقا

وفى مثل هذه الجملة التى بعد الا خلاف فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو زائدة للالصاق أى لافضيلة ذات صفة من الصفات الاهذه الصفة وغيره الى انها حال أى ليس لها حال من الاحوال الاهذه الحال والتقدير مريدا اعطاؤه مثلها أومقدر التقارن الحال صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لاتقديره وارادته مع انه لايتاتى فى نحو لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة الادعائية بجعل مالم يتحقق كالمحقق أوالمعنى ان الله أعطاه ذلك فى زمن اعطاء الانبياء وقد ذهب المفسرون فى قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ان تتبعها حال وبين النفختين أربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى آخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وقول الرضى المقارنة فى الحال أغلبية كما فى خرج الامير صائدا غدا بجعل المعزوم عليه كالواقع يأباه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به بلا استثناء يقتضى ان المقارنة لازمة الاانها قد تترك ظاهرا فيجب التاويل ولايخفى مافيه من الاضطراب وقوله مثلها يفيد تفضيله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما سمعته آنفا فى قوله تعالى فبهداهم اقتده ولايحتاج الى ان يقال مع تفضيله صلى الله عليه وسلم بمثل انشقاق القمر وغيره أوجعل كرامات أمته كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) تقدم الكلام عليه وأعاده هنا اشارة الى انه من الفصلين باعتبارين (ومن فضله) عليه الصلاة والسلام معطوف على مقدر كالعطف التلقينى أى من فضله ماذكر (ان الله خاطب الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) أى القرآن الكريم (فقال يا أيها النبى ويا أيها الرسول) وقدم انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وهذا مخصوص بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وحكى السمرقندى) تقدم الكلام عليه (عن الكلبى) محمد المفسر أوهشام ابنه وقد تقدم أيضا (فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كما فى قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس أى الميت والشيعة الاتباع والمعروف فى كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد يطلق على المتقدم كما فى قول الكميت

ومالى الاآل أحمد شيعة * ومالى الامذهب الحق مذهب

لان من كنت على مناهجه ودينه فهو على مناهجك ودينك أيضا واذا أضيفت الشيعة للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب الظاهر المتبادر أفضل من التابع فاذا أضيفت للمتاخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف لابدله من نكتة وليست الا التفضيل الاترى ان أبانواس لما قال

كيف لايدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

شنعوا عليه كما سياتى بيانه لاقتضائه تفضيل ممدوحه ولافرق بين من نفره ومن شيعته فان قلت هذا يقتضى تفضيل نوح على ابراهيم عليهما السلام على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم أفضل منه كما تقدم قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا أضيف للمتاخر ونوح عليه الصلاة والسلام متقدم وهو آدم الثانى وأول الرسل والشرائع متفقة فى الاصول فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لايدل على ماذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة على الافضل ويحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل من شيعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لما مر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل

(قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) أى كيا آدم ويا نوح ويا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) أى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال يا أيها النبى ويا أيها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة أربع ومائتين كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) أى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ان من شيعة محمد لابراهيم

أى على دينه ومنهاجه) أى طريقه الواضح (واختاره الفراء) يروى وأجازه الفراء (وحكاه عنه مكى) ونسبه بعضهم الى الكسائى أيضا فكأن الله أخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وشايعه فى دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حيث انه سئل متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية وآدم منجدل فى طينته وهذا أولى مما قيل فى جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر فى الزمان هو الذى يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك * ومالى الا آل أحمد شيعة * والسبب فى هذا ان من كنت على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم أو تقدمت (وقيل المراد نوح) ويروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول أكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع فى دينه لاتفاق شرعهما فى الفروع غالبا وان كان بينهما

حال فالآية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول (أى على دينه ومنهاجه) أى طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمشايعة المتابعة والموافقة فالمراد الموافقة فيما ذكر (واختاره الفراء وحكاه عنه مكى) رحمهما الله تعالى وتقدم الكلام عليهما وترجمتهما وأشار بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وان ما أخره ومرضه بقوله (وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام) هو القول الصحيح وفى نسخة مكان اختاره اجازه بالجيم والزاى المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل عليهما الصلاة والسلام من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لا يفيد تفضيل نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام كما سمعته آنفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه فى الدين والتوحيد ومشابهته له لان نوحا عليه الصلاة والسلام أبو الناس وابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعرب والى هذا ذهب أكثر المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح عليه الصلاة والسلام ولذا قيل ان قيل هنا أريد بها مجرد النقل لا التمريض وانه عادته فى هذا الكتاب

(الفصل الثامن فى أعلام الله عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له) أى نصره وتأييده لا بمعنى توليته والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثانى فقد قصر قال فى المصباح وليت الامر اليه بكسرتين ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصرة انتهى (ورفعه العذاب بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم) روى رفعه بالراء والدال وتقدم الفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع قبله ولذا قالوا الدفع أسهل من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ودرئه العذاب كما سيأتى والرفع قد يجئ بمعنى الدفع كما فى رفع القلم عن الصبى وكذا الدفع يجئ بمعنى الرفع والاول هو الاصل المتبادر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى اختار اللف على عكس النشر لانه الاصل الكثير فى كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل أهل المعانى كلا منهما من فنون البلاغة وتسمية هذا مشوشا يقتضى مرجوحيته عندهم (وقال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) قيل هذا يدل على عدم التعذيب وقوله وما لهم ألا يعذبهم الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد أو كل منهما مقيد بوقت واليه أشار بقوله (أى ما كنت بمكة) أى نفى تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم أو المثبت مطلق التعذيب والمنفى عذاب الاستئصال كما قاله الزمخشرى (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقى من بقى فيها

ألفان وستمائة وأربعون سنة ونبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجى

(الفصل الثامن)

فى أعلام الله تعالى خلقه) أى مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح وبهما قرئ قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فلحن الاصمعى قراءة الاعمش فى هذه الآية بكسر الواو خطأ ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هى فى الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع ولو سلم فالكسر مشترك فى المعنيين والله أعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة وبالكسر تولى الامر أى موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله أى ودفع الله (العذاب بسببه) أى من أجله ووجهته وفى نسخة من رفعه بالراء واختاره الحلبى وهو تصحيف فى مبناه وتحريف فى معناه اذ الرفع لا يستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع أهون من الرفع (قال الله تعالى) أى حين قال الكفار مبالغة فى الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) بيان لما كان موجبا لامهالهم مع علم الله سبحانه وتعالى بأقوالهم وأفعالهم (أى ما كنت بمكة) أى مدة كونك فيهم اذ جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم ومن ثمة كان العذاب اذا نزل بقوم أمر نبيهم بالخروج بمن آمن وفيه تلويح بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) أى مهاجرا الى المدينة (وبقى فيها من بقى

من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو أما بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من

من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هذا التاويل منقول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره من السلف كما فى تفسير ابن الجوزى قالوا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فانزل الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فلما أخرج للمدينة وبقى المستضعفون من المسلمين بمكة يستغفرون أنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما أخرجوا أنزل الله وما لهم الا يعذبهم الله الى آخره فاندفع التدافع بين الآية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار وبين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن بقى من المسلمين بعد ان كانوا لا يعذبون وهو فيهم أو هم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها للاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير معذبهم لكفار مكة وعود ضميرهم للمؤمنين الباقين بعده صلى الله تعالى عليه وسلم لفهمهم من السياق وان لم يتقدم لهم ذكر أو عود كليهما الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبنى فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وأما عود كليهما الى المؤمنين فقول آخر أسند المصنف رحمه الله تعالى لبيانه الحديث الآتى وان قال التجانى انه غريب لانه يدور سنده على اسمعيل بن مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمسانى انه أبو البشر الاسدى قيل انه وهم وقيل مفاد الآية الثانية نفى الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى فى انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه بوجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدمه اذ لو استغفروا ما استحقوه وفى حواشى الفاضل اليمنى انه نوع من الكناية نظيره وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على افسادهم اذ لو أصلحوا ما أهلكهم انتهى وفى تفسير ابن الجوزى معنى الآية على قول لو استغفروا لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول ما كنت لاهينك وأنت تكرمنى أى ما كنت لاهينك لو أكرمتنى فاما اذا لست تكرمنى فانت مستحق لاهانتى وهو مختار أهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار بان عدم عذاب المستغفر أمر مستمر وقيل معذبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل أولا ليتهيأ دخول اللام على خبر كان لتاكيد النفى وافادة المبالغة فى نفى التعذيب بسببه وبالاستغفار فظهر الفرق بين مقامه ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهم لم يظهر وهذا على رأى الكوفيين من ان اللام فى مثله زائدة لتاكيد النفى وعند البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر فى ما كان زيد ليفعل أى قاصدا لان يفعل وعلى هذا يفيد المبالغة أيضا لان نفى القصد أبلغ من نفى الفعل ولذا قالوا فى قوله * ياعاذلاتى لاتردن ملامتى * انه أبلغ من لا تلمنى فان قلت ان كان المراد المنفى فقد انتفى بهجرته صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره فلا حاجة لتقييده بالخروج * قلت أجيب بان المنفى استئصال كل كافر والمقيد من هو فيهم أو نفى مطلقا ومقيدا والتقييد فى المثبت لبيان الواقع ونزول الآية فيه وخصوص المورد لا ينافى عموم الحكم وهذه أجوبة متكلفة باردة والحق عندى انه لا منافاة بين الآيتين لان قوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله معناه أى شئ لهم استحقوا به عدم العذاب فى أنفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب حتى تكلف لدفعه وان قلنا المنفى الاستئصال فالقيد مبين سببيته وهو وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم واستغفار مؤمنى أمته وهذا أمر غير منقطع اذ ليس المراد استغفار المستضعفين فقط والمثبت غير الاستئصال له أنواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر والواقع بعد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم نوع غير ما كان قبله فالتقييد فى محله كما لا يخفى ومعنى قوله تعالى وهم يستغفرون أى وفيهم مؤمن أو وفى اصلابهم من سيؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه من مدحه والتنويه بشان الاستغفار ما لا يخفى (وهذا مثل قوله تعالى)

المؤمنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين أو بمعنى نفى الاستغفار أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الآية منسوخة بقوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله والظاهر ان لا تنافى بينهما اذ النفى منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وأنواع الخزى والنكال قال المنجانى وهذا التاويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير فى قوله سبحانه وتعالى معذبهم عائد على كفار مكة والضمير فى قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى وما كان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الآية على هذا نحوا من قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا الآية أيضا وعلى هذا التاويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والا فلم يتقدم لهم ذكر فى الآية وأما التاويل الثانى الذى ذكره القاضى فى هذه الآية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى

(لو تزيلوا الآية) أي وما ذكر مما دل على امهالهم وتاخير العذاب في أجالهم لاجل من فيها من المؤمنين ونحن بن أفعالهم وأقوالهم مثل قوله سبحانه وتعالى لو تزيلوا أي لو تفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم أي من أهل مكة عذابا أليما بالقتل والاسر (وقوله) أي ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الآية) أي ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم أي باعيانهم لاختلاطهم باهل كفرهم وطغيانهم ان تطاؤهم بدل اشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم أي ان تدوسوهم فتهلكوهم

ومنه الحديث آخر وطأة وطأها الله برج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا غشيه بمكروه أي فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم في البحث عنهم (بغير علم) حال أي ان تطاؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين أظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدي عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين أي كان ذلك لاجل ان يدخل الله في رحمته من يشاء من مؤمنيهم أو مشركيهم أو منهما بتوفيقه للاسلام أو لزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله) أي وما يمنع من تعذيبهم بعد ان فارقتهم والمؤمنون وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون (وهذا) أي ما ذكر من دلالة الآية على تاخير العذاب عنهم وهو فيهم (من أبين ما يظهر مكانته) أي من أظهر دليل يبين علو مرتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل أحد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأبه على انه فعل ماض وجار ومجرور أي دفع به والظاهر انه تصحيف والصواب انه بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء أي ومن أبين ما يظهر ها دفعه سبحانه (العذاب

(لو تزيلوا الآية) هذا اشارة الى ما ذكر من رفع العذاب عن أهل مكة بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم وبسبب أصحابه وما لاصحابه انما هو ببركته أيضا ولاجل عين ألف عين تكرم وامهالهم ما ذكر في هذه الآية أيضا وهو قوله تعالى في سورة الفتح ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ومعنى تزيلوا تميزوا وتفرقوا أي تميز المؤمنون من الكفار بخروجهم من بينهم * وروى القرطبي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان معناه لو تزيل المؤمنون على اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطء والمعرة لا يصح في الذين في الارحام * وأجيب بانه بجعل مرجع الضمير الموجودين على الاستخدام أي لو انتفى الامران عذبوا أي لولا كراهة ان توقعوا برجال ونساء مؤمنين معلومين القتل ووطء الخيل فتلحقكم معرة أي عيب وعار من جهتهم أو من المشركين بقولهم انكم قتلتم أهل دينكم لعذب أهل مكة عذابا أليما بالقتل وان تطؤهم بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان وغلب الرجال على النساء في الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة جواب لو عليه وسد مسده لاتحاد معناهما مآلا وبقية الكلام على الآية مفصل في كتب التفسير (وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية) هذا مع ما قبله كلام واحد وهذا مقدم في التلاوة وانما أخره المصنف رحمه الله تعالى وأفرزما تقدم عنه مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاستشهاد لما قاله بموضعين من هذه الآية وان قوله تعالى لو تزيلوا ليس تاكيدا لما قبله ولعذبنا جواب الاول كما جوزه بعضهم فلا استشهاد فيه فاشار بعكس الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين لم يعرفوهم لولا كراهة ان توقعوا بهم من غير علم فيصيبكم ما تكرهون من الغرم والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لولا جماعة في الاصلاب والارحام نكره ان تطؤا آباءهم وأمهاتهم فتلحقكم المعرة بانهم لو لم يقتلوا جاءت أمة مسلمة منهم كما مر أو لولا من علم الله تعالى انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين مانع وان اختلفت جهة المنع (فلما هاجر المؤمنون) من مكة ولم يبق أحد منهم مختلطا بالكفار (نزلت) آية (وما لهم الا يعذبهم الله الآية) فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية (وهذا من أبين) أي من أظهر شيء في رفعة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه كما أشار اليه بقوله (ما يظهر مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله (ودرء العذاب) بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة يليها همزة مقصورة وضميره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في أكثر النسخ المصححة وفي بعضها درأته بتاء مصدر بزنة الضربة وهي بمعنى ما قبلها أيضا وفي بعضها درأبه فعل ماض بعده جار ومجرور متعلق به وفي شرح الشريف انه في غالب النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف أو حال وفي بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب العذاب بلا باء وفي حواشي التلمساني درأته وقال هكذا في نسخة الشارح اسم بكسر الدال المهملة وسكون الراء وتاء أي دفعه ومنه قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب أي يدفع قال ودرأته معطوف على قوله من أبين ما يظهر مكانته ووقع بخط العزفي وهو الذي عند ابن سيدي الحسن ودرأبه فعل ماض انتهى وعلى الاولى وهي الاصح هو منصوب معطوف

على

عن أهل مكة بسبب كونه) أى وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون أصحابه) بجر الكون عطفا على ماتقدم (بعده بين أظهرهم) أى بينهم وفى جوارهم فلفظ أظهرهم مقحم للمبالغة (فلما اخلت مكة منهم عذبهم) أى الله كما فى نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) أى بتسليط رسوله اياهم وأبعد التلمسانى فى تفسير التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة أى جعلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حكما فيهم حدا وصفه اقتلا وقطعا واسرا (وأورثهم أرضهم) أى مزارعهم (وديارهم) أى بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (وأموالهم) أى نقدهم وأثاثهم ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم منازلكم وروى انه قال لهم اماترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وأنتم ترجعون برسول الله الى أهليكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه اماتخمس كما خمست يوم بدر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا انما جعلت هذه لى طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام أبو حنيفة والاكثرون من أهل العلم وعن الامام الشافعى انها فتحت صلحا ومن ثمه كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لايخفى بعد وجه الاستدلال به وأبعد من قال فتح أعلاها صلحا وأسفلها عنوة (وفى الآية) أى آية وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون (أيضا تاويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل أن يكون وهم يستغفرون فى موضع الحال بتقدير ان لو كان أى وماكان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبرى وأن يكون اشارة الى من سبق فى علم الله انه يؤمن منهم أو ذريتهم أى وماكان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به واختاره الزجاج وأن يكون اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا كما قرره الدلجى والاظهر ماحرره المنجانى من أن التاويل الآخر الذى

على مكانته (عن أهل مكة بسبب كونه) أى وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها (ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم) ثم أشار الى مكثهم مدة متطاولة والبعد باعتبار آخر المدة أوهى للتراخى الرتبى وأما جعلها للتعقيب بلامهلة فغير ظاهر وبين أظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن فارس ولاتكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان للتاكيد وبين ظهرهم وأظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله فى الكلام ان اقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاسناد اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكأنه مكنون من جانبيه هذا أصله ثم كثر حتى استعمل فى مطلق الاقامة هذا ماعليه أكثر أهل اللغة كما فى المصباح والنهاية فتفسيره بالعزة أو بعدم الغيبة والظهور لان الظهر أظهر من البطن غير مناسب للغة وحال المستضعفين (فلما اخلت مكة منهم) أى من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عذبهم الله) أى كفار مكة (بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم) وليس فيه تفكيك الضمير لظهور المعنى وليس الظاهر أن يقول تغليبهم بدل غلبتهم كما توهم ومثله مما يلتفت اليه (وحكم فيهم سيوفهم) حكم بتشديد الكاف أى جعلها حاكمة على رقابهم وهى استعارة لطيفة أى جعلهم فى قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة قبله (وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم) ان فسرت الارض بما لابناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وسائر المنقولات فهى متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام على خاص كما قيل بان تحمل الاموال على مطلق مايملك والتعبير عن الحيازة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم من القرابة وفى كلامه مايرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه أبو حنيفة رحمه الله تعالى والجمهور كما جزم به البرهان الحلبى وتبعه بعض الشراح وماقيل انه لاينافى كونها فتحت صلحا كما توهم لاوجه له وفيها اقول ثالث ان بعضها افتتح صلحا وبعضها عنوة ثم ان البرهان رحمه الله استطرد هنا ذكر خبر مكة وتفصيل فتوحاتها باعتبار الصلح والعنوة والصحيح ان فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم كما مر (وفى الآية أيضا تاويل آخر) تعريف الآية للعهد والمراد بها وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون والتاويل السابق محصله ان الله لايعذب الكفار وأنت فيهم ولايعذبهم أيضا وبقية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيهم يستغفرون الله فضمائر الغيبة للكفار الا ضميرهم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى ان المراد بالتاويل الآخر جعل الضميرين الاخيرين للكفار والجملة حالية أى ماكان الله معذب الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم واختاره الطبرى أو هو اشارة الى ماسبق فى علم الله من ان منهم ومن ذريتهم من يسلم أى ماكان الله معذبهم ومنهم من سيخرج فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج أو هو اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله امانا لهم واختاره ابن عطية وقوله أيضا اشارة الى التاويل السابق أو الى غيرها من الآيات المؤولة ولامساحة فيه كما قيل وفيها تاويلات كما مر من ان المنفى الاستئصال فى الدنيا والمثبت عذاب

ذكره القاضي في هذه الآية مبني على ان الضمير بن معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضي من الحديث لينبه به وهو قوله (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق (حدثنا أبو الفضل ابن خيرون) الصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وأبو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفي) وهو المبارك ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) أي أبو الفضل وأبو الحسين كلاهما (حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة وتشديد راء وقد سبق (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة (حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزي) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو أبو العباس راوي جامع ٢٦٠ الترمذي كما سبق (حدثنا أبو عيسى الحافظ) أي الترمذي صاحب السنن (حدثنا سفيان ابن وكيع) أي ابن الجراح يروي عن أبيه ومطلب ابن زياد وعنه الترمذي وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم في ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى أبا عبد الرحمن الهمداني الكوفي واسمه عبد الله يروي عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة اخرج له الجماعة مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (عن اسمعيل بن ابراهيم ابن مهاجر) بكسر الجيم وهو أبو بشر الاسدي مولاهم البصري يروي عن أبيه وعدة وعنه أبو نعيم وطلق ابن غنام ضعيف اخرج له الترمذي وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو أبو عثمان الكندي ثقة وقيل ابن سعيد وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصري ثقة واسمه روى عن ابي بردة وروى عنه اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر كذا ذكره التلمساني واضطرب كلام الحلبي فيه (عن ابي بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضي الكوفة (ابن ابي موسى) يروي عن أبيه وعن علي والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد بن عبد الله وكان من النبلاء توفي سنة أربع ومائة اخرج له الجماعة (عن أبيه) وهو أبو موسى الاشعري عبد الله بن قيس ابن سليم بضم ففتح أمير زبيد وعدن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمير البصرة والكوفة لعمر رضي الله تعالى عنهما روى عنه بنوه أبو بكر وابراهيم وموسى مناقبه جمة توفي سنة أربع وأربعين اخرج له الجماعة والحديث الذي اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذي باخراجه من بين الستة ذكره في التفسير وقال غريب واسمعيل يضعف في الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا وأبو الشيخ نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا أيضا

الآخرة أو الاوليان من مقالة الكفرة والثالثة ردهما وقيل ان المصنف رحمه الله تعالى أشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفار المؤمنين مطلقا دافع للعذاب أو المؤمن لا يعذب مادام مستغفرا فضمير الغائبين للمؤمنين أي ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من عذاب من قبلهم وأنت حي وهم يستغفرون أو الآية على تأويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار بهذين السببين فالمؤمنون بالطريق الاولى ففيها أمان للفريقين والامة في الحديث الآتي المراد بها أمة الدعوة وان كان في بعض التاويلات أمة الاجابة (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى) ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه) أي لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية قال (حدثنا أبو الفضل ابن خيرون) تقدم الكلام عليه أيضا (وأبو الحسين الصيرفي) قال البرهان كان في الاصل أبو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو المبارك بن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر أيضا في أول فصل تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في القيامة وكتبه أبو الحسن أيضا ولم ينبه عليه احد فكتب تجاهه ما مر (قالا حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة) هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه والحرة بضم الحاء المهملة وتشديد الراء وبالهاء قال (حدثنا أبو علي السنجي) الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة والنون الساكنة والجيم وياء النسبة قال (حدثنا محمد بن محبوب المروزي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي عنه قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذي صاحب السنن وتقدم الكلام عليه قال (حدثنا سفيان بن وكيع) أبو محمد بن الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة سبع وأربعين ومائتين وروى عنه في السنن قال (حدثنا ابن نمير) بالنون والميم وآخره راء مهملة بصيغة التصغير وهو محمد أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن نمير المحدث الهمداني الكوفي توفي سنة أربع وتسعين ومائة وقيل سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو الاصح (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) وابن مهاجر سقط من بعض النسخ وهو بجلي من تبع التابعين وقول التلمساني انه أبو بشر الاسدي قيل انه وهم كما مر وفي التقريب انه ابن ابراهيم بن مقيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف (عن عباد بن يوسف) بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية (عن أبي بردة ابن ابي موسى) عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة أربع ومائة على قول (عن أبيه) ابي موسى الاشعري الصحابي المشهور

(قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزل الله على أمانين لامتى) يحتمل أمة الاجابة وهو ظاهر الآية ويحتمل أمة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة الامنة (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وهذه الامنة ظاهرة فى عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لائحة لخصوصهم ويؤيده قوله (فاذا مضيت) أى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) أى فعليكم بالاكثار منه فى الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا الدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله (ونحو منه) أى من هذا الحديث فى المعنى (قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب اصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار وأهل فسادهم أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال فى بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام أنا امان لاصحابى) وفى لفظ انا امنة لاصحابى وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن أبيه عن أبى موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم هنا قلنا نعم فقال أجدتم أو أحسنتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى وأمتى ما يوعدون قال المنجانى وفى لفظ هذا الحديث امنة وفى الحديث الذى ذكره القاضى امان ولعلهما روايتان فى الحديث أقول أو نقل القاضى بالمعنى مع قرب المبنى اذ الامنة بضم الهمزة والميم والامن والامان بمعنى واحد على ما ذكره المنجانى والظاهر انه بفتحهما على ما فى القاموس هذا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وباتيان السماء ما توعد انفطارها وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان أصحابه ما يوعدون ما أنذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما أخبرهم به من ظهور البدع

واسمه عامر بن عبد الله بن قيس وقيل الحارث أحد الحكمين توفى بمكة أو بالكوفة سنة أربع وأربعين أو اثنين وخمسين ومائة ونسبته الى اشعر لقب لابى القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم موقوفا عليهما وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزل الله تعالى على) أى أوحى الى بقرآن يدل على (امانين لامتى) أى شيئين فيهما ما يدل على ما يدل على ان الله أمن أمتى من العذاب بهما وهما قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قد تقدم ان الآيتين فى المؤمنين أو الكفار أو فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان المراد أمة الدعوة والاجابة على ما عرفت قيل ان مقتضى الحديث شمول الآية للمؤمنين وظاهر النص وكلام المفسرين ان الآيتين فى الكفار الا ان يجمع بينهما بان حال المؤمنين يعلم بدلالة النص والطريق الاولى وانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير فى الآية على الامة لكونه فيهم مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف (فاذا مضيت) أى ارتحلت للآخرة (تركت فيكم) وفى رواية فيهم أى خلفت بعدى بضم تاء المتكلم (الاستغفار) أى اذا مت بقى فيكم الامان الآخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما أو احتمالا والاستغفار هو الدعاء بالمغفرة المعروف وقيل المراد به الصلاة وقيل الاسلام وعلى رواية فيكم فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفاء التعذيب عنهم بالاستغفار دون انتفائه بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم أولا دون معذبهم وهو مناسب لنزول صدر الآية بمكة وعجزها بعد خروجه صلى الله عليه وسلم وترك بقية المؤمنين بها كما قيل وفيه نظر (ونحو منه) منه متعلق بنحو لتضمنه معنى قريب أى فيه نوع مماثلة بحسب المعنى لما مر من رحمة الكفار بتاخير العذاب (قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أى لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واسعافهم فى أمور معاشهم ومعادهم وأمنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال وغير ذلك مما نزل بالامم السالفة وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابى) كونه صلى الله تعالى عليه وسلم امانا لاصحابه من كل ما يخافون امر قطعى وهو أعم مما حكاه المصنف رحمه الله تعالى بقيل الآتى وينبغى ان يكون هذا مندرجا تحت قوله وولايته له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا يا رسول الله صلينا المغرب معك ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء فقال أحسنتم ورفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت أتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى امنة لامتى فاذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون فاذكره المصنف رحمه

الله تعالى رواية موافقة لرواية مسلم أوهى رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر بمعنى الامان وان ورد جمعا للامين بمعنى الحافظ كخدمة كما فى النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم امانا لهم والاستغفار فهاجر وبقى الاستغفار كما رواه فى اللباب ومن هنا علم انه يجوز ان يكون معنى مضت السابق هاجرت فلا التفات وان احتمل أيضا والمراد بذهاب النجوم انتثارها بشهادة واذا الكواكب انتثرت وماتوعده السماء انفطارها وتبديلها المذكور فى قوله اذا السماء انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى ان أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم كالنجوم فى الامة وماأوعده أصحابه رضى الله تعالى عنهم الفتن والردة بعده والموعود به الامة ماأنذرهم من البدع والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان أ كثره وبقى مالا شك فى كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب أهل الخير فانه صلى الله تعالى عليه وسلم مادام حيا لم يقع شئ من ذلك ولا اختلاف وبعده وقع الاختلاف ثم لما انقرض عصر الصحابة رضى الله عنهم قوى الظلم لذهاب الانوار كالسماء عند ذهاب النجوم قيل الامان المذكور ما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم لافى حياته وموته كما توهم كما لايخفى فمن حمله عليه فقد أخطا وفيه نظر (قيل من البدع) جمع بدعة وهى مالم يعلم من الشرع لاصريحا ولا استنباطا وليست كلها مردودة كما يوهمه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار فان الفقهاء قالوا تجرى فيها الاحكام كلها فمنها ماهو حرام كانواع السياسة التى لم تكن فى العصر الاول ومنها ماهو مكروه كتكبير العمامة وتوسيع اللباس وتطويله ومنها ماهو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها ماهو واجب كدقائق علم الكلام التى تلزم بها الكفرة وأهل الاهواء وماهو مستحب كاحداث المدارس والرباطات وقد استوفى اقسامها ابن الحاج فى المداخل وهو كتاب لم يصنف فى بابه مثله وان كان فيه أمور غير مسلمة (وقيل من الاختلاف والفتن) المراد بالاختلاف مايشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء والفقهاء والحكام من غير دليل معمول به وان كان ذلك مطلقا لم يقع فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لمعرفة حقيقة كل أمر بالوحى واما الاختلاف الذى وقع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الاحاديث الصحيحة من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى مرضه ائتونى بدواة اكتب لكم كتابا لاتضلون به من بعدى فقال عمر رضى الله تعالى عنه ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عنى لاينبغى التنازع لدى فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرزية كل الرزية ماحال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا مما شنع به الرافضة على عمر رضى الله تعالى عنه وسياتى بيان ذلك آخر الكتاب وقال صاحب الملل والنحل هو أول اختلاف وقع فى الاسلام وقال ابن تيمية فى كتاب الرد على الرافضة لايخفى ان عمر رضى الله تعالى عنه ثبت من فضله وعلمه مالم يثبت لغيره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكن فى أمتى محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت مفصلة فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها فى مرضه ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فانى أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا أولى بالخلافة ويابى الله والمؤمنون الا أبابكر وقد اشتبه على عمر رضى الله عنه قوله هذا هل كان من شدة المرض أم لا والانبياء عليهم الصلاة والسلام غير معصومين عن اعراض المرض ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب لايرفع الشك واما قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرزية الخ فلان الحائل عنه رزية فى حق من شك ومن توهم انه خلافة على كرم الله تعالى وجهه فهو ضال والحاضرون جماعة يجىء منهم جحده ولو كتب فلذا تركه لتحقق مافيه عنده انتهى وحديث اختلاف أمتى رحمة لم يثبت وهو ماول أيضا والصحابة رضى الله تعالى عنهم عند الاختلاف مجتهدون فى ادراك الوقائع والاتفاق أولى على كل حال وقد يؤدى الخلاف الى مالاينبغى قيل والحق

واختلاف الآراء والهرج وغلبة الروم وتخريب الكعبة وغير ذلك مما وقع أكثره وبقى مالابد من وقوعه وبكونه امانا لاصحابه (قيل من البدع) فلم يكن منهم من ارتكب بدعة بشهادة حديث أصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وقيل من الاختلاف والفتن) قال الدلجى وفيه مافيه لكن الزمنا الكف عما جرى بينهم بصدوره منهم اجتهادا بتاويلات صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده واصابته وللمخطئ أجر على اجتهاده بشهادة حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطا فله أجر واحد انتهى وفيه مافيه لان ماجرى بينهم ماجرى منهم الابعد غيبته صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم وارتفاع الامان منهم وليس معنى قوله امان لاصحابى انهم فى امن من الفتنة الى آخر اعمارهم بل مقيد بمدة كونه فيهم ولذا قال واذا ذهبت أتى أصحابى مايوعدون

ان المجتهد اذا غفل وأخطأ فله أجر كما أنه اذا أصاب فله أجران ولا يضره خطاه بل ينفعه * أقول هذا وان
اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذى رواه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه
أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وان حكم
واجتهد ثم أخطأ فله أجر قال ابن عبد البر فى كتاب العلم اختلف العلماء فى تاويل هذا الحديث فقال قوم
لا يؤجر من أخطأ لان الخطا لا يؤجر أحد عليه وحسبه أن يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث
بريدة رضى الله تعالى عنه القضاة ثلاثة وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تجاوز الله لامتى عن خطاها
ونسيانها وقوله تعالى (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ونحوه وقال آخرون يؤجر أجرا واحدا الظاهر
الحديث وقال الشافعى يؤجر لا على الخطا لان الخطا فى الدين لم يؤمر به أحد وانما يؤجر لارادته الحق الذى
أخطاه وسعيه فيه انتهى وهو معنى لطيف جمع بين القولين والفتن جمع فتنة وأصل معناها الاختيار
فاطلقت على المصائب وما يختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ما جرى بعده صلى الله تعالى عليه
وسلم بين الصحابة فهو عام ومناسبته للترجمة ودخوله فى ولايته له ظاهر (قال بعضهم الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش ومادامت سنته باقية) فذاته الشريفة نفس الامان أو وجوده
صلى الله تعالى عليه وسلم أمان من كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين كما يشير
اليه قوله تعالى (وأنت فيهم) وسنته طريقته التى شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر بعام وبقاؤها ببقاء
نوعها والعمل بمثلها (فهو باق) الضمير للامان أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لان بقاء شرعه
كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقى لتنزيل بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله تعالى (وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذا مبنى على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمان للمؤمنين والكافرين
كما مر ولذا كان أعظم وما فى الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة على الاولى وقيل هو ركيك وكانه
جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة على ما قبله أى ان دامت السنة فالرسول وأمانه باق كما بينه
بقوله (فاذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن) وفى بعض النسخ فانتظر مفردا باعتبار المخاطب وان
كان الحكم عاما ومعنى أميتت بصيغة المجهول تركت على الاستعارة أى لم يعمل بها ولم يحرص الناس
على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من أشراط الساعة والبلاء بفتح الباء وبالمد
المصائب كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا كما مر نسال الله تعالى العفو والعافية
وليسا مترادفين كما قاله التلمسانى وفى كون الاستغفار قائما مقام الامان الاعظم دون غيره سر لم ينبه و
عليه فتنبه (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) انما ذكر هذا هنا لدلالته على
عظم شانه وتولى الله أموره وسياتى الكلام مفصلا فى الصلاة فى الباب المعقود لها (أبان الله تعالى)
أظهر أو فصله عن غيره (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته) ثم للتراخى
الرتبى أو الذكرى بجعل مقصيه كما فصل فى قوله تعالى (ذلك الكتاب) قيل وفيه اشارة الى اختيار أحد
القولين فى الضمير فى قوله (يصلون) انه لله والملائكة كما تقدم (وأمر عباده) أمر مصدر مجرور بعطفه
على صلاته أو فعل معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على فضل بتقدير أن المصدرية لانه تكلف
من غير داع والمراد بعباده المؤمنون المكلفون أو الاعم بناء على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة
وكون الامر للوجوب أو الندب سياتى وعباد جمع عبد وله جموع كثيرة تزيد على عشرين جمع ابن مالك
رحمه الله غالبها فى شعره المشهور

عباد عبيد جمع عبد واعبد * اعابد معبوداء معبدة عبد
كذلك عبدان وعبدان أثبتا * كذاك العبدا وامدان شئت ان تمد

(قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم) أى لا غيره وان كان أصحابه أيضا أمانا (ما عاش وما دامت سنته) المستمرة المعتادة له (باقية) أى ثابتة موجودة وهى بالنصب خبر دام وما شرطية جزاؤها قوله (فهو باق) أى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء حكمه فى أمته (فاذا أميتت سنته) أى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بها أو عمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن) الخطاب عام لما فى نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى أن يقال فينتظر البلاء والفتن أى المحن الدنيوية والفتن الدينية وقيل المعنى فاذا أميتت سنته بموت أهلها فانتظروا البلاء والفتن بدليل حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل أو لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) تقدم بعض الكلام عليها (أبان الله تعالى) أى أظهر وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) أى أولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) أى ثانيا تكريما (وأمر عباده

بالصلاة والتسليم عليه) أي بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي نسخة وأمر عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته أي ويأمر عباده بهما عليه ثانيا بأن يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ على ما ورد في حديث الصلاة أو بأن يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما في حديث التشهد وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة كما ذكر لحديث رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله وجوز الصلاة على غير ملك ونبي تبعا ويكره استقلالا لكونها في العرف شعارا لذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ثمة كره أن يقول محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وقيل

المراد بالتسليم هو الانقياد لأوامره (فالصلاة) أي مطلقا (من الملائكة ومنا) أي بني آدم (له دعاء) لحديث اذا دعي أحدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل أي فليدع ووقع في شرح الدلجي من الملائكة استغفار وهو الملائم لقوله ويستغفرون للذين آمنوا والظاهر أن الاستغفار على ظاهره وقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض عام أريد به خصوص المؤمنين اذ لا يجوز الاستغفار للكافرين الا بقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة في شأنهم وقال الدلجي أي بسعيهم فيما يستدعي المغفرة من شفاعة والهام وأعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد به السعي فيما يليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) أي رحمة عظيمة أو رحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة الاحسان وهي به وارادة الانعام لاستحالة معناها الذي هو رقة القلب في حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) أي معناه (يباركون) من البركة كثرة الخير أي يكاثرونه ويزايدونه عليه ذكره الدلجي والظاهر أن معنى يباركون يدعون له بالبركة في ذاته وصفاته وأهل بيته وأتباعه من أمته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة قال المصنف (وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) أي أصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) في حديث قد أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر أن يراد بقوله يصلون يعظمون ويثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التي من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم

أو زاد عليه بعض أصحابنا فقال

جموع عبد عبود أعبد عبد * أعابد عبد عبدين عبدان

عبد عبدي ومعبودا ومدهما * عبدة عبدا عباد عبدان

عبيد اعبدة عباد معبدة * معابد وعبيدون العبدان

(بالصلاة والتسليم عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتي تفصيل معناهما فله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان المؤمنين شاركوه في مجرد صلاة الله وملائكته لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وفي الحديث مثله كثير كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وقد ذكر أن الآية الاولى لما نزلت قال أبو بكر يا رسول الله ما أعطاك الله من خير الا أشركنا فيه فما بالك لم تشر كنا في هذا الخير فنزلت هذه الآية فاذا كان نزول هذه بعد الاولى ظهر فضله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره بها حيث نزلت أولا من غير مزاحم فيها مع التأكيد بان والاسمية وفي تمييزه بجمع ما ذكروا أيضا المضارع يدل على الاستمرار التجددي في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملائكة على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتأخر ذكرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة ففي الآية الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان وأورد عليه أن الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب في أي الركنين كانت وأما قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فأنت طالق واحدة وواحدة تقع واحدة بخلاف أنت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس مبنيا على أن الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه وهو لو نجز الاول حقيقة لم يقع الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا أخر الشرط لان صدر الكلام توقف على آخره لوجود المغني في آخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا تحت المخاطبين بالآية الثانية ليقال انه ما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل ذلك التمييز دلالة واضحة على ترجيحه فيها كاحب القوم وأحب زيدا بتقديم الاول أو تأخيره لان المخاطبين بها المؤمنون خاصة بقرينة السياق انتهى * أقول القول ما قالت حزام فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا منا كما صرح به الفقهاء بأسرهم أما من الله ورسوله فيجوز استقلالا وتبعا لانه تعالى لا يسأل عما يفعل والصلاة حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فله أن يعطيه من شاء مع ان الصلاة عليه رحمة وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة والمثال الذي ذكره الامام ما له لما قاله أبو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو كما مر نظيره في قصة الخطيب ففعله تعالى وأمره لنا أمر مخصوص

به فلا حاجة لما ذكر من الحز بزة لان فى بصيرته نورمن الله وخص المؤمنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الامة فى حقه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولانعامه أكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقائص التى عصمه الله تعالى منها ولم يسند هاله غير البشر الذين هم من نوعهم وخصه بالتاكيد وتنوين التعظيم أى تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليم الا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الامة فيفهم منها التعظيم فى نفسها من غير تاكيد أو لان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو فى معرض المساهلة فى الجملة وهو كلام حسن (وقد حكى أبو بكر بن فورك) بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربى وفور بمعنى فار فالكاف اما زائدة فيه كما قالوا فى هندى هندكى أو للتصغير فان العرب اذا صغروا ألحقوا آخر الاسم كافا وردبان فور بمعنى فار لم يسمع من العرب والثابت فى اللغة فور جمع فائر بمعنى الظبي والذى فى اللغة الفارسية انه بمعنى لون التراب قالوا فور خاك رنك وفى شرح النخبة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة تصغير فى الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه علما فى العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا يستعمله العرب الا علما كقالون على مافيه وقيل فور عربى فلا ينقلب بلحوق الكاف أعجميا *أقول اللفظ العربى اذا غيروه وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير أعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه فى الاصل بابا بمعنى أب فصغر بالكاف على قاعدتهم المذكورة وقد استعمل ممنوعا فى شعر أبى تمام ولا عبرة بالتردد فيه ولا جعله كماهك كما فى بعض حواشى المطول وفى حواشى الفاضل الحفيد على المطول بابك والدعبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل مبنى على السكون انتهى والبناء وهم لا يعتدبه وفى حواشى البرهان الحلبى هو مصروف بضبط القلم فى النسخ المصححة والظاهر انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهانى الامام الجليل والبحر الذى لا يجارى فقها ونحوا وأصولا وكلاما مع جلالة وورع زائد وقد امتحن فى الدين وجرت له مناظرات أدت الى عزله ومات مسموما شهيدا فى الطريق لما عاد من غزنة سنة ست وأربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء وهو شافعى المذهب قال التلمسانى انتهى الى ان يكلمه الملك فى اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الآتى الى يوم القيامة لم يثبت فى الاصل الذى عليه خط المصنف وثبت فى الاصل المروى عن أبى العباس العزفى انتهى وفى حواشى الكمال بن أبى شريف على النخبة انه فارسى مصغر غير منصرف ومعناه فور تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل فى العجم علما لكن فى القاموس ان لفظ فورك علم له ولم يعده من العجمى كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر (ان بعض العلماء رحمهم الله تعالى تأول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) والحديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وفى اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجىء والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة هنا بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجات والمعارف وكشف الاسرار (أى فى صلاة الله على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته وأمره الامة بذلك الى يوم القيامة) ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة فى الآية وذكره لتأويله بالمذكور أو الدعاء ودوامه الى يوم القيامة بدوام أمته ولعدم نسخه والى متعلقه بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على التنازع وانما غياه بما ذكر لعدم التكليف فى الآخرة والمراد بالقيامة معناها المعروف أو خراب الدنيا أو كون الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لاندراج كل فضيلة فيه والآية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام (والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء

(وقد حكى أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف هو امام جليل فقها وأصولا وكلاما ونحوا ووعظا مع جلالة وورع زائد ومهابة وهو أصبهانى ومات شهيدا بالسم فى سنة ست وأربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبد الغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تاول) أى فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) أى على هذا المعنى (أى فى صلاة الله على وملائكته وأمره الامة بذلك) أى بالصلاة عليه كما فى نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت فى الاصل الذى هو خط المؤلف القاضى وثبت فى الاصل المروى عن أبى العباس العزفى ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة وأصلها من القر بمعنى البرد يقال أقر الله عينه أى أبرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم أكثر الاقوال وأظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدر وسيأتى الكلام بعد ان شاء الله تعالى

وفي نسخة من الملائكة استغفار ومن ادعاء وهو الذي اشتهر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومافي هذه النسخة سياتي وهما مشتركان في انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سياتي تحقيقه والمراد من قوله منا بنو آدم المكلفون كما قيل (ومن الله رحمة) انعام ولطف أو ثناء وتعظيم (وقيل) معنى (يصلون يباركون) أي يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة النمو والخير الكثير أو الدائم من برك البعير أو من بركة الماء كما حققه في الكشف وأشار بقوله (و) قد (فرق) بتخفيف الراء ويجوز تشديدها ان لم نقل ان المخفف يختص بالمعاني والمشدد بالاجسام كما قاله القرافي أي ميز وفصل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) بتشديد اللام أصحابه رضي الله تعالى عنهم (بين لفظ الصلاة والبركة) في حديث قد أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد أو حيث عطف أحدهما على الآخر في حديث آخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافي تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسياتي تتمة هذا (وسنذكر حكم الصلاة عليه) من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفي نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين) والمراد التابيد أي الى يوم القيامة لظهور أمر الدين فيه أو الجزاء عليه أو خضوع كل أحد له فالغاية غير مرادة وقيل هي للكثرة كقوله ملء السموات والارض (وذكر بعض المتكلمين) أي المفسرين بدليل قوله (في تفسير حروف كهيعص) والجار والمجرور متعلق بذكر أو بالمتكلمين وليس المراد به المنتسبين بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبته هنا (ان الكاف من كاف) أي حرف من اسمه تعالى الكافي ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده مع انه المناسب لتفسيره بقوله (أي كفاية الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وعبارته لا تخلو من اضطراب فانه اكتفاء بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة اليها وأما من كاف الذي هو اسم له أو من الكفاية التي هي صفته وما قيل من انه ميل الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من الهادي ونحوه وهو المراد بالاكتفاء الاول أو انه أراد الاشارة الا ما وقع في القرآن والذي فيه في الاول اسم الله وفي الثاني نسبة الصفة الى الله فذكر على نهج ما ورد * أقول هذا كلام من فر من المطر فوقف تحت الميزاب أما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لا داعي له وهو غير صحيح في الصاد التي هي اشارة الى الصاد من مصلي أو صلاته عليه الآتي اذ ليس من أسمائه المصلي وأما الثاني فغفلة عن قوله تعالى فسيكفيكهم الله ونحوه والذي يظهر انه أراد ان كل حرف مقتطع من صفة من صفات الافعال وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره أولا باسم من أسمائه الحسنى تبركا به وبيانا لوجه تقديمه لانه أهمها أو أعمها فسره بما ذكره لئلا يتوهم جريانه فيما بعده فانه المنقول فيما سياتي وان المراد اثبات معناه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا انه منادى ولانه مقتضى ما عقد له الفصل فتدبر فالكاف من كاف والمعنى أنه كاف له عما سواه كقوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله واليه أشار بقوله أي كفاية الله كائنة منه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكت عن الباقي لظهوره فالحروف منتزعة من صفات مشتقة لا من مبادي اسمها كما توهم ولا يشترط في الحرف أن يكون من أول الاسم وهذا مروي في بعض التفاسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومثله لا يقال بالرأي فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغي فان الحروف لا تدل على غير مسماها ولم تكن الكاف من كريم أو كبير وهذا من بدع التفاسير كما في الكشاف وفي هذه الحروف أقوال أخر أحدها انه من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وقيل انها أسماء للسور أو القرآن فيه نظر والعجب انه بعدما أنكر

(وذكر بعض المتكلمين) أي من المفسرين (في تفسير حروف كهيعص) أي انها مأخوذة من كفاية الله وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كافي) اسم فاعل من كفى يكفي (أي كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام

(قال) أي الله سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفي مبالغة في اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية أو المراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس أو المراد جميع عباده أو خواصهم من أنبيائه وأوليائه وينصره قراءة حمزة والكسائي عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى

عليه وسلم يدخل فيهم دخولا أوليا وقيل في الكاف اشارة الى أنه الكافي في الانعام والانتقام لعموم الانام وقيل الكاف اشارة الى انه الكاتب على نفسه الرحمة (والهاء) بالنصب ويجوز رفعه (هدايته له) أي هداية الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان الانسب ان يقال والهاء من هادي أي هدايته له (قال ويهديك صراطا مستقيما) أي يدلك بلطفه الى طريق دينه أو الى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (والياء تاييده له قال وايدك بنصره) أي قواك بنصرته على أعدائك والاولى ان يقال الياء اشارة الى قوله تعالى يد الله فوق أيديهم أو ايماء الى يسر المنحة بعد عسر المحنة أو الى يده المبسوطة بالرحمة على نبي هذه الامة اصالة وعلى اتباعه تبعية انتهى لا يرد عليه ما ذكره الحنفي من ان صاحب هذا القول ان أراد ان هذه حروف أخذت من أوائل هذه المصادر على ما تقدم من اقتصار العرب على أول حرف من الكلمة فان لفظ التاييد ينقض عليه لان فاءه همزة لا ياء وانما الياء عينها وان أراد انها أحرف أخذت من هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة أو عينها فهو قول خارج عن القياس الصناعي (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أو اشارة الى علمه بحاله في سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور

ماهنا نقل قولا بانها أسماء الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة أو بعضها وقد نقل علماء الحرف لها خواص كما في حيوة الحيوان منها ان من خاف سلطانا أو ظالما عقد أصابع يده اليمنى بكهيعص يبدؤ بابهامها واليسرى بحمعسق يبدأ بالخنصر هاثم يقرأ في نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة أصبعا من أصابعه المعقودة يأمن شره قال وهو عجيب مجرب انتهى (قال) الله في كتابه الكريم (أليس الله بكاف عبده) فسر عبده بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرئ عباده فيدخل النبي بالطريق الاولى والاستفهام انكاري للمبالغة في اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من العباد كيف لا يكفيه صلى الله تعالى عليه وسلم (والهاء هدايته له) لم يقل من هدايته لانه يعين ان الهاء من هاد لاثبات هدايته له وما قيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا يتعين الاكتفاء ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه بتقدير مبتدأ أو مضاف أي الكاف والهاء رمز كفاية والكاف من كفايته لا من كاف فيتدافع كلاماه والجواب بانها اذا كانت رمز الكاف كانت رمز الكفاية في ضمنه (قال ويهديك صراطا مستقيما) من الدين الاكمل والصلاح أو يعينك على ذلك وقيل يهديك (والياء تاييده له قال الله تعالى وايدك بنصره) التلاوة ليس فيها واو والضمير في تاييده لله وفي له للرسول صلى الله عليه وسلم وفي نسخة تاييده بدون له والضمير يحتمل عوده لله وللرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والتاييد التقوية والاعانة على أعدائه وبالادلة والمعجزات والملائكة ونصره على أعدائه وفي اللباب لم يرو عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الثاني ووجهه بانه لم يات في أسماء الله ما أوله ياء وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون أولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من يمين وهم لانه ليس اسم الله وأما قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فلا شاهد فيه والاضافة تاباه وعندي ان هذا مما لا ينبغي ذكره (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أي يحفظك من كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد ممن لا يخلف الميعاد وقد كان له صلى الله تعالى عليه وسلم حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسني والقول بان معنى الآية انه يحفظه عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما عنها كما سياتي وفي زاد المسير * فان قلت كيف ضمان العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ في أذاه * قلت انما عصم صلى الله تعالى عليه وسلم عن القتل والاسر لا عن عوارض الاذى أو هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه لان المائدة من آخر ما نزل كما في الشرح الجديد ويأتي له مزيد بيان أقول هذا بناء على ان هذه الآية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين الامام الخيضري في خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله ما حاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من أول أمره الى آخره واستدلوا عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا بالمدينة وكون هذه الآية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن جابر رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب ليبعث معه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا عم ان الله قد عصمني لا حاجة الى من تبعث وروى مثله الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفيه انه قال لابي طالب ان الله قد عصمني من الجن والانس وهذان الحديثان يدلان على ان الآية نزلت بمكة في أول الامر وفي الصحيحين عن عائشة

(والصاد صلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يثنون شانه ويعظمون برهانه أو ايماء الى اسمه الصادق فى وعده والصبور فى وعيده ثم اعلم ان أوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذى لا يعلم حقيقته والمراد به الا الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماء الله وقيل لاسماء رسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان وأربعة آلاف وان أسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث فى الالف السابعة وروى جعفر بن عبد الواحد القاضى حديثا يرفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وان أساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها الفا وهو ضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم منها ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم منها ويدل على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يعنى الوسطى والسبابة وقد ورد عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه انه كان يقول فى دعائه أغفر لى يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عنده على رضى الله تعالى عنه اسما لله تعالى بجملتها ويحتمل ان يريد نداء الله سبحانه وتعالى بجميع أسمائه التى تضمنتها كهيعص من كاف وهاء ونحو ذلك (وقال

رضى الله تعالى عنها انها قالت أرق رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة اذ سمعنا صوت السلاح فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا قال أنا سعد بن أبى وقاص جئت لاحرسك فنام صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمع غطيطه وروى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت هذه الآية فاخرج من القبة رأسه فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى الله قال الترمذى وهو حديث غريب رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفى سنده من هو ضعيف الا ان له متابعات ولذا احتج به مسلم رحمه الله تعالى وهذا يدل على ان ذلك كان بالمدينة لان عائشة رضى الله تعالى عنها أخبرت عن مشاهدة وهى لم تكن معه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات وما فى الصحيح أولى لكنا نلتزم تاخير نزول الآية بالمدينة وندعى ان وجوب الانكار عليه كان داخلا فى عموم التشريع ثم انهم لم يبينوا اما المراد بالخوف هل هو من القتل أو أعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان يحرسه أصحابه فى الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وأمر بالقتال فانزل الله عليه آية العصمة مع أنا ندعى انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية وانما نزلت تطييبا لخاطره * فان قلت اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم ان الله عصمه من أعدائه وأمنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى بالغار اذ اخرج من مكة وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته وشج وجهه ونحوه بعد نزول الآية * قلت كان ذلك تشريعا للامة ليقتدوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ليس من خصائصه مع ان فى ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه فى الغار خوفا على الصديق رضى الله تعالى عنه لا على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن فاعلم أبا بكر به تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لا يحتاج لزيادة علم كخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهر الظن انه لحماية بعض قومه فاريد ان لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده من أهله واظهار اعتماده على أصحابه وأمانتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء ويظهر ان عنده عدة وسلاحا لظن بعض الكفار انهم فقراء تحدثا بنعمة الله وأما كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشجته فيبانا لما فطره الله عليه من العدل لعلم الله انه يصيب المؤمنين باحد مصاب عظيم فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مشاركا لهم فى ذلك ليحصل أجره له وتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها معنيان أحدهما حفظه من الناس بما ذكر والثانى صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتى فان قلت هل يجوز طلب العصمة بالمعنى الثانى لاحد غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت قال شيخ والدى ابن حجر الهيثمى فى شرح العباب اختلف الفقهاء فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعى نسال الله تعالى العصمة وقال الشاذلى فى حزب البحر اسئلك العصمة فى الحركات والسكنات وفى حديث أخرجه النسائى ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته والحق ما قاله بعض المتاخرين انه ان قصد التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه سؤال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فهذا لا باس به انتهى وفيه نظر فى حالة الاطلاق ثم رأيت شيخنا ابن قاسم بعد نقله لذلك واستوجاهه اه قال ويبقى الكلام فى حالة الاطلاق والمتجه عندى الجواز لعدم تعينه للمحذور واحتماله الوجه الجائز وفى كلام مشايخ الصوفية كما انه يقال فى النبى معصوم وفى غيره محفوظ وكانه تادب منهم (والصاد صلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) قيل المراد الاخبار عن هذه الامور أو القسم بهذه الامور أو القسم بهذه الصفات وهذا التفسير وأمثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب التسليم لا طائل تحته فتامل

(وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه أى وليه) تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى يتعاونا و يتناصرا والخطاب لعائشة وحفصة أما المؤمنين رضى الله تعالى عنهما على الاصح أو عائشة وسودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهما أى تتفقا فى أمر يسوءه عن افشاء السر أو شدة غيرة النساء أو أمر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الآية أى اقرأها الى تتم بقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) والولى والمولى المعين والناصر وتعريف الطرفين والضمير يفيد الحصر أى لا مولى له حقيقة سواه وماذكر بعده وان كان لا يعتمد على غير الله بناء على الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا لقلبه واظهارا للفضل والشرف وجبريل مبتدأ وظهير خبر عنه وما بينهما عطف عليه أو هو وصالح عطف على الله والملائكة مبتدأ خبره ظهير وأفرده بجعل من ذكر لاتفاقهم على ذلك كالواحد أو لانه اسم جمع كطفلا فى قوله تعالى يخرجكم طفلا أو لان فعيلا قد يقع للواحد وغيره كما فى قوله

* ان العواذل ليس لى بامير * ويترتب على ذلك الوقف على مولاه أو المؤمنين أو ظهير وقد اختار كل واحد منها جماعة من القراء والوجه الاول وذلك اشارة للتنصر والتظاهر أو لله وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على حفصة رضى الله تعالى عنها فى نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل صلى الله تعالى عليه وسلم لمارية جاريته فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة رضى الله تعالى عنها علمت بذلك فغضبت و بكت وقالت أمالى حرمة عندك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضيها انها حرام على بعد اليوم وحلف أن لا يقربها وأخبرها أن الخليفة بعده أبوها وأبو عائشة وقال لها لا تخبرى أحدا بهذه القصة فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من عندها أخبرت عائشة بالقصة وقالت أراحنا الله من مارية وكان بينهما مصادقة وتظاهر فانزل الله هذه الآية أى ان تتوبا الى الله * من ايذائه وحب ما يكرهه تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فى جنس التاويل دون شخصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء فيما نحن فيه محقق له ضرورة أن التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى هذا التاويل (وصالح المؤمنين قيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام) هذا مروى عن قتادة * فان قلت الصلاح انما يوصف به آحاد الامة دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قلت لما فطن بهذا بعض المفسرين قال الصفة قد تذكر لمدح الموصوف وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا فكأنه قيل الصلاح صفة عظيمة فى نفسها لانها انما يوصف بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

ما ان مدحت محمدا بمقالتى ۞ لكن مدحت مقالتى بمحمد

وخالفهم السبكى رحمه الله تعالى فى فتاويه فقال الصلاح من أبلغ الصفات واذا أردت معرفة ذلك فانظر الحديث فى مدح القلب بانه مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الى آخره فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت فى ذلك تفاوتا كبيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر مقامه وهى صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة والرسالة وغيرهما ناشئ عنها فلذا كانت أعظم الصفات وقوله من قال لصالح من قام بحق الله تعالى وحق العباد كلام اجمالى لازم له وانما السر فى المعنى الذى ابتنى عليه ذلك وهى صفة حقيقية أودعها الله تعالى فى العبد بها تنال سعادة الدارين وصلاح كل أحد بحسب صلاح حاله فاعظم الصلاح صلاح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى (وقيل الملائكة) رواه القرطبى عن أبى زيد قال السيد عيسى رحمه الله هذا بعيد والعطف للتفسير أو للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك أن تقول المراد خواص الملائكة كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملائكة بعده بقيتهم أو جميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتعبيره عنهم بصالح المؤمنين قرينة على

(وقال الله تعالى وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهما أى وان تتعاونا (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة فى قضية مارية والغل لديه وبسائر ما يسوءه فانه لن يضره وان يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الآية أى وليه) يعنى ناصره ومتوليه فيما أولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه يعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعنى والمرسلون (وقيل الملائكة) أى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير أى متظاهرون عليه

(وقيل أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم أجمعين) أى وأمثالهما من أكابر الصحابة لماذكر الماوردى انهم أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل على رضى الله تعالى عنه) أى ونحوه من أهل البيت وأقاربه (وقيل المؤمنون) أى جميعهم (على ظاهره) بناءعلى أن كل مؤمن بظاهره صالح والاظهر أن يقال المرادوصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وصالح بغير واو وهو مفرد أو جمع حذف منه الواو ولفظا فحذف رسما وأما تعليل التلمسانى بقوله وسره دلالة السرعة فى النصرة لانه مدة الواو تفيد مدا او بعدا ولا كذلك حذفها فهو فى غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم أبو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به فى القول الصدق أو ذكرهما مثلا والمراد به أمثالهما والله تعالى أعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول فى دعائه اغفرلى يا كهيعص كما سبق ثم اعلم أنه ورد فى صحيح البخارى أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال مكثت أريد أن أسال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن آية سنة فما أستطيع أن أساله هيبة له حتى خرج خارجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أزواجه قال تلك حفصة وعائشة رضى الله تعالى عنهما قال فقلت والله انى كنت لاريد أن أسالك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك قال فلا تفعل ماظننت أن عندى منه علما فاسئلنى فان كان لى علم أخبرتك به هذا وذهبت طائفة من العلماء الى أن ذلك كان فى قضية مارية القبطية وذلك أن المقوقس أهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان فى بعض الايام وهو يوم حفصة بنت

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية فواقعها فخافت حفصة فوجدتهما فاقامت خارج البيت حتى أخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غيرة متغيرة فقالت يارسول الله أما كان فى نسائك أهون عليك منى أفى بيتى وفراشى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرضيا لها أيرضيك أن أحرمها فقالت نعم قال فانى قد حرمتها ثم قال لا تخبرى بهذا أحدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذى بينها وبين عائشة وأخبرتها بذلك لتسرها ولم تر فى افشائه لها حرجا واستكتمتها ولاية ذلك فنزلت الآية وهى قوله تعالى واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين أولا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبى حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين ويروى ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى أن تظاهرهما عليه انما كان فى قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل فى بيت زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فتواطات أو قالت فتواصيت أنا وحفصة على أن أيتنا دخل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل انى أجد منك ريح مغافير أوأكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له واستكتمتها ذلك فاخبرت به عائشة فنزلت يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك يعنى العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولن أعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الآية والوجه الاول هو قول أكثر العلماء وروى مرسلا عن زيد بن أسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضى الله تعالى عنه قال حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم ابراهيم رضى الله تعالى عنهما فقال هى حرام فانزل الله فى ذلك سورة التحريم وأما الوجه الثانى فيه تواردت

ذلك ظاهر وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملائكة فانه أخفى مما استبعده اذ مقتضى الظاهر أن يقول جبريل والملائكة وصالح المؤمنين (وقيل أبو بكر وعمر) رواه القرطبى والثعلبى عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان رضى الله تعالى عنه ووجه التخصيص على الاول انهما أبو زوجتيه اللتين أسر لهما امرا فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعنى انهما وان تظاهرا فابواهما أشفق الناس عليه الامعهما وهذا تفسير منقول عن النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه من ذكر وكذا رواه ابن مسعود رضى الله عنه وقيل هم الصحابة وقيل الخلفاء وصالح المؤمنين يحتمل أن يكون مفردا فى معنى الجمع لعموم الاضافة أو اسم جمع كحاضر وسامر او جمع مذكر سالم تقديره صالحو المؤمنين حذفت واوه لالتقاء الساكنين وكون حذفها للدلالة على سرعة النصرة لما فى الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح هم المؤمنون على ان الاضافة بيانية أو الصالح منهم الاصلح الذين تولاهم الله وأعانهم فتولوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصروه (وقيل على) كرم الله وجهه وفى نسخة (رضى الله تعالى عنهم أجمعين) وهذا التفسير رواه أيضا القرطبى والثعلبى عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لم يرد الحصر وان كان بعيدا (وقيل المؤمنون) كلهم بناء (على ظاهره) المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الرازى رحمه الله والآية دالة على

الآحاديث الصحيحة وأخرجه البخاري عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله تعالى عنها بنحو ما سبق وقال فيه انه شرب عند زينب
عسلا كما تقدم وجاء في صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عائشة وسودة رضي الله تعالى عنهن وأكثر
المحدثين على ما في البخاري والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل التاسع)

(فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من
الحديبية سنة ست من الهجرة وهو متوجه الى المدينة فهي على هذا في حكم المدني وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها انزل بها وقد
ثبت في فضلها حديث لقد أنزل الله على سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس أي شمس الوجود (قال الله تعالى انا فتحنا)
أي بعظمتنا (لك) أي لا لغيرك أو لاجلك (فتحا مبينا) أي ظاهرا (الى قوله يد الله فوق أيديهم) ومعناه قوله سبحانه وتعالى وهو
القاهر فوق عباده وكثير من السلف وبعض الخلف على ان الله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه
يليق بذاته وكذا قالوا في الاستواء وسائر آيات المتشابه وأحاديث الصفات ثم ما بينهما سيأتي مبينا وفي أثناء الكلام معينا وقد اختلف
في هذا الفتح فقال كثير ان هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق الحديبية من التيسير واللطف وذلك
ان المشركين كانوا اذ ذاك أقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه ان وقعت بينه وبينهم المصالحة ريثما يتقوى صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر فامتلأت أيدي أصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع أهل الحديبية أحد ممن تخلف منهم ثم ما وقع في ذلك الوقت من الملحمة التي كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه لانهضام شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة
الروم فكانت هذه كلها من جهة الفتح الذي جاءت الآية منبهة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الآية قال
رجال من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويرغبوا اليكم في
الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين ماجورين وهو أعظم الفتوح فقال المسلمون صدق الله ورسوله
هو أعظم الفتوح يا رسول الله وأنت أعلم بالله وبامره منا وذهب بعض المفسرين الى ان الفتح في الآية انما هو اشارة الى فتح مكة
فمعنى فتحنا على هذا اقضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح في الآية انما هو الهداية
الى الاسلام أي على الوجه العام ومال الزجاج اليه واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف

ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل
(الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم الكلام
في تطبيق التراجم والكرامة ما أكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا للعادة
والفرق بينهما وبين المعجزة سيأتي والفتح أصله ازالة الغلاق في المحسوسات ثم استعير لتيسير الامور
معنوية كانت أو حسية كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار حقيقة عرفية فيه والسورة
مدنية بالاتفاق وهذا لا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة على أحد
الاقوال وقيل لا خلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة
وما كان وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسره بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده من
الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفي سبب نزولها قولان أحدهما انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لما كان بالحديبية حيل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم نزلت
وعدا له صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة الله عز وجل في اخباره
لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على شان عامه ما لا يخفى وهذا هو مشهور والثاني انه كما رواه عطاء
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم
قالت اليهود كيف نتبع ما لا يدري ما يفعل الله به فاشتد ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت بيانا
لما يؤول اليه أمره في الدنيا والآخرة (قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق أيديهم)
تقدم ان الفتح ازالة الغلاق والاشكال حسيا كان أو معنويا والمراد منه النصر على العدو وقيل المراد

ما فتحه الله عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية التى هى سبب لنيل أعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا عقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة المشركين بهم وسماعهم كلاما حتى اشتمالهم كان سببا لاسلام كثير منهم وسالوهم الصلح والامان وروى أحمد باسناد قوى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال أوفتح هذا يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح وروى بل هو أعظم الفتوح وقال الفراء الفتح قد يكون صلحا وقد كان الصلح مع المشركين متعذرا ففتحه الله وعن أنس رضى الله تعالى عنه انه فتح مكة وقيل خيبر * قيل وليت شعرى لم قدمه القاضى * قلت قدمه لانه المعنى الحقيقى للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التى أشار اليها وان حمل الفتح على المقدر أو معنى شامل للماضى والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق بين الاحاديث اذ لم يقصد الحصر (تضمنت هذه الآيات) أى وقع فى ضمنها أو دلت (من فضله) أى فضل الله وانعامه أو فضيلة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه) أى نعمة الله لدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ما يقصر الوصف) بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف بحبل مدونحوه ليتوصل به اليه فلم يف به لكثرته أو بعده فلذا قال (عن الانتهاء اليه) أى بلوغه أو الوصول لنهايته لتعذر تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه (فابتدأ جل جلاله) السورة (باعلامه بما قضاه له) اعلام مصدر مضاف لفاعله أى الله تعالى أو مفعوله وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فيه اشارة الى ان الفتح السابق من الفتاحة بالضم وهى القضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أى احكم ومنه الفتاح للقاضى والقضاء الحكم الازلى أو الكتابة فى اللوح أو القدر والاظهار للعيان (من القضاء البين) أى المقضى الظاهر الذى لا يشتبه (بظهوره وغلبته على عدوه) الظاهر تعلقه بالبين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدلا من بما قضاه أى أعلمه بظهوره كل الظهور وبينه أكمل تبيين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار أو مشركو امكة (وعلو كلمته) المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التى أتى بها صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها وعلوها بما أسقط ما عداها عن درجة الاعتبار أو المراد كل ما أتى به من أمر ونهى وغيره وعلى الاول أضافها له لانه الذى أصدرها وشهرها وان كانت كلمة الله فى الحقيقة وايثار الكلمة على الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى (وشريعته) علوها بالانقياد لها واجراء أحكامها وتذليل من أنكرها بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرائع وليس فى كلام المصنف رحمه الله ما يقتضى كون المراد بالفتح فتح مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضاء حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكأنه مال الى التعميم الشامل لما وقع وما سيقع (وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون) أى اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مغفور له الى آخره بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والمغفرة من الغفر وهو الستر وهو والعفو متقاربان كما مر والمؤاخذة من الاخذ قال فى المصباح أخذه بذنبه عاقبه عليه وآخذه بالمد مؤاخذة والامر منه آخذه بمد الهمزة وتبدل واوا فى لغة اليمن فيقال واخذه مواخذة كذلك وقرئ به فى السبعة والامر منه وأخذ انتهى فعبارة المصنف رحمه الله تعالى بالواو والهمزة وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه مما هو بالنسبة لعلى مقامه كالذنب ومن قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تاخر

(تضمنت هذه الآيات) أى الواردة فى صدر السورة (من فضله) أى من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) أى الذى أو شيا (يقصر الوصف عن الانتهاء اليه) أى لقصور احاطة العلم به (فابتدأ جل جلاله باعلامه) أى باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) أى بما حكم له وقدر من الفتح المبين حيث قال انا فتحنا لك فتحا مبينا أى انا قضينا لك على أهل مكة ان تدخلها من قابل عام الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) أى طريقته وفى نسخة شيعته أى أمته بعده صدره بها عنها وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه أو هو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضى لتحققه أو بما اتفق له بعد نزولها كفتح خيبر وفدك أو بما ظهر له فى الحديبية من آية عظيمة وهى ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه أى وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز ويبدل واوا وهو تاكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان وما يكون) حيث قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر بعدها
والمعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم من كلام المصنف

بعدها من الصغائر فهو مبنى على تجويزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن لم يجوزها قال انه للمبالغة كما يقال أعطى من يراه ومن لم يره وهو الذى ندين الله به ونعتقده (قال بعضهم أراد غفران ماوقع ومالم يقع) أى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك وعبس وتولى ان جاءه الاعمى أوانه لو وقع منك ذنب أى ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا وقال السيد سنح لى معنى بديع وهو ان العبد لاياتى بما يليق بجلال كبرياء ربه ولذا قيل سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب يجازى مبالغة فى التخويف ثم شرفه بما لم يحم حول الفكر وهو ستر ذلك القصور بعد عبادته عبادة لائقة بجلالته وأى مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصور التشريفه فانه تعالى لكمال حكمته جعل أعمال الاخلاقها بقدرته ذنوبا من هو مضطر فى صورة مختار وله ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحوه قول التجانى الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد أظهار محبته لو كان لك ذنب قديم أوحديث غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة * أقول قد سنح لى ماهو أحسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضى لعدم الرؤية أريد منه لازمه وهو انه لاذنب لك يرى أى لاذنب لك أصلا اذ لو كان لرئى على نهج قوله * ولاترى الضب بها ينجحر * ويؤيده ان المتاخر لاوجود له وقد سوى بين المتقدم والمتاخر ففيه أشارة الى انتفائهما كما فى قوله تعالى اذا جاء أجلهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولما كان التقدم يوهم التحقق قدم الذنب وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتاخر ماقبل النبوة ومابعدها أوما قبل الفتح وبعده أوقبل نزول الآية (أى انك مغفور لك) كأنه أراد بتفسيره هذا ان التقدم والتاخر عبارة عن عموم المغفرة ودوامها (وقال مكى) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (جعل الله المنة سببا للمغفرة) اختلف أهل المعقول والمنقول فى الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل وعليه أكثر عباراتهم فالسبب مايتوصل به والعلة مايدور على التاثر فى أمر آخر ومثلوا للسببية بقوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وللعلة بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما أهل الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان فى ترتب الامر عليهما و يفترقان بان السبب مايحصل الشئ عنده لابه والعلة مايحصل به فلذا قال الشاعر

ألم تر ان الشئ للشئ علة * يكون به كالنار تقدح للزند

واختار السمعانى ان السبب الموصل للشئ مع جواز المقارنة بينهما ولا أثر له فيه ولا فى تحصيله كالحبل للماء والعلة مايتاثر الشئ عنه بغير واسطة ويعبر عنها بالباعث وقد تحل اللام محلها كما فى القواعد للسبكى ووقع الخلاف فى أفعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة أم لا فالمشهور انها لاتعلل وانما لها ثمرات وحكم تجعل عللا كما اختاره الجرجانى ولم يذكروا ذلك فى السببية فعدول المصنف رحمه الله عن التعبير بالعلة المذكورة فى التفاسير هنا كانه بناء على الفرق بينهما فما وقع فى الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان أوالنعمة التى هى الفتح أوقضاؤه ولما كان الفتح ناشئا عن جهده وسعيه مع مايترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان مايترتب على فعل العبد بلا واسطة يعد فعلا له عرفا وشرعا مثاب عليه بالمغفرة وعكسه كانه قال اجرينا على يدك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم يقل انك فتحت ونحوه الا أن يقال انه عد فعلا له وأبرزه فى صورة يستفاد منها انه فعله تعالى كما هو فى نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر ليغفر الى آخره كما فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام

(قال بعضهم أراد غفران ماوقع ومالم يقع أى انك مغفور لك) أى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين عبس وتولى ان جاءه الاعمى والاظهر ان فى الآية ايماء الى ان العبد ولو وصل الى أعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية فى القيام بحق العبودية على ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة والتفكر بالهمة فى مهمات الامة سيئات من حيث انها غفلة عن مرتبة الحضرة فى الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة شرك الاغيار وتكميل النفوس الناقصة اجبارا واعتبارا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من أيدى الظلمة اختيارا (وقال مكى جعل الله المنة) أى العطية والامتنان بالفتح أو بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة

للعاقبة ويحتمل كلام مكى على السبب والعلة المجازية لانها استعارة لما يشبه التعليل كما صرح به الزمخشرى وصاحب المغنى فقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته شبهت بالداعى بناء على أن أفعاله لا تعلل بالاغراض وان أريد بالفتح القضاء فباعتبار ان المقضى فعله كأنه قال قضينا بترتبه على فعلك لتثاب وقيل المعنى لتجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره فى الكشاف وفى شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه فى حواشى البيضاوى أقول ما أورده ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل الحقيقى فان الاول ينسب حقيقة لمن قام به أو باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل فى نفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد وسيأتى الكلام عليه فى الآية الآتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر والحقيقة ظاهرة وهو الذى بنى عليه القائل كلامه واليه أشار بقوله (وكل منهما) أى من المنة والمغفرة حاصل (من عنده لا اله غيره) فهو الذى سبب السبب وهداه له وأقدره عليه وفى نسخة لا اله الا هو وجعل الخالق والتأثير من خواص الالوهية المستلزمة له فنفى الملزوم لينتفى لازمه المساوى فهل من خالق غير الله ولذا جعل أحد الفعلين سببا للآخر لترتبه من غير تأثير للغير فلا دخل لتعليل الافعال فيه (منة) بالمغفرة أو بالفتح (بعد منة) بخلق السبب فيه وتيسيره عليه (وفضلا بعد فضل) أى تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير مؤكد لما قبله وقيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن كما قاله الجوهرى (ثم قال ويتم نعمته عليك) عطف على قوله قال أولا ولا حاجة لتفسيره باقول ثم أقول وعطفه بثم باعتبار آخر ما ذكر أى ذكر هذه الآيات الى قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء عن الكل كقولك قرأت قل هو الله أحد وتريد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله الآتى فاعلمه الى آخر المعطوف على قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يف ما ذكر بما فسره واقتصر على ما ذكر لما اعترض بما يتضمن الخلاف فى معناه الذى أشار اليه بقوله (قيل) فى تفسيره (بخضوع من تكبر عليك لك) والجار الاول متعلق بتكبر والثانى بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع التذلل والانقياد ضد التكبر والتعظم (وقيل بفتح مكة والطائف) واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان به بلاد ثقيف سمى به لانها طافت على الماء فى الطوفان أو لان جبريل عليه الصلاة والسلام طاف بها على البيت ونقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو لغير ذلك مما فى القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكرمانى باعلاء دينك وقهر اعدائك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك والتعميم أنسب بتتميم النعمة والمقام الا أن يقال التخصيص اقتصار على الاهم وتفسير فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا لفتحها خلاف الظاهر وقيل أيضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر الاديان (وقيل يرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك) الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح فى النسخ المقروءة على ولد المصنف رحمهما الله تعالى وما فى المقتفى من ان برفع بالباء الجارة المصدر المضاف لذكرك فيه ركاكة ومخالفة للرواية وخص الدنيا لان المذكور فى الآية فى أحوالها وان كان ذكره مرفوع أى مشهور فى الدنيا والآخرة فلا حاجة لتقدير والعقبى كما قيل وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما لا أن يكون صدر من مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك مناف لما ورد فى الحديث الآتى من ان الله خيره بين ان يكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فاختار الاول ولذا فيه كلام سيأتى وما قيل من ان النصر وما بعده روى بمصدرين مجرورين مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف يغفر لك بغفرك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا فان قلت هذا لا يناسب تفسير الاتمام لانهما مذكوران معه والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر فى النظم والافعال

وكل) أى من المنة والهداية والمغفرة حاصل (من عنده) أى لقوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله (لا اله غيره) أى حتى يكون قضاء شئ من عنده ويروى لا اله الا هو (منة) أى عطية وامتنانا حال أو مفعول مطلق (بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال) أى الله عز وجل (ويتم نعمته عليك) أى بجمعه لك النبوة والملك وظهور دينك وفتح البلاد عليك وغير ذلك ومنها قوله (قيل بخضوع من تكبر لك) متعلق بخضوع والمعنى بتواضع من تكبر عليك لاجلك بالانقياد لك والخضوع والخشوع بين يديك والتذلل اليك وفى نسخة بخضوع من تكبر عليك (وقيل بفتح مكة والطائف) أى واقبال أهلهما اليك طوعا وكرها (وقيل يرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك) بصيغ الافعال تفسير على وفق المفسر وهو قوله ويتم وهو الاظهر وقال التلمسانى بباء الجر وكلها مصادر ويجوز الفعل وكذا قال الحجازى ويروى برفع ذكرك وبنصرك وغفر لك بالموحدة وتنوين الأخير انتهى وفيه ان الغفر بمعنى المغفرة قليل الاستعمال ثم هذه أقوال تناولها عموم الآية ولا مرجح لها فالاولى حملها على عمومها ثم مجمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ما ذكره المصنف بقوله

فاعلمه أى الله سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته أى باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبرى عدوه له) الباء متعلق بنعمته أو بدل مما قبله أو بمعنى من البيانية له ولما بعده أى من تواضع أعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية التواضع ولاحقا (وفتح أهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام ما يكون من أهل مكة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان أسلموا أسلموا فكانت مكة لهذا المعنى أهم البلاد لان اسلام أهلها يستلزم اسلام جميع المشركين أو أكثرهم ولهذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا فى دين الله أفواجا وفى نسخة اسنى البلاد أى أفضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهى أم القرى ويتبعها ما حولها (وأحبها له) أى على الاطلاقى وانما صارت المدينة أحب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما أخرجه الحاكم فى مستدركه الأن فى سنده عبد الله المقبرى وهو ضعيف جدا فلا يصلح لاستدلال المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور فى أفضلية مكة ما رواه الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى الحمراء وفى رواية عن أبى هريرة يرفعه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين خرج الى الهجرة هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا أن أهلك اخرجونى ما خرجت وما جاء فى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك الى ولولا ان قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك فاندفع بهذا ما قيل من أن

على المختار هنا مرفوعة وفى الآية منصوبة فاوجه العدول * قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم من أوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكاية ما فى القرآن حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر معنى الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة ذكره والنداء به وغاية النصرة له على أعدائه وأقربهم اليه وفيه من السعى ما يقتضى المغفرة ومن هنا علم وجه آخر فى كلامه وهو أن يكون ما ذكره أولا توطئة لتفسير يتم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل فى الجواب عما ذكر أن فى الآية تعميما وتخصيصا والمراد بالاتمام جميع النعم فعد فيه ما ذكر واستبعاده بانه يقتضى اعادته فى قوله الآتى فاعلمه ثم قال المراد بالغفران ثوابه فى الآخرة كما فى المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم النصر لتقدم وجوده تعسف بغير فائدة وكذا ما قيل من أنه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل مأخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدى وأصله بان يرفع الى آخره فحذف الباء وان ورفعه اشارة الى أن فتح الله له للهداية والمغفرة والنصر واتمام النعمة بالاخيرين ورفع الذكر ولو كان عين مضمونه كان تعميما بعد التخصيص ومثله كثير فى الكلام البليغ وهذا مع تناقضه تكلف ما لا حاجة اليه ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدى خير من أن تراه (فاعلمه) فى الفاء وجهان سمعتهما آنفا (بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه له) مر أن الخضوع التذلل والانقياد ومتكبرى جمع حذفت نونه للاضافة ومر أن العدو يكون بمعنى المفرد والجمع كما فى قوله تعالى (فان كان من قوم عدو لكم) فالمعنى المتكبرين من أعداء الله أو أعداؤه المتكبرون وهم صناديد قريش كابى سفيان والمغيرة بن شعبة (وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له) يعنى مكة وأهم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة أو الحزن ويقال منهما اهم وأهم والمهم ما يلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال

فقلت له هاتيك نعمى أتمها * ولا تنس ان المهم المقدم

فالمعنى ان فتحها مطلوب له صلى الله عليه وسلم مقدم على جميع الفتوح عنده لانها كانت ماوى المشركين وسادة العرب وجميع العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك أسلموا فلذا دخلوا بعدها أفواجا فى الاسلام ولانهم أخرجوه صلى الله عليه وسلم والمسلمين منها فكان عودهم لها أقوى فى اظهار شوكة الاسلام لدخولهم لها رغما على أنفهم وأيضا هى القبلة ومعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتطهيرها من الشرك والاصنام من أعظم المهمات ووقع مصحفا فى بعض النسخ اسنى بسين مهملة ونون مقصورا اما من السناء بمعنى الرفعة والشرف أو من السناء بمعنى الضوء والمراد أظهر وعلى هذا فهى بدل أهم ويحتمل على بعد أن يجمع معها أى أسنى أهم البلاد نحو زيد اعمل اعلم العلماء وعداه بعلى لما فيه من الصعوبة أو الوجوب وهى أحب البلاد اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث انك لاحب أرض الله الى لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها على المدينة حتى يرد على المصنف أنه مخالف لمذهبه كما سيأتى كما فى بعض الشروح لانه قد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل وفى بعض النسخ اليه مكان له وظاهر كلام الشراح كلهم أن النسختين بمعنى وهو مخالف لما قاله النحاة ان فعل التعجب وأفعل التفضيل اذا أخذا مما يفهم حبا أو بغضا يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام فتقول ما أحبنى اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما أحبنى له اذا كنت تحبه وهذه المسئلة من مسائل الكتاب وقد فصلناها فى السوانح فالظاهر هنا الى لان اللام محتاجة للتجوز بجعلها محبة له وهو خلاف الظاهر وما قيل من أن قوله فاعلمه الى آخره من قبيل

الاحب لايعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) أى بما انشأ عليه كله من نصره اياه على عدوه فعمومها شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ماقبله وأماقوله (وهدايته الصراط المستقيم) وكذا ما بعده فبالجر الا أنه عطف على تمام آى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم أى بقوله ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة وبالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية يتعدى بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى أخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وباللام أيضا ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها نعت للصراط أى الموصل الى أسباب الجنة وأبواب السعادة وأصناف السيادة (ونصره النصر العزيز) بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا أى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة أو نصرا يعز به المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المنجانى عزيز فى هذه الآية بمعنى معز كأليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لا بهذه الصفة وهو المتضمن لدفع أذى العدو فقط (ومنته) أى واعلمه بامتنانه (على أمته المؤمنين بالسكينة) أى بانزال السكينة (والطمانينة) عطف تفسير وهو بضم أوله وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمان سكن ويروى الطمانينة والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار والرزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم أى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة أو ليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند أرباب التحقيق والله ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى مايسر به أى واعلمه ببشارة أمته (بما لهم) أى عند ربهم كما فى رواية (بعد) بضم الدال أى بعد حالهم السياق

الحل البديعى تكلف (ورفع ذكره) بالجر أى وبرفع ذكره السابق واعترض عليه بانه لا قائل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة فلا اعلام بهذا المجموع عند أحد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف الا أن تكون الواو بمعنى أو ويراد اعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع أنه لما صح الحمل على مافهم من الاول ولا مخصص فاللائق الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا (وهدايته) بالجر معطوف على التمام أو الخضوع اشارة الى أن ماذكر من التمام (الصراط المستقيم) وفى نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام والى (المبلغ) بتشديد اللام المكسورة (الى الجنة والسعادة) فى الدارين أو السعادة الكاملة فى الآخرة أى اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب أو بتبليغ الصراط المعهود وقال البيضاوى صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسيم الرآسة ولا وجه للتخصيص بهما الا يقال حال المخاطب والمقام قرينة عليه لان التعميم أفيد وأبلغ وماذكر يندرج تحت العموم اندراجا أوليا فالاولى مافى المدارك من قوله تثبتك على الدين المرضى فاندرجا فيه مع أمور أخر من وظائف العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه المترتب على الفتح دون أصل الهداية فانها حاصلة له قبله (ونصره النصر العزيز) بالجر مصدر والنصر مفعول مطلق له أو بدل منه والعزيز المعز لصاحبه أو جعله عزيزا فى نفسه لوصفه بوصف صاحبه أو المراد انه نفيس قليل النظير لاذل بعده أو الغالب من قولهم فى المثل من عز بز قيل ليس قوله وهدايته وقوله ونصره عطفا على مابه تمام النعمة لان من جعل النصر منه جعل المغفرة منه أيضا فلو وافقه المصنف رحمه الله تعالى لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا وجه لتبديلها بها كما لا وجه لكون وهدايته عطفا على مابه وقوع اعلامه وكون ونصره عطفا على مابه تمام النعمة لفساد نظم العبارة عند العارف باساليبها (ومنته) أى علمه بنعمته (على أمته المؤمنين بالسكينة والطمانينة) عطف تفسيرى لان السكينة لها معان منها الطمانينة والطمانينة مصدر أو اسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بما يشرحه ويزيل رعبه (التى جعلها فى قلوبهم) يشير بذلك لقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين يعنى ما كان فى صلح الحديبية من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزعج قلوبهم بعدما كادت تزيغ لما صدهم المشركون عن البيت حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه على م نعطى الدنية فى ديننا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره وان يضيعنى فاوقع الله عز وجل الرضاء فى قلوب المؤمنين فسلموا وأطاعوا وهذه نعمة أخرى مختصة بالمؤمنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله تعالى عليه وسلم زادتهم ايمانا لخفية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة فى اليقين من نور أودعه الله فى قلوبهم به يعرف الصواب وسياتى تفصيله فى الباب الثانى (وبشارتهم بما لهم بعد) ظرف مبنى على الضم أى تبشير المؤمنين بما لهم بعد ذلك أو بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد فى الجنة بقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الى آخره وفى نسخة عند ربهم واللام فى قوله ليدخل علة لما يستنبط من

(وفوزهم) أي نجاتهم وظفرهم (العظيم) أي في ما لهم (والعفو عنهم) أي المحو لعيوبهم (والستر لذنوبهم) أي فيما جرى لهم والستر بالفتح مصدر وبالكسر اسم بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واللام علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير أي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) أي أعداء النبي والمؤمنين (في الدنيا والآخرة ولعنهم) أي طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام أي قبح انقلابهم أي سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه أعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله والمؤمنين وعليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين في دائرة السوء لا في مطلق السوء على ما في الجلالين وهما لغتان (ثم قال) أي الله سبحانه وتعالى (انا أرسلناك شاهدا) أي مزكيا للاصفياء أو مشاهدا اللقاء في مقام البقاء (ومبشرا) للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (ونذيرا) للكافرين الاعداء بما يكرهونه وهي أحوال مقدرة وردت ببعض ما أوتيه مخبرة (الآية) كما سيأتي

السياق من أول السورة الى ههنا واليه أشار في الكشاف بقوله وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوي في التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير أي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك واختاره لقرب ما يستنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه أو هو علة لانزل وانما قالوا ما قالوا لئلا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضي انما عدل عنه لايهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال انه متعلق بفتحنا الا أن يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم يعطف لانه مستأنف لانه نزل جوابا لقولهم هذا لك فما لنا فانزل الله ذلك أو للاشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين هنا كلام لا يسعه هذا المقام (وفوزهم العظيم) الفوز النجاة والظفر بالخير يعني بذلك قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيئات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال (والعفو عنهم والستر لذنوبهم) في قوله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم وأشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقته لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمي الليل كافرا لستره ظلمته وما أحسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى في طول ليل الهجر

لي فيك أجر مجاهد * ان صح ان الليل كافر

وقيل تقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل بتكميل الدرجات من غير نقض وهو لا يظهر الا في الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى ثاني الامرين وان قرب لفظا لبعده درجة بالنسبة لعدمه أو لهما بتأويل ما ذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصي من الشيء والثاني تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة وهو الملائم لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وفيه نظر وقدم المصنف رحمه الله تعالى الفوز مع تأخره في النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول وأشار بالبعيد لبعد رتبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فكيف مع العفو وهو معنى أنيق لم يذكروه لما فيه لان الدخول بغيره لا يصح (وهلاك عدوه) أي أعلمه الله بهلاك أعدائه بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء أي يعذب أهل النفاق والشرك كما يعم المؤمنين لظنهم بالله أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والمراد بالعذاب المذكور العذاب (في الدنيا) بالقتل والخزي ونحوه (والآخرة) بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله تعالى عليهم دائرة السوء أي يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين (ولعنهم) أصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما أشار اليه بقوله (وبعدهم من رحمته) أي أعلمهم بلعنهم وبعدهم بقوله تعالى وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا أي انتقم الله تعالى منهم بابعادهم من رحمته وتهيئة جهنم التي هي أسوء مقر لهم (وسوء منقلبهم) بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبي مصدر بمعنى الانقلاب والاول أولى لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لذكر غضبه المذكور في الآية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره لان الاطناب في الابعاد أبلغ مع ما فيه من الاشارة الى أن عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو ناشئ من الغضب عليهم (لما قال) متعلق باعلمه وفي نسخة ثم قال (تبارك وتعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * الآية) أحوال مقدرة للاعلام ببعض ما أوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم والآية

(فعد) أي الله تعالى بذلك (محاسنه) أي فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) أي بخلاف سائر
الانبياء فانه لا تقبل شهادتهم على أممهم لانفسهم بل يحتاجون الى أن هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ أنبيائهم
لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) أي يشهد يوم القيامة (لهم بالتوحيد) أي بتوحيدهم لله (ومبشر الامته) أي ويبشرهم (بالثواب) أي في دار النجاة (وقيل بالمغفرة) أي يبشر أحباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) أي يخوف أعداءه (بالعذاب وقيل) أي في معنى منذرا (محذرا) أي يحذر أمته (من الضلال) أي من أنواع الضلالة التي هي الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) أي حق الايمان (ثم به) أي برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) أي أي المنزلة الاسنى وهي الجنة العليا أو المثوبة الحسنى ويدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (ويعزروه) أي يمنعوه ويحرسوه من أعدائه (أي يجلونه) وهو من الاجلال أي يعظمونه واثبات النون بناء على أصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) أي على عدوه في الجهاد أو في الاجتهاد في نصرة دينه (وقيل يبالغون في
تعظيمه ويوقروه أي يعظمونه) الاظهر ان يقال يهابونه ويكرمونه ويخدمونه ويعدونه من أهل الوقار (وتعزروه
وقرأ بعضهم) أي من قراء الشواذ وقد نسب الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

بالنصب أي اقرأ الآية متمما لها بقوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة
وأصيلا وهذا مبني على أنها آية واحدة لا ثنتان لان ربط لتؤمنوا بانا أرسلناك يحسنه وان كان من ذهب
الى غيره يقول انه لا ينافيه ألا ترى ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين آية تامة مع ربط قوله
وبالليل به (فعد محاسنه) الفاء للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف فيه المفصل على المجمل
(وخصائصه) فضائله التي اختص بها اختصاصا حقيقيا أو نسبيا (من شهادته على امته لنفسه) شهادة
مقبولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدائية لاستحالة كون ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها
وجعل قوله تعالى ومبشرا ونذيرا بتقدير وكونه مبشرا وكونه منذرا على العطف على شهادته تكلف
فتدبر (بتبليغ الرسالة لهم) لا حاجة لتأويله بالبهم لتعديه باللام (وقيل شاهدا لهم بالتوحيد) فالمراد
بالامة المؤمنون وفيه كلام تقدم وفي بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل عليهم
الصلاة والسلام بالتبليغ وعلى أممهم بالجحد فعمم وهو أفيد (ومبشر الامته بالثواب) قيل انه معطوف
على شهادته بتأويل كونه شاهدا ومبشرا والثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار (وقيل
بالمغفرة) والنجاة من النار أو العفو في الجملة فيشمل الكل (ومنذرا عدوه بالعذاب) أي منذرا أعداءه
الكفار والانذار معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وتقديم
كل منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا او كافرا والتبشير لكل من أطاع مؤمنا
وكافرا فان للكافر تبشيرا معلقا لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف باختلاف
المقامات ولذا قيل في قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انه على ظاهره من غير توزيع
وان احتمله (وقيل) في تفسيره قوله ونذيرا (محذرا من الضلال) قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن
قوله تعالى (ليؤمن بالله ثم به صلى الله تعالى عليه وسلم من سبقت له من الله الحسنى) يا باه الا أن يفسر
بيثبت ويدوم أو يزداد ويرقى في ايمانه ولا حاجة اليه والتراخي زماني ويجوز ان يكون رتبيا أو أعم منهما
والحسنى الصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة في الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا أنسب بما
هو بصدده من تفسير مبشرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة في علمه الازلي ومن عبارة عن القوم
روعي لفظه فافرد ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله أي برسالته وبما جاء به وقرأ بالخطاب والغيبة
فيه وفيما بعده من قوله وتعزروه الى آخره والخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم وللامة لانه كما يجب
على الامة الايمان بالله وبه صلى الله تعالى عليه وسلم يجب عليه ذلك أولهم ففيه التفات أو نزل خطابه صلى
الله تعالى عليه وسلم منزلة خطابهم (ويعزروه) براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة في
القراءة (أي يجلونه) كذا في النسخ بالنون مع ان المفسر لا نون فيه وينبغي حذفها ان قلنا الجملة المفسرة
تابعة لما فسرت به وفيه بحث والاجلال التعظيم وكذا التوقير فعلى هذا يكون تاكيدا وقد فسر التعزير في
اللغة بالنصر والتقوية فالاولى التفسير به ليكون تاسيسا فقوله (وقيل ينصرونه) ينبغي تقديمه لا تاخيره
وتمريضه لاسيما وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ان هذا التفسير روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وروي تجلوه وتنصروه بلا نون (وقيل يبالغون في تعظيمه) وجه تمريضه انه كان ينبغي
تاخيره عن توقروه على هذا وما قيل من أن الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة فيه اشعار بان
الاصل مما يجب ان يعتنى به كل الاعتناء وأما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان هذا
القائل حمل التوقير على معنى غير التعظيم وعود ضمير توقروه لله بمعنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا أي
لا تخافون عظمته بعيد (ويوقروه أي يعظموه) روي بنون وبغير نون (وقراءة بعضهم) هو الجحدري

(وتعززوه بزائين) بالياء بعد الالف وبالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمساني والثاني غير صحيح لان الفرق المعروف بين الراء والزاي بالياء في الثاني وبتركه في الاول فتامل ولذا لم يقل بالزاي المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد ولا راء مهملة لما تقدم والله تعالى أعلم (من العز) أي العزة والتفعيل للتكثير والمبالغة والمعنى يعززوه غاية العزة وأما جمهور القراء فقراءتهم بضم أوله وكسر الزاي مشددة وبعدها راء وقرأ الجحدري بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وهو شاذ (والاكثر) أي القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) أي من العلماء المعتبرين (ان هذا) أي قوله تعالى تعزروه وتوقروه أنزل (في حق محمد صلى ٢٧٩ الله تعالى عليه وسلم) لانه أقرب ذكرا فيرجع ضميراهما اليه ومما يدل عليه قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه (ثم قال وتسبحوه) أي تنزهوه أو يصلوا له (بكرة وأصيلا) أي نهارا وليلا (فهذا) أي ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) ويؤيده ان أرباب الوقوف القرآنية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه وتعالى ويوقروه ايماء الى قطع ماقبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله وأريد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير وأبا عمرو قرأ بالغيبة في الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته أولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقدير الآية انا أرسلناك ليؤمنوا بالله وبك يا محمد وعلى الثاني تقديره ليؤمن بك من آمن (قال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة) أي سورة الفتح (نعم مختلفة) أي متعددة متكثرة أو مختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين) من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) أي الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام أي من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد ساله النصر في مواطن كثيرة وفي الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) أي ومن المغفرة (وهي) أي المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى رد الاهل الكتاب في محكم الخطاب وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم أحباء لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب أعداءه بل غفر لكم

(وتعززوه بزائين من العز) من العز خبر قراءة وقوله بزائين بهمزة وياء بعد الالف كما قال التلمساني لان في اسم المعجمة ثلاث لغات زاء بالمد والهمز وزاي بالياء وزي بزنة كي وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم أو هو تسمح منه (والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني انهم اختلفوا في هذه الضمائر هل كلها لله أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يلزم تفكيك الضمائر أو بعضها لله وبعضها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لسبق ذكرهما فاختار الزمخشري وتبعه القاضي الاول لتعينه في يسبحوه وتشتيت الضمائر وتفكيكها غير متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر واختار المصنف رحمه الله تعالى عود ضمير يعزروه ويوقروه فقط للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للقرينة المعنوية التي تدفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان في حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القرآن وقد رجعت هذه الضمائر له في آية الاعراف فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ولهذا وقف كثير من القراء على قوله توقروه للفصل بين ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر والاعانة بمعنى نصر دينه ورسوله وهو نصر له وأما التوقير فلا اشكال فيه كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتأديب لا يدفع الاظهرية الموافقة لما عليه الاداء والتفكيك مع ظهور القرائن كثير في كلامهم والاكثر مبتدأ والاظهر معطوف عليه وان هذا الى آخره خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر على التابع وتغليب المتبوع مع موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدأ ومابعده خبره ويقدر مثله لقوله الاكثر ولكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب وماوقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة (ثم قال وتسبحوه بكرة وأصيلا فهذا راجع الى الله تبارك وتعالى) أشار بثم الدالة على التراخي الى ما عليه أهل الاداء من الوقوف على توقروه ردا على من خالف فعين رجوع هذا الضمير كما في نظيره السابق لله قال الزمخشري يسبحوه من التسبيح أو من السبحة وهي الصلاة وفيه على هذا حذف وايصال كما أشار اليه القاضي رحمه الله تعالى بقوله في تفسيره تنزهوه أو تصلوا له (قال ابن عطاء) الذي تقدمت ترجمته (جمع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة) أي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولذا عقدها المصنف رحمه الله تعالى فصلا مخصوصا (من الفتح المبين) الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو من اعلام) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى أمارة ودليل (الاجابة) أي اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر الذي سبق منه في مواطن كثيرة كذا قالوا ولعله أراد أنه تعالى اجابه ونجزله كل مايرجوه منه فان فتح مكة أعظم مطالبه وأجل نعمه ولذا يقول الملبي أعز عبده وأنجز وعده (والمغفرة وهي من اعلام المحبة) فيه اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له كما تقول

وأكثر عليكم عطاءه ونعماءه ومن المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام أو نفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسي عن الميل النفسي (وتمام النعمة) أي ومن تمام النعمة (وهي من اعلام الاختصاص) أي منة له بما لم يؤته أحدا غيره كما يستفاد من قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (والهداية) أي ومن الهداية (وهي من اعلام الولاية) أي التأييد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) أي تنزيه منه له (من العيوب) أي عيوب الذنوب وفي نسخة تنزيه من العيوب وأما قول الحلبي وهو بكسر الراء المشددة ثم همزة مضمومة

من البراءة فخطأ ظاهر في العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة وبكسر الراء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تبرئة على وزن تفعلة والذي ذكره انما هو بضم الراء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لا يخفى على العلماء الاعلام (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) أي ايصاله تعالى له الى درجة لا درجة فوقها (والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة) أي الى الحضرة في مقعد صدق وقرب مكانة وكرامة لا قرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمد) أي ابن علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم (من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه) أي اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى ودلاها من حبة القلب بخلاف الخلة فانها ود تخلل النفس وخالطها (وأقسم بحياته) أي في قوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون

لمن تحبه كل ما يصدر منك مغفور لدي وكل ما يفعل المحبوب محبوب (وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص) أي هو دليل على انه تعالى جعله من خواص أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لانعامه عليه بما لم ينله غيره كما قال الله تعالى والله يختص برحمته من يشاء (والهداية وهي من اعلام الولاية) أي ان الله تعالى تولى أموره اذ هداه الى الطريق الموصل الى قربه والولاية بكسر الواو وفتحها كالمر النصر والتأييد فهدايته اماليه وهي علامة لتوليه أموره من التبليغ وغيره وتثبيته عليه المؤدي لنصرته كما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم فرع عليه قوله (فالمغفرة تبرئة من العيوب) أي هي كناية عن شدة محبته له وهو لا يحب الا من كان كامل الخلق والخلق مبرأ مما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئة بزنة تكرمة مصدر مهموز من البراءة أو بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها كما قاله الحلبي رحمه الله تعالى وفي بعض النسخ تنزيه بالزاء المعجمة مصدر من النزاهة بمعنى انه تعالى أولاه الفتح المبين لتنزهه عما لا يليق بمنصبه العالي قيل فيكون في مقام التجلي و يبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة كما ذكره المصنف يترتب عليها التجلي بالمشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لاندراجه فيما ذكر لا ظهوره فقدبر (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) غير المشاهدة فانجح مطلوبه ونزهه عن كل عيب وحلاه بكمالات مهيئة لمشاهدته وتدعوه لها كما أشار اليه بقوله (والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة) لما مر من ان المشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات الجلية لا ما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد بالفتح القضاء المتقدم تعسف لا يفيد (وقال جعفر بن محمد) الصادق الذي تقدمت ترجمته في تفسير هذه الآية (من تمام نعمته عليه) أي من اتمام نعمته التي أتمها عليه (ان جعله حبيبه) أي اصطفاه وخصه وأكرمه اكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنا حبيب الله ولا فخر (وأقسم بحياته) في قوله تعالى لعمرك على أحد الاقوال المتقدمة (ونسخ به) أي بشرعه (شرائع غيره) جميعها أو تنوعها فلم تبق شريعة أحد بكمالها وان بقي بعض منها ولا باس ببقائه على ظاهره فانه لا يجوز العمل بشيء من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريره له (وعرج به) بالبناء للمجهول والتخفيف أي أعرجه ورفعه بناء على انه لا يلزم مصاحبة الفاعل ان لم يكن التقدير عرج جبريل عليه الصلاة والسلام به وقيل عرج به بمعنى صعد به لا أصعده وفي الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى أصعده كذهب الله بنورهم أي أذهبه فلا كلام فيه والا فهو كبنى الامير المدينة أي أمر جبريل بالعروج به عليه الصلاة والسلام (الى المحل الاعلى) الجنة أو العرش أو ما فوقه أو ما فوق العالم كما حكاه التفتازاني (وحفظه في المعراج) أي في ليلة المعراج أو في عروجه أو في مصعده كما سيأتي (حتى ما زاغ البصر وما طغى) تقدم تفسيره (وبعثه) أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الاحمر والاسود) جميع الخلق كما تقدم وسيأتي تفصيله

أي وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمي والعمر بفتح العين لغة في العمر بالضم خص به القسم ايثارا للخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائع غيره) لقوله عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (وعرج) بفتح الراء أي صعد (به الى المحل الاعلى) أي المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول أولى والمراد به مقام قاب قوسين أو أدنى (وحفظه في المعراج) أي عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرج فيه الارواح وجاء انه أحسن شيء لا تتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان يشخص بصر الميت من حسنه (حتى ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال الى الهوى ولا تجاوز عن المولى (وبعثه الى الاحمر والاسود) (وأحل

أى العرب والعجم أو الجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفى رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس أى الا رسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها أحد منهم (وأحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وفى رواية أحلت لنا الغنائم (وجعله شفيعا) أى يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة أى مقبول الشفاعة فى مقام محمود يحمده فيه الاولون والآخرون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) أى وجعله سيد البشر ولما كان بعض أولاد آدم أفضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذى يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما أف أى فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر أى ولا أقول فخرا لنفسى بل تحدثا بنعمة ربى وتقييد يوم القيامة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد مع زيادة وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى ولا فخر وفى رواية لمسلم وأبى داود مع زيادة وأول شافع وأول مشفع ولا فخر وفى البخارى أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (وقرن) أى جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه (وجعله أحد ركنى التوحيد) أى المعتبر فى الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) أى يعقدون الميثاق معك على قتال أهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعنى) أى يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان أى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك

(وأحل له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته الغنائم) التصرف فيها كما تقدم (وجعله شفيعا) أى أذن له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشفاعة وخصه ولقبه بها (مشفعا) مقبول الشفاعة (وسيد ولد آدم) بل سيد الاولين والآخرين وجميع العالمين كما ورد فى الاحاديث الصحيحة (وقرن ذكره بذكره) فى التشهد والاذان وفى مواضع تزيد على عشرين فى القرآن وهو معنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك كما مر (ورضاه برضاه) مصدران مقصوران أى جعل رضاء الله برضى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو رضاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم برضاء الله يعنى طاعته طاعته للزوم الرضاء للطاعة لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والاظهر انه اشارة الى قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (وجعله أحد ركنى التوحيد) أصل معنى التوحيد فى عرف الشرع اعتقاد توحيد الله تعالى وانفراده فى ذاته وصفاته وألوهيته وانه لا معبود سواه ويطلق ويراد به [illegible] الايمان به وأصل معنى الركن الجانب وأركان الشئ أجزاؤه الخارجية أو أجزاء ماهيته الداخلة فيها بخلاف الشروط فانه الخارج الذى يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم ولا يقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول أو بالمعنى الثانى كالاقرار بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى الثانى حقيقة والظاهر تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح لعطفه على مدخول اللام وعد الامام منه ما كان قبله لانه أراد بالفتح القضاء أو جعل العلة اجتماع ما ذكر أو أراد بيان نعم يحصل باجتماعها التمام لا بيان الاتمام نفسه (ثم قال الله تعالى * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله * يعنى بيعة الرضوان) هذا كالدليل على ما قبله وعطفه بثم نظر الاول ما قبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخى الرتبى والمبايعة أخذ العهد والميثاق على أمر وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك فلذا قال (يد الله فوق أيديهم) وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وكانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا أو على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العسر واليسر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى ان يقول فى الله لا تأخذنا لومة لائم وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل فى بيعة العقبة ولم يتخلف أحد منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضى الله تعالى عنه لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا للحرب وانما جاؤا زوارا للبيت فبايع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع الارجاف بقتله (أى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك) والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فالله تعالى باع منهم الجنة بانفسهم وأموالهم وهم باعوا أنفسهم وأموالهم بها فالبيع والشراء مقابضة والتسليم فى المعركة كما أشار اليه بقوله تعالى يقاتلون الى آخره لا سلم كما فى بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن أوفى بعهده من الله ولما ورد انه

كيف أثبت مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ونفاها فى ضمن الحصر * أجيب عنه
باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفى بحسب الحقيقة وليس المراد نفى الحقيقة من حيث هى
بلا تاويل بل بجعلها كانها معدومة ادعاء من المؤمنين الواصلين لمقام الاحسان بطى الوسائط لغلبة
الشهود فالقصر ادعائى وقيل انه حقيقى على التشبيه فكانه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفى غير مراد
والحصر مجاز عن تاكيد الحكم لا أضافى ردا على من زعم انه مع الجن وأولى الوجوه الاول ولما جعل
المبايعة مع الله حقيقة أكد ذلك بقوله (يد الله فوق أيديهم) على سبيل التخييل كما ستراه فلذا قال (يريد
عند البيعة) أى المبايعة على عادتهم فى وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على
تفويض علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به بشرط موافقته
لكلام العرب وذهب ابن الهمام رحمه الله تعالى الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا فلا وذهب ابن
دقيق العيد رحمه الله تعالى الى أنه ان كان التاويل قريبا جاز والا فلا واليه أشار المصنف بما ذكره هنا
قال الاشعرى رحمه الله تعالى اليد ورد باطلاقها عليه تعالى الشرع فالمراد بها صفة قريبة من القدرة
انها أخص كالارادة والمحبة فان فى اليد تشريفا لازما وفى الكشاف لما قال انما يبايعون الله أكده على
طريق التخييل فقال يد الله الى آخره يريد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى فوق يد
المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عهد الميثاق مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
كعهده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوى حيث قال الجملة حال أو استئناف مؤكد على سبيل
التخييل وبيانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمبايعة الله تشبيها بليغا
ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا فى النفس تحققت هنالك استعارة
مكنية وهى التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به
ادعاء وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قال السكاكى
للزوم استعمال الجلالة فى غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا فالتخييل الذى قالوه هنا عبارة عن اثبات
اليد التى هى من لوازم المشبه به وهو المبايع للمشبه وهى قرينة الكناية على رأى القزوينى وعلى رأى
غيره عبارة عن لفظ اليد المشبه للمشبه والفرق بين مذهب السكاكى ومذهب الجمهور ان التخييلية
لا تتحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هى صورة وهمية لا يشوبها شئ من التحقيق كاظهار المنية فانه لما
شبه المنية بالسبع فى الاغتيال صورها الوهم بصورته واخترع لها صورة اظفار وأطلق عليها لفظ
الاظفار ولا يمكن هنا اعتبار مذهبه بان يخترع لله صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشرى
بان المراد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التى تعلو ايدى المبايعين وأضيفت لله انكتة
ذكرها وكلامه يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل فى مادة لا يتصور فيها اعتبار
الصورة الوهمية الا أن يقال انه لم يعترف بوجود التخييل هنا وقوله اكدتا كيدا على طريق التخييل
معناه ان التشبيه البليغ فى انما يبايعون الله أفاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيده فالجملة المشتملة على الاستعارة تاكيد لجملة التشبيه
البليغ على رأى أهل المعانى دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه لها
وذكره صريحا فاكتفى باحد المتلازمين عن الآخر * فان قلت المشبه به فى التشبيه المضمر المقرون
بالتخييل أما المبايع المطلق أو الخاص وهو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الاول لا يصح جعل
يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من لوازم المشبه به لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم وعلى الثانى يرد عليه ان يد الله لعمومها لا تختص بيد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يريد يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت نختار

يد الله فوق أيديهم) استئناف مؤكد لما قبله (يريد) أى الله ان يده فوق أيديهم (عند البيعة) أى على طريق الخصوصية قال التلسمانى قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية فى كلام المخلوقين ولا ينبغى أن يقول المفسر يعنى ولا يريد ولكن يقول من معناه أو يجوز أو يحتمل ونحو ذلك مما يجرى على الالسنة

(قيل) أي المراد بيدي الله (قوة الله) وقدرته والمعنى قوته وقدرته في نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقد أشار الهروي في غريبه الى هذا القول فيكون في الآية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعد الله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهي النصر له وعلى القول الذي بعده يكون فيما ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد أيضا في اللغة بمعنى القوة ٢٨٣ موجود ومنه قوله تعالى أولي الايدي أي أولي القوى (وقيل ثوابه) أي المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم في متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) أي عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفي الحديث اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبي وقد قال الشاطبي رحمه الله اليك يدي منك الايادي تمدها والمعنى منته عليهم ونعمته لديهم ببيعتهم عما منحوه من العز في الدنيا والثواب في العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم قال المنجاني واليه ذهب أكثر المفسرين واستعمال اليد في اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

لجودك في قومي يد يعرفونها ... وأيد الندى في الصالحين فروض

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هي من الله سبحانه الثواب أعني اليد في الآية المتشوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يمتنون به والا فليس اليد في اللغة اسما للثواب ولا للطاعة (وقيل) أي المراد بيد الله (عقده) وفي نسخة عفوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى أوجد البيعة وأتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الادميون انما يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق أيديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدي

الاول ونجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضافتها من المقام أو الثاني واليد وان عمت الايادي كلها مقرونة بما يخصصها وهو قوله تعالى فوق أيديهم لان اليد التي فوق أيديهم انما هي يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالتخييل اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله بناء على حمل كلامه على اصطلاح أهل المعاني وهو الظاهر فان حمل التخييل على اللغوي فان اضافة اليد للمنزه عن الجارحة مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتأكيد لم تحتج الى الاعتبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف لعادته في الجري على المصطلح وروي انما يبايعون الله أي لوجه الله وقال التلمساني الصواب أن يقال معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية انما هي في كلام المخلوقين ولا ينبغي أن يقول المفسر يعني ولا يريد بل يقول من معناه أو يجوز أو يحتمل ونحوه وهذا ما الاوجه له (قيل) في تفسير اليد (قوة الله) هذا على مذهب الخلف الذاهبين الى تأويل المتشابه أي المراد باليد هنا القوة فانه تعالى يوصف بها ومن أسمائه القوي أي قوة الله وقدرته في نصر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان آثارها يظهر باليد قيل فعلى هذا تكون نعمة مستقبلة وعد الله بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من اعتباره في الحال (وقيل ثوابه) أي المراد باليد ثواب الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق ثوابهم في مبايعتهم والوفاء بعهدهم وهو قريب من قوله (وقيل منته) أي نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز في الدنيا والثواب في الآخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم واطلاق اليد على النعمة لكونها بمنزلة العلة الفاعلة لها شائع في كلام العرب وورد بهذا المعنى مفردة ومجموعة على أيدي وأيادي وهو جمع الجمع وبعض أهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على أيدي وبمعنى النعمة على أيادي والصحيح الاول والدليل عليه قوله لجودك في قومي يد يعرفونها * وأيدي الندى في الصالحين فروض (قوله) سأشكر عمرا ان تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت

قيل والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة غير ظاهر (وقيل) اليد هنا معناها (عقده) قيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق يقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما في المصباح وهو المراد هنا أي اليد عبارة عن عقد العهد وهي المبايعة المذكورة فان كان بمعناه المصدري فهو ايجاده عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها فاستعار لايجاده عقدها اسم اليد لان الناس يفعلونها فهو من اطلاق المسبب على السبب وفوق أيديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وأيديهم على حقيقته كما في شرح التجاني واعترض عليه بان أول كلامه ظاهر في ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارة لايجاده عقده يقتضي استعارتها للايجاد وعليهما التجوز في المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله تعالى وايجاده فوق أيديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله تعالى عز وجل أوجد هذه البيعة وتمم عقدها وهذا المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق أيديهم فانه لازم معناه التركيبي وانه لو كان له يد فوق أيديهم وجارحة فوق جوارحهم لكان هو الذي أوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كما تقدم رجلا وتؤخر أخرى وبهذا يظهر مناسبته لما قبله * أقول ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدري وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافي بين أول كلامه وآخره الا ان كون اليد الثانية بمعناها الحقيقي غير متجه نعم ما ادعاه من انه مجاز مركب له وجه سواء كان استعارة أو مجازا مرسلا وأما قول الرازي يد الله

من المبايغين على هذا هى الجوارح على ٢٨٤ حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) أى هذه الاقوال المختلفة المعانى فى لفظ اليد هل هى

على سبيل الاشتراك والحقيقة أو على سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارة) أى اطلاقات مجازية لمناسبات سببية (وتجنيس فى الكلام) أى وتفنن فى العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعى وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ماذكره التلمسانى وغيره بل اللغوى بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا أطلق عليه اسم اليد فانما يراد التى بمعنى الجارحة فبينها وبين الايدى فى الآية مناسبة والمناسبة كما ذكره التلمسانى ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتاكيد لعقد بيعتهم اياه) أى من حيث أن بيعتهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التى تعلو أيديهم هى يد الله تخييلا (وعظم شان المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله عظم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ماقبله أى وتاكيد لعظمة شانه وفخامة سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعة لله سبحانه كجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) أى من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) أى كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه ولكن

فوق أيديهم أى حفظه فوق جارحتهم بحفظهم على البيعة كما انه قد توضع اليد على يد المتبايعين ليتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الاستعارة التمثيلية الا أنه لا يقتضى ان المبايعين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبايعون الله كما مر وانما يقتضى انهم مبايعوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الا والله حافظ لامبايع ومنهم من ذهب الى أن فى يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغى نقله لشناعته ان سلمت صحته كما قيل فتدبر (وهذه استعارة وتجنيس) أى مستعار أو التقدير ذات استعارة وقد عرفت مما مر انه يجوز فى الاستعارة أن تكون مكنية وتخييلية أو تصريحية أو استعارة لغوية وهى المجاز المرسل أو أعم منه ومن الاستعارة المصطلحة وحدها الرمانى بانها تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على سبيل النقل أو هى تمثيلية كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فانه تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله وقوله استعارة راجع لما قبله أو للوجه الاخير فهو من مقول القول أو كلام مستانف من كلام المصنف رحمه الله تعالى متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه فيما قبله ليس استعارة بل مجاز مرسل أو حقيقة وفيه ما لا يخفى والتجنيس وقع فى بعض النسخ مكانه تحسين بحاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على أحد الوجوه وهو أن أيديهم مستعمل فى معناه الحقيقى ولا شك ان يد الله ليست تستعمل بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لانه توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيان أو مجازيان أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز كما فيما نحن فيه وهو تام ان قلنا ان التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهذا نوع لم يتعرض له أرباب البديع وعلى هذا يرد على ما فى الاتقان من انه لم يقع الجناس التام فى القرآن الا فى موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انهما بمعنى مجازى ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنعم هل هى بمعنى أو بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالات كما فصله ابن القيم فى كتاب الفوائد والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المصنف رحمه الله فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس البديعى بل اللغوى وهو مطلق المناسب لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد الجارحة فبينهما وبين الايدى مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال ما زعمه ابن دريد من أن الاصمعى كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولد فغير قادح فى صحة أن يقال ان فى هذا تجنيسا بين هذا وهذا لاختلاف الصورة وان اتحدت المادة بناء على انها من الجنس الذى هو الضرب الذى هو أعم من النوع كما نبه عليه الجوهرى وهذا لم يفهم كلام الاصمعى فان مراده ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق منه كاستحجر وأما استعمال المصنف رحمه الله تعالى له فانه خطأ مشهور وهو خير من الصواب المهجور فان المصنفين لا يبالون بمثله كما فى كشف الكشاف ولفظ الجناس أيضا مولد واختلف فيه هل هو بكسر الجيم أو فتحها ولم يذكره أهل اللغة (وتاكيد لعقد بيعتهم اياه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التى تعلو أيديهم هى يد الله على ما مر (وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم) عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد والمبايع اسم فاعل أو مفعول والاول أنسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمسانى رحمه الله تعالى والمراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودلالته على تعظيمه بجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه أيضا وهو تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الله يلزمه اطلاق الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا أن يقال ان مثله يجوز فى الاستعارة المكنية على بعض الاقوال كما مر وفيه تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته (وقد يكون من هذا) القبيل الذى جعل فيه فعل العبد عين فعل الله كما فى هذه الآية ان الذين يبايعونك انما الى آخره وقد للتحقيق أوهى مجاز عن كونه محتملا وفيه بعد (قوله تعالى فلم تقتلوهم

(ولكن الله قتلهم) أى بهما اذهو الخالق للقتل وأسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عند اكتسابه (ومارميت) أى رميا يوصل التراب الى أعينهم ولم تقدر عليه (اذرميت) أى يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا أو أخذا وارسالا (ولكن الله رمى) أى حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى أعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا وأسرا (وان كان الاول) يعنى ان الذين يبايعونك وان وصلية (من باب المجاز) أى ادخل فى ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما فى أصل الدلجى وكذا قوله (وهذا) أى فلم تقتلوهم الآية (من باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة) وروى فى الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) أى فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) أى ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم أسند الفعل اليه حقيقة أيضا كما انه نفاه عنه أيضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب أهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب فى الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه فى هذه الآية بالقتل والرمى من حيث كونه هو الذى حصل أثرهما ومنفعتهما وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هم الذين قتلوا ورموا فهو على هذا من باب اطلاق السبب الذى هو القتل والرمى على المسبب الذى هو الاثر والمنفعة كما سبق فى الآية المتقدمة واما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تشبيه فيه لهذه الآية السابقة ولا تفريق بينهما فافهم (ومسببه) أى وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفى نسخة مشيئته أى ارادته كذا ذكر فى حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كما لا يخفى (ولانه) أى الشأن (ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) أى الى وجوههم فاعمت أبصارهم

ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) أى لم تقتلوا قريشا اذسلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذهو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له وهذه الآية نزلت فى غزوة بدر أو حنين كالتى بعدها وقوله ومارميت الى آخره اشارة الى ماوقع ثمة اذ رمى النبى صلى الله عليه وسلم المشركين بكف من حصباء وتراب كما يعلم مما يأتى وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم الا ملئت عينه منه فاشتغل وانهزم فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الآية المتشابهة بين الآيات انه أثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباع للمعتزلة فى خلق الافعال كما توهم وكلا الآيتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفى والاثبات كما يفيده قوله يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فمن قال ليس فيهما نفى واثبات لا صريحا ولا دلالة لم يصب (وان كان الاول من باب المجاز) أى وان كان المذكور أولا من قوله يد الله من نوع المجاز (وهذا) أى القتل والرمى المسند الى الله (من باب الحقيقة) وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروى فى باب الحقيقة أى داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور ولا حاجة لبيانه هنا كما فى بعض الشروح والمراد بالمجاز المجاز اللغوى لا العقلى الواقع فى النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة والحقيقة الى اليد الفوقية فورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على رأى من يقول انه مجاز وليس فيه اداة مقدرة أو انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يبق المبايعة فى الآية على اطلاقها اذ قيدها باليد المستحيلة فى حق الله تعالى فى قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك المبايعة التى يوضع فيها الايدى على الايدى انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوى مركب أى لا يكون ايجاد مبايعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه (لان القاتل والرامى فى الحقيقة) وفى أكثر النسخ بالحقيقة ومعناهما واحد والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية (هو الله) لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامى حقيقة هو الله لا غيره لانه المتعلق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وادرج فيه القتل فقال (وهو خالق فعله) أى الله خالق فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق (ورميه) تخصيص بعد التعميم أو تفسير (وقدرته عليه ومشيئته) المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل فى كتب الكلام وفى نسخة وضمير عليه للفعل وفى نسخة مصححة مسببه بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة اسم فاعل مرفوع معطوف على خالق ويجوز جره عطفا على فعله فيكون بمعنى السبب ثم أشار الى تعليل ثان ودليل على كون الفعل فى الآيتين حقيقة وأعاد اللام اشارة الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال (ولانه ليس فى قدرة البشر) فهذا لفظ مشترك يقال على الانسان ويستوى فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال بشر وابشار جمع بشرة وهى أعلى الجلد (توصيل تلك الرمية حيث وصلت) أى مكان وصولها من وجوههم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلى كرم الله تعالى وجهه ببدر ناولنى كفا من الحصباء فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقى الا من وقع فى عينيه منها وقيل أخذ قبضة من تراب ورمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقى مشرك

الاشغل بعينيه يعالج التراب الذى فيهما فنزل ومارميت ذكره ابن الجوزى وذكران سبب نزول قوله
تعالى فلم تقتلوهم الخ ان الصحابة رضى الله عنهم لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا وأسرنا فنزلت
فجعل لهما سببى نزول وهولا ينافى ماذكره المصنف رحمه الله من ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام
قاتلوا لان ماقالوه بناء على مارأوه بحسب الظاهر والى ماذكر أشار بقوله (حتى لم يبق منهم من لم تملأ
عينيه) أى لم يبق من المشركين أحد لم تملأ رميته صلى الله تعالى عليه وسلم عينيه من التراب ودقيق
حصباته حقيقة أونظر اللاكثر ولذا قيل عرفا فانه روى هنا وهذا فعل الله لافعله صلى الله تعالى عليه
وسلم والفرق بين التعليلين ان الاول بناء على ان الله تعالى خالق لفعل العبد ولقدرته عليه وموجد
لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثانى مبنى على ان هذا الفعل ليس مقدور اللبشر فعلى
الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون عرف اللغة وعلى الثانى حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب فى الافعال
ثلاثة فقيل ان العبد موجد لفعله بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لاغير
وقيل ان الله والعبد موجدان للفعل ولامانع من اجتماع مؤثرين على أثر واحد وللجلال تحرير مستقل
فى هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد مباشر فيصح النفى عنه والاثبات له ولله اذا الفعل ينسب الى الموجد
والمباشر كليهما على الحقيقة اللغوية واعترض بانه لوصح هذا صح ماصليت والله صلى وكذا فى المعاصى
وأجيب بانه ان أراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فهو ممنوع اذقد يمنع عنها مانع مع صحة المعنى كايهام
أو بشاعة كما قيل فى العارف وخالق الخنازير واطلاق الشارع لا يقاس عليه وان أراد صحة النفى عن
العبد واثباته حقيقة لله فبطلانه مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذقالوا قتلنا وأسرنا
فنزلت تعليما وتاديبا فلابر واذلك الامن الله وقد صرح المحقق فى شرح المقاصد بان الفعل لايسند
حقيقة الا لمن قام به لا لمن أوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح الكشاف فى قوله تعالى
شققنا الارض شقا فاسناد القتل والرمى الى الله مجاز على مافيه أو أراد ان القتل والرمى ثابتان له خلقا
دون البيعة معه واليد فليست بالمعنى المصطلح ثم كونه تعالى خالق القدرة والسبب لادخل له فى المدعى
وانماذكر للمناسبة انتهى ملخصا * أقول الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل الحقيقى الذى وعدناك
به أمر مهم ولم يحققه أحد كالابهرى فى شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان يكون سببا قابليا لفعله
ليصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا فى محل يقوم به يسند ذلك الشئ الى محله وان لم يكن له مدخل
فى التاثير لا اليه تعالى وكذا نحو الطاعة والمعصية والعيب مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان
أوجده ولذا شدد النكير على المعتزلة فى اسناد الكلام الى الله لكونه أوجده ولم يقم به لعدم صحته لغة
بالاستقراء واذا أسند الفعل لغير السبب القابلى لم يجعل مجازا عن فعل آخر مناسب له ويكفى فى هذا ان
يعد سببا قابليا فى عرف اللغة ولا يجب ان يكون محلا له فى الحقيقة كما فى سرتنى رؤيتك فلا تجد أحدا من
العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو والمسرة الى الرؤية ان فاعلهما غير المذكور وهكذا يجب ان
يفهم هذا المقام لتندفع به الاوهام الى آخر ماحققه بما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه اختلافا مع طول باعه
وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره هذا القائل أمور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد
والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه لاينسب الا لمن قام به وعد محلا له عند أهل اللسان مع ان
أول كلامه غير مناسب لآخره ومنها ان الحقيقة تطلق على مايقابل المجاز الاصطلاحى وعلى
الواقع ونفس الامر والمصنفون اذا أرادوا الاول قالوا هذا مراد به كذا لاحقيقته واذا أرادوا
الثانى قالوا هو فى الحقيقة بمعنى كذا فترديده فى كلام المصنف لاوجه له ومنها ان قوله ان العارف
لايطلق على الله لايهامه يعنى انه يختص بالجزئيات أو بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص
علمه تعالى والثانى يوهم مالايليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ العراقى

(حتى لم يبق منهم من لم تملأ) أى تلك الرمية (عينيه) أى ترابا

وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) أى فى الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى أفراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم أن القدرة الملكية ليست كقوى البشرية فى الاحتياج الى القوة الالهية والقدرة السبحانية فان المخلوقات بأسرها متساوية فى مرتبة العبودية فاندفع بتحريرنا ما توهم الدلجى خلاف تقريرنا حيث قال وما أحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة أيضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة اهـ وظهر لى وجه آخر انه أراد بقوله حقيقة أنه وقع من الملائكة نوع من المباشرة فى قتل الكفرة لانه انما كان نزول المعركة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) أى الاخيرة وهى قوله تعالى فلم تقتلوهم الآية (انها على المجاز العربى) بالباء أى اللغوى أعنى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى وهى هنا السببية وفى نسخة العرفى بالفاء قال العلامة محمد بن خليل الانطاكى الحنفى فى حاشيته المسماة بزبدة المقتفى اعلم أن المجاز أن تجوز مستعملة عن معنى وضع ذلك اللفظ له وضع اللغة فهو المجاز اللغوى كالاسد للشجاع وأن تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجاز الشرعى كالصلاة للدعاء وأن تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفى الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفى العام كالدابة للشاة

رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج بان امام الحرمين رحمه الله تعالى فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوى فى تفسير قوله تعالى (وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) فقال أى الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا واحدا واعترض عليه الفاضل المحشى وقال الجوهرى علمت الشئ عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله فى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأقوال الصحابة وأهل اللغة فلا حاجة للالتجاء للمشاكلة ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولنا عودة الى بيان ذلك ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة الخ لا دخل له فى مدعاه عجيب منه فانه اذا خلق فعل العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك أبلغ من نسبته له على أتم الوجوه فاى مدخلية أعظم من هذه (وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) منهم لمباشرتهم له وحقيقة يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا مبنى على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا فى بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون وقال بعض الشراح ما أحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرتهم وهم المباشرون فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة لم يسند لله وأيضا لا يظهر كون لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا أن يقال ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق أولا على ما وضع له من نفى القتل والرمى مع صدوره صورة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم وما رميت ثم ثانيا على المقصود من قذف الرعب فى قلوبهم ومنفعة الرمى وتأثيره ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب ورد بان الملائكة عليهم الصلاة والسلام باشروا القتال فاسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة رضى الله تعالى عنهم فيصح النفى عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على أن النفى عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الايصال من الله والقتل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام أن يكون القتل والرمى من الله فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله تعالى والثانى لحقيقة النفى فالمجموع دليل على الاثبات والنفى أو الثانى دليل لبعض المدعى ومثله شائع وهذا ليس بشئ والحق وروده اعتراضه وقصور فهم من رده وأما الثانى فغير وارد وقد علم جوابه مما قررناه أولا (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) وهى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (انها على المجاز العربى) وفى نسخة العرفى بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقى هو الله تعالى كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فعله واسناده لغيره ليس حقيقيا فيكون مجازا بالنسبة للحقيقة الا أن عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم على عد غيره فاعلا حقيقية والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى قوله العربى والعرفى فهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العربى شاملا للمجاز فى اللفظ والاسناد وان كان المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعربى اللغوى وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح التخاطب وهو احتراز عن المجاز العقلى فى الاسناد والنسبة وللتلمسانى هنا كلام يتعجب منه وهو والمراد بالعرفى ما عدل به عما وضع فى عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لارادته فى هذا المقام الا أن يراد به ما يعم عرف اللغة فهو فى مقابلة العقلى وقد عرفت أنه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب الا أنه لما كان مبحوثا عنه فى علم البيان المدون للفظ

(ومقابلة اللفظ) أي وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) أي لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ في مسببه (أي ما قتلتموهم) أي أيها الامة حين قتلتموهم بآلات القتل (وما رميتهم أنت) أيها النبي (اذ رميت وجوههم بالحصباء) بالمد أي بالحصى أو بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) أي وأوقع في صدورهم الرعب والفزع (أي ان منفعة الرمى) أي وكذا فائدة القتل (كان من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى) أي الذى هو ابتلاهم بالرعب وادخال التراب في أعينهم حتى انهزموا (وأنت) أي القاتل والرامى (بالاسم) أي من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة

المبنى وحذف قوله القاتل والرامى في الجملة الاخيرة للعلم به من الجملة المتقدمة اذ هو من دلائل الاوائل على الاواخر والله أعلم بالظواهر والضمائر والحاصل فيه ما حكى عن المهدوى وأوضحه هبة الله بن سلامة ان الرمى أخذ وارسال وتبليغ وايصال فالذى أثبت الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الاخذ والارسال والذى نفى عنه وأثبته لنفسه هو التبليغ والايصال والله تعالى أعلم بالحال ثم أعلم بطريق الانعطاف الى القضية الامنية أن السكينة الواقعة في الآية المكنية هى كناية عن تسكين نفوس المؤمنين بتحصيل اليقين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان أخبرهم حين توجه للحديبية بانهم يدخلون مكة آمنين و يطوفون بالبيت لرؤيا كان رآها فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه خلق في نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة في نفوسهم ومستمرة الى أن يقع ما وعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله أن يكون ما وعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحى ولكن في غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف أمر الحديبية عن الصلح قال بعض أصحابه يا رسول الله ألم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى فقلت لكم في عامى هذا فكان تحقيق هذا في عام الفتح والى ذلك أشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله

العربى سمى عربيا وهو اصطلاح لم نجده لغيره (ومقابلة اللفظ ومناسبته) بجرهما عطفا على المجاز وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيرى ان اتحدا والظاهر تغايرهما فانه الاصل والمراد بالمقابلة صنعة الطباق وهى الجمع بين متضادين في الجملة سواء كانا مثبتين نحو (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) أو أحدهما مثبت والآخر منفى نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التى ذكرها السكاكى والمراد بالمناسبة ذكر اليد في الجانبين والقتل والرمى فيهما فهى بالمعنى اللغوى كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

كما قيل وقال التلمسانى رحمه الله تعالى المراد بالمقابلة ايراد الالفاظ متوالية متماثلة في الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو أكثر ما يقع في الفاظ الكتاب كقول البحترى

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت * فينعم رياها ويصفو نسيمها

والمناسبة ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة أو التشبيه كقول المتنبى

سقيتها عبرات ظنها مطرا * وسائلا من جفون ظنها سحبا   انتهى

والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثانى يمكن ارادته (أى ما قتلتموهم وما رميت أنت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب) الحصباء بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلطة بالتراب لان الغالب ان الحصباء مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اى لم توجدوا ذلك وتلحقوه ولم يكن منكم ما أثبت الله من رمى قلوبهم بالخوف والجزع لقوله (ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) أى رمى ما رماه من الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازى لفهمه مما ذكر ولو جعل الرمى شاملا لاتصال الحصباء لعيونهم الشاغل لهم كان أولى فان الله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان مقتضى الظاهر أن يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمى لمشاكلة قوله رميت قاصدا بالرمى رمى الجزع في قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رمى الحصباء (أى ان منفعة الرمى كان من فعل الله تعالى) والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل الضر وفي لحن العامة للزبيرى اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد كقوله تعالى (لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا) واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسنى الضر والنفع بالنصر والغلبة والقوة أو شغل قلوبهم بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه والمراد بالفعل فائدة الموضوع له (فهو القاتل والرامى بالمعنى) والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة منه فكانه هو الذى فعله وتفريع القاتلية يدل على أنه مقدر قبله أو في حكمه أو منفعة الرمى التى هى الجزع والرعب سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل لانه الموجد لسببه والرامى لانه الموجد لفائدته فلا تقدير والمعنى المقصود والفائدة من أجل سببها فهو الموجد لها (وأنت بالاسم) أى بتسميتك راميا واطلاق لفظه عليك لغة لمباشرتك وان

كان

سبحانه وتعالى فى هذه الآية ولله جنود السموات والارض باثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة أى فلا تستعجلوا ما وعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تاخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات أريد بهم الذين أنزل السكينة فى قلوبهم فصدقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يا نبى الله قد بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والا فتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين أحدهما أنه كناية عن قولهم لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والآخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ما هى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل لصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها ودوران الزمان لما كان يذهب ويجئ على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيهم لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاة وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف أصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكليف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألفا وأربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر وألفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول ٢٨٩ الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن لا يفروا وقال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت

كان الفاعل هو الله تعالى وفى عبارة المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى انه تعالى لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز أن يكون الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين كما انه فى قوله اذ رميت له خاصة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز أن يسمى قاتلا لانه السبب والآمر بالقتال أو لينسب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى وقعة بدر كما قاله التجانى وغيره * (الفصل العاشر فى) ذكر (ما أظهره الله تعالى فى كتابه العزيز) أى لعديم النظير أو الغالب لغيره من الكتب بالنسخ أو الممتنع من مضاهاته باعجازه أو من التغيير

وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة أحد ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله عنه غائبا بمكة وبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عندما ذكر ان أهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عندما توجه الى مكة أراد أن يبعث رجلا الى قريش يخبرهم أنه لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن أمية الخزاعى فلما وصل اليهم أرادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا فتحالفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت للحرب وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص قبل أن يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته وأجاره بالرأى فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أرسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبسته قريش عندها تبره وتكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وأمر مناديه فدعا الى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من أمر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما فحمد الله على ذلك والمبايعة فى الآية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم وأموالهم وباعوه أنفسهم وأموالهم بالجنة وبقية قضية الحديبية فى المواهب اللدنية

(الفصل العاشر) (فى) أى فى ذكر (ما أظهره الله فى كتابه العزيز) أى المنيع الذى لا يعترى ساحة عزه ابطال وتحريف

أو الكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) أى وفى بيان ما (خصه به من ذلك) أى الاكرام (سوى ما انتظم) أى غير ما دخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبنى على الضم مقطوع عن الاضافة أى قبل ذلك فى الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) أى الذى أكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (ما نصه الله تعالى) أى صرحه وفى نسخة قصه (من قصة الاسراء فى سورة سبحان) وفى نسخة فى قصة الاسراء من سورة سبحان وهى غير صحيحة (والنجم) أى وفى سورته وقد سبق الكلام عليه (وما انطوت) أى ومن ذلك ما اشتملت (عليه القصة) أى القضية (من عظيم منزلته وقربه) أى قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى (ومشاهدته) أى مطالعته (ما شاهده من العجائب) أى ما رآه من الغرائب المستفاد من قوله تعالى لقد رآى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتمثيلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرائب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبين ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كونه ذهابه وايابه فى برهة من الليل مسيرة ما لا يعلمه أحد من المهندسين وقد وردان ما بين الارض وسماء الدنيا مسافة

خمسمائة عام وكذا ما بين كل سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسى كحلقة فى فلاة وهو بجنب العرش كحلقة فى فلاة وقد تعجب قريش من ذلك وأحالوه ولا استحالة فيه عند أرباب العقول اذ ثبت عند الحكماء فى علم الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى أقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) أى يحفظك من تعرض أعدائك لك روى الترمذى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ولا ينافيه ما فى البخارى وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم أحد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتحمل ما دون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس من جهة البلاء أو انهما بعد وقعته قال التلمسانى والمراد بالناس فى الآية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولا دلالة فى الآية على قصد الخصوص عند أرباب المفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم

والتحريف لحفظ الله له (من كرامته عليه) قال كرم عليه لتضمنه معنى العزة أو هى بمعنى عنده وعدل عنها لئلا يتكرر مع قوله (ومكانته عنده) أى علو مرتبته وشرفه عند الاكابر (وما خصه به من ذلك) المذكور من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم أى فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم (سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل) أى غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل مبنى على الضم وانتظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به أهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة وقيل متعلق به أو بذكرنا على التنازع فيه ولما لم تستوعب كراماته قيل أردفه بفصل كمله به ولم يدرجه فى بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح هذه الطريق (من ذلك ما قصه الله تعالى) من قصصت الخبر اذا ذكرته على وجهه كما فى المصباح فهو أخص من الذكر مع مجانسته لقوله (من قصة الاسراء فى سورة سبحان و) سورة (النجم) وهو متعد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما أيضا كما مر وهذا وان تقدم مفصلا الا أنه ذكره هناك استطرادا وهنا اصالة لعقد الفصل لامثاله (وما انطوت) أى اشتملت (عليه القصة من عظيم منزلته وقربه) من الله المفهومين من قوله وغير ذلك (ومشاهدته ما شاهده من العجائب) وهذا بناء على أن المراد بالدنو الآتى دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الله أو دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان المراد دنو جبريل عليه الصلاة والسلام منه والعجائب ما رأى من آيات ربه الكبرى ورؤية الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم وايابه فى برهة من الليل الى غير ذلك (ومن ذلك) عطف على من ذلك المتقدم أى ومما أظهره وقيل الاشارة الى عظيم منزلته وقربه (عصمته من الناس) أى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم عن أن يصل اليه كيدهم ومكرهم الذى أشير اليه بقوله (والله يعصمك من الناس) أى يحميك عن القتل وما لا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته صلى الله تعالى عليه وسلم باحد بتخصيص العصمة بالقتل أو تأخر نزول هذه الآية والمراد بالناس الكفار كما فى قوله أمرت أن

أقاتل

(وقوله) بالجر أي ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الآية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) ذكر سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به واحتيالهم عليه فالقصة مكية والآية مدنية أي واذكر اذ يمكرون بك في دار الندوة متشاورين في أمرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال أنا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا ليثبتوك بوثاق أو حبس اشارة الى قول أبي البختري 291 أرى أن تحبسوه وتشدوا منافذه الى كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من قومه من يخلصه منكم أو يقتلوك اشارة الى قول أبي جهل لعنه الله عليه أرى ان تاخذوا من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى أو يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو أرى أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأي أبي جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لا تنم الليلة في مكان نومك فامر عليا أن ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله وأخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لا يبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة أو محمول على المعاملة (وقوله) بالجر أي ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) أي ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه اذ أخرجه الذين كفروا وليس معه الا أبو بكر فحذف الجواب وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه وأسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له في الخروج عن همهم به فكأنهم أخرجوه وقوله ثاني اثنين حال من ضمير أخرجه أي أحد اثنين روي ان جبريل لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر (ومادفع الله) أي ومنه مادفعه الله (به) أي بنصره (عنه في هذه القصة) أي قصة مكرهم به لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولما قيل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه والمعنى ما حفظ الله له (من اذاهم) أي ليلة عزموا على قتله

أقاتل الناس الحديث (وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) أي ومن العصمة قوله الى آخره وهو مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الآية ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وهذا كان لما بايع صلى الله تعالى عليه وسلم الانصار بالعقبة وأمر أصحابه رضي الله عنهم بالذهاب للمدينة أشفقت قريش من ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في أمره فاتى ابليس اليهم بصورة رجل نجدي وقال سمعت ما اجتمعتم له فاحببت أن أكون معكم ولم تعدموا من رأي نصحا فقال بعضهم احبسوه موثقا وتربصوا به ريب المنون فقال الشيخ ما هذا برأي يوشك أن يثب أصحابه فيأخذونه من بين أيديكم فقال آخر اخرجوه من بين أظهركم فقال ما هذا برأي يجمع جموعا ويأتي لكم فقال أبو جهل لعنه الله تعالى نأخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا تطيق قريش تقدر على حربهم كلهم فيقبلون العقل ونستريح منه فقال ابليس لعنه الله تعالى هذا هو الرأي وتفرقوا فأتاه جبريل عليه السلام وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت بمضجعه في هذه الليلة فامر عليا كرم الله وجهه بان يرتدي ببرده وينام مكانه ففعل فاتوا وأحاطوا بمكانه فلما أصبحوا أتوه فرأوا عليا وقد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا الى الغار على ما فصل في السير وعلي أول من باع نفسه لله تعالى كما قال

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

في شعر نسب له ويثبتوك معناه يوثقوك ويحبسوك ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازي مكرهم بما يليق به كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم قال التجاني وخير الماكرين أقدرهم وأعزهم جانبا لانه أثبت للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضي ان أصل المكر ثابت له كما ثبت لهم الا أنه خير منهم مع ان الثابت له انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا أثبت لهم المكر الحقيقي وهو ايصال المكروه حقيقة ولو المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية العينين المشتركتين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل في أحسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث (وقوله تعالى * الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا * الى آخره) بالجر كما روي وروي بالرفع عطفا على العصمة وفي هذه الآية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فسينصره من نصره قبل ذلك وهو بين أعدائه وقد هموا بما هموا به فاذن له صلى الله تعالى عليه وسلم في الهجرة أو أمده بالملائكة وظرفية الاخراج للنصر لانه سبب له أو لانه سلمه من أعدائه وأعمى أبصارهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وحماه في الغار وقصة سراقة معه فلا اشكال فيه والآية نزلت في غزوة تبوك ونسب الاخراج الى الكفار وان كان منه باذن الله تعالى لانهم سببه كما فصلناه عليك (ومادفع الله به) أي بحفظه من غير معين له أو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذه القصة) المشار اليها بقوله تعالى واذ يمكر بك الى آخره في الهجرة والغار والطريق وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا وثاني اثنين اذ هما في الغار (من اذاهم) أي أذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بما

(بعد تحزبهم) أى تجمعهم ووقع فى نسخة بعد تحريهم براء مكسورة مشددة فتحتية أى بعد قصدهم (هلاكه) بضم أوله وسكون ثانيه أى هلاكه (وخلوصهم) أى وبعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدر أو وصف أريد به معنى الجمع وقد جاء مفردا فى قوله تعالى وقربناه نجيا وجمعا فى قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا أى متناجين ومتشاورين (فى أمره) أى على أى صفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فطوقوا بخيبتهم (والاخذ) بالجر فى أكثر النسخ واقتصر عليه الدلجى حيث قال والظاهر كما فى نسخة مصححة رفعه عطفا على ما دفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لا يخفى الا أن الاقرب والاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على أبصارهم عند خروجه عليهم) أى مع أبى بكر الى الغار ليلة قصدوا قتله وكذا الكلام من حيث المبنى والمعنى على قوله (وذهولهم)

أى غفلتهم (عن طلبه فى الغار) أى مع ترددهم حواله فلم يهتدوا اليه وذلك بآيات أظهرها الله فى الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال أمية ابن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أرى الا أنه قبل ان ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث حمامتين على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت الحمام هنالك والمراد بالغار نقب با على جبل ثور عن يمين مكة مسيرة ساعة واللام فيه للعهد (وما ظهر) أى لهم (فى ذلك من الآيات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قبابه ونثره التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الآيات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) أى ومن نزول الطمانينة والامن الذى تسكن عنده النفوس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده قوله تعالى وأيده بجنود لم تروها أو على أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانه الذى كان منزعجا لقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه ويؤيده ان بعض القراء جعل عليه وقفا لازما وجعل ما بعده كلاما مستانفا أو عطفا على صدر القصة مما يكون محلا قابلا لئلا يلزم تفكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما فى قوله تعالى أن اقذفيه فى التابوت الآية وأما قول الدلجى ان هذا هو الحق فليس فى محله لورود الخلاف عن أكابر المفسرين على ان التحقيق فى مقام الجمع على جهة التدقيق أن يقال المعنى فانزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه ما فى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ولا ينافيه ما ورد فى تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما

سيأتى ومن مبينة لما المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية أو موصولة ومن بيان لمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه أو الكرامة التى دفع الله تعالى بسببها عنه أمرا عظيما ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع (بعد تحزبهم) بحاء مهملة وزاء معجمة وموحدة وفى نسخة تحريهم براء مهملة ومثناة تحتية أى قصدهم والاولى بمعنى تجمعهم فى مشاورتهم مع أحزابهم وقرار رأيهم (هلاكه) بضم فسكون أى هلاكه وهو مصدر أو اسم مصدر (وخلوصهم نجيا فى أمره) أى بعد اخلاصهم فى أذيته منفردين فى دار الندوة للمشاورة فى أمره والخلوة أعون على الجسم والرأى ونجيا بمعنى متناجين ومناجين فهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول للمبالغة فى التجوز ويقع على الواحد والجمع (والاخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم) حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه أخذه الله بمعنى أهلكه ومعنى أخذ الله على أبصارهم منعها من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم والاخذ مجرور معطوف على تحزبهم وروى مرفوعا بالعطف على ما وقيل تقديره من الاخذ على أبصارهم عند خروجه لما أرادوا قتله وهو خطأ لاقتضائه دفع الاخذ وهو ثابت (وذهولهم عن طلبه فى الغار) الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير وفى الغار متعلق بالطلب أى ذهلوا عن أن يكون طلبهم له فى الغار لا حال من ضميره لانهم طلبوه وهو فيه لما اقتصوا أثره حتى بلغوه فصدهم عنه نسج العنكبوت وبيض الحمام ببابه والغار نقب فى الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف وتعريفه للعهد لغار ثور القريب من مكة بمقدار ساعة (وما ظهر فى ذلك) الغار أو الامر وهذا معطوف على عصمة أى ومن ذلك ما ظهر (لهم) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر رضى الله تعالى عنه فيما ذكره من قصة الهجرة والغار وجمع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير ولهم فى أكثر النسخ والقدح فيه انه توهم ان الضمير للكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف (من الآيات) الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم كوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببدر ونبات شجرة تسمى الراء كاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضه به وشفاء الصديق رضى الله تعالى عنه من لدغ الحية بريقه الشريف وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش به كما نقله الفيروزآبادى والطبرى وفتح جبريل عليه الصلاة والسلام لطرف الغار الآخر عند خروجهما (ونزول السكينة عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو على

أبى

(وقصة سراقة) بالجر عطفا على الآيات أي ومن قصة سراقة (ابن مالك) أي ابن جعشم وهو الذي أعطت له قريش الجعائل وأخذ في طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوائم فرسه عند ذلك وهو الذي ألبس له عمر رضي الله عنه سواري كسرى وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقد كان أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهي معجزة دائمة باقية الى يوم القيامة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثاني واقتصر عليه الحلبي وغيره أي على قدر (ما ذكره أهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وأرباب السير من الشمائل والمغازي (في قصة الغار وحديث الهجرة) أي مفصلا ومجملا لانه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خائبا ثم أسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبي وفي الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) أي ومن ذلك (قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتي أي الكثير من أنواع التفضيل الا أن فوعل أبلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم

أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما في مصحف حفصة رضي الله تعالى عنها فانزل الله سكينته عليهما وقيل الحق الثاني لانه هو الذي كان منزعجا بدليل قوله قبله اذ يقول لصاحبه لا تحزن وقال التجاني في عود الضمير على النبي صلى الله عليه تعالى وسلم أو أبي بكر رضي الله تعالى عنه قولان وفي أحكام القرآن لابن العربي الاقوى انه لابي بكر رضي الله تعالى عنه لانه خاف على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله على قلبه سكينة أي طمانينة وأمنا وفي الشواذ عليهما ولذا قيل الضمير في عليه لهما واكتفي باعادته على أحدهما كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه كما ذكره ابن الجوزي عن ابن الانباري بعد ترجيح عوده لابي بكر رضي الله تعالى عنه وان كان ضمير وأيده بجنود للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلا خلاف لانه لا يحتاج للسكينة الا المنزعج ونظيره ما مر في قوله تعالى ويوقروه ويسبحوه والقراءة الشاذة مؤولة بنسبة ما للواحد الى الاثنين كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا أن قوله تعالى ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يصح عودها هنا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا والسكينة فسرت بطمانينة الامن والرحمة والوقار فتفسر في كل محل بما يليق به مع ان طمانينته صلى الله تعالى عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم لو وصلوا اليه على أذيته أو للرضى بما قدره الله تعالى وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل

وبما شئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضاكا

(وقصة سراقة) بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف (بن مالك) وسيأتي تفصيلها وهو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي الصحابي الحجزي رضي الله تعالى عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة وما نقله البرهان عن الجوهري من انه بفتحهما ليس موجودا في نسخة كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه وأسلم في غزوة الطائف بعد فتح مكة ومات في سنة أربع وعشرين وكان شاعرا وبنو مدلج كلهم قافة والقيافة من علوم العرب وقلما يخطئون فيها وقد عمل بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض الانساب (حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة) حسب بفتح السين وسكونها منصوب أي موافقا لما ذكر وفي الحديث يجزى المرء على حسب عمله أي على مقداره وله معان أخر والحديث أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وأحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابي ونحوه أيضا كما فصل في محله وأهله علماؤه المعتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار لاخرى وهي هنا للعهد أي هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة المنورة (ومنه) معطوف على قوله من ذلك (قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الى آخره) أكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطى والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن الفضائل كوثرا

وكذا ان كان اسم الحوض أو نهر في الجنة أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج كما ورد في الحديث لتقدم العطاء وفي الروض الانف عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل أحد أصبعيه في أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر ونحوه مما ثبت في الاحاديث الصحيحة * فان قلت ما تسمع من الدوي اذا سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهوا المانع للاذن عن سماع حركة الابخرة التي في داخل الدماغ وهو امر طبيعي كما قال المتنبي في صفة حرب

وتسمع في الدنيا دويا كأنما * تداولت الاذان امثال العشر

(فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقتضى الظاهر فصل لنا أى قدم على الصلاة كما أمرنا أو على صلاة العيد خالصا لوجهه وشكر الانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على أصناف ذكره ويؤيد الوجه الثانى قوله تعالى (وانحر) أى ضح بالبدن التى هى خيار أموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقراء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلى يده فى الصلاة عند نحره ويروى هذا عن على كرم الله وجهه (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) أى مقطوع الخير والبركة فى الدنيا والآخرة أو الذى انقطع من بلوغ أمله فيك (أعلمه الله) أى منة عليه فى هذه السورة (بما أعطاه) أى ببعض ما أولاه والا فعطاؤه لا يمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) أى لما فى مسلم أتدرون ما الكوثر قيل الله تعالى ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوضى ترده أمتى يوم القيامة وضميرهو راجع الى النهر اشعارا بان له نهرا من الجنة منصبا فى حوضه يوم القيامة فلا ينافيه قوله (وقيل نهر) بفتح الهاء ويسكن (فى الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذى رأيت فى الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذى أعطاك الله وحديثه أيضا أعطانى الله الكوثر نهرا فى الجنة يسيل فى حوضى (وقيل الخير الكثير) وهذا هو الاظهر لانه هو الحق كما عبر به الدلجى لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط المبالغ فيها ويؤيده خبر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى البخارى الكوثر هو الخير الكثير الذى أعطاه الله تعالى قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة قال هو من الخير الكثير الذى أعطاه (وقيل الشفاعة) أى العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة) أى لاشتمالها على خيرات كثيرة واللام للعهد أى النبوة العظيمة أو النبوة المختوم بها المتميز بها عن غيره بنوع المزية (وقيل المعرفة) أى الكاملة وهذه أقوال حسنة معانيها الا انه لا دلالة على مافيها (ثم أجاب) أى الله سبحانه وتعالى (عنه) أى بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) أى العاص بن وائل أو أبا جهل ونحوه

فما معنى هذا الحديث * قلت الجنة موجودة الآن كما هو مذهب أهل السنة وهو الذى نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته لانه كالحوض الذى ينصب فيه أنهار خمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته فى عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تشتغل بالسمع الآن لسده أدركته أو أدركت دويا آخر كما قاله الحكماء فتذكرته وجعل تذكره سماعا على طريق الاستعارة وليس هذا مما يقال بالرأى وفى كلام العماد بن كثير ومعناه من أحب أن يسمع خرير الكوثر أى نظيره أو مما يشبهه لانه يسمعه بعينه بل شبهت دويه بدوى ما يسمع اذا وضع الانسان أصبعيه فى أذنيه وقد قلت وأنا بالروم أتشوق لمصر

لحديث نيلك مصر أمسى مصغيا * حتى يخوضوا فى حديث غيره

يا كوثرا ان سد عنه مسمعى * ألقاه فيه قد جرى بخريره

(فصل لربك وانحر) أمر بالصلاة مطلقا أو التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغى أن يكون شكرها كذلك وأعظم ذلك العبادة وأعظمها الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا تطريه للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالتربية قبل الشكر فكيف بعده وقوله وانحر أمر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفى غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع أنواع العبادة المالية والبدنية ولما رأى بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك فى الصلاة لانها تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة للنحر كثيرا نحو ان صلاتى ونسكى لا يجدى (ان شانئك هو الابتر) أى المقطوع العقب والقليل ولم يقل جعلناه أبتر لئلا يسند الشر لنفسه (أعلمه الله بما أعطاه) حقيقة أو قدره له أو بما هو موجب للعطاء فسمى به وتأويله بيعطى يفوت هذه النكات ثم شرع فى تفسير الكوثر وسرد أقوال المفسرين فيه ولم يقصد بقوله قيل فى الستة الاقوال الآتية تضعيف ذلك وانما أراد الحكاية فقال (والكوثر حوضه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى القيامة وسيأتى بيانه (وقيل نهر فى الجنة) غير الحوض وهو الصحيح (وقيل الخير الكثير) فهو صيغة مبالغة من الكثرة فى اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام وأحسن فى تعقيبه بقوله (وقيل الشفاعة) التى هى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام لا يسع غيره النطق به وهذا أعظم الخير والنفع وأكثره (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة) أى العلوم اللدنية التى أفاضها الله تعالى عليه فليفضها بغير واسطة كأنها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انه جميع ما أنعم الله به عليه لا وجه له ثم انهم اختلفوا فى الحوض ونهر الكوثر هل هما شئ واحد أو أمران متغايران أو الحوض ماخوذ من الكوثر وانه يمده بمجارى تأتيه منه على أقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها (ثم أجاب الله عنه عدوه) تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد سفهاء قريش والعاص بن وائل السهمى كما قاله المفسرون لانه صلى الله

(و ردعليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) أى ان محمدا قد أصبح ابتر أى قليل العدد مقطوعا من الولد اذا مات مات ذكره لانه لاعقب له (فقال ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والابتر الحقير الذليل) أى على ماقيل وهو الذى لاذكر حسن له ولاثناء جميل (أو المفرد) بفتح الراء أى المنفرد (الوحيد) أى الذى لاولد له ولاعقب

تعالى عليه وسلم لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر أى لاعقب له فنزلت السورة جوابا لهم مصدرة بما أعطاه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قائل ذلك أبو جهل لعنه الله وقيل كعب ابن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آخرها نزل جوابا القول أبى جهل بتر محمد وكلام المصنف رحمه الله تعالى ماش على هذا وأورد على القول الاول بانها جواب للعاص وان الابتر من لاولد له وانه قد كان العاص ذا عقب وولد وابناه هشام وعمر وماتا مسلمين وهشام قديم الصحبة أسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعدما حبسه أبوه وقومه وعمر وقدم هو وخالد ابن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة وأجاب التجانى بان العاص وان كان له عقب فقد انقطعت عصبته منهم بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أب لهم وأزواجه أمهاتهم كسائر المؤمنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روى انه انقطع نسله كما سياتى وقد قرئ أزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ولا تنافى بينها وبين قوله تعالى ماكان محمد أبا أحد من رجالكم لان المنفى الابوة الحقيقية وأجاب غيره بان من قال انه أبتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت ولا يذكر وقد ورد هذا مصرحا به فى بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان شانئه هو الذى لاذكر له فان المراد ذكر الاب بخير بعد موته ولاشك ان عقبه لايذكرونه بخير بعد اسلامهم وأما ماقيل من ان صدر السورة لادخل له فى الرد فانها كانت نزلت جملة فكيف يقال انها نزلت للرد فمدفوع بانه لامانع فى الجواب من ان يزاد فيه والاحسن ان يقال انه مؤيد للجواب وموطئ له اذ المعنى انا أعطيناك عطايا عظيمة فى الدنيا والآخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشرعة باقية ومن هذا شانه لايكون أبتر انما الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر وأى ذكر أبقى من ذكرك وأقوى ولك ان تقول ليس سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور أولادهم وقولهم شماتة نسبته انه أبتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها فان من مات من الاولاد فرط لاباثهم يثابون عليه فى الآخرة فالمراد انا أعددنا لك الكوثر لما احتسبته منهم واللائق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان أمتك ومن هداه الله تعالى بك عقب لك الى يوم القيامة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه وأى مناسبة أتم من هذه (وردعليه قوله) انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه (فقال تعالى) وفى نسخة قال على الاستئناف أو البدل (ان شانئك هو الابتر) لا أنت لبقائك وبقاء ذكرك فهو علة لمقدر أى لاتلتفت لمقاله فانه أبتر وهو استئناف نشأ مما قبله أى أمرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها الاعائق لك عنها من عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاول وغير فيها الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما الحصر ولم يكتف باحدهما لزيادة الاهتمام بنفى ماذكر عنه واثباته لعدوه على أتم الوجوه ويحتج بعض الشراح هنا بامور لاطائل تحتها غير التطويل (أى عدوك ومبغضك) أصل معنى الشناء البغض ويلزمه العداوة فى الاكثر وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما الا انهما مترادفان كما قيل بدليل قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء (والابتر الحقير الذليل) أصل معنى البتر القطع وفى حديث الضحايا نهى عن المبتورة أى المقطوعة الذنب ثم أستعير لمن لاعقب له وشاع فيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد لازم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحقارته وذلته كما ورد فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الى آخره مع ان عقبه صلى الله تعالى عليه وسلم من فاطمة لم ينقطع ففيه رد وزيادة اذ الحقير لايذكره أحد وقيل الابتر مشترك بين من لاعقب له والحقير وليس ببعيد (أو) معناه (المفرد) بفتح الراء (الوحيد) بمعناه تاكيد له وفى القاموس الابتر الذى لاعقب له أو مقطوع الذنب وهذا المعنى ماخوذ منه ولذا

(أو الذي لاخير فيه) وأما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه مستمر وآثار أنواره باقية الى يوم القيامة وما لا يدخل تحت العبارة فى الآخرة ٢٩٦ (وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قيل) وهو المحكى عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس (السبع المثانى السور الطوال) بكسر الطاء جمع الطويلة كما صرح به الشراح فاندفع به قول المنجانى هكذا وقع فى الكتاب وصوابه الطول مضموم الطاء دون ألف فيه لان السورة مؤنثة فهى طولى والجمع طول لاغير وقوله (الاول) بضم همزة وفتح واو مخففة جمع الاولى وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع براءة لانهما فى حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل السابعة سورة يونس أو يوسف بدل الانفال (والقرآن العظيم) بالنصب على الحكاية ويجوز رفعهما بناء على انه مبتدأ خبره (أم القرآن) أى أصله أو بمنزلة أمه لاشتمالها على كليات معانيه ومهمات مبانيه اذ أولها تحمد وأوسطها تعدد وآخرها وعد وتوعد فكانها هو فى التحقيق دون التعدد الكل على وفيه اطلاق الجزء لاسيما وهو الاكمل فى المعنى ولذا وجبت قراءتها فى الصلاة (وقيل) وهو المحكى عن عمر وعلى والحسن البصرى (السبع المثانى أم القرآن) لحديث البخارى أم القرآن هى السبع المثانى (والقرآن العظيم سائره) أى باقيه أو جميعه بناء على انه مأخوذ من السؤر بالهمزة بمعنى البقية أو من السور الذى هو الجمع والاحاطة والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام يحتملهما

فسر الابتر بالمنفرد الذى لا ناصر له ولا يبلغ ما سواه وروى هذا عن الحسن ونسل أعدائه انقطع باسلامهم كما مر ومنه ما انقطع بقاؤه حقيقة أو العاصى كما قالوه (أو الذى لاخير فيه) فلا يذكره أحد وفيه مقابلة بينه وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التى ذكرها الله تعالى ما أشار اليه بقوله (وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) والمثانى جمع مثنى معدول عن اثنين ومن بيانية أو تبعيضية أى من جملة الآيات المثانى قال فى مرقاة الصعود هى السورة التى تقصر عن المئين وتزيد على المفصل كأن المئين جعلت مبادى فالتى تليها جعلت مثانى والقرآن وصف أو اسم وخص السبع بالذكر لفضلها وأما كون الفاتحة لم تكتب فى مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا وجه له (قيل السبع المثانى السور الطوال) بكسر الطاء جمع طويلة وأما بضمها فمفرد كرجل طوال بتخفيف الواو وتشديدها للمبالغة (الاول) بضم الهمزة وفتح الواو المخففة جمع أولى مؤنث أول وليس الطوال جمع طويل حتى يرد عليه ان جمعه انما هو طول أى السور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة معا بناء على انهما سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف أبو العالية هذا القول بان هذه الآية نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شئ من هذه السور والمثانى اما صفة القرآن كقوله تعالى كتابا متشابها مثانى ومن تبعيضية أو بيانية ومعنى وصف القرآن بها ان قصصه ومواعظه وأوامره تثنى وتكرر فلا تمل كغيرها من الحديث المعاد أو هى المثانى نفسها فمن تجريدية وأجيب بان أعطيناك بمعنى نعطيك فى المستقبل عبر به لتحققه وقيل المثانى من الثناء للثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أقاربه والعامل به كقوله قرآن كريم ومجيد وهذه الآية مكية والسورة مدنية (والقرآن العظيم) على هذا التفسير (أم القرآن) أى الفاتحة وجعلها أما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعانى التى ذكرها المفسرون واطلاق القرآن عليها بخصوصها وهو بمعنى المقرو واما بجعل التعريف للعهد أو لمخصص آخر أولانه جعل علما عليها وان لم يذكره فى أسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما واطلاقه عليها مروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مع تفسير السبع المثانى بها أيضا فانه روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عليه أبى رضى الله تعالى عنه أم القرآن فقال والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان مثلها هى السبع المثانى والقرآن العظيم فما قيل ان ما ذكره فى القرآن ضعيف مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه (وقيل السبع المثانى أم القرآن) وعليه أكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين وورد به الحديث الصحيح فى البخارى وغيره كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها سبع آيات بعد البسملة آية منها أو بعد صراط الذين أنعمت عليهم آية وما بعدها آية أخرى على الخلاف المشهور ويأتى انها انما سميت مثانى لتثنيتها فى الصلاة وغيره من الوجوه المشهورة (والقرآن العظيم) على هذا التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر (سائره) أى جميعه أو باقيه بعد الفاتحة وفى كتب اللغة ان السائر الباقى مهموز من السؤر وهو البقية أو معتل من السور المحيط فهو بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما فى كلام العرب وقد أشبعنا الكلام عليه فى شرح درة الغواص ويأتى له مزيد بيان فى أول الباب الآتى وقول صاحب القاموس هو الباقى ووهم الجوهرى فى تفسيره بالجميع ليس بشئ والواهم ابن أخت خالته وكلام المصنف رحمه الله تعالى

(وقيل السبع المثانى مافى القرآن) أى هو جميع القرآن وتسبيعه لمافى القرآن (من أمر) أى ايجابا كاقيموا الصلاة أوندبا كافعلوا الخير (ونهى) أى تحريما كلا تقربوا الزنا أو كراهة كلا تيمموا الخبيث منه تنفقون اذ روى انهم كانوا يتصدقون برد التمر فنزلت والمعنى لاتقصدوا الردىء منه حال كونكم تتصدقون (وبشرى) أى ومن بشارة للمؤمنين (وانذار) أى تخويف للمخالفين (وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت (واعداد نعم) بكسر الهمزة على مافى نسخة مصححة أى تعداد نعم كثيرة وتذكار منح غزيرة وهو بالمعنى المصدرى أنسب للعطف على ماقبله من المصادر وقال الدلجى تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة وأغرب التلمسانى بقوله ولا يصح الكسر هنا لمخالفة المعنى انتهى (وآتيناك نبا القرآن) العظيم أى أعطيناك علم مااشتمل عليه مماذكر من قصص ومواعظ بلاغة واعجاز وثناء على الله بما هو أهله وغير ذلك كذا قرره الدلجى والاظهر أن يخص النبا بالقصص ليكون السابع للسبع المثانى ومع هذا لايظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية فى المرتبة التفصيلية (وقيل سميت أم القرآن) أى الفاتحة (مثانى لانها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهو أظهر لان المثانى هو جمع المثنى كالمرامى جمع المرمى ونظيره المعنى والمعانى وقد أبعد التلمسانى فى قوله مثنى المعدول من اثنين أى تكرر (فى كل ركعة) أى صلاة تسمية للشئ باسم جزئه أو فى كل قومة باعتبار الركعة بعدها ففى الفائق انها تثنى فى قومات الصلاة أى فى كل قومة أو فى مجموع القومات وقيل سميت مثانى لان آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت سبعا لانها سبع آيات بالاتفاق غير ان منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس

يحتملهما وماقيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لانعلم أحدا قال ان السبع المثانى أم القرآن والقرآن العظيم باقيه ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع المثانى السبع الطوال والقرآن العظيم جميعه أمر غريب منه فانهم متفقون على ان القرآن يطلق على الجميع وعلى معنى كلى شامل له ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثانى وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها وثوابها واشتمالها على المعانى القرآنية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا فى السبع فقيل السور وقيل الفاتحة وعلى التقديرين جوز فى القرآن كونه الفاتحة أو السائر وفى الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم وفى رواية الذى أوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه فى هذه الآية فوصف الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف فى الحديث والمصنف رحمه الله تعالى عدل عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هى السور أو الفاتحة جزم فى القرآن بمانقله وليس كذلك ـتاويله بان مراده نقل ماقيل فى كل مفرد مفردا بعيد مع ان اللائق حينئذ نقل ما قيل فى السبع شم ـيل فى القرآن فتدبر (وقيل السبع المثانى) فى هذه الآية (مافى القرآن من أمر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم) أى المراد بها سبعة معان يشتمل عليها القرآن والمراد بالامر الطلب ايجابا أو ندبا لاصيغته وان كان يطلق عليها والنهى طلب الكف عما يحرم أو يكره على سبيل الاستعلاء والبشرى بضم الباء وكسرها بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا أو معلقا وضرب المثل تشبيه شئ بشئ وهو المراد بالمضرب والمورد واعداد النعم بكسر الهمزة أى تهيئتها وجوز فتحها على انه جمع عدد وبه جزم البرهان الحلبى وقال ابن رسلان انه الواقع فى النسخ المعتمدة وكذا قال الدلجى والعدد بمعنى المعدود أو التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام أو المنعم به والذى عده المصنف رحمه الله ستة فقيل ان السابع سقط سهوا أو من الكاتب وأما قوله (وآتيناك نبا القرون (٢)) فقيل انه اشارة الى السابع ويؤيده قوله فى تاج القراء والسابع انباء قرون والانباء جمع نبا وهو الخبر والقصص التى قصها الله تعالى فى القرآن لما فيها من الفوائد كالعبر وتسلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحكم شتى وغير الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله تفننا كما قيل به فى حديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة فان ثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل عن الظاهر فى قوله وجعلت قرة عينى اشارة الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة وان عد منها لقوله فيها على مااختاره ابن فورك وغيره كما بين فى محله الآتى وليس هذا تفسيرا للقرآن العظيم ليشمل مامر وغيره وارتضاه السيد عيسى ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة نبا القرون لان مقتضى النظم حينئذ أن يترك قوله آتيناك ليوافق المعطوف الاخير ماقبله فى الافراد بل هو اشارة الى أن القرآن العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثانى والمعنى آتيناك القرآن العظيم وزاد نبا بمعنى شان لتعظيمه والنبا يكون بمعنى القرآن كما فسر به فى قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم (وقيل سميت أم القرآن مثانى لانها تثنى فى كل ركعة) قيل الاولى ترك الواو لايهامها انه قول آخر فى تفسير

(٢) وفى غالب نسخ الشرح والمتن المطبوع وقع هنا بدل القرون القرآن العظيم ولعل مافى هنا هو الصواب اه مصححه

(وقيل بل الله استثناها) أى خصها من بين الآيات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ودخرها) بالخاء المعجمة أو ادخرها بالمهملة كما فى نسخة أى جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما فى مسلم والنسائى ورواه الحاكم أيضا وصححه من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعدا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا أى صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجى تبعا للتلمسانى وهذا لا يختص بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمى القرآن مثانى لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قيل وهى المراد هنا وبفتحها مصدر معناه الخبر والحكاية (تثنى) بالتأنيث أو التذكير أى تكرر (فيه) والمثانى جمع مثناة أو مثنى من التثنية بمعنى التكرير أو من الثنى بمعنى اللين والعطف لما فيه أيضا من تكرير الاوامر والنواهى والوعد والوعيد والاخبار والامثال وغير ذلك أو من الثناء لما فيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى وأسمائه الحسنى (وقيل) أى عن الامام جعفر الصادق (السبع المثانى) أى معناه فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى هو انا (أكرمناك بسبع كرامات

الظاهر

الآية مع انه بيان لوجه تسمية الفاتحة مثانى وكونها سبع آيات تقدم منا بيانه وفى نسخة تثنى كل ركعة باسقاط فى ونصبه على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد فى كل ركعة بعد أخرى أو الكل المجموعى أو المراد بالركعة الصلاة اطلاقا للجزء على الكل لخروج صلاة الجنازة والماموم عند أبى حنيفة لكونهما على خلاف الاصل المتبادر لكماله والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين لما مر والتثنية من جعل الشئ ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا كنت رابعهم أو ثالثهم أو بمعنى التكرير أو من الثنى بمعنى العطف قيل أو لتكرر مضمونها فى القرآن أو هى من الثناء بها أو عليها وتثنى بضم أوله وفتح ثانيه والتشديد أو بسكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر التلمسانى (وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) فالمثانى من الاستثناء المعروف وأصله الثنى بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها وأخرجها من بقية كلامه وذخرها بذال وخاء معجمتين وفى نسخة ادخرها بالمهملة المشددة والمعنى واحد فالاصل من الذخر وهو ما يدخر من النفائس والمراد انه اختارها أو حفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذا قال (له) أى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيلها عليه (دون الانبياء) وروى دون سائر الانبياء فلم يدخرها ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفى الحديث نادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبيا رضى الله تعالى عنه وهو يصلى فلما فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال انى لارجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله فى التوراة والانجيل مثلها فجعلت ابطئ فى المشى رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التى وعدتنى فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين الى آخره فقال هى هذه وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيت وبه استدل على خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله يعنى انها اشتملت على ما لم يكن فى غيرها ولها من الفضل واجابة الدعاء بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية والخرق حتى قال ابن برجان فى تفسيره لو قيل لك ان أحدا أحيى بها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع على تفسيره فهم ما قلنا فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده فى سائر السور ساقط (وسمى القرآن مثانى) أى فى هذه الآية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمى به لما مر أو هو جواب سؤال مقدر (لان القصص) بكسر القاف جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكى الخبر للآثار وروى بفتحتين كقوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) فقوله (يثنى فيه) بالياء التحتية والضمير للقرآن وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير والقصص مطلق الحكاية ويخص فى العرف بحكاية أخبار الامم السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية فى تسميته مثانى فلا يرد عليه انه كرر فيه غير القصص كالفرائض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثانى فلعله اقتصر فى كل منهما على وجه ليعلم اجراء كل فى كل يقينا والقول بان وجه التخصيص بها انها مع اعجازها لا يزداد تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو كما قال الشاطبى

وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

لا يخفى ما فيه ولك أن تقول الاحكام لازمة لامة عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت فى حفظهم بخلاف القصص ونحوها من الامثال ألا ترى ان الاستاذ يقرر المسئلة مرارا على الطالب لهذا (وقيل السبع المثانى) معناها فى قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى انا (أكرمناك بسبع كرامات) هذا مروى عن الامام جعفر الصادق فآتيناك بمعنى أعطيناك تكريما لك لانها كالهدية التى ترسل للتكريم وكان

الهدى) هو وما بعده مجرور بدل بعض من كل أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف أي هي الهدى أو منصوب بتقدير أعني والمراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المتكملة ولا يلائم المقام تفسير التلمساني له بضد الضلالة (والنبوة) أي المتضمنة للرسالة وقال التلمساني أي الرفعة ولا يخفى انه أحد معانيها اللغوية (والرحمة) أي لجميع الامة (والشفاعة) أي العظمى يوم القيامة (والولاية) وهي النصرة والانتقام من العدو بالغلبة (والتعظيم) أي ظهور العظمة (والسكينة) أي السكون والوقار والطمانينة قيل فمن أوتي السبع المثاني باعتبار أخذ جميع المعاني أمن من الدخول في سبعة أبواب جهنم (وقال تعالى وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن وسمى ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة وتنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الآية) يعني لتبين للناس أي الجن والانس ففيه تغليب وقيل يشملهما ما نزل اليهم أي ما أمروا به ونهوا عنه وما أخبروا به وتشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين أعم من أن يكون بنص على المراد به أو بالرشاد الى ما يدل عليه كاساس قياس وبرهان عقل وايناس (وقال تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس) أي حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما في علامة (بشيرا) أي مبشرا للابرار (ونذيرا) أي مخوفا للفجار (وقال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم فانه مفعول في المعنى (الآية) وتمامها الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي

الظاهر أن يقول سبع أكرمه بها أو آتيناك بمعنى أكرمناك فالسبع مبتدأ وما بعده خبره بتقدير مضافين أي معنى آتيناك السبع المثاني أكرمناك الى آخره أو السبع مبتدأ وقوله الهدى الى آخره خبره وقوله أكرمناك جملة معترضة وقيل انه بدل بعض من السبع أو خبر مبتدأ مقدر وعن الامام جعفر انه قال السر في هذا انه ذكر في هذه السورة لجهنم سبعة أبواب فذكر سبع كرامات اشارة الى أن من أكرم بها أمن من تلك (الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة) يجوز فيه الحركات الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم الكاملة المختصة به الختمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو ما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سيأتي والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر ولاية الله له بنصره أو توليه لجميع أمورهم بحيث صار أولى بهم من أنفسهم أو الولاية التي هي صفة له كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه أعظم من سائر خلقه والسكينة والوقار والهيبة بحيث يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتغايرها مع امكان اندراج بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر (وقال الله تعالى وأنزلنا اليك الذكر الآية) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالآية المذكورة ومناسبة لما بعدها الدلالتها على عموم الرسالة اذ لا عهد ولا تقييد أي لتخبر الناس بالوحي ولا تكتم شيئا منه أو لتبين لهم ما فيه من التكاليف والشرائع قيل أورد في هذه الآية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بان التنزيل ما كان تدريجيا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى الآخر وتفصيله في شروح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر أي ليبينه اشارة لتغايرهما لان المنزل لفظه والمبين معانيه وأحكامه والمعاني منزلة تبعا الالفاظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) الكافة ماخوذة من الكف وهو المنع أو الجمع والاحاطة كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهي في الاصل للتانيث نظر اللغاية والنهاية أو الجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتاخر أو من الضمير المنصوب أو هو صفة مصدر قام مقامه أي ارساله كافة وفي المغني انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في جعلها صفة لارساله وذكر بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريري فجعل تعريفها والاضافة اليها لحن وليس كما قالوا فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قدم لتدخل على المقصود حصره ولو قيل وما أرسلناك الا للناس كافة أوهم نفي الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى ما أرسلناك الا جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصي والمراد جميع بني آدم أو ما يشمل الجن وانما خصوا على الاول لانهم المقصودون بالذات وليس المراد أهل زمنه كما توهم (وقال الله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية) تقدم ما يعلم منه انه لا يعترض على ذلك بان آدم ونوحا كانا مبعوثين الى أهل الارض لانه لم يبق بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن في أصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة وأما كون ثمة رسول غيره في أثناء مدته فيحتاج الى النقل أو المراد بقاء شريعته بحيث لا يطرؤ عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر في شرح البخاري واختلف في خطاب يا أيها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم بدليل آخر كاجماع وقياس ونص آخر أو للجميع ويدخل فيه

يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضي) أي المصنف (رحمه الله فهذه) أي الآية (من خصائصه) جمع خصيصة أي خصلة لم يشاركه فيها أحد لوروده شاهدة باختصاصه برسالة عامة ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أي بلغة قبيلته الذي هو منهم و بعث فيهم (ليبين لهم) ما أمروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة أمر (لخصهم بقومهم) أي لغة ورسالة ٣٠٠ ودعوة ونذارة و بشارة (وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق) أي المخلوقين (كافة) أي جميعا من الكف بمعنى الاحاطة والجمع أو من الكف بمعنى المنع أي لكفهم بدعوته عن أن يخرج منها أحد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) أي العرب والعجم كما تقدم وفي صحيح مسلم بعثت الى الخلق وفي حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا الى فالى العرب فان لم يستجيبوا لى فالى قريش فان لم يستجيبوا لى فالى بني هاشم فان لم يستجيبوا الى فالى وحدى ذكره السيوطي في جامعه الصغير عن ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا وفيه كما في الآية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم أمروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى رواه الطبراني والبيهقي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل الى العرب والعجم وهم مختلفو الالسنة من الفارسية والتركية والهندية وغيرها مما يتعذر في العادة أن يكون واحد يعرف جميع اللغات المختلفة في أصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه أفضل أنواعه وأمر الغير بتعلمه وأتباعه مع انه أيسر اللغات وأسهلها وأضبطها وأجمعها وأشملها وأيضا كان من أنفة العرب وغلاظتهم انه لو نزل القرآن بلسان العجم أو لم يتكلم الرسول الا بلغة غير العرب معهم لما آمنوا وتعللوا بما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي وقال في موضع آخر ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان مخاطبا بقل لانه يلزمه ما يلزم أمته بطريق الاولى مالم يعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبي في بعض الاحكام (قال الفقيه القاضي) عياض المصنف رحمه الله تعالى (فهذه) أي الصفة أو البعثة العامة (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع خصيصة وهي مالم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام كما عليه أهل الملة للحديث الآتي ومر الكلام على بعضه أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس كافة وروى عامة وقد تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله فيه وكان النبي الخ المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبي وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة مجموع ما ذكر فلا يلزم اختصاص عموم البعثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع مثله للداودي في شرح السنن قال ابن حجر رحمه الله تعالى وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى أول الحديث وغفل عن آخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وما قيل من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع والاثنين أخرى جليل فائدة وغير متجه لانه اذا سلم عموم رسالة آدم ونوح يكون له فائدة وأي فائدة وقد وقع بعام وقيل المراد بالناس من في زمنه الى يوم القيامة وهذا لم يكن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر غير بقاء الشريعة لا عينه كما توهم أو يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو أدركه من قبله لزمه اتباعه أو هو مبعوث الى الاصناف والاقوام وأصحاب الملل المختلفة وآدم ونوح عليهما الصلاة والسلام ليسا كذلك * أقول هذا كلام لا طائل تحته أما رده الاول بان ما ذكره هو غير بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده البقاء مع العموم ولم يصرح به لظهوره وأما جوابه الاخير فظاهر الفساد (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أي الا بلغة من بعث اليهم (ليبين لهم) ما بعث به اليهم وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث الى قومه وغيرهم من جميع الامم كما عرفته (لخصهم بقومهم و بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة) الانس والجن والملك كما سيأتي تحقيقه وقيل كلامه يقتضي ان غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث بلسان من بعث اليه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الخلق فيخص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ويقابله على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فان لسانه عربي وكتابه عربي ليأخذه عنه قومه بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بقومهم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان أرسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحدا لا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه بالترجمة ولو أتى بغير لغته فات اعجازه المقصود منه وأجيب عنه بانه معطوف على قال الاخير ناظرا اليه مبينا لضعفه فانه فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه بحث (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه البخاري وأحمد والبيهقي (بعثت الى الاحمر والاسود) أي العرب وغيرهم أو الانس والجن كما مر (وقال الله تعالى

عليهم ما كانوا به مؤمنين وفى الآيتين الشريفتين تشريف لطائفة العجم ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان الدين أو العلم فى الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبى أولى بالمؤمنين) أى أحق بهم فى جميع أمورهم أو مقيد بأمر دينهم (من أنفسهم) أى من أرواحهم فضلا عن آبائهم وأبنائهم (وأزواجه أمهاتهم) جمع أم أصلها أمهة وهى لغة قيل مختصة بالآدميات والامات بالحيوانات وقيل الهاء زائدة (قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى فيما أنفذه) بالنون والفاء والذال المعجمة أى أظهره وأمضاه (فيهم من أمره وماض عليهم) أى نافذ وماض (كما يمضى حكم السيد على عبده) اذ لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم فقوله كما يمضى كالنظير لانه دون مرتبته فى التأثير (وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأى النفس) وهذا قول صحيح وعلى طبق ما تقدم صريح فتعبيره بقيل ليس لكونه كلاما غير مرضى بل لجلالة قائله أو جهالة حاله وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال اناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت ويدل على هذا المعنى آيات أخر نحو قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين وكما قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه وقد ورد فى بعض الاحاديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يصلى على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على أخيكم فلما نزلت هذه الآية قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته وأخرج النسائى فى السنن نحوه الا أنه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الآية (وأزواجه أمهاتهم أى هن) على ما فى النسخ المصححة وقال التلمسانى أى هم فى الحرمة وضميرهم عائد على الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ الازواج

النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يدخل فيه النساء على ما بين فى الاصول لانهم تبع لهم فى الاحكام فيدخلون بالتغليب وان ذهب بعضهم الى أنهن لا يدخلن فى مثله الا بدليل وقرينة لظهور انهن يعامن بالطريق الاولى الا أن قوله (وأزواجه أمهاتهم) مرجع الضمير فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا لم يسمع أمهات المؤمنين وقيل انه عام أيضا وهن أمهات للمؤمنين والمؤمنات واقتصر على الاول واكتفى به لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن أيضا وقوله من أنفسهم المراد به ذواتهم وأزواجهم يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم عند كل أحد على نفسه وليس المراد أنه أولى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه وطاعته كما قيل فى قوله تعالى (فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول أبلغ فيما ذكر وهذا معنى ما قيل هو أولى بالمؤمنين فيما اقضى فيهم كما أنك أولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف رحمه الله (قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى فيما أنفذه فيهم فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده) فيفعل ما يأمره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه فكان أحق بكل أحد من نفسه ومضى الحكم بمعنى نفاذه وجريانه وهذا معنى اشتهر حتى صار حقيقة من مضى السيف أو السهم وأصل معنى المضى الذهاب وأولى بمعنى أحق وقيل انه من الولاية والتسلط وانما ذكره مبنيا على قول العرب السيد أولى بعبده من نفسه أى نافذ فيه حكمه فحمل الآية عليه مجازا أو كناية وروى ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت أى طاعة الرسول أوجب عليكم من طاعة آبائكم وأمهاتكم وأنفسكم وليس فيه تأييد للتفسير الثانى كما توهم (وقيل اتباع رأيه أولى من اتباع رأى النفس) هذا مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالمعنى فالاولى هنا بمعنى أولوية اتباعه وقيل أولوية محبته وقيل معناه أرأف وأعطف والاحسن ما فى الكشاف من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أولى بهم فى جميع أمور الدين والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفى البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى أولى بالمؤمنين الآية فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته فان ترك دينا أو ضياعا فليأتنى فانا مولاه قال القرطبى هذا تفسير الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا تفسير فلا ينافى ما سبق وفيه اشارة الى أن مقتضى الاولوية أن يراعى فى جانب الرسول أيضا ومعاملته معهم فينفعهم أكثر من نفعهم لهم حيث رد على الورثة المنافع وتحمل المضار والتبعات فافهم (و) قوله (وأزواجه أمهاتهم أى هن) وفى نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الازواج لا وجه له أى كالامهات فى التعظيم وحرمة النكاح لا الارث والنفقة والنظر والخلوة لآية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على ما يأتى وفى كونهن أمهات

(وفي الحرمة) أي الاحترام والتعظيم (كالامهات) أي الحقيقة تنزيلا لهن منزلتهن في العظمة بل اللائق أن يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا احتجبن ولم يتعد التحريم الى بناتهن وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء وأما من تزوجها وفارقها قبل الدخول فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه أمر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الدخول فنكحت بعده فقالت له لم وما ضرب الله علي حجابا ولا دعيت أم المؤمنين فكف عمر عنها (حرم) ٣٠٢ بفتح الحاء وضم الراء ورفع قوله (نكاحهن) ويجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة أيضا

وفي نسخة حرام بزيادة الالف وفي أخرى حرم بصيغة الفاعل من التحريم أي حرم الله أو رسوله نكاحهن (عليهم بعده) أي بعد تزوجه لهن قبل ولو طلق قبل الدخول ببعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) أي لتكريمه وتعظيمه المستفاد من الآية (وخصوصية) أي بها يتميز عن غيره من افراد أمته وهي بضم الخاء وقول الحجازي بفتحها سهو (ولانهن له أزواج في الآخرة) قال البغوي وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجهم لهم في الآخرة وفي نسخة في الجنة والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن في عصمته أو هو توفي عنهن وهن في عدته اتخرج

من اختارت الدنيا حين نزلت آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية فانها كانت في آخر عمرها وأمه تلتقط البعر في سكك المدينة وأيضا لما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لا تطلقني يا رسول الله ويومي لعائشة رضي الله تعالى عنها لاني اريد ان اكون من نسائك في الجنة او قولا هذا معناه (وقد قرئ) اي في الشواذ قيل وهي قراءة مجاهد ونسبت الى أبي بن كعب أيضا (وهو أب لهم) اذ كل نبي اب لامته كما قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم من حيث ان به حياتهم الابدية وتعلم الآداب الدينية ومن ثم صاروا اخوة في الدين كما قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى أصل واحد هو الايمان الناشئ

المؤمنات قولان تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر أشار بقوله (وفي الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده) أي بعد نكاحه أو بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتي واختلف فيمن طلقها قبل الدخول أو أكثر على ما سيأتي على قولين فجوزه كثير من الشافعية وبه قضى عمر رضي الله تعالى عنه (تكرمة له وخصوصية) بضم الخاء وفتحها أي هو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره من الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل منهم وترك أدب والمراد بالحرمة حرمة النكاح أي تحريمه لقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وفي خصائص الامام الخيضري اختلف في تعليل ذلك فقيل لانهن أمهات المؤمنين قال الله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي مثل أمهاتهم في وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لما في احلالهن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من النقص بمنصبه الشريف وقيل لانهن أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين والفقهاء لان المرأة في الآخرة لآخر أزواجها في الدنيا كما قاله القشيري وورد به التصريح في الحديث وقيل لاجل انه صلى الله تعالى عليه وسلم حي ولذا حكى الماوردي انه لا تجب عليهن عدة الوفاة واختلف فيمن فارقها في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كالمستعيذة على أقوال ثلاثة أحدها وهو مروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انها تحرم فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج المرأة الثاني يكره الاول فيؤدي لكفره قال النووي رحمه الله تعالى وهو الارجح والاشبه بظاهر القرآن الثاني انها لا تحرم فالبعدية مخصوصة بما بعد الموت والثالث أنه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف في الامة الموطوءة له صلى الله تعالى عليه وسلم بغير نكاح على ثلاثة أوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية رضي الله عنها وقيل تحل فانها لم تسم أم المؤمنين لنقصها بالرق وأمومتهن لا تتعدى فلا يقال لبناتهن أخوات ولا لاخواتهن أخوال فلا يقال معاوية رضي الله تعالى عنه خال المؤمنين وفيه خلاف أيضا وأما كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا المؤمنين فقال الواحدي لا يسمى به لقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفي الابوة الحقيقية انتهى ويأتي هذا الاخير في قوله وقد روي فما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذاء وحرمة النكاح فان فيه ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال لهن أمهات النساء لعدم العلة فيهن وهي حرمة النكاح ورجح ابن حجر جوازه وقول القرطبي الظاهر التعميم اذ لا يختص بالرجال مرفوع بما ذكر فان أريد التشبيه في التعظيم فلا منع والا فلا أنه يوهم أنه مراد في الآية كلام غير محرر لما سمعته آنفا وقوله (ولانهن له) صلى الله عليه وسلم (أزواج في الآخرة) أحد الاقوال في الآية كما عرفته والامهات جمع أم قيل أصلها أمهة ولذا تجمع على أمهات وأجيب بزيادة الهاء وان الاصل أمات للفرق ويأتي لذلك مزيد بيان والوجه ما في البارع أن فيها أربع لغات أم بضم الهمزة وكسرها

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يقرأ به) بصيغة المجهول أى ولا يجوز ان يقرأ به أحد (الآن) أى فى هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم أتم وهو ماجمع فيه القرآن اقول عائشة رضى الله تعالى عنها ما بين دفتى ٣٠٣ المصحف كلام الله والمراد من المخالفة

عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذا حد ار كان القراءة هى المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هى الاخيرة والاخريان تابعتان لها لا لازمتان لوجودها واختلف فى محل الجملة الشاذة فقيل قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قبل قوله وأزواجه أمهاتهم وقراءة أبى بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو أبوهم وهو أشبه بالتفسير وعلى جميع التقادير هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد أسد أى كالاسد لا على الحقيقة أى الا فيمن له الولادة واما ماذكره الدلجى ان المراد بالمصحف هو الامام الذى نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التى كتبت بامره واختلف فى عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وأبقى عنده واحدا

فى المدينة والآن لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) أى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما أى فيما أنعم عليك وبما علمك من خفيات الامور وأمور الدين ومعارف اليقين وفى بعض النسخ

وأمه وأمهة فالامهات والامات لغتان ليست احداهما أصلا للاخرى ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة كما فى المصباح (وقد روى وهو اب لهم) أى قرئ به فى الشواذ وهى على وجهين فقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أب لهم بدون وأزواجه امهاتهم وقرأ أبى رضى الله تعالى عنه النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قرأها أبى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم من غير تمييز بين القراءتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه وأبوته صلى الله تعالى عليه وسلم برأفته ورحمته لهم أو لكون أزواجه أمهاتهم أو لكونه سبب حياتهم الحقيقية الابدية كما مر وفى سنن أبى داود انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم (و) حكم الشاذ انه (لا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف) وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه مر بغلام يقرؤها فقال للغلام حكها من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه المتواتر بالاجماع ومخالفته له أيضا بعدم تواتره ونسخ تلاوته ولفظه ومعناه على قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الولد فتامل وقول التجانى انهم أجمعوا على ان قراءة أبى رضى الله تعالى عنه المذكورة مما نسخ من القرآن مع ان مضمونه خبر مجمع على انه لا يصح نسخه ليس بشئ لان فى نسخ الخبر خلاف مقرر فى الاصول ولو سلم فيلزمه أحكام يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به (وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما * والكتاب القرآن والحكمة الشريعة والمواعظ والسنة كما مر وهذا كقوله تعالى فى سورة اقرأ علم الانسان مالم يعلم ولما كان التعليم انما يحصل به مالم يعلم ورد السؤال على الآيتين والفرق بينهما فقيل المراد بما لم تعلم مالا يقدر على علمه من الخفايا أو مالم يتصوره ولم يكن مطلوبا لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قيل مالم تعلم أى ماكان مجهولا لك أفاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل أو المراد مالم تعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون فى آية النساء دون آية اقرأ لا سيما اذا أريد بالانسان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقط فلان الثانية وردت فى مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون والاولى وردت فيه * أقول هذا السؤال غير وارد أصلا رأسا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين كالزمخشرى الا انا نقول فى تحقيقه ان نفى الكون أبلغ من نفى الشئ نفسه فان الثانى يصدق بما بقى على عدمه الاصلى لم يشم رائحة الوجود والثانى يشمله وما عدم بعد وجوده والاول أبلغ ولما كان المنفى علمه أولا علمه بالدين والحكم والوحى ونحوه مما لم يتيسر لمن شاء فى أمة أمية ولا يمكن بغير عناية الهية أشار فى الاول الى ان انتفاءه عنه أمر محقق مقرر قوى فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما ولما كان الثانى قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل للقراءة والعلم وصنعة الكتابة لم يؤكده لان انتفاءه أمر اتفاقى واما الفائدة فى المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها أمرا ما بل أمر عظيما معلوما بخصوصه مما قبله وانما أبهم ليدل على عظمته كما فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى فلا حاجة لقوله فى عروس الافراح انما ذكر لانه أوضح فى الامتنان والا فلا فائدة فيه وفى بعض حواشى المطول نقلا عن السعد رحمه الله تعالى انه قال فى درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول مالم نكن نعلم كما فى قوله وعلمك مالم تكن تعلم والا فلا فائدة فى ذكره لان التعليم انما يكون لما لم يعلم لان مالم تكن تعلم فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم به لانه علم خفى لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له تعالى ورد بانه مثل الآية فذكره لافادة العموم كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض

الى آخره وبما قررناه لك تبين انه كلام قشرى ولنا عودة الى بيان ذلك عند اعادة المصنف الآية (قيل فضله العظيم) فى هذه الآية (بالنبوة) مطلقا فانها أعظم النعم التى تفضل بها أو بنبوته الخاصة به الكاملة (وقيل بما سبق له فى الازل) الازل مولده هو القدم والوجود الذى لا أول له قال فى المجمل الازل القدم ويقال هو أزلى والكلمة ليست بمشهورة فى كلام العرب وأحسب انهم قالوا فى القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار وقالوا أزلى ثم ابدلوا الياء ألفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته أصلية والمراد بما سبق ماسبق للنبى صلى الله عليه وسلم فى علمه وتقديره من كل ما أعطاه الى الابد فيعم جميع ما أنعم الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما أعطاه له وسبقه باعتبار تقديره ففيه مضاف مقدر وهو تقدير وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر ضمنا لعدم تخلفه عنه ولفظه كان فى مثله تدل على الازلية فى حق الله تعالى كما صرحوا به (وأشار الواسطى) رحمه الله تعالى تقدم ذكره وترجمته والاشارة فى اللغة الايماء الى الشئ بغير نطق ويكون فى كلام المصنفين مقابلة للتصريح والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به مشاكلة لما بعده (الى انها اشارة الى احتمال الرؤية) وضمير انها للآية وقيل الكلمة الفضل والاحتمال فسر بالطاقة والقدرة على رؤية الله تعالى ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع انه رآه ببصره ولما كانت هذه من أجل الفضائل وأخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها الاختلاف الا انها لما كانت عند المصنف رحمه الله تعالى راجحة لم يلتفت للخلاف فلا يرد عليه انه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطى رحمه الله تعالى بانه لا دلالة فى النظم على ماذكره غير متجه وحمل الرؤية على القلبية التامة يأباه ظاهر قوله (التى لم يحتملها موسى) ابن عمران عليه الصلاة والسلام حيث قال لن ترانى الى قوله تعالى وخر موسى صعقا وموسى ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية وأصله كما قيل موشى فغير وهو بالعبرانية مركب من مو وهو الماء وشا وهو الشجر فسمى به لان أمه القته فى ماء النيل فى صندوق من خشب الشجر والقول بانه من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى آلة الحلق فعربى فى وزنه اختلاف عندهم وفى معربات الجواليقى ان موسى لم يسم به أحد من العرب قبل الاسلام وبعده سمى به تبركا باسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال التجانى أكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبى صلى الله عليه وسلم عن ان يضله أحد من الكفرة لقوله تعالى قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وهذا آخر الباب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه والنظر فى حقائقه ودقائقه الرائقة * وشفاء عليل الصدر من موارد فضائل سيد الخلق الفائقة * وأنا أرجو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن صفاته ان يشرح صدرنا وييسر أمرنا ويفيض علينا من بركاته صلى الله عليه وسلم آمين

(الباب الثانى فى تكميل الله سبحانه وتعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم المحاسن)

جمع حسن على خلاف القياس أو جمع مفرد مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس تناسب الاعضاء وكونها على صورتها الاصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة وفى ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشرى مخلوق على الكمال فى أحسن تقويم وصورة هذا الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرته فى غاية الكمال وكون النوع أحسن لا ينافى التفاضل والتفاوت بين أفراده حتى ذهب بعض الحكماء الى ان كل فرد منه ماهية مستقلة (خلقا) بفتح الخاء وسكون اللام وتقدمه لتقدمه على ما بعده فى الوجود وهو منصوب على التمييز أى من جهة المخلوقية وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم على أحسن ما يكون كما قال فيه أبو العباس الاشبيلى الواعظ رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

من أنت محبوبه من ذا يغيره * ومن صفوت له من ذا يكدره
هيهات عنك ملاح الناس تشغلنى * والكل اعراض حسن أنت جوهره

وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لا يصح لمخالفته تنزيل الآية (قيل فضله العظيم بالنبوة) وفى نسخة النبوة اذ لا فضل أعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بما سبق له فى الازل) أى من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره أولا وجعله نبيا فى عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (وأشار الواسطى الى انها) أى هذه الآية (اشارة الى احتمال الرؤية) أى تحملها واطاقتها (التى لم يحتملها موسى عليه السلام)

(الباب الثانى)

أى من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ماسبق فى أول الكتاب (فى تكميل الله له المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا

(وخلقا) بضم الخاء واللام وتسكن تخفيفا وهو فى الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق على الصفات المعنوية الراسخة فى النفس وهو للنفس والصورة الباطنة وأوصافها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة وترتب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب هما فى الاصل بمعنى وخص المفتوح بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والمضموم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة فى النفس تقتضى سهولة صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما يترتب على تلك الكيفية ويخص فى العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سيأتى وقال الآمدى رحمه الله فى كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد فى الهيئة والذمامة يذم بها لعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل فى مدح العظماء انتهى قلت وقد أشار الى هذا فى الحديث الشريف بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ولله در الصرصرى رحمه الله تعالى فى قوله

ألا يا رسول الاله الذى * هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه
وذلك قلت اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك الكريم * فخذ لى بما ارتجيه

فان قلت قول الراغب رحمه الله تعالى ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعلة بكسر الفاء كالجلسة * قلت لا منافاة بينهما فان الهيئة التى ذكرها النحاة هى الهيئة العارضة فى الافعال كالخلقية (وقرانه) بكسر القاف كما علم مما مر مجرور معطوف على تكميل أى جمعه (جميع الفضائل الدينية) الممكنة اللائقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام (والدنيوية) المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفى أمثاله مما رابعه ألف تانيث كحبلى اذا نسب اليه ثلاث لغات دينى ودنيوى ودنياوى كما فصل فى كتب العربية (فيه نسقا) حال من قرانه أى قرن الفضائل فيه متناسبة منتظمة وفسرها التلمسانى بتبعا ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه (اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم) اعلم دأب المصنفين كما تقدم انهم ياتون به فى ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامه بما يلقونه والمخاطب به من ساله تاليف هذا الكتاب أو كل سامع فهو عام لكل من يصلح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لدأبهم والكريم الشريف العظيم أو الجواد (الباحث) أى الطالب المتفحص عما خفى لان أصله كما قاله التلمسانى الفاحر للتراب لشئ تحته (عن تفاصيل جمل قدره العظيم) جمع تفصيل المصدر تفعيل من الفصل وهو تمييز الشئ وافرازه عن غيره ثم استعمل فى تبيين كل أمر باستيفاء افراده وتوضيحها ويطلق على المبين نفسه وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع فى عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال فما قيل ان المشهور فى مقابل التفصيل والمفصل الاجمال والمجمل فاللائق اجمالات أو مجملات قدره الا أن يريد بالجمل المجمل وهو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر بالسكون والفتح مقدار الشئ ومماثلته وحرمته ووقاره كما فى المصباح ومنهم من فسره هنا ببلوغه من الكمال والمرتبة والمراد تفصيل ما جمع من أنواع صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كعلمه وحلمه (ان خصال الجمال والكمال فى البشر) فى أكثر النسخ الجلال بلامين وان وما معها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهى الصفة المعتادة محسوسة كانت أم لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما يفضل به الشئ على غيره وخص البشر لان مجموع ما ذكر مختص به ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعى ان الجلال لا يجوز أن يوصف به غير الله ولم يسمع فى غيره وخالفه فيه أكثر أهل اللغة لوروده فى كلامهم كقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه كجلاله * ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد

(وخلقا) بفتح الخاء فى الاول وبضمها وضم اللام وسكونها فى الثانى وهما منصوبان على التمييز أى محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة الطاهرة وسيرته الباطنة الباهرة (وقرانه) أى وفى مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) بفتحتين أى من جهة كون بعضها تبعا لبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم) خطاب عام فى موضع التفخيم أو خاص لمن ساله هذا التاليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله (الباحث) أى المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جمل قدره) أى مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة بين الخطاب وما خوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفى نسخة الجمال بدل الجلال والجمال تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ما عرف فى علم الاخلاق أن يقال ان خصال الجمال والجلال المقتضية للكمال (فى البشر)

(نوعان ضروري) أي أحدهما ضروري (دنيوي) أي مما لابد له منه فيها (اقتضته الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد

(نوعان) منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها أربعة لانها اما ضرورية أو كسبية وكل منهما اما دنيوي أو أخروي حتى اعتذر عنه بعضهم بانه اقضية مهملة في قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناشئ من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت أربعة الا أنها في الواقع لا يخلو من نوعين عنده لان الديني منسوب للدين وهو وضع الهي سائق لهم باختيارهم الى ما هو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوي لا يعد منه من صفات الكمال الا ما كان جبليا أو ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط منه قسمان وسيأتي معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقي أحدهما (ضروري) منسوب للضرورة وهي هنا أعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظري كما توهم فان الضرورة لها معان منها هذا (دنيوي) لا يتعلق به ثواب وكمال أخروي من حيث هو (اقتضته الجبلة) قال التلمساني اقتضته بمعنى دعت اليه والمقتضي والداعي والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع أسباب للخصال ودون اثباته خرط القتاد وفيه ميل لمذاق الحكماء والمراد ان الله تعالى خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضاء على طريق الافتنان وهذه دقة في غير محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فما له لما ذكره من غير دندنة قال البرهان الحلبي الجبلة الخلقة قال الله تعالى (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين) والمطبوع على الشئ لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته صلى الله تعالى عليه وسلم أو جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفي الجبلة لغات ذكرها الصاغاني في كتاب العادة بضمتين مشدد اللام وجبيلة بزنة فعيلة وجبلة بتثليث الجيم وسكون الباء وجبلة بكسرهما مع التشديد (وضرورة الحياة الدنيا) قيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم آخر للضروري الدنيوي لم يقتضيه ولا يرد عليه انه ينبغي عطفه باو لان العطف في التقسيم بالواو كثير لاجتماع الاقسام في مقسمها (ومكتسب ديني) أخروي حصل له في حياته بعد ان لم يكن حاصلا قيل انه شامل لما هو بجهده وما هو وهبي فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط و يلتئم ولا يخفى ما فيه (وهو) قيل انه عائد على مطلق الديني (ما يحمد) شرعا وعقلا (فاعله) وهو من اتصف به (و يقرب الى الله زلفى) مصدر بمعنى قربه مؤكد ليقرب كقعدت جلوسا لانه أمر ديني يعد عبادة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسده أو بغير نية فاعله كالرياء وبقي قسمان آخران الدنيوي المكتسب والديني الضروري وقد تقدم الكلام عليهما (ثم هي) أي خصال الجمال والجلال والكمال جميعها لا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة بثم للبعد الرتبي لان الاول تقسيم حقيقي وهذا اعتباري (على فنين أيضا) أي على ضربين ووجهين آخرين كما أنها على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الديني و يأباه قوله المحض الآتي (منها) أي من تلك الخصال (ما يتخلص) أي يصير خالصا غير مختلط بغيره (لاحد الوصفين) أي الضرورة والكسب المفهومين من التقسيم السابق لا الضرورة الدنيوية والكسب الديني وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان في واحد من الانواع السابقة أو أكثر (ومنها ما يتمازج و يتداخل) التمازج والتداخل والخلط معان متقاربة وقد يراد بكل منها الآخر الا ان أصل المزج خلط بعض المائعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضه من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل أعم منه لانه دخول أجزاء شئ في آخر مائعا كان أم لا يمكن تمييزه أم لا والاختلاط أعم منهما لانه وجود أمور مع أمور تداخلت أم لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين في شئ ولما كان أمرا معنويا لا امتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه لدخول بعض الانواع في بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى أن يختلط الكسب بالضرورة و يدخل كل منهما في الآخر والتفاعل لاصل الفعل أو هو على ظاهره و بينهما عموم وجهي والممتزج ما كان أصله جبليا وكماله كسبيا أو نوع

اللام أي دعته الخلقة التي خلق عليها وطبيعته التي جبل للميل اليها ومنه قوله تعالى والجبلة الاولين وقرأها الحسن بالضم وقال التلمساني و بسكون الباء وفتح اللام مخففة فتثليث الجيم بالهاء وبدونها والجبل بضم و بشدد ومنه قوله تعالى ولقد أضل منكم جبلا كثيرا (وضرورة الحياة الدنيا) أي واقتضته الحاجة الضرورة الكائنة في الحياة الدنيوية مما ليس اختياريا (ومكتسب) بصيغة المجهول أي وثانيهما مكتسب (ديني وهو ما يحمد فاعله) أي مما يتوقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلمية التي أعظمها معرفة الله وصفاته العلية (ويقرب) بكسر الراء المشددة في نسخة بصيغة المجهول أي ما يقرب به (الى الله زلفى) أي قربة اسم مصدر لازلف وفيه ان التقسيم غير جامع لانه غير شامل للوهبي الحاصل بالجذبة دون الخلقة الاصلية ولا بالتعلقات العارضة (ثم هي) أي الخصال (على فنين) بفتح فاء وتشديد نون (أيضا) أي صنفين (منها) أي من الخصال (ما يتخلص) أي يتمحض (لاحد الوصفين) أي من الضروري والكسبي من غير امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الآخر ضروريا أو كسبيا (ومنها ما يتمازج و يتداخل) عطف تفسير أي يتخالطان بأن يكون ضروريا

يكون

وكسبيا كما سيأتي بيانهما ويظهر شانهما (فاما الضرورى المحض) أى الخالص الذى لايكون مكتسبا (فـاليس للمرء) بفتح فسكون فهمز والحسن لايهمز و يخفف وابن أبى اسحق بضم الميم والهمز والعقيلى بكسر الميم والهمز ومؤنثه

يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمسانى التمازج والتداخـل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع فى العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدى الحسن يتمازج أى يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا الاجل التشابه فى الصورة ولا كذلك الخلط فهو مثله أو خلافه وكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشئ فى الشئ وهو تفاعل ومعنى الامتزاج أن يكون الشئ الخارج فى شدة تمكنه كالاصل لايمتاز عنه ومعنى التداخل أن يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهذا هو التداخـل هنا انتهى وكل هذا خلط أنت غنى عنه بما مر (فاما الضرورى المحض) أى الخالص الذى لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيـه واختياره فليس دينيا كما أشار اليه بقوله (فـاليس للمرء) بفتح الميم وسكون الراء والهمزة بمعنى الانسان (فيه اختيار ولا اكتساب) الاختيار هنا مقابل الاضطرار وقيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه لغة فعل ما هو خير كما قال الله تعـالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) فيحصـل له سواء أراده أم لا من غير كسب واسـباب عادية ثم مثل له بعد ما فسره توضيحا له فقال (مثـل ما كان فى جبلته) أى فطرته التى فطره الله عليها (من كمال خلقته) وايجاد أجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير وقيل كان الاحسن أن يقول ما فى جبلته من الكمال اذ الجبلة هى الخلقة كما تقدم وهو أمر سهل (وجمـال صورته) أى حسـن صورته الظاهرة فى جسـده بتناسب أعضائه وصفاء لونه واعتدال قده وقيل المراد حسـن وجهه (وقوة عقله) وهو نور أو قوة أودعه الله فى الانسان يميز به بين الاشياء وله تفاسـير أخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب أو الدماغ قولان وسـيأتى بيان ذلك واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عمـا لا يليق كما قال

قد عقلنا والعقل أى وثاق ❊ وصبرنا والصبر مر المذاق

(وصحة فهمه) أى ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة للعقل بيانية وفى اضافة القوة للعقل والصحة للفهم غاية المناسبة (وفصاحة لسانه) الفصاحة لغة واصطلاحا مشـهورة و يوصف بها المفرد والكلام فيقال كلام فصـيح والمتـكلم كما يقال خطيب فصـيح واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة و يصح ارادة كل منهـما هنا والمراد فصاحة نفسه لان المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عـدم اللكنة وما قيل من ان الفصاحة جبلية تتـكامل بمباشرة الاسـباب فهى من الممتزج الا أن يريد القدر السليقى منها كما فى الاخلاق الآتية واطلاقه يقتضى انها ضرورية محضة فاما انه لم يعتد بالمكتسب منها أو التقسيم لما ذكر مطلقا أو الاسباب انما ترفع الموانع عن القوة ولا تزيدها وان كان هـذا بعيدا جدا كلام ناشئ من عدم معرفة الدخيل من المناشى (وقوة حواسه) المراد الحواس الخمس الظـاهرة من السمع وأخواته لا الباطنـة فان أهـل الشرع لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسـها وسـلامتها عن الآفات واعتدالها (وأعضائه) جمع عضو بضم العـين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهى أجزاء البدن التى يزاول بها الاعمـال ونحوها كاليد والرجل وبقوتها تتم أعمـاله وما به كماله كما قيل ليس فى الانسان جارحة أحب الى الله تعالى من اللسان لنطقه بتوحيـده (واعتـدال حركاته) الاعتدال قيـل انه وقوعها بين الافراط والتفريط فى السرعة وقيل سلامتها عن الآفات والمراد كونها على نهج قويم حيث جعـل فى كل عضو اعصابا وعضلا يتحرك جميعها افرادا فرادى كالرأس والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الجيد ينحنى ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس فى غيره فقدرته على ذلك ومنشاه ليس باختياره فى الحقيقة والحركة ضـد السكون لا الحركات الفكرية ولا الاعـم منها ولا الحركة فى النحو والكم ونحوه مما ذكر فى الحركة لبعده عن مقاصد المصنف رحمه الله تعالى فاذا أريد باعتدالها سلامتها أو المعنى

المـرأة كـذا ذكره التلمسانى والاظهـر انه الشخص بالمعنى الاعم والله أعلم (فيه اختيار) أى فى حصـوله (ولا اكتساب) أى فى حصوله أى بل فيـه اضطرار واضطراب فى تحصـيله (مثل ما كان فى جبلتـه من كمال خلقتـه وجمال صورته) فيه من البديـع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) أى تعقله قال التلمسانى مذهب أهـل اللغة ان العـقل هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيـل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات ومحله عند أهل السنة القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهـم قلوب يعـقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهـم أبو حنيفـة والفضل بن زياد (وصحة فهـمه) أى ادراكه (وفصاحة لسانه) أى طلاقته وتراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه) أى من سمـعه و بصره وشمـه وذوقه ولمسـه (وأعضائه) جمع عضو بضم العين و كسرها أى جوارحه وقد قيل ليس فى الانسان جارحة أحب الى الله عز وجل من اللسان ولذلك أنطقه الله بتوحيـده فاذا فحش ولم يحل اللسان فباى يذكر ويناجى و يدعو و يتلوا (واعتدال حركاته) أى وسكناته بسلامتهما من آفتهما فهو من باب الاكتفاء

الآخر باعتبار منشئه ومبدئه لم يشكل بانها أمور كسبية اختيارية فلا يصح ذكرها هنا الا أن يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا لقوة الاعضاء وهو بعيد وماقيل من انه لو أريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية يجوز أن لا تكون صفاتها بالاختيار لجواز أن يغفل عنها وفي الجبلة أن يؤتى بها على ماينبغي فهذا الاعتدال غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه (وشرف نسبه) أى شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا أن تسميته جبلة تسمح أو على التغليب ومثله غير بعيد والشرف والمجد بالآباء والحسب به وبابائه معا كما قاله ابن السكيت ولاشك ان نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف الانساب لما في سلسلته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصميم قريش ومثله يدعو لعلو الهمم وتوقى سفساف الامور لاسيما اذا انضم لشرف الذات الذى لا يساويه غيره كما قال ابن الرومى

كم من أب قد علا بابن ذوى شرف * كما علت برسول الله عدنان

(وعزة قومه) القوم الجماعة اذا أضيف لاحد كانوا معه مجتمعين في أب (وكرم أرضه) التى هى موطنه ومولده وهى من أحب البلاد الى الله والحرم الآمن من فيه ومقصد الحجيج وقبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومهبط الانوار والملائكة عليهم الصلاة والسلام وأعدل الارض وان لم تكن لغيرها ذات غياض ورياض وليس المراد بالارض الام لانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجانى فان السياق يأباه وهذا مما لم يكن باختياره وشرف البقاع يؤثر في الطباع فغير بعيد جعله من الجبلة ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يعتبر في الضرورى غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم الانفكاك فلا وجه لما قيل ان المراد مالم يكن بكسبه واطلاقه موهم والمراد بما في الجبلة الخلقى سواء كان في طبيعته أو خارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان أريد بالضرورة مالا ينفك دائما فالفصاحة وقوة الاعضاء ليس كذلك وان أريد في بعض الاوقات فكل مكتسب كذلك الا أن يقال المراد انه لا ينفك في وقته اللائق به أو انه ناشئ عن كيفية مستمرة (ويلحق به) لحوق الشئ بالشئ تبعيته له والحق الولد بابيه أخبر بانه ابنه لنسبة بينهما كما في المصباح فالمراد انه أبعد منه لشبهه به وسيأتى بيانه وهو بضم الياء مبنى للمجهول وفي الشروح انه يجوز فيه البناء للفاعل وفتح الياء أى ملحق بالضرورى المحض أمور منها (ماتدعوه ضرورة حياته اليه) اليه متعلق بتدعو أو بضرورة أو بهما على التنازع وروى تدعو بغير ضمير والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفي عبارته لطف لايماء الى أنه ليس مضطرا اليه كغيره وانما الضرورة هى التى دعته وطلبته كما قال البوصيرى رحمه الله ونفعنا به

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وانما كان ملحقا لانه اختيارى لا يدخل في الضرورة المحضة كما مر (من غذائه) بغين مكسورة وذال معجمتين ومده وهو مايتغذى به من الطعام والشراب وجوز فيه الفتح والدال المهملة وهو طعام أول النهار والاول أصح والاضطرار له لقيام البنية به (ونومه) وهو حالة معروفة تقتضى عدم الحس والحركة بسبب تصاعد الابخرة وارتخاء الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن واستراحة الحواس وقال المعرى

وفضيلة النوم الخروج باهله * عن عالم هو بالاذى مجبول

(وملبسه) بفتح الميم بمعنى اللباس (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وهو ضرورى بحسب العادة وروى مكتسبه بتأخير التاء عن الكاف الساكنة وبالباء الموحدة وكسر السين وفتحها أى

(وشرف نسبه) اذ في الغالب ان من تحلى به ربا بنفسه من سفساف الامور الى أعاليها ومن ذمائم الصفات الى معاليها (وعزة قومه) أى وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم أرضه) أى طيب مكانه الذى نشا فيه بان يكون بلد المسلمين ومنزل الصالحين وأبعد التلمسانى فى تخصيص أرضه بارض مكة اذ ليس الكلام فى خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) أى يتصل بالضرورى المحض وفى نسخة بصيغة المجهول واقتصر عليه الحلبى أى ويوصل به (ماتدعوه) أى كل شئ من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حياته) أى شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين وبالذال المعجمتين على مافى الاصول المصححة وعلى ما ذكره أهل الحواشى المعتبرة مايتغذى به من الطعام والشراب ومابه نماء الجسم وقوامه وأما الغداء بفتح أوله وبدال مهملة فهو طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملائم لمقام المرام فتجويز الدلجى الوجهين وتقديم الثانى على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام اكتسابه بيمينه ليس فى محله وكذا تقييد المحشى للاول بالقصر والثانى بالمد (ونومه) أى فى ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح

الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادرا وأسماء لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) أي جميع ماينتفع به من الامور الحسية (وجاهه) أي قدره ومنزلته واعتباره من الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلب منه لانه ان توجه بوجهه قبل منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا (هذه الخصال الآخرة) أي الاخيرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة في الاحوال الدنيوية (بالاخروية) أي بالخصال الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل أي طلب القوة على الطاعة وفي نسخة التقوى بالتخفيف أي اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) أي اذا قصد بها مساعدته ومعاونته (على سلوك طريقها) أي سبيل الآخرة وأبعد الدلجي تبعا للتلمساني في قوله أي طريق الخصال الاخروية (وكانت) أي تلك الخصال الملحقة (على حدود الضرورة) أي على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفي نسخة قواعد الشريعة أي وكانت أيضا على فوق الاصول الشرعية مما أبيح وجوزاه من ارتكابه وهذا معنى قولهم في حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات

اكتسابه للرزق وهو مما يضطر اليه عادة الا أنه يغني عنه قوله وماله الآتي وقد يفسر بما يغاير (ومنكحه) أي ماينكح من النساء بعقد أو تسرى وهو ضروري عادة ومثله قوله (وماله) أي مايملكه وهو معروف يذكر ويؤنث وهو عند العرب مختص بالابل وفي العرف العام بالنقدين (وجاهه) المنزلة والقدر عند الناس وأصله وجه فقلب وفي عده من الضروريات الملحقة بعد وان احتاج اليه بعض الناس عادة فلعل المراد ما يحمي به ماله واتباعه (وقد تلحق) بضم التاء الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى أنها في الاكثر غير ملحقة بها (هذه الخصال الاخيرة بالاخروية) الدينية المثاب عليها في الآخرة نسبة للاخرى بمعنى الآخرة وهو المعروف في النسبة فتكون بحسب القصد والنية أخروية لان لها حكمها وان كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من العادة للعبادة المثاب عليها صرح به في الاحيا ومنهم من قال الثواب انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف في ذلك مالم يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها أخروية والحاقها بها اما لمشابهتها لها حتى كأنها ضرورية أو لاستلزام الضروري لها وعلى هذا يمكن أن يقال ان الغذاء والنوم ملحق بكمال الخلقة والصورة والملبس والمسكن والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه والمال بشرفه وعز قومه ويمكن غير ذلك فتامل (اذا قصد بها التقوى) بفتح المثناة الفوقية والقاف وتشديد الواو المكسورة تفعل من القوة وما بعده كالتفسير له وجوز فيه فتح التاء وسكون القاف والواو المخففة من الاتقاء والاول أقوى وأظهر وعلى الثاني المراد التحرز عن المناهي وامتثال الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضاء وطره الدنيوي به وقصده معه فان الباعث على الشئ قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة أحدهما وبدونها وقيل ليس المراد النية بل انبعاث النفس وميلها الى فعل يعتقد أنه يترتب عليه الغرض الباعث الطالب اجابة للباعث على تحصيل الغرض وارادة الشئ قد لا يتيسر للتوقف على الميل النفساني الذي ليس باختياره الى آخر ماطواه بغير طائل (ومعونة البدن) المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهي المساعدة وهو من الشواذ كما ذكر في التصريف والبدن هو الجسد ماسوى الاطراف أو ماسوى الرأس كما قاله الازهري ويطلق على جملة الجسد كثيرا وما قيل من ان حذفه أولى اذ قد يقصد معونة الروح أيضا لا وجه له لان المراد انه يقصد تقوية بدنه بالغذاء ونحوه ليقوم بوظائف العبادة كما أشار اليه بقوله (على سلوك طريقها) أي الآخرة أي ليدخل في طريق الآخرة أو طريق الخصال الاخروية مع ان هذا لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ماذكره والمراد أن يكون متلبسا بما ينفعه في الآخرة أو في طريق يوصله لنعيم الآخرة بقصد ما يحمده الشرع من العبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة ونحوه لا لمجرد قضاء الشهوة وحق النفس وأما قوله في الحديث ان لنفسك عليك حقا فلا ينافي هذا الا انه بامتثاله لامر الشارع مثاب بل لانه أمر لازم له جائز شرعا وتركه اذا أخر غير جائز فهو مباح فوقه مرتبة أخرى يصير بها أحسن ولكل مقام مقال واللحوق بالاخروي يجري في كل مباح حتى اللعب كما اذا مل من عبادة فاشتغل بمباح لينشطه بل قال الغزالي لهوه هذا أفضل من صلاته وعبادته ووجه بان تنفله بكسل من غير توجه مكروه يثاب على تركه (وكانت على حدود الضرورة) الحدود جمع حد وهو نهاية الشئ وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة واسراف ونقص وتفريط بالشح ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم تكن محمودة ملحقة بالاخروية وهذا كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وما كان كذلك لا يفيد فيه نية صالحة كمن نوى بطعامه التقوى للعبادة وزاد على الشبع أو زاد في الالوان ومن جمع المال لينفقه وانهمك في جمعه ولكل ضرورة حد ومرتبة لا ينبغي تعديها والامور الدنيوية ليست مقصودة لذاتها وفي بعض الشروح هنا كلام لا محصل له (وقوانين الشريعة) القوانين جمع قانون

(وأما المكتسبة الاخروية) أى الخصال المكتسبة المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) أى جميعها وهى صفات وأحوال وأفعال وأقوال يحسن بها حالة الاحسان بينه و بين خالقه وأبناء جنسه (والآداب الشرعية من الدين) أى الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) أى معرفة النفس ما لها وما عليها مما به تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) أى الصبر على الايذاء وعدم العجلة فى العقوبة على الاعداء (والصبر) أى على أنواع المصائب وأصناف البلاء وأجناس القضاء (والشكر) أى بالثناء على المنعم بما أولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ما خلقت لاجله فى مقام رضى المولى (والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يحل فعله فى باب الحكومة وقد ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا (والزهد) أى عفوفة النفس وقلة ميلها الى الدنيا والمشتهيات وترك ما عدا الضرورات من المباحات أو ترك ما سوى الله مريدا به وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) أى لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) أى الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة (والعفة) وهى قمع النفس عن المعصية أو مختصة بالزنا ونحوها وأغرب التلمسانى بقوله وهو العفو عما يشين و يعيب وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بان يكون بين طرفى افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا وقد قيل القوة
لا سرف فى خير ولا خير فى سرف فهو بذل ما ينبغى فيما ينبغى كما ينبغى (والشجاعة) وهى صفة جيدة متوسطة بين التهور والجبن (والحياء) بالمد وهو انقباض عن القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها و بين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمن والثانى من الشيطان

وهو الاصل والقاعدة المنطبقة على جزئياتها والاضافة لامية أو بيانية لادنى ملابسة كما قيل والمعنى أن يكون ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة المطهرة فانه ان لم يكن كذلك لا ينفعه نية التقرب به الى الله تعالى عز وجل كمن يأكل حراما و يلبس مغصوبا ليتعبد به أو يتصدق بمال حرام قال

ومطعمة الايتام من كد فرجها * فليتك لم تزنى ولم تتصدقى

وقال الغزالى رحمه الله لا تظنن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبناء الرباط بالحرام فانه جهالة عظيمة وله فيه كلام مفصل وعن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن شهد زورا لدفع ظلم الا أن منها ما لا تتغير حرمته كالزنا وذهب ابن القيم الى أن من أنفق مالا حراما فى قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه من غير حل كالصلاة فى أرض مغصوبة وفى هذا المقام كلام طويل ليس هذا محله (وأما) الخصال (المكتسبة الاخروية) الدينية (فسائر الاخلاق) جمع خلق وهو الوصف الذى طبعه الله تعالى عليه أو اكتسبه وسائر هنا بمعنى الجميع أو الباقى وقد اختلف فيه أهل اللغة فذهب الاكثر الى أنه لم يرد فى كلامهم الا بمعنى الباقى ثم اختلفوا فقيل هو الباقى مطلقا قل أو كثر لانه من السؤر بالهمزة وهو البقية وقيل انه الباقى الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهرى وغيره الى أنه يكون بمعنى الجميع وخطاهم فيه كثير كابن قتيبة والحريرى فى الدرة لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه من السؤر فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهرى رحمه الله تعالى وان ما قالوه غير صحيح أما الاول فلانه سمع من الفصحاء كقوله

الزم العالمون حبك طرا * فهو فرض فى سائر الاديان

وأما الثانى فلان القائل به يقول انه مشتق من السير أى يسير فيه هذا الاسم و يطلق عليه وقد أشبعنا الكلام فيه فى شرح الدرة فانظره (العلية) أى الشريفة المحمودة عند العقلاء وأهل الشرع المكتسبة لا الجبلية اذا أريد بها وجه الله تعالى (والآداب الشرعية) التى هى أعم من الاخلاق أو مقابلة لها فيشمل أنواع العبادة ثم بين ما أجمله بقوله (من الدين) أى الدين والعبادة والانقياد لاوامر الله والايمان (والعلم) بما له وعليه مما به نظام معاشه ومعاده (والحلم) وهو ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى (والصبر) وهو حبس نفسه اذا أصابته مصيبة أو ناله ضر أو قل رزقه بان يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله تعالى وان كل شئ بقضائه وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى (والشكر) بان يحمد الله على نعمه ويحمد من أولاه معروفا و يصرف ما أنعم الله به عليه فيما خلق لاجله (والعدل) بان يجتنب ما لا يحل فعله ويتوقى ما يضر غيره (والزهد) بترك الدنيا والرغبة عما فى أيدى الناس وترك المحرمات والشبهات وترك ما سوى الله تعالى مريدا وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) أى الخضوع والتذلل ولين الجانب (والعفو) وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة (والعفة) وهى قمع النفس عن تعاطى ما لا ينبغى (والجود) وهو بذل ما ينبغى فيما ينبغى من غير اسراف ولا بخل (والشجاعة) وهى الاقدام على ما لا ينبغى كما ينبغى ولها طرفان الجبن والتهور (والحياء) وهو الانقباض عن القبيح حذر الذم من غير وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل وهو انكسار يعترى

(والمروءة) بضم الميم والراء وتشديد الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنيئة (والصمت) أى السكوت عن غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (والتؤدة) بضم ففتح همز وقد تبدل واوا وهى بمعنى التأنى وعدم العجلة لما قيل (قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل) وفى نسخة التودد من المودة أى التحبب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم فى الآخرة ملوك وشفعاء (والوقار) بفتح الواو أى الرزانة والطمانينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) أى التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه أحسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تاديبى وجعل حسن الادب من جملة الآداب الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (والمعاشرة) أى المخالطة بالمخالفة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم أحسنكم اخلاقا ومن كلام الشيخ أبى مدين المغربى الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (وأخواتها) أى أشباهها من الاخلاق الحميدة المفصلة فى نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهى) أى هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التى جماعها) بكسر الجيم أى جمعها واجتماعها كذا قيل وفى الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه والاظهر ان يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) أى المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن يأتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه ومجمله قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) أى مخلوق ومودع فى السجية والطبيعة وهى بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاى (وأصل الجبلة) أى الفطرة (لبعض الناس)

القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها (والمروءة) وهى فعولة بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية لانها مأخوذة من المرء وهى تعاطى المرء ما يستحسن وتجنب ما يسترذل كالحرف الدنيئة والملابس الخسيسة والجلوس فى الاسواق (والصمت) وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغى وترك الفضول فانه كما ورد فى الاثر الصمت حكم وقليل فاعله وقد يحمد فى محله ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه انه قفل الفم كما قيل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وهو كثير فى النساء ولذا يذم أحيانا اذا كان عيا وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه وقيل من لم ينطق فسد عقله ومات خاطره وهذا فى الخير (والتؤدة) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الهاء وهى التأنى وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل * قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل وروى التودد أى اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة (والوقار) وهو السكون والطمانينة من غير طيش ولا خفة (والرحمة) الشفقة والتعطف (وحسن الادب) مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم (والمعاشرة) معطوف على الادب أى حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك التحجب وهجر الاخوان بغير داع (وأخواتها) بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سيأتى فى الفصل الذى يليه (وجماعها) بكسر الجيم أى يجمع هذه وأخواتها ويشملها كلها وفى الحديث حدثنى بكلمة تكون جماعا أى جامعة للكلمات كما فى النهاية (حسن الخلق) فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو معاملة كل أحد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله أبو مدين رحمه الله تعالى وحسن الخلق بمعنى الخلق الحسن كما فى قولهم العلم حصول الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كأنه عينه للزومه وفيه تفصيل فى حواشى المطول فى تعريف الفصاحة فما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يريد بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس بصواب ولا حاجة لما تكلفه (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) هى والطبيعة والجبلة بمعنى كالكرم (وأصل الجبلة لبعض الناس) خلقه الله وأنشأه عليها كما ترى من بعض كرم الناس وحسن خلقه من غير تعلم من أحد * واعلم ان مراده بالكمال الذى عقد له هذا الباب كمال الانسان فى خلقته الذى ذكره الله تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وما يلحق به من أمور معاشه وما له دخل فيه كارضه وأصله وما له دخل فى بقائه من أمور معاشه وهو الذى أشار اليه الحكماء بقولهم لما كان الانسان خلق لاشرف الصور التى هى النفس الناطقة خصه الله تعالى باشرف الامزجة وأعدلها وجعلها بحكمته تقدست أسماؤه مدينة فيها أعضاء رئيسه ومرؤسه ومراده بصفاته الاخروية صفات ممدوحة فيها عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة بل بما يدركه ويحمده كل عقل سليم كالسخاء والشجاعة وغيره وهذه لا يدخل فيها صرف

العبادة كالصلاح والحج ونحوهما مما خصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة أيضا لان الشارع أمر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله وأصل الخلقة عطف تفسير للغريزة وهذه فيها ما هو وقسم من الضروريات أيضا والاخلاق تطلق على الملكات والكيفيات النفسانية وعلى آثارها مسامحة وكذلك تسمى جبلة مسامحة ويشترط فى كون هذه دينية ارادة وجه الله تعالى بها كما عرفته فما قيل على المصنف رحمه الله تعالى ان مقتضى كلامه ان الجبلي والوهبي كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمآل يكون لكمال فى الجبلة ووهب فى الحياة بلا اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبي والجبلي كما فى بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام والانتساب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم تكن أعمالا يثاب عليها وكم فى الآخرة من أمر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكره من له انصاف والاخلاق التى مدحها الشارع أمور كسبية وان كان كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى والظاهر انها توجب التقرب والتكريم فى حد ذاتها وباب الجدال لا يسده طول المقال الى آخر ما أطال فيه قد عرفت انه خارج عن نهج السداد (وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) هذا معلوم من جعله مكتسبا وانما ذكره توطئة لما بعده وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبي وقال بعض الشراح الصواب الرفع على الاستئناف وتقدير المبتدأ وهكذا كل ما أريد به نفي ما قبله واثباته كقولك لمن تكره اتيانه لا تأتيني فأكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام فى الشذور وفى الاقليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله * واعلم انهم اختلفوا فى الاخلاق هل هى كلها غريزية من غير كسب أو كلها كسبية أو بعضها كسبية وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال التجاني واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى كما سيصرح به فى الفصل الحادى عشر من هذا الباب والشعراء فى تخيلاتها ان ما ليس بغريزي لا بد من زواله كما قاله المتنبي

وأسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده

وقال ذو الاصبع العدواني

كل امرء راجع يوما لشيمته * وان تكلف اخلاقا الى حين

(ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى) لا بد من كذا أى لا محيد عنه ولا مفارقة من بددت الشئ اذا فرقته ولا يستعمل الا فى النفي ولا يرد عليه قوله

فمن ظن ان لا بد عنه * فان عنه ألف بد

لقصد التمليح وهو مولد وما وقع فى بعض حواشي المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له وأصل الجبلة اضافة بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة الحصة من الشئ وأصل معناه الفرقة والقطعة وأحال المصنف على ما سيأتي فى فصل الخصال المكتسبة (وتكون هذه الاخلاق دنيوية) أى آثارها المترتبة عليها أو اكتسابها والتطبع بها يعني تنقلب من حسنها المحمود والمثاب عليه الى انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوي ينقلب دينيا بالنية الصالحة ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله قيل وهذا تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين أولا وهو الدنيوي المكتسب فالانواع أربعة ديني أو دنيوي وكل منهما ضروري أو مكتسب وقد عرفت ما فيه (اذا لم يرد بها) بالبناء للمجهول أو اذا لم يرد فاعلها بالبناء للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والقصد (وجه الله) أى ذاته بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع أمره (والدار الآخرة) التى فى مقابلة الدنيا أى نعيمها

أى ممن طبع عليه فى أول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

كل امرئ راجع يوما لشيمته
وان تخلق اخلاقا الى حين

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع أى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبي هو بالنصب جواب النفي انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجبلة شعبة) أى شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه اليها ويميل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون) أى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول أى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الآخرة) أى بخلاف ما اذا أريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها

ومافيها من الثواب والجزاء وماكان لله ولوجهه فهو للآخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التي لا ينظر فيها الجنة ونار وانما هو لاجلال الله وامتثال أمره وقد يجعل هذا على قسمين ماقصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحوه وماقصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالي رحمه الله تعالى وهذا قل أن يفهمه أحد فضلا عن ان يأتي به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص الالوهية حتى نقل عن الباقلاني رحمه الله تكفير من ادعى به البراءة من الحظ بفعله وأجاب الغزالي بانه حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لا يصح في القسم الثاني اذ ليس نظرهم لتلذذ أنفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد فالحق في الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التأثر عن شئ فانه غنى وهذا نقص لا يليق به لانه يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متأثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز في فعلهم الغير الاختياري وأما الاختياري ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختياري من الممكن لابد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكماء والثاني اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم وهذه على مراتب منها ما يفعل لعبادة الله واطاعة أمره راجيا النجاة بحيث لو لم يكن لفعل وهذه أعلاها ومنها ما فعل لذلك والباعث لعبادته أمر أخروي بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة عن أمر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم الرازي رحمه الله تعالى ببطلانها وفاقا فقال في تفسيره أجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاؤه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند أهل السنة ومع كونها مصالح عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهي فمتى أتى بها لاتباع الامر والنهي صحت ومتى أتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يأت بها على وجه وجوبها انتهى ومنه يظهر ان المراد وجوب أن يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شئ آخر باحد الوجهين مالم يصرر ياء فلا ينافي هذا قول النووي رحمه الله تعالى لو قال أحد لآخر صل لنفسك ولك على كذا فصلى فهذه النية صح ومن لم يفهم مراده توهم المنافاة هذا ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفي عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيرهما فلا يبعد أن يكون في الاخلاق العلية ما هو كذلك واذا لم تجب في الصدقة ونحوها فبالاولى ان لا تجب في العلوم الشرعية والعدالة واذا كان الكلام في الآثار فقد يكون عين ما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية اذا أريد بها غير الله وأما اذا أريد بها الآخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات خارجة من مقاصد الكتاب انتهى ملخصا * أقول ذكر هذا الامام في تفسير الفاتحة واستدل بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد أقره على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي في شرح الارشاد وهذا عجيب فقد صرح الفقهاء بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا فالوجه خلافه وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر وقد صرح في الاحياء بان قصده لا ينافي الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله الذين هم أكثر أهل الجنة وفيه رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكي رحمه الله تعالى العالمون على أصناف صنف عبدوه لذاته وان لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسألونه الجنة ويستعيذونه من النار اتباعا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا في جنته وهو دون الاول

(ولكنها) أي الغريزة وان لم يرد بها ذلك (كلها) بالنصب أي جميعها (محاسن وفضائل) أي باعتبار افرادها (باتفاق أصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمساني وسبقه الانطاكي لانه بمعنى المقتضى وهو لا يناسب المقام كما لا يخفى أي سببها وباعثها (وتفضيلها) أي وفي تفضيلها على غيرها أو بعضها على بعض أهو ذاتي اقتضته ذواتها وطبائعها أو بخلق الله تعالى له في ذواتها والان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذ هو الخالق وحده وهي ملكات محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة في الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن أعدل كانت النفوس الفائضة أكمل والى الخيرات أميل وللكمالات أقبل وعكسه عكسه كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لا نزاع في انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع في ان العاقل قبل وروده أو بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال أو يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب في الآخرة أم لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجي وقال المنجاني ذهب بعضهم الى ان جميع الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة في العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبراني وحكاه عن ابن مسعود والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هي من كسب العبد باختياره وليس في جبلته شئ منها مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثيرة من السلف وذهب الباقون الى ماذكره القاضي وعليه المحققون وقال الانطاكي لاشك ان الانسان لا اختيار له في تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته وأما الاخلاق المكتسبة من الجود والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون في بعضهم غريزة وجبلة بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق ويولد كامل الاخلاق والآداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا ان يجعل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل الجود ويواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا وكذا من أراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب على أفعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا وكذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق فاذا الاخلاق الحسنة

وكلاهما يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على من جعل عبادته في مقابلة ذلك وانه واجب على الله تعالى كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية حينئذ فيبطل عمله عند أهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ماعبد تكلف اذ الكلام في اسلامه حينئذ وفي الاحياء عن مكحول من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق أي المؤمن لابد له من الخوف والرجاء لقوله خافوني ولا تيأسوا من روح الله الى آخره فمن عبده بالخوف ولم يوجد منه رجاء أووجد ما لا وزن له معه فهو حروري لحكمه على العاصي بالانسلاخ من الرحمة والخوف من الذنب كالخوارج على علي كرم الله وجهه وهم فساق أو كفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم ومن عبد بالرجاء دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه فقد قال لا تصح صلاته ولا شئ من عبادته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الشرك انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يذم تاركه أو يعاقب أو يخاف من العقاب على الخلاف في حده ومن اعتقد العقاب والذم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا تصح معه عبادة واجبة لانه ارجاء لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الى آخره لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لا يوجب الارجاء مطلقا بل تجريد الرجاء هو الموجب له وثمة حالة أخرى أكمل منه وهي الحياء المانع من المعصية ومعنى الثالث ان تمحض المحبة مع انتفاء الخوف والرجاء يستلزم العمل لاجلها الا لاستحقاقه تعالى واعتقاده كفر ان لم يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك انه لذاتك المستحقة لذلك كما مر انتهى وانما أطلنا في هذه المسئلة لانها من المهمات والوقوف عليها لازم الا ان ماذكره غير متجه بوجه من الوجوه لان كلامهم في العبادة المعروفة في عرف الشرع وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما حققناه لك فلتمكن على ذكر مع ان في كلامه سقطات يعرفها من له ذهن وقاد وفكر لزيوف المعارف نقاد فلنجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير والى ماذكر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة في عرف الشرع أشار بقوله (ولكنها كلها محاسن وفضائل) أي هي كلها أمور حسنة تفضل بها صاحبها في حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان صحبها مقاصد حسنة وخلوص نية أثيب عليها والا فلا (باتفاق أصحاب العقول السليمة) وان كانت قد تذم لامر عارض كالرياء والصمت عما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا (وان اختلفوا في موجب) بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم أي سبب (حسنها وتفضيلها) على غيرها هل هو لذاتها الما

قد تكون بالطبع أعنى الفطرة وقد تكون بالتطبع أعنى باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض من غلبت عليه البطالة واشتغل بالمجاهدة فى تهذيب الاخلاق ان الرياضة لا تؤثر فى تغيير الاخلاق انها طباع لا تتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التاديب والفرس من الجماح الى السلامة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملك الخلاق

(فصل) أى هذا فصل فى تعداد خصال جيدة اختص بها ذاته السعيدة مجملة وتذكر فيما بعده من الفصول العديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضى رحمه الله تعالى) كذا فى نسخة (اذا كانت خصال الكمال والجلال ماذكرناه) أى فى الفصل السابق (ووجدنا) وفى نسخة ورأينا أى علمنا (الواحد منا يشرف) بضم الراء أى يصير شريفا رفيعا وفى نسخة بصيغة المجهول من التشريف أى يكرم ويعظم وفى أخرى يتشرف أى يفتخر (بواحدة منها) أى ولو فى أقل مراتبها (أو اثنتين) أى منها (ان اتفقت) أى هذه الخصلة وفى نسخة ان اتفقتا (له فى كل عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة وأبعد الدلجى فى تجويز تعلقه بتشرف وتقديمه وفى نسخة زيادة (واوان) عطف خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعى الى عطفه الخطابة فى ان كل وقت لا يخلو من أحد يشرف بذلك ثم ما يشرف به لا يخلو من أن يكون (اما من نسب) أى رفعة نسب (أو جمال) أى حسن صورة (أو قوة) أى بدنية متحملة لمزاولة أفعال شاقة والقدرة أخص منها لاشتراط الارادة فيها اذ هى التمكن من اظهار القوة مع الارادة (أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة) أى جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم قدره) غاية لوصفه بما ذكر أى يرفع شانه بين الرجال (ويضرب) بصيغة المجهول أى يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال أجود من حاتم وأعدل من أنوشروان أو هو حسان زمانه أو مجتهد أوانه أو أشجع أقرانه أو أسخى اخوانه

يترتب عليها أو لتحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح أمر يعرف من الشرع لا من غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعرى أو فى بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدى أو من العقل مطلقا كما قاله المعتزلة والخلاف فى الحسن والقبح الذى يترتب عليه الثواب والعقاب لا مطلقا كما توهم

(فصل) قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول لذلك أو للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر فى الفصول التى بعده (اذا كانت خصال الكمال والجلال) المتقدم ذكرها كما أشار اليه بقوله (ماذكرناه) فى أول هذا الباب (ووجدنا الواحد منا) معاشر البشر وهذا معطوف على ماقبله أو حال بتقدير قد والمعنى ان الواحد (يشرف) كما وجدناه ويشرف بفتح الياء وضم الراء أى يحصل له الشرف على غيره (بواحدة منها أو اثنتين) أى بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به (ان اتفقت له) قيد للشرف أو للوجدان والحصول ومعنى الاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان أهل الكمال (فى كل عصر) قليل كما قيل

انى لافتح عينى حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوى على أمم وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور متعلق بوجدنا أو بيشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد بالواحد الجنس أى واحد فى عصر وآخر فى آخر عصر بعد عصر لا فى أيام قلائل وأشار بقوله واحدة أو اثنتين الى ان اجتماعها كلها أو أكثرها نادر وفى بعض النسخ (وأوان) وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف الخاص على العام كما قيل (أما من نسب أو جمال أو قوة) فى الاعضاء أو القوى وقيل هى بمعنى البطش والشدة (أو علم) أى علم من العلوم الشرعية أو العقلية (أو حلم أو شجاعة أو سماحة) وجود وكرم (حتى يعظم قدره) غاية لقوله يشرف ولوصفه بما ذكر أى يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس فى حياته قيل وهو مع ما بعده غاية اذ العظمة أعلى من العلو والشرف أو مقيدة بقوله (وتضرب باسمه الامثال) فى حياته ومماته كما يقال هو حاتم فى الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به وضرب به بيانه وتشبيه غيره به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل والمثل يضرب للايضاح بابرازه فى معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله فى وجه الشبه

والضرب أصله ايقاع شئ على آخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب في الارض السير لا ايقاع الارجل وضرب الدراهم صوغها لا ايقاع المطارق ومنه أخذ ضرب المثل لتأثيره في النفوس كما أشار اليه بقوله (ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثره) بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحهما وهي المأثرة والمكرمة من تلك الخصال التي وصف بها وانفرد واستأثر عن غيره (وعظمة وهو منذ عصور خوال) أي والحال ان ذلك الموصوف بها من ابتداء أزمنة ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب الامثال به ومنذ مبني على الضم كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من على ما فيه (رمم) بكسر الراء وقد يضم جمع رمة أو رميم وهي العظام وأجزاء البدن البالية فقوله (بوال) جمع بالية تأكيد كنفخة واحدة أو تجريد أو بيان لرمم لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التأكيد فلا وجه لزده وليس في حمل الرمم على ما هو باعتبار أجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتصاف بواحدة أو اثنتين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم الله جسده على الارض وأحياه في قبره كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد رأيت في بعض الكتب ان السلف اختلفوا في كفر من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما انتقلت روحه للملأ الاعلى تغير بدنه وروى ان وكيع بن الجراح حدث عن اسمعيل بن أبي خالد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خصره واخضرت أظفاره لانه صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين وتركه لليلة الاربعاء لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح أمر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا لم يمت فاراد الله أن يريهم آية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا بمكة رفع الى الحاكم العثماني فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع فيه سفيان بن عيينة وأطلقه ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب الحاكم لاهلها اذا قدم اليكم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض الناس بريدا أخبره بذلك فرجع للكوفة خفية من القتل وكان المفتي بقتله عبد المجيد بن رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وأنكر هذا الناس وقالوا رأينا بعض الشهداء نقل من قبره بعد أربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير منه شئ فكيف بسيد الشهداء والانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وهذه زلة قبيحة لا ينبغي التحدث بها (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) أي الواحد منا اذا حصلت له خصلة أو خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع في القلوب ورفيع قدر لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق في قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا جواب اذا والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم والاستفهام انكاري بمعنى النفي أو للحمل على الاقرار بغاية عظمته أو للتعجب وليس بعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة حال كونها متجاوزة (الى ما لا يأخذه عد) أي لا يعد لكثرته ولعدم اطلاع عليه كثير منه ومعنى لا يأخذه لا يحيط به أو يغلبه كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) كما مر فهو استعارة ولا حاجة الى ما قيل انه ادعاء أو مبالغة والى ما قاله أشار بقوله (ولا يعبر) بكسر الموحدة المشددة (عنه قول) فاعل يعبر أي مقول وروى به مقال أي لا يعرب به ويظهره مقال (ولا ينال) أي يحصل ويوصل اليه (بكسب) وتحصيل باسباب عادية (ولا حيلة) أي حذق وتصرف بجودة نظر وهو أعم من الكسب (الا بتخصيص الكبير المتعال) استثناء مما قبله منقطع أي لكن لا ينال الا

(وعظمة) عطف تفسير في المعنى (وهو) أي ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) أي والحال انه من ابتداء دهور خالية وأزمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم أي رميم جمع رمة عظامه (بوال) أي بالية متفتتة أعضاؤه وأجزاؤه فالمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجي وجعلها عطف بيان كابي حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) أي الجيدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا من هذه الحالة لاسيما وهي منضمة (الى ما لا يأخذه عد) أي احصاء من خصال لا توجد الا في الانبياء والاصفياء وأرباب الكمال (ولا يعبر عنه مقال) أي لا يحصره قول (ولا ينال) بضم الياء أي لا يحصل (بكسب ولا حيلة) أي باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) أي بطريق التفضيل والهبة والجذبة والعناية من العظيم الشان في ذاته المستعلي على كل شئ بقدرته أو الكبير عن نعت المخلوقين والمتعال عن مشابهة الامثال.

(من فضيلة النبوة) بيان لما وهي بالهمز بناء على انه من النبإ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه وأخباره عنه سبحانه وتعالى أو بتشديد الواو بناء على ابداله أو على انه ماخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبي عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم البرهان

بامر ونهي يخص الله به من يشاء وقيل يحتمل أن يكون متصلا أي الايحاء مصاحبة للتخصيص فيقدره على كسب بعض ويهبه بعضا وفيه نظر والكبير العظيم شانه وقال الرازي الكبير ما كبر في ذاته والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف الياء للوقف تخفيفا المستعلي على كل ماسواه والعالي شانه عن جميع شوائب النقص وقوله (من فضيلة النبوة والرسالة) بيان لما في قوله مالا ياخذه عد أي لم يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لا يجوز به العد مما هو مذكور في الكتاب ليقف عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون أقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتخصيص أعم من السدي والحقيقي وان كان الظاهر انه لم يرد الخصائص لعد المشتركات ولا داعي للتكلف للتخصيص و القول بانه لا يناسب عد المواهب من الغرائب انتهى وفي قواعد القرافي النبوة أفضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام من جهة أنها عبارة عن خطاب الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة بالامة وقيل الرسالة أفضل لعظم ثمرتها وعموم نفعها والكل وجهة وسياتي تفصيله * قلت وبهذا ظهر السر في ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وردت مقرونة بلفظ النبي لتعلقها بذاته الشريفة ولذا قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) لالانه اذا صلى عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما توهم (والخلة) بضم الخاء من المخاللة (والمحبة والاصطفاء) افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهي الاختيار والاجتباء بالجيم تناول جبايته وجمعها فيه وسياتي الكلام على المحبة والخلة وهذا اشارة الى ماورد في الحديث الآتي ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (والاسراء) الى المسجد الاقصى وسياتي تفصيله (والرؤية) لربه وآياته الكبرى أو جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته الاصلية فلا يرد عليه ماقاله البرهان الحلبي من انه هنا جزم برؤية ربه وقال فيما سياتي ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال أن يراد بالرؤية غير ماذكر أو يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذي رآه رفرفا أخضر سد الافق في الجنة (والقرب والدنو) لقوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) على القول بان الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد به من القرب من الله تعالى لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر في الآية على سبيل المدح فالاول في قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) والثاني في قوله تعالى (ثم دنى) فهما متغايران هنا أو هو عطف تفسير (والوحي) مصدر وحى بمعنى أوحى والاكثر في الاستعمال الفعل المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يريده من شرع وغيره بكلام أو ارسال ملك أو الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفي (والشفاعة والوسيلة) المراد مطلق الشفاعة في أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أو الشفاعة العظمى وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات ستاتي والوسيلة أصلها ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل بها المراجعة ربه وقيل هي الشفاعة يوم القيامة وقيل هي منزلة في الجنة وحمله هنا عليها أرجح (والفضيلة) هي اما فضيلة خاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم أو شاملة لجميع مامنحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال تعالى (وقل رب زدني علما) وقال (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) ولهذا قال بعض الشراح هنا انه يجوز في الدعاء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقال اجعل ذلك زيادة في شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله

(والرسالة) وهي كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة أخص من النبوة فان الرسول هو المامور بتبليغ الاحكام والنبي هو الذي أوحي اليه سواء أمر بالتبليغ أم لا (والخلة) بضم الخاء أي الخصلة التي توجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تتخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهي مودة تشق شغاف القلب وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) أي بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس (والاسراء) أي الى السماء (والرؤية) أي رؤية الله تعالى بالبصر أو البصيرة أو رؤيته من آيات ربه الكبرى لحديث البخاري رأى رفرفا أخضر في الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح ومع وجود هذه الاحتمالات في عبارة الرؤية لا يرد ما قاله الحلبي من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة والسلام رأى ولا ما رأى كما سياتي ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على أنه قد يقال تردد هنالك وجزم هنا والله أعلم (والقرب والدنو) أي قرب مكانة ودنو رفعة (والوحي) أي في ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) أي العظمى (والوسيلة) وهي منزلة في الجنة وهي أعلى العليا (والفضيلة) أي زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المنقبة

ولذا أثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثناء على نفسه بقوله تعالى ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى واستثنى منه محال منها الامين الواثق بامانته كقول يوسف عليه الصلاة والسلام انى حفيظ عليم ومنها الشجاعة كقول على كرم الله وجهه أنا مفرق الكتائب أنا ليث بنى غالب ومنها العالم والنسب اذا لم يعرف انتهى ملخصا (والدرجة الرفيعة) واحدة الدرجات وهى الطبقات والمراتب وهى المنزلة المختصة به والرفيعة المرفوعة العالية (والمقام المحمود) هو مقام يقوم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمده فيه الاولون والآخرون ولا شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا أولى من القول بانه الشفاعة لاخراج طائفة من النار ومن القول بالعموم والخصوص أو تغاير المفهومين وهو حيث يعطى صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد ويكون أقرب من جبريل وقال البرهان انه الشفاعة العظمى فى اراحة الناس من الموقف وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة فاكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود رواه أبو حاتم وهذا لاينافى ما تقدم كما قاله الطبرى لقوله فاقول الى آخره فيجوز التغاير وعدمه وقوله فذلك الى آخره فذلكة لما قبله والاشارة المجموعه كقوله تعالى عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف أى فمقام ماذكر أو الاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقامه والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه سال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله ألف وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاثة ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد وفى الرياض النضرة فى فضائل العشرة للطبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب وعلى الثانية مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على الرضى انتهى رضى الله تعالى عنهم وتصديق ابن سلام رضى الله تعالى عنه اظهار لخلوص اعتقاده أو لموافقته لما فى الكتب الالهية عنده لانه حبر بنى اسرائيل كما مر ثم ان كونه جسما بناء على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد بيدى أراد به انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلائق والعرب تضع اللواء موضع الشهرة انتهى ووجه تسميته لواء الحمد كتابة الحمد عليه أو انه يتبعه فيه جميع الناس حامدين له أو انه حمد الله حين رفعه بمحامده اللائقة به (والبراق) تقدم الكلام عليه (والمعراج) بكسر الميم قد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم على المعراج الى السماء وفى رواية انه رأى معراجا كسلم فسمى به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم تشتهر تلك الرواية وفى الصحاح المعراج العلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمسانى رحمه الله تعالى انه سلم من نور تصعد فيه الملائكة أو المراد الدرجات الصورية كالسموات أو المعنوية التى عرج عليها وقد يطلق على العروج وبه فسر فى بعض المواضع وفى القاموس عرج يعرج عروجا ومعرجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج كفرح أو مثلث فى غير الخلقة وهو أعرج بين العرج انتهى ومن لطائف الفاضل قوله فى رسالة فى أعرج

قامت العصا بيده مقام رجله ✻ وقلت أعواد الاغصان من أجله

(والدرجة الرفيعة) أى فى الجنة العالية أو يوم القيامة أو ليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث أبى حاتم يبعث الله الناس يوم القيامة فاكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود انتهى وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى (والبراق) أى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر أوله سلم من نور من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ماذكره التلمسانى وقد سبق ما يتعلق بالبراق فى أول الكتاب مما يغنى هنا عن الاطناب

فعـــرج به من الارض الى السما * وغرس العود بكفه ولكن ما أورق ونما

ولعمرى حمل العصا هو العذاب الاليم * وما أفلح من لازمها بعد موسى الكليم

(تنبيه) قال الحافظ الدمياطى الاسراء عبارة عن سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور أو من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر كما مر (والبعث الى الاسود والاحمر) أى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب أو الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على ألوان العرب السمرة وعلى العجم البياض (والصلاة بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام أى امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يراع المصنف رحمه الله تعالى الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان أحسن (والشهادة بين الانبياء والامم) يوم القيامة كما فى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر (وسيادة ولد آدم) أى سيادته لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت فى الحديث الصحيح لانه أكرم الخلق على الله كما مر (ولواء الحمد) تقدم الكلام عليه وسيأتى أيضا واللواء أكبر من الراية ولا يشترط فيها التربيع قاله التلمسانى ويجمعهما العلامة (والبشارة والنذارة) بكسر أولهما أى كونه بشيرا ونذيرا كما فى القرآن الكريم (والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم) بفتح المثلثة أى هناك (والامانة) على الوحى وأسرار الالوهية المذكورة فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له فى نفس الامر بادلة أخر (والهداية) له المذكورة فى أول سورة الفتح أو كونه هاديا للخلق (ورحمة للعالمين) بالنصب بكون مقدر وروى بالجر لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم (واعطاء الرضى والسؤل) بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المأمول وكل مسؤل والرضى كل ما يرضيه لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى والسؤل قريب من الرضى قيل والذى ورد فى الآية الرضى والسؤل ورد فى حق موسى فى قوله تعالى لقد أوتيت سؤلك ياموسى أى ما سأله بقوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى قال التجانى ولا شك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى الرضى لان من أعطى ما به الرضى فقد أعطى وأما السؤل فكم أعطى سؤلا ونال مأمولا ومسؤلا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ فى حق موسى عليه الصلاة والسلام فلعل المصنف رحمه الله أراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى سؤل موسى السابق لقوله تعالى له ان مع العسر يسرا وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم يلتفت له الشراح (والكوثر) تقدم الكلام عليه (وسماع القول) أى سماع الله لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقبوله الوارد فى حديث الشفاعة الطويل بقوله قل يسمع لك وسل تعط واحتمال أن يراد بالقول القرآن وسماعه العمل بموجبه أو استماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقول الله كما قيل بعيد (واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر) المذكور فى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) المذكور فى قوله تعالى

(والبعث الى الاحمر والاسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود أى العجم والعرب أو الانس والجن أو الخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء) أى ببيت المقدس عند الصخرة تارة وأخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) أى يوم القيامة كما مر عند قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس الآية (وسيادة ولد آدم) لحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بل سيادة جميع العالم لحديث أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (ولواء الحمد) أى المشار اليه ٣١٩ بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة وقوله بيدى لواء الحمد يوم القيامة وفى الرياض النضرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال له ثلاث شقق ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على المرتضى (والبشارة والنذارة) بكسر أولهما لقوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة) أى كونه مطاعا أمينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين على قول بعض المفسرين (والهداية) أى القاصرة لقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (والسؤال) بضم السين وسكون الهمزة ويبدل بمعنى المسؤل ومنه قوله تعالى أوتيت سؤلك ياموسى ولا شك انه أفضل الخلق فهو به أحق (والكوثر) وقدمر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتاخر) وفى نسخة وما تاخر لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك

(وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة) وهى الطمانينة (والتاييد) أى التقوية (بالملائكه) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها أى بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال مامن فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه وفى صحيح الدارمى نحوه (وايتاء الكتاب والحكمة) لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثانى والقرآن العظيم) لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (وتزكية الامة) أى أمته يوم القيامة لقوله تعالى ويزكيهم أى اذا شهدوا للانبياء حين أنكرت أممهم التبليغ والانباء (والدعاء الى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه (وصلاة الله والملائكة) أى وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى (والحكم بين الناس بما أراه الله) أى بما أعلمه الله وبين حكمه والهمه لقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم أى حط العهد الثقيل والتكاليف الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) أى العبادات الشاقة (عنهم) أى عن أمته لقوله ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم وهى جمع غل وهو ما يوضع فى العنق شبه ما كان لازما لهم من مشاق الاعمال بالاغلال (والقسم باسمه) أى الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (واجابة دعوته) أى فى مواطن كثيرة كبدر اذ قال اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم الجمادات) لحديث البخارى انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز فى جدار زقاق الحجر

ألم نشرح لك صدرك الخ (وعزة النصر) كما مر فى قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة والتاييد بالملائكة) أشارة الى قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة عليهم الصلاة والسلام ببدر كما مر وقال ابن العربى فى احكام القرآن اتفقوا على ان الاقوى فى هذه الآية ان الضمير فيها عائد على أبى بكر رضى الله تعالى عنه لا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفى أنوار التنزيل فى تفسير قوله تعالى سكينة من ربكم أى ما تسكنون اليه وهو التورية وقيل صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها ولها جناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وهو غير ملائم لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره وما حكاه الصاغانى من كسر السين وتشديد الكاف قول مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات أو الرحمة أو الوقار وقيل المراد الملائكة عليهم السلام والتاييد التقوية وعن كعب الاحبار مامن فجر يطلع الا ينزل سبعون ألفا من الملائكة يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت الارض خرج سبعون ألفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه (وايتاء الكتاب والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع على مامر (والسبع المثانى والقرآن العظيم) تقدم الكلام فيهما (وتزكية الامة) لقوله تعالى يتلوا عليهم آياته ويزكيهم وفيه فضيلة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (والدعاء الى الله) قال الله تعالى قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم واما قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله فعامة أو المراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان هذه الآية نزلت فى الاذان واستشكل بانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة وكذا ما قيل المراد بذلك بلال بخصوصه رضى الله تعالى عنه والجواب بان المراد ان الاذان داخل فيها اياه ظاهره (وصلاة الله والملائكة) عليه صلى الله عليه وسلم كما فى الآية والاحاديث الآتية (والحكم بين الناس بما أراه الله) لقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أى عرفه بالوحى والاجتهاد الذى أراه طريقه (ووضع الاصر) أى ثقل التكاليف التى كانت فى الامم السابقة (والاغلال عنهم) أى المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل فى العنق وفيه استعارة مصرحة قال أبو على فى قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم أى بتخفيف ما يشدد فى التورية على بنى اسرائيل وأخذ عليهم العهد به كقتل القاتل بدون دية أو عفو أو قطع الاعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسات من الثياب وضمير عنهم لامته أوله ولهم (والقسم باسمه) كما مر والاسم ما أطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل نحو والنجم أى اراد اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القسم فلا يرد ان القسم انما هو بمعناه (واجابة دعوته) أى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مواضع لا تحصى (وتكليم الجمادات) كالطعام والحصا والاحجار كما ورد فى الحديث انى لاعرف حجرا بمكة

بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده ولاجله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم انه لا يدخل فيه تسبيح الطعام في يده كما ظنه التجاني نعم هو داخل في تسبيح الحصا الشبيه به وسيأتي ذلك والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان قال * وقبلنا سبح الجودي والجمد * وقيل انه اصطلاح العلماء والاسماء المذكورة التي لم يسمع لها جمع تكسير من العرب يجوز جمعها بالالف والتاء كحيوانات واما جمع جمع تكسير فلا الا في الشاذ القليل كما قاله التجاني وظاهره انه مقيس وكلام الحريري في الدرة يصرح بخلافه (والعجم) أي وتكليم العجم بضم العين وسكون الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به الحيوان الذي ليس من شانه النطق وأراد به ما ورد من نطق الظبي والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جمع أعجم كما في المقتفى وحاشية الشمني وقال ابن رسلان جمع عجماء ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار وكلاهما جائز وفي النهاية ومختصرها للسيوطي ورد بعدد كل فصيح وأعجمي أي آدمي أو بهيمة فقول التجاني الاعجم يطلق على من في لسانه عجمة وان كان عربيا وليس بمراد هنا وعلى من لا يصح منه كلام من الحيوانات غير الناطقة ان أراد الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا في هذا سماه النطق المفهوم طالعته فلم أره محررا وفي عرى الايمان للبارزي اختلاف أهل النظر في هذا فمن قائل انه كلام وأصوات يخلقها الله في الجماد وتسمعها من غير تعبير وهو مذهب الاشعري والباقلاني وذهب آخرون الى ايجاد الحياة فيها أولا ثم الكلام بعده وللنصوري في قصيدة نبوية

بألسن الفصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

وسيأتي الكلام فيه مفصلا (وأحياء الموتى) أي احياؤه صلى الله عليه وسلم الموتى بحسب الظاهر والمراد احياء الله الموتى له جمع ميت كما ورد في احياء أبويه له صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما سيأتي (واسماع الصم) أي اسماع الله بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالشجر جمع أصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الحجارة ان يجتمعن عليه لما لم يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره التجاني وهذا لا يخالف قوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فانه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به الصمم المعروف (فائدة) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لم يكن في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أصم وهذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه مبلغ لهم وأمر به والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمى (ونبع الماء من بين أصابعه) أي حدوثه من بينها كما سيأتي بيانه والاصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في فوائده بتثليث الهمزة مع تثليث الباء وأصبوع كيربوع فهي عشر ومما قلته في هذا من مقطعات النيل

لا تقل لي أصابع النيل تحكي * ما جرى من أصابع المختار
وهو عذب جرى بغير قياس * زائدا رائقا بغير انكسار

(وتكثير القليل) من الطعام وغيره أي تكثير الله له بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تكثيره هو له بحسب الظاهر والعادة وهو ضم الامثال كما في قصة جابر وطلحة رضي الله تعالى عنهما المروية في كتب الحديث لما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بجمع الزاد القليل ودعا وبرك فيه فكثر حتى ملئ منه كل وعاء معهم (وانشقاق القمر) لاجله بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى أنس رضي الله تعالى عنه ان قريشا سألته ذلك فانشق القمر فلقتين وروي مرتين وروي انه ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة وليس المراد بما في الآية انه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لانه اخراج للقرآن عن

(والعجم) بضم فسكون جمع أعجم وهو من الحيوان ما لا يقدر على الكلام ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار أي وتكليم البهائم كنطق الضب والظبي والجمل وحماره عليه الصلاة والسلام الذي قال له اسمي يزيد ابن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) أي المعنوية والحسية لما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قفل من غزاة فات بعير بعض أصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات وكما روي في قصة البنت التي طرحها أبوها في الوادي فانت (واسماع الصم) كأمره صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على ما في الصحيح (ونبع الماء من بين أصابعه) لما في البخاري عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه (وتكثير القليل) لحديثي أنس في قصة أبي طلحة وزاد في البخاري فانه أمر بما بقي منه فجيء بقليل منه فدعا وبرك فيه فكثر حتى ملأ وأكل وعاء معهم وانشقاق القمر قال أنس سأله قريش آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفلاق فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود رأيت حراء عليه فلقتي القمر

ظاهره وترك لتفسيره بما هو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتى بسط الكلام فيه كالذى قبله (ورد الشمس) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حفر الخندق وصبيحة الاسراء ولصلاة على كرم الله وجهه وسيأتى تفصيله وفى حواشى التلمسانى انها وقفت ليلة الاسراء لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وردت لعلى كرم الله وجهه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف فى أيام الدجال لطول أيامه فيوم كسنة وشهر وجمعة قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع عليه الصلاة والسلام فبطل بعضه وبطل باقيه بقصة على كرم الله وجهه والى هذا أشار القائل رحمه الله تعالى

وردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر طالع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

(وقلب الاعيان) جمع عين وهى ذات الشئ ونفسه وهى مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة رضى الله تعالى عنه يوم بدر حيث تناولها صلى الله تعالى عليه وسلم بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سيأتى وقلب الاعيان بقدرة الله تعالى ممكن واقع ومن ينكره وان لم يعتد بانكاره يقول لم تقلب عينه وانما عدمت وأوجد الله مكانها مثلها (والنصر بالرعب) بضم فسكون وهو الخوف وسيأتى تفصيله (والاطلاع على الغيب) بتشديد الطاء أى اطلاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات باقدار الله له صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ليكون معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاولياء كرامة لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول والجواب عنه مفصل فى التفاسير وكتب الاصول وقال التلمسانى الاطلاع بسكون الطاء ولا يشدد لفساد المعنى لان الله هو الذى أطلعه لا أنه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور الانسان بخلق قدرة من الله تعالى ولا كذلك الغيب لانه ليس من مقدوره وانما يطلعه الله تعالى عليه وليس بشئ (وظل الغمام) أى تظليلها له صلى الله عليه وسلم لئلا يؤذيه حر الشمس وقد كان ذلك فى أول أمره فان لم يثبت بعده فلاستغنائه عنه (وتسبيح الحصا) فى كفه الشريف وان كان ما من شئ الا وهو يسبح بحمده لان هذا تسبيح خاص سمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن أحسن ما قاله فيه

رسول له وارى زناد عزيمة * فليس به صم الحجارة يقدح

رمى بالحصا وما بغاة فكفهم * بكف به بحر السماحة يطفح

فكل لسان ناطق بتعجب * لذاك الحصا فى راحتيه يسبح

(وابراء الآلام) جمع ألم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع والاحاديث فيه كثيرة مشهورة (والعصمة من الناس) من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه (الى ما لا يحويه محتفل) هذا كقوله قبله الى ما لا يأخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من السياق أى منتهية أو مضمومة الى ما ذكر ويحويه بمعنى يشمله ويجمعه فيحتوى عليه ومحتفل اسم فاعل من مزيد حفل القوم فى المجلس اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به أى لا يهتم به والمعنى اذ من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الاحاطة بها ويبينه قوله (ولا يحيط بعلمه) أى بالوقوف عليه على أتم وجه (الا مانحه ذلك) أى الا الله الذى أعطاه ذلك وأصل المنحة كما فى المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا لينتفع بلبنها ثم ترد ثم كثر ذلك حتى صار لمطلق العطاء يقال منحه منحا من باب نفع وضرب أعطيته والاسم المنحة والمنيحة ولا يلزم من الاتصاف بشئ ان يعلمه الناس لان منه أمورا باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلمه الموصوف بالكنه والكمال فلا خلل فى الحصر (ومفضله) على غيره بما أودعه من الفضائل (به) أى بكل ذلك ومجموعه (لا اله غيره) اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على أبلغ وجه والا للحصر أى ليس علمه واعطاؤه الا الله الخالق لا المخلوق العاجز لانه المعطى الحقيقى المحيط علمه بكل شئ وقد تستعمل هذه الكلمة للتعجب كسبحان الله

(ورد الشمس) أى فى الخندق وصبيحة الاسراء وأما ما ذكره التلمسانى من أنها وقفت ليلة الاسراء أو زيد فى كمية الليل فلا يصح بل هو من بسط (الزمان من غير تغير فى ظاهر العيان وقلب الاعيان) أى الذوات الثابتة لحديث عكاشة كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما والنصر بالرعب) بسكون العين وبضم أى بالخوف لقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) أى اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة وغيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عزوجل هو الذى أطلعه ويمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير أطلاع الله اياه وأما قول التلمسانى ولا يشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام وتسبيح الحصى) أى فى كفيه الكرام (وابراء الآلام) لاحاديث بها رواها الاعلام والآلام جمع الالم والله أعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (الى) أى منتهية هذه الفضائل البهية الى (ما لا يحويه محتفل) بكسر الفاء أى لا يشمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (ولا يحيط بعلمه الا مانحه) أى معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) أى ولا يحيط بعلمه الا مفضله على غيره (به لا اله غيره)

الله

الى) أى منضمة هذه الى (ما أعدله فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين أى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) أى والمثوبة الحسنى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار) بفتح الياء أى يتحير فى معرفتها ويحيل احاطتها (دون ادانيها) أى عند أوائلها فضلا عن أقاصيها وفى نسخة عند ادراكها (الوهم) أى أوهام الخواص والعوام ولعلها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعادة وختم لنا بالشهادة قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذهو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى وأغمس صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتبسوها منه وقد أفصح بذلك البوصيرى حيث قال

فكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

الله كما صرح به النووى رحمه الله تعالى فى الاذكار (الى ما أعدله فى الدار الآخرة) أى هيأه له فيهما من المنح والمنازل العالية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر فالتجاوز الى ما لا يحويه فى الدنيا حال التجاوز عنه الى ما أعد أو بدل أو حال بعد حال أفرز للتصريح لكثرة الانواع فى الدارين (من منازل الكرامة ودرجات القدس) أى من مراتبه المقدسة أو الموجبة للقدس أو الكائنة منه وما فوقها مما لا يتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين وتسكن داله ولا حاجة لتقدير الحلول فى منازل الكرامة وأصل معنى القدس الطهر فسمى به المكان لانه يطهر فيه العائد من الذنوب واسم الجبل يقال له غير منصرف وأنشدوا الكثير

كالمصرخى غدا فاصبح واقعا * فى قدس بين مجاثم الاوعال

قاله التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام (ومراتب السعادة) التى يترقى لها فى رفيع الدرجات (والحسنى والزيادة) معطوف على مراتب أو السعادة أى والمثوبة الحسنى من اللقاء لله والرضوان ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله من غير داع (التى) صفة للزيادة أو للمجموع (تقف دونها) أى عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها (العقول) فلا تصل لادراكها وتقدر عليه (ويحار) يتحير وهو مفتوح الياء التحتية (دون ادانيها) وروى دون ادراكها والادانى جمع ادنى بمعنى انزل وأسفل أو أقرب من الدنو أى لا يدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها (الوهم) وهو قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس أعلى من ان تحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت قد تفرض المحالات وفيه من الترقى ما لا يخفى والقول بان من هذه الخصال ما هو محض موهبة فلا يناسب المقام من جملة الاوهام (تتمة) لابد من التنبيه عليها فانها من المهمات * اعلم ان افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم صنف فيها العلامة أبو شامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى أفعال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم أر فى بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان أفعاله تشارك أقواله فى حكم الاسناد ويختص باحكام ولا خلاف فى الاستدلال بافعاله صلى الله عليه وسلم فقيل يستدل بمجردها على الوجوب أو الندب أو الاباحة أقوال وقيل يستدل بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والافضر بان اما بيان لمجمل دال على وجوب وغيره أولا والثانى لا يدل على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول وهو على اقسام الاول ما فعله امتثالا لامر كالحج والصلاة وهو مساولامته فيه والثانى ما وقع منه جبلة مما لا يخلو البشر عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة فى منزل وتحت شجر وهو سواء فيه وأمته ومنه تتبعه الدباء وأكله القثاء بالرطب ومحبته الحلو والبارد وسائر ما ورد فى طعامه ولباسه مما لا يظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة أكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ما ثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع ما فعله بيان المجمل فى القرآن كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع والخامس ما صدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية له ولا جبلة وهو اما يعلم وجوبه أو ندبه أولا وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة أولا فالاقسام سبعة وفى حكمها مذاهب فاساواه فيه أمته ظاهر والجبلى والضرورى لا يسوغ اتباعه فيه وكذا كل ما فعله على الاباحة من أكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السوداء وفعله وتركه سواء الا ان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضى ابن الطيب قولا بان التاسى به مندوب وقال الغزالى فى المنخول انه غلط ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له والى الاستحباب ذهب ابن عمر رضى الله تعالى عنه فكان يتحرى آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والفقهاء يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغسله واما خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فمنها

ماوجب عليه دون أمته فيجوز التشبيه به كالوتر عند الشافعى رضى الله تعالى عنه والمشاورة لان المختص به صلى الله تعالى عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما أبيح له صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا وما فعله بيانا لمجمل وتقييد المطلق فهو كما بينه وقيده والفعل المبتدأ على وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره فتعبد به كما علم ومالم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب مالم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال الغزالى يحمل على الوجوب فى العبادات وعلى الندب فى العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ما ظهر فيه القربة بين الوجوب والندب وغيره مباح فالاقوال سبعة ومالم تظهر فيه القربة قال الآمدى فيه الاقوال أيضا غير ان القول بالوجوب والندب أبعد مما قبله والوقف والاباحة أقرب قال وبعض من جوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام المعاصى قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازرى أفعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم من الصغائر سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تكررها فتقع فلتة فاذا صدرت منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم وهو كما قال ومن قال بالحظر أراد حظر اتباع غيرهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الجبلية مباحة وما وقع امتثالا أو خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذى ظهر فيه قصد القربة وعلمت صفته ومالم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد المشترك بينهما من غير تعيين ومالم يظهر فيه قصد القربة ان كان من أفعال الجبلة فمباح وان تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحصب وما كان بيانا فهو واجب عليه وقيل بيان الواجب واجب والمندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وأما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسى به فيها الا ان الثانى محطوط الرتبة عما قبله وقال المازرى التاسى به أبرك انتهى وهو كلام نفيس ينبغى حفظه وسيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام أفعاله ثم انه ذكر بعد هذا أدلة المذاهب ولا حاجة لنا به هنا

(فصل) ثالث لما مر حتى يتم العدد (ان قلت أكرمك الله) وفى نسخة * وان قلت بالواو دعاء له بان يكون معظما عزيزا ببركة حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل والكريم من كرمت نفسه عن التدنس بالرذائل من الكرم ضد اللؤم والخطاب للمحب السابق أول الباب أو لكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة (لاخفاء) بالفتح اسم لا وخبرها (انه) الآتى أى فى انه (على القطع) أى على سبيل القطع (بالجملة) المصنفون يقولون فى كلامهم هذا فى الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال لانه اذا قطع بشئ مع الاجمال فمع التفصيل أولى فالمراد لاخفاء قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفاء ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لاخفاء اذا قطعت بجميع ما تقدم وقيل المعنى لاخفاء فى المجمل أى لا ستر على القطع بالمجمل أو جعل الاجمال الذى هو صفة أعظمية القدر متعلقا بالقطع أو عدم الخفاء مجازا أو مسامحة والمراد ان هذا المجمل قطعى لا حاجة الى بيانه بخلاف التفصيل لان التفصيل كذلك كما توهم (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى الناس قدرا) أى فى انه والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة وآثر الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع (وأعظمهم محلا) تعظيم محله أبلغ من تعظيمه كما لا يخفى قيل

ولو

(فصل) أى فى جمل من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت أكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لاخفاء على القطع بالجملة) أى بطريق الاجمال فى التفضيل لا بطريق التفصيل اذ قد يتوهم عدم القطع بان يوجد فى غيره نعت بالخصوص يكون أعلى وبهذا تبين ان لا يصح قول الدلجى فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى الناس قدرا) أى مرتبة (وأعظمهم محلا) أى منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجى ان يقال أعظمهم قدرا وأعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر أليق والعلو بالمحل أوفق .

ولو قال أعلاهم محلا وأعظمهم قدرا كان أحسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة مجمول عما يلزمه والتقدير علا قدره فتأمل (وأكملهم محاسن وفضلا) في ذاته وعلى غيره (وقد ذهبت) أي سلكت أو قصدت أو اعتقدت قال في المصباح ذهب مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في الدين مذهبا رأيا حسنا وتاء ذهبت مفتوحة للخطاب كما ضبطه البرهان (في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) حسنا والمذهب المسلك وجمعه مذاهب قال أبو فراس

ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية (شوقني) وفي نسخة شوقتني بتاء الخطاب والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لاداعي له والشوق الحنين ونزاع النفس يقال شوقني الى كذا أي هيجني وقال في هياكل النور في الانسان قوة شوقية محركة طبيعية وللجلال الدواني في شرحه كلام طويل في الفرق بينه وبين العزم لا يليق ايراده هنا لابتنائه على تخيلات فلسفية (الى ان أقف) أي أطلع (عليها) أي الخصال لان من وقف على شئ عرفه ويقال وقف الامر على كذا أي علقه عليه (من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا) وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف عليها مطلقا فلا بيان لها الامن حيث انها من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيلا بمعنى مفصلة حال أو مفعول مطلق لمقدر (فاعلم) خطاب خاص أو عام كما مر (نور الله قلبي وقلبك) بنوره منه يزيل ظلمة الغباوة حتى تعلم ما قصدته وقدم نفسه لما مر ولانه هنا معلم مقدم رتبته (وضاعف) أي زاد وضعف الشئ مثله أو أكثر وفيه كلام لاهل اللغة والمفسرين طويل الذيل (في هذا النبي الكريم حبي وحبك) الجار والمجرور متعلق بالمصدر متقدم عليه وان منعه بعض النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان ظرفا كقوله تعالى فلما بلغ معه السعي أو في كما في الحديث الحب في الله والبغض في الله فهي تعليلية كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة وهي أبلغ من اللام وان كانت بمعناها لدلالته على شدة حبه له حتى كأنه في ذاته والاشارة بهذا مؤيدة له لدلالته على قربه وتعظيمه وقوله الكريم أي الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب جدا لان من أحب شيأ أكثر من ذكره ففيه حث له على التفحص عن اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفهمها وتفهيمها (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة) أي طبيعتها وأصلها والاضافة لامية أو بيانية وهذه شاملة للطبيعة وغيرها وقوله انك الى آخره مفعول اعلم (وجدته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي علمت علما يقينيا انه كان (حائزا) أي جامعا (لجميعها) ومتصفا بها على أكمل وجه يليق به (محيطا بشتات) بفتح الشين مصدر بمعنى التفرق أريد به هنا المتفرق (محاسنها) أي وجوه حسنها المختلفة المتفاوتة أي جميع ما تفرق في غيره منها وأحاط به كما ينبغي (دون خلاف) أي متجاوزا عن اختلاف الناس الى اتفاقهم (بين نقلة الاخبار) نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة أي لم يقع اختلاف بين رواة الاخبار في جمعه صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن والكمالات (لذلك) متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن ثم انتقل لما هو أبلغ فقال (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) الجزم اليقيني لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لا مفعول مطلق ثم شرع في تفصيل الصفات المذكورة فقال (اما الصورة) أي هيئة جسده الظاهرة وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة ومنه قولهم صورة المسالة كذا ومنه ما ورد في الحديث ان الله خلق آدم على صورته على أحد الوجوه فيه (وجمالها) حسنها (وتناسب أعضائه في حسنها) أي كل عضو مناسب لمقابله وملاصقه في صفاته المستحسنة ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كما مر (فقد جاءت الآثار) جمع أثر وهو الخبر

(وأكملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تميزات (وقد ذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء أي وقد سلكت (في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) أي طريقا حسنا من كمال جماله (شوقني) أي هيجني وأقلقني (الى ان أقف عليها) أي أطلع على خصال الكمال (من أوصافه) أي شمائله وفضائله (تفصيلا) أي تبيينا وتفريعا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص أو عام لمن يصلح له (نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة) أي غير مستفادة (وفي جبلة الخلقة) عطف على غير أي في أصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) أي صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء أي حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) أي متفرقاتها (دون خلاف) أي بلا خلاف (بين نقلة الاخبار) أي الاحاديث والآثار (لذلك) أي لما ذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) أي بسبب التواتر المعنوي ثم خصال كماله أنواع كما فصله المصنف بقوله (أما الصورة) أي الصورة النبوية (وجمالها) أي وجمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب أعضائه في حسنها) أي مما لم يتصور أن تكون كسبية بل هي خلقية وهبية (فقد جاءت الآثار

والحديث يطلق كل منهما على الآخر وقد يفرق بينهما (الصحيحة والمشهورة) ليس المراد بهما ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور فلا وهم فيه كما توهم واذا أريد به المعنى اللغوى فبينهما عموم وخصوص من وجه أى تلك الاخبار والآثار منها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف ونشر (الكثيرة بذلك) متعلق بجاءت لانه يتعدى بالباء تقول حيث جئت به وأجاته أى ألجاته الى المجىء وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والآثار (من حديث على) كرم الله وجهه بيان لما قبله من الاخبار والآثار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة على رضى الله تعالى عنه معروفة (وأنس بن مالك) الانصارى الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه خدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن عشر او ثمان ولازمه عشر سنين وروى عنه ألفى حديث ومائتين وستة ودعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضى الله تعالى عنه من أكثر الناس مالا ودفن اصلابه بضعا وعشرين ومائة من الاولاد وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين وعاش حتى سئم من الحياة وتوفى سنة ثلاث وتسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر أنس وحديثه فى الصحيحين كما قاله النووى (وأبى هريرة) رضى الله تعالى عنه وقد تقدم ان اسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثين قولا وقيل كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وأو عبد شمس وفى الاسلام عبد الله أو عبد الرحمن وكنيته التى كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبو هريرة وهو ممنوع من الصرف على الاصح كما فصلناه قبل ذلك (والبراء) بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد على الصحيح علم منقول من البراء كالقضاء بمعنى التراب (ابن عازب) بعين مهملة وزاء معجمة وموحدة الصحابى الانصارى أسلم فى صباه قبل الهجرة وشهد أحدا ومشاهد على رضى الله تعالى عنه وأسلم أبوه وتوفى بالكوفة فى أيام ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما (وعائشة أم المؤمنين) بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين يبدلونها ياء ويقال عيشة فى لغة ضعيفة وهى الصديقة بنت الصديق وحبيبة حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم المأمور بحبها رضى الله تعالى عنها الطيبة الطاهرة النازل فى حقها الطيبات للطيبين تزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى بها فى السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع أو ثمان وخمسين روت ألفان ومائتى حديث وعشرة أحاديث وسيجىء بعض حديثها وهذا الحديث فى وصف حلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يروى فى الشمائل وعنها نظرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهتت فقال مالك تبهتين فقالت نظرت لعرقك يتولد نورا فلو رآك أبو كثير الهذلى لعلم انك أحق بقوله

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل بين عينى وقال جزاك الله عنى خيرا ما سررت بشئ كسرورى بهذا قال التجانى معناه ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تحمل به فى آخر الحيض بعد انقضائه واستئصال طهرها وهو محمود ومصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر

حملته غراء فى أول الطهر وقد لاح للصباح بشير

وقال المعرى

وانى لمثربابن آخر ليلة * وان عزمالى فالقنوع ثراء

قال ابن السيد فى شرحه أراد ان أمه حملت به فى آخر ليلة من طهرها حين استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة و بالراء المهملة بقاياه كما قاله الجوهرى (وابن أبى هالة) بالهاء وتخفيف اللام علم منقول من هالة البدر وهى الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك أخو بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار واسمه هند ولابى هالة ثلاثة أولاد هند وهالة و به كنى والطاهر وأشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف رحمه الله تعالى ويقال له هند الوصاف

(الصحيحة والمشهورة) أى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وأنس بن مالك وأبى هريرة) واسمه عبد الرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه ليس فيه من العلل الا التأنيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه أحكام الاعلام (والبراء ابن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعائشة أم المؤمنين وابن أبى هالة) أى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا وقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل

لاشتهار وصف حلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه كان ابن خديجة أم المؤمنين من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخا لفاطمة وخال الحسنين رضى الله تعالى عنهم فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويديم النظر لوجهه الكريم لكونه عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه دون غيره من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة الهالة بالبدر والاكمام بالثمر هنيئا له مع ان ماقاله قطرة من بحر

وعلى تفنن عاشقيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

شهد بدرا قيل واحدا وقتل مع على رضى الله تعالى عنه يوم الجمل قال التجانى ولهند ابن أبى هالة ولد يسمى هندا أيضا توفى بطاعون البصرة الذى مات فيه نحو من سبعين ألفا فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهندبن هنداه وربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تبق جنازة الاتركت وحملت جنازته على أطراف الاصابع اعظاما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره الدولابى وقيل الذى مات فى الطاعون هند بن أبى هالة والصحيح الاول (وأبى جحيفة) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة والفاء مصغر واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن وهب السوائى بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواء بن عامر بن صعصعة صحابى مشهور توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مراهق وتوفى هو سنة اثنتين وسبعين وروى له أحمد وغيره (وجابر بن سمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم والراء المهملة ابن جنادة بن جندب يكنى أبا عبد الله وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص توفى بالكوفة سنة أربع وسبعين وقيل وستين وفى التهذيب انه وهم ولكن التجانى وغيره اقتصر عليه (وأم معبد) بفتح الميم وسكون العين والباء والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ وفى الاكمال عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حنيبيس بن حرام بمهملتين ابن حبشية التى نزل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته وهى خزاعية كعبية صحابية خرج لها أبو يعلى الموصلى وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ قال البرهان الحلبى وحزام فى نسبها بالحاء المهملة وبالزاى كذا ضبطه الامير وزاد السهيلى بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة انتهى وهى أخت حبيش بن خالد انتهى (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وترجمته معروفة (ومعرض بن معيقيب) معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوى العرض ثم نقل علما وهو صحابى روى له ابن قانع من طريق القديمى ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبى وفى تجريد الصحابة ان اسم أبيه معيقيل باللام بدل الباء قال البرهان الحلبى وكذا هو فى نسختى ولا أدرى أصحيح هو أم لا وفى تنقيح ابن الجوزى معيقيب بالباء وأبوه شهد بدرا وتوفى فى زمن على رضى الله تعالى عنه وهو يمامى (وأبى الطفيل) اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جابر الكنانى صحابى له رؤية ورواية وولد فى أوائل الهجرة وروى عن أبى بكر وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهرى وقتادة وغيرهما وكان من محبى على رضى الله تعالى عنه مات سنة عشر ومائة وقيل سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطاء مهملة مضمومة مصغر (والعداء بن خالد) بعين مهملة مفتوحة ودال كذلك مشددة ومد معناه الشديد الجرى وهو ابن خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة أسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذى اشترى من رسول صلى الله عليه وسلم غلاما أو أمة كما رواه الترمذى وذكره الفقهاء وتأخر الى بعد المائة وروى له الطبرانى كان حسن السبلة والعرب تسمى اللحية سبلة (وخريم بن فاتك) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وميم مصغر وفاتك بفاء ومثناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل انه لقب أبيه أخرم بن شداد بن عمرو وفى التهذيب انه خريم بن فاتك بن أخرم وهو

(وأبى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح فضم (وأم معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما أى عبد الله (ومعرض بن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة وللحواشى المصرحة (وأبى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شيعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء

غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة في زمن معاوية رضي الله عنه وروى عنه ابن عساكر (وحكيم ابن حزام وغيرهم) حكيم بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحاء المهملة وبالزاء المعجمة يليها ألف وميم ابن أخ خديجة بنت خويلد أم المؤمنين المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة داخل الكعبة ولم يولد فيها احد غيره وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه رضي الله تعالى عنه ولما حج في الاسلام اهدى مائة بدنة وألف شاة ووقف بمائة وصيف في أعناقهم أطواق فضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك وأكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتأييد الكلام قبله وأشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هؤلاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلائل والوفاء وغيرهما (من انه صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل انه بيان آخر لما بينه الاول بدل منه أو مستانف أو بيان لقوله ذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد ان جميع من ذكر ان كل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه بل مجموعهم فانه ملفق من رواياتهم (كان ازهر اللون) صفة مشبهة للفاعل وفي الازهر هنا تفاسير منقولة عن أهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا زينتها وقيل أبيض وقد اختلف الرواة هنا في لونه صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل أبيض كما في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وأبيض مشرب بحمرة عن علي كرم الله وجهه وفي رواية أنس رضي الله تعالى عنه أزهر اللون كما هنا وعنه أيضا انه كان اسمر وفي الصحيح عن أنس لم يكن بالابيض الامهق أي الخالص البياض كلون الجير فانه غير محمود وما وقع في رواية فيه عنه أمهق ليس بابيض مقلوبة أو وهم من الراوي كما قاله المصنف أو المهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيتمي رحمه الله وليس بالآدم بالمد أي الاسمر ورد الطبري في الاحكام رواية اسمر ورواه غيره كالترمذي في الشمائل وعامة المحدثين فسر والازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر في صحاح الجوهري وقد وفقوا بين الروايات بالبياض البياض المعتدل المعتاد ويؤيده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وان كان اسمر في بعض الاوقات لمقابلته الشمس فتعتريه سمرة أحيانا وهو المراد بكونه آدم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمي به لشبهه باديم الارض كما ان الابيض الامهق الشديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابي في الجمع بين حديثي السمرة والبياض ان السمرة فيما برز للشمس من بدنه الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن أبي هالة رضي الله تعالى عنه أنور المتجرد وأيضا في الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل ان ما في الشمائل عن أنس رضي الله تعالى عنه أبيض كأنما صيغ من فضة لا يعارض وصف علي كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عني وجهه الشريف وأنس جسده كما مر وستجيء * (تتمة) * أقول ما ذكر من انه عارض من تاثير الشمس يأباه السياق لان الظاهر من لونه صلى الله تعالى عليه وسلم انه أمر خلقي لا عارض لان مثله لا يقال انه لونه والراوي له أنس رضي الله تعالى عنه وكان قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم ملازما له لا يخفى عليه أمره قال ابن حجر الهيتمي الاولى حمل السمرة على الحمرة التي تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه كان أبيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أحمر الى البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد البياض محمولة على الامر النسبي فانكار رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان أبيض مشربا بحمرة وهو أحسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى أزهر ويقال له اسمر نظرا لميله للحمرة ومن أطلق عليه آدم عنى هذا

(وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاى ولد في الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف أحد ولد في الكعبة غيره على الاشهر وفي مستدرك الحاكم ان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولد أيضا في داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام روى انه لما حج في الاسلام أهدى مائة بدنة مجللة بالحبر وأهدى ألف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) أي ومن حديث غيرهم (رضي الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أزهر اللون) أي نيره أو حسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا أو أبيضه لحديث أبيض مشرب حمرة وهو أفضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالادم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى أزهر ما قابل السمرة وأبيض ما سواه ودليله قول عائشة رضي الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط في الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول أبي طالب في مدحه عليه الصلاة والسلام

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وأما قوله كانما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه وأما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد أيضا وقوله أنور المتجرد أى ما تحت الثياب لا يساعده وقالوا ابرنس الجمال وما سواه ملاحة * فان قلت كيف قال بعض الصحابة ان سمرته صلى الله عليه وسلم من تاثير الشمس وقد كان الغمام يظله * قلت أجيب بان ذلك انما كان فى أول أمره ارهاصا النبوته كما مر وأما بعده فلم يحفظ ذلك كما قاله ابن حجر فى شرح الشمائل كيف وقد أظله أبو بكر رضى الله عنه بثوبه لما وصل المدينة وأظل عليه بثوب وهو يرمى الجمار فى حجة الوداع * (تنبيه) * قال ابن حجر أيضا قال أئمتنا الشافعية من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسود أو غير قرشى أو توفى أمرد كفر لان نعته صلى الله تعالى عليه وسلم بغير صفته نفى له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت بالتواتر نفيها كفر وسيأتى الكلام على ذلك آخر الكتاب * فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم أشرف الالوان وكذلك أهل الجنة فلم جاء فى صفتهم ان لونهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله تعالى كانهن بيض مكنون قلت البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج واعتداله الناشئ عن الغذاء فى الدنيا وأما غذاء الآخرة فله شان آخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب النساء دون الرجال ولذا امدحن به فى اشعار العرب مع انه ناشئ عن ترك الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا لاولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبه بالرجال (أدعج) وعن الترمذى أدعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع سعتها وقيل سواد السواد وبياض البياض ويشكل ذلك بانه (انجل اشكل) من النجلة وهى سعة شق العين ومنه طفنه نجلاء ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريدا أو توكيد واشكل بشين معجمة من الشكلة وهى الحمرة فى بياض العينين وكان أصله مطلق الحمرة لقوله فمازالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل أى أحمر وقال ابن دريد يسمى به للحمرة والبياض المختلطين فيه وفى المقتفى ان فى صحيح مسلم عن سماك ابن حرب ان معنى أشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال التجانى الشكلة حمرة يسيرة فى بياض العين فان كانت فى السواد فهى شهلة والرجل أشكل وأشهل وكلاهما مستحسن ويعنى أشكل أسجر بسين وجيم وراء مهملتين وفى حديث جابر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين خرجه مسلم وقال الاصمعى الاسجر الاشهل وأكثر اللغويين على خلافه وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسجر العينين ولم يرد الشهلة فى وصفه صلى الله عليه وسلم (أهدب الاشفار) الهدب بضم الهاء والدال ويجوز تسكينها الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب أو الكثيرة وهذه الصفة فى حديث رواه الترمذى والبيهقى ووقع فى رواية فيه طويل الاهداب وفى البيهقى وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين السابقين والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن والجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما خلقت هذه الاجفان واهدابها لتقى ناظر العين الاذى وهى تمسحه فى انطباقها وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما قال * فلما افترقا ماذب عن ناظر شفر * ولذلك كان الذباب يمسح دائما بيديه عينيه لانه خلق بغير أجفان واليه أشار عنترة فى تشبيهه البديع بقوله * وقع المكب على الزناد الاجزم * وفى الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة أهدب الاشفار من اضافة الشئ لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك يوم الدين وهى لامية أو على معنى فى والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل أهدب والجفن والشفر وليس فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجازا من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كأسا وان جاز وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف أى شعر الاشفار كما توهم (أبلج) من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر ووقع فى حديث أم معبد وصفه بالقرن وانه أقرن وهو مخالف للرواية المشهورة فى حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما لانه كان بينهما شعر خفيف جدا ربما يظهر اذا وقع عليه الغبار فى سفر ونحوه وحديث أم

(أدعج) أى شديد سواد الحدقة (أنجل) بالنون والجيم ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (أشكل) أى فى بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره فى مسلم بانه طويل شق العين (أهدب الاشفار) أى كثير شعر حروف أجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعنى من المسلمين قال التلمسانى والظاهر انه لا يعذبهم وهم فى تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق أعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (أبلج) بالموحدة والجيم أى أبلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد أبلج الحاجبين أى نقى ما بينهما الحديث أم معبد فى دلائل البيهقى وغيره انها وصفته بانه أبلج الوجه أقرن أى متصل الحاجبين

معبد سفرى وفى كتاب خلق الانسان لثابت رجل أقرن وامرأة قرناء فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال أقرن الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين

اذا راش سهم الناظرين بهدبه * وان كان سلما غير يوم هياج
غدا موترا من حاجبيه حنية * لها البلج الوضاح قبضة عاج

ومنه أخذ ابن سينا الملك قوله رمانى ومن أجفانه السهم صائبا * ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذى يقبضه الرامى والعرب تسمى السيد بالابلج ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به مشهور وقال أبو طالب فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

وأبلج يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

على احدى الروايات وأنشد بعضهم وأبيض والثمال الملجا اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى (أزج) بفتح الهمزة والزاء المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وازنه فى حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجرى كذلك فى الصفات والحلى ويوصف به الرجل والحاجب فى المدح والزجج كما فى تحفة العروس للتجانى دقة مخط الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزبب وقال الشمنى أزج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان رضى الله تعالى عنه * أزج كشق النون من يد كاتب وقال رؤبة * ومقلة وحاجبا مزججا * والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع كما قال وزججنا الحواجب والعيونا * أى صنعنا ذلك وهو ما تسميه العامة تحفيفا بالحاء المهملة وهذا أيضا مما رواه الترمذى رحمه الله تعالى (أقنى) كما وقع فى حديث هند الذى رواه الترمذى رحمه الله تعالى وفى حديث على كرم الله وجهه أقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وفسره الجوهرى بالحدب والمصنف رحمه الله تعالى بالسائل المرتفع الوسط وقد يبدل السيلان بالدقة وقيل انه نتو فى الوسط وضيق المنخرين وقال التجانى القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهى رأس الانف مما يلى الفم والشمم استواء أعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير فى الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد فى الرجال قال حسان رضى الله تعالى عنه

بيض الوجوه كرائم احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وقال الفرزدق بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم
وورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أشم وبهذا وصفه أصحابه رضى الله تعالى عنهم كما ورد فى الاحاديث ويعارضه ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أقنى وجمع بينهما بان القنو كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر فى البلج ويدل عليه قول ابن ابى هالة الآتى أقنى العرنين يحسبه من لم يتامل اشم وقول بعض الشراح هنا فمن رآه متامل لاعرفه أشم ومن لم يتامله ظنه أقنى انعكس عليه الامر فتامل (أفلج) الفلج بفتحتين تباعد ما بين الثنايا أو ما بين الاسنان وهو من قولهم فلجت الشئ اذا شققته فلجين أى نصفين وفلج فلو حافظ فر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس رحمه الله تعالى انه لا يقال رجل أفلج الا اذا ذكر معه الاسنان أى اذا قيد بها سواء كان بلفظ الاسنان أو الثنايا أو غيرهما لئلا يلتبس برجل أفلج أى بعيد ما بين القدمين أو اليدين فانه ورد استعماله مطلقا فى كلامهم دون الاول فانه ورد مقيدا باضافة وغيرها ومن هنا قد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان قوله أفلج مخالف للغة اذ لم يستعمل فيها الا مقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريرى كذلك ثم ما قاله أهل اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج * أزمان أبدت واضحا مفلجا * وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروى فى الحديث هكذا وابن أبى هالة راويه من خلص فصحاء العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لا يستدل به فى اثبات العربية * واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تلتزم تقييدها باضافة مطلقة أو معينة

(أزج) بالزاى والجيم المشددة أى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (أقنى) أى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف أى مرتفع قصبته مع استواء أعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متاملا لاعرفه اشم ومن لم يتامله ظنه أقنى (أفلج) بالفاء والجيم أى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة

(مدو رالوجه) أي لكن الى الطول أميل لما ورد في شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار الاستواء دائرته
(واسع الجبين) وهوما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة

كوحدة أو نحوها وقد تلزمه في حالة مخصوصة كاب وأخ اذا أعرب بالحروف وقد تلتزم هيئة مخصوصة
نحو كافة وقاطبة وتعريف الآن وقد تلتزم تقييده بشئ كما فيما نحن فيه ثم ان ههنا شيئا وهو انه اذا ورد
استعمال لفظ عن العرب على هيئة مخصوصة كما مر المانع من استعماله في ذلك المعنى من غير تغيير
لبنيته في موضع آخر كما فيما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها او نقلها عن معناها قياسا فهذا باب الطريق
الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رائحة الفم والاسنان لعدم بقاء المأكول
بينهما مع المعاونة على خروج الحروف من المخارج سهلة فصيحة ومن الملح فيه قول ابن نباتة

أفدي الذي جبينه وشعره * طرة صبح تحت اذيال الدجا
مالي به مع قرب داري ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(مدور الوجه) عبر في الشمائل بقوله لا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وفسر بانه لم يكن شديد تدوير الوجه
بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو أحلى وأحسن وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين
والنحيف فهو ضده وفي النهاية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسيل الوجه وروى البغوي مسنون
الوجه أي فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء
والحسن فلا منافاة بينهما (واسع الجبين) السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى أو بينهما
فرق وأكثر أهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذي للناصية من الحاجب الى
قصاص الشعر وجانباها جبينان وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وأنكره بعضهم وخطأ المتنبي
في استعماله بهذا المعنى الان ابن عاصم قال في شرح قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه * وانصره بمطرد الكعوب

انه أراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس اذا لم يكن مفرطا وسعة
الجبهة حسنها وشخوصها أو طولها كما قيل والظاهر من العبارة انه أريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل
الجبينين بالتثنية (كث اللحية) هذه الصفة في الترمذي والبيهقي عن هند وعلي وأم معبد رضي الله تعالى
عنهم والكث في اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة لايرى منها ماتحتها الكثرة أصولها محيدة ملتفة
وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض واليه اشار بقوله (تملأ صدره) الشريف يعني انها طولا
وعرضا بمقدار صدره فجعلها كانها حالة فيه لان المظروف لايزيد على ظرفه ومثله قولهم قد ملأت نحره
ونحر الصدر أعلاه أو موضع القلادة منه فراد المصنف رحمه الله تعالى أعلى الصدر والا طالت وقد ثبت
قصرها وقيل المراد انها تملأ مايقابل الصدر بها فاستوت طولا وعرضا والحاصل من ذلك ان لحيته صلى
الله تعالى عليه وسلم معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة * واعلم ان اللحى واللحاء ماينبت عليه الاسنان
واللحية ماخوذة منه * فان قلت ورد في الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو ينافي كونها كثة
قلت المراد من ذلك عدم طولها جدا لما ورد في ذمه وقد قيل اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته
ونقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر

ونقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ماطال من لحيته

مع انه ورد خفة لحييه بالتثنية وفسر بخفته في حركته للذكر (سواء البطن والصدر) هو بتنوين سواء
ورفعه وبنصبه واضافته أي مستويهما والبطن مبتدأ وسواء خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا لجعل
أل بدلا من الضمير كما قاله التلمساني وهو اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم خروجهما أو أحدهما عن

أي كثير شعرها بحيث (تملأ صدره) أي مايقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان يأخذ منها مازاد على القبضة وربما كان يأخذ من أطرافها أيضا والحاصل انه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمساني روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضته ويروى لحيته ومعناه انها لاتكون طويلة فوق الطول وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان في عقله شئ وقيل ماطالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ماطال من لحيته ومنه قول الشاعر

اذا كبرت للفتى لحية * فطالت وصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ماطال من لحيته

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء أي كان مستويهما تلويحا باعتدالهما خلقا واشعارا بان خروجهما أو أحدهما عن الاعتدال بروزا أو تطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر

الاعتدال فان البطن اذا كان بارزا أو مضمر الم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز او تطامن وسواء الشئ قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلسمانى (واسع الصدر) عبر فى المواهب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بقوله رحب الصدر وفى الترمذى والبيهقى عريض الصدر وقال البيهقى كان بطنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مستفيض فهو مساو اصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع بمعنى وقال الصفوى يجوز أن يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال فى صدره غير ضيق الصدر وقال تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج منه) وعدل المصنف رحمه الله تعالى الى السعة ليكون أظهر فى احتمال المعانى * أقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام فى الحلية الحسية وليس هذا منها فلو قال كما قال الدلجى أن معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان أولى فتامل (عظيم المنكبين) مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف وبالموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف أى ضخمهما وروى البيهقى مسندا جليل مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروى الواقدى رحمه الله تعالى ضخم العضدين والمنكبين وفى الشمائل جليل المشاش أى رؤس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله (ضخم العظام عبل العضدين) الضخم الغليظ كما فى الصحاح أو العظيم الجرم الكثير اللحم وفى حواشى عبد المجيد اليمنى ضخم العظام غليظها تقول أضخمت اذا انتصبت قائما والمضطخم المنتصب والعظام جمع عظم وعظيم كما فى ضرام السقط لصدر الافاضل وبعض الجهلة توهم ان قولهم الموالى العظام غلط لانه لا يكون الا جمع عظم وروى الترمذى وغيره ضخم الكراديس قال أبو نعيم هى العظام أى عظيم الالواح وقيل رؤس العظام وقال البغوى الاعضاء والمراد عظام يحسن عظمها كالجوارح والاطراف وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام أساس الانسان بعظمها يقوى ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة يليها لام بمعنى ضخم قوى والعضدين تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق والكتف ويسمى ساعدا (والذراعين) أى وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل الكف والمرفق أو من المرفق الى أطراف الاصابع (والاسافل) جمع أسفل قال التلسمانى يريد به رجليه وباقى جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والساقان وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته لما فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا وفى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين يقبل جميعا والشبح بفتح الشين المعجمة وسكون الباء الموحدة وبالحاء المهملة بمعنى العريض (رحب الكفين والقدمين) أى واسعهما وقال التجانى أى كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق بخلاف صغرهما وتاوله بعضهم فى الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه ان روى مجموع رحب الكفين والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة والمجاز وان ورد رحب الكفين فقط فان كان فى مقام بيان خلقه بالفتح فلا مناسبة له أو فى مقام بيان خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافى ما مر وفسر الاصمعى رحمه الله تعالى الشثن بالغليظ الخشن فقيل له انه ورد فى صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينافيه وقد ورد فى البخارى وغيره عن أنس رضى الله تعالى عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا الين وأنعم من كف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فآلى على نفسه أن لا يفسر شيئا فى الحديث وقيل لين جلده صلى الله تعالى عليه وسلم ونعومة ملمسه خلقة وخشونته باعتبار عمله فى جهاده ومهنته وتفسير أبى عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سائل الاطراف

(واسع الصدر) أى حسا ومعنى اذ وسع كل أحد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) أى غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة أى ضخمها وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) أى الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخارى انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الكفين) بفتح الراء وسكون الحاء أى واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل واحد عطاء وقال الدلجى فى نوع الترشيح من بديعيته
عم الورى بيد سحاء برشحها
عطاؤه ليس يخشى الفقر من عدم
(والقدمين) أى واسعهما طولا وعرضا

الآتى * واعلم ان البارزى رحمه الله تعالى قال فى توثيق عرى الايمان انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان خمصان الاخمصين أى متجافى أخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مسيح القدمين أى أملسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلهما ليس له أخمص وهذا موافق رواية مسيح القدمين قال وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام بالمسيح لانه لم يكن له أخمص فى أحد الوجوه فيه وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففى شرح الشمائل مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ويفسره قوله ينبو عنهما الماء أى يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ أصابعهما وروى أحمد وغيره ان سبابتى قدميه صلى الله عليه وسلم أطول من غيرهما وفى البيهقى كانت خنصر رجله صلى الله تعالى عليه وسلم متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابته صلى الله تعالى عليه وسلم أطول من وسطاه غلط فانه خاص باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم المذكور فى البخارى فيه نظر (سائل الاطراف) وفى شمائل الترمذى سائل الاطراف أو شائل الاطراف بالشك من الراوى من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط أو بالمعجمة من شال الميزان اذا ارتفع احدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع وروى سائن بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمسانى وطول الاصابع مما يتمدح به العرب وسائل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر فى الصرف وقوله فى المقتفى انه بالياء ان أراد انه روى كذلك على خلاف القياس فصحيح والا فلا وفسر بالطول من غير تعقد ويروى كان أصابعه قضبان فضة أى أغصانها قيل والاوجه فى تفسيره التعميم لما روى من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذى مخ والسبوطة الامتداد قاله أبو نعيم (أنور المتجرد) أنور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان وعليه اقتصر التلمسانى والبغوى والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة والدال المهملتين بمعنى الجسد الذى من شانه أن يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن المجرد والمتجرد والجردة والعرية والمعرى والكل بمعنى وقيل أنور أفعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره النحاة أى متجرده أنور من متجرد غيره والمتجرد بالضم مصدر ميمى يقال امرأة بضة المتجرد والمجرد أى عند التجرد والتعرى والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب أى نزع وليس على القلب أى ما جردت الثياب عنه أو هو اسم موضع التجرد أو اسم مفعول على الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسى واسم المفعول لا يبنى من مثله بغير صلة كممرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدى كما جعل رحم المتعدى بمعنى رحم اللازم وبنى منه الصفة المشبهة وجعله من الحقائق والدقائق من زخرف القول الذى لا طائل تحته وتفسيره بسائر البدن باعتبار أغلبه وأكثره كلام حسن وجعله وهما خرافات واهية (دقيق المسربة) دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه ليس بعريض ولا متكاثف الشعر وروى بالراء المهملة وهما بمعنى والمسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء كذلك وفتحها وبالموحدة شعر مستطيل من الصدر للسرة فهو خط من الشعر بينهما قيل والذى يظهر انه شعر دقيق من الصدر الى البطن يطول ويقصر ابتداء ولذا وصف مسربته بالطول من أوائل الصدر الى السرة والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو دخول الطريق والانسراب فيها (ربعة القد) القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامرأة ربعة بفتح الراء وسكون الباء وفى المصباح حذف الهاء فى المذكر وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله أى معتدل وفى القاموس الرابع الرجل بين القصير والطويل وتانيثه باعتبار النفس والذات وليس فى اضافته للقد تكلف

(سائل الاطراف) أى تام الايدى والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين المهملة وروى بالمعجمة (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة أى كان ما تجرد من بدنه أنور من غيره (دقيق المسربة) بفتح ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمسانى وبفتحها وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة ودقيق بالدال قال التلمسانى ويجوز فيه الراء قلت بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة أى مربوع القامة كما رواه البيهقى وابن أبى خيثمة فى تاريخه

كما توهم وفيه ضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالتاويل المذكور وروى الترمذي وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أطول من المربوع وفي البيهقي عن أنس رضى الله عنه فوق الربعة فالمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول أراد الفاحش ولذا قال (ليس بالطويل البائن) كذا في الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه أى لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله أو بعد لبعده عن قدر الرجال الطوال أو لبعده عن الاعتدال أو من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن بعض أو عن غالب الناس أو عن الاعتدال (ولا القصير المتردد) أى المتناهى في القصر من التردد بمعنى الرجوع أو الدخول كان بعضه يدخل فى بعض و يرجع اليه وهذه صفة خلقته صلى الله تعالى عليه وسلم لذم الطول المفرط والقصر المفرط وللتلمسانى هنا كلام فى تفسيره لا محصل له (ومع ذلك) أى مع كونه ربعة معتدلا (فلم يكن يماشيه أحد) من الناس بان يمشى معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود وقيل الاولى عدم الفاء الا أن يقال هذه بيان للحالة السابقة يعنى لانها خلقة وهذه عارضة فتدبر (ينسب الى الطول الاطاله) المراد بنسبته له اتصافه به و كونه معروفا به مشهور كما يعرف المرء بالنسبة فيقال القرشى ونحوه فهو استعارة وقوله الاطالة أى غلبه فى الطول وزاد عليه فهو من باب المغالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومه أو أصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقى وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه عاد ربعة وفى المواهب عن ابن سبع واذا جلس صلى الله تعالى عليه وسلم كان كتفه أعلى من الجالسين وهل هذا محض اراءة لذلك أو حقيقى يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق أطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل المحمود ولكن جعل الله له هذا فى رأى العين معجزة خصه الله تعالى بها لئلا يرى تفوق أحد عليه بحسب الصورة وليظهر من بين أصحابه تعظيما له بما لم يسمع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقى (رجل الشعر) يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا تثنى فيه فهو سبط والاول أحسن وأمدح وروى شعره بين شعرين لا رجل ولا سبط وفى مثله مبالغة فى قلة التثنى وفيه كلام بسطناه فى السوانح وفى الصحيحين لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضده وهو المسترسل بغير تكسر فشعره صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثير (اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق) هذا رواه البيهقى مسندا ومعنى افتر كشف عن أسنانه متبسما او ضاحكا و يفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفى النهاية تبسم حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فرت الدابة اذا كشفت شفتيها ليعرف مقدار سنها ومنه أخذ السن بمعنى العمر وفى حواشى عبد المجيد اليمنى ومنه فرة الحر أوله يعنى بكسر الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده والسنا مقصور وروايته مده لا أصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد المغربى

أيها الصاحب الذى فارقت عينى وتفشى منه السنا والسناء

أى اذا كشف صلى الله تعالى عليه وسلم عن أسنانه فى حال ضحكه ظهر من فمه و بياض أسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو أضوء منه كالشمس والبدر اشارة الى أنه لا يدوم ضحكه وانفتاح فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان تبسمه لمخاطبه يعقبه نفع وخير من عطائه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر والرحمة العامة وما قيل أن الاظهر انه اذا استمر يتلألأ فيظهر تارة و يختفى أخرى فالمناسب البرق و يؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلألأ مخيلة برق خلب وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله

(ليس) أى هو أو قده (بالطويل البائن) أى المفرط فى الطول من بان بمعنى بعد أو ظهر (ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذى كانه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملة بيان لما قبلها (ومع ذلك) أى مع كونه ربعة (فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الاطاله) أى غلبه النبى (عليه الصلاة والسلام) فى الطول مزية خص بها لئلا يحابانه لم يكن أحد عند ربه أفضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر و يفتح وقد يسكن و بفتح العين و يسكن أى بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء أى اذا أبدى أسنانه حال كونه (ضاحكا) أى متبسما (افتر) أى انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف والعلو أى يشبه ضوءه

(وعن)

(وعن مثـل حب الغمام) أى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثـله فى البياض والصفاء وامتزاج الماء فهو بهذا الاعتبار العالى أولى من تشبيه الاسنان باللآلى ثم التشبيه الثانى أبلغ من الاول فتامل وقد أبعد الدلجى فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق ومايطفو على ثناياه من ريقه

بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان

(وعن مثـل حب الغمام) فى بياضـه ونقائه وصـفائه حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف رحمه الله و يروى تسكينها والاول أصح وقيـل حب الغمام حبابه على الماء شبه به ماعلى أسنانه من قليل الريق و بلته وهو الظلم بالفتح الذى تسميه الشعراء شنبا كما قال ابن الوكيل

يا بارقا قد حكاه فى تبسمه * لقد حكيت ولـكن فاتك الشنب

والاول أصح لرواية البيهقى عن هنـد رضى الله عنه عن مثل البرد المنحدر عن متون الغمام قال السـيد رحمه الله تعالى شـبه مايظهر من أسـنانه فى التبسم بذلك فى البياض والصفاء واللمعان والاعتـدال وفى النهاية وفى البرد وهو بعيد ومن قال حب الغمام قطرته شبه بها ما يطفو على الثنايا من الريق فقـد وهم لان الثنايا ليس عليها عادة الابلال فلو اجتمع لم يحسن قيـل وما أحسن عدوله عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بام محرم وقيل عليه ما أحقه صلى الله تعالى عليه وسلم بقول البحترى

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح

(وقول الحريرى) نفسى الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وليس الحبب حباب الماء ونفاخاته ولاحباب الخمر بل نضرة الاسنان كما قاله الجوهرى فلا ميل فى التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحباب والحباب بالمعنى المذكور مما لا اشبهة فيه وماقاله الجوهرى لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشئ بنفسه كما قيل

أقام يعمل أياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

(اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه) وقع عنـد نا يرى مضارع رأى المجهول والذى صححه التلمسانى وغيره رواية يرى براء مكسورة وياء ساكنة تليها همزة بوزن قيل وفى رواية رئى بضم الراء وهمزة مكسورة بليها ياء مجهول رآى والكل صحيح رواية ودراية وهـذا رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والثنايا جمع ثنية وهى أربع أسنان اثنان فوقانية واثنان فى مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله عليه وسـلم بشدة البياض والبريق والصفاء وأول الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفلج اذا تكلم الى آخره وروى ابن كثير رحمه الله رئى النور من ثنيته وهى الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة و يحتمل انها اسم بمعنى مثل وهى أو الجار والمجرور نائب الفاعل وهو صـفة لمقدر أو تلألؤ أوشئ وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله أى يخرج منه كلام شبيه بالنور فى ظهوره (أحسن الناس عنقا) رواه البيهقى مسندا وفيه أحسن عباد الله عنقا وفى رواية من أحسن الناس والمراد أحسن جميع الناس أو الناس الموجودين ولا تكلف فيـه كما توهم وحسـنه باعتداله و بياضه وصـفاء لونه و يستحسن فى العنق التام وهو واشرافه وانتصابه والتنطع وهو طوله قال التجانى وقد جاء هذا فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن مالم يفرط فاذا أفرط فهو مذموم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب به * واعلم ان السهيلى قال فى الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى الأ أن الجيد يستعمل فى المدح والعنق بخلافه فتقول صفعت عنقه لا جيده ولما أورد عليه قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه

التركيب من التشبيه البليغ وليس كـذلك كما لا يخفى على أرباب المعانى والبيان وقيـل أول مايضحك تلألأ كالبرق وان بدت أسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم رئى) بكسر راء وسكون ياء فهمزة مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمز مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعـل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى ظهر (كالنور) أى شئ مثـل النـور (يخرج من ثناياه) أى يبـدو منها أو من سناها بكثرة بياضـها وشـدة صفائها أو ايماء الى درر كلماته وغـرر بنائها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى (أحسن الناس) بالنصب عطفا على ماسبق ويجوز أن يكون بالرفع على ان التقدير هو أحسن الناس (عنقا) أى جيد الاعتداله فى كماله (ليس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة أى لم يكن مـدور الوجه على مافى الصحاح وغيره

وقيل هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة أى لا بمجتمع لحم الوجـه بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة وأما حديث على وفى وجهه تدوير فمعناه ان فيه نوع تدوير أى قليلا منه وأبعد اليمنى فى قوله يريد عنقه أى ليس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل

(متماسك البدن) أى ليس برهل ولا مسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) أى خفيفة ولطيفة لا يابسة وكثيفة وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب أى كما رواه الشيخان وغيرهما (ما رأيت من ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس ما يجاوز شحمة الاذن ويلم بالمنكبين (فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ظاهره انها ثوب واحد بشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق أهل اللغة انها لا تطلق الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة اتزر باحديهما وارتدى بالاخرى ولك أن تجيب بان وصفها باعتبار لفظها لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء بردا أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة وكذا قال الخليل وغيره لان كل واحد يحل على الآخر أو على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق أهل اللغة على الاطلاق بل قال المنجانى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى وليس فى الحديث الذى استشهد به دلالة الا على أحد الاستعمال الحلة وأما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه أنواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه ما رأى أحد من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية من الصفاء فنفى أن يكون أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أى لبس كان أو على تقدير لابسه ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم أو انه قضية واقعة يحتمل وقوعها قبل النهى مع انه قد يقال للثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه أحمر فتدبر فان الجمع بين

كثير كما هنا أو كقوله * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد * (ليس بمطهم ولا مكلثم) المطهم كما فى القاموس كمعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم الدقيقة وهو من الاضداد والمنتفخ الوجه والمجتمعة مدوره وقليل لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن على كرم الله وجهه فى سنن الترمذى والبيهقى باسناد غير متصل وسياتى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وله معان منها ما تقدم ومنها كما فى الترمذى بادن كثير اللحم والمجاوز لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منها غير التدوير اذا فسر به المكلثم لئلا يتكرر واعادة لا مع العاطف تابى كونه تاكيدا وأما معناه المذكور فى القاموس وهو البارع فى الجمال فلا يصح هنا النفيه وقد ثبت انه وسائر أعضائه فى غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروى عن على وعائشة رضى الله تعالى عنهما مسندا وفسر بمدور الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والباقى الوجنة وقيل هو قصير الذقن وفى النهاية انه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسيل الوجه لا مستديره ولا ينافى هذا ما مر عن على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفى الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت خلافه كما صرح وابه الائمة فى شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا فى الصحاح والمراد غير المفرطة أيضا فهو من الاضداد والصفتان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا (متماسك البدن) وهذا مروى فى حديث هند رضى الله تعالى عنه كان بادنا متماسكا أى معتدل الخلق كان أعضاؤه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم استرخائها وقال الغزالى لحمه متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذى من شانه أن يسترخى اللحم فيه بخلاف الشباب (ضرب اللحم) ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بزنة المصدر أى قليل لحم البدن خفيفه لا الى حد الهزال وهو يتمدح به كما قال طرفة

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه * خشاشا كرأس الحية المتوقد

وهذا معنى قولهم لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول أهل اللغة الضرب الرجل الخفيف لبيان معناه لانه مشترك أو للتجريد وهذه الصفة فى حديث أم معبد رضى الله تعالى عنها وفى حديث رواه البيهقى وهى لا تنافى ما ورد فى حديث آخر من انه كان بادنا أى جسيما أو كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها أمور نسبية فحيث أثبتت أريد بها رتبة معتدلة وحيث نفيت أريد الافراط أو ان هذا كان فى أول عمره وكونه بادنا فى آخره لما فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن نحيفا قط ولا سمينا وقال التلمسانى معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه لكونه متماسكا يقوى بعضه بعضا ويشده ويمسكه فهو خفيف بهذه النسبة (قال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه ورواه بتقديم أحسن الآتى (ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من زائدة أو مبينة لمقدر أى أحدا واللمة بكسر اللام وتشديد الميم ما طال من شعر الرأس فى

الاحاديث المتعارضة هو المعتبر وقد قال أبو عبيد الحال برود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور ومع انه يكفي في دليل امتناعه التشبه بالنساء ولاشك ان تركه احوط في حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفي للاستدلال والله تعالى أعلم بالحال وأغرب الانطاكي الحنفي حيث قال في حاشيته ٣٣٧ وفي هذا دليل على جواز لبس الاحمر للرجال وادعى النووي الاجماع على جواز لبسه في المهذب انتهى ولا يخفى ان دعوى الاجماع باطلة مع وجود مخالفة الامام الاعظم في المسئلة وغيره من الائمة ولعله أراد به الاتفاق في مذهبه والله تعالى أعلم بمقاله ومشربه هذا وقد قال المنجاني وقد اختلف السلف الماضون في ذلك فكره بعضهم لبسها هي والمصبوغة بالصفرة وأجازهما قوم آخرون وفرق بعضهم في هذا بين المشبع في الصبغ وغير المشبع فاجاز مالم يكن مشبعا وكره ما أشبع صبغه ورأى آخرون ان ما اتخذ من هذه الثياب للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ للباس كره ودليل الاولين ما ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يتعصفر الرجل أو يتزعفر وروى في الصحيح عن ابن عمر قال رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين

(٤٣ شفا ل) فقال ألقهما فانهما ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعي حدثتني عجوز قالت كنت أرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوه هذه الثياب للنساء واما ماذكره المنجاني من نسبة عدم الكراهة لابي حنيفة فغير صحيح والله تعالى أعلم

احد جانبيه قال التلمساني قيل هي الوفرة وقيل فرقها وقيل اذا ألم الشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة ما بلغ المنكبين انتهى وقد اختلف في الفرق بين هذه الثلاثة اللمة بالكسر والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ما جاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها بالمنكبين وان زادت فهي الجمة وهي ما سقط على المنكب كما في شرح السنة والمراد بالمامها به قربها كما في المصباح لا بلوغ أولها وسقوطها ووقوعها متصلة بها منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل تجاوزه لما ورد في الحديث من شعره يضرب منكبيه وفيه نظر وفي القاموس الوفرة ما سال على الاذن أو جاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة ووافق ما في الجوهري تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب فهو جمة فتوهم فيه السهو أو التناقض وهو محمول على ما في شرح السنة وقيل يتعين حمل كلامهم على ان في الجمة لغتين أي معنيين ما سقط على المنكب ومالم يبلغه اسامر فاقتصر بعضهم على احدهما والآخر على الآخر وذكرهما الجوهري وفي الشمائل جمته تضرب شحمة اذنيه فهي ثالثة من غير تناقض ومنهم من أول الحديث بانه جمة قيل ورد بما وصل لما ذكر بعده وهو بعيد بل مردود انتهى *أقول الجمة بمعنى الكثرة الشعر ومنه الجم الغفير والوفرة من الوفور وهو الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب أو النزول ولا يخفى ان الكثرة والقرب ونحوهما أمور نسبية تتفاوت بحسب ما ينسب اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها معنى يجوز استعماله في المعاني المذكورة بحسب القرائن فللمة ما يلم بالاذن أو بشحمتها أو بالمنكب بان تقرب منه أو تنزل عليه والكثرة اما في نفسها أو بالنسبة للمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت المعاني فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد اللام كما في القاموس ازار ورداء برد وغيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة انتهى فلا تكون ثوبا واحدا ولا ثوبا ليس له بطانة كما قاله الخليل والثوب لا يختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفي النهاية انها من برود اليمن ولا تكون الا ثوبين من جنس واحد وتأوها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد أو للاسمية وقال التجاني في الحديث دليل على ان الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعني لتاء الوحدة ووصفها بحمراء واللغويون مطبقون على انها لا تطلق الا على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المصنف رحمه الله تعالى في مشارقه فقال انما سميت بذلك لحلولها على الجسم أو على ثوب تحتها وهو باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من أي نوع كان *أقول ما نقله من اشتراط كونها ثوبين واتفاق أهل اللغة عليه قد نقلناه لك عن صاحب القاموس وعن الخليل ما يخالفه فاي اتفاق يصح بعد هذا واما اعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى في وجه التسمية فليس بشئ لان وجه التسمية مناسبة لحظها الواضع لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها فهو غفلة منه ثم اعلم ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب الى كراهتهما كراهة تحريم أجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر وليس أحمر خالصا وبان هذا منسوخ قال محمد رحمه الله تعالى في شرح السير الكبير لبس الاحمر مكروه وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اياكم والحمرة فانها زي الشياطين وما روى من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ما رأيت ذا لمة في حلة حمراء الى آخره كان في الابتداء ثم كره استعماله

للرجال بعد ذلك انتهى أو هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من لبس حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء أو الكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل الشيخ قاسم ابن قطلوبغا عن لبس الاحمر الذى فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه أم لا فاجاب بانه مكروه كراهة تحريم للاحاديث الواردة فى النهى عنه ثم أورد كلام محمد فى السير وانه كرهه بعد ذلك لما فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لبس المعصفر وانما لبسه الشعبى رحمه الله تعالى فرارا من القضاء لما كلفوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر الفيل فتركوه واذا ورد ما يقتضى الاباحة وما يقتضى التحريم فالثانى ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير وما ذكر عن الشعبى جواب عما يقال لو كان النسخ مشهورا ما لبسه الشعبى وقال بعض المتأخرين حديث البراء ليس من محل النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهى عن المعصفر العملى الذى شاع فى عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزم النهى عن الاحمر المنسوج كذلك وفرار الشعبى عن القضاء لا يبيح له الحرام وقوله حلة حمراء فى حديث البراء يابى كونها مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووى فى شرح المهذب لبس الاحمر جائز بالاجماع أى مع الكراهة التنزيهية وان قال بعض أصحابنا من المالكية بجوازه أى من غير كراهة وقول بعض الحنفية بالكراهة لا ينافى الجواز ومراد النووى الاجماع المذهبى وما ذكره الشيخ قاسم من النسخ بالاجتهاد محل بحث فليحرر (وقال أبو هريرة) تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف (ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا أبلغ من الحديث الذى قبله لانه فضله فى لباس مخصوص وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن أكثر من غيره وقال فى هذا ما رأيت شيأ أى من الناس أو غيرهم مطلقا (كأن الشمس تجرى فى وجهه) كأن بالتشديد فى الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهى اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو مبنى على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجرى خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية كما قال عز وجل والشمس تجرى لمستقر لها فقيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة بجريان الشمس الان المنتقل لمعانه فالمناسب ان يقال كأن نور الشمس أو يراد بالشمس نورها فالاوجه انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجرى وهو دقيق بليغ أو شبه محل اللمعان بقرصها وتغيره تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد وقال الطيبى رحمه الله تعالى يجوز تعلق الخبر بمستقر فهو من تناسب التشبيه وجعل الوجه مقر الشمس فكأنه جعل تجرى حالا وكان للظن والادعاء أو فعلا ناقصا وهو بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية فى فلكها شبهة بما يجرى فى وجهه من عرق ونحوه ففى وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك التشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من التلألؤ والانبساط ففيها مشبه ومشبه به وصفة هى للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على أسلوب كانى قائل أى أنا كالرجل القائل لقول اسناد الجريان وفيه مشبهان مطويان على سنن الاستعارة وهما ما فى وجهه من التشبيه بالشمس والتشبيه بذلك الجريان كما فى قوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه على ما فصل فى شرح المفتاح أقول هذا كله تكلف وتعسف لا طائل تحته وبيانه ان مراده المبالغة فى وصف وجهه الشريف بالنور كما أشار اليه بقوله (واذا ضحك يتلألأ فى الجدر) فشبه وجهه الشريف بالشمس فى الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون أبلغ فقال كأن الشمس وجهه ثم زاد فى المبالغة على طريقة التجريد فانتزع منه شمسا جعلها فى وجهه كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد وأقحم تجرى على انه حال وأصله كأن وجهه الشمس ثم كأن الشمس وجهه ثم كأن الشمس فى وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة سائرة على

(وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية أيضا بالمشاهدة العرفية (كأن الشمس تجرى فى وجهه) ان يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط على جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين أى تلمع ثناياه كاللآلى (فى الجدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه أحمد والترمذى وابن حبان

وجه الارض أو لان تلألؤ النور في وجهه كتحركها وهو أقوى في التشبيه وهذا هو الذي عناه وأما تناسي التشبيه فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لان منطوقه تشبيه الاستقرار أو الجريان لما عرفته لكنه تسامح في العبارة وأما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا قول التلمساني ان معنى تجري في وجهه يتوهج كتوهج الشمس وأشار الى ظهور الاسرار كراهة أو اصابة كرب في وجهه كظهور ذلك في الشمس من سحاب أو غيره ومنه قوله في الحديث فرأيت نور وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم ظلالا وهي جمع ظلة انتهى والتلألؤ اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحائط والناس تستعمله بمعنى الاساس وأما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذي يحبس الماء كما سيأتي في حديث الزبير رضي الله تعالى عنه (اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر) وليس مفردا بمعنى الجدار كما توهم وهذا رواه أحمد والترمذي وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى جعل التعدد باعتبار الاوقات أي نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل الى الجدران المقابلة له كما يكون ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج من بين ثناياه وفمه اذا افتر وتبسم وروى ابن كثير عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يكاد يتلألأ في الجدر فتفاوته بحسب الاوقات أو بحسب خفة ضحكه وشدته أو ما هنا محمول على المبالغة على تقدير يكاد (وقال جابر بن سمرة) الذي مر ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (وقال له رجل) جملة حالية بتقدير قد أو معطوفة على ما قبلها وفي الشمائل سأل رجل البراء بن عازب (كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف) بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به في الشمائل ويجوز عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه به في البريق واللمعان لا مطلقا ولا في الطول كما توهم وروى البيهقي أكان وجهه حديدا كالسيف ولا يظهر وصفه بالحدة وان أريد بحدته نفاذ أمره وامضاؤه في الدين وقصد الخير كما في النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا التعميم ولذا رده جابر (فقال لا) قيل قال تأكيدا لقال الاولى وعطفه لجواز عطف المؤكد على المؤكد بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وانكار أهل المعاني غريب أو هو لتفصيل ما قبله أو انه لم يقصد الجواب ووقع في مسلم بدون عاطف ورده بلا اما لايهامه الطول ومخالفته في اللون أو لان لمعانه أقوى والمشبه ينقص عن المشبه به كما قال

ظلمناك في تشبيه صدغك بالمسك ✽ فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي

(بل مثل الشمس والقمر) شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف باو كقول البحتري المتقدم

كأنما تبسم عن لؤلؤ ✽ منضد أو برد أو اقاح

وبالواو كقول أخرى المتقدم أيضا

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ✽ وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فلا وجه لقول السيد اللائق ان يقول الشمس أو القمر أو الواو بمعنى بل والشمس يمتنع استيفاء الحظ من رؤيتها فاللائق القمر وما في الوفاء من انه لم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوؤه ضوءها لا ينافي التشبيه بها لانها أعرف وأشهر وقال التلمساني انه أضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته وانما يشبه به نفس الانسان في نفاذ أمره وشدته كما قال

وكالسيف ان لاينته لان متنه ✽ وحداه ان خاشنته خشنان

قال ويقال لا بل ولا بن ونابل انتهى وهو غريب وفي شرح الشمائل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا في الاشراق والضياء والرفعة والقمر يشبه به في الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين مع نوع استدارة وطول وفي حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وفي رواية فلقة قمر وفي رواية للطبري التفت الينا كأن وجهه شقة القمر وانما أرادوا تشبيه بعض وجهه لان السرور كان يبدو في جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع

(وقال جابر بن سمرة) رضي الله عنه كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) أي والحال انه قال (له رجل كان) وفي رواية أكان (وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) أي جابر (لا) أي لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه ولتوهم طول بنائه (بل مثل الشمس والقمر) أي بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة في مقام الظهور ولذا قال تصريحا بما قدمه تلويحا

ماقيل ان وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبهه ببعضه الخالي منه انتهى (وكان) وجهه الشريف (مستديرا) فيه استدارة كما مر وهذا مؤكد للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة أي هو أحسن منه وأضوأ الاستدارته دونه وهذا الاوجه له لان استدارته وكريته كسائر الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة وقيل التشبيه بالنيرين انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها أيضا (وقالت أم معبد) وهي كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضي الله تعالى عنها التي كانت نازلة بخباء في طريق المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها معه مشهورة مروية من طرق عديدة تعضدها وتصححها وكان زوجها غائبا فلما أتاها أخبرته به فاستوصفها اياه فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نحله ولم تزر به صقله وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشفاره عطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثاثة أقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب الى آخر ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح في السير منه (في بعض ما وصفته به) أي في بعض كلام وصفته به من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش بن خالد عنها وأقحم لفظ بعض اشارة الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها أو ما نقله المصنف رحمه الله تعالى بعض الصفة لا كلها واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم * أقول تفصيله كما في شرح الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع بعض من القوم وجزء من الشيء فهو على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون لمقابله ويجوز في بعض المال بعض للمال ويراد به أما الباقي منه فيتصف هذا بانه بعض له كان مضافا له والاضافة تتحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض لا كل المتحقق وقال السهيلي البعض في مقابلة الكل واضافة كل على معنى اللام فيجب ذلك في بعض مقابلها وأيضا فالاضافة على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم درهما ولا بعض زيد زيدا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا أضفت البعض لجنسه كبعض الحديد وبعض الطعام واذا أضفته لذي صورة له اسم كزيد كان له حكمه انتهى (أجمل الناس من بعيد) الظاهر انه صفة رجلا في قوله رأيت رجلا كما سمعته آنفا ويجوز رفعه على القطع والمدح والجار والمجرور حال من ضمير أجمل أي مشاهدا من بعيد والجمال البهاء والحسن والذي في الرواية السابقة أجمل الناس وابهاه فالمصنف اما ان يكون أسقطه منه لكونهما بمعنى أو ظفر برواية فيها هكذا وكون الاطناب في المدح محمودا سهل والناس اسم جمع أو جمع نادر وأصله أناس كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث لا يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن أبي هاله أو من محارمه أو من الاعراب الجفاة واذا فعل ذلك أدرك فوق الجمال مرتبة أخرى كما قال

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

والى ذلك أشار بقوله (وأحلاه وأحسنه من قريب) وفي نسخة وأحسنهم والعرب تفرد الضمير في مثل هذا حملا على لفظه أو على الجنس كانه قال وابهى هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده الحديث أي خير هذا الجنس لان الناس والنساء من أسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى المعنى وان التقدير أحنى من وجد ومن هناك كذا قرره بعض الشراح أقول تحقيق هذه المسئلة ان العرب تقول أحسن الفتيان وأجمله بافراد الضمير بمعنى أحسن فتى وفي التسهيل انه ليسد واحد مسدهم ومثله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه لان الانعام تسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقال أبو حيان رحمه الله تعالى مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون

(وكان) أي وجهه (مستديرا) أي لا مستطيلا فلا ينافي ميلانه الى الطول (وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به) اى من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش ابن خالد عنها (أجمل الناس) أي أتمهم جمالا وحسنا صوريا (من بعيد وأحلاه) أي أحلى الناس وأفرد لانه اسم جنس فروعى لفظه دون معناه وكذا قوله (وأحسنه من قريب) أي تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته

تارة

تارة هو أحسن فتى فيفرد دون وتارة أحسن الفتيان فيجمعون فتوهم واذا لك في حالة الجمع فافرد وه
والذي يدل عليه كلام سيبويه رحمه الله تعالى انه أفرد كما أفرد ضربني وضربت قومك على معنى من ذكر
وهو الصحيح ويدل عليه الحديث السابق فلو كان على ما يقوله الفارسي قال أحناها وقد يعود الضمير
على الاثنين والاناث مع أفعل مفردا كقوله

ومية أحسن الثقلين جيدا * وسالفة وأحسنه قذالا

وقوله

شربوا منها وأغواها لها * ركبت عنز بحدج جملا

وضمير الاناث السابق و يكون ذلك دون أفعل قليلا وفيه كلام حققناه في غير هذا المحل قال التلمساني
وهو مقيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراده لارادة بأمر لا لانه اسم جنس كما توهم وأحلى من
قولهم حلى بعينه وقلبه اذا أعجبه واستحسنه فعطف أحسنه عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة
الاجمالية المشاهدة أجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب وكثيرا ما يتفاوت البعد
والقرب اذا دقق النظر (وفي حديث ابن أبي هالة) الآتي وتقدمت ترجمته (يتلألأ) يضيء ويشرق
(وجهه تلألؤ القمر) منصوب على المصدرية أي مثل تلألؤ (ليلة البدر) أي عند تمامه وتمامه هو أنور
ما يكون وأحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يستوي
ليلة ثلاث عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها الليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس للغروب بادرها
بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهي ألف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا ويسمى زبرقانا
(وقال على) ابن أبي طالب كرم الله وجهه كما رواه الترمذي والبيهقي عن محمد ابن الحنفية في حديث
مرسل ضعيف (في آخر وصفه له صلى الله عليه وسلم) أي في حديث طويل في صفته وحليته آخر ما نقله
المصنف رحمه الله تعالى وليس المراد انه آخر مجلس وغيره مما تمحله بعضهم (من رآه بديهة) أي فجأة
وبغتة قبل مخالطته ومعرفته حاله وخلقه ويقال لكل ما يفعل عجلة من غير تأمل بديهة كما قال المعري
ان الطعان بداية الفرسان * وفي كتاب البدائع البداية البديهة مشتقة من بداه كما يقال مدح ومده وأصله
في الكلام وغلب في الشعر من غير روية وتفكر والارتجال أسرع من البديهة (هابه) أي خافه وقدره تعد
من يقوم بين يديه وفي النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من رآه ابتداء وقره ولو كان من أعدائه فاذا تدبر
كماله وحلمه أحبه ومن أحبه عظمه فالتوقير لازم له على كل حال والمحبة بعد المخالطة كما قال (ومن خالطه)
أي مازجه وصاحبه و يلزمه معرفته فلذا قال (معرفة) وهو حال أي ذا معرفة أو مفعول مطلق أي
مخالطة معرفة أو لاجل المعرفة لا لاجل النفاق والعداوة والانتقاد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه
وشفقته على جميع عباد الله (أحبه) لظهور محاسنه التي توجب محبته ولان الله تعالى سخر القلوب لمحبته
واذا أحب الله تعالى بعض عباده ألقى عليه محبة الناس ولا يحتاج الى أن يقال انه ربما كان يتصرف منه
معجزة كما روى انه عليه الصلاة والسلام وضع يده على صدر رجل فارغها حتى صار أحب الناس عليه
بعدما كان أبغضهم عنده وفي رواية من خالطه فعرفه وهي قريبة من رواية المصنف رحمه الله تعالى بلا
تعنت (يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله) كلام مستأنف فصله لاستقلاله وناعته واصفه أي كل من
يريد وصفه من شانه نعت ما يراه والنعت يغلب في الوصف الحسن وقال الطيبي رحمه الله تعالى أي ناعته
يقول ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية أو علمية والمثل المساوي
والمشابه ونفي المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله في حسنه وكماله ونفي المثل يقتضي نفي من يفوقه
بالطريق أولى ولان كل فائق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفي الافضلية اثبات الافضلية كما
مر وقول بعضهم كل من شانه النعت هذا يقتضي انه لا مثل له حقيقة والا لم يكن من شان من رآه نعته

بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه ومبادرتها اياه للطلوع في صباحه (وقال على رضي الله تعالى عنه) على ما في جامع الترمذي وشمائله (في آخر وصفه) أي نعت على رضي الله عنه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من رآه بديهة) أي مفاجأة من غير روية كناية عن أول الوهلة (هابه) أي خافه مخافة العظمة ووقع في قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) أي من حيث عرف ما كان عليه من حسن العشرة ودوام البشاشة فنصبها على التمييز وأبعد التلمساني في جعلها مفعولا له أو حالا (أحبه يقول ناعته) أي واصفه (لم أر) أحدا من الناس (قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله أي قبل وجوده ولا بعده استيفاء زمانه والا فعلي كرم الله وجهه أصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية بصرية وأما اذا كانت علمية فلا اشكال والله أعلم بالحال

(والاحاديث في بسط صفته) أي تفصيل نعوته (مشهورة) أي عند المحدثين (كثيرة) أي عند المؤرخين (فلا نطيل) أي الكتاب (بسردها) أي بذكرها متصلة مفصلة ٣٤٢ في الابواب (وقد اختصرنا) أي أوردنا على وجه الاختصار (في وصفه نكت) وفي نسخة على نكت (ماجاء فيها) بضم النون وفتح الكاف جمع نكتة أي لطائف ودقائق ماورد في تلك الاحاديث (وجملة) أي وأوردنا جملة مجملة (مما فيه الكفاية) ومن بيانية أو تبعيضية (في القصد الى المطلوب) أي من وصف المحبوب (وختمناهذه الفصول) أي الكافلة باعتبار كل فصل بابراز ماورد في وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(وأما نظافة جسمه) أي لطافة بدنه (وطيب ريحه) أي الخارج منه (وعرقه) أي وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة تلحق الانسان بسبب حرارة أو غيرها (ونزاهته) أي تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة أي الاوساخ والادناس الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) أي ونزاهته عن عيوب توجد في أجساد الناس مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو ويحرك مأخوذة من العار الذي يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل في عضو منه (فكان قد خصه الله في ذلك) أي ماذكر (بخصائص لم توجد في غيره) الجملة صفة كاشفة لما قبلها

بذلك كما لا يخفى (والاحاديث) الواردة (في بسط صفته) فالجار والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكائنة أو كائنة على أنه حال من المبتدأ أو من فاعل الخبر وفي الظرفية كلام مر والبسط التطويل (مشهورة كثيرة) شهرة لغوية أو عرفية أو اصطلاحية وفي كلام بعضهم وليس المراد بالشهرة مصطلح أهل الاثر فانه غير صحيح بل الشهرة العرفية انتهى وما اشتهر تغني شهرته عن ذكره فلذا قال (فلا نطول) الكتاب والكلام (بسردها) سرد الشيء تعداده متواليا متتابعا مفصلا من سرد الدرع نسج حلقه (وقد اختصرنا) أي أوردنا مختصرا غير مطول (في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم نكت ماجاء فيها) أي في تلك الاحاديث والنكت اللطائف والدقائق الخفية من النكت في الارض كما مر أو المعاني اللطيفة التي تتأثر منها النفس لحسنها (وجملة) بضم فسكون أي مقدارا مجموعا (مما فيه الكفاية) من بيانية أي جملة هي الكفاية أي الكافية أو تبعيضية أي جملة هي بعض الكافي وقيل المراد من جملة أمور يكفي كل منها الا انها جزء الكافي لانه مع ما فيه ينافيه التقييد بالمشيئة الآتي فتدبر (في القصد الى المطلوب) من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول الى ما طلبه في هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم أصاب مرماه أو المراد به الاتيان قال قصد له واليه اذا أتى أو المراد الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضي الى الغرض المطلوب وقوله (ان شاء الله تعالى) وقع في بعض النسخ هنا وليس في أصلنا وهو للتبرك والتيمن أو تعليق للقصد والكفاية (وقد ختمنا) جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون حالا ولا وجه لجعل الماضي بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه في صورة الحاصل تفاؤلا واظهار الرغبة فيه أو جعل مضيه باعتبار عزمه أو كونه في المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر (هذه الفصول) المراد بالفصول فصول هذا الباب (بحديث جامع لذلك) أي لصفات حليته المنتشرة في الاحاديث المشتملة على أكثر أنواعها وأصنافها وان فاته شيء من أفرادها فلا تكلف في الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن آخرها بحسب الظاهر لا يضر لان ما بعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل الفرك (تقف عليه هنالك) وروى هناك وهما للمكان وقد يكونان في آخر الباب أو في زمان الوصول اليه والاول للبعيد والثاني للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر آخر دائر على الاعتبار فلا منافاة بينهما (ان شاء الله تعالى) قيد للوقوف لتوقفه على المشيئة وقول المصنف قبل هذا وقول علي ونحوه تعليق وهو حذف أول السند وقد يسمى مثله معضلا فان اعتقد أن لقائله صحبة فلا كلام فيه والا فينبغي ايراده بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل في كتب ابن الصلاح وغيرها

(فصل) هو رابع الفصول السابق ذكرها (وأما نظافة جسمه) عطف على قوله أما الصورة الى آخره في الفصل الذي قبله أي تفاوته من نظف بالضم ضد قذر (وطيب ريحه) المراد بالريح هنا الرائحة التي تدرك بالشم وروى رائحته وهما بمعنى (وعرقه) بفتحتين وهو ما يترشح من البدن وقد يستعار لغيره كماء الورد المستقطر منه (ونزاهته عن الاقذار) أي بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضمائر للجسم أو لصاحبه المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لما قبله وكالتفسير له (وعورات الجسد) أي البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع عورة وهو كل ما يوجب خللا فيه أو يستر ويستحيي منه مما يشين وينقص ولذا قيل انها مشتقة من العار الذي يذم بسببه يقال عورات الجسد والكلام (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم) الفاء تفصيلية (قد خصه الله تعالى) وفضله وميزه عمن سواه (في ذلك) المذكور (بخصائص) أي فضائل لا توجد في غيره كما أشار اليه بقوله (لم توجد في غيره) من الامم أصلا أو لم توجد في الاكثر وهذه صفة مخصصة أو مبينة مؤكدة

(ثم

(ثم تممها) أى كمل تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) أى بلطائف الآداب الشرعية والخصائص المعنوية التى من جملتها قوله (وخصال الفطرة) وهى أصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لو خلوا وما خلقوا عليه لاهتدوا به كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال أبو بكر بن العربى هى عبارة عن أصل الخلقة فان الانسان يخلق سليما من عشرة أقذار ثم تطرأ عليه ثم أمر بالتنظيف منها أو المراد بالفطرة هى الاسلام والمذكورة فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك أتى بالالف واللام للعهود علما كقوله تعالى اذ هما فى الغار وان لم يتقدم لها ذكر فقد علم ضرورة فالمعنى خصال دينية (العشر) أى خصوصا لما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ابن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء وروى أبو داود نحوه الا أنه قال بدل انتقاص انتضاح وفى رواية انتفاص بفاء وضاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهى عنه وأما اذا طالت زيادة على القبضة فله أخذها هذا وقال المؤلف فى شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة خمس أو خمس أو خمس من الفطرة قلت فاذن تعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمها والله تعالى أعلم

(ثم تممها سبحانه) تنزيه الله تعالى المنزه له واقع فى نحوه والضمير للخصائص (بنظافة الشرع) متعلق بتممها أى تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به مما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة للشرع لابستها له وكونها بسببه فهى لامية قيل المراد أنه جعل بعضا منها فى جبلته بحصوله فيها أو باقتضاء طبعه وعقله مما لم يعطه غيره ثم أمره بما لم تكن كذلك كالطهارات ووفقه لاتباعه على أكمل الوجوه فاتصف بالنظافة الكاملة سواء كان الشرع شرعه أو شرع من قبله ان قلنا باتباعه له مع أنه صار شرعا له وأما ما نسخ فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله أو المراد بالنظافة عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله عليه وسلم شامل لكل ما ينبغى على الوجه الاكمل (وخصال الفطرة العشر) من عطف الخاص على العام والفطرة أصل معناها فى اللغة الطبيعة والجبلة التى خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق ومنه فاطر السموات والارض وأصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوى ووجه ذلك بعضهم بان مرادهم ان فى الكلام مضافا مقدرا أى سنة الفطرة بمعنى الصفة الناشئة عن الفطرة السليمة ورد بانه وقع تفسيرها بها فى صحيح البخارى والقول ما قالت حزام فلا عبرة بمن أنكره من اللغويين كصاحب المغرب أقول السنة الطريقة المألوفة المعتادة والانسان لاسيما الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما يألفون ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما يعتاد مما تقتضيه الطبيعة ملحق بها فلا بعد فى تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير صحيح والجواب المذكور اقناعى لا يجدى نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له رأينا تركه خيرا من ذكره ورده وأول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم وكونها عشرا رواه مسلم فى حديث مرفوع عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب نسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة وروى أبو داود المضمضة والختان بدل من اعفاء اللحية وقال المصنف رحمه الله تعالى المنسى الختان وروى أيضا فى الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود وان السنن كانت تزيد شيأ فشيأ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) انه أمره بعشر خصال ثم عدهن كما مر وأشار بقوله من الفطرة الى انها غير منحصرة فيما ذكر وهذه كلها ظاهرة والسنة المراد بها الطريقة كما مر فيشمل السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر فى حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة وفى حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر الخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة وهو قطع جلدة فى أعلى الفرج على ثقب البول وقطع أدنى شئ منه كاف واستحسن مالك رحمه الله تعالى ختان الصبى من سبع الى عشر وكرهه فى اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له أبو حنيفة رحمه الله زمانا وقص الشارب سنة وقيل حلقه أحسن وتقصير اللحية حسن كما مر وهيئته تحصل بقص ما زاد على القبضة ويؤخذ من طولها أيضا على ما يأتى وأما حلقها

فنهى عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة فى الوضوء وقيل هو سنة الرجال
دون النساء لضعف أسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه ولذا كره للرجال الا فى الخلوة لغير عذر والمضمضة
والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص الماء هو الاستنجاء ويكون واجبا وسنة كما بينه الفقهاء وهو
بالفاء والمهملة أو المعجمة والمذكور فى اللغة انه بالقاف والمهملة واما بالفاء فنضحه على الذكر وقد ورد
الاستنقاص بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجاء قال فى المغرب والقاف والصاد غير المعجمة تصحيف وفيه
ان رواية القاف هى المشهورة وقال الصاغانى انتقاص الماء بالفاء والمهملة رشه على الذكر وقيل
الانتقاص بالقاف تصحيف وأشعر بان ما فى المغرب تضعيف وقص الاظفار وتقليمها سنة وورد النهى
عنه فى يوم الاربعاء وانه يورث البرص وحكى عن بعض العلماء انه فعله فنهى عنه فقال لم يثبت هذا
فلحقه البرص من ساعته فرأى النبى عليه السلام فى منامه فشكى اليه ما أصابه فقال له ألم تسمع نهيى عنه
فقال لم يصح عندى فقال يكفيك انك سمعت ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب ما به فتاب عن مخالفة
ما سمع وغسل البراجم ازالة الوسخ بالماء والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب عقدها
من بطنها وهما بالجيم والموحدة وقال التجانى البراجم مفاصل الاصابع كلها ونتف شعر الابط معلوم
ولا باس بحلقه وحلق العانة وهى ما حول الذكر والفرج واذا قص أظفاره وحلق شعر ابطه وعانته أو
حجم أو افتصد فينبغى دفن ظفره وشعره لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه فلا
باس به ولا يترك السبال وان طال وفى الاحياء اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت
القبضة وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى أى اتركوها على حالها وأصل خلقتها ورجحه
النووى وما ورد من انه عليه السلام كان ياخذ من طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج به
بعضهم فهو مكروه واما المرأة اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغى تغيير
خلقتها * أقول انه صح فى لفظ الانتقاص فى الحديث ثلاث روايات الاولى انتفاض بفاء وضاد معجمة
والثانية انتفاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاض بقاف وضاد معجمة ومعناه الاستنجاء أو رش
الفرج بالماء دفعا للوسواس وروى انتضاح فلا وجه لما فى المغرب وتفصيله فى شرح الحديث واما تقليم
الاظفار وكيفيته وتفصيله فقد أفرده السيوطى رحمه الله تعالى بالتاليف فلا حاجة للتطويل بذكره
كما فى بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار أكثر من أربعين يوما (وقال) ان كان معطوفا على تمم
فالمعنى قال الله لرسوله وان كان مستانفا أو حالا بتقدير قد فالمعنى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ويؤيده انه وقع فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الدين على النظافة) النظافة مصدر نظف وهى
ضد الدنس وفى قوله بنى الدين استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على أعمدة أو أساس
حفظه لاهله وقيل انه تشبيه مضمر أو منوى الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث والخبث
والدنس والمعنوية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بنى عليه فلا
يعارض بنى الاسلام على خمس وقد أورد هذا الحديث فى القوت وفى الاحياء فى كتاب العلم وقال الحافظ
العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضى الله
تعالى عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود رضى الله
تعالى عنهما النظافة تدعو الى الايمان انتهى وفى الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض
حديث ذكره فى كتاب الاستئذان عن سعد بن أبى وقاص أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم وقال انه
حديث غريب فى سنده خالد بن أياس أو أياس وهو ضعيف وقال السيوطى فى تخريجه بعد ما ساق
كلام العراقى * قلت رواه الترمذى عن سعد بن أبى وقاص مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا

أفنيتكم

(وقال) أى النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم
والاولى قال بدون واو
(بنى الدين على النظافة)
أى الطهارة الباطنة
والظاهرة وهذا الحديث
وان قال العراقى فى
تخريج أحاديث الاحياء
لم أجده هكذا بل فى
الضعفاء لابن حبان من
حديث عائشة رضى الله
تعالى عنها تنظفوا فان
الاسلام نظيف وللطبرانى
فى الاوسط بسند ضعيف
من حديث ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه
النظافة تدعو الى الاسلام
انتهى فقد روى الرافعى
فى تاريخه بسنده عن
أبى هريرة رضى الله عنه
بعض حديث مرفوعا
تنظفوا بكل ما استطعتم
فان الله تعالى بنى الاسلام
على النظافة وان يدخل
الجنة الا كل نظيف
وينصره حديث الترمذى
ان الله نظيف يحب
النظافة فنظفوا أفنيتكم

(حدثنا سفيان بن العاص) ... سفيان سمع الباجي وابن عبد البر وغيرهما وأخذ عنه المصنف وأكثر (وغير واحد) أى
كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا أحمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام عليه الصلاة والسلام (حدثنا أبو
العباس الرازى) وهو
ابن بندار الخرسانى
(حدثنا أبو أحمد
الجلودى) بضم الجيم
بلاخلاف ذكره الذهبى
وغيره وقال التلمسانى
بضم الجيم وفتحها
منسوب لجلود قرية
ببغداد وقيل بالشام سكة
نيسابور الدارسة وقيل
بافريقية وقيل كان يبيع
الجلود وكان شيخا صالحا
نيسابوريا ينتحل مذهب
سفيان الثورى (حدثنا
ابن سفيان) أى المروزى
أو النيسابورى (حدثنا
مسلم) أى النيسابورى
صاحب الصحيح روى
عن أحمد بن حنبل وغيره
وعنه الترمذى وابن
خزيمة وأبو عوانة
وغيرهم (حدثنا قتيبة)
هو ابن سعيد الثقفى
البلخى يكنى أبا رجاء
سمع الليث ومالكا
وابن عيينة وغيرهم
(حدثنا جعفر بن
سليمان) الضبعى
سمع ثابتا البنانى ومالك
ابن دينار وروى عنه
ابن المبارك قيل مع
كثرة علمه كان أميا
(عن ثابت) هو ثابت
كاسمه وهو ابن أسلم
البنانى بضم الموحدة روى عن أنس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وأمم وكان رأسا
فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته أعبد منه أخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة

أفنيتكم وروى الرافعى فى تاريخ قذوين بسنده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى وبما ذكرناه من أن الحديث روى من طرق متعددة تجبر ضعفه علم انه خرج من الضعف الى مرتبة الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ما قيل ان الحديث الضعيف لا يؤتى فيه بصيغة الجزم كقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه لانه يقتضى صحته والجزم به فينخرط فى سلك من كذب على وهو تساهل قبيح فينبغى ان يقول قيل أو روى ونحوه من صيغ التمريض وأما اضمار صيغة التمريض أو قصد معناها هنا اعتمادا على القرينة فلا يتاتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة فى أصول الحديث فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق النظيف على الله فى الحديث السابق ولم يذكره أحد فى أسمائه تعالى كما قيل وقع للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا أيضا فلا وجه للاعتراض عليه لتوهم انه الازدواج المذكور فى بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه لا حاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لثبوته هذا الحديث (حدثنا سفيان بن العاصى) سفيان بتثليث السين والعاصى بعين وصاد مهملتين وهو سفيان ابن أحمد بن العاصى بن سفيان بن عيسى أبو بحر الاسدى ولد سنة تسع وثلاثين أو أربعين وأربعمائة وتوفى بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الآخرة وقد جاوز الثمانين سنة أو دونها سنة عشرين وخمسمائة وفيها توفى ابن رشد (وغير واحد) تنبيه على انه رواه عن غيره أيضا (قالوا حدثنا أحمد بن عمر) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت لاربع خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بالمرية (قال حدثنا أبو العباس الرازى) نسبة الى الرى بزيادة زاى معجمة فى النسبة على خلاف القياس كما قالوا مروزى فى النسبة لمرو وهو أحمد بن الحسين بن بندار الخراسانى (قال حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية ببغداد أو الشام أو محلة بنيسابور أو أفريقية أو لبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثورى قاله التلمسانى ولا وهم فيه كما توهم وفى اسمه ونسبه اختلاف لا حاجة لنا به وقال النووى الجلودى بضم الجيم وليس هو منسوبا الى جلود بفتح الجيم قرية وهو قول ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودى بالفتح وان العوام يقولونه بالضم انما قالاه فى المنسوب الى القرية لا فى هذا الجلودى راوى صحيح مسلم وهذا الذى نبهت عليه لا خلاف فيه (قال حدثنا ابن سفيان) هو أبو اسحق ابراهيم بن أحمد ابن سفيان بن محمد المروزى الفقيه الزاهد توفى سنة ثمان وثلثمائة وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قراءة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة أو وجادة (قال حدثنا مسلم) بن الحجاج القشيرى النيسابورى وطنا صاحب الكتاب المشهور الذى تلقته الامة بالقبول وشهرته تغنى عن تفصيل حاله توفى سنة احدى وستين ومائتين (قال حدثنا قتيبة) علم منقول من مصغر القتبة وهى الامعاء وهو قتيبة ابن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفى يكنى أبا رجاء سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفى سنة أربعين ومائتين وولد بلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان وأربعين ومائة (قال حدثنا جعفر بن سليمان) البصرى الضبعى بالضم لنزوله فى بنى ضبيعة الزاهد الامى وهو كما فى التقريب صدوق وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا (عن ثابت) البصرى أبو محمد بن أسلم قال الذهبى وهو ثقة كان من أعبد أهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة

(عن أنس) بن مالك الصحابي السابق ذكره وترجمته رضي الله تعالى عنه (قال ما شممت عنبرا) شممت بكسر الميم وفتحها من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف طاهر بلا كلام وقال الماوردي أكثر العلماء على طهارته وفيه أشعار بان فيه خلافا والاصح انه شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل للبحر ونحله يرعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولاروث دابة بحرية وأجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير مرغوب فيه وفي النسائي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تطيب به (قط) بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة وأصل معناه ما انقطع من الزمان أي مضى ولذا اختص بالماضي المنفي في الاشهر وذكر ابن مالك رحمه الله تعالى انه اكثري وانه سمع في المثبت في عدة أحاديث وأما استعماله في المستقبل فقال في الدرة انه لحن وفيه كلام لنا في شرح الدرة وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر (ولا مسكا) هو طيب معروف وهو في الاصل دم يتجمد عند سرة بعض الظباء في زمن معين بناحية من أقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين أولاهما مضموم بينهما موحدة مشددة بزنة سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كخل الخمر قيل انه خصهما لانهما أشرف الطيب وأشهره وقدم الاعز لاشرفه منهما وعمم بقوله (ولا شيأ) وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى فشمل الشئ غيرهما من كل ذي ريح طيبة مفردا كالورد والنرجس أو مركبا كالغالية وقد يكون المركب أطيب رائحة والمراد ما شممت رائحة عنبر الى آخره مع ان العرب تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا ولذا كانت رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم مس طيبا أولا حتى انه كان اذا مر في بعض ازقة المدينة علم مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به برائحته وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه في موضعين أحدهما كما ذكره المصنف رحمه الله فقال الذي في مسلم عن ثابت رضي الله تعالى عنه ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيأ أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيأ ألين مسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيادة قط في كلام المصنف رحمه الله تعالى بعد العنبر ليست في محلها أو هو رواية بالمعنى اقتصر على أحد الموضعين والعنبر بالنون والموحدة وكونه بياء موحدة ومثناة تحتية وهو اخلاط طيب مخصوصة تصحيف ثم انه قيل انه ترق على حد ما في قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم والمعروف ان يبتدأ بالادنى ثم الاعلى في الاثبات ويعكس في النفي ليكون الكلام مفيدا فيقول أعطيته درهما أو دينارا وما أعطيته دينارا ولا درهما ولو قدم نفي الدرهم علم نفي الدينار بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودي * أقول هذا هو المشهور وهي قاعدة كلية الا ان التحقيق فيها انه ان ذكر في الكلام أدنى وأعلى وقصد اثباتهما في نفسهما من غير اثبات شئ آخر لهما فالامر كما ذكر فان أضيف الى ذلك شئ وقيد آخر فالترقي والتدني بحسبه لا بالنظر لذلك كما في الآية فان المنفي فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد بقطع النظر عن الترتيب الوجودي فان لم ينظر لهما بل أريد بنفيهما التعميم فلك البداءة بايهما شئت فتقول لا صغيرا ولا كبيرا ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله في المثل السائر وبيناه في حواشي القاضي وهذا هو المقصود هنا فان المراد انه لا طيب كطيبه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب الا المسك وعزته وكونه أغلى منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم باللين الامس لا ينافي ما ورد كما سبق من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه أقوى له ولا ينافي ذلك ملامسته فان فسر بغلظ في خشونته فاما ان يخص بهما ولين الملمس في غير ذلك من جسده الشريف أو هذا بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاسفار

اثنان وعشرون وفيهم أنس ابن مالك الثاني هذا وهو المشهور وأنس ابن مالك أبو أمية القشيري وقيل الكعبي وانتقل أنس الى البصرة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال ما شممت) بكسر ثانيه ويفتح (عنبرا) هو شئ لفظه البحر أي رمى به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح وأصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من أرض الهند الا الزعفران والعنبر وأجود العنبر هو المدور الابيض كبيض النعام أو دون ذلك (قط) أي فيما مضى من عمري وهو بفتح قاف وتشديد طاء مهملة مضمومة وتنون وهي للابد الماضي وقد تكسر الطاء ويضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها (ولا مسكا) وأطيب المسك ما خرج من الظباء بعد بلوغ النهاية في النضج وغزلان المسك نوع خاص من الظباء (ولا شيأ) أي آخر من أنواع الطيب

كامر والاول أصح (أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ولامثله ولاقريب منه كامر من ان نفي الافضلية يقصد بها نفي المساواة بطريق الكناية وليس المراد أيضا نفي شمه له بل نفي وجوده فلا يراد ان نفي الشم لايدل على نفي الاطيبية وهو المقصود على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجدان نفي المعلوم والموجود والمراد رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لامدح فيها بل لا يصح ارادة المكتسبة لاوحدها لان المكتسب منه مثله ولامع رائحته الذاتية لان المركب ليس مثل ريحه صلى الله تعالى عليه وسلم فتامل * (تنبيه) * قد عرفت ما اعترض به على المصنف رحمه الله تعالى من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف في جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ماقبله بحيث يختل المعنى كالشرط والاستثناء ومافيه ضمير راجع لمعنى ولم يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية ودقائقها فان علم بذلك جاز على الصحيح وفي جامع الاصول له تفصيل ولعل هذا كله في غير الامثال وماجرى مجراها نحو أخوك البكري ومن اعدى الاول وله تفصيل في ابن الصلاح وشروحه (وعن جابر بن سمرة) بضم الميم وقد تقدمت ترجمته رضي الله تعالى عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) هذا الحديث أخرجه مسلم أيضا واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه لمناسبته للفصل بناء على جواز الاختصار في الحديث كامر وامامسح الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده وكان من عادته صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجوه الاطفال تانيسا لهم وتطييبا لقلوب والديهم وشفقة عليهم فان احضارهم عنده تيمنا وتبركا به صلى الله عليه وسلم مشهور وأول الحديث صليت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا واماانا فسح خدي فوجدت ليده بردا أوريحا كانما أخرجها من جونة عطار كذا في مسلم أوريحا باو بدل الواو والاتي وكثيرا مانوجد بدونها قيل ولعله رواية فيه والتقدير أوقال جابر (قال) أي جابر (فوجدت) أي أحسست (ليده) أي كفه وماقاربها (بردا) وفي صحيح البخاري فاذاهي ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته وانه ليس بعارض لمس ماء ونحوه وقيل انه عند العرب ممدوح لاسيما في الزمن الحار ولا بعد في عده من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ورطوبته والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب وقد فسر قوله تعالى لايذوقون فيها بردا براحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال

تبسمت بالرضى مواعده * فقلت يابردها على كبدي

وفي النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنيئة واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التي كانت صفة لها قبل تقدمها لايقال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة فيكون المعنى ذو الراحة يده كما ان المريض كذلك لانا نقول اللام تعليلية أي وجدت راحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهي اختصاصية (وريحا كانما أخرجها) أي اليد لانها مؤنثة سماعية (من جونة عطار) الجونة بضم الجيم وسكون الهمزة ويقال بواو ساكنة يليها نون وهاء تانيث وهي شبه صندوق صغير مغشى بادم وزند مستديرة يضع فيها العطار عطره واختلفوا هل الواو أصلية تبدل همزة لضم ماقبلها كما قالوا في موسى مؤسى تنزيلا لضم ماقبله منزلة ضمه أو الهمزة أصل أبدلت واوا على القياس كما قرئ يؤمنون ويومنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هي مركبة أو بسيطة خلاف مشهور أي كان ريحها ريح ما أخرج من جونة العطار مضمخا بالعطر والجملة صفة ريح أو مستانفة وعطار للنسبة كجمال لا للمبالغة وهو بائع العطر وهو كل

(أطيب) أي أفيح (من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وتتمته ولامسست قط ديباجا ولاحريرا ولاشيئا ألين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كاترى في مسلم وكذا في الشمائل (وعن جابر بن سمرة) أي فيما رواه مسلم أيضا عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا واماانا فسح خدي فوجدت ليده بردا أوريحا كانما أخرجها من جونة عطار كذا في مسلم أوريحا بالف وكثيرا مانوجد بدونها فلعله رواية فيه وهذا رواه بلفظ (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) أي جانب وجهه مما يلي الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما أخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز أوهمزتها أصلية وقد تبدل لانها تحذف كما قاله الدلجي وهي سفط مغشي بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة

ماطابت رائحته وفى البخارى عن أبى جحيفة رضى الله تعالى عنه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالهاجرة فى الابطح فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة يمر المار من ورائها وقام فجعل الناس يأخذون يده الشريفة فيمسحون بها وجوههم فأخذت بيده الشريفة فوضعتها على وجهى فاذا هى أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك وهذا ظاهر فى ان البرد حقيقى وان برده لمسه الماء ان كانت الواقعتين واحدة أوهو مؤول كما مر ووضع اليد المذكورة من حسن أخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وتواضعه للصغير والكبير وورد فى حديث رواه ابن العماد عن أنس رضى الله تعالى عنه ان ظهور نفحات الطيب منه صلى الله تعالى عليه وسلم ظهر بعد الاسراء وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملأ الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتى وطيب مكتسب من العالم الاقدس لا يفارقه وهو أطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الى من دنيا كم الطيب كما مر ويأتى لان الطيبات للطيبين والزائد قابل للزيادة (وعن غيره) أى روى عن غير جابر بن سمرة وفى نسخة وقال غيره وفى بعضها قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه البيهقى وأبو نعيم بسند فيه ضعف وفى لفظه اختلاف فلذا أبهمه (مسها بطيب أولم يمسها) المس واللمس متقاربان الا أن المس يقال لما معه ادراك بحاسة السمع واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن الطلب ومنه الالتماس وضمير مسها للكف واليد وفيه قلب اذ الظاهر مس بها طيبا أولم يمس وأول الحديث فكان كفه كف عطار ولما كان قوله كانما أخرجها من جونة عطار بمعناه اكتفى به عن سياق أول الحديث فلا خلاف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى أن طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ذاتى والقول بان الكلام فى الخالق فلا حاجة لهذا الغو من الكلام (يصافح) أو يمس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بصفحة يده (المصافح) مفعوله وهو بفتح الفاء اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فانها سنة عند الملاقاة وفى رواية يصافحه المصافح بكسر الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة مفاعلة بمعنى جعل كل من المتصافحين يده على يد الآخر وفى النهاية انها الصاق صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفى معناه قول التلمسانى وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة على قدر ما يقع منه من سلام أو كلام ان عرض واختطاف اليد وتقبيلها وضربها مكروه وقد يشد كل واحد يد صاحبه وقيل لا ينبغى فعله وهى بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من الاشارة الى انه كأنه قدم من غيبة لانه كان عند ربه يناجيه فافهم (فيظل يومه) يظل بفتح الظاء المشالة مضارع ظللت بكسرها وظلات بفتحها ويقال ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب يعبر به عما يفعل بالنهار ويجرى مجرى صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر فى جميع النهار كما قاله الرضى لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمساء أو من الطلوع للغروب فاذا كانت بمعنى صار عمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى الدوام وقوله فى القاموس يظل نهاره يفعل كذا وليله يسمع فى الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لاسيما مع دلالته على الاستغراق (يجد ريحها) أى يجد المصافح من طيب يده واضافة ريحها للعهد أى ريحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (ويضع يده على رأس الصبى فيعرف) مبنى لما لم يسم فاعله (من بين الصبيان بريحها) هذا بعض من حديث طويل رواه أبو نعيم والبيهقى مسندا

(وعن غيره) أى غير جابر ابن سمرة (مسها بطيب أولم يمسها يصافح) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) أى له (فيظل) بفتح ظاء معجمة وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وفى الكلام تجريدا وتأكيدا وقد يجئ بمعنى دام وصار والمعنى فيصير ذلك المصافح له (يومه) أى طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى) أى مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول أى فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد ويضم جمع الصبى (بريحها) أى بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس ذلك الصبى

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين سبط العصب شثن الكفين رحب الراحة سائل الاطراف كأن أصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على رأسه والمخرج رحمه الله تعالى ظن هذا حديثا مستقلا فبيض له وليس المراد بالصبي معينا والمراد بريحها رائحتها التي حصلت بمسه والباء للسببية والمراد انه يعرف بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسه فيتميز من بينهم وفي نسخة لريحها باللام التعليلية والمعنى واحد وفي رواية من ريحها وذلك امافي يومه كما فيؤكد أو انه يستمر مدة طويلة والمضارع في موضع الماضي لنكتته المشهورة ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار أنس) بن مالك الصحابي رضي الله تعالى عنه السابق ذكره (على نطع) بسط له وكان النطع لامه رضي الله تعالى عنها قيل والاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما في صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لو قال دار أم أنس احتمل أن يكون كنية لغيرها فلا تعلم الجائية بالقارورة مع ما في هذا من الدلالة على ان روايه أنس رضي الله تعالى عنه الحديث بغير واسطة (فعرق صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءت أمه) وهي أم سليم بضم السين المهملة والتصغير واسمها سهلة أو غيرها قال النووي رحمه الله تعالى وهي أم أنس بلا خلاف وقول الغزالي وغيره انها جدته غلط بالاتفاق توفيت في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وهي أخت أم حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة بجزيرة قبرس سيدة الشهداء من النساء وهي التي وردت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مشهور وهذا الحديث في صحيح مسلم عن ثابت عن أنس رضي الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا الذي تصنعين يا أم سليم قالت هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وله روايات من وجوه أخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل في بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره في قارورة لها وفي رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله في سك لها وهو بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نطعا من أدم فيقيل عليه عندها وروى في الوفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فأتت فقيل لها هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نائم على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أدم ففتحت عتيدتها وجعلت تنشف ذلك العرق وتعصره وأخذت من عرقه وشعره وجمعته في قارورة فلما حضرت أنسا رضي الله تعالى عنه الوفاة أوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع في سائر الاحاديث العرق فقط وأجيب بانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حلق رأسه بمنى أخذ أبو طلحة رضي الله تعالى عنه شعره وأتى به أم سليم فجعلته في سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما أخذته من العرق للقارورة التي فيها الشعر ثم ان نوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندها وعند أختها أم حرام استشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذي محرم وهو يقتدى بفعله فلا يدفعه كونه معصوما وأجاب ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فاذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام عندهما

(ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما رواه مسلم (في دار أنس على نطع) أي على فراش أمه أم سليم بضم السين ملحان بنت بكسر الميم وقيل بفتحها وأما ما وقع في بعض كتب الشافعية ان أم سليم جدة أنس رضي الله تعالى عنه فخطأ (فعرق) بكسر الراء (فجاءت أمه) أي أم أنس

٣ قوله فقال أي من القيلولة

(بقارورة) أى باناء من زجاج (تجمع فيها عرقه) أى تبركا وتطيبا (فسألها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) أى عن جمعها اياه المستفاد من الفعل (فقالت نجعله فى طيبنا وهو) أى طيبه أو طيبنا باختلاط طيبه (من أطيب الطيب) بل أطيب الطيب وفى رواية نرجو بركته لصبياننا زاد البخارى ٣٥٠ فاوصى أنس أن يجعل منه فى حنوطه قال الدلجى وانما نام على فراشها لانها وأختها أم حرام كما فى اكمال المصنف خالتاه من الرضاعة وأنكر فان صح ففى الحديث جواز الخلوة بمن بينها وبينه محرمية أو النوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس فى الحديث ما يدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم لا يعرف له خلاف وقد ورد لا يخلون رجل بامرأة ثيب الا أن يكون ناكحا أو ذا محرم ثم قوله لعصمته ينافى ما استدل به على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه أن يقول والا أى وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى صحيح مسلم انه كان يدخل بيت أم سليم وينام على فراشها اذا لم تكن فيه فجاءت ذات يوم فنام عليه فأتت فقيل لها هذا النبى نائم على فراشك فجاءت وقد عرق الحديث (وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر) أى ابن عبدالله صحابيان أنصارى آخر من مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفر لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك أعده بيدى يقول أديت عن أبيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) أى من طرق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاء وفتح الباء وبتشديد التاء وكسر الباء وبرفع وينصب أى فتجئ عقبه (أحد

والقول

ويخلو بها أو يقلبان رأسه الشريف وقيل هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لملكه أربه وليس هذا قبل نزول آية الحجاب كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخل بهم الان عنده خادما ونحوه غير مسلم (بقارورة تجمع فيها عرقه) صلى الله تعالى عليه وسلم تقدم الحديث وان أم سليم رضى الله تعالى عنها لم تكن فى بيتها لما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بدل القارورة ففتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة للجمع بتعدد القصة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتاد القيلولة عندها لان العتيدة الصندوق الذى فيه القارورة وهى اناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة أو مستأنفة لا حال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه (فسألها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) كما فى صحيح مسلم انه قال لها ما هذا الذى تصنعين وفى رواية ما هذا وفى أخرى ما تصنعين والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اما حقيقة أو ليظهره لغيرها (فقالت) هذا عرقك (نجعله فى طيبنا) وفى رواية لطيبنا أى نخلطه كما روى اذوف أى أخلط وتقدم رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة أجيب فى كل منها بجواب فان كانت واحدة فهو من تصرف الراوى وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصبت (وهو) أى عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم (من أطيب الطيب) قيل يحتمل أن يكون ذلك من مقولها ويحتمل غير ذلك والواقع الاول ووقع فى مسلم أطيب بدون من وهى أولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه وغيره فظاهر لان خالص عرقه أطيب منه ولا شك فى طيبه وأطيبيته كما مر ما شممت عنبرا ولا مسكا أطيب فليس خلطه بالطيب لتطييبه أو للتبرك فقط كما توهم * فان قلت اذا كان أطيب الطيب فلم خلطا بالطيب * قلت لان ما اجتمع من عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كثيرا يكفى لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا (وذكر البخارى) رحمه الله تعالى امام أهل السنة السابق ذكره (فى تاريخه الكبير) وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث وأحوالهم وليس كغيره من التواريخ كما يتوهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه أيضا الدارمى والبيهقى بالمعنى (عن جابر) بن عبدالله الصحابى رضى الله تعالى عنهما الجليل الانصارى شهد المشاهد الا بدرا واستغفر له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين مرة لما قضى دين أبيه وهو آخر صحابى مات بالمدينة سنة سبعين وشئ وروى ألفا وخمسمائة حديث (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) فى رواية البزار وأبى يعلى بسند جيد عن أنس رضى الله عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من هذه الطريق (فيتبعه) بالرفع (أحد) أى يأتى بعد ذهابه منه لا يمشى تابعا له والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا للطريق كما قيل ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الا عرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهى مؤنثة لشرفها بمروره كما قيل

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا

والمراد علوق تلك الرائحة بالمكان الذى يمر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وهو توهم لا يساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم أو بالتشديد وجوز فيه النصب والمراد انه يمشى بعده بزمان قليل فالفاء للتعقيب

والقول بان الفاء لعدم المهلة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له وقوله أحد فاعل يتبع على حال من الاحوال (الا) على حال انه (عرف انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) أى دخله ومر فيه والضمير للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتأويله كما توهم (من طيبه) أى عرف من طيب الطريق مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به أو من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به الباقية فيه وهذا لا يكون الا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر اسحق بن راهويه) هو أبو يعقوب المروزى الامام الزاهد الثقة المجتهد أمير المؤمنين فى الحديث كما قاله ابن حنبل رحمه الله تعالى وهو الذى أحيى السنة بالمشرق ما سمع شيأ الا حفظه وما حفظ شيأ فنسيه قال كأنى أنظر الى مائة ألف حديث فى كتبى وثلاثين ألف حديث أسردها وراهويه لقب أبيه ابراهيم بن مخلد التميمى الحنظلى لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه الطريق وهو بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة فى المشهور ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو أحب عند المحدثين آخره هاء والتاء خطأ فما فى بعض النسخ من التاء المفتوحة على أنه ممنوع من الصرف خطأ (ان تلك) الرائحة التى كانت تشم منه وتبقى فى الطريق (كانت رائحته) الذاتية المدركة منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بلا طيب يمسه) ويتطيب منه من خارج (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث فما قيل انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولا ينافيه كونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كما مر (وروى المزنى) بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو أبو ابراهيم بن اسمعيل بن يحيى بن اسمعيل المزنى المصرى الزاهد كان مجاب الدعوة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه لو ناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى لست بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى (والحربى) هو فى بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحق الحربى الحنبلى نسبة الى الحربية محلة من بغداد وهى تنسب لحرب بن عبد الله صاحب المنصور مات سنة سبع ومائة (عن جابر) بن عبد الله السابق فقد قيل انه المراد اذا أطلق وهذا مما وقع فى بعض النسخ وكأنه من الحاقه بالاصل (قال أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم) أى أركبنى (خلفه) أى وراء ظهره وهو راكب قال أردفه وردفه ويقال ردفه أعم فعلى ذلك قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم أو تأكيد قال البرهان الحلبى جمع الحفاظ أرداف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغوا نيفا وثلاثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمنى جمع بعضهم من أردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس أو غيره فبلغوا نيفا وأربعين وما ذكره من التآليف لم نقف عليه والذى عدوه ممن أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اردفه فى مرجعه من عرفة على اكاف والصديق رضى الله تعالى عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله تعالى عنه فى قدومه من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبد الله بن جعفر وقثم وعبد الله بن عباس وأخواه عبد الله والفضل فى نزوله من مزدلفة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما ومعاوية ومعاذ بن جبل على حمار عفير وأبو ذر وزيد بن حارثة وثابت بن الضحاك والشريد بن سويد وسلمة بن الاكوع وزيد بن سهل وسهيل بن بيضاء وعلى بن العاصى وعبد الله بن الزبير وغلام من بنى عبد المطلب واسامة بن عمير وصفية بنت حيى وابو الدرداء وأمية الغفارى وابو قاسم وأبو هريرة وقيس بن سعد وخوات بن جبير وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق فى الاسراء والعباس وصفية الجهنية وعقبة بن عامر وآخرون لعل

الاعرف) أى ذلك الاحد (أنه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) أى دخل ذلك الطريق ومر به (من طيبه) متعلق بعرف أى من أجل طيبه وبسببه وروى البزار وأبو يعلى بسند جيد عن أنس رضى الله تعالى عنه كان اذا مر فى الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهويه) بضم هاء ثم فتح ياء على الصحيح وهو مروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اى الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفى نسخة ان تلك رائحته أى فى أصل خلقته (بلا طيب) يمسه أى من غير استعمال طيب فى ثوبه أو بدنه وروى ابن أبى بكر فى سيرته أن أم سلمة وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (وروى المزنى) بضم ميم وفتح زاى فنون وياء نسبة مصرى كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا قال الشافعى رحمه الله فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعى وهو مدفون بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى وفى نسخة صحيحة (والحربى) وهو بحاء مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم بن اسحق حنبلى المذهب أصله من مرو ونسب الى الحربية وهى محلة معروفة ببغداد وهى تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر قال أردفنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أركبنى (خلفه) الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال أردفنى فاردفنى

النبوة بقتضى لذكرهم على التفصيل (فالتقمت خاتم النبوة بفمي) الالتقام أخذ الشيء وجعله في فيه سواء ابتلعه أم لا والابتلاع والاسترداد بمعنى ولذا سمي الطريق مرطا ولقما كأنه يبتلع السابلة وخاتم بفتح التاء وكسرها وسيأتي تفصيله وقوله بفمي تأكيد لدفع توهم المجاز لانه يقال ألقم كفه ركبته وفي العبارة ما يقتضي أن خاتم النبوة كان ذا نتوء مرتفعا حتى تمكن من التقامه وهو بين كتفيه وفيه روايات فقيل كان كأثر المحجم وقيل كبيضة الحمامة أو التفاحة أو الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه وقيل كركبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروي عن أبي سعيد الخدري انه بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف سبابته على مفصل ابهامه أو دونه بقليل وأما على رواية انه شامة خضراء محتفرة في اللحم ان صحت فالتقامه مجاز عن اخفائه بوضع فمه عليه وزر الحجلة بيضة طائر معروف وقيل ان الحجلة خيمة السرير التي تسميها العامة الناموسية وزرها ما يدخل في عروتها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي له ببيضة الطائر وهم وقال التجاني انما هو على هذا رز بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه رز الجراد لبيضه وكان الخطابي الذي فسره به وجده في رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عيني الفرس لا وجه له فان كان مجازا عن التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لهذا الفاتح الخاتم هل هو من ابتداء خلقه أو بعد ما ولد أو بعد ما نبئ وروى ابن أبي الدنيا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي واستيقنت قال يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالارض والآخر بين السماء والارض فأخرج قلبي وأزال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما وخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولياعني فكأني أعاين الامر معاينة وفيه بيان لوقت الوضع وكيفيته الا أنه قيل ان قوله ببطحاء مكة وهم من الراوي لان ذلك كان في بني سعد وهو مع حليمة كما سيأتي وقول المصنف انه أثر الشق بين كتفين موافق لهذا الحديث سواء قرئ أثر بفتحتين أو بكسر فسكون أما على الثاني فظاهر وأما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل أثرا له فقول النووي رحمه الله تعالى انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال القرطبي وأثره انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيحين ولم يثبت قط انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه في محاذاة صدره قال فهذا غفلة منه انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري وذكر أنه مروي من طرق أخر فالوهم انما هو في فهم كلامه قال وهذا أصح ما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم انه مختص به صلى الله عليه وسلم وفي كتاب القيافة انه موجود في كل نبي وانه من علامات النبوة وكان أهل الكتاب يعرفونه صلى الله عليه وسلم به وقال البرهان الحلبي لا استحضر فيه شيئا والذي يظهر انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم لانه اشارة الى انه خاتم النبيين وما رواه ابن حبان من أنه كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة وقيل انه شامة سوداء أو خضراء مكتوب عليها محمد رسول الله أو سر فانت المنصور أو الله وحده لا شريك له ونحوه ولم يثبت فيه ما يعتمد به وفي رواية كسلعة أو غدة أو بندقة عند غضروف كتفه اليسرى ورفع عند موته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما وضع هناك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقد رآه بعضهم في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة أدخله في منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا ذكر الله خنس وقوله (وكان ينم على مسكا) اسم كان المستتر ضمير الخاتم وينم من قولهم نمت الريح اذا جلبت الرائحة قال البرهان رحمه الله تعالى وهو مستعار من النميمة ومنه سمي الريحان نماما الطيب رائحته وهي استعارة لطيفة شائعة وقد استعير نمام للريحان ثم للعذار كما قال بعض المولدين

لا افتضاحي في عوارضه * سبب والناس نيام

(فالتقمت خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها يقال لقمه والتقمه أي أدخله في فمه كاللقمة والمراد بخاتم النبوة الذي كان كالتفاحة أو بيضة الحمامة أو كزر الحجلة بين كتفيه وقد أوضحته في شرح الشمائل (بفمي) في نسخة بفي بكسر الفاء وتشديد الياء وذكره من باب التأكيد كقولهم رأيت بعيني وسمعت باذني (فكان) أي الخاتم (ينم) بكسر النون وتضم بتشديد الميم أي يجلب الريح ويفوح (على مسكا) أي ريح مسك أو كمسك ومنه النميمة والطيب نمام أي يفوح وان لم يرد صاحبه ذلك والزجاج كذلك لان المرآة ترى للانسان ما فيه من حسن أو قبيح ولا تستر شيئا وفي المثل أنم من الزجاج وفي رواية يثج بضم مثلثة وقد تكسر أي يسيل تشبيها له بثج دماء الهدى أي سيلانها بسرعة ومعناه ههنا يفوح وتسطع رائحته بكثرة هذا وقد جمع بعضهم من أردفه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا

(وقد حكى بعض المعتنين) اسم فاعل من الاعتناء أى المهتمين (باخباره وشمائله) أى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا أراد أن يتغوط) أى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثقل الطعام من المحل المعتاد ويطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالياء الموحدة بدل الفاء أى ظهرت (لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ٣٥٣ وقال انه موضوع كما سيأتى (وأسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن أبى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله تأليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه يروى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمأمون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) أى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيئا) ويروى فلا يرى منك شئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره ويغتم به (فقال يا عائشة أوما) أى أجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع) وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول الله أراك تدخل الخلاء ثم يجىء الرجل يدخل بعدك فما يرى لما خرج منك أثرا فقال اما علمت ان الله أمر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء (وهذا الحديث) أى الذى أسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) أى معروفا بين المحدثين وليس المراد به المشهور المصطلح عندهم نعم قال ابن دحية بعدان أورده هذا اسنده ثابت قيل وهو أقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح باسمهما

كيف يخفى ما أكابده * والذى أهواه نمام

وينم روى بضم النون وكسرها وعن المزى رحمه الله الكسر فى اللازم والضم فى المتعدى وفى القاموس نم المسك سطع والمتعدى بمعنى ينقل أو يحكى واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال محول عن المفعول فقد وهم وروى ينج بضم المثلثة لا بالفتح كما قيل وتشديد الجيم وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم أو للفم أو تندفع رائحته مرة بعد مرة من ثج الماء وهو خروجه متدفقا بسرعة قال التجانى وفى بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم أى يسيل والذى فى الصحاح انه بالضم لا غير فانه متعد من الثج بمعنى التسييل أى كانه يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييزا أو مفعول به (وقد حكى بعض المعتنين باخباره) أى المهتمين بنقل أخباره وأحواله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشمائله) أخلاقه وصفاته اعتناء تتبع وعلم واعلام وهو البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا أراد أن يتغوط) أى ياتى الغائط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم فى البراز لانه استر قال الله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط ثم كنى به عما يقع فيه ومنه الغائط للبستان ويقال غيط للفرق بينه وبين غيره (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك) المذكور من البول والغائط (رائحة طيبة) وهذا الحديث رواه البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع وسنبينه لك (وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدى) الامام الكبير الحافظ الثقة وهو أبو عبد الله محمد مولى بنى هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومائتين والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق مات فى ذى الحجة سنة احدى عشرة ومائتين (فى هذا) أى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه صلى الله تعالى عليه وسلم ويفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتى الخلاء) بالمد أى المكان الخالى البعيد عن البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض فيها ياتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا اسما للبناء المعد لذلك (فلا نرى منك شيئا من الاذى) بالذال المعجمة والقصر أصله ما يضر ثم أريد به هنا ما من شانه أن يكره فالمراد به هنا الغائط (فقال لها يا عائشة أوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يرى منه شئ) تبتلع تفتعل من البلع فى النسخة التى عندنا وضبطه التلمسانى تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم وأصل البلع ادخال الطعام والشراب فى الحنجرة والمرى فاستعير لمطلق الاخفاء كما فى قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك وقوله فلا يرى منه شئ تفسير للمراد من البلع وتاكيد أو بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم واخفاؤه مع طيبه وعدم استقذاره قيل لانه لعدم الانكار بمحله الخارج منه أو لتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغى ستره لانه من المروة أو لانه يخشى من أخذ الناس له (وهذا الحديث) وفى نسخة الخبر (وان لم يكن مشهورا) قال ابن دحية سنده ثابت وهو أقوى ما فى هذا الباب فاذا نفى المصنف عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفى الشهرة نفى الصحة (فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو قول بعض أصحاب الشافعي) المراد بالحديثين الخارجين كناية للعذر من ذكر ما يستهجن وظاهر ان القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين فكانه من وصفهما بالطيب وأما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما في الخصائص للحصيري وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله كما قال الرافعي في كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجهان فقيل لا لان أبا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليه وأم أيمن شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليها وقال اذن لا تلج النار بطنك وروى شرب علي كرم الله وجهه وابن الزبير رضي الله تعالى عنهما دمه وقال معظم الاصحاب حكمهما امنة صلى الله تعالى عليه وسلم كحكم غيره وحمل الاخبار على التداوي وروى انه قال للحجام لا تعد فان الدم كله حرام أي على ما يأتي وقال النووي رحمه الله تعالى حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف في الاحتجاج اذ لم ينكر عليها ولا أمرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتأخرين وجواب التداوي يرده ان يجعل الله تعالى شفاء أمتي فيما حرم عليها والسر فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف في طهارة شعره والاحاديث في هذا الباب كشرب ابن الزبير دمه وشرب أم أيمن بوله الذي كان في قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه بالليل كثيرة * فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له أثر * قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملائكة فلا يليق أن يمس باطنه وظاهره شيء من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما للعبادة ربه وتادبا الا ترى الى قول القائل

من عظم الناس عظموه * وفاز بالعز والرئاسة
ومزدريهم لو كان مسكا * لقيل في أصله نجاسة

وأما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا أخبره ثقة بنفعه ولم يجد دواء غيره وقيل انه لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها وقيل انه لا باس به لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله تعالى اذا حرم شيئا أبطل نفعه وكون علي كرم الله وجهه شرب دمه لم يثبت كما أشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله

غريبة فضلة سيد البشر * طاهرة على خلاف انتشر
وابن الزبير بدم الهادي البشير * نال الذي رام كما له أشير
وهو الذي خص ببول الناس * وهو بويله من الابلاس
في مسند البزاز ثم البيهقي * والطبراني رواه فثق
والدارقطني وقول ابن الصلاح * ليس له أصل ينفي في الاصطلاح
وأم أيمن استزادت شرفا * اذ شربت بول النبي المصطفى
وسقيت اذ هاجرت للسنة * ماء رويا من شراب الجنة
فبعده ما مس جوفها ظما * ولم تذق الى الممات ألماء
صححه الحاكم والمروى في * شرب علي دمه لم يعرف
وابن الصلاح قال في شرب أبي * طيبة انه ضعيف السبب
قال ابن سبع ويقينا كانت * تبلعها الارض ومنها ازدانت
ولم تبل من تحته بهيمه * ولم تر الدهر به سقيمه

وهذه فائدة تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو صلى الله تعالى عليه وسلم راكب عليها ولم تسقم

(وهو قول بعض أصحاب الشافعي رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد في المذهب خلافه كما ذكره الدلجي وقال أبو بكر بن العربي بول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه طاهر ان وهو أحد قولي الشافعي وقال النووي في الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على أحد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا أن يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث نعم قال البغوي بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجي وقرره وفيه نظر أيضا من جهة عدم لزومه اذ وقع الاستشفاء ببول الابل والجمهور ومنهم القائل به على نجاسته

(حكاه) أى القول بطهارتهما (الامام أبو نصر ابن الصباغ) بالباء الموحدة المشددة (فى شامله) هو بغدادى شافعى المذهب له تآليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) أى فى كونهما طاهرين أو نجسين (أبو بكر) وفى رواية أبو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج مالم يقع لهم) أى للمالكية (منها) أى من الفروع التى هى (على مذهبهم) أى ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع كما أشار اليه التلمسانى وصرح به الانطاكى وأبعد الدلجى وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج فى اصطلاحهم ان ينص الشافعى على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه فى كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ قد منع فى الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك الى هذه وتجويزه فى هذه الى تلك فصار فى كل قولان منصوص عليهما او مخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى (وشاهد هذا) أى دليل هذا القول على طهارة ماذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجى بنحو حجر ومدر وأيضا انه لو كان الخارجان منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى نواقض الوضوء كالامة الا ما صح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام عيناه ولا ينام قلبه كما سياتى (ومنه) أى ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) أى فيما رواه ابن ماجه وأبو داود فى مراسيله انه قال (غسلت النبى عليه الصلاة والسلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو أظهر (فذهبت) أى شرعت وقصدت (انظر ما يكون من الميت) أى من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه أو حين غسله (فلم أجد شيئا) أى منها خرج منه

دابة ركبها فى حياته ثم وقع فى فقه الشافعية أيضا ان حكم جميع فضلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك طاهرة لحديث عائشة رضى الله عنها بذلك وفى بعض نسخ الشفاء هنا (حكاه الامام أبو نصر بن الصباغ فى شامله) وهو الامام البحر أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر الصباغ الذى انتهت اليه رئاسة الشافعية فى عصره وكان ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشمائل فى الفقه لم يؤلف فيه مثله وهو أول من درس بالمدرسة النظامية التى بناها نظام الملك للشيخ أبى اسحق رحمه الله تعالى فامتنع وأبى أن يخرج من مسجده فلما ألحوا عليه اذن لابى نصر هذا فى التدريس بها وتوفى أبو نصر رابع جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة بعد ما كف بصره (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) أى فى فضلات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمها فى الطهارة وضدها وقيل قوله العلماء شامل للحنفية وغيرهم (أبو بكر بن سابق المالكى) أى العالم المقلد لمذهب الامام مالك وسابق بباء موحدة وقاف قال البرهان وفى بعض النسخ مصححا أبو بكر وهو أبو الحسن محمد بن سابق الصقلى المالكى المذهب لا النسب (فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج مالم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية) يعنى انه ألف كتابه المسمى بالبديع فى فروع فقهية لم يذكرها علماء المالكية فخرجها على حكم ما ذكره الشافعية فيها التصريح بحكمها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر فى دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبى ويقع مثله لغيرهم من الفقهاء أيضا والتخريج فى اصطلاح الفقهاء أن ينص صاحب المذهب على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون نصه فى كل صورة الى الأخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ منع فى الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوز فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك لهذه وتجويزه فى هذه لتلك فصار فى كل قولان منصوص ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى والتخريج عند المحدثين أن يجد حديثا فى كتاب فينقله مسندا مبينا حاله فى الصحة وضدها أو غير مسند (وشاهد هذا) أى دليل القول بالطهارة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) أى فان النجاسة للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلى مؤيد لنظر أهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس ومن النجس ما هو غير مستقذر (ومنه) أى من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن ماجة وأبو داود فى مراسيله (غسلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتشديد السين لانه المستعمل فى الميت ويخفف فى غيره كالثياب (فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا) ذهب هنا من أفعال المقاربة أى جعلت أنظر ومثله

كثير فى كلامهم فالقول بانه بمعنى أردت أستعير الذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى لان قوله فلم أجد لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعنى يوجد ومايوجد من الميت تغير رائحة وخروج فضلات وهذا من أعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته يومين فلم يتغير منه شئ ما وهذا مما يستأنس به لانه طيبه يدل على طيب مايحصل منه * وكل اناء بالذى فيه يرشح * وليس برهانا ءقايا كما يرشد لك اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل على مانحن فيه من طهارة الفضلات ويأتى قريبا ان الذى غسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على والعباس وابنه أى الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء وغسلوه وأعينهم معصوبة تأدبا ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايرى أحد عورتى الاطمست عيناه كما سيأتى وروت عائشة رضى الله تعالى عنها انهم ترددوا فى تجريده للغسل فسمعوا قائلا لم يروا شخصه يقول لاتجردوا نبيكم من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية بماء وسدر والثالثة بماء وكافور وانما قال على رضى الله عنه فذهبت انظر بناء على العادة وتأخير دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم انه لم يمت (فقلت طبت) بفتح تاء الخطاب (حيا وميتا) والمخاطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عادتهم فى مخاطبة الاموات عند التوجع والثناء (٢) كما ورد فى المراثى أو لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع فى قبره من يصلى عليه كما سيأتى (قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط) أى ظهرت وارتفعت وأصل السطوع فى النور فاستعمل فى مطلق الظهور وروى ابن بكير فى سيرته ان أم سلمة رضى الله تعالى عنها وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (ومثله) أى مثل قول على رضى الله عنه هذا (قال أبو بكر الصديق) رضى الله تعالى عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) اشارة الى مافى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما نعى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون وقد تسكن ثم حاء مهملة بعوالى المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوى جاء فدخل المسجد ولم يكلم أحدا حتى دخل بيت عائشة رضى الله تعالى عنها والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه الشريف وأكب عليه يقبله وهو يبكى ويقول بابى أنت وأمى يانبى الله لايجمع الله عليك موتتين اما الموتة التى كتبت عليك فقد ذقتها فسل عمر رضى الله عنه سيفه وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم مات ويقول انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث أربعين ليلة ثم رجع وانى والله لارجو أن يرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى ويقطع أيدى رجال وأرجلهم وفى رواية ان الصديق لما كشف عن وجهه بكى وقال بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خبل ومنهم من أخرس ومنهم من أقعد فلما خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه قال لعمر أيها الحالف على رسلك فجاس فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه وتعالى حى لايموت وقد قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون وروى انه لما قبل وجهه وقال طبت حيا وميتا زاد وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يامحمد عند ربك عز وجل ولنكن من بالك وجعل يقول وهو يبكى واخليلاه واصفياه وانبياه وتقدمت الاشارة لشئ من ذلك فى الفصل السابع (ومنه) أى من الشواهد على

(فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال أو على نزع الخافض أى فى الحياة والممات أو على التمييز ذكره التلمسانى ولايخفى بعدما عدا الاول فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم أنت ترى ان هذا الحديث لايصلح أن يكون شاهدا كما لايخفى وقد روى عن على كرم الله تعالى وجهه انه حين غسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بطنه فلم يجد شيئا فقال طبت حيا وميتا وفى رواية فاح ريح المسك فى البيت لما فى بطنه قيل وانتشر فى المدينة (قال) أى على (وسطعت) أى ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) أى ومثل قول على طبت حيا وميتا (قال أبو بكر) رضى الله تعالى عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر فى البخارى (ومنه) أى ومن الشاهد

٢ والتام نسخه

ماذكر مارواه البيهقي والطبراني في معجمه الاوسط عن أبي سعيد الخدري والاول دليل عقلي وهذا نقلي (شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه اياه) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الابجر بوحدة وجيم وهو أبو أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما وقد تقدم الكلام على ترجمتهما ونسبهما وهو من كبار الصحابة قتل شهيدا يوم أحد رضي الله تعالى عنه وأحد بضمتين اسم جبل وقعت فيه الواقعة العظيمة بعد قدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من نجران وقد غزاه كفار قريش في شوال سنة ثلاث وقدموا بنسائهم وحلفائهم وقصدوا المدينة فنزلوا قرب أحد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة فرآى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه أن في سيفه ثلمة وأن بقرا له تذبح وانه أدخل يده في درع له حصينة فتاولها بان رجالا من أصحابه يقتلون وان رجلا من أهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة هي المدينة ورؤيا الانبياء وحي فاشار على أصحابه ان لا يخرجوا من المدينة ويتحصنوا بها فان قربوا منها قوتلوا ووافقه على رأيه عبد الله بن أبي بن سلول وأبى كثير من الانصار الا الخروج ليكرم الله من شاء بالشهادة فلما رآى صلى الله تعالى عليه وسلم عزيمتهم دخل بيته يوم الجمعة ولبس لامته وخرج فقال قوم من ألح في الخروج ان شئت فارجع فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج في ألف من أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه على الصلاة بمن بقي بالمدينة فلما سار صلى الله تعالى عليه وسلم الى القوم انصرف عنه ابن أبي بثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه فنهض صلى الله تعالى عليه وسلم لما عزم عليه وذكر له قوم من الانصار الاستعانة بحلفائهم من اليهود فابى وسلك على حرة بني حارثة وشق أموالهم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس ان يقاتلوا حتى يأمرهم وسرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين بقناة وتعبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للقتال في سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس وقيل كان في المسلمين خمسون فارسا ورماة المسلمين خمسين رجلا أمر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه وهو معلم بثياب بيض فرتبهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلف الجيش وأمرهم ان ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء لمصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه أخي بني عبد الدار وأجاز سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج بالخروج وكان سن كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا وجماعة ورد من لم يبلغ وقيل الاجازة استحقاق السهمين والرد عدم ذلك وجعلت قريش على ميمنتهم في الجبل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل وأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه الى أبي دجانة وكان شجاعا يختال في الحرب وكان أبو عامر المعروف بالراهب وسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الفاسق سيدا في الاوس تنسك وترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام غلب عليه الشقاء ففر عن المدينة لبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى مكة في جماعة من الاوس وشهد يوم أحد مع الكفار ووعدهم بانحراف قومه اليه فكان أول من خرج في عبدان أهل مكة والاحابيش فلما نادى قومه وعرفهم بنفسه قالوا له لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قال لما التقى الجمعان قاتل المسلمون قتالا شديدا وأبلى يومئذ علي وحمزة وأبو دجانة وأبو طلحة رضي الله تعالى عنهم بلاء حسنا وكذا جماعة وأصيب منهم مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا شديدا ببصائر ثابتة فانهزمت قريش واستمرت الهزيمة عليهم فلما رأى ذلك الرماة قالوا قد هزم الله تعالى أعداء الله فالنا ههنا قاعدون فذكرهم ابن جبير أميرهم رضي الله تعالى عنه أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ان لا يزولوا من مواضعهم فلم يلتفتوا لقوله وقالوا قد انهزموا وقاموا فتولى المسلمون وقد كر المشركون عليهم

(شرب مالك بن سنان) بكسر السين المهملة وأما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) أي دم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد ومصه اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه أخذه من الجرح بفيه أو شربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروي اذ ذاك مرفوعا من مس دمه دمي لم تصبه النار

ففروا وثبت من أكرمه الله بالشهادة وانما خالفوا الظنهم الامر مقيدا ببقاء العدو فاذا انهزموا سقط الخطاب فغلطوا فى التاويل فوصلوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهزمين وقاتل دونه مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه حتى قتل وجرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة برأسه وكان الذى تولى ذلك عمرو بن قمية الليثى وعتبة بن أبى وقاص وقد قيل ان عبد الله بن شهاب هو الذى شجه وا كب الحجارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين سقط فى حفرة كان أبو عامر الراهب حفرها مكيدة للمسلمين نخر عليه الصلاة والسلام على جنبه فاخذ على كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدم علاجا ومداواة له حتى لا يختم الجرح قبل التصفية من الدم ولذا لم يقل له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لابن الزبير حين شرب دمه كما ياتى وتشبثت حلقتان من درع المغفر فى وجهه الشريف فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وعض عليهما بثنيتيه فسقطتا وكان أهتم يزينه هتمه وقد اختلف فى هذا هل كان قبل الوعد من العصمة أو بعدها والعصمة انما هى عصمة النفس من القتل لا الجرح ونحوه وبقى له ثوابها والتاسى به فيها وقد تقدم ما فى ذلك وأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية حين قتل مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه عليا كرم الله وجهه فاخذ على كرم الله تعالى وجهه وصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت راية الانصار وقتل صاحب لواء المشركين فسقط لواؤهم فرفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكر دونه نفر من الانصار سبعة أو عشرة فقتلوا كلهم وأصيبت عين قتادة رضى الله تعالى عنه فسالت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى محلها فكانت أجمل عينيه وأصحهما ولذا قال بعض ولده لعمر بن عبد العزيز لما قدم عليه وقال له من أنت فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ماعين وياحسن مارد

فقال عمر * تلك المكارم لا قعبان من لبن * وأحسن جائزته وانتهى أنس بن النضر الى جماعة من الصحابة وقد ألقوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه وأول من ميز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الجرله كعب بن مالك الشاعر فنادى باعلى صوته يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشار اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أنصت الناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا معه نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم فلما أسند فى الشعب أدركه أبى بن خلف فتناول صلى الله تعالى عليه وسلم حربة الحارث بن الصمة وطعنه بها فى عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصة أحد مفصلة فى السير بابسط من هذا وما يتعلق بابى بن خلف سياتى الكلام عليه مطولا فى كلام المصنف رحمه الله تعالى فى قوله فصل وأما الشجاعة الى آخره وأشار بقوله شربه ومصه الى انه كان بقيض أولا فاذا جعل أخذه بفيه وابتلاعه اياه شربا بالماقل وجعل يجذب ماقل منه بالمشقة لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد المهملة أخذ المائع القليل بجذب النفس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مس دمه دمى لم يخالطه ذنب وهكذا من مازج بدنه شيا منه وكان فيه اشارة الى انه يستشهد وقد كان كذلك وقد علمت ان هذا رواه البيهقى والطبرانى فى الاوسط وكذا أصحاب السير وضمير اياه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووجه دلالته على ما قاله المصنف ان الدم غير طاهر من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلو كان دمه الشريف غير طاهر لنهاه عن ازدراده الا انه لا يدل على طهارة بقية الفضلات منه قياسا لفرق الماوردى رحمه الله تعالى بين الدم

والشعر وغيرهما بأنهما من اجزاء بدنه بخلافهما وقوله (وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) أى شرب دمه ومصه (له) أى لمالك بن سنان رضى الله عنه وتسويغه بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه له من غير انكار ومدحه له وهو مستعار من ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه لبنا خالصا سائغا للشاربين والتعبير به هنا فى غاية الحسن والتورية لما فيه الشرب (وقوله) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك (ان تصيبه النار) كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفى رواية من سره ان ينظر الى من خالط دمه دمى فلينظر الى مالك ابن سنان (ومنه شرب عبد الله بن الزبير) بضم الزاى والتصغير (رضى الله عنهما دم حجامته) قال البرهان الحلبى هذا الحديث رواه البزار والحاكم والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى من طرق يقوى بعضها بعضا والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث لم أجد له أصلا وهو مذكور فى هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لما ولدته أمه ونظر اليه هو فكفت أمه عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالمغيبات فانه بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما استخلف سنة أربع أو خمس وستين بعد وفاة معاوية رضى الله تعالى عنه فحاصره بعد ذلك الحجاج عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو أحد العبادلة الامام الزاهد العابد الشجاع ابن الشجاع وهو أول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبى صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه فخالط ريقه ريقه وله رضى الله تعالى عنه من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان أمه اسماء رضى الله تعالى عنها ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق وأبوه الزبير رضى الله عنهما احد العشرة سيف الله وجدته صفية رضى الله عنها بنت عبد المطلب وعمته خديجة أم المؤمنين وخالته عائشة رضى الله عنها وجده لامه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان صواما قواما لا ينام ليله وكان أطلس لا لحية له وقوله (فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل للناس منك) بيان لما تسبب عن شرب ذلك الدم وويل للتحسر والتألم من الامر قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلما له وويل للناس منه لما أصاب الناس من خروجه لطلب الخلافة لامن المدينة لمكة ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله ناشئا عن شرب دمه فانه بضعة من النبوية نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن ان ينقاد لغيره ممن لا يستحق الامارة فضلا عن الخلافة وما قيل انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة فيه بواسطة شربه الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح مما لا ينبغى ذكره وسقوطه مغن عن رده وسيأتى تحقيقه ودمه صلى الله تعالى عليه وسلم مما تغذى قطراته بالارواح ولله در القائل

يجرى العلاقى عرقه جرى الندا * فى عوده فهو اللباب صفاء
لو يقدر الاحرار حين أرقته * جعلوا له حب القلوب وعاء
أو بيعوا قطراته معدودة * اعطوا به مهج النفوس شراء
واستخصوا فى سعرها ان يبذلوا * عن كل واحدة جرت حوباء

وقد شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أربعة رجال أبو طيبة واسمه دينار أو نافع وسالم بن أبى الحجام وهو الذى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة كما رواه البيهقى وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجده

(وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تجويزه (ذلك له وقوله له لن تصيبه النار) رواه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى عن أبيه مالك ابن سنان قتل يوم أحد وهو جبل معروف يخفف ويثقل وقيل يخفف ذكره التلمسانى والتشديد فيه غريب ورواه البيهقى عن عمر بن السائب ثم فى الحديث قد يقال ان الضرورات تبيح المحظورات (ومثله) وفى أصل الدلجى ومنه أى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح أنه قال هذا حديث لم أجد له أصلا بالكلية وهو فى هذه الاصول (شرب عبد الله ابن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك

ولم ينكره عليه) وفيه ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذ لم يطلع على شربه حال فعله مع ان فى قوله ويل لك من الناس وويل لهم منك نوع نكير عليه اذ الويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش كبس بين ذئاب فى ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات اذ قد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية أطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعد على المدينة نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى مكة حتى أرسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت فى تلك الحجة فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل فى نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة وأيام على ما ذكره الدلجى وروى الشعبى قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشكموه فاعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعنى الدم قال فتوارى

ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار أولا تمسه النار قال الشعبى فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم قال اما الطعم فطعم العسل واما الرائحة فرائحة المسك أقول فهذا من باب قلب الاعيان الذى عد من معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ما ذكره التلمسانى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وذكرت انها لا تجد فى الخلاء شيئا فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على أرواح الجنة فما خرج منها من شئ ابتلعته الارض ولكن رواه البيهقى فى الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغى ذكره لمثله فى الاحاديث الصحيحة المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروى ان رجلا قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبعد فى المذهب فلما خرج نظرت فلم أر شيأ ورأيت فى ذلك الموضع الثلاثة الاحجار اللاتى استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن يفوح منهن روائح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد أخذتهن فى كمى فتغلب رائحتهن روائح من تطيب وتعطر (وقد روى نحو من هذا عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) أى من غير علم بانه بول كما سيأتى (فقال لها لن تشتكى) باسكان الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك أبدا) وفى رواية لن تلج النار بطنك والحديث رواه الحاكم وأقره الذهبى والدارقطنى (ولم يأمر واحدا منهم) أى أحدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال على النساء (بغسل فم) لا دلالة فى الاحاديث على الامر ولا على عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم من قبيل المعلوم بالضرورة وعلى تسليم عدم الامر لا يثبت طهارته لاحتمال الذهول أو للاعتماد على الطهور الا أن يثبت انه رأى احدا منهم يصلى من غير غسل فم مثلا وسكت عليه وأقره كما هو مقرر عند أرباب الاصول

لغيره وقدم ذلك (ولم ينكر عليه) هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم عليه دليل على جوازه وطهارته قال السخاوى سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ومالك بن سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لمالك لا تمسك النار ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب بان ابن الزبير رضى الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاغتذاء وقوة جذب المحجمة تجلبه من سائر العروق أو كثير منها فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبى صلى الله عليه وسلم فتورد به غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم فيحصل له ما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمته أى الناشئة من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له لقتله وانتهاك حرمته وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيههم واما مالك رضى الله تعالى عنه فازدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقل من دم الحجامة وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه يستشهد فى ذلك اليوم فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به فاعلمه بالاهم له بعناية لقاه من انواع مسرات الجنان انتهى ولا عطر بعد عروس (وقد روى نحو من هذا) المذكور فى شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) صلى الله عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) سيأتى بيان هذه المرأة (فقال لها لن تشتكى وجع بطنك) أى لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل فى جوفها فعبر بنفى الشكاية عن نفى لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح (أبدا) وفى رواية بعدها (ولم يأمر واحدا منهم) أى ممن شرب دمه وممن مصه وممن شرب بوله (بغسل فه) ولو كان نجسا لامر به ونهاه عن عوده

(ولانهاه) أى الاحد (عن عوده) أى عن عود شرب بوله وفيه أنه لايحتاج الى النهى عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل عن العمد من غير ضرورة ولا حالة جذبة وسياتى اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفى نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء للوحدة هذا وروى ابن عبد البر ان سالم بن أبي الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد أى ابتلع دمه فقال اما علمت

ان الدم كله حرام وفى رواية لاتعد فان الدم كله حرام (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح) أى واصحته (ألزم الدارقطنى) بفتح الراء وتسكن نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم وأبو ذر الهروى وأبو نعيم وغيرهم (مسلما والبخارى) أى كلا منهما (اخراجه) أى تخريج الحديث وذكره باسناده (فى الصحيح) أى فى كل من صحيح البخارى ومسلم اذ رجاله كرجالهما فى الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث فى مرتبة الحديث الذى اتفق عليه الشيخان من كمال الصحة وان لم يخرجاه فى جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة أبى مالك النخعى وانه ضعيف وفى علل الدارقطنى أيضا انه مضطرب من جهة أبى مالك والله تعالى أعلم (واسم هذه المرأة

بركة) بالفتحات (واختلف فى نسبها) فقيل هى بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية كانت هى وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع أم حبيبة بنت مولاها أبى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج أم حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشى وأصدقها عنه أربعمائة دينار أو أربعمائة أوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اسم لثلاثة منهن

مثله لان تناوله لم يكن باذنه فلذا قال (ولانهاه عن عوده) ضمير نهاه وكذا ضمير عوده المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه لعودة بتاء التأنيث كدولة فكانه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير محله ولم يقر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مثله وكونه للتداوى والعلاج خلاف الظاهر على مافيه (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح ألزم الدارقطنى مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح) يعنى انه مستجمع لشرطهما فهو فى أعلى درجات الصحة فكان ينبغى ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطنى منسوب الى دار القطن محلة ببغداد وهو الامام الحافظ الذى لم ير مثله فى عصره وهو على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان ابن دينار بن عبد الله أبو الحسن الذى انتهى اليه علم الاثر ومعرفة العلل وأسماء الرجال وأحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقهاء فلذا قيل انه أمير المؤمنين فى الحديث ولد سنة ست وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وماذكره المصنف من ان الدارقطنى قال حديث المرأة التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح يخالفه انه قال فى علله انه مضطرب جاء عن أبى مالك النخعى وهو ضعيف وروى عنه الحاكم (واسم هذه المرأة بركة واختلف فى نسبها) قال البلقينى رحمه الله تعالى فى الخصائص ان أم أيمن وأم يوسف شربتا بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكره عليهما وفى تجريد الذهبى ان بركة الحبشية قدمت مع أم حبيبة وهى التى شربت بوله وهى غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدى وغير بركة أم أيمن وهى بركة بنت ثعلبة بن عمرو والدة أيمن بن عبيد وأم اسامة بن زيد فاسم هذه المرأة بركة ولكن فى الصحابيات من اسمها بركة عدة نساء فاختلف فى التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتهن هى والى ذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله اختلف فى نسبها فقيل هى أم أيمن بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص ابن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحاضنته الحبشية معتقة أبيه أسلمت هى وابنها أيمن بن عبيد الحبشى ثم تزوجها زيد بن حارثة وأخرج لها أحاديث فى كتب السنة وأدركت خلافة عثمان كما فى التهذيب وذكره الواقدى ورد بما فى مسلم من انها توفيت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر ولم يكن بام أيمن غيرها وقيل ان التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب المهاجرة السابقة وكانت ظئرا لام حبيبة رضى الله عنهما فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت أم حبيبة على الاسلام وخلف عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتزويج النجاشى اياه صلى الله تعالى عليه وسلم لها واصداقه اياها أربعمائة دينار وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها وهى القائلة انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قدح تحت سريره يبول فيه فشربته ليلا وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبى من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قاله الذهبى من انها بركة الحبشية الا أن يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها لا ييجع بطنك أبدا بفتح الياء الاولى وكسرها وهما لغتان فى يوجع سوى ياجع وعلى الكسر وروى قوله

أم أيمن (وقيل هي أم أيمن) أي الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من أبيه ثم أعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدي كانت أم أيمن عسيرة اللسان فكان اذا دخلت قالت سلام لا عليكم يعني سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم كذا ذكره التلمساني تبعا للحلبي

* ولا تنسكبي قرح الفؤاد فييجعا * وروى كما راذن لا تلج النار بطنك (وقيل هي) أي بركة المذكورة (أم أيمن وكانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تاييد لكونها التي شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا لانها اذا كانت خادمة له صلى الله تعالى عليه وسلم تمكنت من الوصول لذلك في مثل ذلك الوقت وتمكنت من الوقوف على حاله فلذلك (قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) والقدح ليس المراد به مايشرب به الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء الذي يشرب منه وأصغره الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذي لا يروى ثم القعب وهو مايروى ثم القدح وهو مايروى الاثنين والثلاثة ثم العس وهو مايشرب منه الجماعة ثم الرفد ثم التين ثم الجفنة وعيدان جوز فيه التلمساني كسر العين على انه جمع عود والذي عليه الشراح انه بفتح العين المهملة تليها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة وألف ونون وزنه فيعال أو فعلان والعيدان والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

ويقال للنخل اذا طال وتناولته اليد عضيد فاذا فاتت اليد فهي الجبارة فاذا ارتفعت فهي الرقلة والعيدانة وكان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أقداح قدح يسمى الريان وآخر يسمى المغيث وآخر مضبب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج وهذا القدح كان (يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل) والسرير معروف ومن ظرفية بمعنى في لا زائدة وقد عده من معانيها الكوفيون وابن مالك وأنشدوا

عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤالا ناله بعد في غد

وقال الله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة أي فيه (فبال فيه ليلة ثم افتقده) الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما في الصحاح بل الطلب والتفتيش يقال تفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قال الراغب ان التفقد حقيقته تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم (فلم يجد فيه شيئا) من بوله (وسال) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه بركة فقالت قمت وأنا عطشانة) المذكور في كتب اللغة أنه يقال عطشان وعطشى وجماعة عطاش الا في ألفاظ قليلة جاءت على فعلان فعلانة ولغة بني أسد في كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان لان شرط منع صرفه وجود فعلى أو فقد فعلانة فما ورد في هذا الحديث اما سماعي على خلاف القياس أو هو على لغة بني أسد فتوقف البرهان فيه لا وجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير لغتها الكثرة وفود القبائل عليهم وحكى صاحب القاموس امرأة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال عطشى لا يقول عطشانة وفيه نظر وقد علم ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم ينهها عنه ولم يامرها بغسل فمها ولا باعادة الصلاة ان كانت صلت ولا ينافيه قولها (فشربته وأنا لا أعلم) لانه لبيان طيبه وأنها لم تجد له ريحا وطعما كغيره أي لا أعلم انه بوله لما ذكر فلا ينافي قولها انه كان له قدح يضعه تحت سريره الى آخره فتامل (وروى حديثها) أي بركة

وفيه ان هذا جائز لغيرها أيضا فلا وجه للترخيص لها ولعل الرخصة أن تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هي أمي بعد أمي (وكانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على في القاموس فاندفع قول التلمساني ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) أي المرأة (وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة وزنه فعلان أو فيعال جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة وقيل بكسرها جمع عود (يوضع) أي القدح (تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) أي طلبه ليصبه (فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه) أي عن بوله الذي كان في القدح

(فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم) أي انه بول قال الدلجي تبعا لغيره أم من المحشي الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا أن تكون لغة قلت الصواب ان عطشانة جاء في لغة كما في القاموس وقيل هي لغة بني أسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو أول الاقداح وهو الذي لا يبلغ الري ثم العقب وهو قدر ري الرجل ثم القدح وهو يروي الاثنين والثلاثة ثم غيرها على ما في كتب اللغة والسرير مرفوع يصنع من خشب ويوضع في ناحية من البيت أو السطح يتخذ للرقاد وقاية من الارض ومافيهما (روى حديثها) أي بكماله

(ابن جريج) بالجيمين مصغرا مجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاوس وابن أبى مليكة وعنه ابن عيينة والثورى وغيرهما وهو مجمع على ثقته وهو أول من صنف الكتب فى الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت أميمة بنت أبى صيفى عن أمها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل بالبول الذى كان فى هذا القدح فقالت يا رسول الله انى شربته وروى عبد الرزاق عنه قال أخبرت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى ماتت (وغيره) أى ورواه أيضا غير ابن جريج كابى داود وابن حبان والحاكم عن أميمة عن أمها وروى الحاكم والدارقطنى عن أم أيمن قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل ٣٦٣ وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومى فاهرقى ما فى تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال اما والله لا يجعن بطنك بعدها أبدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقعتا كما قال ابن دحية لبركة أم يوسف وبركة أم أيمن وينصره ما فى خصائص تدريب البلقينى انهما شربتاه هذا وقد شرب أيضا دمه عليه الصلاة والسلام أبو طيبة عاش مائة وأربعين سنة وسفينة مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البيهقى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم أجده فى كتب الحديث (وروى فى بعض الروايات عن أمه آمنة) بالمد على وزن فاعلة وهى بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبد الله على الاصح فيهما وفى اسم آمنة أمان أمته وفى حليمة حلم وفى بركة بركة فتلك آمنة من سائر النقم وذكر السهيلى ان الله عز وجل أحيى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبويه فآمنا به ثم أماتهما وكذلك نقله السيوطى فى خصائص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به ابن دحية وقد بينت هذه المسألة فى رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) أى نقيا (ما به قذر) بفتحتين أى وسخ ودرن كذا رواه ابن سعد فى طبقاته وروى انه ولدته أمه بغير دم ولا وجع قال المسعودى ولد عليه السلام فى شهر ربيع الاول من سنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان فى دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران أم الهادى والرشيد مسجدا (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا) أى لا قلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه أبو نعيم والطبرانى فى الاوسط وفى دلائل البيهقى بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه عن أبيه انه ولد معذورا مسرورا أى مقطوع السرة مختونا

أم أيمن المذكور (ابن جريج وغيره) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيمين أولاهما مضمومة وهو امام ثقة ولد سنة ثمانين وتوفى سنة خمسين ومائة ويكنى أبا الوليد وهو مولى لآل صفية بنت حيى قيل وهو أول من صنف فى الاسلام وكان يقول ما دون العلم أحد تدوينى وقيل أول من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع بن فصيح وقد اختلف فى قوله السابق امرأة شربت بوله وقصة أم أيمن فى قدح العيدان هل هما قصتان أو قصة واحدة فروى الحاكم والدارقطنى عن ام أيمن انها قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومى فاهريقى ما فى تلك الفخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا ييجعن بطنك أبدا ونحوه وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة رضى الله تعالى عنها جاءت معها من الحبشة أين البول الذى كان فى القدح فقالت شربته فقال لها صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت بها حدث غير مرض موتها وأخرج أبو داود وابن حبان عن أميمة بنت رقيقة انها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان الى آخره قال ابن دحية رحمه الله تعالى هما قصتان لامرأتين وبركة أم يوسف غير بركة أم أيمن * أقول وفى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحة ما يدل على ان الدعاء به بعد الشرب سنة لا بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب يخشى منه السقم ونحوه فلذا دعى به كما قال شعر

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وفى بعض النسخ وهو ساقط من الام وأكثرها (وروى) فى بعض الروايات (عن أمه آمنة انها قالت ولدته) صلى الله تعالى عليه وسلم (نظيفا ما به قذر) أى شئ مما يكون على المولود أى نقيا من الوسخ والدرن وفى بعض النسخ تاخير عن قوله (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة) وفى بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه تورية لانه من السرور أو من قطع السرة ومثلها فى الحسن انه ولد

معذورا مسرورا ومعنى معذورا مختونا يقال عذرته وأعذرته اذا قطعت عذرته وهى القلفة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ورد فى حديث روى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يرى أحد عورته وقد وقع هذا لكثير من الناس والعرب تسميه ختان القمر وأصله ان الطفل اذا ولد فى ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر وهى اذ ذاك لم تنضج جلدته أثر فيها حتى تقلصت وانمحقت فان القمر يؤثر ضوءه فى اللحم ويغيره الا أنه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم يتم دحوا به قال الشاعر

انى حلفت يمينا غير كاذبة * لانت أقلف الا ما جنى القمر

وقيل انه يشير الى أن النمو فى خلقة الانسان يحصل فى زيادة القمر ويحصل النقصان عند نقصانه كما فى الخز والحر بر فهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن لابنى هذا شان ولا يخفى ان سند هذا الحديث ضعيف جدا والذى صححه المحدثون كما فى التمهيد لابن عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا وكانت العرب تختتن لانه سنة توارثوها من اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وليس ذلك لمجاورة اليهود وقد ورد هذا فى قصة هرقل وواقعته التى قيل له فيها ان ملك الختان قد ظهر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم فى كتابه الهدى وهو أرجح الاقوال وطعن فى القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه روى فى حديث لم يصح وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم فى المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مسرورا مختونا وتعقبه الذهبى وقال لا نعلم صحة ما ذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه أراد بتواتره شهرته بين الناس لا ما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع فى هذه المسئلة نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم فى تأييد انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن بعد ولادته تاليفا أوضح فيه الدلائل والنقول الا أنهم لم يرضوا قول ابن الجوزى انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب الاحبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين أى على صورتهم وهم آدم وشيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد وزيد عليهم حنظلة بن صفوان قيل ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه وزيد عليهم الى سبعة عشر وقد نظمهم بعضهم فى قوله

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود ياسين خاتم

(تتمة) قد علم ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى وقت وفاتها سبعة أقوال فقيل هو بعد ست سنين أو سبع أو ثمان أو خمس أو أربع أو تسع أو اثنى عشر وتسعة شهور من ولادته أو غير ذلك وماتت بالابواء راجعة من عند بنى النجار أخواله وفى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبرها واحيائها له كلام سيأتى ثم انه ورد فى الحديث ان رجلا ساله صلى الله تعالى عليه وسلم ما حقيقة أمرك منذ نشات فقال أنا دعوة أبى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبشرى أخى عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم وانى كنت بكر أمى وانها حملتنى كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكى لصواحبها ثقل ما تجد الحديث وهذا الحديث يعارضه ما رواه الواقدى من ان أمه آمنة قالت لما حملت به ما شعرت انى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء وانما أنكرت رفع حيضتى وجمع بينهما الحافظ أبو نعيم بان الثقل كان فى ابتداء علوقها به والخفة عند

يقال عذره واعذره ختنه وروى الخطيب عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وصححه أيضا فى المختار من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوءتى وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبى بقوله ما أعلم صحته فكيف يكون متواترا قلت يجوز أن يكون الشئ متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة أى ختنته الملائكة عندها كما ذكره التلمسانى وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مادبة وسماه محمدا

(وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) أى اما حياء منه أو منها أو منهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذى فى شمائله وروى عنها انها قالت ما رأيت منه ولا رأى منى أى العورة (وعن على رضى الله تعالى عنه أوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا) أى بان لا (يغسله غيرى) بتخفيف السين

وتشديدها (فانه لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه) بصيغة المجهول وأبعد التلمسانى فى قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس المحو والمطموس العين هو الذى لا شق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجى قوله فانه علة لترك غسله لغير على كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل أحد ممكن اذا أوصاه به وفى السيرة عن يونس بن بكر أنه نودى وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذ لا يمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه وأيضا لا يخلو من انه يغسل مجردا أو مصحوبا بما يغطى عورته من سرته الى ركبته أو فى قميصه ولا أظن ان الاحتمال الاول يصح اذ لا يجوز لغيره ان يفعل هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه أى الشان لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه فهو بيان وتنبيه لعلى وغيره ممن كان بعينه فى غسله من أهل البيت ان لا يقصدوا رؤية عورته ليحترسوا او يحترزوا عن كشفها او وقوع نظرهم عليها اهـ ذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه فى ثوبه أو لا نودوا ان أغسلوه فى ثوبه انتهى والمراد بثوبه قميصه كما بينته فى شرح الشمائل للترمذى

استمراره فيكون فى الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لا يتأتى مع قولها كما روى انى لما أنكرت رفع حيضتى أتانى آت وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك حملت بسيد هذه الامة ونبيها فكونها أنبئت بالحمل يقتضى أن الثقل لم يكن فى ابتدائه والذى ينبغى فى التوفيق أن الثقل يكون معنويا وهو الوجع والالم الذى يحصل للحوامل وهو المنفى وحسيا وهو رزانته وزيادة مقداره من غير ألم وتعب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وزن بجميع أمته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية أحوال حمله ومولده مفصلة فى كتاب المولد لابن حجر وغيره (وعن عائشة رضى الله عنها) انها قالت (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) وروى انها قالت ما رأيت منه ولا رأى منى يعنى العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وسيأتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له فى الكلام على الحياء والاغضاء وقد اختلف فى نظر أحد الزوجين عورة الآخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهى عنه بذلك ونقل عن علماء الشافعية الاختلاف فى هذا العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب (وعن على رضى الله تعالى عنه أوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيرى فانه لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه) قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقى أى لا يمر يده على جسده للغسل غيره لانه من أقرب أقربائه وأقدمهم صحبة وأما قول الحافظ مغلطاى انه غسله صلى الله تعالى عليه وسلم على والعباس وابنه بعيناه وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء عليه وأعينهم معصوبة من وراء الستر فلا ينافيه انهما أعاناه بتقليب جثته الشريفة والثلاثة أعانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه وقوله من وراء الستر يعنى قميصه من غير تجريد منه كسائر الموتى لما روى عن عائشة رضى الله عنها انهم اختلفوا اهل يجردونه أم لا فسمعوا مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرونه يقول غسلوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله وأعينهم معصوبة أى مربوطة بعصابة حتى لا ينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبد ومن بدنه الشريف ما لم يؤذن فى النظر اليه وضمير أعينهم للعباس وابنه وقثم وأسامة وشقران لا للكل فعلى رضى الله تعالى عنه لم يعصب عينه لانه المباشر فهو مأذون له فى ذلك وخص بالاذن لانه كان أقدرهم على الغض وغيره ربما حانت منه لفتة فيطمس عيناه ولذا ورد انه نودى وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السماء خوفا من ان يديم النظر اليه وطمست بفتح الطاء والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو وطمس العين ازالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال الله تعالى ربنا اطمس على أموالهم ويتعدى كقوله تعالى من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان النسبة مفصلة فى الفائق وفى هذا دليل على ان الله تعالى صانه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يرى أحد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها عن قصد عمى ولم يرد ما ينافيه اذ لم ينقل ان أحدا رآها فى صغره كامه ومرضعته وأما ما روى من ان قريشا لما بنت الكعبة وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فكان يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر عليه فاذا دنا من الناس لبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستغاث شاخصا ببصره للسماء فقيل له ما شانك فقال نهيت ان أمشى عريانا وكان ذلك أول شئ رآه من

أمر النبوة فليس فيه ان أحدا نظر لعورته صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) عكرمة منقول من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس أحد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الأئمة المقتدى بهم في التفسير والحديث توفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط) الغطيط صوت النائم اذا ارتفع نفسه لانطباق مجراه وضيقه ويقال خطيط بالخاء المعجمة أيضا وهي بدل من الغين كما يقال اغن واخن قال التلمساني وثبتت به الرواية أيضا (فقام فصلى ولم يتوضا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى الشافعية قولا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كغيره في الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض بالنوم في المذاهب الاربعة مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة خروج شيء من ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي أحد قولي الشافعي انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وانه تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكره هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضي الله عنهما الان رؤياهم وحي فيفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساوونهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم يكن رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا افضل من الله خصهم به وأما ما روى من وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه فلم يقل انه لحدث وانما كان أحيانا لتجديد الوضوء فانه كان يستحبه أو هو بالنسبة لامته للتشريع لهم فان قلت يشكل على هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام في الوادي حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نائم ما أخرج الصلاة عن وقتها * قلت أجيب عن هذا باجوبة أحدها انه لا مخالفة بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر ثانيها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه عينه فقط قال النووي في شرح مسلم والمعتمد الاول فلعل قلبه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر

فوالله ما أدري اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت العشا أم ثمانيا

وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان ظاهر الحديث عمومه لسائر أحواله وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمته التشريع وهذا جواب ثالث ورابعها أنه يستغرق قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث (تنبيه) على القول بان المس ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى أنه لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وأما هو فلا ثم اعلم انه اذا كان رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم وحيا فهل أوحى اليه في نومه بشيء من القرآن قال الرافعي في أماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كله يقظة وما ورد من قراءته سورة الكوثر في النوم محمول على انها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله ولم يتوضا بسكون الهمزة لدخول الجازم عليه ويجوز أبدالها لغالينة على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقاء الالف المعارضة ويجوز جزمه بحذف ألفه لمعاملته معاملة نحشى فلك أن تقول لم يتوضا ولم يتوضا ولم يتوض كما ذكره النحاة (قال عكرمة) في بيان وجه ما ذكر (لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تعالى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وفي حديث عكرمة) وهو مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأحد فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه أباضي خارجي (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) أي صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) أي من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لحديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأما نومه عن صلاة الصبح في الوادي وعن صلاة التهجد أحيانا فالاظهر انه تجديد للوضوء ويجوز أن يكون عن نقض قبله أو بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليبين لامته لكنه مردود لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذي تقدم والله أعلم

(فصل)
(وأما وفور عقله) أى زيادته على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا أى حدة فهمه وسرعة دركه واللب أخص من العقل فانه مختص بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشئ خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب (وقوة حواسه) بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى أحس وهى أسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم ولمس يعم جميع البدن

عن وقوع ذلك منه ولو وقع نبه عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن أن ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة أو الامم لان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك وقيل ان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أولم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبعه مغلطاى واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردى رحمه الله تعالى فى البهجة الوردية

و بعض ما اكرمه الله به * منامه بالعين دون قلبه

أقول لا وجه لما قالوه فان الحكم بغفلة مثل سفيان أو قوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح غير صحيح مع انه لم يصرح به فالتقول عليه بمثله غير لائق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح أولى فنقول انما أراد هؤلاء انه لو سلم ان الانبياء السالفة صح انهم كانوا يتوضؤن لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احدان وضوءهم ينتقض بنواقض شرعنا فكون الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر آخر وهذا أمر اوضح من الصبح ومما قلته فيما نحن فيه

وعينيك ماقلب النبى غفا ولا * عيون له فى بردة الليل راقدة
ولكنما الاجفان منه تهجدت * وباتت بمحراب الحواجب ساجدة

(فصل) فى قوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة أدراك حواسه وذكائه وفيه مايدل على كمال قوة بنيته (واما وفور عقله) الوفور بضم الواو والفاء مصدر كالعقود بمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة أودعها الله فى الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذف فى القلب يستعد به لادراك العلوم والامور العقلية وفى حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عن الايليق ولذا تظرف القائل

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزى وعقل مكتسب وقد علمت ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصنف رحمه الله تعالى وصف العقل بالكثرة باعتبار آثاره الصادرة عنه قال فى الصحاح الموفور الشئ التام ووفرت الشئ وفرا ووفر الشئ بنفسه وفورا بمعنى انه تام ولازم والوفور لم يذكر انه جمع (وذكاء لبه) الذكاء بفتح الذال المعجمة والموحدة الفؤاد بسرعة أدراكه وفطنته لانه فى الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال الذكى متوقد الذهن وقال الشاعر

لولم يحل ماء الندا * فيه لاحرقه ذكاؤه

واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شئ قلبه وخالصه فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز أيضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين اللب والعقل تفننا ولا تكرار فى كلامه كما توهم (وقوة حواسه) الخمس الظاهرة وهى اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه مما لا كلام فى ثبوتها للانسان والحيوان الا أن الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لا فينا ولا فى غيرنا وان أمكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها أهل الشرع على انهم فى اثباتها وتعيين محالها فى حيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى أحس والثانى هو الاعرف الافصح وبه جاء القرآن قال الله تعالى فلما أحسوا باسنا * فلما أحس عيسى منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس

(وفصاحة لسانه) أي حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) أي وسكناته من قيام وقعود ومشي ورقود ونحو ذلك (وحسن شمائله)
أي من خلقه وخلقه (فلا مرية) بكسر الميم وتضم كما قرئ بهما في قوله تعالى فلا تك في مرية الا ان الضم شاذ أي فلا
شك (انه كان أعقل الناس وأذكاهم) بالذال المعجمة أي أحدهم طبعا وأطيبهم نفعا (ومن تامل) أي تفكر (تدبيره) أي نظره باعتبار عاقبته (أمور بواطن الخلق وظواهرهم) أي بتصرفه فيهما الى حسن مآلهما (وسياسة العامة والخاصة) من ساس الرعية سياسة امرها ونهيها والظاهر انها بكسر السين وأبدلت الواو ياء لحركة ماقبلها كالقيام والصيام فانها من مادة السوس على مافي القاموس وقال الحلبي بفتح السين والظاهر انه سبق قلم أوزلة قدم ثم المراد بالخاصة العالم والمتعلم وبالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم والباقي همج رعاع اتباع لايعبا الله بهم وعن علي كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق وأجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا والنهي والغوغاء ماخوذ من غاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت ولم
العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما في الارتكاب أي يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولا منفعة وانما هم يقبلون لا لشئ
ويدبرون لا لشئ (مع عجيب شمائله) أي اخلاقه العجيبة (وبديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة أي سيرة الغريبة

وقوة الحواس مما يتمدح به (وفصاحة لسانه) هذا وماقبله مرفوع بالعطف على وفور وسياتي الكلام على الفصاحة قريبا (واعتدال حركاته) أي حركاته الظاهرة في بدنه واعضائه جارية على نهج الاستقامة والادب فانها عنوان لما في قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذي هو دائما في حضرته ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لما رآى رجلا يعبث بلحيته في صلاته لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه (وحسن شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات المحمودة (فلا مرية) بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة يليها مثناة تحتية أي لا شك ولا شبهة أو لا جدال ولا محاجة وقال الراغب المرية التردد في الامر وهي أخص من الشك قال الله تعالى فلا تك في مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال الله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أعقل الناس وأذكاهم) أي أقواهم وأشدهم عقلا وأكثرهم فطنة وذكاء ووضح ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال (ومن تامل) في الصحاح تاملت نظرت فيه مستبينا فكانه ماخوذ من الأمل وهو الرجاء لان من دقق النظر في شئ أعمل الفكر فيه رجاء حصوله وانكشاف كنهه (تدبيره أمور بواطن الخلق وظواهرهم) أي الوقوف على ظواهر أحوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها واصل معنى التدبير التفكر في عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل وأمور مفعول تدبير لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك (وسياسة العامة والخاصة) منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها كما قالت حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقول علامة الروم انه معرب سه يسق غلط لا أصل له وقد أخذه من كلام من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم من أرباب الصنائع والرعية ماخوذ من العموم لان أكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودي والجاحظ كلام في وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لايفرقون بين حق وباطل فتراهم مهرعين لقائد دب أو ضارب دف متشوقين الى اللهو واللعب مختلفين لمتعبد متخرق واقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب واقفين عند مصلوب ينعق لهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة وسياسة العامة بالزجر والقهر * والضرب والنهر * وسئل العتبي عن قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه باس شديد أي مناسبة بين ذلك وبين الحديد وما هو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان مالك الملك أرسل رسله لاجراء أوامره ونواهيه بين عباده وهما قسمان عقلاء ذووا بصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وما حوته من الادلة القطعية وجهلة عوامهم وتسخيرهم بالقهر والارهاب بالسيف والسنان فصار المعنى أرسلناهم بضابطي العامة والخاصة وأي مناسبة أتم من هذه وان ترآى عدم المناسبة بينهما بحسب النظرة الحمقاء (مع عجيب شمائله وبديع سيره) جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها هيئة السير ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها والعجيب الامر الذي من شانه ان يتعجب منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير بينهما تفننا في العبارة

(فضلا) مصدر لفعل محذوف يقع متوسطا بين نفي واثبات لفظا ومعنى فالمعنى لم ينل أحد عقله يفضل فضلا (عما أفاضه) أي زيادة عما أبداه و بينه واذاعه وأفشاه (من العلم) أي اعتقاديا وعمليا (وقرره) أي أثبته وحرره (من الشرع) بيان لما

أفاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق) أي له من غيره (ولا ممارسة) أي ملازمة (تقدمت) أي منه لشيء من ذلك (ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء وهو جواب الشرط أي لم يشك (في رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة أي في سرعة دركه (لاول بديهة) أي في أول وهلة بدون تفكر ومهلة فكانه يثقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) أي ماذكر (مما لا يحتاج الى تقريره) أي ذكره وتحريره (لتحقيقه) وفي نسخة التحققه أي لظهور تحققه وثبوت أمره عقلا ونقلا (وقال وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابي وآخرون واتفقوا على توثيقه ويقال انه ما وضع جنبيه على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان أرى في بيتي شيطانا أحب الي من ان أرى وسادة لانها تدعو الى النوم وله أخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن (قرأت في أحد وسبعين كتابا) أي من كتب الله المنزلة وفي معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا

ولم يعطفهما وأتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا الى ما قبله سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة أغرب يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع سياسته العامة للخاصة والعامة مهذب الاخلاق موطئ الاكتاف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة العظمى الامع التجبر والتعظم والتحجب كما نراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال (فضلا عما افاضه من العلم) أي وزاد على ماذكر بكثرة العلم الذي علمه الناس و جعله شائعا بينهم من أفاض الحديث اذاعه وقوله من العلم أي علوم الاولين والآخرين (وقرره من الشرع) أي ماقرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرائع من قبله وبيانه لامور شريعته والكلام على فضلا وتعديه بعن مفصل في شروح المفتاح والكشاف ويأتي بعض منه والافاضة أصلها من فيض الماء ثم شاعت فيما مر (دون تعلم سبق) متعلق بافاض ومابعده أي فعل ذلك من غير تعلم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسكن غير بلده ولم يقارن غير أهل جلدته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه منه (ولا ممارسة تقدمت) منه والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله أي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجه بعقله (ولا مطالعة للكتب منه) أي لم ينظر في شيء من الكتب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا بين قوم أميين وهذا دليل على شدة ذكائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا قال (لم يمتر) أي لم يشك ولم يرتب (في رجحان عقله) أي في زيادة عقله (وثقوب فهمه) أي نفوذه وظهوره وهو بالمثلثة من تثقيب النار وهو تذكيتها يقال ثقبت النار ثقوبا اذا اتقدت (لاول بديهته) أي لم يمتر ولم يشك في أول نظرة نظرها فان قلت هو صلى الله تعالى عليه وسلم تعلم ماذكر من الوحي المنزل عليه وهو سفير محض قلت تلقي الوحي من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه في مجاريه من غير تكلف منه يدل على ماذكر وكم من عالم قرأ ودرس العلوم اذا أراد تقرير ما علمه لم يجد له قدرة ولا رونقا و بعض الفقهاء اذا ولي القضاء لا يحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد بما ذكر أمر آخر غير ما قلته من الامور العرفية التي أكثرها برايه وحسن تدبيره فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ماذونا له في الاجتهاد (وهذا مما لا يحتاج الى تقريره) و بيانه بما ذكرناه (لتحققه) بالمشاهدة في عصره والتواتر بعد ذلك بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تامل الى آخره غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب فهمه لاول بديهة فهذا تطويل غير مفتقر اليه ممن عدم التدبر (وقال وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون و كسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الانباري اليماني أخو همام بن منبه وكنية وهب أبو عبد الله ويقال له الذماري نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي قرية بقرب صنعاء تابعي مشهور بالمعرفة بالكتب القديمة سمع من جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله عنهم واتفقوا على توثيقه وعبادته وتوفي سنة أربع عشرة وقيل ستة عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة طويلة في الميزان (قرأت في احد وسبعين كتابا) من الكتب القديمة النازلة على الانبياء

عليهم الصلاة والسلام وغيرها (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا) يعنى ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد أشد من عقولهم جميعا وآرائهم وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقرؤها قال التجانى فى كتاب المعارف لابن قتيبة عن وهب انه قال قرأت من كتب الله سبحانه وتعالى اثنين وسبعين كتابا فيمكن ان يكون وجدان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا فى أحد وسبعين كتابا منها فقط ولم يجد ذلك فى الكتاب الثانى والسبعين ويمكن أن تكون الروايات عنه مختلفة بزيادة ونقص والذى قاله وهب من انه صلى الله تعالى عليه وسلم منوه بذكره فى الكتب المتقدمة يعضده قوله تعالى النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (وفى رواية أخرى) عن وهب أيضا (فوجدت فى جميعها) أى فى جميع الكتب التى قرأها (ان الله تعالى لم يعط جميع الناس) حتى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم) أصل معنى الجنب الجارحة ثم استعير للناحية التى تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك كاليمين والشمال وقوله فى جنب الله أى فى أمره وحده الذى حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد بقوله تعالى فى جنب الله فى حده ومقداره الذى اعطاه الله تعالى له (الا كحبة رمل من رمال الدنيا) يعنى ان عقله صلى الله تعالى عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع الناس كحبة منها وهذا على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ضرب الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام مثلا بما فى منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسائره فشبه به علم الله تعالى وعلم ما عداه وقد اورد على كونه أفضل الناس رأيا انه ورد ما يخالفه فى كثير من الوقائع الثابتة فى الحديث ورجوعه عن رأيه الى رأى غيره كما فى قصة بدر ورجوعه لرأى الحباب بن المنذر حيث نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بادنى ماء من مياه بدر فقال له الحباب أهذا منزل أنزلكه الله فلا نتقدم ولا نتاخر عنه أو هو رأى ومكيدة حرب فقال بل هو الرأى والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل بل الرأى ان نسير حتى ناتى أدنى ماء من مياه بدر فننزله ثم نغور ما وراءه ونبنى عليه حوضا ونملؤه ثم نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى ورجع صلى الله تعالى عليه وسلم لما قاله وكذا فى قصة أسارى بدر والفداء وكذا فى قصة تابير النخل ونحوه مما سياتى مما لا حاجة للتطويل بذكره هنا وأجاب التجانى بان رجحان رأيه على ما سواه مخصوص بما أمضاه من سنن الشرع واجتهاداته فى أمور الدين فلا ينافى رجوعه فى آراء الدنيا لغيره كما صرح به فى قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر اخطئ وأصيب وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار أهل الاصول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متعبدا فيما لا وحى فيه بانتظار الوحى ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد مطلقا فى الامور الشرعية والدنيوية وهذا مذهب مالك وأحمد والشافعى وهو المنقول عن أبى يوسف وغيره واختلف فى جواز خطابه فى اجتهاده فذهب الرازى وغيره الى انه لا يجوز وفى التوضيح يجوز لكن لا يقرر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضى لعصمته وجواز الخطا عقلا لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمال حدسه وسداد رأيه لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه فى صلاته ومناجاته ففى غيرها بالاولى فقول التجانى ان جميع أموره الدينية صواب خلاف المختار عند علماء الاصول وحينئذ فمعنى كونه أفضل الناس رأيا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رأيه لو خلى ونفسه من غير معارض فيما تقتضيه الطباع البشرية كان أفضل من رأى غيره واجتهاده اذا خلى ونفسه أيضا مع رجحان رأيه

أخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة) أى لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا) أى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان أفضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية أو حالة جزمه بالقضية فلا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى أهل المدينة يابرون النخل بكسر الباء وضمها فسالهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه ففسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا أمرتكم بشئ من رأيى أى مع تردد فيه وعدم جزم بحسنه فانما أنا بشر اخطئ وأصيب أى فى غير ما أوحى اليه وحيا جليا أو خفيا كما أشار اليه قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الآية

بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى وآراؤه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها صواب بعد التقرير عليها وقبله لا الاعلى قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل ان كون رأيه أفضل الآراء لا ينافي رجوعه لغيره ومشاورته له فان العبرة بما وقع عليه القرار لا ببادئ الرأى فافهم (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى تقدم الكلام على ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) قال البرهان في الاصل الذي وقفت عليه من بفتح الميم موصولة وخلفه صلته منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفي غيره بمن الجارة فيهما وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لكن بلفظ قال صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم واني لاراكم من وراء ظهري ورواه مالك وأحمد وغيرهما وفي لفظه اختلاف كما يأتي والمعنى متفق واختلفوا في هذه الرؤية هل هي مختصة بحال الصلاة أم لا وهل هي رؤية حقيقية أم علمية قلبية فقال ابن الصباغ في الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كيفية فعلهم أو يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهري وقيل المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقي خاص به على طريق خرق العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا أخرجه البخاري في علامات النبوة ثم انه على ما ذكر يجوز ان يكون برؤية عينية خرقا للعادة فكان يرى بهما من خلفه كما يرى ما يقابله فعلم لانه لا يشترط في الرؤية المقابلة ولا العضو المخصوص عند أهل السنة كما قرروه في رؤية الله تعالى وهذه أمور عادية تجوز الرؤية مع عدمها عقلا واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى ارى من خلفي أراكم وأنتم من خلفي وقال الزاهدي الحنفي صاحب القنية في رسالته الناصرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالرأى وقيل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تنطبع في المرآت فيشاهد افعالهم ولا ينافي هذا ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل شابا حدثا من وفد عبد القيس خلفه لئلا يراه ولا قوله اني لا أعلم ما وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في الحديث الآخر أيكم الذي ركع دون الصف فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا يا رسول الله فلو كان يرى كما ذكر ما احتاج للسؤال لان الاول تشريع والثاني المراد به نفي علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات مع ان عدم رؤيته ما وراء الجدار لا ينافي الرؤية من غير حائل وهذا ان لم نقل انه مخصوص بالصلاة كما في الامتناع وأجاب ابن عبد البر عن حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه بان هذه القضية كانت قبل ان فضله الله تعالى بهذه الفضيلة فان شؤنه صلى الله تعالى عليه وسلم تتزايد دائما وقيل معنى قوله اني أراكم ان قصدت ذلك ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم قصد ذلك كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره أحيانا أو انه رآه ولم يعلم عينه أو أراد تقريره ليذكر له ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلفه صفوف كثيرة فلا يرد عليه عدم رؤيته لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة وهو كلام حسن (وبه فسر) بالبناء للفاعل أى فسر العلماء أو بعض المفسرين (قوله تعالى * وتقلبك في الساجدين) أى نرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون وهو امتنان بهذه النعم وهذا مؤنس لاختصاصه بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث (وفي الموطا) بصيغة المفعول المشدد الطاء المهملة المهموز سمى به لما فيه من أحاديث الاحكام الممهدة للشريعة وسياق هذا الحديث للاستدلال به على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسبه التفسير بانه يراهم بعينيه حقيقة كما مر (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاراكم من وراء ظهري ونحوه)

(وقال مجاهد) أى كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام في الصلاة) وفي نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول فتامل (يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها مما سيأتي (وبه) أى وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) أى مجاهد (قوله تعالى وتقلبك في الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير المفعول في قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك في من وراءك من المصلين لتصفح أحوالهم من الكاملين والغافلين (وفي الموطا) للامام مالك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره أترون قبلتي هذه فوالله لا يخفى على ركوعكم ولا سجودكم (انى لاراكم من وراء ظهري ونحوه) أى نحو حديث الموطا بحسب المعنى

(عن أنس) رضي الله تعالى عنه (في الصحيحين) وهو ما روياه عن أنس مرفوعا أقيموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من بعدي وربما قال من بعد ظهري اذا ركعتم وسجدتم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله) أي مثل ما في الصحيحين لفظا ومعنى (قالت) أي عائشة رضي الله تعالى عنها (زيادة) على ما سبق أي هذه المعجزة لغايته والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها في حجته) أي لصحة نبوته (وفي بعض الروايات) أي لعبد الرزاق والحاكم (اني لانظر من ورائي كما أنظر الى من بين يدي) فالموصولة متعينة فيهما وفي نسخة الى ما وفي رواية كما أنظر من بين يدي فالاحتمال الان في من جائزان (وفي اخرى) أي وفي رواية أخرى لمسلم (اني لابصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد) ٣٧٢ بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم واللام بينهما خاء معجمة وهو أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم ما صنف تفسير مثله أصلا سمع ابن أبي شيبة وغيره وكان مجتهدا ثبتا لا يقلد أحدا قال ابن حزم كان بقي ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفي رواية كما يرى في النور قال البيهقي اسناده ضعيف كما رواه أيضا من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس بقوي وقال ابن الجوزي لا يصح ولا ينافيه ما في روضة الهجرة للسهيلي من كان انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تزوج أم سلمة دخل عليها في ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم في ليلة أخرى دخل في ظلمة أيضا فقال انظروا ربائبكم لا أمشي عليها لاحتمال حمل ما سبق على حالة من أحواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهي لا تستدعي استيفاء الاوقات والمداومة فتحمل احداهما على الندرة أو تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووي في شرح مسلم قال العلماء معناه ان الله خلق له صلى الله تعالى عليه وسلم ادراكا في قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم باكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتي انه قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهدي من أصحابنا الحنفية وشارح القدوري في رسالته الناصرية انه

عن أنس رضي الله تعالى عنه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله قالت) ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ما أكرمه الله تعالى به دون غيره (زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته) وفي نسخة في حجته والاولى أصح (وفي بعض الروايات) لعبد الرزاق والحاكم (اني لانظر من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى) أي في رواية أخرى لمسلم (اني لابصر من قفاي كما أبصر من بين يدي) والمراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه وقيل في حجته على الكفار لان هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع أي هذه زيادة ويجوز نصبه وقول عائشة رضي الله تعالى عنها هذا الاثبات رؤيته من خلفه وأكثر المفسرون في هذه الآية الاقوال فمنها ما ذكره المصنف رحمه الله عن عائشة رضي الله تعالى عنها هنا ومنها ما مر من ان المراد انتقاله من صلب نبي لنبي وسيأتي تتمته وقيل ترددك في تصفح أحوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم على بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل معناه نرى تقلبك في جماعة المصلين اذا أممتهم وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عن الموطأ بعض حديث رواه مالك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري وأول الحديث قال أنس صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما أقبل علينا بوجهه قال أيها الناس اني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف فاني أراكم امامي ومن خلفي الى آخر الحديث والكلام عليه مستوفى في شروحه (وحكى بقي ابن مخلد) بقي بفتح الموحدة وتشديد القاف (٢) المكسورة تليها ياء مثناة تحتية ومخلد بفتح الميم واللام وخاء بينهما معجمة ساكنة ودال مهملة هو الامام أبو عبد الرحمن القرطبي الجياني الحافظ الزاهد العابد الثقة صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن حزم انه لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى ومائتين وسمع من ناس كثيرين منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي وأبا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الحربي وابن أبي شيبة وطاف الشرق والغرب وشيوخه مائتان ونيف وثمانون وروى عنه كثير كابنه أحمد وكان مجتهدا لا يقلد أحدا وعد من اضراب أهل السنن وكان مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة وتوفي سنة ست وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (عن عائشة رضي الله عنها) انها قالت (كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفيه رواية كما يرى في النور ولا شك انه صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله وتشديد القاف الخ والصواب كما في القاموس بكسر القاف وتشديد التحتية على وزن تقي اهـ مصححه

كان كامل الخلقة قوى الحواس فوقوع مثل هذا منه غير بعيد وقد رواه الثقات كابن مخلد هذا فلا وجه
لانكاره وقد أخرجه البيهقى عن عائشة رضى الله عنها أيضا ونقل ابن دحية فى كتابه الآيات البينات عن
ابن بشكوال انه ضعفه لان فى سنده ضعيفا وأخرجه عن ابن عباس بلفظ كان صلى الله تعالى عليه وسلم
يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء ثم قال وليس بالقوى وذكر ابن الجوزى فى العلل حديث
عائشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلى فى سنده من لا يعتمد عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبى فى
ميزانه فى ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفى مع جملة أحاديث قال انها موضوعة وقال السهيلى رحمه
الله تعالى فى الروض أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ابتنى بام سلمة رضى الله تعالى عنها دخل
عليها بيتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة أيضا فقال أنظروا
زينبكم ان لا أطاها أو فى هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى
انه لا معارضة بين الحديثين تقتضى ماذكره لان زينب رضى الله تعالى عنها كانت بنتا صغيرة نائمة مغطاة
بازار ونحوه فى جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار أيضا وهذا على ما فيه أقرب مما قيل ان عدم
رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لها كان لتغير حصل فى بصره الشريف لان الاعراض البشرية كانت
تعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك فان مثله لا يقال من غير سند
ورواية مجازف (والاحاديث كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والشياطين) هذا
مما لا شبهة فيه وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى دليلا على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم وانه يرى
ما لا يراه غيره أما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة فورد فى أحاديث كثيرة منها ما فى البخارى من
انه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله
وبركاته انك ترى ما لا نرى والاحاديث فى رؤيته الملائكة غير جبريل حيث لا يراها غيره كثيرة كما فى
حديث العقبة ورؤيته ملك الجبال المشهور وفى هذا دليل على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم
حيث يرى ما لا يراه غيره وليس هذا مخصوصا بتشكل الملائكة فانها جواهر مجردة قابلة للتشكل عندنا
وعند الحكماء لقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وليس ذلك لها بنقص فيها أو زيادة بل للطافتها
تنتشر تارة وتتضام أخرى كما تراه فى لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار
الا ان الملائكة من نورها الصافى والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب بعض الحكماء الى انهما
جنس واحد وان الاستثناء متصل وفى بعض الشروح * فان قلت فما معنى تشكل الملائكة والجن فى
صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغير خلقته * قلت قال القاضى أبو يعلى لا قدرة للجن على تغير خلقتهم
ولا على نقل صورتهم الى صورة أخرى لان ذلك انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء وان انتقضت
البنية بطلت الحياة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف ينقل بعينها وانما ذلك باعتبار جواز ان
يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال اذا فعله أحدهم أو تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه
قادر على التصوير والتخييل وحمل عليه تصور جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية رضى الله
تعالى عنه وتصوره لمريم بشرا سويا ويجوز أن يكون الله تعالى قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم
ذلك لانهم أرواح انتهى وفيه كلام آخر ليس هذا محله وأما رؤية الجن فقد ثبت فى أحاديث كثيرة منها
ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال كنا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة
ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء
فسألناه فقال أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر

عليه الصلاة والسلام كان
بين كتفيه عينان مثل
سم الخياط وكان يبصر
بهما ولا يحجبهما الثياب
(والاحاديث كثيرة صحيحة
فى رؤيته صلى الله تعالى
عليه وسلم للملائكة
والشياطين) أما الاول
فكرواية البخارى وغيره
انه رأى جبريل فى صورته
له ستمائة جناح على
كرسى بين السماء
والارض قد سد الافق وقد
رأى كثيرا منهم ليلة
الاسراء وربما قيل انه
أمر فيهم ونهى وأما الثانى
فكحديث البخارى ان
عفريتا تفلت على
البارحة فى صلاة المغرب
وبيده شعلة من نار
ليحرق بها وجهى
فامكننى الله منه فدفعته
ثم أردت ان أربطه بسارية
من سوارى المسجد
فذكرت دعوة أخى
سليمان وفى رواية لولا
دعوة أخى سليمان
لاصبح يلعب به ولدان
المدينة

(ورفع النجاشي) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو أول لقب من ملك الحبشة واسمه كما في البخاري أصحمة وقيل
صحمة أو صمحة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وأسلمت لله رب العالمين
ورفع بصيغة المجهول والنجاشي وما عطف عليه مرفوع على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبي وأبعد الدلجي وجعله مخفوضا حيث قال
وجاءت أيضا يعني الاحاديث في رفع النجاشي (له حتى صلى عليه) أي يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة وقد أخرج أبو داود من
طريق يزيد بن مروان عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور وأما حديث صلاته
عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعي على جواز الصلاة على الغائب وأما حديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو أعلى
نعشه حتى قيل انه أحضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض حتى رآه قال الدلجي وجميع
ماذكروان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثمة أنكره ابن جرير لعدم وجوده في خبر
ورواية عالم في أثر وانما
الوارد في رواية أبي علي
والبيهقي ان معاوية بن
معاوية المزني رفع له وهو
صلى الله تعالى عليه وسلم
بتبوك حتى صلى عليه
انتهى ولا يخفى ان ثبوت
هذه القضية في الجملة مع
ذلك الاحتمال ينفي
التعلق بفعله صلى الله
تعالى عليه وسلم في مقام
الاستدلال كيف وقد جاء
في المروي ما يومئ اليه
وهو ما رواه ابن حبان في
صحيحه من حديث عمران
ابن حصين أنه صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان
أخاكم النجاشي توفي
فقوموا وصلوا عليه فقام
عليه الصلاة والسلام
وصفوا خلفه فكبر أربعا
وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه فهذا اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها
فاما أن يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام أو كشف له وقد صرح القسطلاني في شرح البخاري ناقلا عن أسباب النزول للواحدي
عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه وقال التلمساني ذكر ابن قتيبة في آداب
الكتاب والكلاعي في النقاية أنه توفي ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع
انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشي فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بانه
رفع له كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وابن سعد في الطبقات عن أنس ان معاوية بن معاوية المزني ويقال الليثي نزل جبريل
عليه الصلاة والسلام بتبوك فقال يا رسول الله ان معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة أتحب ان أطوي لك الارض فتصلي عليه قال
نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة
والسلام لجبريل بم أدرك هذا قال بحبه سورة قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال

اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم وورد أحاديث آخر في رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم
وايمانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان في أحكام الجان قال بعض فضلاء عصرنا ظاهر كلام المصنف
رحمه الله ان رؤية الملائكة والشياطين من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يراهم غير الانبياء وفي
حاشية الحلبي في سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في قول الراهب رأيت ملكين يظللانه من الشمس
فيه ما يدل على جواز رؤية الملائكة كالجن وقد صرحوا به وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم محمول على الغالب أي وفيه بحث يأتي آخر الكتاب ولو كانت رؤيتهم محالة ما قال صلى الله
تعالى عليه وسلم هممت ان أربطه بسارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم وقال المصنف رحمه
الله تعالى قيل رؤية الجن على صورهم الاصلية ممتنعة الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له
العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم الاصلية ورده النووي بانه دعوى مجردة لا مستند لها (ورفع
النجاشي له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه) يعني ان الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته وهو
ببلاد الحبش فرآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة
بصره الشريف بحيث يراه مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول وتقريره رفعه
الله وصلى فاعله ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ويجوز أن يكون رفع مصدرا مضافا لمفعوله
مبتدأ خبره مقدر أي ثابت أو معجزة ويجوز أن يجر عطفا على قوله في رؤيته الملائكة والاخبار كثيرة في
ذلك وفي رفع النجاشي بمعنى انه نقل بطرق كثيرة ولا مانع من ذلك والاول أولى وأظهر والنجاشي ملك
الحبشة واسمه أصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الحاء المهملتين والميم والهاء ابن أبجر بفتح
الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم مفتوحة وراء مهملة وقال مغلطاي ابن بحري وقيل اسمه صحمة
بمهملتين مفتوحة فساكنة وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بالخاء المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن
بعض مشايخه وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول بن صصة بمهملتين أولاهما مكسورة
والادغام والنجاشي بفتح النون المشددة والجيم وتخفيفها وصوب المحب الطبري التخفيف كما قيل
في

فى ابن جنى لانه معرب كنى والنجاشى غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو فى الاصل كل من ملك الحبشة كقيصر لكل من ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون للقبط والعزيز لملك مصر وتبع لحمير ودهمى وفغفور لملك الهند وغانة للزنج وبطاميوس لليونان وفطيون بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة ومثناة تحتية مضمومة يليها واو ونون أو مالخ بفتح اللام والخاء المعجمة أو شالخ لليهود وللصابئة نمرود وتبع ملك اليمن وجالوت من ملك البربر وأخشيد من ملك فرغانة ونعمان من ملك العرب من قبل العجم وجرجير من ملك أفريقية وشهربان من ملك خلاط وفور من ملك السند والاصفر من ملك علوى ورتبيل من ملك الخزر وكابل من ملك النوبة كذا فى المقتفى وغيره وفى سيرة مغلطاى ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان ترشح للملك سمى قيلا بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وهو كالوزير وأصله قيلا بالتشديد كما حققه أهل اللغة وفرعون من ملك مصر والشام فان أضيف اليها الاسكندرية فهو العزيز أو المقوقس ومعنى أصحمة عطية أو عطية الله وأصحمة هذا هو النجاشى كما علم وهو ملك جليل القدر آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان بينه وبينه مهاداة ومكاتبة الا أنه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد فى الصحابة لان شرطها الملاقاة الا على قول ضعيف ذكره فى التقريب انه يكفى فيها المعاصرة مع المشاهدة والايمان لاسيما من كان له عذر فى التخلف كهذا وله أخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين فلما دخلوا عليه وجدوه لبس مسحا وقعد على التراب فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أنعم على عبده بنعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا وان الله تعالى أحدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهى ما بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه أرعى غنما السيدى فهزم الله أعداءه ونصر دينه وروت عائشة رضى الله تعالى عنها انه بعد موته كان يرى على قبره نور وقوله كنت أرعى الخ يدل على انه دخل بلاد العرب وأما ماذكره التجانى من أنه من بيت الملك وان الحبشة قتلت أباه وملكوا عمه وكان له ميل اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لابد من قتله أو اخراجه من أرضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة على ماذكر كما توهمه لان بقية القصة مذكورة فى الروض الآنف وفيها ما يدل على خلاف ماذكره ثم ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من رفع النجاشى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى رأى جنازته قال السيوطى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا انه لم يجده فى كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزنى حتى صلى عليه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك كما أخرجه أبو يعلى والبيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه انتهى ويأتى بطوله * أقول الذى أنكره المخرج انما هو رفع جنازته اليه فانه روى فى خصائصه الكبرى من طرق مثبتة انه صلى الله تعالى عليه وسلم نعى لاصحابه النجاشى لما مات وخرج وصلى عليه مع أصحابه وكبر أربع تكبيرات والصلاة عليه ثابتة فى الصحيحين وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قصة الرفع مدرجة فى الحديث بناء على الاختلاف فى الصلاة على الغائب وصحتها مطلقا كما يأتى وكانت وفاته فى السنة التاسعة من الهجرة فى رجب وعن أبى اسحق ان نيزرا أو أبا نيزر بنون ومثناة تحتية وزاى معجمة وراء مهملة النجاشى كان مولى لعلى ابن أبى طالب بعد موت أبيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى وقال لا أريد الملك بعد ان من الله على بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية النور على قبر النجاشى غير مستغرب فانه يرى على بعض قبور الشهداء ويصدقه قوله تعالى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم واذ قد علم ان قصة النجاشى فى الصحيحين وهى من أعلام النبوة لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بموته فى اليوم الذى مات فيه مع بعد

المسافة ولما صلى عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى وان من أهل
الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية واستدل به من قال بالصلاة على الغائب وبه قال أحمد والشافعى
وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غائب أو فى قبره كما يدعى له وهو
حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن كان فى جهة القبلة بخلاف
مستدبرها وأجاب من قال بعدم الصلاة على الغائب عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها
فشرعت لذلك ولذا قال الخطابى لا يصلى على الغائب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت
كبلاد أهل الشرك وكذا قال أبو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه فى الصلاة فلو
علم انه صلى عليه لا يصلى عليه من كان غائبا فان لم يصل عليه لعذر أو عائق سن الصلاة عليه ولا يترك
لبعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما روى انه سويت له الارض حتى
أبصر النجاشى وقد رد هذا بانه اذا فعل شيئا من افعال الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص لا بد له
من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شئ يوثق به ولو كان كذلك توفرت
الدواعى بنقله ويؤيد كلام المناهل المار قول ابن حجر ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أهل لذلك الرفع
والاحضار فانه قادر على ما هو أعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من عند أنفسنا ومثل هذه الامور
الضعاف تلاف بلا تلاف وقال الكرمانى رحمه الله تعالى رفع الحجاب ممنوع ولئن سلمناه فهو غائب فى
حق الصحابة الذين صلوا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع فى حديث مجمع بن حارثة ما يؤيده
فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيئا كما فى سنن ابن ماجه والطبرانى وأجاب الحنفية بانه يصير كالميت
الذى يصلى عليه الامام وهو يراه والمأموم لا يراه فانه جائز اتفاقا فاذا ورد عليه انه ليس النزاع فى الرؤية
وعدمها فانه لا يشترط فى صحة الصلاة رؤية الميت ولا سريره وانما النزاع فى كون الميت فى بلد والمصلى فى
أخرى وعلى تقدير انه رآه لم يقع النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لم
يكن غائبا والحاصل ان هنا ثلاثة أمور احدها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم بموته وهو بالحبشة
وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل للشافعية الثانى ان يكون رفع له سريره أو روحه وهو
فى مكانه وأزيل الحجاب فهذا أيضا صلاة على الغائب مع أنا نطالب مدعيه بنقل صحيح الثالث أن
تحمل جثته لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل أحد انه ورد ولا ثبت
فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمصنف الاستدلال على قوة بصره صلى الله تعالى عليه
وسلم بحديث معاوية المزنى الذى رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه
ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية بن
معاوية المزنى أفتحب ان تصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا أكمة الا
تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة فى كل صف سبعون
ألف ملك فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى
عزوجل قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وهذا
حديث صحيح كما فى شرح البخارى لابن حجر * أقول بعد صحة هذا وبيان كيفية الصلاة
فيه على الغائب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشى ورفع السرير وازالة
الحجاب أمر خارق للعادة لا يتيسر لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتبين صحة جواب الحنفية
وقوته وسقط الاعتراض عن المصنف رحمه الله تعالى أيضا وقد اختلف فى النجاشى كما فى بعض الشروح
أهو علم شخص أم علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون هل اسم لكل متفرعن أو هو علم شخص

(وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع أي ورفع له أيضا بيت المقدس كما في الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه في أخباره انه أسري به اليه ثم الى ماشاء الله تعالى ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن أسلم وأخبروا أبا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء في ساعة واحدة من ليل أو نهار فاصدقه وهو أبعد مما تعجبون منه ثم قال يانبي الله صفه لي فاني جئته فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس فكربت كربة ماكربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سألوني عن شئ منه الا أنبأتهم به (والكعبة) أي ورفع الكعبة له أيضا حتى رآها (حين) وفي نسخة حتى (بنى مسجده) أي بالمدينة ليجعل محرابه اليها على مارواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع ابن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجي وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذي أعلمه بها وأراه سمتها لا انها رفعت له حتى رآها بشهادة مافي جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي أقام له قبلة مسجده انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بينهما بان أخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل أو بان يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقبا فان قيل لاخلاف في انه أول قدومه المدينة كان يصلي الى بيت المقدس الى ان حولت القبلة بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتاخير بناء المحراب الى الكعبة بعد التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة أول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس ثم حول الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له

وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية ولا وجه لانكار النقل فيه كما قيل (تنبيه) في حديث النجاشي أمران أحدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف الفقهاء فيه فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا خلاف بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا فعل من غير صراخ واطراء بما لا ينبغي فهو سنة ولو بالنداء في الاسواق لما فيه من الدعاء للخير بتكثير الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثاني ان الشافعية بعدما ذكروا دليل الخصم في التاويل قالوا الادليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهرة فان مرادهم ان الصلاة على الغائب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتاويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لابد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح مانقلناه اذ المنع المجرد لا يسمع في مقابلة النص وقوله (و) رفع (بيت المقدس حين وصفه لقريش) بالرفع معطوف على النجاشي ويجوز جره كما مر ومقدس كمرجع اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر أي المكان الذي يطهر الله فيه العباد من الذنوب أو يطهر من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال التبريزي يقال انه غير مصروف ولا يمتنع واستشهد للاول بقول كثير

كالمصرخي غدا فاصبح واقعا * في قدس بين مجاثم الاوعال

انتهى فانظر دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ماوقع في حديث الاسراء الذي رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضي الله تعالى عنه بسند صحيح متصل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسري به وأصبح بمكة أتاه عدو الله أبو جهل فقال له هل كان من شئ قال نعم اني أسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بهذا قال نعم فقال يامعشر قريش يامعشر بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس حتى جاؤا فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثهم فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس وكم فيه من باب فكربت كربا لم أكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وكشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته فنعتته لهم وأنا أنظر اليه وجاؤا أبا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا هل تصدقه فقال نعم اني أصدقه باخبار السماء فسمي لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين وهذا مؤيد لما ذكره المصنف من قوة بصره حتى رآه مرفوعا ولم يغب عنه شئ منه فما قيل من ان الاليق درج هذا فيما له عليه الصلاة والسلام من الكرامات والمعجزات لانه أمر زائد على تكميل الذات لا وجه له (والكعبة حين بنى مسجده) أي رفعت له صلى الله عليه وسلم الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها على الوجهين السابقين في الاعراب قال السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير ابن مطعم مرسلا ثم ماذكره المصنف رحمه الله تعالى مشكل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتى المدينة

نزل بقباء أياما ثم أسس مسجدها وهو أول مسجد أسس على التقوى ثم خرج منها راكبا ناقته ثم أتى دور بني النجار فبركت ناقته في موضع مسجده فبناه على ما فصل في السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا أو نحوها فكيف يصح أن يقال ان الكعبة رفعت له صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنائه كما وقع في حديث الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة و يقيم له القبلة وهذا كله في غاية الاشكال مع وروده في الحديث وكذا في الحديث المرسل الذي نقله السيوطي في تخريجه ولذا قال التجاني رحمه الله تعالى في شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلاة والسلام أعلمه بحقيقة القبلة وأراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى رآها و بهذا جاءت الآثار من غير تقييد وفي العتبية من سماعات مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذي أقام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلة مسجده مسجد المدينة قال ابن رشد في البيان والتحصيل يعني أراه السمت اليها و بين له جهتها والصواب ان ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بناء مسجده و كون جبريل عليه الصلاة والسلام أراه سمتها لا يقتضي رفعها ومثله لا يقدم عليه من غير رواية والحاصل ان ما في حديث الشفاء من ان جبريل عليه الصلاة والسلام حين بنى مسجده كان يؤمه الى الكعبة في غاية الاشكال لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس اللهم الا أن يقال ان توجهه اليها لم ينسخ وكان مخيرا بين التوجه لها وللصخرة وقد وقع في كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه وأما ما قاله ابن الحنبلي في شرحه من ان معنى قول الشفاء يؤمه أي يصير له اماما أي متبعا في التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة و بيان جهتها كما يكون الرجل امامك اذا استهل الهلال لم يركه وأنت متبع له في التوجه لم يك سمته فع تكلفه لا يجدي شيئا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بما ذكره تاج القراء في سبب نزول قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس) الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل القبلة فلما قوي رجاؤه ويمكن ان يكون سال جبريل عليه الصلاة والسلام أن يبين له جهتها عسى أن تكون قبلة ففعل أو سال الله ذلك والامام المتبع في الاقوال والافعال مطلقا كما في عمدة الحفاظ و به فسر قوله تعالى (اني جاعلك للناس اماما) و بمجرد هذا الاحتمال لا يندفع الاشكال وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير طائل رأينا تركه أكثر فائدة من ذكره ثم اني رأيت في تذكرة الحافظ العلامة العلائي بخطه ان الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء عليهم السلام أما انها كانت قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فما لا شك فيه وفي الاحاديث انه عليه الصلاة والسلام كان يحب أن يتوجه الى قبلة أبيه ابراهيم الكعبة وفي الآثار ما يقتضي ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم أو عناد وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لابي داود مسندا الى الحسن في قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس) الآية قال أعلم قبلته فلم يبعث نبيا الا وقبلته البيت و وقع في قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان خالدا قال قرأت التوراة فلم أجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بني اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم وقال أبو داود خاصم يهودي أبا العالية في القبلة فقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له بيني و بينك مسجد النبي صالح عليه السلام فقال اني صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الآثار تدل على ان الكعبة كانت قبلة الانبياء كلهم انتهى باختصار * أقول وكذا قبلة عيسى عليه الصلاة والسلام وانما غيرها للشرق بولس كما صححوه واذا عرفت هذا علمت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن كان يجعلها بينه و بين البيت المقدس لانه

القبلة وهذا أيضا يؤيد الجمع الاول فتامل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة (انه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهي المرأة الكثيرة المال من الثروة وهي الكثرة والنجم المعروف لكثرة كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلي الثريا اثنا عشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لاتزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهي أنجم لانها لاتفترق فهي كواحد (وهذه) أي الاخبار المذكورة والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) أي هذا القول أوهذا الحمل وأبعد الدلجي في قوله ذكره نظرا الى مابعده وهو (قول أحمد بن حنبل وغيره) أي من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام أحمد من مرو وسكن بغداد من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكي تبعا للحلبي وروى عنه البغوي والظاهر انه وهم (وذهب بعضهم) أي كالنووي في شرح مسلم (الى ردها الى العلم) أي فهي رؤية علم وكشف قال المنجاني ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق له علما بجميع ما يفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون في الادراك بنية مخصوصة تخلق له وأغرب الدلجي في قوله أي خلق الله تعالى له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من ورائه على طريق خرق العادة انتهى ولايخفى ان مآله الى أن الرؤية بصرية وأغرب من ذلك أنه لما ذكر هذا قال وأغرب مختار بن محمود الحنفي حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لايحجب بصرهما الثياب والله أعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) أي ظواهر هذه الاخبار تخالف ماذهب اليه البعض من العلماء الاخيار وأبعد بعضهم على ماذكره المصنف في مشارق الانوار حيث قال انما هي بالتفاته يسيرة الى من ورائه معللا بانه لوكان يرى من خلفه لما قال أيكم الذي ركع دون الصف فقال أبو بكر انا يارسول الله فقال زادك الله حرصا ولاتعد والجواب ان في نفس الحديث مايدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما الكثرة الصفوف أولاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه الى صوبه وتعمقه في قصده فرآه مجملا لامفصلا مع ان خوارق العادات لايلزم تحققها في جميع الاوقات وقال ابن عبد البر هذا قبل أن يمنحه الله بهذه الفضيلة فقد كانت

صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوافق أهل الكتاب فيما لم يوح اليه فيه فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم أن القبلة الحقيقية الاصلية انما هي الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله بالاقتداء به ولم ينص على القبلة فعنده صلى الله تعالى عليه وسلم علم بانه سيصرفه الله اليها ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب فلا مانع من أن يسال صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام أن يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى مايدل على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقد حكى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) قال السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل الصفا هذا لم يوجد في شئ من كتب الحديث والثريا مصغر ثروة وهي الكثرة وهي منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال في مباهج الفكر وهي ستة أنجم صغار طمس ويظنها من لامعرفة له سبعة وهي مجتمعة بينها نجوم صغار كالرشاش وحكى أن الثريا اثني عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة أوسبعة ولم ير جميعها غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القوة جعلها الله تعالى في بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكواكب للزهرة وذكر السهيلي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي في كتاب أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنها لاتزيد على تسعة فيما يذكرون ونظمه في أرجوزته فقال

وهو الذي يرى النجوم الخافية * مبينات في السماء العالية

أحد عشر نجما في الثريا * الناظر سواه ماتهيا

وفي كتاب التفهيم لابي ريحان البيروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب ويظن العوام والشعراء انها سبعة وهو ظن غير مصيب قيل وهو غير مصيب لنقصه عما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت أنه لم يثبت مانسب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا وقال الامام الخضيري في خصائصه ماذكره القرطبي والسهيلي لم أقف له على سند واصل يرجع اليه وقال التلمساني أنه جاء في حديث ثابت من طريق العباس رضي الله تعالى عنه ذكره ابن أبي خيثمة (وهذه) الامور المذكورة (كلها) من رؤية النجاشي والكعبة والثريا وغيره مما ذكر (محمولة على رؤية العين) أي مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل يستعار لذلك في كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاجمال بحمل اللفظ كحمل على ظهر المعنى وقريب منه الاحتمال (وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم) أي الى تاويل الرؤية بالعلم وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله (والظواهر تخالفه) أي ظاهر

خصائصه تتزايد فى كل وقت وحين والله الموفق والمعين (ولا احالة) مصدر احاله والمحال هو الشئ الممتنع فالمعنى لا امتناع شرعا وعقلا وعادة (فى ذلك) أى فى كونه رؤية عين بطريق المعجزة (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) أى المختصة بهم (كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد) أى التميمى البستى (العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرى) أى العالم بعلم القراءة وهو نزيل مكة (الفرغانى) نسبة الى فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على ما فى القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد هنا قوله (حدثنا أم القاسم بنت أبى بكر عن أبيها) وهو أبو بكر محمد بن اسحق الكلاباذى مؤلف كتاب الاخبار عن فوائد الاخيار وقيل الاخبار بفوائد الاخبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى) قال التلمسانى هو الشريف أبو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم قلت ولا يصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسنى بفتحتين والله سبحانه وتعالى أعلم (حدثنا محمد بن محمد سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصرى يروى عن يزيد ابن هارون ومحمد بن عبد الله الانصارى (حدثنا همام) بفتح هاء فتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودى قال الحلبى وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمسانى هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى انتهى والظاهر انه وهم منه كما لا يخفى من مرتبة الاسناد والله أعلم بالصواب والسداد فى المراد (حدثنا الحسن) أى ابن أبى جعفر الجفرى كما سيأتى قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة وهو أحد الضعفاء (عن قتادة) تابعى جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مقاله خاشع مقرئ يروى عن ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى) أى ظهر بلا كيف

العبارة تخالفه ولا مقتضى لصرفها عن الظاهر (ولا احالة فى ذلك) أى ليس فى حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضى العدول لاجله (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) أى قوة البصر والحواس من صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا وجه لاستبعاده او تاويل ما يدل عليها ثم أيد ذلك بالنقل فقال (كما أخبرنا) قيل الظاهر من الكاف فى قوله كما أنها التعليلية مثلها فى قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) والمعنى انما قلنا هذا من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاجل ما أخبرنا (أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه) قال التلمسانى هو التميمى مات بسبتة سنة احدى وخمسمائة وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه اشارة الى أنه قرأه وهو يسمعه من كتابه لا من حفظه وقد اختلف فيمن لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه تجوز روايته ويحتج لها واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف أيضا فيما اذا لم يتذكر ما فى كتابه وتفصيله فى ابن الصلاح وحواشيه قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بالفاء والغين المعجمة بينهما راء مهملة نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو على بن عبد الله المقرى نزيل مكة قال (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر عن أبيها) هى بنت أبى بكر محمد بن يعقوب البخارى الزاهد الصوفى المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار بفوائد الاخبار قال (حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى) هو الشريف أبو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم توفى فى خلافة المعتز بالله لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن أربعين سنة وقيل غير ذلك قال (حدثنا محمد ابن محمد بن سعيد) قال (حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان) قال (حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) قال (حدثنا همام) هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى وتوفى أيام الحجاج بن يوسف ولفظ همام وقع فى كثير من النسخ والصواب هانئ كما أصلح وهو هانئ بن يحيى السلمى وشيخه الذى أشار اليه بقوله (حدثنا الحسن) هو الحسن بن أبى جعفر الجفرى بضم الجيم والفاء نسبة للجفرى هو مكان بالبصرة أحد الضعفاء وقد رواه أبو القاسم الطبرانى عن أحمد بن الحسين بن بهرام الايذجى حدثنا محمد بن مرزوق البصرى حدثنا هانئ فذكره وقال فى آخره لم يروه عن قتادة الا الحسن ابن أبى جعفر تفرد به هانئ بن يحيى وقوله (عن قتادة) هو ابن دعامة التابعى الجليل وتقدمت ترجمته (عن يحيى بن وثاب) بفتح الواو وتشديد المثلثة وألف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدى مولاهم روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة رضى الله عنهم وروى عنه الاعمش وعيس وهو ثقة محدث مقرى توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب السنن الان روايته عن أبى هريرة رضى الله عنه ليست فى الكتب الستة (عن أبى هريرة) رضى الله عنه تقدم الكلام فى اسمه وترجمته (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله

لموسى

لموسى عليه الصلاة والسلام) أي في ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج
الى ما تكلف له الدلجى تبعا للتجاني بقوله ولا يعزب عنك ان المتجلى له كما ذكر في الآية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل
سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجل لموسى فلم يحصل ترتب بين الوجوابها وهو قوله

لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفا) الصفوان عليه وسلم والصفا الحجر الصلد الاملس (في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ) جمع فرسخ وهو ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع طولها أربعة وعشرون أصبعا وعرض كل أصبع ست حبات شعير ملصقة ظهر البطن وقيل ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف خطوة كل خطوة ثلاثة أقدام يوضع قدم امام قدم ويلصق به وشين عشر ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون لانه بقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرحة وقيل معناه ساعة من ساعات النهار والتجلي كما قاله الراغب في مفرداته الكشف والظهور وقد يكون بفعله بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان التجلي بغير الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلي الله لموسى عليه الصلاة والسلام على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل أمر آخر فلا يرد على المصنف انه مخالف للقرآن فان التجلي فيه للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام مع انه غير مسلم فان القرطبي رحمه الله تعالى نقل في تفسيره قولا بان موسى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه ولذا خر صعقا واما تجليه للجبل واندكاكه فاما بمعنى أمره وفعله به ما أراد أو نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلي الله فتفتت وانهد من هيبته ولعل المصنف رحمه الله ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لانه يتعدى بها وقال التجاني في الجواب ان اللام تعليلية بتقدير مضاف أي فلما تجلى لاجل سؤال موسى رؤيته وان هذا لا بد منه في الحديث للتوفيق بينه وبين الآية وقال بعضهم المراد تجلي أمره أو نوره والمقدر لهذا من المعتزلة لانكارهم الرؤية ومن أهل السنة لاستبعاد ان يكون للجبل ادراك أو روح تدرك وليس مثله بمستبعد من القدرة * أقول قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير ثابت هنا لوجهين الاول ان ما ذكره خلاف الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة الثاني انه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام المصنف لان تجلي الله للجبل حتى صار دكا وخوف موسى عليه الصلاة والسلام حتى يخر صعقا لا يقتضي التأثير في حواسه حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه ولا يصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته لغرضه فالحق ما قلناه وتحقيقه ان الله تعالى لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بناء على ما قاله الاشعري من انه يجوز سماعه أو كلاما بغير واسطة يدل عليه ان لم نقل بقدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي أثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها الذي بانتشاره في البدن يحصل الادراك على ما حققه الحكماء في الحواس فادرك بذلك ادراكا خارقا للعادة فاذا كانت زرقاء اليمامة التي ضرب بها المثل فقيل أبصر من زرقاء اليمامة ترى من أميال وهي امرأة من الجاهلية فما بالك بهؤلاء وفي تخصيص النملة والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لا تخفى وقيل معنى الحديث ان الله تعالى لما خص موسى عليه الصلاة والسلام بمناجاته ظهرت له أنوار ربانية ساطعة أضاءت بها الارض اضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى الكبير من قريب والفهم المقدم فان فهمت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبراني في مسنده الصغير وصححه ولما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي فحصولها للنبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسراء مع ما رآه أظهر فلذا قال (ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه) من رؤيته للملائكة والجن ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار (من هذا الباب) أي من نوع هذه الرؤية فان الباب والبابة ورد بهذا المعنى (بعد الاسراء) قيده به لانه وقع بالمدينة والاسراء كان بمكة

(كان يبصر) أي يرى كما في أصل التلمساني (النملة على الصفا) بالقصر أي الصخرة الملساء ولا يبعد ان يكون بالمد لمشاكلة قوله (في الليلة الظلماء) أي شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ) أي مقدارها تحديدا أو تقريبا أو تكثيرا والفرسخ فارسي معرب وهو ثلاثة أميال والميل منتهى البصر أو أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام معتدلة بوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمساني يصح في شين عشرة الفتح والكسر والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المتقدمة عليها كاحدى عشرة وأمثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبراني في الصغير بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبي اما هانئ بن يحيى السلمي

فذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ واما الحسن بن أبي جعفر الجفري فضعيف (ولا يبعد على هذا) أي على طبق هذا الحديث
ووفقه من المعجزة المترتبة على التجلي الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل أو المفعول أي يصير مخصوصا
(نبينا بما ذكرناه من هذا الباب) يعني زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجي في العبارة ما ليس في الكتاب (بعد الاسراء) أي بعد

أسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر أى و بعد الخطى والخطاء (بما رأى من آيات ربه الكبرى) أى من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين أو ببصر القلب على ما تقدم والله أعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) أى الدالة على قوته البدنية كخبر أبى داود والترمذى (بانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) أى رمى وضرب على الارض فى حالة المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (أشد أهل وقته) أى أقواهم فى غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) أى النبى عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة حالية قال الترمذى اسناده ليس بالقائم وقال البيهقى مرسل جيد وروى باسناد موصولا الا انه ضعيف وفى سيرة ابن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة الا تتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو أعلم ما تقول حقا لاتبعتك فقال أرأيت ان صرعتك تعلم ان ما أقول حق قال نعم فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم أضجعه لا يملك من أمره شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه أيضا فقال يا محمد ان ذا العجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وأعجب من ذلك ان شئت ان أريكه ان اتقيت الله واتبعت أمرى قال ما هو قال أدع ولك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ارجعى مكانك فرجعت فلما رجع ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه ثم أخبرهم بما رأى قال الحجازى وأسلم قبل الفتح قيل توفى بالمدينة سنة أربعين فى زمن معاوية وقيل انه من أجداد الشافعى قال المنجانى ولابنه يزيد أيضا اسلام وصحبة (وصارع) يعنى أيضا (أبا ركانة فى الجاهلية) صفة لملة أو الامة أو الفترة وعلى

ولانه يكون بعد تجلى الله لرؤيته على ما عليه الاكثر فيزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته آنفا (والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى) الحظوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة وهى بضم الحاء وكسرها واما آيات ربه الكبرى فسيأتى الكلام عليها فى الاسراء (وقد جاءت الاخبار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صرع ركانة أشد أهل وقته) أشد أعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية وهذا اثبات لتفوقه صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره فى قوته البدنية بعدما أثبت قوة ادراكه صلى الله تعالى عليه وسلم وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة يليها ألف ونون وهاء قال الحافظ برهان الدين الحلبى فى المقتفى هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم القرشى المطلبى الحجازى المكى ثم المدنى أسلم يوم الفتح وهو الذى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فصرعه قال الحافظ عبد الغنى المقدسى وهذا مثل ما روى فى مصارعته صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره ورواه أبو داود والترمذى مرسلا قال الترمذى وليس اسناده بالقائم وأخرجه أبو داود عن قتيبة عن محمد بن ربيعة عن أبى الحسن العسقلانى عن أبى جعفر محمد بن ركانة عن أبيه انه صارعه فذكره وأخرجه الترمذى بهذا السند وزاد المزى ما لفظه هكذا رواه أبو الحسن ابن العبد وغير واحد عن أبى داود مثل رواية الترمذى ورواه البيهقى فى المراسيل عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه قال البيهقى وهو مرسل جيد وروى باسناد آخر متصل الا انه ضعيف وأشار الى ما تقدم وقد رأيت ما نقله فى مراسيل أبى داود فى اطراف المزى كما قاله لكن فيه انه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحاء فاتاه يزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد فذكره بالشك والله تعالى أعلم وتوفى ركانة بالمدينة سنة اثنين وأربعين وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وقال النووى فى تهذيبه وقع فى المهذب فى باب المسابقة انه عليه الصلاة والسلام صارع يزيد بن ركانة وهو خطأ والصواب ركانة بن يزيد انتهى وقال السهيلى فى روضه ان أبا أسد بن الجمحى واسمه كلدة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه عليه الصلاة والسلام مرارا ولم يؤمن انتهى والحاصل ان الذى صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم ركانة فى أصح الروايات (وكان دعاه الى الاسلام) فلم يسلم أولا ثم أسلم بعد ذلك كما تقدم قيل كان ينبغى ذكر هذا قبل ذكر ما اشتمل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قوى الباطن ليترقى منه اليه اذ هذا من قوى الظاهر وهو أدنى من قوى الباطن ولا مرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من أشجع الناس وأقواهم (وصارع صلى الله تعالى عليه وسلم أبا ركانة فى الجاهلية) أى قبل ظهور الاسلام بمكة قال البرهان الذى صح انه ركانة واما أبو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل من ان أبا جهل صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح أيضا وذكر بعضهم عن السهيلى ان أبا أسد الجمحى صارعه وكان من أشد الناس وقد مر وغير هذين لم يصح والجاهلية منسوبة الى الامة الجاهلية أو الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه أى كل ماذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى هذا وخبرانه صارع أباجهل فصرعه فلم يصح بل لا أصل لهما وفيه انه فى مراسيل أبى داود و يزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر أن الصحيح ركانة كما قاله الحلبى وغيره لا كما قاله النووى أنه الصواب والله أعلم نعم مصارعة أبى جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلى ان أبا الاسد ابن الجمحى واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة و يجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه صلى الله تعالى تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى فى شمائله والبيهقى فى دلائله (ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه) وفى نسخة مشيته بكسر الميم و زيادة التاء أى فى هيئة مشيه وهى غير ملائمة لاسرع كما قاله المنجانى فتامل فى تحقيق المبانى والمعانى (كأنما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ماقبلها عما بعدها من العمل (تطوى له) بصيغة المجهول أى تنزوى وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطى الملاءة وأما المشى فى الهوى وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) أى معشر الصحابة (لنجهد أنفسنا) بفتح النون والهاء وفى نسخة بضم النون و كسر الهاء من جهد دابته وأجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها فالمعنى لنتعب أنفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء أى الحال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولا متأثر بمشى هونا و رفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا

وعلى ماقبل الفتح قيل والمراد هنا الثانى (وكان) أى أبو ركانة (شديدا وعاوده ثلاث مرات) أى صارعه مرة بعد مرة (كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كل منصوب بنزع الخافض أى يصرعه فى كل ذلك قاله البرهان وغيره وأما حديث ركانة الذى تقدم فهو مارواه البيهقى انه قال كنت أنا والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غنيمة لابى طالب نرعاها فقال لى ذات يوم هل لك ان تصارعنى فقلت له أنت قال أنا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة ثم قال هل لك فى المعاودة الثانية قلت نعم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة فجعلت التفت هل رآنى انسان من الرعاة فيجترىء على وأنا فى قومى أشدهم فقال هل لك فى الثالثة ولك شاة قلت نعم فصارعته فصرعنى وأخذ منى شاة فقعدت كئيبا حزينا فقال مالك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد أعطيت ثلاثا من غنمه وكنت أظن انى أشد الناس فقال هل لك فى الرابعة فقلت لا بعد ثلاث فقال أما الغنم فانى أردها عليك فردها فلما ظهر أمره أتيته وأسلمت وفى رواية أنه راهنه على عشرة وانه قال له ماهذا الا سحر * فان قلت ما حكم المصارعة شرعا * قلت ذهب البغوى رحمه الله تعالى الى تحريمها لانه لا منفعة لها فى الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه ربما تدعو اليها المحاربة و بهذا أفتى شيخنا الرملى وأما أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العوض من ركانة فانما كان بنية رده وليرغب فى المصارعة وليكون ذلك سبب الاسلامه مع ان المروى ان ركانة هو الذى طلبها ثم ذكر مايدل على قوته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فقال (وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيته) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والياء المثناة التحتية المفتوحة يليها تاء تانيث مضافا لضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى هيئة المشى وروى مشيه بفتح الميم دون تاء تانيث قاله التلمسانى وقال التجانى كثيرا مايقع فى الشفاء وغيره مكسور الميم والصواب فتحها لان المشية بالكسر هيئة الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى أسرع من مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير أسرع من هيئة مشيته ولا معنى له و رد بان المشى والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون مصدرا أوهو كما تقول جمال زيد أكمل وأنت تريد زيدا أكمل فى جماله فالمعنى أسرع من مشيه فى هيئته المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما فى قولك فلان أحسن الناس جلسة أى هيئة أحسن من هيئة غيره فى الجلوس * أقول هذا تكلف نشا من توهم ان المشية مفضل عليها وليس كذلك فان المفضل مطلق حركته ومشيه وفى بمعنى مع أى لا يرى أسرع من حركته مع هيئته المخصوصة فى مشيه فليس المقصود تفضيل الهيئة يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مع تؤدته واعتدال حركاته تراه يسرع كأنه الماء الجارى من غير اضطراب ولولا هذا لناقض ماذكر من اعتدال حركاته فى أول الفصل فلذا قال (كأنما الارض تطوى له) فانه يدل على ان مشيه ليس بالجرى والهرولة و ورد ان الارض كانت تطوى له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا منافاة بينهما أما لحمل هذا على غالب أحواله وذاك على أسفاره ونحوها وقيل انهما بمعنى فان أحدهما استعارة أو تشبيه بليغ وهذا تشبيه صريح كما تقول هو الاسد وكأنما هو الاسد (انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث) نجهد مضارع امامن الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والتعب

ولقوله تعالى واقصد فى مشيك ومع ذلك يسبق من شاءه كرامة خص بها اذ اعطى قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كذا تحدث أنه أعطى قوة ثلاثين رجلا أى فى المشى والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه فى غسل واحد وكن

تسعا (وفى صفته) أى نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما فى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد فى الضحك هو الذى ينبغى وان كان الضحك جائزا لما ورد فى بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق أنه سئل ابن عمر أكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون أى أحيانا قال نعم وان ايمانهم لأعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروى عن الحسن انه كان لا يضحك وهذا لما غلب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط فانه يضحك ولا يبكى والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الأحوال (اذا التفت) كذا فى بعض النسخ والظاهر كما فى أصل الدلجى واذا التفت أى الى أحد الجانبين (التفت معا) وفى رواية جميعا أى بجميع

بجميعه

أو بضمها وهو الطاقة والمقدرة أى انا نتعب أنفسنا فى مساواة مشيه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مستريح لا يرى له مشقة أو انا نبذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتاء المثناة الفوقية وراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بالامر قالوا ولا يستعمل اكترث الا فى النفى وورد فى الاثبات نادرا فى حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد فى صفة مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى فى الحديث عن على كرم الله تعالى وجهه وغيره اذا مشى مشى تكفيا كأنما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها ذريع المشى أى خطاه متباعدة وكان أصحابه رضى الله تعالى عنهم يمشون بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلفهم ويقول خلوا ظهرى للملائكة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض من حديث أوله ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع الى آخره رواه صاحب الشمائل والمصنف رحمه الله تعالى اختصره وغير بعض ألفاظه وفى نسخة المصححة مشيته موافق لاحدى النسختين هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان المشية أعم من المشى لدلالة الاول على الحدث والثانى على الحدث مع الهيئة وكلما دل على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا أضيف الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة لان الهيئة التى تدل عليها فعلة المكسورة الفاء حالته التى عليها الفاعل عند تلبسه بالفعل وهى لازم لكل مصدر فكل مشى مشية من غير عكس لانه تكلف (وفى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم كان تبسما) الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمى مقدمها الضواحك والتبسم ابتداؤه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفى الحديث كان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم تبسما كذا فى عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك أو نوع منه وعليه قول النحاة فى قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها ان ضاحكا حال مؤكدة وقول الزمخشرى أى شارعا فى الضحك وآخذا فيه يعنى انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك لا يقتضى التفرقة ولان المراد بالضحك أمر مخصوص فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشرى كما توهم وقد ورد فى بعض الاحاديث ان ضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن الا تبسما وورد فى بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وفى بعضها وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالب أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وان غيره وقع منه أحيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه المبالغة لا حقيقته ولا حاجة اليه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يضحكون اذا رأوا عجبا أو أمرا يسرهم ولنا فيهم أسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد فى الحديث كثرة الضحك تميت القلب لمن غلبه ذلك من أهل اللهو والبطالة وروى فى قوله تعالى فتبسم ضاحكا انه كان فرحا بفضل الله تعالى عليه ولم يكن بطرا ولا أشرا لا سيما ما فيه من تأنيس الناس وتعليمهم لحسن العشرة وأما ما روى عن الحسن رضى الله تعالى عنه من انه ما رؤى ضاحكا ولا متبسما الا فى أهله ولا وحده ولا فى جماعة فذلك غير منكر لشدة خوفه من الله تعالى ومراقبته له وهو مقام آخر لا يخالف فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فلا وجه للاعتراض به عليه (اذا التفت التفت معا) فلا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعا ويدبر جميعا ومعنى معا

نظره لا بمؤخر عينيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجي أى بجميع
بدنه وينبغي أن يخص هذا بالتفاته وراءه وأما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) أى في مسيره (مشى تقلعا) بضم اللام
المشددة أى رفع رجليه رفعا بقوة لا اختيالا لشدة عزمه ولا تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (كأنما ينحط من
صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى أى كأنما ينحدر من مرتفع قاله الدلجي تبرا ٣٨٥ للشمنى وفى القاموس الصبب محركة

بجميعه (واذا مشى مشى تقلعا) رواه الترمذى فى الشمائل اذا مشى تقلع وفى رواية اذا زال زال قلعا
يمشى تكفيا ويمشى هونا وفى النهاية الاثيرية ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم يرفع رجليه من
الارض رفعا قويا من غير مقاربة للخطا فانه مشى النساء والمختالين وقلعا روى بفتح القاف وضمها
مصدر بمعنى الفاعل أى قالعا رجليه وفى غريب الانبارى والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو
قريب من قوله (كأنما ينحط) أى ينحدر (من صبب) أى بتثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة وروى
فى صبب بفتح الصاد المهملة وفتح أولى الموحدتين وهو الموضع المرتفع أو ما انحدر منه كسفح الجبل
فمن على ظاهرها وقيل انها بمعنى الى وينحط بمعنى يتدلى وكذا ينحدر وفى رواية كأنما يهوى من صبوب
بفتح الصاد وضمها مصدرا أو جمع صبب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل من علو
(فصل) وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول) معنى الفصاحة فى اللغة كما فى كتاب الصناعتين لابى
هلال الاظهار تقول العرب أفصح الصبح اذا أضاء واللبن اذا انجلت عنه الرغوة وظهر وتمامها بتمام
آلة البيان وهى اللسان قال ولتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا
يوصف بها الله سبحانه وتعالى عز وجل فلا يقال فيه فصيح وان وصف بها كلامه والبلاغة من بلغت
الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية أو لابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى
الفصاحة عند أهل المعانى معلوم فى كتبه وتقدم انه يوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفى
وصف المفرد بها كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقا أو تعريفه
للاستغراق أى جميع أقواله بليغة وأضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننا أو للدلالة على كمال
كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه فصيحا بليغا مع نقص آلته كزياد الاعجم فانه كان
لا يقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل أن يريد باللسان اللغة (فقد كان صلى
الله تعالى عليه وسلم من ذلك) المذكور وهو الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل)
المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهومهما لان الاول مكان الحلول والثانى مكان الوضع ففى عبارته تفنن
فرارا من التكرار أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح البشر وأبلغهم فكنى عن ذلك بجعله فى
أفضل محل البلاغة وفى موضع لها لا يجهله أحد كما فى قوله

ان الفصاحة والسماحة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فهو كالاثبات بدليل ومرتبته فى ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو أقرب اليها من كل بليغ وقوله بالمحل خبر
كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل والموضع أى
كان بالمحلين كائنين بعض ذلك أى بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة التى له من ذلك ويؤثر عنه
من الكلمات البليغة ما لا تصل اليه القوى البشرية (سلاسة طبع) وفى نسخة مع سلاسة طبع
والسلاسة السهولة أى كانت سليقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى البلاغة تنقاد له بسهولة من غير

تصبب نهرا وطريق
يكون فى حدوره وما
انصب من الرمل وما
انحدر من الارض وكل
هذه المعانى تشير الى أن
الصبب بمعنى المنخفض
لا بمعنى المرتفع وقد صرح
الحجازى وغيره بانه
ما انحدر من الارض
وأغرب الحلبى حيث قال
من موضع مرتفع منحدر
فالاولى أن يقال من بمعنى
فى كما فى قوله تعالى اذا
نودى للصلاة من يوم
الجمعة ويؤيده انه جاء فى
رواية كأنما يهوى فى
صبوب بفتح الصاد
وضمها فالمعنى كأنما ينزل
من علو الى أسفل فانه
حينئذ يكون المشى بقوة
لكن لا بابطاء ولا بسرعة
والمقصود من الحديث
هذه الفقرة الدالة على
كمال قوته البدنية فى
مسيرته الحسية وأما
مسيرته المعنوية فقد علم
فى القضية الاسرائية
*(فصل وأما فصاحة
اللسان وبلاغة القول)*

(٤٩ شفا ل) أى فى معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لنطقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان
بها كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها
لا يبلغ بها الغرض فراعى المصنف اصطلاح علماء المعانى والبيان فى تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك)
أى مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل) بصيغة المجهول أى الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة
طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض أى بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفى نسخة مع سلامة طبع

(وبراعة نزع) بفتح الميم والزاي أي ماخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق أقرانه ووصفها بصفة صاحبها مبالغة أي منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان وأما قول التلمساني انه بكسر الميم وهو السهم الذي نزع به واستعاره القاضي للسان مجازا اذ هو آلة الكلام ففي غاية من البعد مع مخالفته للاصول المعتمدة (وايجاز مقطع) أي ومقطعا موجزا من أوجز أتى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء منتهى المرام كما ان المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع والمقطع باسلوب الشعراء من الفصحاء والبلغاء وأما ما ذكره التلمساني من أنه بكسر الميم وهو في الاصل شفرة حادة يقطع بها الشئ استعارة للقول مجازا اذ هي آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة في غاية من التكلف ونهاية من التعسف (ونصاعة لفظ) بفتح النون أي ولفظا ناصعا أي خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) أي وقولا جزلا لا ركاكة فيه ولا ضعف تاليف وتركيب ينافيه بل نسجت حبره الحبرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) أي ومعاني صحيحة يستفاد منها مقاصد صريحة قال التلمساني ومعان جمع معنى بالياء وبدونها أو لاخفاء لما فيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلافهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) أي قلة طلب كلفة في التادية بعد تامل وتفكر وتروية وكان الاولى أن يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وما أنا من المتكلفين ولعله أراد بالقلة العدم والله أعلم ومنه قول أبي أوفى كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يطلق يقل اللغو أي لا يلغو رأسا ومنه أيضا قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون أي لا يؤمنون أصلا (أوتي جوامع الكلم) جملة مستانفة مبينة ومؤكدة لما قبلها أي أعطي الكلمات الجامعة للمعاني الكثيرة في المباني اليسيرة وقد جمعت أربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين هو أقل ما يتركب منه الكلام الاسنادي كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وأمثالهما مما أدرجته في شرح الشمائل للترمذي والكلم بفتح الكاف وكسر اللام اسم جمع للكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة أي الحكمة البديعة المتضمنة للمعاني المنيعة (وعلم السنة العرب) أي وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله

تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض أو هو مفعول له ولو رفع بتقدير له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح العرضي بعد ما أعربه مفعولا قال انه في جواب سؤال تقديره هل كانت فصاحته سليقة أو بتتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم (وبراعة منزع) البراعة بفتح الباء والراء المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها هنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى أهله اذا اشتاق وأراد الرحيل اليهم ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان أو مصدر ميمي وفسروه هنا بالماخذ وما يرجع اليه الرجل من رأيه وأمره والظاهر أن المراد أصله ومقره يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم وجادتهم أفصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمساني فهو اسم آلة كالمفصل وفسر باللسان وأصله السهم يقال نزعت في القوس نزعا وأنزعت بنزع أي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة أي رجع الحق لاهله (وايجاز مقطع) الايجاز التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه أهل المعاني وهو بفتح الميم اسم مكان أو مصدر أي موجز في محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر الميم على ان المراد به القول وتفسيره بتمام الكلام لظهوره عنده تكلف (ونصاعة لفظ) النصاعة الخلوص والوضوح أي ان لفظه صلى الله تعالى عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنه واضح لكل أحد لمخاطبته كل أحد على قدر عقله وبلغته (وجزالة قول) بفتح الجيم والزاء المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها الركاكة (وصحة معان) أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع فصاحة ألفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لا فساد فيها لاحتوائها على الاحكام والحكم الفصل (وقلة تكلف) لانه يتكلم عن روية وسلاسة طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفي كما أثبته النحاة وأهل اللغة فاندفع قول بعضهم ولو قال وعدم تكلف لكان أحسن وأليق (أوتي جوامع الكلم) أي آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني التي هي بمنزلة الامثال فان من تامل كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فيه من المعاني مع الوجازة التي تستخرج الطبع الغواص منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القرآن والحديث وفيه نظر (وخص ببدائع الحكم) أي خص صلى الله تعالى عليه وسلم بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ما تمنع من الجهل ولذا سمي الحاكم حاكما لمنعه التعدي (وعلم السنة العرب) أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان

تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى أخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على أوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن مامورا باظهارها أو أراك ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه أفضل أنواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة عربى وأصل النبى عربى قيل ومن أسلم فهو عربى ولانه أيسر اللغات وأضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل أمة) أى طائفة (منها) أى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة أى ويجاوبها (بلغاتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء أى يعارضها ويروى بدله وبيانها (فى منزع بلاغتها) أى ماخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستانفة ههنا على ماذكره الدلجى والاظهر انها للغاية أى الى حد (كان كثير من أصحابه) أى من أتباعه وأحبابه (يسالونه فى غير موطن) أى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) أى بيان مرامه (وتفسير قوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات أو الاعم والله أعلم وقد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسالون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى تزهى وتزهو وحتى تشقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر ظاهر وشان باهر (من تامل حديثه وسيره) أى أحاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين وأقواله فى كتب أرباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسبره بالموحدة على انه فعل ماض أى نظر فى صناعة أساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) أى تفصيله (وتحققه) أى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) أى لم يكن تكلمه (مع قريش) أى من أهل مكة (والانصار) أى من أهل المدينة (وأهل الحجاز ونجد) أى ونحو اليهما (ككلامه) مع (ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة أو معجمة بعدها ألف وراء وهو أبو ثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد واما همدان بفتح الميم مع الذال المعجمة أو المهملة فبلد بعراق العجم قيل هاجر ذو المشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام ومعه أربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان

يطلق على اللغة وعلم مخفف ماض مبنى للفاعل أو مشدد مبنى للمجهول أى علمه الله أو مصدر مجرور معطوف على بدائع الحكم (يخاطب كل أمة منها) أى كل قبيلة وجماعة منهم (بلسانها) أى لغتها لاختلاف لغاتهم (ويحاورها بلغتها) أى يصاحبها ويراجعها بلغتها (ويباريها فى منزع بلاغتها) المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل فعله (حتى كان كثيرا من الصحابة) رضى الله تعالى عنهم مع انهم فصحاء علماء وهذا غاية لجميع ما قبله أى لقوة فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من المعانى البديعة التى لم يسمعوا بها أو لما يليها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره (يسالونه فى غير موطن) أى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه وتفسير قوله) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وهو صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع (من تامل حديثه وسيره) جمع سيرة وروى وسبره بسين مفتوحة مهملة وباء موحدة كما ذكره البرهان أى تتبعه وفتش عليه وأصله من سبر الجرح اذا اختبر غوره (علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد) قريش قوم من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم أى تجمعهم بعد ما كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم مضر او قصى أو لانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة أى يجمعونها أو سموا بالقريش وهو دابة بحرية يخافها دواب الارض والانصار جمع ناصر أو نصير سموا بذلك فى الاسلام لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة والطائف وما يليها سمى به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة أو احتجزت بحرار (٢) خمس معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهى من أعمال اليمامة كما بين فى معجم البلدان وغيره (ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى) بسكون الميم ودال مهملة بينها ألف ونون وياء نسبة لهمدان وهى قبيلة عظيمة باليمن واما همدان بهاء وميم مفتوحتين وذال معجمة فبلدة بخراسان بناها همدان بن الفلوج بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله فكان هذا تعريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال التلمسانى انه بشين معجمة ومهملة وغين معجمة ومهملة واقتصر فى القاموس على الثانى وراء مهملة وفى الروض الانف انه أبو ثور مالك بن نمط وهو من بنى خارف أو من يام وكلاهما من همدان وهو صحابى وفد على

---

(٢) جمع حرة على وزن ذرة وهى أرض ذات حجارة سود لمصححه

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء وبام بمثناة تحتية
ويقال أيام بهمزة وهو الذى ذكره المصنف وهو همدانى خارفى ارحبي ووهم ابن اسحاق فى قوله فى سيرته
مالك بن نمط وأبو ثور ولك ان تقول انه من عطف الكنية على الاسم ولا بعد فيه والذى صححه الصاغانى
فى كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة وانه انما قيل له ذى المشعار لان المشعار موضع باليمن
ينسب اليه وسيأتى ماقاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم (وطهفة النهدى) بكسر الطاء المهملة
وسكون الهاء وبالفاء تليها هاء تانيث وهو ابن زهير ويقال ابن أبى زهير وسماه الذهبى فى تجريده طهية
بالمثناة التحتية بدل الفاء وقال ابن الجوزى انه طخفة بالخاء المعجمة وقيل طغفة بالغين المعجمة وقيل
طقفة بقاف وفاء وقيل قيس بن طفحة وقيل اسمه يعيش واسم أبيه أبو ذر وقال التلمسانى انه فى بعض
الشروح بظاء مشالة مفتوحة ويقال بكسرها والنهدى بالنون والهاء والدال المهملة منسوب لنهد وهو
اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسع لما قدمت عليه وفود
العرب ولما قدم قام وقال أتيناك يارسول الله من غورى تهامة بأكوار الميس ترمى بنا العيس نستحلب
الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستجيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة المنطا
غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى
برئنا يارسول الله من العثن والوثن ومايحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ماطمى البحر
وقام تعار ولنا نعم اغفال ماتبض ببلال ووقير قليل الرسل كثير الرسل اصابتنا سنة حمراء موزلة ليس لها
عال ولانهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها فى الدثر بيانع الثمر وأفجر له الثمد وبارك له فى المال والولد وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله
كما يأتى ونقلت من خط العلائى بسنده الى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال قدم وفد بنى نهد بن
زيد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام طهية بن أبى زهير النهدى بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقال أتيناك يارسول الله من غورى تهامة على أكوار الميس ترمى بنا العيس ونستحلب الصبير
ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستجيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة المنطا غليظة
الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج من البكارة ومات العسلوج وهلك الهدى ومات
الودى برئنا يارسول الله من الوثن والعثن ومايحدث الزمن لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ماطمى
البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال لاتبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمراء
موزلة ليس لها عال ولانهل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها
ومزقها واحبس راعيها على الدثر ويانع الثمر وبارك لهم فى الولد من أقام الصلاة كان مؤمنا ومن أدى
الزكاة لم يكن غافلا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مسلما لكم يابنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك
مالم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة من أقر بالاسلام فله
مافى الكتاب ومن أقر بالجزية فعليه الزكاة وله من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الوفاء بالعهد فى
الذمة وكتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع طهية بن أبى زهير كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد بن زيد السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله
عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والضبيس لا يزوى كلكم ولا
يقطع سرحكم ولا يحبس دركم ولا يعضد طلحكم مالم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق انتهى وتفسيره
الميس الرحال والعيس الابل والصبير السحاب المتفرق والرهام القداح والجهام السحاب بلا مطر
أمطر بلد آخر غائلة المنطا بعيدة المسافة يبس المدهن غدير الماء والجعثن عروق الشجر البكارة البكر
ادركه الهزال بعد السمن العسلوج عروق الشجر تتشعب ورقه والودى الغسيل والعثن الخلاف

(وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء ففاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره

وماتبض ببلال أي ليس لها ابن ووقير قليل الرسل يعني الصرمة من الغنم ليس لها أولاد كثير الرسل يقول سديد العرف في طلب المرعى وقوله في مخضها وفرقها ومذقها كلها من اللبن والدثر الخصب ويانع الثمر نضيجه والثمد قليل الماء يخرج من الارض والضبيس الصعب والرماق النفاق والرباق الرعاء وذو العنان الفرس يركب ويزال بالعنان لانه لا يركب فيلجم والرباق حبل يربط قلت غوري تهامة ما انخفض منها وغور كل شئ عمقه وقيل تهامة ما بين ذي عرق على مرحلتين من وراء مكة وقيل انها الى اليمن أقرب والميس شجر صلب تتخذ منه الرحال وترمي تقصد والعيس ابل بيض الى صفرة والصبير سحاب أبيض متكانف كان بعضه صبر على بعض أي حبس يستحلبه يستقطره والخبير النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والبرير ثمر الاراك اذا اسود ويستعضده يحتشه من عضده اذا قطعه والرهام جمع رهم بالكسر وهو مطر وفسر بالقداح وهو غلط والاستجالة الاستمطار من الجولان والجهام سحاب صب ماؤه ونستحيلة روي بحاء مهملة أي ينظر اليه لجامعه في منظره وغائلة المنطا كذا سمعناه والذي رواه ابن الاثير النطاء بكسر النون من غير ميم وغائلة مهلكة والمنطا البعيدة والمدهن نقرة في الجبل فيها ماء المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوج قيل ورق شجر يشبه الطرفاء وقيل نبت وقيل نوى المقل وقال الزمخشري انه استعارة لما ذهب من سمن الابل الراعية والعسلوج غصن طري قريب عهد بالطلوع والهدى ما يقدم للنحر أراد به مطلق الابل والعنن الاعتراض من عن له كذا وطمى البحر ارتفع موجه وتعار بكسر التاء وعين مهملة مخففة اسم جبل وهمل ابل لا راعي لها والاغفال ما لا سمة له وقيل هما ما لا لبن له والوقير قطيع الغنم والمحض بمهملة الخالص وبمعجمة اللبن الممخوض ليخرج زبده والمذق لبن مزج بالماء والفرق بكسر فسكون اناء يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول أقرب هنا وودائع الشرك العهود والمواثيق بينهم في الجاهلية وقيل ما استودعوه من أموال الكفار الذين لم يسلموا فأحلها لهم كذا بخط العلائي (وقطن بن حارثة العليمي) قطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة بحاء وراء مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب بن كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب هبل من بني عذرة من قبائل كلب وهو صحابي قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعدما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ما كتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمائر كلب واخلافها ومن ظارة الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقامة الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عقدها بمحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي عليهم في الهمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والهمولة البائرة لهم لاغية وفي الشوى الوري مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها ومما أخرجت أرضها وفي الغدي شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم ولا يفرق شهد الله على ذلك ورسوله وكتبه ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن معدي كرب أبو محمد وهو من ولد آكل المرار الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي كرم الله وجهه بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فأسلموا ورجعوا الى اليمن قال في الاستيعاب ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعدما أتى به أبو بكر رضي الله تعالى عنه أسيرا فجعل يعدد عليه أفعاله فلم ينكرها وهو في الحديث حتى أتم مقالته فقال له الاشعث استبقني وزوجني أختك فرأى أبو بكر رضي الله عنه انه الرأى ففعل وزوجه أخته أم فروة وروى انه لما خرج من

(وقطن بن حارثة) بقاف ومهملة مفتوحتين وحارثة بالمثلثة (العليمي) بالتصغير نسبة الى بني عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه في غيث السماء في حديث فصيح كثير الغريب على ما رواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في أعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام وجيء به الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه أسيرا فعدد عليه فعلاته (فلم ينكرها) ثم قال يا أبا بكر استبقني لحربك وزوجني أختك فزوجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يلق ذات أربع تؤكل الا عقرها ثم قال يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتي ولو كنت في بلدي لأولمت كما يولم مثلي اغدوا على فخذوا الاثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد معه مشاهد كثيرة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفي بها بعد علي بأربعين يوما وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

عنده استل سيفه فلم يلق ذات أربع من الانعام الاعقرها فقيل لابي بكر انه ارتد ثانية فقال انظروا في شانه فرأوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول ياقوم هذه وليمتي ولو كنت بارضي لاولمت كما يولم مثلي فاعدوا علي وخذوا اثمان ماعقرت لكم وفي ذلك يقول ابن قيس الخزرجي

لقد أولم الكندي يوم ملاكه * ووليمة حمال لثقل الجرائم

فقل للفتى الكندي اما لقيته * ذهبت باسني مجد اولاد آدم

ولقب بالاشعث لانه كان رأسه أشعث دائما وقد أخرج للاشعث أصحاب الكتب الستة وأحمد في مسنده وصرحوا بانه صحابي بناء على ان الردة لاتبطل الصحبة وان ابطلت ثوابها اذا رجع للاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن أبي حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المصنف رحمه الله كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن خطه نقلت عن هشام بن الكلبي ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من كندة فقال له عليه الصلاة السلام هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجي اليك ولوددت ان يشبع القوم مكانه وروى لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقولن ذا فان فيهم أجرا اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهذا من بليغ الكلام ومن الحديث أخذ ابن الهبارية قوله في الصادح والباغم

لاخير في الاولاد * والاهل والسفاد

وليس فيهم فائدة * الا ظنون فاسدة

مجبنة ومبخلة * مجهلة ومقتلة

لولاهم ماذلا * ذوادب وقلا

(ووائل بن حجر الكندي) نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وهاء وحجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووائل بواو وألف يليها همزة لاياء مثناة من أسفل كما في حواشي التلمساني وغيره ويقال له أبو هنيدة ويقال أبو هنيد بغير هاء ابن ربيعة بن نعم الحضرمي كما قاله ابن عبد البر وفي شرح التجاني انه ابن حجر بن ربيعة بن وائل بن نعم الحضرمي ومافي الشفاء من انه وائل بن حجر الكندي غلط بغير شبهة والصواب ماتقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث بن قيس مقدما على قوله وائل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوائل وفيه خلاف ذكره ابن الجزري في كتاب الجمال فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق أبو هنيدة الحضرمي أو أبو هنيد الكندي الصحابي ووافقه ابن عساكر فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن صمعج فيمكن ان يكون كنديا عند المصنف رحمه الله تعالى فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو وقيل من أقيال حضرموت وأبوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال في العباب كندة أبو حي من اليمن وهو لقب له واسمه ثور بن عنبس بن عدي ولقب به لانه كند نعمة أبيه ولحق باخواله فقال له أبوه كندت نعمتي ولما وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسلما بشر به أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام وقال لهم يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الله ورسوله طائعا وهو بقية من ابناء الملوك فلما دخل عليه رحب به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وادناه منه وبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده وفي التهذيب للازهري عن وائل بن حجر انه قال كتب لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجلب ولاجنب ولاشغار ولاوراط ومن أجبى فقد اربى وفسر من أجبى بمن غبن وهو حسن وعن أبي عبيدة لا اجباء الحرث قبل ان يبدو صلاحه انتهى وله قصة

(ووائل بن حجر) بضم حاء وسكون جيم فراء واما وائل فبهمز كقائل وقول الحلبي بالمثناة تحت قبل اللام في غير محله لانه بناء على ماقبل اعلاله (الكندي) بكسر الكاف قال الدلجي تبعا للتجاني كذا ههنا ولعله تأخير من تقديم اذهي نسبة الاشعث ونسبة وائل هي الحضرمي قلت لايبعد ان يكون كنديا حضرميا ثم رأيت الحلبي صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندي الصحابي شهد مع علي في صفين وكانت معه راية حضرموت بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت وارسل معه معاوية بن أبي سفيان فخرج معه معاوية راجلا ووائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل ظل الناقة فقال معاوية له وما يغني ذلك عني لو جعلتني ردفا فقال له وائل اسكت فلست من أرداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى ولي معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول جائزته وقال يأخذه من هو أولى به مني فانا عنه في غنى

مع معاوية رضي الله تعالى عنه لما أرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه وتوفي في زمن معاوية سنة تسع وأربعين في ذي الحجة وسبب اسلامه كما قاله ابن ظفر في كتاب البشر انه كان له صنم من عقيق يعبده ويسجد له فبينما هو نائم عنده وفي الظهيرة سمع صوتا منكرا هاله فاتاه وسجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا من وائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا ترجى من نحيت صخر * ليس بذي عرف ولاذي نكر
ولا بذي نفع ولاذي ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقبل
قبل تقضي العمر المولى * فدن بدين الصائم المصلي
محمد المبعوث خير الرسل

ثم خر الصنم فقام اليه وجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدناه وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة راغبا في الاسلام فقال يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ثم انه طلب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكاتيب ثلاثة باقراره على أرضه وملكه فاعطاه ذلك وقد بسط ذلك ابن حديدة في كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومكاتيبه (وغيرهم) أي غير من ذكر من العرب (من أقيال حضرموت وملوك اليمن) الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة التحتية واللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الى الاقوال العباهلة وفي رواية الاقيال فقيل انه من القيالة وهي الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وأمره فاصله على هذا قيل بتشديد الياء أعل اعلال ميت ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه وأقوال على الاصل واقيال على لفظ قيل كما قيل ريح وأرياح والقياس أرواح لكنه لم يرجع لاصله فرقا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قر ملكهم وبقي متروكا على ما كان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت واحدة عبهل فالتاء للتاكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة أو جمع عبهول وأصله عباهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما في فرازنة وفرازين وفي تثقيف اللسان العباهلة بالباء الموحدة هم الذين لايد عليهم لاحد وبالمثناة التحتية الشيال وكلاهما مدح كما قاله التلمساني وحضرموت بفتح الحاء المهملة واسكان الضاد المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جائزا فيه وهو علم مركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة أوجه فتح رائه واعرابه اعراب مالا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب العوامل واضافته للثاني وبناؤهما كخمسة عشرة وقال النووي في تهذيبه حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهو شاذ وسمي به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمني على يمنيين ويمانيون بالتشديد (وانظر في كتابه (٢)) أي أعرفه وقف عليه باي طريق كان من استعمال المقيد في المطلق أي كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كتبه (الى همدان) بسكون الميم والدال المهملة كما كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمداني وهذا رجوع الى بيان

(وغيرهم) أي ومع غير المذكورين أيضا (من أقيال حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتية جمع قيل بفتح وسكون وأصله قيل بالتشديد أي المنفذ قوله ويدل عليه انه يجمع على أقوال بالواو أيضا وقال السهيلي القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في تسبيحه الذي رواه الترمذي سبحان من لبس العز وقال به أي ملك به وقهر على ما فسره الهروي وهم بلغة حمير صغار الملوك دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الباقي وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت غير مصروف للتركيب والعلمية أو يضاف فيقال حضرموت بضم غير مصروف للتركيب والعلمية ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثاني باعراب ما لا ينصرف وان شئت تنون الثاني (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وأنظر كتابه) أي مكتوبه الذي بعث به ذا المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره أبي عبيدة وغيره (الى همدان) أوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارق ويام وأهل خباب الضب وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم الى آخره

٢ قوله في كتابه آه هكذا وقع في نسخ الشهاب كلها وفي نسخ المتن وشرح على القاري بدونها فليراجع

كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع غير أهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطونها خارف و يام بالتحتية و يقال أيام ولذا ينسب اليه أهل الحديث أيامى وقال ابن دريد ان همدان اسم لاب القبيلة وقيل اسمه أوسلة وانه أخبر بماغمه فقال هم دان فلقب به وليس هذا مما يلتفت انتهى كلامه فى الجمهرة ولم يذكر فيه مادة ه م ذ بالاعجام لانه غير عربى عنده وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما لاقاه بتبوك يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلوص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف و يام وشاكر أهل الود والتود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الانصاب عهدهم لا ينقض ما أقام لعلع وما جرى العصور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وخفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يا كلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروى هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف ويام عهدهم لا ينقض عن سنة ماخل وأهل جناب الهضب وخفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يا كلون علافها ويرعون عافيها النامن دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح فقال فى ذلك مالك

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجا * ونحن باعلى رحرحان وصادد
وهن بنا خوض طلائح تعتلى * بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسره * تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بان رسول الله فينا مصدق * رسول الى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد
وأعطى اذا ما طالب العرف جاءه * وأمضى بحد المشرفى المهند

والى بعض من هذا أشار بقوله (ان لكم فراعها) بالفاء المكسورة وراء وعين مهملتين بينهما ألف وهى ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع أو أعالى الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أقطعهم ذلك (ووهاطها) بكسر الواو وبالهاء والطاء المهملة جمع وهطة كفرعة وهى الوهدة وما سفل والمنخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان أحدهما مبدل من الآخر (وعزازها) بفتح العين المهملة وزاءين معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيوطأ ويحرث فيصير رخوا ومنه العز لصلابة جانبه (تا كلون علافها) بكسر العين المهملة واللام والفاء قال فى النهاية جمع علف وهو ما تاكله الماشية مثل جمل وجمال وفى قوله مثل لطف الا أنه اذا كان علف الماشية فقوله تا كلون بالخطاب لهؤلاء القوم غير مناسب هنا الا بتجوز بان يقدر تا كل دوابكم أو يجعل تا كلون بمعنى تملكون ولعل للعلاف معنى غير هذا فى لغة أهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا (وترعون عفاءها) بفتح العين والفاء والمد وفسر وه بما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس أو من عفا يعفو اذا خلص ومنه الحديث أقطعهم ما كان عفوا وقوله خذ العفو وأمر بالعرف وقال التجانى روى عفا بكسر العين جمع عفو كجبل وجبال وهو بمعنى الاول وفى قوله

(ان لكم) بكسر الهمزة وفتحها وفى أصل الدلجى ان لهم وهو الملائم لما سيأتى من قوله ولهم (فراعها) بكسر الفاء أى ما ارتفع من الارض (ووهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة وهى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فزاءين ما خشن وصلب منها وما يكون الا فى أطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته وملازمته مدة مديدة زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز أى فى الاطراف من العلم لم تتوسط بعد وفى الحديث نهى عن البول فى العزاز أى حذرا عن الرشاش (تا كلون) بالخطاب أو الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف منها أو ما تا كله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدودا وروى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ أى خلص وصفا وفى الحديث أقطعهم من أرض المدينة ما كان عفاء وهو أحد ما فسر به قوله تعالى خذ العفو

(لنامن دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء أى ما تستدفئون به من أصوافها وأوبارها وأما فى الحديث فهو كناية عن الانعام وفى المجمل الدفء نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وقيل هى الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا لانها يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها ما يستدفأ به من الاكسية وغيرها قال الدلجى فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من أراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه أو من معه من مواشيهم أى من ابلهم وغنمهم ضانا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفأ به انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من خطاب فى قوله لكم بناء على الاصول المصححة الى غيبة فى قوله لنامن دفئهم (وصرامهم) بكسر أوله ويفتح جمع صرمة أى من نخيلهم أو من ثمراتهم لانها تصرم وتقطع (ماسلموا) بتشديد اللام المفتوحة أى استسلموا لنا وأطاعونا (بالميثاق) أى العهد والحلف المؤكدة قيل ولعله أراد الاسلام أى لا تقبل صدقة الامن مسلم وقيل أراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق ولا يقر بزكاته ولا يخفى بعض ماله (والامانة) أى من دون الخيانة من المالك أو العامل وقيل المراد بالامانة الطاعة وقيل هى الامان ويؤيده ما سيأتى من قوله عليه الصلاة والسلام لهمدان من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من الصدقة) أى من الاموال التى تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فوحدة أى الهرم من ذكور الابل الذى سقطت اسنانه قيل وتناثر هلب ذنبه (والناب) أى ولهم الهرمة من اناثها التى طال نابها وهى من امارات هرمها (والفصيل) وهو ما فصل عن أمه وفطم عنها من أولاد الابل وقد يطلق على أولاد البقر والمراد صغارها (والفارض) أى المسن من الابل وقيل من البقر أيضا بدليل قوله تعالى لا فارض ولا بكر ويروى العارض بالعين المهملة وهى المريضة أو المعيوبة (الداجن) وفى أصل الدلجى بالعطف وهو ظاهر وهو بكسر الجيم ما يألف البيوت ولا يرسل الى المرعى وأعرب الانطاكى فى جعله وصفا للفارض أو العارض على اختلاف الروايتين فى الداجن اعتبارا للعادة لان المنقطع عن السوم يعلف فى الاهل غالبا

ترعون أيضا مام وجوابه ان الرعى مخصوص باكل البهائم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادباء أنت عندى كالاب بتشديد الباء قال له فلذا تأكلنى قال الدماميني فى كتابه نزول الغيث لو قال فلذا ترعانى كان ألطف لما فيه من التورية لاحتمال أن يكون من الرعى أو الرعاية كما فى الاب من احتمال معنى الوالد على لغة فيه ومعنى التبن لانه عنى انه لجهله كالانعام (لنامن دفئهم وصرامهم) الدفء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة وفسر وه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها يتخذ من أصوافها وأوبارها اثاث يتدفأ به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفأ بها وقال الله تعالى لكم فيها دفء ومنافع أى ما يتدفأ به من الصوف والوبر وهو فى الحديث بمعنى الانعام التى يؤخذ منها ذلك والصرام بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهى القطعة من النخل ويجوز أن يكون الثمر نفسه لانه يصرم من النخل أى يجذ ويقطع فسمى بالمصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز أن يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من الثلاثين والقطعة من السحاب وهو لا يصح ساقط لوجهين (ماسلموا بالميثاق والامانة) ما موصولة خبرها مقدم المراد العهد الذى أخذ عليهم أو الاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة أى كونهم مامونون على أموالهم لان رب المال فى الزكاة يصدق بقوله وقال التلمسانى أراد بها الطاعة أو الغناء أو العبادة وهو بعيد أى لا يؤخذ منهم شئ قهرا بل عن طيب نفس وغنى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين من يسلمون فيجوز انهم يسلمون بانفسهم أو للسعادة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهم الرغبة فى رضى الله ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعادة وانما يجب بعث السعادة اذا لم يتيسر وصول الصدقة بدونهم (ولهم من الصدقة الثلب) المراد بالصدقة الزكاة والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذى سقطت اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكور كما قاله الهروى (والناب) مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث فلا يقال للجمل ناب وان أسن وانما سميت نابا لانها اذا هرمت طال نابها (والفصيل) ولد الناقة الصغير الذى فصل عن رضاع أمه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من أولاد البقر والمعروف فى اللغة الاول (والفارض الداجن) الفارض البقرة الهرمة المسنة قال الله تعالى لا فارض ولا بكر وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمى لكونه فارضا للارض أى قاطعا أو فارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع وقيل بل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز فى حال دون حال والمسنة يجوز بذلها فى كل حال فسميت المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا انتهى

والداجن الشاة التى تكون فى البيت لاترسل للمرعى وكذا الراجن بالراء كما فى الصحاح وعلى هذا فالداجن غير الفارض فينبغى عطفها كغيرها وهو فى غالب النسخ بغير عطف اللهم الاان يقال ماذكر معناه الحقيقى وهى هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض * قلت ضميرلهم السابق لاصحاب المال ومن تؤخذ منهم الصدقة والمعنى ان ماذكر يترك لهم ولا يؤخذ منهم لمقابلته لقوله لنا او الذى يؤخذ فى الصدقة من أوسط مالهم لا أعلاه ولا أدناه كالصغير جدا او المسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن الذى يؤخذ فى الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذى يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى تجريد وقيل الفارض المسن من الابل وفى بعض النسخ والداجن بالعطف ومعناها شاة صغيرة تربى فى البيت كما وقع فى حديث الافك (والكبش الحورى) الكبش الذكر الكبير من الغنم الذى يقودها غالبا ولذا أطلق على الرئيس فى المدح بخلاف التيس والحورى اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحتين وراء مهملة يليها ياء نسبة وفى النهاية الاثير به انه منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضان وقيل هو مادبغ من الجلود بغير القرظ وهو أحد ماجاء على أصله ولم يعل اعلال ناب انتهى وقال ابن رسلان الحورى بفتح الحاء وسكون الواو ونسبة للحور وهى الجلود المذكورة والذى فى الصحاح ان الحورة وجمعها الحور بفتح الواو وفيه ما واقتصر أرباب الحواشى كالشمنى والحلبى والقسطلانى على مافى النهاية ونقل عن الكاشغرى فى كتابه مجمع الغرائب ومنبع العجائب ان الحورى المكوى نسبة الى الحوراء وهى كية مدورة يقال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو ولان الحور وابالقصر والمد للكية ساكنة الواو وقال التجانى الحورى بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود وروى الحوارى بزيادة الالف ومعناه الابيض لا الاحمر ولذا قيل الحواريون لانصار عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ولذا فسر بعض أرباب الحواشى الحورى بغير ألف بالابيض الجيد لما ذكر أولان موضع الكية يبيض * أقول الحاصل ان فى لفظ الحديث وكلام المصنف ثلاثة أوجه أشهرها الحورى بفتح الواو والثانى الحورى بسكونها الثالث الحوارى بالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو لا يؤخذ فى الصدقة لكونه أنفسها ولانه مما يحتاج اليه للضراب فلا يؤخذ منه الااذا أعطاه كما لا يؤخذ ماذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل فى كتاب الزكاة وعلى الاول لم يعل مع تحرك الواو وانفتاح ماقبلها اماعلى خلاف القياس كما هو ظاهر كلام النهاية السابق أو تبعا لفعله وهو حور كفرح أولئلا يلتبس الواوى باليائى الذى من مادة الحيرة وقول التجانى انه من الكباش ان لم يقله أحد من أهل اللغة ففيه نظر لانه كان ينبغى له ان يقول الكباش التى تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلا طائل (وعليهم فيها الصالغ والقارح) الصالغ بصاد مهملة ولام وغين معجمة ويقال سالغ فان كل صاد تبدل سينا مع الغين كما فصل فى محله وهو من البقر والغنم ما كمل وانتهى سنه فى السنة السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف كلما أكمل ست سنين ودخل فى السابعة لان ولد البقرة فى أول سنة عجل ثم تبيع ثم جذع ثم ثنى ثم رباع ثم سديس ثم صالغ وسالغ سنة وسنتين وماوقع هنا فى بعض النسخ ضالع بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والقارح بقاف وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذى دخل فى الخامسة وفى القاموس القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال التجانى القارح من ذوات الحافر ما أكمل خمس سنين وهو فى السنة الاولى حولى بسكون الواو ثم جذع ثم ثنى ثم رباع ثم قارح وفى هذا المكتوب زيادة على ماقاله المصنف رحمه الله تعالى وروايات أخر منها ماقدمناه ومعنى قوله وعليهم الى آخره انه اذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ منه ماليس هرما ولا معيبا

(والكبش الحورى) بفتحتين وهو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده أحمر وروى الحوارى أى الابيض والمعنى لا يؤخذ منهم فى هذه الاشياء التى خصوا بها وقيل المعنى لا تؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى واما لخساستها كغيره وانما يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) أى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فعجمة مادخل فى السنة السادسة من البقر والغنم والسين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه التجانى (والقارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة مادخل من الخيل فى خامس سنة

(وقوله) أي وأنظر قوله (لنهد) بفتح فسكون أي لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل أن يكون مشافهة أو مكاتبة فتقال وأنظر قوله
في كتابه لنهد لا كما قال الدلجي وأنظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة والديلمي في

كما مر وهذا مبني على ان الخيل تجب فيها الزكاة اذا كانت سائمة وذكورا واناثا الا صرف ذكورا وان شاء أعطى
عن كل فرس دينارا أو قومها وأعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان
معدا للتجارة وأدلتها مبسوطة في كتب الفقه (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد) نهد قبيلة من اليمن
تقدم الكلام عليها وهذا اشارة لما قاله عليه الصلاة والسلام لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام
صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله لكلهم أو لتنزيل كتابه منزلة خطابه أو هي للتعليل وقيل انه
هنا متعين لان هذا ليس مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام الآتي هو الله تعالى عز وجل لما سألوه صلى
الله تعالى عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال (اللهم) أي يا الله (بارك لهم) أي اجعل البركة وزيادة
الرزق ونباته مقسوما وواصلا لهم قال الامام الراغب رحمه الله تعالى أصل البرك صدر البعير وان
استعمل في غيره وبرك البعير التي بركة واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه بروكا الحرب لمكان يلزمه الابطال
والبركة لحبس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء
لثبوت خيرها ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث
لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى
هذه الزيادة أشير بما روي لا ينقص مال من صدقة لا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين
حيث قيل له ذلك بيني وبينك الميزان وقوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا *(تنبيه)*
على ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة في هذه الآية وكل موضع ذكر فيه تبارك
فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه أخذ
صاحب الكشف ما قاله في أول سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وهم في قحط شديد أصابهم فشكى اليه ما هم في كلام ذكرناه أولا فدعا لهم وقال اللهم بارك لهم
(في محضها ومخضها) متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والضاد المعجمة والمخض
مثله الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص كما مر ومادته كلها تدل على الخلوص والصفاء ومنه محض
الايمان في الحديث ومحضت له الود وعزبي محض ونحوه والمخض أصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن
حتى يتميز من زبده فيؤخذ منه ويسمى اللبن الذي أخذ زبده مخيضا وهو صفة لا مصدر يسمى به كما توهم
(ومذقها) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف وأصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن
المخلوط بالماء قال * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * والضمير راجع لارضهم أو لانعامهم
المذكورة في كلام طهفة السابق الذي شكا فيه محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم صلى الله تعالى عليه
وسلم بقوله اللهم بارك لهم في ألبانهم باقسامها ما كان خالصا لم يتميز زبده وما ميز منه زبده وما مزج
بالماء ومجموعه كناية عن خصب أرضهم وسعتها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون
بالمطر فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله وابعث راعيها في الدثر
ابعث بمعنى ارسل يقال بعث الله رسوله للناس أي ارسله والراعي الذي يرعى الابل وغيرها والدثر بفتح
الدال المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح
ثائه وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من الدثار وهو الغطاء لانها تغطي وجه الارض (وافجر له
الثمد) افجر بضم الجيم من فجر يفجر كقعد يقعد من تفجير الماء وهو جعله جاريا معينا والثمد بفتح
المثلثة وفتح الميم وقد تجوز تسكينها وآخره دال مهملة وهو الماء القليل وأفجر له مجاز عن معاني التكثير

مسند الفردوس (اللهم بارك لهم في محضها) أي لبنها الذي لم يخالطه ماء ذكره التلمساني والظاهر ان المراد به ما لم يخرج منه زبده حلوا كان أو حامضا وهو بميم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان (ومخضها) بالخاء المعجمة أي ما مخض من لبنها وأخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) أي ما خلط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهو التحقيق وبالله التوفيق (وابعث راعيها) أي مالكها ومربيها وقد يكون مالكها وهي بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (في الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة أي المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (وافجر) بضم الجيم ومنه قوله تعالى حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف في السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه أي الماء
القليل الذي لا مادة له والمعنى أجره لهم حتى يصير كثيرا

(و بارك لهم فى المال) أى الحلال و الافبعض المال و بال فى المال ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) أى الصالح والافبعض الولد كمدو كبد وفى بعض النسخ و بارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو أتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من أقام الصلاة) أى واظب عليها وقام بشرائطها وأركانها (كان مسلما) أى منقادا وأسلم نفسه من التعرض اليها بقتلها وأسرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام وقراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء وصبر وهو حبس النفس والحواس والخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء واللباس وصيام وهو الامساك عن الاكل والشرب واعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لادائها وحج وهو التوجه للكعبة وجهاد وهو مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن آتى الزكاة) أى أعطاها مستحقيها (كان محسنا) أى فى اسلامه أو ببذله الى اخوانه (ومن شهد) أى بقلبه وأقر بلسانه (ان) أى انه (لا اله الا الله) أى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) أى فى ايمانه واقتصر على أحد ركنيه لانهم كانوا عبدة أصنام فقصد به نفى الهية ماسوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايناسه منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه مؤمنين فهو من باب الاكتفاء أولان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل ولذا ورد من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما يراد به المعنى اللغوى فلا يحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا أيضا اذ مالهما واحد شرعا وان اختلفا مفهوما فان الاسلام هو الانقياد الظاهرى والايمان هو الاذعان الباطنى ولا يستغنى أحدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة يوهم انها وأمثالها جزء الايمان على ماذهب اليه المعتزله فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم أعطيته وديعا أى عهدا وميثاقا أى أقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تتعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة والمراد بها ما استودعوه من أموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط ويؤيده رواية مالم يكن عهد ولا وعد

(ووضائع

لازومه له غالبا فالمراد كثر ماقل من مائه وضمير له للراعى واذا كثر له كثر لغيره (و بارك لهم فى المال والولد) معطوف على ماقبله أو على بارك الاول والمال كل ما يتمول أو يملك وهو فى كلام العرب فى الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما هنا (من أقام الصلاة كان مسلما) أى مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه أو المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر أو المراد الحث على اقامة الصلاة والمراد باقامة الصلاة المداومة والمحافظة عليها كما حقق فى الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها كافر أو لان تاركها كافر فى أحد قولى أحمد أو هو فى حكم الكافر لانه يقتل كما سيأتى بيانه (ومن آتى الزكاة) بمد آتى أى أعطاها وأداها (كان محسنا) أى منعما متفضلا على الفقراء وآتيا بامر حسن مطلوب فى الدين (ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا) أى من أتى بكلمة التوحيد وأعلن بها فهو مخلص فى ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما فى قلبه وهذا من باب حمل أحوال المؤمن على الصلاح والمراد بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهى لا اله الا الله محمد رسول الله فهو كما يقال قرأت حم والكتاب المبين أى السورة بتمامها وعليه يحمل نظائره الواردة فى الاحاديث (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر القلبى بناء على ما سيأتى من تفسيره وجملة النداء معترضة لبيان المخاطب وودائع الشرك المراد بها كما فى النهاية العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار فى المهادنة يقال توادع الفريقان اذا أعطى كل واحد منهم الآخر عهدا أن لا يغزوه ويسمى ذلك العهد وديعا بغير هاء فيقال أعطيته وديعا أى عهدا والظاهر ان المراد عهودهم التى وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المؤاخذة بما قتلوا اذا تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما أراقوا من الدماء هدر كما فى الحديث الآخر كل دم فى الجاهلية تحت قدمى هذه أى متروك هدرا وقيل معناه انهم كانوا التزموا مهادنة بعض الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلو وجب عليهم الوفاء بما التزموه لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه فى الشرك من ذلك ولا يخفى بعده وتكلفه ثم قال فى النهاية ويجوز ان يراد ان ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم لانها مال أخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال فهو فىء وهكذا احكم ودائع الكفار فهو جمع وديعة بالهاء على هذا ولا ينافيه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ما كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من الودائع والامانات لانه كان قبل حل الغنائم له أولانه صلى الله تعالى عليه وسلم فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وأمانته فيطعنوا فى الاسلام ويبعدوا من الايمان

(ووضائع الملك) الوضائع جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم أي ما كان يوضع على الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولا نقص أو الملك بضم الميم والمعنى أن ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعاية ويستأثرون به من غنائم الحروب لا ياخذ منكم فهو لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودائع والوضائع وبمعنى على كما في قوله تعالى وان أسأتم فلها على التفسيرين الاولين لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفاء به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام لا يجب الوفاء بها بعد الاسلام والقائل ظن وجوب الوفاء بها فحمل اللام على ماحمله وليس كذلك كما مر لان عهد الكافر لا يعتد به وأما الوضائع بمعنى تكاليف الزكاة فهي وان ثقلت على بعضهم فهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت أن هذا مبني على تفسيره وليس بمتعين كما مر مع ما فيه (لا تلطط في الزكاة) تلطط بضم التاء المثناة وسكون اللام وكسر الطاء المهملة الاولى وجزم الطاء المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة متعلقة به أي لا تمنعها قال ابن الاعرابي لط الغريم اذا منع حقه وأصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا ضمته عليه وقد أرادها الفحل وفي شعر الاعشى الحرماري في امرأته وقد نشزت

أخلفت الوعد ولطت بالذنب ❊ وهن شر غالب لمن غلب

ولط الغريم اذا اختفى (ولا تلحد في الحياة) هو مضبوط بضم التاء المثناة أوله ولام ساكنة تليها حاء مهملة مكسورة ودال مهملة مجزومة من الحد الحادا اذا جاز وعدل عن الحق وأصله الميل العدول ويقال ألحد ولحد قليلا والذي في الشفاء هو الذي رواه القتيبي بالفعل والخطاب الواحد والذي رواه غيره مالم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل في الصلاة ولا تلاطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بالاسم المصدر وتشديد عين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ماقبله كذا في النهاية الاثيرية يعني ان هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل هو الوجه الواضح لانه كلام خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار على غير أسلوبه لتوجه الخطاب لواحد من بينهم وان كان ماقبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد جاء التلطط بمعنى الالطاط المتقدم يقال تلطط والطط والطى بابدال الاخيرة بالتخفيف وقال ابن رسلان لا نلطط أو نلحد بالنون من باب نهي الانسان نفسه لينتهي غيره قيل ولا ضير في رواية القتيبي اذ الخطاب فيها لمن تلقى الكلام له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بين جمع ما خوطبوا والابتداء أو نظيره في أفصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي للتعريض بالباقين والصون لهم عن توجه صيغة النهي اليهم رجاء الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل أن الخطاب لهم برمتهم أولا ثم توجه لواحد في المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم أو نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغائبين عند توجيهه الى غيرهم ولم يقل لا يلطوا و يلحدوا بلفظ جماعة المذكور الغائبين بل لا تلطط وتلحد أي هي والضمير لبني نهد وبنون وان كان جمع مذكر سالم ومثله لا يعود له ضمير المؤنث ولا تلحقه التاء فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف قامت الرجال والرجال تقوم بتاء التانيث الا أنه لما غير مفرده عند جمعه أشبه جمع التكسير فاعطى حكمه في جواز الحاق التاء بفعله نحو قامت البنون ومنه قوله تعالى الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فصار ذلك داعيا الى جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بتاء التانيث وذهب بعض النحاة الى أنه جمع تكسير بدليل جواز الحاق التاء قال في ضوء الذبالة هذا مذهب غريب ورأى غير مصيب ❊ قلت المخطي مخطئ وهذه المسئلة مذكورة في شروح كتاب سيبويه والذي وأغرب التلمساني في قوله أي لا تمسك الزكاة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الطوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا هذا القول وتمسكوا به انتهى وهو وهم فان الطوا في الحديث بالظاء المعجمة

(ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تلزم المسلمين في أملاككم من صدقة وزكاة والمعنى ولكم الوظائف التي تلزمكم لا نتجاوزها منكم ولا نزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم أو بضم الميم أي ولكم ماوظفه ملوككم في الجاهلية عليكم وما استأثروا به دونكم من مغنم وغيره والمعنى لا ناخذها منكم ثم قول الحلبي بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهر بل باعتبار أصله والا فهو مقلوب بالهمزة كنظائره من الودائع والصحائف (لا تلطط) كلام مستانف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فهملتين نهي لم يرد به واحدا معينا كما رواه البيهقي بل لكل من ياتي منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (في الزكاة) أي لا تمنعها من لط الغريم وألط اذا منع الحق أو نهي أراد به جنس المخاطب كما رواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولا تلحد) وما بعده وهو من الالحاد أي لا تعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد في البلاد (في الحياة) أي في مدة حياتك في الدنيا وقيل الفعلان بصيغة النفي مجهولان وروى الزمخشري بالنون فيهما

(ولا تتثاقل) أي تتكاسل (عن الصلاة) وفي نسخة بصيغة الجمع وفي أخرى بصيغة المجهول والمعنى أدها بالقيام بشرائطها وأركانها (وكتب لهم) قال الحجازي ويروى لكم ويروى عليكم (في الوظيفة الفريضة) بالنصب أي الهرمة

المسنة وهي الفارض أيضا والمعنى هي لكم لا تؤخذ منكم في الزكاة كذا قاله الدلجي وغيره وتبعهم الانطاكي الا أنه قال الفريضة بالرفع على الحكاية ولا يخفى ان هذا الحكم قد استفيد مما سبق مع انه كان الملائم بسياق الكلام من سباقه ولحاقه أن يقال وكتب لكم في الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة المصدرة بقوله لكم هي المكتوب لهم وفي حاشية الحجازي ان الوظيفة هي ما يقدر كل يوم من رزق أو عمل ولا يخفى عدم مناسبته لفحوى الكلام ومقام المرام وقال التلمساني الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفي رواية عليكم في الوظيفة الفريضة أي عليكم في كل نصاب ما فرض فيه وفي نسخة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله (ولكم الفارض) بالفاء في أكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل أو البقر وروى بالعين المهملة وهو الاظهر لئلا يتكرر فتدبر أي ولكم المريضة التي عرض لها آفة من قولهم بنو فلان أكالون للعوارض تعييرا لهم أي لا يأكلون الا ما عرض له مرض حذر موته والمعنى لا تؤخذ منكم في الزكاة فهي لكم

قال انه قول غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملل فصلناه وقيل عليه ان قياس الضمير على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة لا وجه له للفرق بينهما وما في الحديث يوجه بانه خاطب القوم أولا بقوله يا بني نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا الهوى نفسه خصه من بينهم بالخطاب بما يليق به أو جعله تعريضا لباقيهم لئلا تثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن الباذش ان الخطاب المفرد بعد الجمع له تاويلان اما تخصيص واحد من بينهم أو تاويله بمفرد لفظا مجموع معنى كالفريق وجوز فيه أن يكون التفاتا أو أتى بما لا يسمن ولا يغني من جوع على عادته في التطويل الممل من غير فائدة * وأنا أقول هذا كله مبني على قاعدة ذكرها النحاة كما في شرح الكافية للرضي وهي انه لا يكون في كلام واحد خطابا لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية وهذه القاعدة ذكرت في باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرأيتها مقيدة باربعة قيود * الاول أن يكون ذلك في جملة واحدة فلو قلت أأنت يا زيد تضرب أأنت يا عمر تشتم لم يمتنع * الثاني أن لا يتغايرا فلو كان أحدهما غير الآخر جاز نحو واذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون في مثله وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لا محصل له * الثالث أن لا يكون أحدهما بعض الآخر نحو رأيتك كما ذكره النحاة في أفعال القلوب وصرح به المرزوقي رحمه الله تعالى في قوله * أجدوا قومها لكم يا جرول * فقال جرول اسم رجل جعل أول الكلام خطابا لجماعتهم ثم خص بالنداء واحدا منهم جعله المامور بما أراد كقول الهذلي * أحيي أبا كن يا ليلى الاماديح فقال أبا كن ثم قال يا ليلى انتهى * الرابع أن يبقى الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضي في باب التعجب وقد بسطنا الكلام على هذه المسئلة في كتاب طراز المجالس ولم تعترض والمجيب خبط هنا خبط عشواء فان هذا التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا في جملة أخرى فاحفظه فانه من نفائس الذخائر ثم انه ذكر في اعراب قوله في الرواية السابقة ولا موعد كلام يقتضي منه العجب وأجاب عنه تلميذه باعجب وأعجب الا أن المصنف رحمه الله كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا أضربنا عنه فان أردت فانظره وقوله في الحياة أي لا تلحد مادمت حيا (ولا تتثاقل عن الصلاة) بجزم اللام والكلام فيه كالذي قبله أي لا تتوانى وتكسل عن الصلاة وتتركها والتثاقل يجعل كناية كأن عليه ثقلا يمنعه عن الحركة اليها (وكتب لهم في الوظيفة) أي أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب لهم كتاب يبين فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفاء باركانه وضمير لهم لبني نهد وهو متعلق بكتب والوظيفة بالظاء المشالة والفاء بزنة سفينة وهي المعين في كل يوم أو في زمان معين من الطعام وغيره من الرزق ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظائف ووظف بضمتين ككتب وسفن كما قاله أهل اللغة والمراد الاخير أي كتب في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم (الفريضة) أي ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها أي قطعها له أو لانقطاعها عن العمل والانتفاع بها فهي غير مرادة هنا لانه روى عليكم في الوظيفة أي في كل نصاب ما فرض فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به ولان قوله (ولكم الفارض) ياباه لما بينهما من التدافع غاية ما فيه اطلاق الوظيفة على النصاب لانه وظيفة لأصحاب الارزاق مقدرا لهم كوظيفة الارض المعينة التي وضعها عمر رضي الله عنه كما ذكر في باب الوظائف فلا تجوز فيه كما توهم والفارض بالفاء كما ضبطه البرهان الحلبي وقد تقدم تفسيرها ويؤيده ما في الحديث الآخر ولكم الفارض والفريض يعني لا يؤخذ منكم ولا يكون على الانصباء لانه لا تصح به الزكاة وضبطه التجاني بالعين

المهملة

(والفريش) بفاء مفتوحة ثم شين معجمة أي الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء ففي الصحاح هي كل ذات حافر بعد نتاجها لسبعة أيام وقيل مالا يطيق من الابل حمل الاثقال ويؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد وقيل ما انبسط على الارض من نبات لاساق له (وذوا العنان) بكسر العين المهملة سير اللجام أي والفرس (الركوب) بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب أي الذلول الذي يلجم ويركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من أوزان المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو وبضم أوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه ٣٩٩ وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذا كان صغيرا بلغ السنة أو فطم عن الرضاعة لانه يفلى عن أمه أي يعزل عنها قال التلمساني ويروى الفلوبدون الواو العاطفة انتهى وهو لا يصح (الضبيس) بفتح معجمة فكسر موحدة فتحتية فمهملة أي الصعب العسر الاخلاق الذي لم يرض وقيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب أحوال الخيل الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كما هو مذهب أئمتنا الحنفية والمعنى لا يؤخذ منكم شئ في المذكورات واما ماروى من ان الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فمحمول على الخيل التي تركب كما ان الرقيق يراد به ما يخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لايمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفي بمعنى النهي وفصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما ويقال سرحت الماشية مخففا وسرحت هي متعد ولازم واذا رجعت يقال راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون أي حين تردونها من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيها من زيادة افادة الراحة والمعنى لا تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح تريده (ولا يعضد) بصيغة المفعول أي لا يقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاة له شوك كالسدر وهو شجر حسن اللون لخضرته أي نضرله أنوار طيبة الرائحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته وحسن لونه وعطره نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ما الفوه جبرا لخواطرهم ووعدا لهم ببقاء ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو في الآية الموز وقيل الطلح وقرئ بالعين

المهملة بدل الفاء وقال العارض المريضة التي اصابها كسر وهي لا تقبل في الصدقة فهي باقية لاصحابها وفي مزيل الخفاء انه وقع في بعض النسخ العين المهملة وهي الناقة التي يصيبها كسر او مرض فتنحر وفي العز بن في بعض نسخه الفارض بالفاء وقيل بالعين التي أصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت الناقة اذا أصابها آفة أو كسر وبنو فلان اكالون للعوارض الا اذا لم ينحر والا ما أصابه مرض أو كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير باكله * قلت كأنه سقط من عبارة التجاني لفظ أو أو عد الكسر مرضا وفي الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس (والفريش) بفتح الفاء وكسر الراء المهملة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة الحديث العهد بالنتاج كالنفساء من النساء وحكى انه مالا يطيق حمل الاثقال من الابل لصغره كما حكي انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما في الآية ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو بعيد هنا يعني ان هذه كلها لا تؤخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لبون نفيسة واما على الثاني فلخستها (وذوا العنان الركوب) العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف والركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول قال الله تعالى فمنها ركوبهم ووصفه بذي العنان في محله يعني لا يؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يؤخذ في الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من أوسطها والركوب بالرفع صفة ذو وروى بالجر صفة العنان (والفلو) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو والمهر الصغير من الخيل لا يؤخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه يفلى من امه أي يقطع بالفطام عنها قال الجوهري يقال فلوته اذا فطمته وعن أبي زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو وفي القاموس انه يقال كجرو وعدو وسمو وقال انه الجحش والمهر وقيل صغار اولاد ذوات الحافر مطلقا وروى الفلو بدون واو عطف والاول أصح (الضبيس) بفتح الضاد المعجمة ووهم من قال المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة أي المهر العسر الركوب الصعب وهو من الرجال كذلك وكانه كنى به عن صغره ولو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطفة (لا يمنع) بالبناء للمفعول (سرحكم) باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحاء المهملة وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت للمرعى وفعله يتعدى ولا يتعدى فاذا رجعت قيل أراحت قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم وفاردتكم من مرعى الا انه عبر بالسارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله (ولا يعضد طلحكم) يعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا اذا قطعه والطلح بفتح الطاء المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له العضاة وأم غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلح في قوله تعالى وطلح منضود قيل هو الطلح وقيل شجرة الموز والمراد لا يقطع لكم

(ولا يحبس دركم) بمهملة مفتوحة فراء مشددة أى لا تمنع ماشيتكم التى هى ذات الدر أى اللبن عن الخروج الى المرعى اجتمع بموضع يعدها فيه المصدق لما فيه من الاضرار بها لعدم رعيها وفى رواية لا يحشر دركم أى لا تحشر الى المصدق ليعدها بل انما يعدها عند أصحابها أوغرب اليمنى فى تفسيره الدر هنا بمعنى المطر ولعل وجهه انه جعل قوله ولا يحبس خبرا مغيا بقوله مالم تضمروا واما على ماذهب اليه الجمهور فتعلق مادام مقدر ثم المعنى لكم ماقرروعليكم ماحرر (مالم تضمروا الرماق) من الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقته رماقا نظرت اليه نظر العداوة أو المعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق أى ضيق قاله ابن الاثير ويروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها وأصله الامئاق نخفف همزه قال فى المجمل يقال اماق الرجل اذا دخل فى المأقة وهى الانفة وفى الحديث مالم تضمروا الامئاق أى مالم تضمروا الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هو الغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب فالمعنى لا تخفوا القطيع من الغنم والله أعلم (وتاكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهى فى الاصل عروة تجعل فى حبل يربط بها ماخيف ضياعه من البهم فشبه مايلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا أكلت الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التى ألزمها أعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمسانى والربقة بكسر وبفتح وفى بعض النسخ الرفاق بالفاء بدل من الباء جمع رفقة أى بحيث لا تقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذ كل ذلك يقتضى نقض العهد ونكث البيعة وقد يقع التصحيف فى مثل هذا والله أعلم

شجر طلحا كان أو غيره وخصه لانه لا ثمر له فاذا منع قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى (ولا يحبس دركم) بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين وأصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى فى مكان يجتمع فيه ليعدها من يأخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحشر دركم أى لا يجتمع فى مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان ما رواه المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها من المرعى وحبسها عند المصدق ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم وللسياق لا طائل تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يؤخذ الدر نفسه الا ان يكون منحة وكل هذا مناف للغرض وقد ورد فى صلح أهل نجران لا تحشروا ولا تعشروا ومقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم الرفق بمن يؤخذ منهم الزكاة فيؤتى لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبس لها (مالم تضمروا الرماق) تضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا والرماق بكسر الراء المهملة وميم وألف وقاف وهو النفاق يقال رامقته رماقا وهو النظر الشزر من العدو والمعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق أى ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح وآخر النفس كما قاله ابن الاثير (وتاكلوا الرباق) بكسر الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمنى جمع ربقة وهى حبل فيه عرى يشد به البهائم وفى الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن الاثير شبه مايلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا أكلت الربق خلصت من الشدة وما مصدرية ظرفية وهو اما قيد لما قبله أو لجميع ما تقدم والمعنى ان هذا أمر مقرر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فاذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة وهذا معنى لا غبار عليه والترتيب فى محزه لان المعنى مالم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب منه تفسيره بالغدر والنكث والعداوة فانها اذا أضمرت كانت نفاقا وأما تفسير اضمار الرباق باخفاء قطيع من الغنم يعنى عن المصدق فانه خيانة يقتضى تضييق المصدق عليهم بحشر انعام درهم وحبسها فهو على هذا متعلق بقوله لا يحبس دركم وهذا معنى صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب كما قاله الجوهرى الا ان المشهور المأثور فى تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظره فى غير الصحاح وأخشى ان لا يكون أحد قاله قبله بما لا يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار الغدر مع اظهار خلافه فتفسيره غير مستقيم ليس بشئ وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالغنم مجاز العلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفى الكلام استعارة تمثيلية أو تصريحية والمراد بالعهد التزام أوامر الله ورسوله ونواهيه وفى الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق مجاز عن الغنم ولا أدرى من هذا المعلق وعلى هذا التقدير معناه مالم تاكلوا الغنم ولا معنى لهذه الظرفية حينئذ اذ يؤول الى أدوا زكاتكم مالم تاكلوا الغنم ومثله سمج لا يليق بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه الصلاة والسلام وفى الحواشى التلمسانية تضمروا الاماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة يليها قاف بزنة الاكرام ومعناه الغدر والبغض يقال اماق يميق رباعيا وقد يخفف همزته هكذا ثبت عند العزفى وفى بعض نسخ الشفاء الرماق بكسر الراء والميم بعدها وهو بخط القاضى رحمه الله تعالى انتهى والشراح وأرباب الحواشى متفقون على الرواية

(من أقر) استئناف آخر أي من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا بالملة (فله الوفاء بالعهد) أي بما عوهد عليه (والذمة)

الثانيـة (من أقر فله الوفاء بالعهـد والذمة) ال في العهـد للعهد فالمراد ما عرف من عهود الاسلام أوما
عاهدهم الله ورسوله فيما كتب لهم والذمة قال البرهان الحلبي بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة
والحق والمـراد الاولان وسميت الذمـة ذمة لان تركها يوجب الذم ثم سمى محل الالتزام بها في قول
الفقهاء ثبت في ذمته كذا وعن الفقهاء من قال انها معنى يصير به الآدمي على الخصوص أهلا لوجوب
الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة في شرح الهداية وقال القرافي رحمه الله في قواعده لم يعرف أكثر
الفقهاء معناها المستعمل فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها أهلية المعاملة أو صحة التصرف وليس كذلك لان
كلا منهما يوجد بدون الآخر وهي عبارة عن معنى مقدر في المكلف قابل للالتزام واللزوم مسبب عن
أشياء خاصة في الشرع وهي البلوغ والرشد وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى وسمى أهل الذمة
بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وأمانتهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم فله الوفاء بالعهد والذمة (ومن أبى) اى امتنع من قبول العهد أو نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع
الزكاة (فعليـه الربوة) والربوة بتثليث الراء المهملة وسكون الباء الموحدة والواو والهاء كما في القاموس
فالاقتصار على بعضها تقصير وهي الزيادة ومنه الربا الاخذ زيادة على ما أعطاه وفسرت الربوة بان يؤخذ منه
زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له وروى من أقر بالجزية فعليه الربوة أي امتنع عن الاسلام لاجل الزكاة
كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن الاثير وقال التجاني عنى صـلى الله تعالى عليه
وسلم ان من أبى من أداء الزكاة أخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما في حديث أبي هريرة رضى الله تعالى
عنه الصحيح ان رسول الله صـلى الله تعـالى عليه وسـلم ندب الناس الى الصدقة فقيـل له منعها خالد بن
الوليد وفلان وفلان فقال أما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه وأعدها في سبيل الله وأما فلان
فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله وأما فلان فانها عليه ومثلها معها وروى فانها عليه صدقة
ومثلها معها وفي رواية البخاري ان عليه صـدقة واجبـة تؤخذ منه وليس معنـاه انه يعطاها و يعطى
مثلها معها لان المذكور من أهل البيت لاتحل له الصدقة وذهب أبو عبيد في معنى هذا الحديث الى ان
رسول الله صـلى الله تعـالى عليه وسـلم انما ألزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد أخر عنه صـدقة العام
المـاضي ومثله جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لـكن ظاهر الحـديث يخالفه لانه في معرض العقوبة
والجزاء فلو كان كذلك لم يكن فيـه ردع له انتهى وفي رواية البخاري احتمال انها كانت قبـل تحـريم
الصدقة على أهل البيت كما في بعض شروح مسلم * واعلم انه أي التجاني لم ينقل الحديث على وجهه
فانه هكذا في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عمر رضى الله تعالى عنه على الصـدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال صـلى الله
تعالى عليـه وسـلم ماينقم ابن جميـل الا ان كان فقيرا فاغناه الله تعالى وأما خالد فانكم تظلمونه وقد
احتبس ادراعه في سبيل الله وأما العباس فهو على ومثلها أما تعرف ان عم الرجل صنو أبيه وفي رواية
البخاري فهي عليه صـدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل صـدقة ففيه ثلاث روايات ومعـنى الاولى انه
صلى الله عليه وسلم التزم باخراج ذلك عنه و بين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له و يحتمل انه صلى الله
تعالى عليه وسـلم تحملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية على وعليه بانهما بمعنى
وزيد في الثانيـة هاء السكت في على وقيل معنى على انها عندي لاني أخذت منه صدقة عامين وقد ورد
مصرحا به في رواية أخرى بناء على جواز تعجيـل الزكاة وفي الحـديث وجوه أخر في شروح الصحيحين
لاحاجـة لنا بها هنا ومن هـذا علمت ما في قوله لـكن ظاهر الحـديث يخالفه لانه ورد في معـرض
العقوبة الى آخره فانه لازجر فيـه الا لابن جميـل لا للقول في حقـه فهي عليـه ومثلها كما سمعته آنفا

أي و بالامان أو الضمان
الحاصل لديه (ومن أبى)
أي امتنع عن مقتضيات
الملة أو تقاعـد وتقاصر
عن أداء الزكاة والصدقة
(فعليـه الربوة) بكسر
الراء و يجوز ضمه و فتحه
أي الزيادة في الفريضة
الواجبـة عليـه عقوبة
له وفي رواية من أقر
بالجـزية فعليـه الربوة
أي من امتنع من الاسلام
هربا من الزكاة كان عليه
من الجـزية أكثر مما
يجب عليـه من الزكاة
واعـلم انه روى بهز بن
حكيم عن أبيه عن جده
عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انه كان يقول
في كل أربعـين بنت
لبون من أعطاها مؤتجرا
فـله أجرهـا ومن أبى فانا
آخذها وشطر ماله عزمة
ربنا رواه أبو داود وقال
أحمـد هو عنـدي صالح
فقيل يأخذ الامام معها
شطر ماله وهو اختيـار
أبي بكر من الحنـابلة
وقول قـديم للشافـعي
وعند الجمهور يأخـذها
من غير زيادة بدليل ان
العرب منعت الزكاة ولم
ينقل انه أخذ منهم زيادة
عليها وقال الحربي غلط
بهز في هذه الرواية وانما
قال وشـطر ماله يعـني
يجعل شطرين فيستخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة وأما مالا يلزم فلا

(ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل بن حجر) تقدم الكلام عليه (الى الاقيال العباهلة) أى الى الملوك القار ملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه (والارواع) بهمزة وراء مهملة وواو وبعدها ألف وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رائع وهم الذين يروعون الناس أى يخوفونهم بمنظرهم لجمالهم وهيآتهم قاله ابن الاثير قيل والاول أولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا * أقول ماقاله ابن الاثير هو الذى ارتضاه المبرد فى الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن الزائد اذا رآه من له ادراك أدهشه وحيره فيشبه الخائف الفزع ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيئة التى كانت لهم هيئة تجبر وظلم أزالها الاسلام والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما أراد مدحهم بالحلم والرأفة وليس بشئ (المشابيب) بفتح الميم والشين المعجمة بعدها ألف ثم موحدتين بينهما مثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون قال ذو الرمة

أنا الاروع المشبوب أضحى كأنه * على الرحل مما مسه السير أحمق

ه المراد السيد الظاهر الازهر اللون المنير كانه أوقد فى وجهه سراج منير وهو يجمع مع الارواع فى كلامهم كما فى البيت فان النار مما تروع ناظره وروى الاشباء بزنة الاخلاء جمع شبيب كخليل وقيل هم الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما قال للحسناء ذات الذوائب المسود شعرها يشب لونها أى يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكياء (وفيه) أى فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل (فى التيعة شاة) التيعة بكسر التاء الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هى أدنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هى ما يأخذه الساعى من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من التيع وهو القىء وقد وقع التشبيه به فى حديث (الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه) ويقال تاع قيئه وأتاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة القىء أو الذهاب الساعى اليها والاحسن أن يقال انها فضلة ووسخ يستريح بدفعها لان الصدقة أوساخ الناس كما ورد فى الحديث ولذا منع أهل البيت منها لشرفهم (لامقورة الالياط) مقورة بميم مضمومة وقاف ساكنة وواو مفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة من الاقورار كحمرة من الاحمرار وهى المسترخية الجلد من الهزال فلا تؤخذ فى الصدقة لرداءتها وقيل هى المتشحة من الهزال أيضا وقيل هى السمينة فهى من الاضداد كما ذكره الصاغانى فى كتاب الاضداد وهذه لا تؤخذ لانها أعلى والمامور باخذ الوسط وفى بعض النسخ مقورطة مفوعلة قال التلمسانى قال ابن سيدى الحسن ولا أعلم الآن معناه ولعله مصحف مقريطة يقال أقريط الجلد انضم بعضه لبعض مقريطة وهو بمعناه والالياط بلام وياء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة (ولا ضناك) بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجانى ويجوز ضمها وخطئ فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفى ضبطه نظر لما فى العباب للصاغانى الضناك بالفتح قاله الفارابى وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهى الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها

(ومن كتابه لوائل بن حجر) أى على مارواه الطبرانى فى الصغير والخطابى فى الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر هو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال) أى الملوك الصغار الحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة) بفتح عين مهملة فوحدة أى ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما فى الملائكة (والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد أو جمع أروع أى الحسان الوجوه والهيئات أو الذين يروعون الناس أى يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم أروع (المشابيب) جمع مشبوب أى الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كأنما وجوههم تتلألؤ نورا وتلمع سرورا وقيل الرجال الذين ألوانهم بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء وأما قول المنجانى والمشيب دخول الرجل فى حد الشيب من الرجال فوهم منه فى الخيال لاختلاف المادة فى ميزان الافعال فالصواب ماقاله غيره من انه من شب من الشباب أو شب النار أوقدها (وفيه) أى وفى كتابه لوائل (فى التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة أى فى الاربعين من الغنم (شاة لامقورة الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقوار بمعنى الاسترخاء فى الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط بالكسر وهو فى الاصل القشر اللازق بعوده أى اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال والمعنى لامسترخية الجلد لهزالها وقيل لامقطوعة الجلد (ولاضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمسانى بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة وجوز المنجانى ضمها يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع أى ولا مكثرة اللحم ممتلئة الشحم لكرمها يريد ان هذه الشاة لاسمينة ولا هزيلة بل (وانطوا

متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية أى واعطوا فى (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء أى الشاة الوسطى التى ليست باذنى ولا أعلى من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمسانى ويروى الشجة بالشين والجيم من شج سار بشدة (وفى السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز عطاء من الله تعالى وقال الزمخشرى هى المعدن أو المال المدفون فى الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن أصابه (ومن زنى مم) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين فى الراء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة فى سياق الشرط ثم أبدلت نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا فى مثل من ماسيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو منبر وعنبر ولو كان معرفة بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام فى امسفر ومن الجارة تبعيضية أو بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وترجمة عنه أى ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل وقاف مفتوحة أى اضربوه كما قاله ابن الاثير وأصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل أى فاضربوه على صوقعته أى فى وسط رأسه قال التلمسانى وعند الشارح فاصفعوه بالفاء عوض القاف أى فاضربوه (مائة) أى مائة ضربة

(وانطوا الثبجة) انطاء بمعنى اعطاء لغة لاهل اليمن أو لبنى سعد وروى فى الدعاء لامانع لما انطيت وقرئ شاذا انا أنطيناك والثبجة بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحات والهاء بمعنى الوسط والهاء للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجانى ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفى الحديث خيار أمتى أولها وآخرها وبين ذلك ثبج والمقصود أنه لا يؤخذ فى الزكاة الاعلى لاضراره برب المال الا أن يكون برضى منه ولا الادنى ولا المعيب الا أن يكون الكل كذلك لان الجود بالوجود وتفصيله فى كتب الفقه قال البرهان وفى بعض النسخ بكسر الباء وتشديد الجيم وفيه نظر وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وروى الشجة بالشين والجيم من شج سار بشدة وأراد اعطاء القوى للضعيف فتأمله (وفى السيوب الخمس) السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباء موحدة جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاى معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلى من ركز الرمح اذا غرزه فى الارض وأقره أو من الركز وهو الاخفاء قال الله تعالى أو تسمع لهم ركزا أى صوتا خفيا وسمى سيبا لانه عطية من الله تعالى وقيل هو الذهب والفضة المعدنى من تسيب بمعنى تكون من غير صاحب له فكأنه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خميس ومنه اسم الجيش لكونه خمسة أقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله فى الحديث المعدن جبار وفى الركاز الخمس يدل على أن الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس فى الركاز الا الحسن البصرى رحمه الله فقال ان وجد فى دار الحرب ففيه الخمس وفى غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعى ان كان وجده فى ملكه فهو له ان ادعاه والا فهو لقطة (ومن زنامم بكر فاصقعوه مائة) قوله مم بكر وما يأتى من قوله مم ثيب أصله كما فى النهاية من بكر ومن ثيب فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل الباء تقلب ميما سواء كان من كلمة نحو عنبر أو من كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميما فى لغة حمير نحو ليس من امبر امصيام فى امسفر فاما أن يكون مانحن فيه من الثانى فاصله من البكر فحذفت نون من على حد قولهم فى بنى الحارث بلحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار والاشبه أن يكون نكرة منونة وأبدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لاجل من التبعيضية فتقديره من زنى ببكر من الابكار ويجوز أن يكون لبيان الجنس فبكر على أصلها وهو على هذا يحتمل أن يكون بمعنى الابكار لما فى من من العموم ثم أنه اذا قلب النون ميما على نهج الانقلاب التجويدى لا يتأتى فى قوله مم ثيب فلذا قال فى مزيل الخفاء أنه من باب الازدواج والمشاكلة كما فى قولهم ماقدم وحدث بضمهما مع أن حدث بالفتح فان قلنا أنه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما لانها تعاقبها كثيرا كما فى قولهم بنان وبنام ودان ودام كما قاله التجانى لم يحتج لما ذكر وقوله فاصقعوه بهمزة وصل ثم صاد مهملة ساكنة ثم قاف مفتوحة ثم عين مضمومة مهملة أى فاضربوه ويقال اسقعوه بالسين أيضا من الصقع وهو الضرب وأصله الضرب على الرأس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصفعوه بالفاء بدل القاف كما نقله التلمسانى يقال صفعت فلانا أصفعه صفعا اذا ضربت قفاه بجمع كفى ورجل مصفعانى يفعل به ذلك والعامة تقول لمن سرقت عمامته أنه صفع وهى استعارة عامية ركيكة كما قال ابن نباته رحمه الله

أسفت لشاشى الذى قدمضى * وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

وتطفل عليه الصفدى رحمه الله تعالى على عادته فقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع

(واستوفضوه) بالفاء والضاد المعجمة أي اطردوه أو انفوه وغربوه (عاما) أي سنة (ومن زنى مم ثيب) يجري فيه ما جرى في مم بكر الأن هنالك القلب الحقيقي لاجل الياء وهنا الاخفاء المتولد من قبل الثاء وقيل القلب فيه للمناسبة والمشاكلة كقولهم ما قدم وحدث بضم دال حدث لمناسبة قدم وقيل هي لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف أي ومن زنى من ذوي احصان (فضرجوه) بمعجمة مفتوحة وتشديد راء مكسورة فجيم أي فارجموه حتى تدموه وتضرجوه أي تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) أي برمي الحجارات جمع اضمامه بالضاد المعجمة وهي ما جمع وضم الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس والكتب قال التلمساني يريد أنه لا يرجم بحجر ههنا وحجر في موضع آخر ٤٠٤ لان ذلك تعذيب له ولا في محل فيه حجارة صغيرة أو قليل الحجارة ولا يرجم بحجر في وقت ثم بحجر في وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) أي لا توانى ولا محابات في (الدين) أي في اقامة الحدود لقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تقصدوا تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لا عيب ولا هوان ولا كسر ولا عار في الدين (ولا غمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم أي لا ستر ولا غطاء وفي رواية ولا عمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء أي لا حيرة ولا تردد وفي رواية ولا غمد بكسر معجمة وسكون ميم فدال مهملة أي لا ستر ولا اخفاء أو لا تستر ولا الباس (في فرائض الله) بل هي واضحة والمعنى لا تستر فرائض الله ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمساني لا غمة بضم الغين المعجمة وبفتحها أي لا ضيق ولا كربة وقيل لا ابهام ولا الباس ولا سترة أي لا تخفى فرائض الله لانها من أعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه أن يخفى (وكل مسكر) خمرا كان أو غيره كثيرا أو قليلا على خلاف في الاخير فيما عدا الخمر (حرام) أي شربه وأغرب التلمساني في ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية تركيب المقدمتين هو أن تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة هنا (ووائل بن حجر) مبتدأ (يترفل) ويترأس بفاء مشددة أي يتامر ويترأس (على

الحمد لله الذي لم يكن * شانئي على رأسي لما صفع

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود (واستوفضوه عاما) بهمز وصل وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية وواو وفاء وضاد معجمة ثم واو ساكنة وهاء الضمير بمعنى انفوه وعرفوه من فوضت الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار أصل الوضع فان السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها الاتي من سنى بمعنى دار ومنه الثانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها (ومن زنام ثيب) أي محصنة وتقدم ما فيه (فضرجوه بالاضاميم) ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة مشددة وجيم مضمومة من التضريج وهو التدمية أي ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل قال ان بني ضرجوني بالدم والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما ياء مثناة ساكنة الحجارة وأحدها اضمامه بكسر الهمزة أو أضموم بضمها كاقنوم سميت بها لانه يضم بعضها البعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم والمراد الرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلافهم في كون التغريب من الحد أم لا مشهور في الفروع شهرته تغني عن ذكره (ولا توصيم في الدين) توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار أي لا كبر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تحابوا فيها وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله ولذا حرم الفقهاء الشفاعة في الحدود دون التعزير (ولا غمة في فرائض الله) الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم أي لا تخفى وتستر فرائضه تعالى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرائض أكمل فينبغي اظهار اداء الزكاة دون اخفائها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاؤها وقيل أنه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف الرياء ونحوه وقيل أنه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل أن المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد ويؤيده أنه روى هذا لا عمه بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي لا حيرة ولا تردد فيها وروى لا غمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها لا ستر ولا اخفاء كتغمدنا الله برحمته أي سترنا بها (وكل مسكر حرام) هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو أنه قال كل مسكر خمر وكل مسكر أي كل ما من شانه الاسكار فهو حرام أي ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح وللزركشي رحمه الله تعالى فيه تاليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سألوه وقالوا يا رسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر والتبع وأهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث مفصل في شرح مسلم (ووائل بن حجر) تقدم بيانه (يترفل على

الاقيال) خبر معناه الامر اقوله بعده في آخر كتابه أمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتاب الآخر وكان توجه الى المهاجر بن أبي أمية مع وائل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجر ابن أبي أمية ان وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت أي يستعمل على الصدقات ويصير أميرا على الاقيال ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر (اذا نحن أمرنا امرأ ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر) ولما كان أبو أمية مشتهرا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه وحكى أبو زيد في نوادره عن الاصمعي عن يحيى بن عمران ان قريشا كانت لا تغير الاب في الكنية تجعله مرفوعا في كل وجه من الرفع والجر والنصب والحاصل انه شبه امارته بالثوب لانها تلابسه بها كأنه ساه وواستعير لها ترفيله وهو اطالته وأسباله فكأنه يرفل فيها أي يجر ذيلها عليهم زهوا وقول التلمساني هنا الى وائل الى كاللام وروى بها فلا يس في محله ولعله فيما تقدم والله تعالى أعلم ثم جملة (أين هذا) أي كلامه هذا مع ما ذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس رضي الله عنه

الاقيال) يترفل بالراء المهملة والفاء واللام والترفل أصله تطويل الرداء والثوب ومثله يكون فخرا وعظمة فاستعير او جعل كناية وهذا أظهر لجعله رئيسا عليهم محكما فيهم وفي أخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس والحاكم أعظم بفعل هذا عبارة عن ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعله واليا على أمورهم وقبض صدقاتهم قال التجاني أي يتأمر ويترأس وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب آخر اه وقد وجهه الى المهاجر بن أبي أمية من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المهاجر بن أبو أمية ان وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت أي هو مستعمل على الصدقات وأمير على الاقيال قال الشاعر (اذا نحن رفلنا امرأ ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر) وقد تقدم معنى الاقيال وأصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور في العروض وقوله ابن أبو أمية كذا صحت روايته بحكاية أول أحواله وأشهرها كما يقال علي بن أبو طالب قال التجاني وقريش لا تغير الاب في الكنية تجعله بالواو في أحواله الثلاثة وحكاه أبو زيد عن الاصمعي في نوادره فليس بلحن كما يتوهم كما يقولون باز يد فهذه لغة خاصة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم يذكروها (أين هذا من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لانس رضي الله تعالى عنه في الصدقة المشهور) أين استفهام عن المكان والمراد ان بينهما بونا وفرقا فان ذاك جاء بلغة أهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المألوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته باللغات وخطاب كل أحد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب الذي دفعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه لانس رضي الله عنه حين أرسله في خلافته الى البحرين وأمره أن يعمل به وهو من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم وقفه على أبي بكر رضي الله تعالى عنه وبعضهم رفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انه كان عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه يعمل به وهو الذي سلمه لانس رضي الله تعالى عنه ولما دفعه اليه كان عليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخاري في صحيحه والنسائي وأبو داود والترمذي وغيرهم على اختلاف بينهم في كثير من ألفاظه والبخاري ذكره مفرقا في كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف في سبب تركه له مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف في كونه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو من كلام أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل لاختلاف المحدثين في الكتاب والعمل به وان كان الاصح انه يعمل به ولا فرق بينه وبين غيره من الاحاديث وله طرق مختلفة وأوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الابل الغنم في كل خمس ذود شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه أحكام الزكاة وهو مذكور في المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان الثمرة تدل على الشجرة وفي مزيل الخفاء * قيل لم يكتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى أنس وانما أبو بكر رضي الله تعالى عنه هو الذي كتب اليه وأجيب بان الدارقطني ذكر باسناد صحيح روايته هذا الحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه في حياته فعمل به أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعده ثم عمر رضي الله تعالى عنه وعلى هذا ففي كلام المصنف رحمه الله تعالى مقدر دل عليه خصوص الواقعة

في الصدقة المشهور) نعت الكتابه كما رواه أبو داود والترمذي والدارقطني وختمه ولم يدفعه له فدفعه أبو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا بمحل من جزالة ألفاظ مألوفة وسلاسة تراكيب مأنوسة وذاك بمحل من غلاقة ألفاظ غريبة وقلاقة أساليب عجيبة حتى انها في النطق عسرة بالنسبة الى غير أهل تلك اللغة وسبب هذا التغاير ما بينه المصنف بقوله

أي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس رضي الله تعالى عنه لما في صحيح البخاري ان أنسا حدث ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المصنف رحمه الله بين وجه التباين فقال (لما كان كلام هؤلاء) الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش وأهل نجد وأهل الحجاز والهمدانيين والنهديين أو الى الاخيرين لقربهم (على هذا الحد) أي على هذه الصفة قال الراغب حد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عما عداه (وبلاغتهم على هذا النمط) أي على هذه الطريقة (وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم) يعني ان استعمال هذه الالفاظ مع من هي لغتهم لا تخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ماهو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص في التبيان على ان كلام أهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام أهل المعاني قد يوهم خلافه وانه يخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل بديع منه أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ولا تعود من أجله ان يكون أسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن في ثلاث منازل أولها ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت وأما عند العامة بان يكون للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال الى آخر ما فصله (ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون) اشارة الى أنه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة مع أهلها لانه أبلغ في الابلاغ وأنفع (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث عطية السعدي) منسوب لقبيلة بني سعد بن بكر وفي العرب سعود غيرهم سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو ابن عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى أبا محمد روى عنه أهل اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة بن محمد بن عطية قال حدثني أبي ان أباه حدثه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من بني سعد قال وانا أصغرهم فخلفوني في رحالهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم أحد قالوا يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا فأمرهم أن يبعثوا اليه فأتوا الي وقالوا أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فلما رآني قال ما أغناك الله تعالى فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة) تمامه ومال الله مسؤل ومنطى وروي بدله ويعطي وهذا حديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه الواقدي في قصة وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن أبيه قال قدمت على رسول الله وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد الى أن قال ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا له يا رسول الله انه أصغرنا وخادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا فكان يؤمنا ولما أردنا الانصراف أمر بلالا رضي الله تعالى عنه فأجازنا بأواقي فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله تعالى الاسلام وهذا يشعر بانه كان أمير القوم وأذكاهم فلذا نصحه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (قال) أي عطية السعدي (فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى

عليه

(لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد) أي هذا المقدار غريبا غير مألوف (وبلاغتهم على هذا النمط) أي هذا النوع وحشيا غير مأنوس (وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ) أي التي هي غير مألوفة لغيرهم وان كانت مأنوسة لهم وجواب لما قوله (استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم) أي مما تشابه عليهم من أمر ونهي ونحوهما بنص أو ارشاد أي دال على ذلك كالقياس واستحسان العقل (وليحدث الناس بما يعلمون) أي بما يفهمون ويعقلون لا بما لا يدركون فينكرون كما سبق من كلامه وكتابه (وكقوله في حديث عطية السعدي) أي المنسوب الى قبيلة بني سعد وهو ابن عروة ويقال ابن عمرو بن عروة على ما رواه الحاكم والبيهقي وصححه عنه قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هي المنطية) أي المعطية واليد السفلى هي المنطاة) أي المعطاة وان مال الله مسؤل ومنطى (قال) أي عطية (فكلمنا رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بلغتنا) أى فى الانطاء بمعنى الاعطاء كما قرئ بالنون فى قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر وهذا الحديث فى المعنى نحو حديث مالك والشيخين وأبى داود والنسائى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هى منفقة والسفلى هى سائلة قال أبو داود وقد اختلف عن أيوب عن نافع فى هذا الحديث فقال عبد الوارث اليد العليا هى المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن أيوب وقال أكثرهم عن حماد هى المنفقة قال الخطابى رواية المتعففة أشبه وأصح فى المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذى خرج عليه وعلى ما يطابقه فى معناه أولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو كون يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ أى فوقه وليس ذلك عندى بالوجه وانما هو من علو المجد والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفى غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هى الآخذة والسفلى هى المعطية فقال وما أرى هؤلاء الا أنهم استطابوا السؤال فاحتجوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه فى المشارق للمتصوفة وأقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغى للمعطى ان يتواضع لله فى حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطى أيضا لما ورد من أنه يأخذ الصدقة ويربيها وينميها كما يربى أحدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من أموالهم صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطى فلو لم يأخذ أحد ذلك لم يحصل له الثواب والله أعلم بالصواب ثم هنا دقيقة أخرى بالتحقيق أحرى وهى أنه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هى المعطية فيشكل بما اجتمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر فالجواب على ما ذكره بعض المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطى لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ من الدنيا والآخذ لم ينسفل عن مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهرى حسى للفقهاء والثانى قول باطنى معنوى للاولياء والجامع بينهما هو المحقق والله الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية والسفلى بالسائلة مدرج فى الحديث وقيل معنى المتعففة المنقبضة عن الاخذ وروى عن الحسن البصرى انه قال معنى الحديث يد المعطى خير من اليد المانعة

عليه وسلم بلغتنا) ورواه السيوطى رحمه الله فى تخريجه فكلامنى ولا تخالف رواية المصنف رحمه الله تعالى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ألقى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لمخايل نجابته والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلمهم وكلمه وقيل أراد بقوله كلمنا نفسه بنون العظمة اظهارا لانعام الله تعالى عليه بخطاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وبعثه اليه وتاميره عليهم والمقام باباه وقوله بلغتنا أى بلغة بنى سعد لانهم كانوا يقولون انطى ينطى انطاء بمعنى أعطى ولا ينافيه ما قيل انها لغة يمانية لانه يجوز كونها لغة لهم وقال التلمسانى قيل لغة حمير انط بمعنى أسكت وكتب رجل بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فدخل آخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم انط أى أسكت ستر السره واليد العليا اليد المعطية والسفلى يد السائل الآخذة وهى المعطاة وقد جاء تفسيره بذلك فى حديث آخر وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان أو المنفقة بنون وفاء وقاف ويروى المتعففة بعين وفاءين أى التى لا تسال أحدا وقيل المنفقة بتشديد الفاء وقيل يد الله تعالى فوق يد المعطى ويد المعطى فوق يد المعطى بالفتح فهى أسفل الايدى والايدى ثلاثة وقيل اليد السفلى الآخذة بسؤال ودونه وما قيل ان هذا لا ينبغى لان الصدقة تقع أولا فى يد الله تعالى ليس بشئ لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انه يقبلها ويدخرها له وقيل اليد العليا المعطية والسائلة المانعة وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلاء عنه واختاره بعض مشايخ الصوفية فيده أفضل عند الله قال ابن قتيبة وما أرى هذا الا كلام قوم استحبوا السؤال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره فى الاحاديث الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبنى على ان المراد بالعلو المحسوس بناء على الغالب أو المعنوى من علو الشرف كما قال الشاعر

اذا كان باب الذل فى جانب الغنى * سموت الى العلياء فى جانب الفقر

والتعبير عن المعطى بالمنفق وذى اليد العليا بناء على الغالب المتبادر فلا يقال يد السائل قد تكون فوق اذا أخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الآخذ قد لا يكون سائلا بان يعطى ابتداء والسائل قد لا يكون متصدقا عليه كسائل القرض وغيره وهو ظاهر لا ينبغى التطويل بمثله ويحصل فى الحديث

ثلاثة أوجه * أحدها ان معناه يد المعطى و يد السائل بطريق الكناية * الثانى ان معناه المنفق والآخذ * الثالث عكس الاول والاول أصح رواية ودراية وبقى وجه آخر وهو ان يراد بالعلو ومقابله العلو المعنوى لعلو رتبة المنعم وانحطاط رتبة الآخذ (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) العامرى نسبة لعامر اسم قبيلة وتسمى بنى عامر سموا باسم جدهم كتميم وكانوا وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل وأربد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم غيلة فهلكا فى الطريق لما رجعا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حماه الله وعصمه أما أربد فاصابته صاعقة أهلكته وأما عامر فاصابه طاعون مات فيه فى بيت امرأة سلولية وسلول قبيلة مذمومة مسترذلة عند العرب فكان يقول أغدة كغدة البعير وموت فى بيت امرأة سلولية فجزت مثلا لاجتماع أمرين حقيرين وأربد أخو لبيد الشاعر وقد هداه الله تعالى للاسلام بعد موت أخيه أربد وحسن اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وهذا العامرى اسمه عطية توفى فى حدود الثمانين وفى العقد لابن عبد ربه ان اسمه لقيط بن عامر بن المنتفق وساق له حديثا على وجه آخر (سل عنك بفتح) العين وسكون النون عن الجارة وكاف خطاب وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس ولم أر من صحح لغة بنى عامر هذه وبين وجهها ورأيت فى شرح ديوان الاعشى فى قوله

فاذهبى ما اليك ادركنى الحلم عدانى عن هجا كم اشغالى

ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف رحمه الله تعالى ثقة واسع الاطلاع أولم يقف على ان هذه لغة لبنى عامر لم يذكرها ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شئ فان كل أحد أدرى بنفسه فاذا أمره بسؤاله عنها فكانه قال له أنا أعلم بك منك واذا كان كذلك فهو عليم بجميع أحواله وهذا يدل على المراد بطريق برهانى بليغ (أى سل عم شئت وهى لغة بنى عامر) عم وقع فى بعض النسخ عما بالالف وفى بعضها عم بدون ألف والاولى أولى لانها موصولة كما لا يخفى وان أردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال فى أدب الكاتب اذا جرت ما الاستفهامية بحرف جر سقطت ألفها فرقا بينها وبين الموصولة الاسم شئت فان العرب تقول ادع بم شئت فى الموصولة والاستفهامية فان جرت باسم مضاف لم تحذف وفى شرح النيلى أما اذا كان الجار لها اسما متمكنا لم يفعلوا ذلك وقول العرب مجىء م ومثل م شاذ انما حذفت مع الحرف تخفيفا فرقا بين الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف كاسم واحد فحذف الالف لطول الاسم وجاء نادرا سل عم شئت فان جره اسم متمكن لم يفعلوا ذلك وجاء مع بعد وعلى لعدم تمكنهما فالحقا بحروف الجر وقول العرب مجىء م جئت ومثل م أنت شاذ انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرره هذا التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شئت صادف محزه وانه لا يرد عليه شئ مما قالوه وفى شرح التسهيل لابى حيان ان الاخفش قال فى الاوسط انى أنا وقد ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شئت كأنهم حذفوا ألفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى وحينئذ لا حاجة الى ما قيل ان المصنف رحمه الله تعالى وقف على انها لغة لبنى عامر فقد تجانس المفسر والمفسر وما قيل من انه لا وجه لهذه النسخة من قصور النظر وقصر باع الاطلاع (وأما كلامه المعتاد) أى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى اعتاده فى مجالسه مع قومه وأهل أرضه وغيرهم (وفصاحته المعلومة) لكل أحد من كلامه (وجوامع كلمه) كما ورد فى الحديث الصحيح أوتيت جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة أى كلمة جامعة لوجوه الفصاحة والكلم اسم جنس جمعى لكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح والمراد ان الله تعالى من عليه صلى الله تعالى عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات

(وقوله) أى وكقوله على ما ذكره أبو نعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) أى مخاطباله بلغته (حين سأله) أى العامرى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك أى عم شئت) أى عما شئت كما فى نسخة ويجوز سل عن امرك وشانك (وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد) أى المانوس لجميع العباد (وفصاحته المعلومة) أى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) أى لمعان كثيرة بالفاظ يسيرة

(وحكمه) جمع حكمة (المأثورة) أى المروية عنه الدالة على اتقان علمه وأحكام عمله (فقد ألف الناس فيها الدواوين) جمع ديوان بكسر داله وقد يفتح وهو فارسى معرب وأصله دو وان أعل اعلال دينار وجمعه دنانير وقد سبق الكلام فيه والاظهر مما قالوا فى وجه التسمية ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب من الحساب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم وأول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ ما يتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وأمثال ذلك (وقد جمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب) أى فى بيان غرائبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقال وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها) أى ومن جوامع كلمه وحكمه (مالا يوازى) بهمز أبدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازائه أى بحذائه ولا تقل وازيته على ما فى الصحاح وهو بصيغة المجهول أى لا يماثل ولا يقابل (فصاحة) تمييز للنسبة أى من جهة الفصاحة (ولا يبارى) أى ولا يعارض ولا يساوى (بلاغة كقوله) على ما رواه أبو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى آخره وفى نسخة بحذف احدى التائين

أى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) أى فى العصمة والحرمة خلاف ما فى الجاهلية فكل مسلم شريفا أو وضيعا كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا فى ذلك سواء أو فى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لا يكافئ حرا فى بعض الصور على خلاف فى المسئلة (ويسعى بذمتهم) أى بعهدهم وأمانهم (أدناهم) أى عقلاهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا أعطى أحدهم أمانا لاحد أو لجيش فليس لاحد منا اخفاره أى نقض أمانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولحديث الترمذى ان

بليغة جزلة حاوية لمعان نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القرآن والاصح الانسب بالمقام الاول وقول الهروى معنى جوامع كلمه القرآن جمع الله تعالى له فيه معان كثيرة فى ألفاظ يسيرة وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كذلك عرفت ما فيه وقال ابن شهاب بلغنى ان جوامع الكلم ما جمعه الله تعالى له من الكتب التى كانت قبله فى الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انهم عدوا من فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاته انه كان يتكلم فى محاوراته بقليل الالفاظ المحتوية على المعانى التى لا حصر لها ومنه ما ورد فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الدعاء وهو ما يجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو ما يجمع أنواع السؤال وآداب المسئلة كما قلت فى قصيدة فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وجوامع الكلم التى فتحت له * سجدت لها البلغاء والاقلام

(وحكمه المأثورة) هو من الاثر وهو ما يدل على الشئ من آثاره وعلاماته ومنه أثرت العلم اذا رويته أثره أثرا واثارة وأثرة اذا تتبعت أمره كما قاله الراغب فالمأثورة المنقولة المروية والحكم جمع حكمة وهى الكلمات النافعة فتشمل المواعظ فهى أعم من جوامع الكلم (فقد ألف الناس فيها الدواوين) الفاء جواب اما والضمير للحكم أو للمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع ديوان بكسر الدال وفتحها فى لغة وقال أبو عمرو انه خطأ ولو صح كان جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقى وفى الاحكام السلطانية والديوان موضوع لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ووجه التسمية بذلك ان كسرى أطلع على كتبة ديوانه وهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أى مجانين ثم خفف بحذف الهاء وقيل ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع فى الفارسية كزاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى ثم سمى به مكانهم وأول من وضع الديوان عمر رضى الله تعالى عنه وهو معرب كما قاله الجواليقى وأطلق على الدفتر ثم قيل لكل كتاب وقد يختص بالشعر لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعانيه خمسة الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر (وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب) المراد كتب الحديث المسندة وغيرها وشروحها وجمعت مبنى للمفعول فلا وجه لما قيل ان الالفاظ قوالب المعانى فتى تجردت عنها كانت مهملة (ومنها مالا يوازى فصاحة) يوازى مبنى للمجهول أى يماثل ويقابل ويساوى من الموازاة وواوه مبدلة من الهمزة يقال آزى الشئ يوآزيه اذا حاذاه وفى شرح الكرمانى للبخارى آزيته ولا وازيته يعنى لا يقال ذلك فى ماضيه وأما المضارع فيجوز ابدال الهاء فيه واوا لانضمام ما قبلها فتدبر (ولا يبارى بلاغة) أى لا يعارض فيؤتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة وراء مهملة بين ألف وياء لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففى تعبيره بالموازاة فى الفصاحة والمباراة فى البلاغة حسن لا يخفى وجهه فلا يرد عليه أن الذى لا يعارض هو الكلام المعجز والاعجاز يختص بالقرآن كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوبان على التمييز (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم

المرأة لتأخذ على القوم أي تجير على المسلمين ولحديث أبي داود ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين ومنه حديث ذمة المسلمين واحدة (وهم) أي المسلمون (يد) من قوة ٤١٠ (على من سواهم) أوجماعة يتعاونون على أعدائهم من أهل الملل لايخذل بعضهم

بعضا أوهم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم في وجوب الاتفاق بينهم تعاونا وتعاضدا على من أذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب أن ينصر كل أخاه على من أذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) أي وكقوله فيما رواه ابن لال في مكارم الاخلاق (الناس) أي في تساوي اجراء الاحكام عليهم (كأسنان المشط) بضم الميم وتكسر وقد تفتح وتضم أو تكسر وتفتح شينه وهو مثل في التساوي وهو قريب من قوله تتكافأ دماؤهم وقيل في تساوي الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ماجاء في رواية أخرى الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربي على عجمي ولافضل لعجمي على عربي وانما الفضل بالتقوى (والمرء) أي وكقوله فيما رواه الشيخان المرء (مع من أحب) أي في كل موطن خيرا وفي المحشر أوفي الجنة فيه ايماء الى ان الله يتفضل على من أحب قوما بان يلحقه بهم في منازلهم وان لم يكن

له مثل أعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والافلافائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط للكمال وانه يكفي في اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما في صحيح مسلم ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف ترى رجلا أحب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب

وهم يد على من سواهم) التكافؤ التماثل من الكفو بالهمزة وهو المثل أي هم متساوون في القصاص والدية فشريفهم ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم وأميرهم وسوقتهم سواء وهذا كقوله تعالى النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بالواحد كما في قصة كليب وغيرها لخفاء الشرع بابطاله فلا يقتل الجمع بالواحد الا ان تواطؤا عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لوانفرد و بهذا الحديث استدل على ان المسلم لايقتل بالكافر لابناء على العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من التصريح به في الاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايقتل مسلم بكافر ولاذوعهد في عهده والقائل بانه يقتل المسلم بالكافر الذمي قال المراد بالكافر هنا الحربي وفي وجه التخصيص كلام للفقهاء والاصوليين وقد أفرد هذا الحديث بجزء مستقل وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائي عن علي كرم الله وجهه وصححوه والى عدم قصاص المسلم بالكافر ذهب أبو حنيفة خلافا للشافعي وتساوي دمائهم كناية عن التساوي في القصاص والدية كما مر وقوله ويسعى بذمتهم أدناهم المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين لايجوز نقضه لاحدهم وأدناهم أقلهم مقدارا فيشمل كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبي والمرأة واختلف في أمان العبد فقيل يقبل وقيل ان كان مقاتلا جاز والافلا والصبي قيل ان أمانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والافلا والمجنون لايصح أمانه بلاخلاف ومنهم من استثنى الاجراء والاسراء في دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل وقوله وهم يد على من سواهم في النهاية معناه انهم مجتمعون على أعدائهم يعاون بعضهم بعضا ولايخذله فعل أيديهم كأنها يد واحدة في الاتفاق ولذا لم يقل أيدي واليد يستعمل في القهر والقوة والقدرة أي هم مستولون قاهرون لغيرهم من أهل الملل فهم في الاتفاق باليد الواحدة فهو تشبيه بليغ أو استعارة وفي هذا الحديث ورد عليهم أقصاهم وتفسيره مذكور في كتب الحديث (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس كأسنان المشط) مناسبته لما قبله ظاهرة والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها وشينه مثلثة أيضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا مثل في تساوي الاخلاق فهو قريب من قوله تتكافؤ دماؤهم وهو مثل كذا في الشروح وهذا الحديث أخرجه ابن لال عن سهل بن سعد في مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعله نظير الماقبله بان تفاوت الناس في الاخلاق مقرر فالظاهر أن المراد تساويهم في الاحكام الشرعية والمراد بالناس المسلمون لان غيرهم لايساويهم في ذلك أو الجميع باعتبار أغلب الاحكام أو المراد تساويهم في الانساب فانهم كلهم أولاد آدم كما قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الى آخره فالمراد نفي ما كان عليه الجاهلية من التفاخر بالنسب فلاشرف الا بالعلم والتقوى كما ورد في الحديث يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى وفي معناه ما نسب لعلي كرم الله وجهه

الناس في عالم التمثيل اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
جسم كجسم وأعضاء مشاكلة * وأعظم خلقت فيها وأعضاء
وقدر كل امرئ ماكان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد ان النسب لايعتبر مطلقا (والمرء مع من أحب) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه وغيرهما وهو حديث صحيح مروي من طرق منها ما أسند الى ابن مسعود رضي الله

تعالى

تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من أحب فمن أحب الابرار فهو مع الابرار ومن أحب الفجار فهو مع الفجار وفي الحديث لايحب الرجل قوما الاحشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر المرء مع من يخالل وروي من يخال بالتشديد ومصداقه قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وأمثاله كثيرة لاتحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمرأة بطريق التغليب ويحتمل التخصيص لان المرأة تحشر مع زوجها ولو أحبت غيره الله تعالى والمراد المعية في الحشر ومنازل الآخرة فيرتقي من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة قال الغزالي رحمه الله تعالى وهذا المناسبة روحانية باطنية خفية وأسباب لايطلع عليها كما ورد في الحديث لوأن مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب ديني لافي مجرد لا كرام وضده فضلا من الله تعالى لايعلمه الا الله ولذا قال في آخر الآية السابقة (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) وان لم يعمل عمل من أحبه ولو كانت المعية في مطلق الاكرام لناله كل مؤمن صالح وان لم يحب * فان قلت من أخلص محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله تعالى بدرجة رفيعة لايصل اليها أحد وهذا هو الداعي فمن جعل المعية في مجرد الاكرام يقطع النظر عن خصوص المرتبة * قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت مافيه وقد ارتضى غيره خلافه وقال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم كهاتين) ولايلزم مساواته من كل الوجوه وقد أطال في الشرح الجديد هنا بمالامحصل له على عادته ويجوز أن يراد بكونه معه كونه في الجنة ولابن حجر رحمه الله

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وقلت أنا

وحق المصطفى لي فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا

ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

(ولاخير في صحبة من لايرى لك ماترى له) هو حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف كما قاله السيوطي في تخريجه وأوله كما قال التلمساني المرء على دين خليله ولاخير في صحبة من لايرى لك من الخير مثل ماترى له وروي من لايرى لك مثل مايرى لنفسه قال وروي يرى بالياء والتاء للبناء للفاعل والمفعول والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة أي يكون عنده من الرغبة والمودة والنفع مثل ماعندك له كما قال ابن الاحنف

اذا كان لايدنيك الاشفاعة * فلاخير في ود يكون بشافع

(والناس معادن) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطا منبت الذهب والفضة ونحوه من عدن بمعنى أقام لاقامة أهله فيه أولانباته فيه ويطلق على مكان كل شئ فيه أصله وعلى كل أصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم بذلك ان بني آدم يختلفون باختلاف أصلهم فمن كان أصله شريفا أعقب مثله وسرى طيب عرقه لفرعه ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا ألاترى ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرة جنية وضدها كذلك

(ولاخير) أي وكقوله فيما رواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف المرء على دين خليله ولاخير (في صحبة من لايرى لك) أي من الحق (مثل ماترى له) أي مثله اغترارا بماله من كثرة المال وسعة الجاه فيتكبر مع جهله على العلماء والصلحاء والفقراء المتواضعين له وروي يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول على ماذكره التلمساني والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروي لاخير في صحبة من لايرى لك مثل مايرى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه (والناس معادن) أي وكقوله على مارواه الشيخان الناس معادن أي لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف أي مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع في الطلب وحكي بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس مختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانهم من الارض كما أن المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها مايستعد للذهب الابريز ومنها مايستعد للفضة ومنها مايستعد لغير ذلك ومنها مايحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير ومنها ماهو بعكس ذلك ومنها مالايحصل منه شئ أصلا فكذلك بنو آدم منهم من لايعي ولايفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعي طويل ومنهم من أمره عكس ذلك ومنهم من يفاض عليه من حيث لايحتسب كما هو معلوم في كثير من الاولياء والصالحين والعلماء

فعروق الحنظل لاتنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومنبت الذهب لا يتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا فى الاسلام الا بالتقوى والعفة والعلم فاذا كان كذلك طاب أصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كأبى جهل لعنه الله واضرابه وههنا نكتة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى أن خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال الله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز فى الاول الكسر أيضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى هو معرفة النفس مالها وما عليها وسمى كتابه فى العقائد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصل فى كتب أصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعنى انها خلقت قبل الاجساد أقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التى هى من قسمه ألفتها كما قال أبو نواس ان النفوس لأرواح مجندة * لله فى الارض بالاهواء تأتلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

(و) من جوامع الكلم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ما هلك امرؤ عرف قدره) قال السيوطى قال السمعانى رحمه الله تعالى انه حديث روى مسندا عن على كرم الله وجهه وفى سنده من لا يعرف حاله وقال التجانى لا أعرف له سندا صحيحا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام أكثم بن صيفى فى وصيته فان ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلعله تمثيل به وأكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم فى الصحابة والاكثر على خلافه وفى كتاب جوامع الكلم وبدائع الحكم هو من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره مسندا يعنى ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا فى الدنيا والآخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر (والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم) المستشار اسم مفعول من المشاورة وسينه للطلب أى طلب رأى من يشاوره وسيأتى ان المشورة بفتح الميم وسكون الشين وان الافصح فتحها وضم الشين وكلاهما جائز بمعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه لانه باثراة الصواب كأنه أطعمه شهدا أو من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب والعامة تطلقه على جريها من اطلاق اسم المحل على الحال فاختبر لنفسك ما يحلو فسميت بها العرض أمره على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه أودعه سره وما خفى من أمره وجعله أمانة عنده فعليه أن يحفظه ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت واجبة عليه فى الحروب تشريعا للامة وتطييبا لقلوب أصحابه كما قيل

شاور صديقك فى الخفى المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل

فالله قد أوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء أشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه أى فليجتهد فى رأيه ويفكر فى الصواب فيه وأخرج صدره فقط الاربعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (و) من جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم) هذا الحديث أخرجه

مجهول ويقرب منه ما روى عن على رضى الله عنه ما ضاع امرؤ عرف قدره لان الضائع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) أى على ما استشير فيه استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى أيضا فى الشمائل فى قضية أبى الهيثم وفى بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار ما لم يتكلم) وفى رواية أحمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه قال الدلجى وهما شاهدا صدق بان الاشارة بمجرد الاستشارة غير واجبة انتهى والاظهر ان المراد به انه ان لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) أى بقوله الخير (وسكت) أى عن الاخير فيه (فسلم) أى عن الشر بسكوته رواه أبو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه أسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى أبو أن يقال الكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت

أبو الشيخ عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه والديلمى عن أنس رضى الله تعالى عنه لكنه رواه رحم الله امرأ بدل عبدا والعسكرى أيضا رواه عبدا امر فوعا عن أنس أيضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقى فى الشعب والخرائطى فى الاخلاق أما كونه اذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظة فانه يغتنم الاجر والذكر الجميل وربما يحصل الغنم فى الدنيا وقوله أو سكت أى عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما يندم عليه كما لا يخفى (و) قوله (اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) من حديث رواه الشيخان فى كتابه الذى كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل ملك الروم وروى اسلم تسلم واسلم يؤتك الله الى آخره وهو ظاهر وعلى الاول فالثانى بدل مماثل له أو جواب بعد جواب أو مجزوم بجازم مقدر وفيه من البديع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب الدارين ومن ذل الجزية ويؤتك الله أجرين أجرا باتباعك عيسى عليه الصلاة والسلام وايمانك به وأجرا أعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما ورد فى حديث آخر ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به الى آخره بخلاف المشركين وكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل كان فى سنة ست حين مادّ قريشا وقيل فى سنة خمس وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين الى آخره وهو مذكور فى الصحيحين مشروح فى شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المقوقس وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما لتليين القلوب بهما فى أول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال جرير

وأرض هرقل قد قهرت وداهرا * ويسعى لكم من آل كسرى النواصب

وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمى وهو علم ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كما مر ولم يقل ويؤتك بالعطف لتكرار أسلم لفظا أو تقديرا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام ومناسبة ليكون أجره مرتين وليكون له أجرين أيضا أو الامر الاول للدخول فى الاسلام والثانى للدوام عليه ووصل له الكتاب مع دحية رضى الله عنه وهو بحمص فى المحرم سنة سبع فلما اقرأه كتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انى مسلم ولكنى مغلوب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كذب عدو الله انه على نصرانيته وقيل انه آمن قال ابن عبد البر كيف هذا وقد قاتل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بتبوك وواعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فى العام المقبل فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم أخذت البلاد منه فمكث بالقسطنطينية الى ان هلك على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالملك مع انه اعترف بانه مغلوب والمتغلب المغلوب معزول عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى ففى هذا اخبار بالغيب * فان قلت قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين نزلت فى أهل الكتابين التوراة والانجيل وهو فى النصارى صحيح وأما فى اليهود فلا اذ لا يؤجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم * قلت قد ثبت انها نزلت فى عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه ممن أسلم من اليهود واستمر قبل ذلك على دين اليهود ولم يتبع عيسى عليه الصلاة والسلام فقيل انهم لايمانهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ودينه يؤجرون عليه وان كان دينهم منسوخا وأما القول بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى عليه

(اسلم) بحذف العاطف وفى نسخة صحيحة وقوله اسلم وهو أمر بالاسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين فى كتابه عليه الصلاة والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله أجرك مرتين) وللبخارى فى الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أى ان تسلم يعطك الله أجرك مرتين مرة لايمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ومرة لايمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث مع ايجازه جامع لمراتب الاسلام وما يترتب عليه من أنواع السلامة فى الدنيا والآخرة مع المناسبة اللفظية فى العبارة الزاخرة

الصلاة والسلام فبعيد ولانهم ماولين بانه مبعوث لبنى اسرائيل خاصة وهم من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ وأما القول بانها نزلت فى كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان يؤول بانها نزلت فى أمثاله ممن آمن من أهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرمانى رحمه الله تعالى ان هذا مخصوص بمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم فى عصره لان من بعده ينسخ دينه وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من أسلم من أهل الكتاب الماس وبه أفتى الامام البلقينى فلا اشكال (وان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يالفون ويؤلفون) هذا أيضا من جوامع كلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وبدائع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابن مسعود وجابر رضى الله تعالى عنهما ورواه الطبرانى وزاد فيه وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبراء العيب واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص وأحب أفعل تفضيل من المبنى للمجهول وفعله ثلاثى لانه يقال حبه بمعنى أحبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول مقصور على السماع فى الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة ونسبة القرب له كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم فى الموقف وأحاسن جمع أحسن أفعل تفضيل وجمع لمطابقة ماهوله وهو المضاف اليه واستدل النحويون بهذا الحديث على ان أفعل التفضيل اذا أضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لافراده أحب وأقرب وجمع أحاسن بخلاف ما اذا أضيف لنكرة فانه يلزمه الافراد والتذكير ولا حاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا فى كلامهم كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى بناء على ان الاحبية وكثرة الثواب بحسن الخلق فى الجملة والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطاء المهملة المشددة وبعدها همزة مضمومة جمع موطا اسم مفعول وقال البرهان الحلبى انه فى الاصل الذى وقف عليه بفتح الطاء من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق وسهولة من التوطئة وهى التمهيد والتذليل يقال دابة وطئة أى لا تحرك راكبها وفراش وطئ لا يؤذى جنب النائم عليه وهو فى الاصل على طريق التمثيل والاستعارة كانه يمكن غيره من وطئه باقدامه فاريديه مامر والاكناف جمع كنف بزنة جبل وهو الناحية والجانب أى من يلين جانبه لغيره والمراد من يلتجأ اليه ويعتمد عليه والاول أنسب بما بعده من قوله الذين يالفون ويؤلفون أى الذين يالفهم الناس ويالفونهم من الالفة بالضم وهى الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا يعنى مستعار من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الماء وكذا المتفيهق وهو مفيعل من الفيهقة من فهق الغدير يفهق بفتح الهاء فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدقون الذين يتكلفون فى كلامهم بفتح أشداقهم كما قيل

تشادق حتى مال بالقول شدق * وكل خطيب لا أبالك أشدق

وورد فى هذا الحديث أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فالمتفيهقون قال المتكبرون وهو غريب مخالف لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه تدعوه حاله الى التكبر وفى التقريب الفهق الاتساع وكل شئ توسع فقد تفهق وأنشد المبرد

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

وفهق الغدير يفهق فهقا وفهق الرجل بالكلام امتلأ انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع الكلم فقال

وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) جمع أحسن والمراد بالاخلاق الشمائل والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان أفعل التفضيل اذا أضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لانه عليه الصلاة والسلام أفرد أحب وأقرب وجمع أحاسن ففيه جمع بين اللغتين وتفنن فى العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة أى المذللون (أكنافا) جمع كنف بكسر وبفتح وهو الجانب أى الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتاذى منهم ماخوذ من فراش وطيئ لا يؤذى جنب النائم والمراد منهم المتواضعون اللينون الهينون كما ورد فى أوصاف المؤمنين (الذى يالفون) بفتح اللام (ويؤلفون) بصيغة المجهول أى يالفون الناس والناس يالفونهم وذلك لحسن أخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى فى الحديث وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون للاحبة الملتمسون للبراء العيب (وقوله)

(وقوله) أى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعبه أصيب رجل يوم احد فقالت أمه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومايدريك (لعله كان يتكلم بمالا يعنيه) بفتح أوله وسكون المهملة وكسر النون أى بمالا يهمه من أمر دنياه وعقباه

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله كان يتكلم بمالا يعنيه ويبخل بمالا يغنيه) هذا حديث صحيح روى من طرق بعضها موافق لكلام المصنف رحمه الله تعالى وفى بعضها مالا ينقص وفى بعضها مالا يضره وضميره راجع للرجل المذكور فى أول الحديث الذى رواه البيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه فى الشعب ان رجلا من الصحابة استشهد باحد فقالت له أمه يابنى ليهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها ومايدريك لعله الخ وأخرج الترمذى من حديث حفص بن غياث عن الاعمش عن أنس رضى الله تعالى عنه قال توفى رجل من الصحابة فقالوا له ابشر بالجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أولا تدرون فلعله قد تكلم بمالا يعنيه أو بخل بمالا ينقصه وأخرجه البيهقى من هذا الوجه أيضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطى رحمه الله تعالى ومعناه انه لا يهنى ويبشر بالجنة الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه وينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وفيه نهى عن التكلم بمالا يلزم ولو مباحا لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم كذكر الله تعالى عز وجل وتلاوة القرآن واذا نهى عن هذا فما بالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة وقوله ويبخل بما لا يغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة وبين يعنيه ويغنيه تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطاء اللازم كالزكاة والنفقة على من تلزمه نفقته أو المستحسن مروءة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما لا يحتاج اليه كما فى الرواية الاخرى لا يضره ولا ينقصه فعدل عنه لانه أبلغ فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولى أو المراد مالا غناء له عنه والبخل صفة ذميمة لا تعقب الا الخسارة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال الشاعر كما مر

يغنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث مايدع
كدودة القز ماتبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين وذو اللسانين فى النار فيقال له ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما قال

وكم من فتى يعجب الناظرين * له ألسن وله أوجه

واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى وبين الوجه والوجيه جناس اشتقاق كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه له حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين أو على وجه الاضرار اذا كانا متعادين بمنزلة من له وجهان يأتى هذا بوجه وهذا بآخر كما قالوا اخرج بوجه وأتى بوجه غيره والوجيه الذى له قدر ومنزلة والمراد بكونه لا منزلة له عند الله تعالى انه لا يرضاه ولا يحبه لقباحة فعله اما لو فعل ذلك لاصلاح ذات البين وازالة ضغائن القلوب ونحو ذلك فهو أمر حسن ليس داخلا فيما مر وقال التجانى ذو الوجهين هو الذى يأتى كل قوم بما يرضيهم خيرا كان أو شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم ببشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيريد ارضاء كل فريق منهم ويظهر انه معهم وان كان ليس كذلك باطنا وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه خرجه مسلم وعن أنس رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى

(ويبخل) لعل الواو بمعنى أو (بمالا يغنيه) بضم أوله وسكون المعجمة أى من أقوال وأفعال وطلب رئاسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وفى رواية للبيهقى كما رواه الترمذى ان رجلا توفى وقالوا ابشر بالجنة فقال فلعله قد تكلم بمالا يعنيه أو بخل بمالا ينقصه قال الترمذى وهذا هو المحفوظ أقول لكن لا يخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه ويغنيه فى الحديث الاول (وقوله) أى وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) أى الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتى كلا بما يحب من خير أو شر وهذه هى المداهنة المحرمة وقيل هو الذى يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به ويوهمها انه عدو للاخرى ويبدى لها مساويها (لا يكون عند الله وجيها) أى ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد

بخلاف المصلح بين الناس فى البلاد وأصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من أحب أحدا يديم النظر الى وجهه ويستقبله بالتكريم وفى رواية الطبرانى عن أبى سعيد ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة له وجهان من نار

(ونهيه) أي وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لامهما وخفضهما منونا أي عن فضول ما يتحدث به في المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما ماضيان في كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن أبي عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق بدل قول الحق والمراد النهي عن نقل أقوال الناس مما لا فائدة فيه وقيل المراد النهي عن كثرة الكلام ابتداء وجوابا مما يوقع في الخطأ وما لا يجدي نفعا فيرجع الى حديث ٤١٦ كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع ونسب للشافعي شعر لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال

فاقلل من لقاء الناس الا لاخذ العلم أو اصلاح حال (وكثرة السؤال) أي عما بايدي الناس بان يسال الناس أموالهم أو عن اخبارهم مما لا فائدة فيه من التجسس وقيل النهي عن الاغلوطات وفي كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة ولله در القائل

بلوت مرارة الاشياء طعما فلا شئ أمر من السؤال

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن أشياء غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكثرة بالفتح والكسر (واضاعة المال) أي بصرفه في غير مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الاسراف في النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه في موضعه اللائق به كما قيل وما ضاع مال أورث المجد أهله * ولكن أموال البخيل تضيع (ومنع) بالجر منونا وفي نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفي نسخة بالفتح وروى على بناء الماضي أي منع ما يجب عليه اعطاؤه وطلب ما ليس له (وعقوق الامهات) أي والآباء فهو من باب الاكتفاء أو لان أكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ما كان عند العرب كثير حرمة لهن أو للايماء بان عصيانهن أقبح لانهن أكثر محبة وأشد شفقة لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين الآية ولما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله قال أمك ثم أمك ثم أباك

عليه وسلم انه قال من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيامة (ونهيه عن قيل وقال) هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن سهم وفيه ثلاثة أوجه فقيل القيل والقال مصدران بمعنى القول وقيل فعلان أحدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسماء ويثنون ومنه تعلم ان نقل الجمل يجري في غير الاعلام كما صرح به المرزوقي وذكر له نظائر هذا ما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي عن كثرة الكلام لما يؤول اليه من الخطا وكونه مما يعني لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس فالاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب فالمعنى انه نهى عن كثرة البحث والجدال في الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهى وزجر عن كثرة الكلام مبتدئا ومجيبا (وكثرة السؤال) أي سؤال الناس ما بايديهم استعطاء وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه أو السؤال عن اخبار الناس وأحوالهم قيل وهذا يغني عنه قوله عن قيل وقال أو السؤال عن المشتبهات والبحث عنها والتكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك أو المراد نهيهم عن سؤال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أمور لا يؤذن في السؤال عنها كما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ويرد عليه انه لو أريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة وأجيب بان كثرته بضمه لما أذن في السؤال عنه وهذا يتضمن النهي عن أحدهما لان النهي عن مجموع أمرين أحدهما هو المنهي عنه في نفس الامر نظرا الى هيئتهما المجموعة يتضمن النهي عن خصوص ذلك المنهي عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف لادعاء أمر لا يدل عليه اللفظ (واضاعة المال) باي طريق كان سواء كان ماله أو مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع مال السفيه له والاسراف فيما لا فائدة فيه كل ذلك منهي عنه وعدمن اضاعته حبسه وعدم صرفه فيما يليق كما قيل

وما ضاع مال أورث المجد أهله * ولكن أموال البخيل تضيع

ومن هان عليه المال توجهت اليه الآمال ومن بسط راحته آنس ساحته وكما قلت

ويكرم نفس المرء ان هان ماله * وكل كريم النفس فهو كريم

وقيل تصدق المحتاج والمديون حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكي رحمه الله في فتاواه الضابط في اضاعة المال ان لا يكون لغرض ديني أو دنيوي فاذا انتفيا كان اضاعة ومحل حرمة ما مراذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ومنع وهات) منع منون مجرور وجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع بذل ما يجب أو يستحسن أو مطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية أي طلب ما عند غيره وسؤاله وهو فعل أمر اصله آت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل رحمه الله تعالى وعليه أكثر النحاة (وعقوق الامهات) العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم

(و وأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل أى دفنهن حيات أنفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفاً لمؤنتهن وخشية الاملاق بهن ولذا خصهن بالذكر والافالوأد حرام وكثر ذلك الفعل بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفى ومع هذا جاء فى الحديث ان دفن البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر قيل فايهما أستر قال القبر (وقوله) أى وكقوله فيما رواه أحمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى ذر (اتق الله حيث كنت) وفى الوصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا فى أصل الدلجى ولذا قال ومازائدة بشهادة رواية حذفها والمعنى اتق الله باكتساب أوامره واجتناب زواجره فى كل مكان وزمان فانه معك أينما كنت وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته أو عام لكل فرد من افراد أمته (وأتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة أى أعقب والحق (السيئة) أى الصادرة منك (الحسنة) أى من صلاة أو صدقة ونحوهما وروى بحسنة (تمحها) بفتح أوله وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة فى الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها أو محوها كناية عن عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة يمحو جنس السيئة فلا ينافى ماورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال ولو بعد التوبة نعم قبل وصولها اليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب أحدكم من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل تمحها بحسنة يضاد اثرها اثر السيئة الى ارتكبها فسماع الملاهى يكفر بسماع القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد

ضد البر من العق وهو القطع والامهات جمع أمهة وهى الام وأصل الام أمهة لجمعه على أمهات وتصغيره على أميهة وقد جاء أصله من المضاعف لقولهم امات وأميمة وقال بعضهم أكثر مايقال امات فى البهائم ونحوها مما لايعقل وأمهات فى الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين من الكبائر لانهن أكثر حقا وشفقة على الولد ولذا لما سئل سائل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك ثلاثا قال ثم من قال أبوك وهو حديث صحيح وأيضا لم يكن للنساء تلك الحرمة خصهن ليحثهم على برهن وينبه على مايجب لهن قيل ومنه وخذانه اذا أعطى والديه شيئا يزيد عطية الام على الاب وأكثر العقوق يكون لهن وقال حكمة الثلاث فى الحديث مشقة الحمل والوضع والرضاع وذهب الجمهور الى انها تفضل على الاب فى البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية بينهما والاول أصح (ووأد البنات) الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة وأصله الصوت الشديد وهو دفن البنات فى حياتهن اما أنفة وغيرة من النكاح أو خوفا من الفقر والمدفونة حية حالة الدفن تصيح غالبا ومافى الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أى يثقلها ومنه ولا يؤده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان مادة الاول وأد والثانى أود واختلاف معنييهما كما بينه أهل اللغة وادعاء القلب لاحاجة اليه وكان هذا فى الجاهلية وأول من فعله قيس بن عاصم التميمى فتبعه العرب على ذلك وكان بعضهم يقتل أولاده مطلقا وكان مصعب بن ناجية جد الفرزدق منع الوأد فى الجاهلية كما قال

وجدى الذى منع الوآدات * وأحيى الوئيد فلم يوئد

وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد المرأة عندها فان وضعت ذكرا أبقته وان وضعت انثى ألقتها فى الحفيرة وردم عليها التراب فان لم يفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها أبوها البئر ورماها فيها بعد ماطيبتها أمها وزينتها وفى الجاهلية من نهى عن ذلك كزيد بن عمرو بن نفيل فلما جاء الشرع أبطل ذلك وقد جعلوا العزل وأدا خفيا وهى الموؤدة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام أو مكروه وفيه تفصيل ذكره الفقهاء ثم نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الثلاثة الاول من هذه الامور الستة نهى كراهة وعن البقية نهى تحريم لكن ليس بصيغة النهى بل بمقتضى الحديث الآخر الصحيح وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات الى آخره وبقى كلام زائد على مقتضى المقام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتق الله حيث كنت) وفى نسخة الدلجى حيث ما كنت وهذا الحديث رواه أحمد والترمذى والحاكم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه ولا فرق بين الروايتين معنى لان ما زائدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصى ولها مراتب فصلها القاضى فى أول سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم أى فى أى مكان وأى حال وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى فى جميع الازمنة أعم منها فى جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت وقال غيره انه روى بحذفها أيضا والامر لراويه أو لكل من يقف عليه ليعم كل مأمور باعتباره أفرد الضمير كما فى قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار ولنافيه كلام ليس هذا محله (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) هذا وماقبله ومابعده حديث واحد رواه الترمذى وقال انه حديث

(وخالق الناس) أي خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) أي بطلاقة وجه وكف أذى وبما يحب ان يعاملوك به فان الموافقة مؤنسة والمخالفة موحشة (وخير الامور ٤١٨ أوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعاني في تاريخه أي المتوسطة بين الافراط والتفريط في الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفي الاحوال كالاعتدال بين الخوف والرجاء والقبض والبسط وفي الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفي المثل الجاهل اما مفرط واما مفرط وفي التنزيل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور أن يجتنب كل وصف مذموم بالبعد عنه وأبعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) أي وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أحبب) من أحبه فان حببته احبه بالكسر شاذ وقوله (حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى أحبب الذي تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا) ما زائدة للمبالغة في القلة أي حبا يسيرا ولا تسرف في حبه ولا تبالغ في تعلق القلب به كثيرا فانه

عسى

حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وفي معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكأنها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما عدا الكبائر وقالت المرجئة انه شامل للكبائر والصغائر وقال بعض المعتزلة المراد ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا أصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى انها تمحى من كتاب أعماله وتمحها مجزوم في جواب الامر ولا بعد ان هذا مقيد بغير حقوق العباد اما هي كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان أمكن والا فقالوا ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل في كتاب المكفرات للسيد السمهودي رحمه الله تعالى وقوله (وخالق الناس بخلق حسن) قد علمت انه من تتمة ما قبله وخالق أمر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل أو هو على أصله بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التي طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤد لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر كما قلت

ان رمت ان تحظى بعز وهنا * فاجتنب الناس وكن عنهم غنى
وان تخالطهم فكن ذا عفة * وخالق الناس بخلق حسن

(وخير الامور أوسطها) لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط مذمومان والمحمود ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين في علم الاخلاق وبه ورد التصريح في الحديث الذي رواه العسكري عن الاوزاعي بسنده وهو ما من أمر أمر الله تعالى به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين أيهما فعل أصاب الغلو والتقصير وروى أبو يعلى بسنده عن وهب بن منبه ان لكل شئ طرفين ووسطا فاذا أمسك باحد الطرفين مال الآخر واذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من الاشياء ويشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي بين غلو النصارى وتفريط اليهود وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال الحريري حب التناهي غلط * خير الامور الوسط

وقال خير الامور عندنا الاوساط * ويكره التفريط والافراط

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في أمور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها الا ترى الى قولهم أخو الدون الوسط وقولهم الثقل من مغن وسط لا مطرب ولا مضحك كما في الروض الانف وهذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وابن جرير في تفسيره عن مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وكذا أخرجه البيهقي بلا سند وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه دوموا على أداء الفرائض فخير الاعمال أوسطها ويناسبه قوله (أحبب حبيبك هونا ما

عسى أن يكون) أي يصير وينقلب (بغيضك) أي مبغوضك (يوما ما) أي حينا من الاحيان وتتمته وأبغض بغيضك

هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما اذ ربما انقلب ذلك الحب بتغير الاحوال بغضا فتندم عليه اذا أبغضته أو انقلب البغض حبا فتستحي منه اذا أحببته ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضي الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وفي معنى هذا الحديث أنشد أبو عمرو بن عبد البر في بهجة المجالس

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا * فانك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا * فانك لا تدري متى أنت راجع

والمقارب المقتصد (وقوله) أي وقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) أي على النفس أو على الغير (ظلمات) بضم الظاء واللام وقال التلمساني وبفتح وبضم الثاني أي أنواع الظلم القاصر أو المتعدي ظلمات حسية على أصحابه فلا يهتدون بسببه الى الخلاص (يوم القيامة) أي في يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين أيديهم وبأيمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل أن يراد بها الشدائد كما في قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

عسى أن يكون بغيضك يوما ما) وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما والهون بفتح الهاء وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشئ اذا خف وسهل ومنه الهون في المشي وهو الرفق واللين فارشد صلى الله تعالى عليه وسلم المتحابين الى الاقتصاد في المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا المتباغضين الذين بينهما عداوة لا ينبغي لهما المبالغة في العداوة واظهارها فليكن ذلك على قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينتقل الحب الى البغض والبغض الى الحب فيقبح تفاوت حالك وتغير أقوالك وأفعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الافراط وقد فسره به أهل اللغة قال في النهاية أي لا تسرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا فيندم ويستحي فدخل هذا الحديث تحت ما قبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر لا تملأن قلبك بحبة شئ ولا تستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وقال بعض العرب

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا * فانك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض متى أبغضت غير مباين * فانك لا تدري متى أنت راجع

وبين علته ابن الرومي بقوله احذر صديقك مرة * واحذر عدوك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق * فكان أعرف بالمضرة

فان قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا ان ما تدل على التقليل سواء قلنا أنها زائدة أو اسم على ما فصله المفسر في قوله تعالى مثلا ما بعوضة وهي هنا مشددة لقلب النون ميما وادغامها فيها * قلت لان الوسط قليل بالنسبة للاعلى وقيل أنها تفيد تقليل التوسط والحب اذا كان على وجه التوسط في القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط الوسطى ومن الجائز أن يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما او عدم قرب وبعد منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكثير ونعني به التوسط التام كما نعني بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق أنه لا تقليل فيها وانما المراد أي هون كان وما في ذلك للتأكيد كما في الآية والتقليل لو سلم يفيده تنكير هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث كما قال السيوطي أخرجه البخاري في الادب والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال التجاني الاكثر على أنه من كلام علي كرم الله وجهه ورواه الحسن بن أبي جعفر مسندا عن علي رضي الله تعالى عنه برفعه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد ضعيف وقال الترمذي الاصح أنه موقوف على علي وذكر الترمذي أيضا انه ورد عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال وأراه رفعه وهو غريب لا يعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعي في الشهاب ورواه الماوردي مرفوعا في أدب الدين والدنيا وكذا الغزالي في الاحياء ورواه في مسند الفردوس (والظلم ظلمات يوم القيامة) الظلم وضع الشئ في غير موضعه وقد يكون بمعنى النقص قال تعالى ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص منه شيئا وأرض مظلومة أي لم تمطر فكأنها انتقصت عن غيرها والمراد به تعدي الحدود سواء كان في حق أو في غيره وتعريفه يراد به العموم وأفرد الظلم وجمع الظلمات اما لانه جمع معنى لاستغراقه فيكون كمقابلة الجمع بالجمع أو اشارة الى أن الظلم الواحد تعقبه ظلمات متعددة لفظاعته وقال ابن الجوزي ان من ظلم نفسه أو غيره نشأ ذلك عن قسوة قلب ثم يعقب ذلك تعديه ومبارزته بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلم اما حقيقة حسية كما ان المؤمن المطيع له نور يوم القيامة قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم الآية ومنهم من حمل الظلمة على الاهوال والشدائد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي شدائدهما ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا الحديث صحيح أخرجه البخاري وترجم له

(وقوله) أي وكقوله فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في بعض دعائه) أي في بعض دعواته لما فرغ من صلاته ليلة الجمعة (اللهم اني أسالك رحمة من عندك) اي من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي الحديث كذا في اصل الترمذي وليس في بعض النسخ لفظ من عندك (تهدي بها قلبي) اي تدله وتقربه لديك (وتجمع بها امري) اي حالي عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحتين أي تجمع بها تفرق خاطري وتضم بها تشتت امري بمقام جمعي وحضوري (وتصلح بها غائبي) اي قلبي أو باطني بالاخلاق الرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدي) اي قالبي او ظاهري بالاعمال البهية والهيئات الحسنية أو يراد بهما اتباعه الغائبون والحاضرون (وتزكي بها عملي) اي تزيد ثوابه وتنميه او تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمني بها رشدي) اي صلاح حالي في حالي ومآلي (وترد) اي تجمع (بها الفتي) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفك والفه كعلمه الفا بالكسر والفتح على ما في القاموس فقول الدلجي بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى المفعول ليس في محله والمراد بها الالفة في العبادة أو حسن الصحبة مع أرباب السعادة ومنه حديث المؤمن يألف و يؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف على ما رواه الدارقطني عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

وأسنده الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما اورواه كما رواه المصنف الظلم ظلمات يوم القيامة و رواه مسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك علم أن ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من حذف ان رواية فيه فلا يقال أنه أخل بلفظه أو وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها مبالغة (وقوله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في دعائه) أي في بعض دعواته المأثورة وقد جمع العلماء أدعيته في كتب مستقلة من وقف عليها رأى فيها من هذا النمط أمورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته (اللهم اني أسالك رحمة من عندك) وفي رواية عن المصنف رحمه بدون قوله من عندك والاولى هي المذكورة في الترمذي وعند اذا أضيفت الى الله لها معان منها العلم كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وتكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله عظيما و بمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو وقالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان هنا أي أطلب منك احسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة أي أسالك رحمة تقربني اليك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شئ فقوله من عندك ليس معناه لا في مقابلة طاعة لاشعاره بان ما كان في مقابلتها ليس بمحض الفضل فذلك نسبة تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم انتهى وليس بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضل مخصوص منه أيضا وقيل معنى العندية عموم نفعها وجودها بدون وسائط وهو تكلف لا يساعده اللفظ والرحمة بمعنى الانعام أو ارادته كما حقق في محله (تهدي بها قلبي) أي تدله أو توصله الى ما يقربني من حضرة قدسك لاشاهد نفحات أنسك (وتجمع بها أمري) أي تنتظم بها أموري وشأني حتى لا يكون لها تشتت (وتلم بها شعثي) أي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشعث وتفرق من أمري وهو كالتفسير لما قبله قال الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله تعالى شعثك أي جمع أمرك انتهى وأصله انتشار الغبار في الهواء (وتصلح بها غائبي) بالغين المعجمة والباء الموحدة فسروه بباطني أي ما خفي من أموري عني وعن غيري وقيل المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل والتوحيد (وترفع بها شاهدي) أي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل لقوله غائبي وبينهما صنعة الطباق وقيل أراد بهما الدنيا والآخرة ورفعها أي جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الآفات وعصمته من البليات وقد دل صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله (وتزكي بها عملي) أي برحمة وتفضل منك تجعل عملي كله مباركا مقبولا سالما عما ينقصه كالرياء أو هو من تزكية الشهود أي تجعله ممدوحا وهما متقاربان (وتلهمني بها رشدي) الالهام ايقاع الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسماء الله تعالى هو الذي يرشد عباده لمصالحهم ويدبره (وترد بها الفتي) بضم الهمزة وكسرها وسكون اللام وفتح القاف يليها ألف تانيث وياء متكلم مصدر بمعنى المفعول أي ما كنت آلفه كالأليف ما تحبه وتريد اجتماعه ورده عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته وأقرباؤه وأهل جلدته فدعا الله ان يلهمهم ويهديهم للاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته أي جمع بينه و بينها وقيل المراد حالته التي كان عليها في عالم

الذر

الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات الجسمانية وهو بعيد (وتعصمني بها من كل سوء) أصل معنى العصمة المنع والحماية أي يصونني ويحفظني مما يسوءني والباء في المواضع كلها سببية وزاد التجاني هنا اللهم أعطني ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة (اللهم انى أسالك الفوز في القضاء) وروى في العطاء والفوز النجاة والظفر في القضاء والقدر بالفتح والسكون بمعنى في اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضاء انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم حين الوجود وهو الصحيح لانه قد جاء في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بكهف مائل للسقوط فاسرع المشي حتى جاوزه فقيل له أتفر من قضاء الله فقال أفر من قضائه الى قدره ففرق بين القضاء والقدر وبين ان الانسان يجب عليه أن يتوقى ما يضره قاله البطليوسي فالمعنى انه سأل الله النجاة من كل سوء قضاه على غيره أو عليه معلقا على أمر وقوله (ونزل الشهداء) النزل بضم النون والزاي وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل من القرى والكرامة أراد ما لارواحهم في البرزخ ولهم في الجنان من الاكرام والرزق والثواب وقد فاز صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (وعيش السعداء) اما ان يريد بالعيش الحياة بان يكون سعيدا في الدنيا معززا مكرما موفقا لما يرضاه فائزا بكل شيء يتمناه أو في الآخرة بان يحييه حياة مخلدة منعما فيها بما يليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الآية والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش أصل معناه الحياة والسعداء جمع سعيد ضد الشقي وبعده في الدعاء ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) أي الانتصار عليهم وغلبتهم والاعداء جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم أنزلت بك حاجتي يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير من البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي أو أمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب اليك فيه واسئلك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود فانك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان من تفرد بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان ذي الجلال والاكرام سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم اعط لي نورا واجعل لي نورا انتهى وقوله اعط لي باللام لمشاكلة اجعل لي فلا وجه لما قيل اعطني لانه لا يتعدى باللام ان صحت الرواية وفي رواية اللهم أعظم لي نورا وأعطني نورا وأجعل لي نورا وما وقع في هذا الدعاء من السجع لا ينافي ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكرهه لان محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جاء من غير تكلف فلا باس وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهم برآء منه فجيئه منه كتكلمه بالنظم منزه عنه أما صدوره منه أحيانا وان التزم كما هنا فغير

(وتعصمني) أي تحفظني وتمنعني (بها من كل سوء) أي تصرفني عنه وتصرفه عني وهو بضم السين وقد يفتح الضرر الحسي والمعنوي (اللهم اني أسالك الفوز) أي النجاة (في القضاء) أي فيما قضيته وقدرته علي من البلاء وفي نسخة عند القضاء أي حين حلول القضاء وضيق القضاء بتوفيق الرضى وروى المنجاني في العطاء ثم قال ويروى في القضاء كما ذكره المصنف في الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكين الزاي وأصله ما يعد للضيف أول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل ويؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) أي الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفي رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) أي من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض الشراح وفي هذا الحديث دليل واضح على ان السجع في الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء ويشغله عن حضور القلب عن الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة

مكروه كما ورد في القرآن ولذا قيل انه يصح اطلاق السجع عليه ثم أشار الى ان ماذكره قطرة من بحر فان شئت الوقوف على غيره فاضف ماذكر (الى ماروته الكافة عن الكافة) فما رواه كثير من الناس لا يحصون فكافة وان كان بمعنى جميعا لانه اسم فاعل أو مصدر كالعافية والفاتحة في قول من كف اذ جمع أطرافه أو من كف بمعنى منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه أريد به الكثرة كما وردت كل كذلك كثيرا اذلم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع فكأنه كذلك ثم ان سيبويه قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية كعامة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك في كلام الله تعالى ولا كلام العرب ووهم من استعملها على خلاف ذلك كابن نباتة في خطبه وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله في خطبة المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعمالها فيما لا يعقل وأما قول الجوهري الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة اذا أريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح هنا فانه ليس مما نحن فيه * أقول هذا وان اتفقوا عليه لا وجه له رواية ودراية أما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وضعته له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لأدى الى التضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا ونحوه لحنا كما قاله الحريري لا وجه له وأما الثاني فلانه روى عن عمر رضي الله تعالى عنه استعماله في كتابه لبني كاكلة المروي عنه رواية ثابتة وعن على كرم الله تعالى وجهه في ذلك أيضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان أردت تفصيله فانظره في شرحنا الدرة الغواص وقوله (من مقاماته ومحاضراته) بيان لما في ماروته والمقامات بفتح الميم جمع مقامة بفتحتها وهي اسم لمكان القيام وتوسعوا فيه فاستعملوها لمطلق المكان كقوله

وكالمسك ترب مقاماتهم * وترب قبورهم أطيب

ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما سموهم مجالسا في قوله * واستب بعدك يا كليب المجلس * وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه مقامه كمقامات البديع والحريري ومثله من التجوز كثير ومنه تعلم ان المجاز على المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه في مجالسه وخطاب أمته صلى الله تعالى عليه وسلم في حال حكمه وحروبه ولا يختص بالخطاب لكونه يخطب قائما لذكره لغيره وان كان المقام مقام خطابة يغتفر فيه الاسهاب ولما أريد به هنا الكلام وقع بيانا لما روته الكافة عن الكافة والمحاضرات جمع محاضرة لا محضرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة أصل معناها كما قاله الجوهري من حاضرته اذا جاثيته أي جالسته عند السلطان وهو كالمبالغة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعني انها مفاعلة من الحضور عنده أو من الحضر بالضم فعناها مجاراة الجليس جليسه في الكلام بان تتكلم بما عندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو في ذلك معك فالمراد مصاحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أصحابه أحيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سائغة ونحوها مباسطة وملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب (وخطبه) جمع خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم بكلام في أمر مهم سواء كان قائما على منبر والكلام مسجع أم لا وهي معروفة (وأدعيته) جمع دعاء كوعاء وأوعية وهي سؤال الله وتوجهه اليه فيما يهمه (ومخاطباته) أي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق (وعهوده) أي كلامه اذا أخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك وغيرهم وقيل المراد

(الى ماروته الكافة عن الكافة) أي جميع الرواة عن الثقاة وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته في اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) أي في محاوراته (وخطبه) أي في جمعه وجماعاته (وأدعيته) أي وقت مناجاته (ومخاطباته) أي في مجاوباته (وعهوده) أي في مبايعاته

وصاياه

(مما الاخلاف) أى بين علماء الانام (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقدوهم اليمنى فى ضبطه بضم النون والزاى منونا وذكر معانيه التى هى غير ملائمة للمقام فالمعنى انه تنزل وحل ووصل (من ذلك) أى مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فوحدة أى موضعا مشرفا كما فى الصحاح وفى نسخة بقاف فالف وكلتاهما بمعنى مرتبة كما فى نسخة وقال اليمنى هى الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لايقاس) أى عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول فى الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين فى السلوك (وحاز) بالحاء والزاى أى ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم فى السير ويستعار لاحراز الفضل والخير وبفتحهما ما يجعل من المال رهنا فى المسابقة وأغرب الحلبى من بين الشراح فى قوله انه يتعين ههنا فتح الباء (لايقدر قدره) بصيغة المجهول أى لايعرف عظمة شانه ورفعة برهانه (وقد جمعت) بصيغة المتكلم فى أكثر النسخ وضبطه الدلجى بتاء تانيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية أو زائدة وأنث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجى والظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة فى الكلام الموجب مع ان كلماته لاتستقصى فى مقام الرواية والمفعول أو نائب الفاعل قوله (التى لم يسبق اليها) بصيغة المجهول أى ماسبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (ولاقدر أحد ان يفرغ) من الافراغ أى (فى قالبه) بفتح اللام وتكسر فى القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه أكثر والمعنى لم يقدر أحد ان يسكب جواهر المعانى فى قوالب زواهر المبانى (عليها) أى على نهج تلك الكلمات التى ليس لها مثانى

وصاياه (مما الاخلاف انه نزل من ذلك مرتبة لايقاس بها غيره) انه بتقدير فى انه لاطراد حذف الجار قبل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو لما وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة لسبقهما أو للعلم بهما من سياق كلامه ونزل منزلة ومرتبة أى حل محلا عاليا ووصل الى حد لايصل اليه غيره والمنزلة تستعمل فى الشرف والتاء للنقل وفى بعض النسخ مرقبة بالقاف أى محلا عاليا من شانه ان يرقبه فيه ويطلع على أحوال غيره وقوله لايقاس الى آخره أى لايساويه غيره وضمير بها للمرتبة وضمير غيره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو للكلام والقياس يتعدى بالباء وعلى يقال قاسه بغيره وعليه كما فى القاموس والاساس وفى حواشى العضد للابهرى القياس تقدير شئ بآخر وعدى بعلى لتضمنه معنى البناء وهو مخالف لما فى القاموس مع ان تعدى البناء بعلى فيه كلام فى حواشى تهذيب المنطق واما تعديته بالى فى قول المتنبى

بمن أضرب الامثال أم من أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر

فلتضمنه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدى (وحاز فيها سبقا) حاز بالحاء المهملة والزاء المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين وسكون الباء الموحدة مصدر سبق واما السبق بفتحهما فما يجعل من المال للمراهنة فى المسابقة أى ماتوعد باعطائه لمن سبق غيره وهو أولى هنا فكأنه قال لتحقق سبقه أخذ وفاز بما يعد للسابقين واما السبق فى قول صدر الشريعة حفظته سبقا وسبقا فالورد المعين لحفظ الاطفال وهو مولد ماخوذ من هذا (لايقدر) بضم المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبنى للمجهول (قدره) بسكون الدال أى مقداره أى سبق كثير لايلحقه فيه أحد ولايعرف حقيقته كما فى قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره (وقد جمعت من كلماته صلى الله تعالى عليه وسلم التى لم يسبق اليها) ضبطه الدلجى وتبعه الشارح الجديد بالبناء للمفعول وسكون تاء التانيث والجار والمجرور نائب الفاعل ومن للتبعيض أى جمع الرواة بعض كلماته لم يسبق اليها ولم يتكلم بها غيره صلى الله تعالى عليه وسلم أو من زائدة وكلماته نائب الفاعل الا ان فيه زيادة من فى الاثبات ومدخولها معرفة أو نائب الفاعل ضمير الكلمات المعلومة من السياق وهذا كله تكلف حملهم عليه انه روى كذا والفعل المجهول لايؤنث اذا كان نائب فاعله جار ومجرور مؤنث فلا يقال أخذت من هند وعدوا مثله خطأ لكن ابن جنى رحمه الله تعالى قال فى اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه قرئ فى الشواذ فى قوله تعالى ان نعف عن طائفة فمن خطأ صاحب التلخيص فى قوله صوحبت معها لم يصب وسيأتى وجه آخر اظهر من هذا وهو ان نائب الفاعل ما الموصولة فى قوله مايدرك الناظر ولو قرئ بالبناء للفاعل وحذف المفعول جاز (ولاقدر أحد ان يفرغ فى قالبه عليها) قدر بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الراء المهملة والغين المعجمة وهو صب المائعات فى ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما يصب فيه ما يذاب من الجواهر كالفضة ليصاغ ففيه استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة هيئة صياغته واثبات القالب له تخييل وعليها بتقدير على هيآتها وان تحاكى وفيه من البلاغة والمبالغة مالايخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعانى قال الجاحظ استعمل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجر فلم يات الا بكلام حق وسدد بالتأييد

(كقوله) أي يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقي الآن (حمي الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم أي اشتد الحرب والوطيس في الأصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه في ايرادها الاستعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بقوله حمي ترشيحا للمجاز وقيل هو الوطئ الذي يطس الناس أي يدقهم وقال الأصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر

احد على وطئها عبر به عليه الصلاة والسلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام في غاية الايجاز ومما يشبه الالغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومات حتف أنفه) أي وكقوله فيما رواه البيهقي في شعب الايمان ولفظه من مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله يعني اذا خرج مجاهدا في سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه أراد ان روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه أو لانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) أي كما رواه البخاري وغيره وروي لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذي لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة واما نهي فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد أخرى فيقع في مكروه بل فليكن حذرا يقظا في أمر دنياه وأخراه وسبب الحديث ان أبا عزة الجمحي أسر وكان ببدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه فغدر ثم أسر بأحد فقال يا رسول الله غلبت أقاني فقال لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ثم أمر بضرب عنقه

جمع الرقة والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه (كقوله حمي الوطيس) هذا حديث مروي عن العباس رضي الله عنه ورواه مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما وانه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وقيل انه أول ما قاله باوطاس ففي التعبير به مناسبة لفظية متضمنة لبلاغته وابداعه أي اشتد الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة يليها مثناة تحتية وسين مهملة وهو التنور أو شيء يشبهه وقد فسره بضراب الحرب أراد المعنى المجازي وقيل هو الوطئ الشديد الذي يطس الارض أي يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر أحد ان يطأها قيل ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمي أي اتقد وقد حماه اذا سخنه وهي عامية وهو طرف من حديث طويل في مسلم ورماهم بحصى فانهزموا فان كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه مناسبة (ومات حتف أنفه) أي من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه على فراشه كأنه سقط على أنفه فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من أنفه وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا بعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ان لسعته دابة أو أصابه شيء فهو شهيد ومن مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال عبد الله بن عتيك فوالله ما سمعت قوله حتف أنفه من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا ابن المصنف رحمه الله تعالى كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض أهل اللغة الى ان هذه الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه في المصباح واستدلوا بقول السموأل

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

وأجيب بان هذه القصيدة اختلف في قائلها فقيل هو السموأل وهو شاعر جاهلي وقيل عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي وهو اسلامي وقيل ان الرواية ليست هكذا وانما هي وما مات منا سيد في فراشه فعلى هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته صلى الله تعالى عليه وسلم لان الشاعر الجاهلي لم يقلها والاسلامي أخذها من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كقول عبيد بن عمر التابعي ما مات من السمك حتف أنفه فلا تأكله أي ما طفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته وانه لم يسبقه أحد من أهل زمانه ولم يسمعه من غيره فتأمله (ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) هذا حديث صحيح رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وفي لفظه اختلاف لا يضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها من تقديم المؤمن وهو من الأمثال النبوية وفي كتاب ابن مسكويه المسمى بجاودان خرد الذي جمع فيه حكم اليونان ان من أمثالهم لا يرمى العاقل بحجر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا أدخل يده في جحر فلدغ هل يدخلها مرة أخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعني ان المؤمن الفطن لا ينخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فينبغي ان يكون متيقظا في أمر دنياه وآخرته ويلدغ بالياء المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة وبالدال المهملة والغين المعجمة واما بالذال المعجمة والعين المهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم وحاء ساكنة مهملة حفرة في الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي عزة الشاعر

وكان يحرض الناس بشعره على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسر مرة فقال انى محتاج ذو بنات فمن عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأطلقه بغير فداء وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فقال يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

من مبلغ عنى الرسول محمدا * فانك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو الى الله والهدى * عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة * لها درجات سهلة وصعود
فانك من حاربته لمحارب * شقى ومن سالمته لسعيد

ثم نقض عهده وأتى مع الكفار لحربه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ أيضا باحد فسأله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمن عليه على مثل شرطه الاول وقال غلبت فاقلني فلم يفعل وقال لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وأمر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين أريد به التكرار كقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين لكنه اقتصر على الاول لانه أنسب بالحزم فكان محاربا شقيا كما قال في شعره والفال موكل بالمنطق ولما فيه من الميل للحلم جرد من نفسه مؤمنا يقظا منتقما لا ينخدع لغادر متمرد وانتقم صلى الله تعالى عليه وسلم منه ولم يعف عنه فان غضبه لله يأبى الحلم كما قيل

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوارد تحمى صفوه أن يكدرا

وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم يغضى عن أمور كثيرة ويتغافل عنها في مقام آخر كما قال أبو فراس

ليس الغبى بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابى

قال التجانى وما وقع في شعر أبي عزة من مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتصريح برسالته ليس له مخرج الا أن يكون قصد به خداعه (والسعيد من وعظ بغيره) المراد بالسعيد المبارك المرضى عند الله تعالى والناس والوعظ ذكر ما يلين القلوب من ثواب وعقاب أى من نصحته الحوادث النازلة بغيره فذكرته عواقب الامور من خير وشر فاتعظ بها فقبلها فهو سعيد ومن يوعظ به غيره فهو شقى وأبلغ من هذا وان كان معنى آخر ما ورد في الحديث اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردى في اعلام النبوة وفي معناه قول الشاعر

لا تنتهى الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

وفي معناه قلت

الزهد في الدنيا وترك الهوى * عن كل أمر ضائر حافظ
ومن يرد خيرا به ربه * كان له من نفسه واعظ

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض حديث طويل رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وفيه الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من اتعظ بغيره والسعيد سعيد في بطن أمه وأخرجه العسكرى مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليس من كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ ابن حجر وشيخه العراقى وقوله (في أخواتها) جمع أخت أى في الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة يقال هذا أخو هذا المشابهته ومواخاته لغلبة التشابه بين الاخوات فهو استعارة أو مجاز مرسل وفي بمعنى مع كقوله تعالى أدخلوا في أمم أو هى على أصلها كأن أخواتها الكثرتها محيطة بها احاطة الظرف بالمظروف ففيه استعارة وهى في الحقيقة أكثر من أن تحصى كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء في

(والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول أى اتعظ (بغيره) كما رواه الديلمى وروى تمامه والشقى من عظ به غيره (في أخواتها) أى اشباه هذه الكلمات والمعنى انها اجمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وأمثالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد في جوف الفرا أى الحمار الوحشى قاله لابى السبيعى لما أسلم أى اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولا يجنى على المرء الا يده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل في نواصيها والخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك

المنبت السوء وغيره مما لا يحصى وقد أفردناه بالتأليف وذكر الشارح الجديد منها جانبا فيه وفي شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فلذا ضربنا عنه صفحا (ما يدرك الناظر العجب في مضمنها) قيل ما نائب فاعل جمعت المبني للمجهول كما تقدم ضبطه وأنث رعاية لمعناه لانه بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله أو الناظر فاعل والعجب مفعول و يدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم الميم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول أى ما تضمنته من المعاني البديعة والتراكيب الصحيحة أي يتعجب في ذلك كل من يراها وفي نسخة مضمونها (ويذهب به الفكر في أداني حكمها) أي يذهب بالناظر فكره في أقلها وأقل ما تضمنته من الحكم فالضمير في به للناظر وأداني جمع أدنى بمعنى أقل عددا أو كما فما بالك بالاكثر ومعمول يذهب محذوف لقصد العموم أى في كل مذهب فمعنى الذهاب به انه يتحير فيها فهو على حد قوله تعالى ألم ترانهم في كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية أو كناية (وقد قال له أصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم (ما رأينا الذي هو أفصح منك) هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان مسندا وذكره القالي في أماليه وشرحه وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا مع أصحابه فنشأت سحابة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كيف ترون قواعدها الى آخره وستراه قريبا ومثله ما رواه أبو نعيم في الدلائل قال لما خطب عنده صلى الله تعالى عليه وسلم بعض خطباء الوفود فاجابه بكلام عذب فصيح فقال له علي كرم الله وجهه يا رسول الله نحن وأنت بنو أب واحد ونشانا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما يفهم أكثره فقال ان الله عز وجل أدبني فاحسن تاديبي ونشأت في بني سعد بن بكر والحاصل أن الصحابة رضي الله عنهم أكثروا من مخالطة فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا يفقهون أحيانا كلامهم حتى يفسره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وقد ورد أيضا كما يأتي ان لغة اسمعيل عليه السلام كانت اندرست فعلمها له جبريل عليه الصلاة والسلام كما علم آدم الاسماء (فقال وما يمنعني وانما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين) أي ما يمنعني من أن أكون أفصح الناس أو من أن لا تروا أفصح مني والكتاب الذي أنزل علي بافصح اللغات وفي أعلى طبقات البلاغة هذا من تتمة الحديث السابق في وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه التجاني مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن جده قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالسا مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أسافلها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شيء علا فقد بسق وقال ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفي يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز والخفي بزنة الضرب وبالاعجام البرق الضعيف كما قاله القالي قال التجاني التقدير أترونه وميضا أو ذا خفي لقول الجوهري خفا البرق يخفو خفوا ويخفي خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العقيقة وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحاء العرب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرة أخرى بيد أني من قريش

(مما يدرك الناظر العجب) أي مما يتصوره وفي نسخة بنصب الناظر ورفع العجب فالمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر (في مضمنها) بفتح الميم المشددة وفي نسخة من ضمنها أي مضمونها أو ما يتضمنها من المعاني البديعة في المباني المنيعة (ويذهب به) أي ومما يذهب بالناظر (الفكر في أداني حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب بتامله في فهمها باعتبار أدانيها فما ظنك باقاصيها (وقد قال له أصحابه) أي كما رواه البيهقي في شعب الايمان (ما رأينا الذي هو أفصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لا ضمير أفصح كما توهم الدلجي فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لا يخفى على المبتدي (فقال وما يمنعني) أي من أن أكون أفصح (وانما أنزل القرآن) أي الذي هو في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المباني وحسن البيان والمعاني (بلسان عربي مبين) أي واضح أو موضح ولسان بدل أو بيان (وقال مرة أخرى) أي كما رواه أصحاب الغرائب ولم يعرف له سند (أنا أفصح العرب بيد) أي غير (اني) أو على اني (من قريش) فيكون من باب المدح بما يشبه الذم كقول القائل

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ومنه قول النابغة ونشأت

ونشات فى بنى سعد) قال السيوطى هذا الحديث أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد والطبرانى
من حديث أبى سعيد ولفظه أنا أعرب العرب ولدت فى قريش ونشات فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن وقال
قطلوبغا فى تخريجه أخرجه أبو عبيد بلاغا وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد الخدرى قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا أعرب العرب ولدتنى قريش
ونشات فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن وفى سنده مقال وأما ما اشتهر من أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى
من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر فى كتب النحو والاصول وبيد فيها لغتان آخريان ميد بالميم وبايد
كما ورد فى الحديث قال فى النهاية ولم أقف عليه ولعله بايد أى بقوة فحرف وفسر بغير الاستثنائية وبمن
أجل التعليلية وبعلى ان كما قال هو كثير المال على انه بخيل وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها وهى
فى الحديث بمعنى غير والاستثناء ههنا منقطع على حد قوله

ولا عيب فيه غير ان نزيله ✽ يعاب بنسيان الاحبة والوطن

واستدل أبو عبيدة على مجيئها بمعنى من أجل بقوله

عمدا فعلت ذاك بيد انى ✽ أخاف ان هلكت ان ترنى

وقولهم ما رأينا الذى هو أفصح منك عنوانه ولا يساويك كما تحقيقه وجوابه بقوله بيد الخ ان فسر بغير
فظاهر لافادته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح من جميع العرب وأما تفسيرها بمن أجل فقد استشكل
بان مفهومه أنه من قريش وهم أفصح ال[illegible] ولا يلزم منه أن يكون أفصح العرب بل من أفصحهم
وهذا الاشكال أورده بعض ا[illegible] حتى انه من بنات أفكاره وهو أنه قد سبقه اليه الكورانى فى شرح جمع
الجوامع وتقدم ما فى ذلك مبسوطا فى أول الكتاب ووجهه ان العلة موجودة فى غيره وهو نقض للحكم
بوجود علته فى غير[illegible] أورد عليه ان كثيرا من الاصوليين كالبيضاوى والهندى ذهبوا الى ان تخلف
الحكم ان كان لمانع أو فقد شرط لا يقدح فى علية العلة مطلقا سواء كانت منصوصة أم لا والتقدير هنا مع
كونى نبيا فالتعليل هنا صحيح مطرد على ما فصل فى العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه
خزيرة لان الحديث بيد انى من قريش واسترضعت فى بنى سعد وفى رواية وأنزل القرآن بلسان عربى
مبين والمجموع هو العلة ولا توجد فى غيره أى انى من قبيلتين هما أفصح العرب وقد نشات بالحاضرة
والبادية فجمع لى من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيرى أو المعنى انى أنزل على القرآن على أسلوب لا يوجد
فى غيره جامع لزبدة جميع اللغات فاثر فى سلامة طبعى وانتقش فى صحف ذهنى ما لا يتصور لغيرى وأما
النبوة فلا دخل لها هنا أو نقول كونه أفصح من قريش معلوم لان السائلين له صلى الله تعالى عليه
وسلم منهم وهو بين أظهرهم لا يخفى عليهم حاله وأما كونه نشا فى بنى سعد واسترضعوه فلان حليمة
السعدية رضى الله تعالى عنها أرضعته بعد ثويبة جارية أبى لهب وحليمة بنت أبى ذؤيب وزوجها
الحارث أبوه من الرضاعة وبنو سعد من أكرم العرب وأفصحهم وحليمة من أوسطهم ولذا اختارها
الله تعالى لرضاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الرضاع يؤثر فى الطباع ووقع عندها شق صدره
الشريف وسياتى بيانه وانه وقع مرارا ثم ان التجانى قال اختلف المتكلمون فى كلام النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم هل منه ما هو معجز كالقرآن بناء على هذه الاحاديث أم لا فذهب بعضهم الى اعجازه وان
اعجازه دون اعجاز القرآن وذهب الباقون الى انه فى معناه فى الفصاحة ولكن لا يبلغ الى رتبة الاعجاز
وهذا هو الصحيح واحتج الاولون بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين
من القرآن وعد بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين القنوت من القرآن وهم فصحاء عالمون
بمراتب الاعجاز والصحيح ان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وغيره أو متاول بانه

فى كملت أخلاقه غير انه
جواد فما يبقى من المال باقيا
وفى مشارق الانوار
للمصنف ان بيد بمعنى لاجل
وفى المغنى هنا بمعنى من
أجل انى من قريش
(ونشات) أى تربيت
وفى رواية أرضعت (فى
بنى سعد) أى وهما
طائفتان فصيحتان من
العرب العرباء وفيهم
البلغاء من الشعراء
والخطباء وللطبرانى أنا
أعرب العرب ولدت فى
قريش ونشات فى بنى سعد
فانى يأتينى اللحن وأما
حديث أنا أفصح من
نطق بالضاد بيد انى من
قريش فنقله الحلبى عن
ابن هشام لكن لا أصل له
كما صرح به جماعة من
الحفاظ وان كان معناه
صحيحا والله أعلم وأغرب
التلمسانى فى قوله وتكسر
همزة انى على الابتداء
وقال روى الحديث محمد
ابن ابراهيم الثقفى عن
أبيه عن جده

(فجمع له) بصيغة المجهول أى فاجتمع له لجمع الله له (بذلك) أى بسبب ماذكر من اصالة قريش وحضانة بنى سعد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان محله بعدله (قوة عارضة البادية) أى حلاوة كلام أهل البادية (وجزالتها) بالرفع وهو ضد الركاكة (ونصاعة ألفاظ الحاضرة) أى وخلوص ألفاظ أهل الحضور فى القرى من شوائب خلط المخالطة بغيرهم (ورونق كلامها) أى وحسن تعبير أهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله منضما (الى التأييد الالهى الذى مدده) بالرفع أى زيادته المتوالية وأمداده (الوحى الذى لايحيط بعلمه بشرى) أى منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الآدمى بدله كان أنسب معنى وأقرب بمبنى لسجع الالهى والحاصل أن كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم متناه فى الفصاحة والبلاغة ولكن لايبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرآن ولعله أراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت أم معبد) بفتح ميم وموحدة وهى عاتكة بنت خالد الخزاعية (فى وصفها له) أى للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها فى طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره أصحاب السير وأصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ فمن جملة ماوصفت فيه انه (حلو المنطق) أى مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وسلاسة سلامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) أى مفصول مبين ومفهوم معين أو فاصل بين الحق والباطل أو حق لاباطل ومنه قوله تعالى فى التنزيل انه لقول فصل أى

لم ينكر كونهما من القرآن ولم يشك فيه وانما أنكر كتابتهما فى المصحف لانه لم يبلغه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بكتابتهما وهو محجوج بقراءته وقراءة الصحابة رضى الله تعالى عنهم بهما فى الصلاة وسيأتى لذلك مزيد بيان فى آخر الكتاب * فان قلت ما مر من تكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحشى الغريب مخالف لفصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت لا لما مر من ان الوحشى من أهله وممن يتكلم معهم فصيح فلا حاجة الى القول بانه غير غريب لثبوته فى كتب اللغة من غير احتياج لتنقير وتفحص والى ماذكرناه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية) جمع مبنى للمجهول وأصله جمع الله له فحذف للعلم به وذلك اشارة لكونه من قريش ونشأ فى بنى سعد وانما نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم على عادة قريش فى دفعهم أولادهم لمرضعات البادية ليتفرغ النساء لشأنهن ولان هواها أصح وليكون مع أولاد الاعراب فيتدرب لترك الترفه ولذا كان عادة ملوك بنى أمية والعارضة التجلد والقدرة على الكلام ويقال بعير عرضة للسفر اوى قوى عليه واضافة القوى لها بيانية والبادية والبداوة والباداة خلاف الحاضرة وتبدى أتى البادية وتبادى تشبه باهلها وهى خلاف الحاضرة أى الامصار والمراد بالبادية أهلها أو هو بتقدير مضاف (وجزالتها) بفتح الجيم والزاء المعجمة خلاف الركاكة أى جزالة كلامها يقال كلام جزل أى قوى شديد ومنه الحطب الجزل للغليظ وليس من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب (ونصاعة ألفاظ الحاضرة) النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشئ اذا ميز جيده من رديئه والحاضرة خلاف البادية سكان القرى والامصار (ورونق كلامها) الرونق البهاء والحسن فان كلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف فجمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموما ذلك (الى التأييد الالهى الذى مدده الوحى) ومدده بمعنى مده لا بمعنى زيادته والتأييد التقوية من الايد وهو القوة وأمده بايحائه وانزاله عليه كلامه المعجز ولذا صح ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولغة أهل الجنة فلا صحة لما رواه بعضهم ان لسان أهل الجنة الفارسية الدرية وهذا فى معنى ماروى من ان عمر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل عليه الصلاة والسلام فحفظتها (الذى لايحيط بعلمه بشرى) أى انسان منسوب للبشر وهم الناس والضمير للتأييد الالهى (وقالت أم معبد) هى كما مر عاتكة بنت خالد بن زمعة احدى نساء بنى كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لايعرف اسمه توفى فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال انه صحابى له رواية وكانت تنزل بين مكة وجبالها فنزل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه لما هاجرا فقرتهما فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له فى حديث ذكره أهل السير أفرده الحافظ العلائى بالشرح (فى وصفها له) مصدر مضاف لفاعله وضمير له للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل أن يكون له خبر مقدم والاول أولى (حلو المنطق) الحلو فى المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقه أو كالحين الماء (فصل) مصدر بزنة ضرب بفاء وصاد مهملة ولام أى فاصل بين الحق والباطل أو بين ظاهر قاطع للشك لا لبس

فيه أو يفسره قوله (لانزر ولاهذر) كما قاله العلائى رحمه الله تعالى أوذو فضل بين أجزائه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان اذا تكلم بكلام بينه فيحفظه من يجلس اليه كما فى المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاى قليل لا يفهم والهذر بالهاء والذال المعجمة المفتوحتين يليه راء مهملة كذا ضبطه العلائى وهو راوثقة وتبعه بعض أرباب الحواشى وضبطه ابن الحنبلى بسكون الذال المصدر هذر يهذر فى كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد فى الحديث أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا لان المنفى الايجاز المخل لا المقبول منه (كان منطقه) أى ما ينطق به (خرزات نظمن) أى متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما فى الصحاح من الخرز وهو المثقب (وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم) العرب تتمدح بعلو الصوت وتذم بضده ولذا تمدحوا بسعة الفم وذموا بصغره كما قاله الجاحظ فى كتاب البيان وقد ورد فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ابن أبى هالة أنه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما قال العجير السلولى

جهير وممتد العنان مناقل * بصير بعورات الكلام خبير
لو ان الصخور الصم يسمعن صوته * لرحن وفى اعراضهن فطور

والجهير والجوهرى العالى الصوت فليس فيه خنغاء ولا تكسر ككلام النساء * أقول هذا لا ينافى ما مر من ذم التقعر والتشدق فى الكلام فان ذلك اذا أفرط وكان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة على الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لاسيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعراء العجم ومن تبعهم من المتأخرين لضيق الفم فانه مقصد فاسد كما قال ابن سنا الملك

له فم ضيق فلم يستطع * ان يخرج اللفظ بتقويم
واللفظ سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم

وقال أيضا

بمهجتى أفديه من * فصيح لفظ من معجمه
لا يستطيع اللفظ ان * يخرج من ضيق فمه

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ بالليل أو خطب أسمع صوته وأما حسن نغمته فلما ورد فى الحديث عن على كرم الله وجهه لم يبعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ الزبور لم تبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن الكلام فيه مشهور * (غريبة) * ذكرها التلمسانى هنا قال قال ابن سيدى الحسن كان شيخنا أبو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن على التجانى عن أبيه وغيره من شيوخه يقول انما كانت المصامدة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغتهم من أبون أسيران وأسير بلغتهم النبى أو الرسول أى أيكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشكدا ورومعنى أشكد تعال وأقبل وهلم وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة ودال مهملة ساكنة مشددة وا ور معناه هنا أو الينا وجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بقدومه ولغته قال أبو زكريا كان شيخه منصور يحدث لهذا الحديث فى هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم قال وقبورهم موجودة الى الآن انتهى

* (فصل) * (وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه) الشرف رفعة القدر والكرم يجمع أنواع الخير

فيميل الى ملل وأما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان وأغرب الانطاكى حيث اقتصر فى ضبطه على الفتح (كان منطقه) أى منطوقه (خرزات) أى جواهر متعالية ولآلى متعالية (نظمن) بصيغة المجهول أى سلكن فى سلك كلماته وضمن عباراته متتابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشديه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجى الا انه مبنى على ان كان من الافعال الناقصة وفى بعض النسخ المصححة بتشديد النون على انها من الحروف المشبهة فحينئذ لا يكون تشبيها بليغا كما لا يخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) أى عاليه وهو مما يمدح فى أحوال الرجال ولذا مدح أيضا بسعة الفم والله تعالى أعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة أى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتألفه الطباع كما روى أن الله لم يبعث نبيا الاحسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أولا وآخرا والله تعالى أعلم (فصل وأما شرف نسبه) أى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشئه) أى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشاه محل مرضعته حليمة من بنى سعد

(فمالا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه) أى مما ينسب اليه (فانه) أى باعتبار نسبة (نخبة بنى هاشم) أى خيارهم (وسلالة قريش) أى خلاصتهم وصفوتهم سلت من خالصيهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمسانى مجرورا على انه بدل من بنى هاشم (وصميمها) بالرفع أى قوامهم

ومدارهم ومحضهم وخالصهم من غير خلطة غيرهم وأصل الصميم العظم الذى به قوام العضو وظاهر كلام الدلجى ان صميمها مجرور عطفا على قريش (وأشرف العرب) لانه من بنى هاشم وبنو هاشم من قريش وهم أشرف العرب فى النسب وفى شرح الدلجى أفضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (وأعزهم) أى وهو أقواهم وأشجعهم وأسخاهم (نفرا) أى جماعة وقرابة (من قبل أبيه وأمه) أى من قبل قبيلة أبويه (ومن أهل مكة) أى وهو من أهل مكة (أكرم بلاد الله وعلى عباده) وفى هذا حجة على بعض المالكية فى تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفى بعض النسخ من أكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى أعلم نعم تستثنى ما حوى بدنه الكريم فانه أفضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبرى ان بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة ولم يذكر المصنف فى هذا الفصل شيئا مما جاء فى فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضى القضاة) اللام للعهد اذ لا يجوز هذا الاطلاق على سبيل الاستغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وأمثال ذلك (حسين بن محمد الصدفى) بفتحتين ففاء فياء نسبة (رحمه الله تعالى) وقد سبق ترجمته (حدثنا القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف)

ترجمته

وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشأ محل نشأ فيه وتربى (فمالا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفى منه) المراد انه لا خفاء فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر (فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نخبة بنى هاشم) النخبة بضم النون وسكون المعجمة وفتحها وبالموحدة لهمزة المختار من بينهم المنتقى (وسلالة قريش وصميمها) السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص (وأشرف العرب وأعزهم نفرا) أى قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرمانى انه يقع على الواحد كما ذكرناه فى شرح الدرة (من قبل أبيه وأمه) كما هو مبين فى السير (ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله) لتشريفها وجعلها قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومقصد الحجيج (وعلى عباده) اذ لم تزل الناس تعظمها فى الجاهلية والاسلام وقال التجانى وتبعه بعض الشراح هنا بعد ما ذكر حديث انك لأحب أرض الله الى ولأحب أرض الله الى الله الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم عند ما خرج منها مهاجرا وأجمعوا على ان مكة والمدينة أفضل البقاع وانما اختلفوا أيهما أفضل فذهب المالكية تفضيل المدينة والشافعى وأبو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ الذنب ودية القتل فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التى ليست لحرم المدينة والصلاة بها ثوابها زيادة على غيرها وهذا فى غير البقعة التى وضع فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتى ان المصنف رحمه الله تعالى فضل على مكة المدينة فجعلها أشرف وأكرم فكلامه هنا مناف لمذهبه ولكلامه الآتى ولهذا اعترضوا عليه وفيه خلاف عند المالكية أيضا كما سيأتى فلا حاجة لما قيل من ان كلام التجانى يكفى دليلا على فضل مكة فى مذهب مالك رحمه الله تعالى وقال الطبرى بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة وأجيب بانه غير مناقض لما سيأتى لانه لم يقل مكة أكرم وأشرف البلاد بل من أكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية وكون الشئ بعض الاشرف لا يقتضى انه أشرف فان البلاد الثلاثة التى تشد الرحال لها شريفة وهذا منها أقول ولو قال أشرفها لم يشكل أيضا لان الكلام فى منشئه ومولده وهى فى زمن ولادته وقبل هجرته كانت أشرف البقاع على الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع خلقه بشرف منشئه فيناسب كونه أشرف من جميع ما عداه فتدبر ووقع فى نسخ بعض الشراح أكرم بدون من فلعل كلامهم مبنى على هذه النسخة (حدثنا قاضى القضاة حسين بن محمد الصدفى) نسبة الى الصدف وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للفقهاء اختلاف فى جواز اطلاق قاضى القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاهنشاه أى سلطان السلاطين فانه هو الله تعالى والحق جوازه كما أفتى به كثير من أرباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة فى ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على من يكون قاضيا فى تحت الملك ويؤذن له فى تولية قضاة الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا قاضى العسكر ولكن قوى بعضهم منعه لورود النص بمنعه فى الحديث والصدفى هو ابن سكرة وهو امام ثقة ترجمته مشهورة قال (حدثنا القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف) هو الامام العلامة الحافظ أبو الوليد الباجى وقد تقدمت

وهو الباجي (حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد) أي الهروي وهو عبد من غير اضافة فلا يكتب همزة ابن البتة ولو وقع أول الصفحة (حدثنا أبو محمد السرخسي) هو الحموي وقد سبق ضبطه (وأبو اسحق) أي المستملي وكان من الثقاة (وأبو الهيثم) وهو محمد بن المكي ابن الزراع الكشميهني بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) أي قالوا حدثنا كما في نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربري (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) أي الامام البخاري (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن) أي ابن محمد بن عبد الله القاري بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب أخرج له الأئمة الستة واختلف في كونه ثقة (عن سعيد المقبري) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمساني بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن سعيد المقبري وأما في بعض النسخ عن أبي سعيد فخطأ على ماذكره الحلبي وفيه بحث لان الحجازي صرح بان كنيته أبو سعيد وأبوه كيسان وكنيته أبو سعيد أيضا (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا) أي خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة

ترجمته أيضا قال (حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد) هو الامام الحافظ أبو ذر الهروي وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير اضافة قال (حدثنا أبو محمد السرخسي) نسبة الى سرخس بفتح السين والراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف وأما قول التلمساني نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر فلا نعرفه (وأبو اسحق) المستملي واسمه ابراهيم بن أحمد بن داود المستملي الامام الثقة (وأبو الهيثم) هو محمد بن المكي بن زراع الكشميهني بضم الكاف وسكون السين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها جماعة قاله ابن الاثير قال التلمساني ويقال الكشماهني ويأتي الكلام عليه أيضا بابسط من هذا (قالوا حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري (٢) وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا محمد بن اسماعيل) هو حافظ الاسلام البخاري وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدمت ترجمته (قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) بن محمد بن عبد الله القاري منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو يروي عن زيد بن أسلم وسهل بن أبي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن بكير توفي سنة احدى وثمانين ومائة وأخرج له أصحاب السنن ووثقه ابن معين (عن عمرو) بن عمرو ويقال ابن أبي عمرو مولى المطلب روى عن أنس وعكرمة وطائفة وروى عنه مالك والدراوردي ووثقه وقال النسائي انه ليس بالقوي وقال أحمد ليس به باس وقال أبو زرعة انه ثقة وأخرج له الأئمة الستة وتوفي في أول خلافة المنصور وله ترجمة في الميزان (عن أبي سعيد المقبري) بتثليث الباء سمي به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع في بعض النسخ قال البرهان الحلبي وضرب المصنف رحمه الله تعالى على لفظ أبي وهو الصواب فانه سعيد بن أبي سعيد المقبري واسم أبي سعيد كيسان وكنية سعيد أبو سعيد وفيه نظر وهو يروي عن أبيه وأبي هريرة وعائشة وغيرهما وروى عنه الليث ومالك وخلف ووثقه النسائي وأبو زرعة وغيرهما وقال أحمد ليس به باس توفي سنة ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه تقدمت ترجمته والكلام في اسمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم) هذا حديث صحيح انفرد البخاري باخراجه وعنه روى المصنف رحمه الله تعالى وفي القرن عشرة أقوال فانه مقدار من الزمان ويطلق على أهله فقيل عشرة وعشرون وثلاثون وأربعون وخمسون وستون وسبعون وثمانون وتسعون ومائة ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبي قال وابتداء قرنه عليه الصلاة والسلام من بعثته أو من حين فشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبي أو كبار من العلماء فليس زمان الفترة بقرن نقله التلمساني وقال التجاني القرن في اللغة كل طبقة من الناس مقترنين في وقت واحد وربما سمي الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القائلون بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروي والمختار ماقيل ان القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد انتهى وفيه نظر والظاهر ان المراد بالقرن في الحديث طائفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة وقوله من خير الى آخره من فيه لابتداء الغاية أو بيانية لا للتبعيض لان المراد ان قرنه الذي بعث فيه خير القرون لانه بعث في بعض القرن

(٢) قوله الفربري نسبة الى فربر بوزن هزبر وقد تفتح فانه قرية من قرى بخارى فما قاله البعض من انه على وزن جعفر فهو غلط وقد ضبطه الشارح فيما تقدم فليراجع

(حتى كنت من القرن الذى كنت منه) أى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على أهل كل زمان يقترنون فى أعمارهم وأحوالهم وفى مقداره أقوال عشرة عشرون ثلاثون أربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ماغلب فيه وجود الاقران ولذا قيل اذاذهب القرن الذى أنت منهموا
وخلفت فى قرن فانت غريب
والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه أبافابا كانتقاله من نابت بالنون بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ولله در القائل
كم من أب قد علا بابن ذوى شرف
كما علا برسول الله عدنان
(وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى انسانا وملائكة وجنا ويحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) أى فتخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير قرنهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) أى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) أى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) أى البطون (فجعلنى من خير بيوتهم فانا) أى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق علمه الى (خيرهم نفسا) أى ذاتا اذخلقنى خاتم النبوة وتمم بى دائرة الرسالة وجعلنى مدار الوجود ومظهر الكرم والجود (وخيرهم بيتا) أى مكانا فى النسب والحسب من جهة الام والاب

بدليل ماروى فى الحديث الصحيح خير القرون قرنى والمراد به عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وعصر صحابته رضى الله تعالى عنهم لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وكسور اختلاف فيها قيل وهذا الحديث يدل على ان أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل هذه الامة وسائر الامم غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم لالمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لايعدله شئ ولايساويهم فى الفضل وان تفاوتوا فيه بقدم الصحبة ونحوه خلافا لابن عبد البر رحمه الله تعالى حيث جوز ان يكون بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الامن قاتل معه صلى الله تعالى عليه وسلم وأنفق ماله فى سبيله فانه لايعدله غيره بالاتفاق واستدل بحديث أمتى مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره وهو حديث صحيح وأجاب النووى رحمه الله تعالى بان المراد بآخره من أدرك عيسى عليه الصلاة والسلام ورأى مافى زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متق وأوله من لم يدركه فى صدر الاسلام غير الصحابة وسيأتى الكلام عليه مفصلا (قرنا فقرنا) هذا كقولهم قرأت النحو بابا بابا وهو حال بتاويل مرتبا ولم يذكره النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والفاء للتركيب فى الوجود أو الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومى

كم من أب قد علا بابن ذوى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) قيل حتى غاية لبعثه وأراد به تقلبه فى اصلاب آبائه من ابراهيم عليه السلام ثم من نابت بالنون ابن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ثم أيد هذا الحديث رواه البيهقى مسندا فى دلائله والترمذى وحسنه وهو ما أشار اليه بقوله (وعن العباس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى المخلوقات كلها من انس وملك وجن (فجعلنى من خيرهم) أى أوجدنى وصيرنى من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن أصحابه فلذا أبدل منه قوله (من خير قرنهم) بدل بعض من كل (ثم تخير القبائل) أى اختار من قرنه خيارهم أى أشرفهم (فجعلنى من خير قبيلة) من العرب وهم قريش والقبيلة واحدة القبائل الجماعة من أب واحد والقبيل بغيرها بنو آباء مختلفة أو هو أعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة تحتوى على جماعات من آباء منتسبة للاب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحدة ويجمعهم بيت واحد وأصل البيت المسكن الذى يبيتون فيه فاطلق على أهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال (ثم تخير البيوت) بضم الباء ويجوز كسرها (فجعلنى من خير بيوتهم) يعنى بنى هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف أى تخير الله جهات الشرف وأسبابه المقتضية له واختار لى أعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة نعم البيت يخص بمن له شرف (فانا خيرهم) أى جميع من ذكر (نفسا) أى روحا وذاتا (وخيرهم بيتا) أى حسبا وشرفا وأصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس فان العرب كما تقدم تقسم الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع مابعدها وماقيل من انه لايلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة أهل البيت له فى شرفه والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لاالى

كل

كل واحد من أهل بيته ليس بشئ لانه لو كان كذلك لم يصح تفريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلماء وهو أمدح من قولهم عالم كما قرره أهل المعانى لسوق فضله وخيرته مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته فى ذلك كقوله تعالى وكانت من القانتين كما مر (وعن واثلة بن الاسقع) رضى الله تعالى عنه وفى التذكرة فى رجال الكتب العشرة لابى المحاسن العلوى واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع ابن كعب بن عامر أبو الاسقع ويقال أبو قرصافة الليثى أسلم قبل تبوك وشهدها وكان من أهل الصفة وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أبى مرثد الغنوى وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه بناته ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى) أى اختار وارتضى (من ولد ابراهيم اسمعيل عليهما الصلاة والسلام) فهو أفضل أولاده وكان له غير اسمعيل واسحق ستة أولاد من قنطورا (واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة) قال السهيلى ولاسمعيل بنون ذكر أسماهم ابن اسحق وهم اثنى عشر منهم نابت بالنون كما تقدم وهو جد كنانة وبينهما ثلاثة عشر أبا وسمى بكنانة السهام التى تسمى جعبة ولقب به وحكى أبو حاتم عن الاصمعى ان رجلا وقف عليه مع أخيه أسد يسلخان جزورا لهما فقال الرجل ماجلاء الكاشطين فقال له خابئة المصارع وهصار الاقران فقال يا كنانة ويا أسد أطعمانى من جزوركما فاطعماه فكنى له الرجل عن كنانة بخابئة المصارع يعنى السهام لانها تصرع ما أصابته وروى المصادع بالدال بدل الراء جمع مصدع والهصر من صفات الاسد وجلاء بكسر الجيم والمد أى ما اسمهما الذى يكشف اللبس عنهما والكشط بمعنى السلخ والولد صفة مشبهة جرى مجرى الاسماء يشمل الواحد وغيره (واصطفى من بنى كنانة قريشا) ولد كنانة لصلبه النضر وله أربعة أولاد ومن ذريته قريش وأول قريش فى الاصح فهر بن مالك بن النضر وقيل النضر أول قريش واختلف هل قريش اسم أو لقب واسمه فهر وبه جزم العراقى فى ألفية السيرة ويطلق قريش على بنيه فيصرف ولا يصرف باعتبار القبيلة كما قال تميم وربيعة وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشى قال الشعبى رحمه الله تعالى النضر ابن كنانة هو قريش وانما سمى قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضى حوائجهم والتقريش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسما للقبيلة ولذا جاز منع صرفه كما مر وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمى به القبيلة لانه كان يأكل السمك ويقهرها فسمى به القبيلة أو أبوها لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحر ❊ وبها سميت قريش قريشا

(واصطفى من قريش بنى هاشم) واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منه العمر بالضم واحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمى به لانه هشم الثريد لقومه فى سنة مجدبة قال

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ❊ ورجال مكة مسنتون عجاف

أو كان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعى والقافية مرفوعة وتوارد مع عبد الله بن الزبعرى فى قوله

يا أيها الرجل المحول رحله ❊ الانزلت بآل عبد مناف

الخالطين غنيهم بفقيرهم ❊ والقائلين هلم للاضياف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ❊ قوم بمكة مسنتين عجاف

فعين مهملة وقال التلمسانى بالسين والصاد ويجوز الزاى كما رواه مسلم والترمذى واللفظ له (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم) قيل هو معرب أب رحيم والولد بفتحتين أو بضم فسكون أى اختار من أولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسمعيل) اذ كان نبيا رسولا الى جرهم وعماليق الحجاز وأغرب التلمسانى حيث قال اسمعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسمعيل) وكانوا اثنى عشر ولدا على ما ذكره ابن اسحق (بنى كنانة) وهو بكسر الكاف ابن نابت وبين كنانة ونابت فيما ذكر ابن اسحق ثلاثة عشر أبا (واصطفى من بنى كنانة) وكانوا أربعة منهم النضر (قريشا) وهم أولاد النضر روى ان فى الرجل من قريش قوة أربعين من غيرهم (واصطفى من قريش بنى هاشم) اسمه عمرو وسمى بذلك لانه أول من هشم الثريد لقومه وأضيافه من الحجاج وغيرهم فى سنة القحط

(واصطفاني من بني هاشم) أي ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذي وهذا حديث صحيح) أي اسناده قال المنجاني وقد خرجه مسلم
في صحيحه (وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبراني) أي محمد بن جرير أحد الاعلام وصاحب التصانيف من أهل

وخلط الرواة في الشعرين فزعموا انه أقوى وليس كذلك (واصطفاني من بني هاشم) هذا الحديث رواه مسلم والترمذي وماقاله المصنف رحمه الله تعالى هو بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه دليل على تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش على مافصله الفقهاء في باب النكاح في أحكام الكفاءة وقد تبرع بعضهم هنا ولا داعي له (قال الترمذي وهذا حديث صحيح) ونقل المزي عنه انه قال انه حديث صحيح غريب (وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما) رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن و(رواه الطبري) هو الامام الفرد الحافظ بن جرير أبو جعفر أحد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من أهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع من محمد ابن الشوارب والسكوني واسحق بن اسرائيل وغيرهم وأخذ القرآآت عن جماعة وروى عنه كثير توفي سنة عشرة وثلاثمائة ودفن بداره وولد سنة أربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) أي أراد أن يخلق خلقه ويوجدهم فلما أوجدهم تخيرهم (فاختار منهم بني آدم) وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف وايصال وقوله فاختار الى آخره بيان له وكذا قوله (ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب) وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه ميز بني آدم من بينهم عن غيرهم ثم اصطفى من بني آدم على غيرهم أو معناه فاصطفى من بينهم بني آدم ثم دام على اصطفائه اياهم وكثيرا ما تضمن الافعال معنى الدوام نحو يا أيها الذين آمنوا آمنوا والا فلا معنى لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد أخرى وليس العرب كلهم من ولد اسمعيل كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره (ثم اختار العرب) أي بطنا من خيارهم ليزيده لطفا (فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم أزل خيارا من خيار) أي لم أزل من أصل مبدئي وأصولي الى ان أنشأني الله خيار المخلوقات من خيار وشريفا من شريف (الا) حرف استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده (من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم) الظاهر ان الباء للسببية أي من أحبهم بسبب محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ولمحبته فان من أحب أحدا يحب لاجله قومه وأصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله قيل وهذا ينبغي أن يقيد بالحيثية فانه ملاحظ في كثير من القضايا أي من حيث كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم أو من حيث انهم عرب لا من أبغضهم أو ذمهم لأمر آخر كقوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا ويدل عليه حديث أحب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي والمراد الحث على محبتهم وقد صنف العراقي رحمه الله تعالى كتابا في هذا سماه نيل القرب في محبة العرب وفي هذا رد على الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم أدلة على مقالتهم بنوها وماعليها او أوردوا الاحاديث الموضوعة نصرة لهم منها ان الله تعالى اذا تكلم بالرضاء تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفي الشرح الجديد الاحاديث الواردة في فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم في الكرم والشجاعة والحلم والعلم أكثر من أن يحصى وقيل ان أبا عبيدة كان شعوبيا وصنف كتابا في مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه * فان قلت ان تقديم المتعلق أعني بحبي وببغضي يقتضي الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم ومافيهم من الامور المحمودة لا يتوقف على محبته صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت ان كانت الباء للآلية الادعائية كما في نحو نظرت

طبرستان وسمع خلائق وأخذ القراءة عن جماعة توفي سنة عشر وثلاثمائة وكذا الطبراني في معجميه الكبير والاوسط (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) أي تخيرهم وقيل أوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم) أي تنقاهم (فاختار منهم العرب ثم اختار العرب) أي انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم أولاد النضر بن كنانة وسموا قريشا لان قصيا قرشهم أي جمعهم في الحرم بعد ماكانوا متفرقين (ثم اختار بني هاشم فاختارني) أي منهم (فلم أزل خيارا من خيار الا) للتنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من أحب العرب فبحبي) أي فبسبب حبه اياي (أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي) أي فبسبب بغضه اياي (أبغضهم) والمعنى انما أحبهم لانه أحبني وانما أبغضهم لانه أبغضني فثبت بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب
قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبي وبغضي اياهم أحبهم وأبغضهم لا بسبب آخر فمن أحبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعيني
من أهل الايمان يجب محبتهم ومن أبغضهم من أهل العدوان يجب عداوتهم وأما الطعن في جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتي

يعينى وسمعت باذنى فلا اشكال لان المعنى من أحبهم أو أبغضهم فينبغى أن يحبهم بمثل حبى و يبغضهم بمثل بغضى وهو الحب فى الله والبغض فى الله وان كانت للسببية فالمراد انه بسبب حبى يحبهم لا للعصبية وأمور الجاهلية فتدبر قلت وهذا الحديث رواه أيضا البيهقى عن محمد بن زكوان عن عمر و بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انا لقعود بفناء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو سفيان مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط العين فانطلقت المرأة وأخبرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء يعرف فى وجهه الغضب فقال ما بال أقوام يبلغنى عنهم ما يبلغنى ان الله عز وجل خلق الخلق واختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب الى آخره وقوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال السيوطى هذا الحديث رواه ابن أبى عمر العدنى فى مسنده (ان قريشا) بفتح همزة ان المشددة وا صدر مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (كانت نورا بين يدى الله تعالى) هو مستعار عما بين الجهتين المسامتتين لثدى الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشأنهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال فلان بين يدى الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية كما فى قوله لا ينظر الله الى فلان كما فى شرح المفتاح (قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بالفى عام) هو على حقيقته أو المراد طول المدة أى قبل أن يظهره فى عالم الشهادة ثم بين حكمة اظهاره بقوله (يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة) اقتداء (بتسبيحه) أى بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نورا أرواحها أو ان الله تعالى مثلها بهذا المثال وأبرز صورها فى الملأ الاعلى تسبحه ليعلم أنها بشرية ملكية ولذا قال الله تعالى لهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون يعنى أنهم سبحوا قبل ما سبحتم فى الازل فهم لم يعلموا بذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار ملكية صرفة وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم مدرجا اذ ذاك فى أصواه من قريش وغيرهم بحملة أصلابه المسبحة وان لم يشعروا به وان من شئ الا يسبح بحمده (فلما خلق الله) جسم (آدم عليه الصلاة والسلام ألقى ذلك النور فى صلبه) والصلب والصالب عمود الظهر و يقال بضم الصاد وفتحها أى أودعه فيه كما سيأتى تحقيقه ثم فصله بقوله (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطنى الله الى الارض فى صلب آدم) أى أنزل نورى الذى فى صلبه الى الارض (وجعلنى فى صلب نوح) أى نقل نورى من صلب آدم عليه الصلاة والسلام الى صلب نوح صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (وقذف بى فى صلب ابراهيم) عليه الصلاة والسلام ولم يقل جعلنى لما بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام من البعد لان القذف الرمى من بعيد وأصله الرمى بالحجارة يقال هم ما بين حاذف وقاذف والحذف رمى العصا (ثم لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الكريمة) يعنى أصلاب أجداده عليه الصلاة والسلام (والارحام الطاهرة) من خبث الزنا وغيره ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة فى غاية الحسن لانها مقر الطمث والدم والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة (حتى أخرجنى من بين أبوى) أى بين أبى وأمى على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه من نطفتهما (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء ونحوه من المائعات اذا أراقه أى لم يجتمعا على زنا ولم تلق نطفة أحد من أبويه وآبائه فى غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية كما مر وقد مر انها التعميم الازمنة الماضية يقال ما رأيته قط بفتح القاف وضمها وتشديد الطاء وبفتح القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى

تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) على مارواه ابن أبى عمر والعدنى فى مسنده (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانت روحه) وفى أكثر النسخ ان قريشا أى من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدى الله تعالى) أى مقربا عنده سبحانه وتعالى (قبل أن يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور) أى قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) أى بسببه أو بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه) بضم فسكون وفى القاموس بالضم وبالتحريك هو عظم من لدن الكاهل الى العجب وقال التلمسانى هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطنى الله عز وجل الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح) أى بعدما كان فى صلب شيث وادريس (وقذف بى) أى بعد ذلك (فى صلب ابراهيم) أى من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجنى) أى أظهرنى (من) وفى نسخة بين (أبوى لم يلتقيا) أى أبواى من آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (على سفاح) بكسر السين أى على غير نكاح (قط) أى أصلا وقطعا

(ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) وهو قوله من قبلها طبت فى الظلال الخ (المشهور فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما
سيأتى فى كلام القاضى *(فصل)* (وأما ماتدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) أى مما بيناه فيما تقدم أول الباب من فضائله
فيه (فعلى ثلاثة ضروب) وفى بعض النسخ اضرب أى على ثلاثة أنواع أو أصناف (وضرب الفضل) أى هو الفضل
ويجوز فيه الاضافة (فى
قلته) وهو الذى أورده
هنا (وضرب الفضل فى
كثرته) أورده فى فصل
ثان (وضرب تختلف
الاحوال فيه) ذكره فى
ثالث (فاما) أى ضرب
(التمدح والكمال بقلته
اتفاقا) أى بين العلماء
والحكماء من العرب
والعجم وغيرهم من
العقلاء (وعلى كل حال)
أى وفى قلته على كل حال
باصل الخلقة أو بحكم
المجاهدة (وعادة وشريعة)
أى عقلا ونقلا أو عادة
وعبادة (كالغذاء) بكسر
المعجمة الاولى مايتغذى
به من الطعام والشراب
وهو أعم من الغداء
بفتح المعجمة والدال
المهملة وهو مايؤكل
أول النهار كما ان العشاء
بالفتح مايؤكل بعد
الزوال الى العشاء بالكسر
فتجويز الدلجى ضبطه
بالمعجمة والمهملة من
المهمل الذى ليس فى
محل المستعمل وكذا
قول اليمنى وأما الغداء
بفتح الغين المعجمة
والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين قوله هو الطعام بعينه و بين قوله
وهو خلاف العشاء (والنوم) أى وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) أى من العقلاء (والحكماء) أى منهم ومن غيرهم من القدماء
(تتمادح) أى تتفاخر (بقلتهما وتذم) أى وتتعايب (بكثرتهما) أو التقدير تذم التقييد بكثرتهما وفى نسخة وتذم كثرتهما (لان كثرة
الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم ثم الفتح أشهر وأما الكسر ففى معنى النصيب أكثر (دليل على النهم) بفتحتين أى الافراط فى

حسب فبفتح وسكون (ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فانه اشتمل على معناه (فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو الشعر المشهور
الذى أوله   من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
الابيات وستأتى بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان رضى الله تعالى عنه والصحيح الاول
وان ذهب ابن عساكر فى تاريخه الى الثانى فى حديث أخرجه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا انه
ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان أراد بكونه شاهدا لصحته متنا وسندا فهو غير لازم وان
أراد به صحة معناه فهو غير مفتقر له لان كثيرا من الاحاديث دلت عليه وانتقاله عليه الصلاة والسلام
من صلب آدم عقلى أيضا وفيه نظر
(فصل) (وأما ماتدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) فيما تقدم أول الباب وتدعو بمعنى
تقتضيه ويلزم حتى كأنه تطلبه منه فهو استعارة فى الاصل وضرورة الحياة مالا بد منه فيها مما يضطر
الحى اليه (فعلى ثلاثة ضروب) جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشئ وفى بعض النسخ فعلى ثلاثة
ضرب وفى بعضها اضرب بجمع القلة وهو أنسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام
الآخر كثيرا كقوله تعالى ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس هذا محله (ضرب الفضل فى قلته وضرب
الفضل فى كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه) وأفرد الكل منها فصلا كما سيأتى (فاما التمدح) أى
حسنه بحيث يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم (والكمال بقلته اتفاقا) شرعا وعادة كما
بينه بقوله (وعلى كل حال عادة وشريعة) والمراد بالعادة مااعتاده الناس مما يؤدى اليه العقل اذا خلى
نفسه وطبعه والشريعة ما أمر به الشارع ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهى السائق لذوى العقول
باختيارهم الى الامر المحمود (كالغذاء والنوم) الغذاء بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل
مأكول ومشروب به قوام البدن مطلقا وأما بفتح المعجمة ودال مهملة فما يؤكل فى أول النهار كما مر
والنوم معروف (ولم تزل العرب والحكماء) أراد بالحكماء حكماء اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا
قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر بما لا مزيد عليه قال فى هياكل النور النفوس الناطقة
من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلها وضعف سلطان القوى البدنية
بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتخلص أحيانا الى عالم القدس ويتلقى منه المغيبات (تتمادح بقلتهما
وتذم بكثرتهما) تتمادح كتتفاخر لفظا والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم أكثر الناس
مدحا لهذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها ولهم حرص عليها
وذكر الحكماء منهم ومن غيرهم ومر ذلك لاعتنائهم بالرياضة وقلة التنعم فى كل مأكل ومشرب مع سداد
عقولهم وصفاء اذهانهم واعتنائهم بمهمات أمورهم وعباداتهم وهو ظاهر وورد فى الحديث أبغضكم
الى الله تعالى كل نوم وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين أجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم
بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب الفطنة والاحاديث فى هذا أكثر من ان تحصى وقال الله تعالى والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم) بفتح النون
والهاء وهو الافراط فى شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشرب

مثلث

مثلث الشين (والحرص والشره) أى الحرص على الاكل والشرب والشره بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة الحرص ففيه ترقى (وغلبة الشهوة) المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره وعقله فيما فيه صلاحه فليس فى كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد فى الحديث الحرص والشره داء عضال والحريص أسير شهوته وعبد بطنته والحرص توأم الحسد وهو هادم الجسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان فى محمود وقال الله تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وانما يمدح قلة الغذاء والنوم اذا لم يفرط حتى تؤدى لضرر بلا ضرورة كما قال

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

ثم ان ترك من ابتلى بذلك اذا عسر عليه ينبغى قطعه بالتدريج كما فى منظومة ابن سينا

وكل عادة تضر أهلها * فاقطع بتدريج الزمان أصلها

وقوله (مسبب لمضار الدنيا والآخرة) خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه أخف وأظهر لانه أمر مباح لا ضرر فيه دنيوى ولا أخروى بل ربما يترتب عليه نفعهما كرامة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم أول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه ترتب عليه نفع تارة وضرر أخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشأ عنه سبب ضررهما فهو مسبب لا سبب فان النوم قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الآخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب للسدة والسل والشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضى الى المسبب بالفتح والفضل للتقدم فمعنى مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يؤدى الى جالب المال وكذا حب المال وكذا حب الدعة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر

وانك ان أعطيت بطنك همه * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

ويقع فى بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعها على انه مبتدأ وخبر وليس بشئ لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكى ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال (جالب للادواء) جمع داء (الجسد) أى أمراضه واسقاطه كما هو مشاهد وقال

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منها الامراض واجتمع أربعة أطباء هندى ورومى وعراقى وسوادى عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لا داء معه فقال الهندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومى حب الرشاد الابيض وقال العراقى الماء الحار فقال السوادى وكان أعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرققها وهذا داء والماء الحار يرخيها وهذا داء قالوا فما هو قال ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك وأنت تشتهيه وفى الطب النبوى فى معناه أحاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا (وخثارة النفس) بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخاء عند برهان الحلبى والاول هو الظاهر لموافقته القياس كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر أنه راجع لكثرة النوم فانه يورث لاسيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع فى بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور معطوف على الادواء وكذا قوله (وامتلاء الدماغ) بأبخرة رطبة تتصاعد عند النوم ترخى أعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وما قبله للجميع لكن

شهوة الطعام (والحرص) أى على جمع المال لنيل المنال أو على طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين أى غلبة الحرص وقيل هو ان يأكل نصيبه ويطمع فى نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة) مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء والمسبب فى الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب أى أمر موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) وفى بعض النسخ ضبط الحرص والشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجى عطف على دليل أو مسبب ثم المعنى جاذب ومكسب (لادواء الجسد) جمع الداء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة أى ثقلها بلا طيب ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهو أعلى الرأس من القحف أى من رطوبات الابخرة متصاعدة تورث استرخاء أعضائه الذى به النوم الذى يفوت خيرا كثيرا

(وقلته)عطف على كثرة الاكل وهواسم ان أوعلى محلها أى قليل من الاكل (دليل على القناعة) أى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم أى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من الميل الى الشهوات وأتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ماقبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته وهو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس أيضا فتأمل والمراد من الصحة صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة أصل كل علة (وصفاء الخاطر) أى وسبب لخلوص الباطن من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) أى لذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء ٤٣٨ المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة أى الرذالة وفتور النفس (والضعف) بالضم والفتح أى ضعف البنية) وعدم الذكاء والفطنة) أى وعلى عدمها وقوله (مسبب) خبر ثان لان أوعدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) أى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) أى وتعود العجز عن القيام بالعبادة روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لا يتثاءب ولا يتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر) بضمهما ويسكن الثانى (فى غير نفع) أى بلا منفعة حقيقة لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعداها الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعة العمر فى غير نفع مدة الاجل (وينقل وقساوة القلب) أى وفى شدته وغلظته (وغفلته) أى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) أى وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) أى والدليل الظاهر على ماذكرناه من ان كثرة الاكل والنوم تورث ماقدمناه (مايعلم ضرورة) أى بديهة باوائل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس وعطشها وقبضها وبسطها وكالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين أكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويو[illegible]د مشاهدة) أى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية

يأباه مابعده من قوله (وقلته دليل على القناعة) بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء لان من اعتاد قلة الاكل يقنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (وملك النفس ٢) معطوف على القناعة أى ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون رحمه الله تعالى ماشبعت الا هممت بمعصية والجوع يقمع الشهوات (وقمع الشهوة) معطوف على القناعة والقمع القهر أى قهر شهوته وغلبها او أضعفها حتى لاتخالفه ومابعده خبر مبتدأ مقدر والظاهر أنه مبتدأ خبره (مسبب) بكسر الباء كما تقدم (للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن) الخاطر يطلق على مايخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه وصفاؤه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع أقوى وأصفى وبه يصل للمعارف الربانية ويلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل ومابعده لما بعده والحدة بكسر الحاء القوة كبعثة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة واللام وهى الرذالة وعدم الهمة فى أمور الدنيا والآخرة

فيانائم الليل هنيته * فقبل الممات سكنت القبورا

لانه يميت القلب ويورث الكسل ولايصح أعجامه وان كان بمعنى الجبن لعدم مجىء مصدره على فعولة (والضعف) أى ضعف القوى والادراك (وعدم الذكاء والفطنة مسبب) هما متقاربان أو الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفى الاخص على نفى الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم فى الترقى فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدأ وخبره مسبب كما فى الاصول والاظهر جره عطفا على ماقبله فسبب خبر بعد خبر كما مر (للكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع) اما كون كثرة النوم سببا للتوانى عن فعل المهم فلتغفل الحواس فيه وارتخائها [illegible] فاذا ألف ذلك عجز وضاع عمره بلافائدة كما قال

أليس من الخسران أن لياليا * تمر بلانفع وتحسب من عمرى

فمثله لايعد عمرا لانه ماعمر الانسان أحد داريه

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب

(وقساوة القلب وغفلته وموته) لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته به عما يهمه وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية فالنوم أخو الموت (والشاهد على هذا) أى الدليل عليه وانهما يورثان ماذكر (مايعلم ضرورة) أى يعلمه كل أحد عالما بديهيا ضروريا (ويوجد مشاهدة) منه ومن أمثاله

(٢) وقد وقع فى بعض النسخ قوله بكسر الميم كذلك فى ابن اقبرس والشرح لم يتعرض لذلك فاقتضى صيغته انه مثلثة وهو كذلك

(وينقل) أي يروي الينا ممن سبق علينا (متواترا) أي نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفي الاصطلاح خبر أقوام عن أمر محسوس يستحيل
عادة تواطئهم على الكذب (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) أي السابقة كقول الحارث بن كلدة أفضل الدواء الازم يريد
قلة الاكل والحمية وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما
السلام اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى أعمالهم (واشعار العرب وأخبارها) ومن الاول قول الاعشى

تكفيه حزة لحم ان ألم بها * من الشواء وتروي شربه الغمر

ومن الثاني قول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما أفضل الاكل
قال ترك الاكثار منه قال فما أفضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما أفضل العقل ٤٣٩ قال وقوف الانسان عند علمه

(وينقل متواترا) أي نقلا متواترا بحسب المعنى (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين)
المتقدمين على ملة الاسلام من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة
حكيم العرب أفضل الدواء الازام أي قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج
الناس لاعمالهم (واشعار العرب وأخبارها) كقوله

قارب فديتك ان أكلت * وان شربت وان عشيتا
وأنا الكفيل لك الحياة * وان تعافا ما حييتا

وقال قيصر لقس بن ساعدة ما أفضل الاكل قال ترك الاكثار (وصحيح الحديث) النبوي مثل أبغضكم
الى الله كل نؤوم أكول شروب وغيره (وآثار من سلف وخلف) الاثر ما اثرته أي نقلته عن غيرك فيشمل
الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وبمن خلف ما عداهم كالصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين (مما لا يحتاج الى الاستشهاد
عليه) أي طلب شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله (٢ اختصارا واقتصارا على اشتهار
العلم به) المغني عن التطويل بذكره والاختصار عند أهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا
دليل وعند المحدثين أن يكون للحديث طرق فيكتفي باحديها والمراد هنا عدم التطويل اكتفاء بشهرة
العلم بما ذكر (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين) أي النوعين وهما الاكل
والنوم (بالاقل) عداه بالباء وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك أو الاتصاف أي لازم صلى
الله تعالى عليه وسلم أقل قليل منهما لما فيه من الكمال والملكة المرضية وأتى باسم الاشارة للقريب
تحقيرا لهما نحو وما هذه الحياة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل من أنه كان
ينبغي للمصنف رحمه الله تعالى ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فان من لا يحتاج لغيره من شعر
وحكمة ليس بشئ فان مراده ان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم مما اتفق العقلاء وجميع الامم على
حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرأ كتبهم
وكفاك قصص القرآن نظير الصنيعه (هذا) أي ما ذكر من قلة أكله صلى الله عليه وسلم ونومه
(ما لا يدفع) أي لا ينكر ولا ينازع فيه (من سيرته) أي من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير
يدفع أي لشهرته وتواتره لا ينازع فيه أحد (وهو الذي أمر به) أمته دون ضده وضمير به لهذا أو للاقل
(وحض عليه) بحاء مهملة وضاد معجمة أي حث الناس ورغبهم في التخلق به لما علم من شرفه وكماله
(لاسيما بارتباط أحدهما بالآخر) لاسيما بمعنى لا مثلها والكلام عليه مفصل في العربية ويذكر بعده ما هو

(وصحيح الحديث) كما سيأتي (وآثار من سلف وخلف) أي من الصحابة والتابعين كما سيجئ (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) أي لكونه مما لا يخفى (وانما تركنا ذكره هنا اختصارا) أي في اللفظ (واقتصارا) أي في المعنى (على اشتهار العلم به) أي بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين) أي النوعين من الغذاء والنوم (بالاقل) أي بالحد الاقل الذي لا يجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) أي هذا الحد الذي أخذ به منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (ما لا يدفع) بصيغة المجهول أي
لا ينكر ولا يمنع (من سيرته) لكمال شهرته وكثرة نقلته (وهو الذي أمر به) أي غيره (وحض عليه) أي من وافق سيره (لاسيما) مركبة
من لا وسي وما وسي اسم بمنزلة مثل وزنا ومعنى أي لا مثل ما وتكون ما زائدة أو موصولة قال ثعلب من استعمله بلا واو مخفف الياء
اخطأ وليس كما قال بل تحذف واوه وتخفف كقوله

وبالعقود وبالايمان لاسيما * عقد وفاء به من أعظم القرب

كذا قرره
الحجازي وفيه بحث لا يخفى (بارتباط أحدهما بالآخر) أي خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما في تلازمهما من حيث ان
النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر في حياته كثيرا وتندم عند مماته كثير القلة زاده
ليوم معاده بدليل ما سيأتي من الاخبار والآثار منها ما قال المصنف رحمه الله تعالى

(٢) وفي نسخ المتن وشرح على القاري وقع هنا وانما تركنا ذكره هنا * والنسخ الموجودة عندنا الشهاب كلها ليس هو فيها فليحرر

(حدثنا أبو علي) أي ابن سكرة (الصدفي) بفتحتين (الحافظ) أي للكتاب والسنة (بقراءتي عليه) أي هذا الحديث دون املائه لي
وهذا بيان لاحد نوعي الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا أبو الفضل) وهو أحمد بن خيرون وقد سبق ذكره
(الاصفهاني) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما النطق بموحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسي قيل وأهل
المشرق يقولون بالفاء وأهل المغرب بالباء وهي مدينة عظيمة من بلاد العجم من نواحي العراق ومن شرف أصبهان انها
لاتخلو أبدا من ثلاثين
رجلا يستجاب دعاؤهم
لدعوة الخليل عليه السلام
لما حمل منهم نمرود ثلاثين
للحرب فلما رأوا الخليل
آمنوا به فدعا لهم بذلك
كذا ذكره التلمساني
(حدثنا أبو نعيم الحافظ)
قال الحلبي هذا هو الحافظ
الكبير محدث العصر
أبو نعيم أحمد بن عبد الله
ابن أحمد بن اسحق بن
موسى بن مهران
الاصبهاني الصوفي
الاحول سبط الزاهد محمد
ابن يوسف البناء ولد سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة
وله مصنفات كثيرة
(حدثنا سليمان بن أحمد)
هذا هو الامام الواسطي
الحافظ الكبير الثبت
مسند الدنيا أبو القاسم
سليمان بن أحمد بن أيوب
ابن مطير اللخمي بالمعجمة
الشامي ولد سنة ستين
ومائتين واعتنى به أبوه
ورحل به في حداثته
وسمع بمدائن الشام
والحرمين واليمن ومصر
وبغداد والكوفة والبصرة
وأصفهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن أكثر من ألف شيخ وصنف المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل وعشرين
تعب عليه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا أبو
بكر بن سهل) أي الدمياطي روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب الليث وطائفة وعنه الطحاوي والطبراني وجماعة توفي سنة تسع وثمانين
(حدثنا عبد الله بن صالح) أي الجهني كاتب الليث على أمواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن علي وطائفة وعنه البخاري وابن

أولى بالحكم نحو أكرم الناس لاسيما العلماء الآن في كونها هنا كذلك خفاء لم يعترضوا له غير ان بعضهم
قال المعنى لاسيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع ارتباط أحدهما بالآخر لانه اذا شبع شبعا كثيرا
نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كثير وهو لا يجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما مذموم مع
انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم أحدهما للآخر فان النوم
يلزم الاكل والباء بمعنى مع فاقبل ان لاسيما هنا ليست على وفق استعمالها المألوف بشئ وهو توطئة
للحديث الآتي المتضمن لتلازمهما ومن لم يفهم هذا قال ان المصنف رحمه الله تعالى استعمل لاسيما
على خلاف ما جاء في قوله * ولاسيما يوم بدارة جلجل * وقد قال ثعلب من استعملها على خلافه فهو
مخطئ وحذف الواو والمستثنى بها وتقديره ولاسيما الحض بارتباط أحدهما بالآخر الخ (حدثنا أبو علي
الصدفي) هو الحافظ ابن سكرة تقدم بيانه (بقراءتي عليه) بين طريق روايته عنه بانه قرأ وشيخه يسمع
الآن قراءة الشيخ والسماع منه أعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا
قيل انها أرفع وقيل انهما سواء (قال حدثنا أبو الفضل الاصفهاني) بفتح الهمزة وكسرها وبالباء والفاء
وهي بلدة عظيمة قال صاحب المطالع قيدناها بالفتح عن جميع شيوخنا قال وقيدها بالكسر أبو عبيد
البكري قال وأهل المشرق يقولون أصفهان بالفاء وأهل المغرب بالباء وهو أحمد بن خيرون وقد تقدم
ومعنى أصبهان مقر الفرسان لان أصب بمعنى فرس قيل وهي لا تخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب
دعاؤهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما رأوه آمنوا به فدعا لهم بذلك أي بان تجاب
دعوتهم كما أجابوا دعوته (قال حدثنا أبو نعيم) بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه أحمد بن عبد الله بن
أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست
وثلاثين وثلثمائة وتوفي في الحرم سنة ثلاثين وأربعمائة وعمره أربع وتسعون سنة وسمع من كثير
وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا سليمان بن أحمد) بن أيوب بن
مطر الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به أبوه فرحل به
في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة
والبصرة وأصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن أكثر من ألف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر
مسند أبي هريرة فانه أفرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي
والمعجم الصغير ومصنفات أخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي العقدة من سنة ستين وثلثمائة وله مائة سنة
وعشرة أشهر يقينا وترجمته في الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا أبو بكر بن سهل) أبو محمد مولى
بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين
ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو متقارب الحال وقيل ضعيف كما في الميزان (قال حدثنا عبد الله بن
صالح) هو أبو صالح الجهني مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن أبي صالح الآتي وموسى بن علي
وغيرهما وروى له البخاري وأصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي في سنة مائتين وثلاث

معين وخلق قال الفاضل الشعرانى مارأيته الايحدث أويسبح (حدثنى معاوية بن صالح) هو الحضرمى الحمصى قاضى الاندلس روى عن مكحول وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدى وجمع (ان يحيى بن جابر) أى الطائى الشامى قاضى حمص (حدثه عن المقدام) بكسر الميم (ابن معدى كرب) بعدم الانصراف وقد يصرف قال الحلبى فيه لغات رفع الباء ممنوعا والاضافة مصروفا وممنوعا انتهى ولايخفى ان الرفع لاوجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) ويروى من بطن لما فيه من الضرر الكثير به وسائر الاوعية انما استعملت فيما هى له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب من الطعام فامتلاؤه يفضى الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها فى مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين أى كافيه (أكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن أيضا على ماصرح به بعضهم جمع أكلة بالضم والسكون لما يجعل فى الفم من اللقمة وهو المراد ههنا وفى جمعها القلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها قال التلمسانى وكان ذلك عادة عمر رضى الله تعالى عنه يقتصر على سبع أو تسع واما بفتحتين فهو جمع الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه ههنا للدلجى ليس فى محله ويروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذى بحسب ابن آدم أكلات (يقمن صلبه) بضم أوله أى يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب كما فى القاموس فقول الدلجى تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث نعم خص الصلب لانه عمود البدن وفيه النخاع الساقى للبدن وهو أصله ولذا من قطع نخعه مات وهو كناية عن انه لايتجاوز مايحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد فى الجملة مجازى لان الاقامة صفة الهية (فان كان لامحالة) بفتح الميم ويضم أى لابد ولاحيلة ولافراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ أو التقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء أى لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لابدان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجى وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى أعلم بالصواب وسمع عمر رضى الله تعالى عنه قول عشرة

(قال حدثنا معاوية بن أبى صالح) وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة فى الميزان الحضرمى قاضى الاندلس وهو امام صدوق توفى سنة ثمان وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان (ان يحيى ابن جابر حدثه عن المقدام بن معدى كرب) هو يحيى بن خالد الطائى قاضى حمص مات سنة مائة وستة وعشرين وأخرج له أصحاب السنن والمقدام بن معدى كرب بن عمرو الكندى صحابى نزل حمص وترجمته مشهورة توفى سنة سبع وثمانين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد قال السهيلى معنى معدى كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان ياء معدى ولو فى النصب مع فتح باء كرب بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) وهذا الحديث رواه الترمذى والنسائى وابن حبان وأخرجه المصنف رحمه الله تعالى عن الطبرانى ولم يروه عن الترمذى لان سنده لمعجم الطبرانى أعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية فى رواية الطبرانى وبينه وبينه فى رواية الترمذى من احدى طريقيه أحد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح وفى الروايات اختلاف يسير ففى الترمذى بدل ابن آدم آدمى وبلفظ بطن بلا اضافة وبحسب الآتى بالباء الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لاوعاء أشر منه ولا يساويه فى الشر فجعل بطنه كاوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية زيادة فى تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصى ويحصل له من الامراض مايضره كثيرا ويؤدى الى هلاكه ولاشر أعظم من هذا فحسبه منه مايقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام أمور دنياه فلذا قال (حسب ابن آدم) وفى رواية المسلم بدون ابن آدم (أكلات يقمن صلبه) حسب بسكون السين اسم بمعنى كفى كما يقال أعطيت الرجل ماحسبه أى أعطيته عطاء يكفيه وهو مبتدأ خبره أكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع أكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يؤكل ويقمن بمعنى يقوين من أقام بمعنى دام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عموده وفيه النخاع الذى يمد العصب بالمسك فاذا أفرط جوعه ضعف وانحنى صلبه وفى القاموس مايخالف ماقاله الشراح لانه جوز فى أكلة الفتح والضم واقتصر فى جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان أكلات بضم الهمزة جمع أكلة بفتحها وهى اللقمة (فان كان لامحالة) بفتح الميم والحاء المهملة واللام بمعنى لابد ولاحيلة كما فى قوله * وكل نعيم لامحالة زائل * أى ان لم يكن صبر على الاقتصار على لقيمات (فثلث) من بطنه (لطعامه وثلث) منه (لشرابه وثلث) منه (لنفسه)

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل فقال ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتاول كريم المأكل بالجنة ولقد صدق فى تأويله رضى الله تعالى عنه وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماوصف لى اعرابى قط فاحببت ان أراه الاعنترة ثم أحسن ماقيل فى الحديث ان لامحالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث فى حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس وأقل منه شيئا وهو السبع لقوله فان كان لابد ولامحالة هذا وقيل لسهل بن عبد الله الرجل يأكل فى اليوم أكلة واحدة قال أكل الصديقين قيل فأكلتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم (ولان كثرة النوم من كثرة ٤٤٢ الاكل والشرب) أى انما تنشأ من أجل كثرتهما غالبا والا فقد تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى أبى قبيلة وهو أحد الائمة الاعلام من علماء الانام روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وأمثالهم وأخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت عن أفضل منه ولاعبرة بمن تكلم فيه وفى أمثاله اذ قل من لم يتكلم فى حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة المجهول (وقال بعض السلف لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) أى فتندموا كثير النقص العمر الذى هو أنفس الجواهر كذا فى الاصول المعتمدة وقال المنجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) أى عن جمع كأبى يعلى وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان أحب الطعام اليه تعالى ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء الاولى (أى كثرة الايدى) يعنى على الطعام وفيه حث على ان الاولى ان لايأكل أحد وحده لما فيه من الدلالة على كرم النفس والسخاوة والمواساة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما فى حديث مسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للآكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال ابن راهويه عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال وبعضهم بالضيق والشدة واستشهد فى المجمل بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف أى على كثرة الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من أهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس وقيل هو أن تكون لاكلة أكثر من مقدار الطعام والجفف بالجيم وقيل بالحاء ان يكونوا بمقداره ويروى على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق والشدة

بفتحتين وهو الهواء الخارج من الجوف وروى الدلجى طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من أرشده فيما أرشده اليه وانه لاينبغى تجاوزه وفى الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لمافوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى لامن الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولاعلى ماعطف والظاهر انه عطف على قوله السابق بارتباط أحدهما بالآخر لان السبب والعلة فى معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان أحدهما يستدعى الآخر فان الاكل يقتضى الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية له المقتضية لكثرة النوم المستدعى للكسل وذهاب الفطنة وفوات العبادة وفى ذلك مالايخفى من الضرر (قال سفيان الثورى) بكسر السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله والثورى نسبة لثور بن مناة وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفى عالم عصره الزاهد المحدث توفى سنة احدى وستين ومائة وعمره أربع وستون وهو ثقة ولاعبرة بمن تكلم فيه وهو من أقران مالك رحمه الله تعالى (يملك سهر الليل بقلة الاكل) يملك بضم الياء وفتح اللام مبنى للمفعول وسهر مرفوع نائب الفاعل أى يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة (وقال بعض السلف لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا) زاد الغزالى فى الاحياء فتخسروا كثيرا وزاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه أكل زاده فضيعه فى غير وقته (وقد روى عنه) أى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه كان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف أى كثرة الايدى) لمافيه من السخاء بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا الحديث قال السيوطى رحمه الله تعالى انه رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضى الله تعالى عنهما بسند جيد ولفظه كما قال الشيخ قاسم فى تخريجه انه لم يجمع له غداء وعشاء وخبز ولحم الا على ضفف وسنده جيد وأخرج أبو عبيد فى الغريب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف وأخرج الترمذى فى الشمائل عن مالك بن دينار قال ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخبز قط ولامن لحم الا على ضفف قال مالك سألت رجلا من أهل البادية ما الضفف قال هو التناول مع الناس وأخرج الطبرانى رحمه الله

(وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما شبع جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح ويسكن (قط) تقدم ضبطه قال الدلجى لم أعرف من رواه ولا يعارضه ما أفهم شبهه فى الجملة كحديث مسلم عنها ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متواليين فان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة كما قاله أبو حنيفة ولان الامتلاء صفة زائدة على الشبع

تعالى عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أحب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدى انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفائين أولاهما مفتوحة فسرها المصنف رحمه الله تعالى بما ذكره أهل اللغة وهو تفسير مأثور كما سمعته آنفا وهو من قولهم بئر ضفوف اذا كثر الناس عليها وقال يحيى بن أحمد الضفف أن يكون الاكلة أكثر من الطعام والجفف بالجيم ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم محبا للترفه فى مأكله ولا متنطعا فيه وفى رواية لم يشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طعام الا على ضفف وروى على شظف أى ضيق وشدة كما علم فالضفف والشظف روايا بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الاكل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث فى معناه كثيرة كطعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية ونحوه حديث صحيح وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة الطعام وكثرة الآكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف الاكل باليد ففيه لغتان وله معان (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما امتلأ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) وروى عنها أيضا ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وهذا يقتضى بمفهومه انه شبع فى بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها كأبى حنيفة رحمه الله تعالى فلا تعارض بينهما بالطريق الاولى أو يقال الامتلاء شبعا صفة زائدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا وأما الامتلاء من الشبع فلم يقع أصلا والشبع مباح عليه محرم على غيره الا للتقوى على صوم الغداء ولمؤانسة الضيف حتى لا يستحى من الاكل كما قاله الحنفية وعند الشافعية هو محرم من مال الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ماذكر من تعارض الحديثين غير مسلم لان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا ذكره فى الاحياء أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها وتمامه وربما بكيت رحمة له صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه الشريف بيدى وأقول نفسى لك الفداء لو تسلفت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم وأجدنى أخشى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم فاصبر أياما يسيرة أحب الى من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ أحب الى من أن ألحق اخوانى قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المصنف رحمه الله صدره فقط وقال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء لم أجد هذا الحديث فلا يعارضه وشبعا تمييز او مفعول له أو مفعول مطلق وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح الباء وتسكن وصوب ابن مكى كسر الشين وسكون الباء كما قاله التلمسانى ثم انه ورد فى الاحاديث الصحيحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ويجوع وفى البخارى ماشبع آل محمد قط وهذا محمول على غالب أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن عن احتياج حقيقى لما رواه الترمذى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه انه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال الابوصيرى

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها أيما شمم

فجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا لقلوب الفقراء وتنزيها من الرياء وتبريئا من رياضة أهل الكتاب والحكماء كما قال صلى الله عليه وسلم لا رهبانية فى الدين وهذا

مما ينبغى التنبه له ويجب اعتقاده والتأسى به فيه فافهم (وانه) معطوف على ما قبله من قوله انه كان أحب الى آخره وقوله (كان فى أهله) أى أهل بيته وعائلته وهو حال من فاعل يسأل أو خبر وجملة (لا يسألهم طعاما) حال منه وعدم سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو أهم منه (ولا يتشهاه) مضارع تشهى تفعل من الشهوة وهى الميل الى ما يستلذ وقيل هى ادراك الملائم من حيث هو ملائم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهى ما لا يريده كالمريض المحتمى عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت مجازا عن الارادة كما قيل لمريض ما تشتهى فقال أشتهى ان أشتهى وفرق بينها وبين المحبة أيضا فانك تقول أحب الله ورسوله ولا تقول أشتهيهما فالمحبة أعم والشهوة فى الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله أحب الى وأشهى الى فجعلوا الى فى الاول للتبيين وفى الثانى بمعنى عند وفيه كلام لنا فى نكت المغنى من باب الهمزة فان أردته فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله (ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب) يعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل ما قدمه له أهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غير ان يعيبه وكذا كل ما قدم له من الماء يشرب وهذا كان غالب حاله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافى ما وقع له نادرا على خلاف مقتضى طبعه كما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم يا عائشة هل عندكم شئ فقلت يا رسول الله ما عندنا شئ قال فانى صائم الحديث وسقوه بمعنى أعطوه ما شرب وزاد الدلجى قط بعد قولهم السابق لا يسألهم (ولا يعترض) ببناء المجهول (على هذا بحديث بريرة رضى الله تعالى عنها) أى على هذا المذكور من عدم سؤاله لما ذكر وبريرة بفتح الموحدة وراءين مهملتين أولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة أو بارة وهى بنت صفوان وهى قبطية أو حبشية عند الذهبى مولاة عائشة رضى الله عنها اشترتها من عتبة بن أبى لهب وقيل من بنى كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها أخرجه مالك فى الموطأ عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها ورواه الشيخان وهو قالت عائشة كان فى بريرة ثلاث سنن وكانت احدى السنن انها اعتقت فخيرت فى زوجها وقال فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الولاء لمن أعتق ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل بيته والبرمة تفور باللحم فقربوا اليه خبزا وادامًا من أدام البيت فقال ألم أر البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به على بريرة وأنت لا تأكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية فاخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا اللحم باهدائها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما الذى حرم عليه ما تصدق به على نفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق به مرة يثبت له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشئ ان يبيعه من غنى فقد سألهم صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام وأجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى بقوله الآتى فاراد بيان سنته وبان سؤاله المقتضى والمنفى السؤال بغير مقتض (وقوله ألم أر البرمة) بضم الموحدة وسكون الراء وبالميم وهى عند العرب قدر ينحت من الحجارة وقيل أعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما (فيها لحم) الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الا ان تأنيث الثانية سماعى واللحم بسكون الحاء المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة فى كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والبخل والكحل وأنكره البصريون (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم) أى اعتقاد عائشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تغليبا (انه) أى اللحم بسبب انه صدقة فى الاصل (لا يحل له) صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات (فاراد بيان سنته) أى طريقته المشروعة له وهى جواز أكل الهدية وان كانت صدقة على

(وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضى الله تعالى عنها أو بالكسر على الاستئناف والضمير للشان أوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه) لعدم التفاته الى غير مولاه (ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه) ويجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه فى آدابه وغالب حاله فى سائر أفعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء فى مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا وأراد على ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولا يعترض) بصيغة المجهول أى ولا يجوز لاحد ان يعترض (على هذا) أى قولها لا يسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر أى بحديث وقع فى حق بريرة وهى مولاة لعائشة رضى الله تعالى عنها واختلف انها قبطية أو حبشية (وقوله) أى فيما رواه الشيخان عنه (ألم أر البرمة) بضم الباء وهى القدر من الحجارة أو أعم (فيها لحم) بفتح فسكون ويفتح (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له) أى ولو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهى انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له أكلها هدية ويؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله

(اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون) أى لا يختصون (عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به فى الآية والمعنى فصدق فى ظنه جهلهم ذلك فيكون من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما فى صدق وعده على ما ورد وكقوله سبحانه وتعالى ولقد صدقكم الله وعده أو فحقق ظنه أو وجده صادقا فى جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) أى ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة كما لو اشتراه منها غنى أو وارثه عنها (وفى حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق وكان خياطا وقيل هو ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الآخرون الى انه كان نبيا ويروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله تعالى فأحبه فمن عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفته يحكم بالحق فقال يا رب ان خيرتنى قبلت العافية وان عزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمنى (يا بنى) وهو تصغير الشفقة ويجوز فتح يائه وكسرها كما قرئ بهما فى الآية (اذا امتلأت المعدة) أى طعاما وشرابا وهى بفتح فكسر ويجوز كسرهما واسكان عينهما مع فتح الميم وكسرها على ما نقله الحلبى وفى القاموس المعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت الفكرة) أى غفلت أو ماتت ويؤيده ما ورد لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية فى قوله تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء فهموا الدنيا وأهلها وذلك ان البعوضة تحيى اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك أهل الدنيا اذا امتلأوا من الدنيا وركنوا اليها أخذتهم وأماتت قلوبهم وأهلكتهم

مهديها (اذ رآهم لم يقدموه) أى اللحم (اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به) أى لا يخصون أنفسهم ويقدمونها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شئ من الطعام وغيره (فصدق) بتخفيف داله ويجوز تشديدها (عليهم ظنه) بالنصب أى صدق فى ظنه جهلهم بذلك فهو متعد بنفسه أو على الحذف والايصال كما فى صدق وعده أو بالرفع على انه فاعل أى يحقق ظنه أو وجد صادقا فى جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) وهذا جواب استحسنوه فان الرجل اذا رأى طعاما أهدى له فسال عنه وطلب ان يؤتى به لا يذم واذا لا يسأله عما عهده من طعامه و يبحث عنه وأتى بلعل التى للترجى لانه لم يجزم به وتقدم جواب آخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسواء فيه صدقة التطوع والفرض كالزكاة وفى حل التطوع قول للشافعى وكذا أهل بيته وقيل ما يحرم عليه الصدقة العامة كماء السبيل والآبار المسبلة وهل ذلك حرام على سائر الانبياء عليهم الصلوات والسلام أم خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى جواز الصدقة على أهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوى وهو وجه عن الشافعى ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وأزواجه رضى الله تعالى عنهن (وفى حكمة لقمان) بن عنقاء بن سيرون واسم أبيه تاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن أخت داود عليه الصلاة والسلام وعنه أخذ الحكمة وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه فى كتاب مستقل مسند والمراد بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور فى القرآن وكانت الحكم تجرى على لسانه لما آتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو ولى عند الاكثرين ونبى عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال أو خياطا أو راعيا وقيل نوبى وقيل انه تلمذ لالف نبى وهو غريب من أهل ايلة وقيل أنعم وقيل أشكم وقيل ماتان وقيل انه ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل انه كان فى زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى عليه الصلاة والسلام والقول بانه عاش ألف سنة غلط من لقمان بن عاد (يا بنى) بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل غيره كما مر (اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة) المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهى للانسان كالكرش للبهائم والحوصلة للطير والفكر قوة مدركة فى الدماغ عند من أثبت الحواس الباطنة فى بطون الدماغ كما فصل فى كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هى قوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها أو شبهت الفكرة بشخص وأثبت له النوم على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثانى أو المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه عن مهماته ومثله ما ورد

فى الحديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء فيدبر عما يهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل

لا يعجبن الجهول بزنة ❁ فذاك ميت وثوبه كفن

(وخرست الحكمة) هو كالذى قبله فى الاستعارة ونحوها أى خرس اللسان التى تجرى عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة أى تركت ذكرها واكتسابها (وقعدت الاعضاء عن العبادة) أى كسل صاحبها فلم يستعملها فى عبادة الله بان يعطل بدونه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب عن فكرها وهكذا فشبه تركه بالقعود أو استعمله فى لازمه ونحوه مما مر فقسه على ماقبله (وقال سحنون) الفقيه المالكى وهذا الفقيه واسمه عبد السلام ابن سعيد التنوخى قاضى أفريقية وكنيته أبو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضى فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقهاء وعليه ابن الحاجب فى الشافعية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم لندور فعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو أولى لكثرته فى الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة فى الاصل وقيل هو البلبل وأدرك مالكا ولم يقرأ عليه وقرأ على ابن القاسم وأشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له مالم ينله غيره وولد فى أول رمضان سنة ستين ومائتين ومات لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهى الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة أو هو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمسانى وقع فى نسخة القرافى هنا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل أبو الفيض بن ابراهيم المصرى (٢) فيمكن ان يكون أحدهما روى عن الآخر لانهما فى عصر واحد (لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع) المضارع يفيد الاستمرار التجددى أى من يكون دأبه كثرة الشبع يكثر نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه يشتغل باصلاح ما كله وكسب ما يحصله فيفوته العلم وكل خير (وفى صحيح الحديث) الذى رواه البخارى وغيره ويجوز أن يريد المصنف بصحيح الحديث كتاب البخارى لان الصحيح غلب عليه (قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) هذا الحديث فى الصحيحين مروى بروايات مختلفة منها ماذكره المصنف رحمه الله تعالى ومنها أنى لا آكل متكئا ومنها لا آكل وأنا متكئ قال الكرمانى هذا أبلغ فى الاثبات والاول أبلغ فى النفى فقيل عليه المراد انه أكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه ان متكئ اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكاء اليه مع اسناده معه الى أنا فهو أبلغ فى اثبات الاتكاء لتكرار اسناده وان لم يكن متكئ مع فاعله جملة بخلاف لا آكل متكئا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو فى النفى أبلغ وعندى ان الثانى أبلغ لنفى القيد والمقيد انتهى * أقول هذا كلام لا محصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرمانى بالنفى والاثبات نفى الاكل فى حال الاتكاء واثبات الاكل فى حال عدم الاتكاء الذى يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة فان النفى فى الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضى نفيهما والثانية لا تقتضى ذلك نحو وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فانه يقتضى انهم يعذبون بعده كما مر ويقتضى هذا انه يأكل اذا زال الاتكاء وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما أخرجه ابن ماجه بسند حسن وهو ان اعرابيا أهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه يأكل فقال له الاعرابى ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلنى عبدا كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا (والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد فى الجلوس له) أى لاجل الاكل والتقعد تفعل من القعود

(وخرست الحكمة) بكسر الراء أى سكنت وماظهرت وهى كمال النفس باقتباس العلوم العقلية واكتساب الحقائق العقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفى رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) أى فترت وثقلت منها وكسلت عنها بسبب ما يعتريها من النوم المانع عنها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها قبل نون وهو مصروف وقيل ممنوع وهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخى الملقب بسحنون الفقيه المالكى قرأ على القاسم بن وهب وأشهب ثم انتهت اليه الرياسة فى العلم بالمغرب وأدرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة فى مذهب مالك وحصل له مالم يحصل لاحد من أصحاب مالك توفى سنة أربعين ومائتين وقال التلمسانى وعند القرافى ذو النون وهو أبو الفيض المصرى العابد مات سنة خمس وأربعين ومائتين فيمكن أن يكون أحدهما راويا عن الآخر لانهما فى عصر واحد (لا يصلح العلم) أى على الوجه الانفع (لمن يأكل حتى يشبع) قال التلمسانى وتمامه ولا لمن يهتم بغسل ثيابه (وفى صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما رواه البخارى (أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء) أى المراد منه ههنا (هو التمكن) على الوطاء ومعناه (للاكل والتقعد فى الجلوس له) أى كمال الاعتماد فى القعود والتقعد المراد منه هو القعود

(٢) المتوفى فى سنة خمس وأربعين ومائتين

ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه قيل انه لم يوجد من هذه المادة تفعال والمصنف رحمه الله تعالى ثقة مايقوله بمنزلة مايرويه وللجلوس أنواع بينها الثعالبي في فقه اللغة (كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته) من أرض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى النزول في الربيع وجعل الشئ رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط أربعة من أعضائه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان أي تثبته في المكان والاعتماد بمعنى الاتكاء كما في الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه في تفسير الاتكاء فان أهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أنه الميل الى أحد جانبيه مع اعتماده على شئ كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابي وتبعه المصنف رحمه الله تعالى الى أنه الاعتماد على ماتحته من غير ميل كما بينه هنا وسيأتي تحقيقه ثم أشار الى وجه كون الاتكاء بهذا المعنى في حال الاكل لم كان غير محمود فقال (والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل) أي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله (ويستكثر منه) أي يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كأنه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وقوة شهوته لغلبة حيوانيته (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لاعراضه عن مثله وتناوله منه مقدار الضرور يابسرعة (انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا) المستوفز الذي لايكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على أوفاز أي على سفر كما قلت في الفصول القصار

من كان في الدنيا على أوفاز ❊ استراح لتهنيه بعيشه أوفاز

والاقعاء بقاف وعين مهملة وألف ممدودة له تفاسير والمعروف منها اثنان أحدهما أن يلصق أليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون مع وضع يديه على الارض مع اقعنساس يشبه جلوس البدوي المصطلي والثاني أن ينصب قدميه واضعا على عقبيه أليتيه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعي في الصلاة اذا رفع رأسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية وأما الاول فمكروه بلا خلاف في الصلاة وأما اقعاؤه صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقال التجاني ان قول المصنف رحمه الله تعالى ان جلوس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له في كل أحواله والذي ورد في الحديث انه أكل مرة هكذا كما قال أنس رضي الله عنه رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم أكل مرة مقعيا الاوجه له لان ماقال المصنف رحمه الله تعالى هو المصرح به في عامة الكتب ورواية أنس رضي الله تعالى عنه مرة لاتصلح سندا للنفي في غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله تعالى عليه وسلم من الاتكاء في أكله لانه من الكبر والترفه الذي ينزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ويستدعي لكثرة الاكل اذا تربع وهل كان الاكل متكئا مكروها في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الامة أو حراما عليه وان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول واختياره صلى الله تعالى عليه وسلم غيره دائما لايدل على حرمته (ويقول انما أنا عبد) لله لاملك لاختياره العبودية التي هي أشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطراء المبالغة في المدح والى هذا أشار الابوصيري رحمه الله تعالى بقوله

دع ماادعته النصارى في نبيهم ❊ واحكم بماشئت فضلا فيه واحتكم

(كالتربع وشبهه) أي على أي هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التي يعتمد فيها الجالس على ماتحته) أي من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل) أي الكثير (ويستكثر منه) أي بشهوة نفس وشره طبع والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان (جلوسه للاكل جلوس المستوفز) أي كجلوس المستوفز وهو اسم فاعل من استوفز في قعدته انتصب فيها غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع أليتيه أو استقل على رجليه ولم يستو قائما وقد تهيأ للوثوب كذا في القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة في بعض الوجوه اذ الاقعاء أن يجلس على ركبتيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقيل أي ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه ويضع على الارض يديه (ويقول) أي كما رواه البزار عن أبي عمر بسند ضعيف وأبو بكر الشافعي في فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان يقول (انما أنا عبد) أي تواضعا منه وارشادا اليه

وهذا من تأكيد المدح بنفيه (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) في حال الاكل وغيره تواضعا لله فلا يمد رجليه عند جلسائه تكريما وتعظيما العباد الله وارشاد الغيره ولا يعبؤ بترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاؤه رضي الله تعالى عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فادبهم انما هو معه وسيأتي الكلام أيضا على هذا الحديث عند ذكر المصنف له في قوله فصل وأما تواضعه وقد ضيف بعض المشايخ بعض الامراء وهيأله محلا ينام فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قائما على قدميه الى الصباح فلما أتاه رب المنزل رآه قائما فقال له لم لا تجلس فقال له كيف أجلس أو أنام في محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا وسالك الملك يؤتيه من يشاء (وليس معنى الحديث في الاتكاء) المذكور سابقا (الميل على شق عند المحققين) من أهل اللغة والحديث بل هو ما مر وهو أحد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل تكأة مثل تؤدة كثير الاتكاء وأصله وكأة والتكأة أيضا ما يتكأ عليه وهو المتكأ قال الله تعالى واعتدت لهن متكأ قال الاخفش هو في معنى مجلس وطعنه حتى اتكأه أي ألقاه على هيئة المتكي وأوكأت فلانا نصبت له متكأ وفي نوادر أبي عبيد أوكأت عليه أي توكأت انتهى وكذا قاله غيره فهو واوي من الوكاء وأصل معناه الشد والمعتمد على شيء يتقوى ويشتد به فالمعتمد حالة الجلوس على الارض أو غيرها متكئ والمائل على أحد شقيه المستند الى الارض أو الوسادة متكئ أيضا فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح الكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين أو المشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع كان أظهر فرد المصنف رحمه الله تعالى لم يصادف محزه وأكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق أحق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هي الاعتماد الحسي فالمتربع معتمد والمائل معتمد على أحد شقيه فلا خطأ في كلا التفسيرين لمن له معرفة باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى من التحقيق وانما جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظري انما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره فلا ألتفت اليها وانما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكت أخرى تدرك بالذوق أي انه مهتم بذلك لا بالاكل والشرب كالبهائم (وكذلك) أي كقلة أكله وشربه وعدم ترفهه فيهما (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) بيان لوجه الشبه (شهدت بذلك) أي قلة نومه صلى الله تعالى عليه وسلم ودلت عليه (الآثار الصحيحة) أي الاحاديث الصحيحة المسندة في كتب الحديث التي أغنت شهرتها عن ذكرها كما مر وهذا كان أكثر حالاته صلى الله تعالى عليه وسلم وربما خالف هذا أحيانا اذ قد ورد ما يؤذن بان نومه زاد على يقظته أو ساواها كحديث النسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه (ومع ذلك) أي مع قلة نومه غالبا (فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) فنومه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كنومنا بل هو يقظة فكأنه لا نوم له أصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مستيقظ دائما يدرك ما لا يدركه غيره في يقظته ولذا كانت رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم قسما من الوحي لاتصاله بعالم الملكوت في نومه وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا أيضا باعتبار غالب حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نام هو وأصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح وأدركهم حر الشمس وقد أجيب عنه أيضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العين النائمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا

(آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد وأبو يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا (وأجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمي وابن أبي شيبة وابن عدي وأشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم الشامل له ولغيره بخلاف ما فهم العامة من ان الاتكاء منحصر في الميل الى أحد شقيه أو الاستناد الى ماوراءه وبهذا يجمع بين ما قاله المصنف ههنا وما ذكره في الاكمال من ان الخطابي خالف في هذا التأويل أكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على أحد الجانبين ولذا أنكر عليه ابن الجوزي وقال المراد به المائل على جنبه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وكذلك) أي ومثل كون أكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) أي ليصرف أوقاته النفيسة في طاعته وعباداته الانيسة (شهدت بذلك الآثار الصحيحة) أي والاخبار الصريحة التي أغنت شهرتها عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) أي مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) كما رواه الشيخان فنومه كله يقظة ليعي الوحي اذا أوحي اليه في المنام اذ رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اني أرى في المنام اني أذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا) أي استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر أهنأ) بفتح نون فهمز أي ألذ وأشهى وروى أهدأ أي أسكن وأوفق (لهدوء القلب) بالهمز ويسهل أي سكونه واطمئنانه (وما يتعلق به) أي ولهدوء ما يتعلق به (من الاعضاء الباطنة حينئذ) أي حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي) جزاء شرط محذوف أي اذا كان النوم عليه أهنأ بسبب ما ذكرنا فتستدعي (ذلك الاستثقال فيه) أي الاستغراق في النوم ويروى الاستقلال ولعله

ذهب بعض الفقهاء الى ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وضوءه وبانه شغل الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نوم عينيه فلم تدرك خروج الوقت للتشريع لامته وقد مر الكلام على ذلك كله (وكان نومه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم) أي استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكان صلى الله تعالى عليه وسلم من عادته انه اذا نام نام على شقه الايمن وحكمته ما يأتي ان القلب مائل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق القلب ولم يسترح فيخف نومه ويسرع يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب في جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم من التيامن في أموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وما قيل من انه حال امتهان لاتكائه على الجانب الذي ينام عليه لا وجه له فان في النوم راحة تعين على العبادة فالاتكاء عليه كالاتكاء على أعضاء السجود وكذا ما قيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوة روحه ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوي اذا تقوى كان شديد القوة والنوم أمر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة فالتقوي احتراز عما يعرض نادرا (لانه) أي النوم (على الجانب الايسر أهنأ) أفعل تفضيل مهموز الآخر من الهنء أي أسهل وألذ والهنيء ما أتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر أيسر وفعله هنوء بالضم ويكسر هنا قيل وانما جعل الطائف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم فجعل جانب القلب وأعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب السيئات واليمين محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتقلب ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنية كداء من ناحية باب بني شيبة فيبقى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذي يلاقيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب أن يؤتى الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدئ بثنية كداء والاصل في القربة التيمن فلو ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره فكان قد ابتدأ بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدأ بالحجر وجعل على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحائط الذي من مركز الحجر الى الطرف الآخر وغيره سايقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله (لهدو القلب) تعليل لكونه أهنأ أي لراحته واستراحته لسكونه والهدو بزنة العلو السكون وهو مهموز الآخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل أيضا وهو قريب من الهنوء ولامهما همزة في الاصل (وما يتعلق به) أي والهدو ومعلاقه الذي تعلق به وينا ط وكلاهما (من الاعضاء الباطنة) أي الموجودة في داخل الانسان (حينئذ) أي حين نومه على جانبه الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك) أي يقتضي ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع (الاستثقال فيه) أي ثقل بدنه في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا أو مسبب عما قبله (والطول) أي طول نومه وطول زمان بطالته (واذا نام النائم على) جانبه (الايمن تعلق القلب وقلق) أي لم يستقر ويطمئن (فاسرع الافاقة) أي التيقظ من نومه (ولم يغمره) بفتح الياء وسكون الغين المعجمة وضم الميم وجزم الراء المهملة (الاستغراق) في النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا

بمعنى الاستبداد (والطول) أي وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح قاف وكسر لام أي لم يستقر ولم يطمئن (فاسرع) أي ذلك (الافاقة) أي من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم الميم أي لم يستوعبه أولم يعله أولم يغلبه (الاستغراق) أي في عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى الايسر لتتوفر الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذ الحرارة كلها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل في بيان حكمة نومه على الجانب الايمن دون الايسر لا ينافي ما ثبت في الحديث

الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ٤٥٠ كان يحب التيامن فى أمره كله ولما فى التيامن من اليمن لفظا ومعنى والثناء الله سبحانه وتعالى

على أهل اليمن واعطاء كتبهم بايمانهم ونحو ذلك *(فصل والضرب الثانى) أى مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو) مايتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره) أى الافتخار بزيادته مما حاز منه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى (كالنكاح والجاه) أى المحمودين (أما النكاح فتفق فيه) أى تجمع عليه (شرعا) أى من جهة شرائع الانبياء كافة (وعادة) أى للعقلاء والحكماء عامة (فانه) أى النكاح مع ذلك (دليل الكمال) أى فى خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة المذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لما قبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) أى بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح به سيرة عادية) بتشديد الياء أى طريقة قديمة لا حادثة (وأما فى الشرع) أى وأما التفاخر بكثرته والتمادح به فى الشريعة (فسنة مأثورة) أى مروية منقولة كثيرة (وقد قال ابن عباس) كما رواه البخارى (أفضل هذه الامة) أكمل افرادها ثناء (أكثرها نساء) حيث أبيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تزوج عليه الصلاة والسلام احدى عشرة توفى قبله اثنتان خديجة وزينب وماعداهما الباقيات بعده

ولم

وغمره له بتغطيته وشدة استيلائه عليه من غمره الماء اذا علاه فهو استعارة كما استعيرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مائل طرفه الاسفل الى اليسار لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة كلها فى الايمن لكون الكبد فيه

(فصل) والضرب الثانى) مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتميز الاشياء وهو (ما يتفق التمدح بكثرته) يتفق أما من قولهم اتفق كذا و وقع اتفاقا أى وقع من غير قصد لصاحبه أو من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل ما يتفق الناس على التمدح بكثرته أى كثرة المدح وقوته والمراد الاول لان صاحبه لم يتصده ولم يقصد مدح الناس له بسببه وان كان قد يقصد ذلك (والفخر بوفوره) أى الافتخار بكثرته دون قلته ووجوده فانه موجود فى كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ منه بالحظ الاوفى الاوفر (كالنكاح) أى الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد كما مر والمراد الاول (والجاه) وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة وأصله وجه فقلب واعل كما مر (أما النكاح فتفق فيه) أى فى مدحه وشأنه اتفق العلماء وأصحاب البصيرة والتمييز (شرعا) كما سيأتى بيانه (وعادة) فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا ومابعده على التمييز أو المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال (فانه) أى النكاح (دليل الكمال) فى الخلقة والجسم بقوته واعتداله (وصحة الذكورية) الظاهر انها مصدر كالصعوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى و يصح ارادته أيضا الا ان الاول أولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والآفة (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة) للناس (معروفة) بينهم لا تنكر (والتمادح به سيرة) أى طريقة (ماضية) أى قديمة أو نافذة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر (وأما فى الشرع فسنة مأثورة) أى هو فى الشرع أمر مسنون منقول فى آثار السلف والاحاديث الصحيحة أى المراد أنه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبى طريقته التى كان يتحراها (وقد قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه البخارى (أفضل هذه الامة) أى أفضل أمة الاجابة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة (أكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى أن المراد بالافضل فى كلامه هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أبيح له جمع مافوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم دون أمته فدلت الاكثرية على تعينه بهذه الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل الصريح وهو وان كان أفضل من أمته أجل وأعلى من أن يقال انه أفضل منهم مع انه لا فائدة فيه ببادى الرأى الا أنه رضى الله تعالى عنه قصد الحض على النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه لما سأله ألك زوجة فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان أكثرها نساء كما فى صحيح البخارى ولابد من جعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا فى الامة على ما يأتى لان أفضل التفضيل فى الاصل انما يضاف لما هو بعضه وان جاز يوسف أحسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغنى عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما أبيح له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التزوج بمن شاء أن يجمع فى وقت واحد عنده عدة لا تجوز لا بمجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره أيضا وكان اللاتى تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بهن باجماع أهل السير احدى عشر امرأة ستة من قريش وأربع من سائر العرب و واحدة من بنى اسرائيل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وهى صفية بنت حيى وسيأتى لذلك مزيد بيان وأما التى اختلف فيهن ممن فارقها أو عقد عليها

ولم يدخل بها أو خطبها ولم يقع عليها العقد فاختلف فيهن وفي سبب فراقهن والذي ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امرأة غير السراري ويمكن أن يكون المراد بالامة ما يشمله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما يشغل عن القيام باوامر الله تعالى مع امتثال أمر الله كقوله تعالى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وفي ذلك تسبب للالفة والمودة واتصال القرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النساء ولما فيه من اظهار معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة أكله وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقيده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه أفضل منها أحيانا وهو من أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتركه للقادر عليه مكروه الا أن يخرجه الكسب مما لا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في آخر الزمان واذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة ليخرج سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا أكثر منه صلى الله تعالى عليه وسلم نساء وفيه تأمل (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة) ووقع في بعض النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الخ بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح أحدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذراري أو المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا أنسب بالمقام وبما بعده وأصله تتناسلوا بتاءين في أول المضارع وحذفت على القياس في كل تاءين في أوله أو هو أمر بدل مما قبله أو بتقدير العاطف والاول أولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تأويله باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيمة والآيسة من الولد بان يعلم ذلك منها ان كانت ثيبا أو يكون الظاهر ذلك منها الشبابها ففيه نهي عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى أنه ينبغي أن يكون المقصود من النكاح مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة أو تجعل مسرته بهم ورؤيته غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال آتي يوم القيامة بمثل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الامم والانبياء وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس أمة لعموم بعثته وبقائها وكثرة أتباعه وجنده المؤيدين لدين الله ففيه فخر عظيم وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنى فانه رواه الطبراني في الاوسط من حديث سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضي الله عنه تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة (ونهى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التبتل) كما رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لنا لاختصينا فهذا هو المنهي الذي كان استأذنه في التبتل فرده ونهاه عنه وروي ان جماعة من الصحابة فيهم علي كرم الله وجهه لما رأوا عبادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قالوا انلزم الصوم والعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك والاختصاء الشق على الانثيين وانتزاعهما وهو والتبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل بتول وامرأة بتول اذا انقطعت عن الرجال واذا قيل لمريم البتول وأما فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها أو لانقطاعها

(وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكره ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد في نسخة تناسلوا (فاني مباه بكم) اسم فاعل من المباهاة أي مفاخر بكثرتكم (الامم أي السالفة (يوم القيامة) كما في نسخة ولفظ الطبراني في الاوسط تزوجوا الولود فانه مكاثر بكم الامم وفي رواية أبي داود والنسائي وابن ماجه فانا مكاثر بكم الامم (ونهى) كما رواه الشيخان (عن التبتل) قال اليمني في حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته في المقام لا يخفى فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين وهذا لا ينافي قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذ معناه انقطع تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشي فرشي على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة من الاحوال الباطنة والظاهرة

لعبادة الله تعالى أولانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وأما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا الحديث لانه بمعنى آخر أى انقطع فى الليل لعبادة الله تعالى والتهجد وأخلص له واقرأ القرآن وورد النهى عن موافقتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية واما قوله لو أذن لنا لاختصينا فلا يدل على جواز الاختصاء ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى آخر كما سمى الصوم وجاء وهو جائز فى البهائم فى صغرها الغرض كتسمين المأكول وهو فى الآدميين حرام لانه مثلة و يكره استخدام الخصى ويمنع من دخوله على النساء ثم ان النهى عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهى على ظاهره قال التجانى المتأخرون من المالكية يجعلونه فى حق بعض الناس واجبا وفى حق بعضهم مندوبا اليه وفى حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل وهو الذى ليس له أصل يستند اليه وانما هو لاقتضاء المصلحة وقد أنكره كثير من العلماء والظاهر من مذهب أصحاب مالك القول به انتهى (مع ما فيه) أى فى النكاح أو فى التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ما يأتى (من قمع الشهوة) أى قهرها والغلبة وأصله ضرب الرأس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنساء (وغض البصر) أى خفض البصر وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر كأنه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوق لامر يغض عنه عينه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة أو كناية (اللذين نبه عليهما) صفة لقمع الشهوة وغض البصر (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى عنها الا ان فى سنده مقالا وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج وأخرجه الطبرانى بلفظ المصنف رحمه الله تعالى بدون فاء الى آخره (من كان ذا طول) بفتح الطاء المهملة وسكون الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله بحيث لا ينظر الى مال امرأته وغيرها لانه ورد فى الحديث أيضا لا تنكح المرأة لمالها فلعل مالها ان يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن فى النساء مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا نهى ارشاد لا تحريم وورد فى الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان أعلاه أعوج فان أردت تقيمه كسرته وقد نظمه القائل حيث قال

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * الا ان تقويم الضلوع انكسارها

أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومنه أخذ المنصور قوله

اذا نقمت عرس وأنت تحبها * فدع بحرها رهوا ولا تثر الموجا

ولا تطمعن الدهر فى ان تقيمها * فقد خلقت فى الاصل من ضلع عوجا

(فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج) أى فان التزوج أكثر حملا على غض البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة وأكثر تحصينا أى حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان فى التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه أفضل من التزوج دفعه بقوله (حتى لم يره) أى التزوج والنكاح (العلماء) بالدين والشرع (مما يقدح فى الزهد) القدح والطعن فى الشئ ذكر عيوبه أى ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة وقوله فى الزهد أى ترك الدنيا ولذاتها الا ان ما ذكر من جملة التلذذ لان القصد به التعفف والنسل وهذا روى عن عمر رضى الله عنه فانه قال ليس فى النساء سرف ولا فى تركهن عبادة

(مع ما فيه) أى فى النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) أى دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) أى خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) أى فيما رواه الطبرانى (من كان ذا طول) بفتح الطاء أى قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظ الشيخين من استطاع منكم الباءة (فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج) أى أمنع وأحفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وباقى الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على ما رواه النسائى (حتى لم يره العلماء) أى من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح فى الزهد) أى فى هذه الدنيا وشهواتها ومستلذاتها وكان شيخنا المرحوم على المتقى يقول كل شهوة تظلم القلب الا النكاح فانه ينوره ويصفيه

وزهد كما فى تحفة العروس للتجانى (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدمت ترجمته (قد حبب) بالبناء للمجهول والتشديد (الى سيد المرسلين) أى خلق الله تعالى فيه محبتهن وسيأتى بيانه والضمير للنساء (فكيف يزهد فيهن) أى اذا كان الله تعالى جعل حبهن مركوزا فى جبلة من هو أزهد الخلق صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يدعى أحد ان تركهن زهد وفى سراج المريدين فى قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ان هذه الآية تدل على فضل التزوج على العزوبة لبقاء الذرية ودعائها الذى هو عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه أفضل فى حق من يقتدى به الناس (ونحوه) أى مثل المروى عن التسترى مروى (عن ابن عيينة) علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفى أحد الأئمة الاعلام الامام الحافظ روى عن كثير كالزهرى وابن دينار وأحمد والزعفرانى وروى عنه خلق كثير وخرج له أصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفى فى رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان أعور وترجمته مشهورة وهو من تبع التابعين أدرك منهم ستة وثمانين نفسا (وقد كان زهاد الصحابة رضى الله تعالى عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح) كثيرى بياءين أصله كثيرين بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعنى كانوا يكثرون من النساء حرائر واماء أوانهم كانوا يطلقون كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجانى وكان عند على كرم الله وجهه أربع نسوة وتسع عشر وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضى الله عنها حتى ماتت وولدت له منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفى صغيرا فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى سماه محسنا كما ذكره الدارقطنى والحسن رضى الله تعالى عنه كان من أشد الناس حبا للنساء وكان مطلاقا كما قيل انه أرخى ستره على مائتى حرة والسرارى بتشديد الياء وتخفيفها جمع سرية بالتشديد والسرية هى الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطئ حتى ان من جعل بيد زوجته عتق كل سرية له لم يكن لها عتق التى لم يطأها زوجها وهى منسوبة الى السر الذى هو الجماع أو الاخفاء لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل فى النسبة للدهر دهرى بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فابدل احدى رائيها ياء كما قالوا انظنيت وتظننت وضم سينها لازم ولذا قيل عليك بضم الصدر السرية والتسرى سنة وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسرارى فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم (وحكى) بالبناء للمجهول (فى ذلك) المذكور من التزوج والتسرى وكثرته (عن على) كرم الله وجهه (والحسن) ابنه كما لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه لا الحسن البصرى فانه لم ينقل عنه مثله (وابن عمر وغيرهم) من الصحابة (غير شئ) هذا هو نائب فاعل أى حكى عنهم أشياء كثيرة فى ذلك لا شيئا واحدا

(وقال سهل بن عبد الله) أى التسترى وهو من أجل الزهاد وأكمل العباد (قد حبب) بصيغة المجهول من التحبيب أى جعلت النساء محبوبة (الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول أى فكيف يجوز و يتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه أحمد وخلق قال أبو نعيم أدرك أبو سفيان ستة وثلاثين من أعلام التابعين وقد قال سفيان الثورى أيضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقد كان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن وابن عمر (كثيرى الزوجات والسرارى بتشديد الياء) وتخفف جمع سرية وكل ما كان مفرده مشددا جاز فى جمعه التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى هى الامة التى بوأت لها بيتا وهى فعيلة منسوبة الى السر وهو الجماع أو الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها و يسترها عن حرمه وانما ضمت سينه لان الابنية قد تغير فى النسبة خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان الاخفش يقول انها مشتقة من السرور لانها يسر بها و يقال تسررت جارية وتسريت أيضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) أى الجماع و يبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ما تقدم وأعاد لفظ الكثيرين اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى أتزوج المرأة ومالى فيها من أرب واطؤها ومالى فيها من شهوة فقيل له فى ذلك فقال حتى يخرج منى من يكاثر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحكى فى ذلك عن على) بن أبى طالب روى انه نكح بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها بسبع ليال فكان لعلى أربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من مات أو طلقن (والحسن) أى وعن الحسن الظاهر انه ابن على كرم الله تعالى وجهه و يحتمل الحسن البصرى بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعد هنا التقديم على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) أى وعن غيرهم (غير شئ) أى شئ كثير فكان الحسن بن على أشد الناس حبا للنساء قيل انه أرخى ستره على مائتى حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على أربع فى عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزارى وخطبها أخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور عليا فقال له اما الحسن فطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له

وأبهمه لكثرته كما في قوله (وقد ذكره غير واحد) من السلف الصالحين (ان يلقى الله) أى يموت لان لقاء الله يكنى به عن الموت كما جاء في الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال الراغب لقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال الله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقات وأصل معناه مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما (عزبا) بفتح العين المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة هو الذى لا امرأة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامرأة عزبة وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فقد حكى عنه انه كان يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام لاحببت ان أتزوج لئلا ألقى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه في الطاعون وكان هو مطعون أيضا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله عزبا أى بعيدا عن النساء وقال في الدرة العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمرأة عزبة ولا يقال للرجل أعزب بالهمزة أو هى لغة قليلة وفي التقريب قال أبو حاتم لا يقال أعزب قال الازهرى وأجازه غيره وورد في الحديث في مسلم ما في الجنة أعزب قال النووى هو في جميع نسخ بلادنا بالالف وهو لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ من تقييد عزب بسكون الزاء بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة (فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى ابن زكريا) جعلهما لشهرتهما وشهرة اتصافهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى أشار اليهما ويحيى وزكريا بلغاته أعجميان وقيل انه عربى مشتق من الحياء لا كالمفازة بل لان الله تعالى أحيا قلبه بانوار النبوة الذاتية والمقتبسة من زكريا لانه أول من آمن به وأوتى النبوة والفضائل المكتسبة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبى لم يسم أحد قبل يحيى بذلك فاحيى الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحى اسما كما اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابنى خالة وكانت أمه تقول لمريم انى أجد الذى في بطنى يسجد للذى في بطنك كما سيأتى ويحيى أكبر من عيسى وفي مقدار عمره اختلاف فقيل كان عمره مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين وأما زكريا فمن ذرية سليمان عليه الصلاة والسلام وكان آخر من بعث من بنى اسرائيل قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ولما أراد بنو اسرائيل قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب ثوبه فلما رأوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في جوفها وأما يحيى عليه الصلاة والسلام فقتل بسبب امرأة أراد ملكهم نزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك لانها بنت امرأتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين ألفا وهذا قصاص الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثون ألفا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل بل صح في الحديث ان الموت بعد استقرار أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة يؤتى به بصورة كبش أملح فيذبحه يحيى وقيل الذى يذبحه جبريل عليه السلام والثانى مروى في بعض التفاسير وأما الاول فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية (قد أثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) في قوله تعالى وسيدا وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير سيأتى وأما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره بمن انحصر عن النساء بحيث لا يأتيهن وأخرج ابن جرير عن ابن عمرو وعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله تعالى الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله تعالى عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب وأشار بانملته وبه فسر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأورد شاهداله من كلام العرب وعلى هذا بنى المصنف رحمه الله تعالى

(وقد ذكره غير واحد) أى من العلماء (ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لا أهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكأنه أراد ان يلقاه على جميع ما يرضاه ولذا قيل في تفسير قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله عزبا (فان قيل) وفي نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) أى أصله (وكثرته من الفضائل) أى التى أجمع عليها في كل شريعة (وهذا يحيى بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد أثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) أى ممنوعا عن النساء بالعجز عنهن أو لعدم الالتفات اليهن

السؤال

(فكيف يثني الله عليه بالعجز) أو عدم الميل (عما يعد فضيلة) أي شرعا وعادة (وهذا عيسى) أي ابن مريم كما في نسخة (عليه الصلاة والسلام قد تبتل من النساء) أي انقطع عنهن ولم يمل اليهن وأبعد الدجى في قوله منقطعا الى ربه ومنه تبتل اليه تبتيلا أي انفرد له بالطاعة ووجه بعده لا يخفى على أرباب الصفاء مع ما تقدم في كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) أي النكاح (فضيلة) كما قررته (لنكح) أي لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة أي جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفي الحديث الايمان هيوب أي صاحبه يهاب الذنب فيتقيه (أو لا ذكر له) وفي رواية معه أي لا همة له فيه (بل قد أنكر هذا) أي ما ذكر من القولين (حذاق المفسرين) أي مهرتهم (ونقاد العلماء) أي محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) أي لا يوجب الثناء (ولا تليق بالانبياء) أي لا تضاف اليهم (وانما معناه) أي معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها) بصيغة المجهول أي حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا نفسه من الشهوات) أي المستلذات من المباحات لا من المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة في النساء) أي شهوة كثيرة أو مطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لما فيها من الفضيلة لما سبق عن عمر رضي الله تعالى عنه وأحسن الاجوبة أوسطها واما الدجى بانه الذي لا يقرب النساء مع القدرة فلا وجه له في هذه الحالة التي تفوته الفضيلة هذا وقد ذكر التلمساني ان عيسى عليه والصلاة والسلام يتزوج في آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين أبي بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها ففعله هذا انما كان لنيل الفضيلة واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة

السؤال كذا في الشرح الجديد أقول هذا الحديث لم يثبت وسئل النووي رحمه الله تعالى في فتاويه عن حديث ما منا الا من عصى أو هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه حديث ضعيف لا يحتج به رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما أحد من ولد آدم الا قد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف في جرحه (فكيف يثني الله عليه) في القرآن (بالعجز عما يعده فضيلة) وهو النكاح وكثرته (وهذا عيسى بن مريم) عليه الصلاة والسلام (تبتل عن النساء) أي انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج (ولو كان كما قررته) ان النكاح بل كثرته فضيلة ممدوحة (لنكح) أي لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى) عليه الصلاة والسلام (بانه كان حصورا ليس) معناه (كما قال بعضهم) كامر (انه كان هيوبا) أصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة وهي المخافة والتقية ويأتي بمعنى من يخافه الناس وليس بمراد هنا بل المراد انه كان جبانا عن النكاح (أو لا ذكر له) الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره وانما أراد انه صغير جدا أو لا حركة له أصلا لما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ نواة أو قذاة وقال كان ذكره مثل هذه وفي أخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب الذكر والانثيين كما في حديث القبطي الذي أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت الريح ثوبه فاذا هو حصور (بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء) حذاق جمع حاذق بمعنى ماهر في علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذي يميز جيد النقدين من رديئهما وأصل معناه الوزن وخلاف النسيئة ولم يذكر الاول في القاموس وهو المراد هنا (وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام أي لا تصلح لهم ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا أصلحها (وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب) كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعصمة عندنا ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسيأتي الكلام على تفصيل عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أي لا يأتيها كانه حصر عنها) أي منع عنها فحصور بمعنى محصور وقال التجاني هذا الجواب ضعيف لما ورد في حديث بشر بن عطية قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تحصر في الاسلام وقال لا حصور الا يحيى بن زكريا كما أخرجه الماوردي وغيره وفيه نظر سيأتي (وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء) يعني ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله بغيرها من العبادة أو له قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا يريده فانهم عرفوا الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة أعم فان الارادة قد تتعلق بما لا تشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذلك يعاقب بارادة المعاصي عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله تعالى عصمه بان

(فقد بان لك من هذا) أي الذي ذكرناه (ان عدم القدرة على النكاح نقص) أي للكامل (وانما الفضل في كونها) أي القدرة (موجودة) أي قائمة بمحلها ثابتة (ثم قمعها) قال الدلجي مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها أي ثم الفضل في قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (اما بمجاهدة) أي ٤٥٦ برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام أو بكفاية من الله) أي لهذه المؤنة بالعصمة

من غير الحاجة الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجي خبر المبتدأ بناء على اعرابه في رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان يقول مع عدم قمعها والظاهر ان المصنف أراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لا خصلة راتبة كما عبر الفقهاء بالسنن الزوائد والرواتب ولا شك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ أفضل من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال وأوقاتها فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفي رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين أو بفتحها (في كثير من الاوقات) أي عن الطاعات التي تورث الدرجات العاليات في روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء أي واضعة منزلة له عن علو الحالات لكونها مرغبة ومميلة وجارة (الى الدنيا) أي محبتها أو جمعها والاشتغال بها لحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولا يجوز الاطلاق فيما استفتاه ولذا قال المصنف

لم يخلق فيه ميلا للشهوات ولو لم يفسر بما ذكر لما صح تعقيبه بقوله (فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها) وهذا معنى ما قاله السهيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص في الخلقة وعيب ينزه عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما ذكره ابن حزم في الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما اذا كان لمجرد الشهوة البهيمية اما اذا كان لتكثير النسل في الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربي في قول من قال الحصور هو الذي يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين أحدهما انه أثنى به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا فعولا من صيغ المبالغة وهو انما يكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو في شرعه مطلوب بخلاف شرع نبينا لنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التبتل انتهى فاندفع ما قيل ان قوله لا شهوة له في النساء لا وجه لذكره هنا لانه في مقام الجواب عما أورده وهذا مقرر للايراد لا جواب عنه وما ذكر في هذا المقام هو وجه تفضيل البشر على الملك فان قلت فما تقول فيما ورد في الحديث على فرض صحته من انه عنين أو ماله كقذاة أو نواة أو هدب ثوب قلت أجيب عنه بانه لغلبة خوف الله تعالى عليه وشدة الرياضة التي كانت مشروعة له ذبلت أعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل ما ذكر لا أنه نقص في خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل (اما بمجاهدة) متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق الانبياء عليهم السلام على أحسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا أن منهم من قهر شهوته وغلبها حتى أضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عن للعبادة وهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد نفسه بمنعها عما تريده من الشهوات وهو الجهاد الاكبر (كعيسى عليه الصلاة والسلام) أو يقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد لان الله تعالى خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات من غير مجاهدة وهو المراد بقوله (أو بكفاية من الله كيحيى عليه الصلاة والسلام) فان الله تعالى صرفه عن شهوة الجماع قيل والاليق أن يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى عليه الصلاة السلام ولذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في حبس نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل في حق المعصوم أمر مطلوب وفي غيره منهي عنه وكان مشروعا في دينهم كما مر فترك التزوج عبادة عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد الخوف من الله تعالى حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين (فضيلة زائدة) مرفوع خبر للمبتدأ وهو قمعها في قوله ثم قمعها أي ترك الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة وصفة حميدة زائدة في الخلقة على أصلها (لكونها شاغلة في كثير من الاوقات) أي لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفي نسخة مشغلة قال التلمساني مفعلة من الشغل وروى مشغلة اسم فاعل من أشغل وهو قليل وروى شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال لغة رديئة ولذا لما وقع الصاحب على رقعة فيها الاشغال قال من قال اشغالي لا يصلح لاشغالي كما مر وهو لم يقع في النسخ المتداولة (حاطة الى الدنيا) اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى أسفل وهو منصوب خبر بعد خبر لكون أي تنزل الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه

الله

(ثم هى) أى الفضيلة الزائدة (فى حق من أقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار أى من أعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم واللام قال فى التلمسانى هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق أقدر قلت والاول أولى وأظهر ويؤيده قوله (وقام بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح أوله وثالثه وفى لغة بضم أوله وكسر ثالثه أى لم تمنعه (عن ربه) أى طاعته وحضوره (درجة عليا) بالرفع أى مرتبة قصوى وهى مضبوطة فى النسخ المعتبرة بضم العين مقصورا وضبط محش بفتح العين والمد (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) أى طاعته وحضوره لوصوله الى مقام جمع الجمع فى كمال حصوله وهو ان لاتحجبه الكثرة عن الوحدة ولاتمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له حظ فى هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له ومن كمال المرام دون من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك) أى ماذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) أى لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) أى من أمر المعيشة وحسن العشرة (واكتسابه لهن) أى مايتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) أى بالعلوم الدينية لاسيما مايجب عليهن (بل صرح انها) أى كثرتهن (ليست من حظوظ دنياه) أى التى تغيبه عن حضور مولاه (هو) أى بخصوصه (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) أى دائما أو فى بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) أى كما رواه الحاكم والنسائى (حبب الى من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وليس زيادة ثلاث فى صحيح الروايات وانما أضاف الدنيا اليهم اشارة الى تبرئه عنها وتقلله منها وعدم مبالاته بها او التفاته اليها القلة بقائها او كثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها وأورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا لما خلق فى جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه فى محبته وأما قول الدلجى تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لايخفى على أرباب الصنعة

الله عن التحلى بها وتمنعه عن اشتغال قلبه بها (ثم هى) أى الشهوة فى الجماع لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم (فى حق من أقدر عليها) بالبناء للمجهول أى من اقداره الله على شهوته فلم تغلب (وملكها) أى تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام والميم مبنى للفاعل أو بضم الميم وكسر اللام المشددة والبناء للمجهول قال التلمسانى وهو أولى ليكون على نسق أقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى فى حق الكريم حسن (وقام بالواجب فيها) معطوف على ملكها أى من ملك شهوته ولم يمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان مايمنع عن ذلك ينبغى تركه وفيها متعلق بقام أى قام بما يجب عليه وهو متلبس بها (ولم تشغله عن ربه) شغل يشغل كسأل يسأل وقوله (درجة علياء) مرفوع خبر هى أى مرتبة رفيعة عند الله تعالى وعلياء بفتح العين والمد وهى فى الاصل كل مكان مشرف أى مرتفع وأريد به علو المنزلة (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى هذه الدرجة العلياء عند الله التى وصل اليها فى الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله تعالى بفعل مايجب عليه من العبادة ودعوة الخلق (الذى لم يشغله) صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم مبينة لما قلناه (كثرتهن) أى النساء (عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة) على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل (لتحصينهن) أى جعلهن محصنات متعففات بنكاحه صلى الله تعالى عليه وسلم لهن (وقيامه بحقوقهن) من النفقة والكسوة وغير ذلك فان فيه أجرا أيضا (واكتسابه لهن) فان الكسب الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان لو سأل الله تبارك وتعالى ذلك أوصله له من غير كسب لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ملتزم لمقام العبودية (وهدايته اياهن) بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة أعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب عما يوهم ذلك فقال (بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو) جمع حظ كاحاظ وأحظ وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال حنظ بالنون وهى لغة يمانية (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها لغيره اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم برىء منها ومن محبتها فان قلبه امتلأ بمحبة الله تعالى عز وجل لايدخله محبة غيره كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى ❊ فان ترد الزيادة هات قلبا

ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث (فقال حبب الى) بالبناء للمجهول (من دنياكم) ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الحاكم والنسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه بدون لفظ ثلاث الا ان أحمد رواه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ولفظه كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا ثلاثة أشياء النساء والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة أصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح

الان فيه رجلا لم يسم وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى يقوى بعضها بعضا فهو صحيح الان أكثر الحفاظ على انه ليس فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقى وابن حجر وانها مدرجة فى الحديث ومن رواها فقد وهم وخالفهم فى ذلك ابن فورك وقال انها مروية فى الحديث وألف فى ذلك جزأ مستقلا صحح فيه روايتها ولم أقف عليه وتبعه فى اثباتها الزمخشرى فى سورة آل عمران والراغب وابن عربى فى الفصوص وغيرهم من وهمهم قال الصلاة ليست من أمور الدنيا فلا يصح عدها منها فخطؤ وهما لفظا ومعنى ومن أثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع فى الدار الدنيا الذة كان أو عبادة فالصلاة من أمورها على هذا وفى لفظ ثلاث تغليب للمؤنث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب فى الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك رحمه الله

وأعطف على اسم شبه فعل فعلا * وعكسا استعمل تجده سهلا

فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطى وهو ان يذكر جمعا يريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث يطوى ذكره فى الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته ووقوف السامع عليه لنكتة فان هناك الطعام كما ورد التصريح به فى رواية أحمد كما قطيه لخسته عنده واستشهدوا له بقوله

ان الاحامرة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح وأطلى * بالزعفران فلا ازال مولعا

(وقوله) كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر أما الاول فالثالث وهو قوله وأطلى الخ على نهج ما تقدم فى الحديث وأما الثانى فلأنه ذكر قبيلة بنى حنيفة وجعلها أثلاثا عبيدا وموالى وحلفا فبقى نفس القبيلة وصميمها وهى مذكورة أولا وقال حبب بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل أحببت من دنياى اشارة الى ان محبته صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لله وذاته لما أراده ورضيه له لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى الظاهر ملكوتى لا يتحلى باحوال البشر الا اذا أمره الله تعالى بها لتتأسى به أمته وتتشرف بما رضيه له فعده صلى الله تعالى عليه وسلم من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل فى الصلاة اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدى خالقه فيزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصافح من عنده فافهم وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جلس مع أصحابه الاربعة رضى الله تعالى عنهم فقال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة فقال أبو بكر رضى الله عنه وأنا يا رسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالى عليك وقال عمر رضى الله تعالى عنه وأنا يا رسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضى الله تعالى عنه وأنا يا رسول الله حبب الى من الدنيا ثلاث افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال على رضى الله عنه وأنا يا رسول حبب الى من الدنيا ثلاث اقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال وأنا يا رسول الله حبب الى من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين واداء الامانة واذا النداء من قبل الله وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة رضى الله عنهم ويجوز أن يكون لجميع الناس

او

(فدل) أى هذا الحديث على (ان حبه لماذكر) أى بنفسه (من النساء والطيب الذين هما) كما فى نسخة التى هى (من أمر) وفى نسخة من أمور (دنيا غيره) أى فى الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) أى وان استعماله لما ذكر من النساء والطيب وفى رواية واشتغاله بذلك (ليس بدنياه) أى لمجرد حظها (بل لآخرته) أى قصد مثوبته ورفع درجته (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب) أى لمحبتهم اياه (ولانه) أى (الطيب أيضا مما يحض) أى يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) أى على ذاته أو كثرته (ويحرك أسبابه) أى مقدماته كالقبلة والشهوة (وكان حبه لهاتين الخصلتين) أى مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كمباهاته بالكثرة مثوبا ولقائه الملائكة والنساء مطيبا (وقمع شهوته) أى ولاجل قمعها بمنع الخواطر الرديئة ودفع الوساوس النفسية ولو كان قادرا على قمعها بمجاهدة رياضية أو بكفاية الهمة فان هذه السيرة أعلى المراتب البهية وأولى بقواعد الملة السمحاء الحنفية ولما كان هذا الحب جعليا وعارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لا تحب الا ابتغاء المرضاة قال المصنف (وكان حبه الحقيقى المختص بذاته) أى بذات الله (فى مشاهدة جبروت مولاه) أى عظموت قدرته ومطالعة ملكوت عظمته (ومناجاته) أى فى مقام حضور حضرته بغيبته عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) أى غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) أى فرق بين المقامين الجاليلين بالجملتين من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما فى الرواية المشهورة بلفظ وقرة عينى فى الصلاة وأما ما ذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجى بين الحالين أى محبة ومناجاة وكانه قصد بهذا ان المراد بقرة عينى فى الصلاة الصلاة التى هى معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم

أو الامة (فدل) ذلك على (ان حبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لماذكر من النساء والطيب اللذين هما من دنيا غيره) أى دل ماذكر من بناء حبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم (واستعماله لذلك) بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته للجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب (ليس لدنياه) والتلذذ بها (بل لآخرته) أى استعمالها بنية العبادة التى هى من أمور الآخرة (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج) من تحصينهن وقيامه بحقوقهن وا كتسابه وهدايته لهن (وللقاء الملائكة فى الطيب) أى استعماله لاجل محبة الملائكة له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى أصحاب العزائم والهيا كل يلازمون البخور بمحبة الروحانية له (ولانه) أى الطيب (أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه) أى مما يحرك داعية الجماع ويقويها الانتعاش الروح به (ويحرك أسبابه) أى يهيج مقدماته كالشهوة والقبلة أو المراد آلته فكنى به عنها تأدبا واحتشاما وهو تعبير حسن (وكان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين الخصلتين) الجماع والطيب (لاجل غيره) أى الزوجات والملائكة عليهم الصلاة والسلام (وقمع شهوته) لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد الطيب اذا أهدى اليه وفى الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا أعطى أحدكم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف أو كل ذى رائحة طيبة *(تنبيه)* قال ابن عربى ما ورد قط عن نبى من الانبياء انه حبب اليه النساء الا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانوا رزقوا منهن كثيرا كسليمان وغيره ولكن كلامنا فى كونه حبب اليه وذلك انه كان منقطعا الى ربه عز وجل لا ينظر معه الى كونه يشغله عنه فانه مشغول بالتلقى عن الله تعالى ورعاية الادب فلا يتفرغ الى شئ دونه فحبب اليه النساء عناية منه عز وجل لهن فكان يحبهن لكون الله حببهن اليه والله جميل يحب الجمال (وكان حبه الحقيق المختص بذاته) لا لامر آخر عرفى يرجع بالآخرة الى الدين والثواب (فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته) الجبروت فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله تعالى سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقى وحيه ودعائه وقراءة القرآن وقال الدوانى فى شرح هيا كل النور الجبروت يراد به عالم العقول أى الملائكة ويسمى أيضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمى بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية أولانه جبر نقصها الامكانى بحصول ما يمكن لها بالفعل انتهى (ولذلك ميز) فرق وفصل (بين الحبين) أى حب ما هو من أمور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله (وفصل بين الحالين) أى حال المحبتين بتغيير العبارة والاسلوب كما مر (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) فاوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها كما مر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها مجبولة لذاتها فليست معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته وقرة العين ما يسر من ينظره من قر يقر بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور باردة أو

من القرار والسكون لسكونها اذ نظرت من تحب أو بنومها الان الحزين يسهر وقد قيل عيني تقر بكم عند تقربكم ولولم يغير الاسلوب قال والصلاة التى بها قرة عينى أو وقرة عينى فى الصلاة فلا يحصل التمييز بين ما حبه عرضى و بين ما حبه ذاتى وحقيقى و بهذا العدول علم انها ليست من دنياهم وهذا انما يتوهم اذا كان الحديث لفظه هكذا والمصنف رحمه الله تعالى ممن لا يقول بصحته كما سيأتى فى فصل وقاره والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام عليه قال ابن قرقول والاول أظهر (فقد ساوى) صلى الله تعالى عليه وسلم (يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فى كفاية فتنتهن) يعنى ان يحيى وعيسى صلى الله تعالى عليهما وسلم تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وهى تمكن حبهن فى القلب والاشتغال بهن عن العبادة فى مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعنه عنها فى حال من الاحوال فساواهما فى عدم الاشتغال حتى كان الوحى ينزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى فراش زوجاته واعانته خديجة رضى الله تعالى عنها فى اول أمره فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته الا أن يعد جماعه عبادة (وزاد فضيلة عليهما) أى يحيى وعيسى (بالقيام بهن) أى له صلى الله تعالى عليه وسلم فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله تعالى (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن أقدر) بالبناء للجهول اى أقدره الله تعالى (على القوة فى هذا) أى أمر النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس فى هذا دلالة على ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم أقدر منه كما توهم (واعطى الكثير منه ولهذا أبيح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من عدد الحرائر) جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيلة فجمع جمع فعيلة كما قال النابغة

حذارا على ان لا تنال مقادتى ❊ ولا نسوتى حتى يمتن حرائر

(مالم يبح لغيره) من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النساء ما شاء فى أول أمره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد على ما فى عصمته من أزواجه فقال لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله التجانى وقال مغلطاى له صلى الله تعالى عليه وسلم خصائص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح ان له صلى الله تعالى عليه وسلم الزيادة قال بعض الشراح من قال لا يزيد على التسعة استدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو خطأ بالاجماع لانه ليس معنى الآية وليست الآية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هى فى حق الامة والزيادة على الاربعة لهم ممنوعة بالاجماع الدال عليه معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستدلا عليه بهذه الآية الا بعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم فى كتاب المحلى (وقد روينا عن أنس) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث عزاه المصنف رحمه الله تعالى للنسائى وهو عند البخارى وروينا بفتح الراء والواو المخففة وما قاله الشمنى نقلا عن المزى من أنه بضم الراء وكسر الواو المشددة لا وجه له (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) أى يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله فجعله كناية عما ذكر (فى الساعة من الليل والنهار) أى مقدار ساعة منهما فقدرته صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم قيل والتبتل فى حق يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام تشبها بالملائكة كان أفضل فى زمانهما ودوره صلى الله تعالى عليه وسلم عليهن كان برضاهن فلا ينافى وجوبه فى القسم (وهن احدى عشرة) أى نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم اللاتى دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا فى صحيح البخارى من حديث أنس

رضى

(فقد ساوى) أى المصطفى (يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد) أى عليهما (فضيلة) أى كاملة (بالقيام بهن) مع انه لم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال أكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن أقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار أى ممن أعطى القدرة على قوة الشهوة بكثرة الجماع (فى هذا) أى الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (وأعطى الكثير منه) أى الحد الكثير الزائد على العادة من أمر الجماع (وقوة الباءة ولهذا أبيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (مالم يبح لغيره) أى من هذه الامة وهو الزائد على الاربع (وقد روينا) بفتح الراء والواو مخففة وبضم الراء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الراء وكسر الواو المخففة بناء على الحذف والايصال أى روى الينا (عن أنس) كما فى البخارى والنسائى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) أى يجامعهن (فى الساعة) أى الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل) أى مرة (والنهار) أى تارة (وهن) أى مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منها سريتاه مارية وريحانة فلا ينافى رواية وهن تسع

رضى الله تعالى عنه وقال ابن خزيمة لم يقل أحد من أصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام عن أبيه وعن أنس رواية أخرى فى البخارى انهن تسع وجمع بينهما بان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم كن تسعا فى ذلك الوقت كما فى رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت أمة وبعضهم قال انها زوجة وروى أبو عبيد انه كان مع ريحانة فاطمة بنت شريح وقال ابن حبان كان هذا أول ما قدم صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا الان جمع نسائه لم يقع مرة واحدة ولا يستقيم هذا الا فى آخر أمره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج احدى عشرة امرأة أولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ماذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الاحدى عشرة مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر الجمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشرة وأيضا قيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة ومارية فان قيل الرواية بلفظ النساء وهن حقيقة فى غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة فى ذلك الا اذا لم يضف للازواج الاماء كما فى الحديث وقوله تعالى والذين لا يظهرون من نسائهم فان أضيف لهم لم يتناول الاماء حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الآية على عدم صحة ظهار الاماء خلافا لمالك وقد تبعه التجانى اذ جمع بين روايتى أنس بانهن تسع حرائر واحدى عشر منكوحة وسريتان لدخول السرائر فى النساء كالآية والنساء والنسوة والنسوان جمع المرأة من غير لفظها كالقوم فى جمع المرء وقد علم ان طوافه صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه فى ساعة واحدة لا ينافى القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم تقل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجب عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعى من أئمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما للامة ولذا كان يقرع بينهن اذا أراد السفر مع أن القسم انما يجب عليه فى الحضر أو نقول هذا برضاهن مع ان هذا لا يفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار فى القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها كما فى مسلم وعليه قوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وقال المنذرى كان ممن يؤوى عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة رضى الله تعالى عنهن انتهى ومن ارجا سودة وجويرية وأم حبيبة وصفية وميمونة رضى الله عنهن أجمعين انتهى واستدل القائل بالوجوب عليه بحديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه أو لعدوله عن الافضل فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضى الله تعالى عنهن مفصل فى السير وللعلامة ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة يتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب

والواو فى قوله من الليل والنهار بمعنى أو (قال أنس رضى الله تعالى عنه وكنا نتحدث أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا) فى الجماع وهذا تتمة الحديث الذى قبله (خرجه) أى رواه مسندا (النسائى) وقد تقدم أن البخارى رواه أيضا (وروى) بالبناء للفاعل والمفعول (نحوه عن أبى رافع) أى

(قال أنس وكنا) أى معشر الصحابة (نتحدث) أى فيما اختص به صاحب النبوة من القدرة والقوة (انه أعطى قوة ثلاثين رجلا) أى فى الجماع (خرجه النسائى) أى ذكره فى سننه وهو كذا فى صحيح البخارى فى كتاب الغسل هذا وليس أحد من أصحاب الكتب الستة توفى بعد الثلثمائة الا النسائى فانه توفى فى سنة ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن أبى رافع) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أخرج الترمذى وابن ماجه فى الطهارة والنسائى فى عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه الحديث

(وعن طاوس) وهو ابن كيسان اليمانى من أبناء الفرس يقر أبوا وين قيل و يه مز قال ابن معين لقب بذلك لانه كان طاووس القراء روى عن أبى هريرة وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة (أعطى عليه الصلاة والسلام قوة أربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبيه على الارض أربعين سنة وانه مات وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه

مالك وطبقته وفى الحلية لابى نعيم عن مجاهد قوة أربعين رجلا كل رجل من رجال أهل الجنة وروى الترمذى ان رجال أهل الجنة قوة كل رجل منهم بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر لكثرة الاشتياق اليهن ثم اعلم ان قوله وعن طاوس الى آخر ماههنا زيادة على ما فى بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هى مولاة صفية عمته وهى زوج أبى رافع ودابة فاطمة الزهراء وقابلة ابراهيم بن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الصحابيات من اسمها سلمى غير هذه خمس عشرة وقد روى ابن سعد وأبو داود

عنها وعن زوجها أبى رافع عن رافع ولده منها (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) أى دار (على نسائه التسع) فرجه وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) أى اغتسل من أجل قربان كل واحدة (قبل أن يأتى الاخرى وقال هذا) الى التفريق بالغسل (أطهر) أى أنظف (وأطيب) أى ألذ وأنشط وفى رواية أحمد أزكى وأطيب فالمراد بازكى أنمى وأقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب والتزكية للباطن أى لزيادة الصفاء والضياء لان أولاهما الازالة الاخلاق الذميمة وأخراهما التحلى بالشيم الحميدة كما ذكره الدلجى فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الرديئة ومتحلية على الدوام بالشيم الرضية البهية السنية

هذا الحديث مروى عن أبى رافع أيضا فى سنن أبى داود والبيهقى والنسائى ولفظه طاف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه فى يوم أو ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وأبو رافع هذا هو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قبطى واسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال البرهان الحلبى فى الصحيح من رواية الاسمعيلى عن معاذ أعطى قوة أربعين رجلا وفى حلية أبى نعيم عن مجاهد قوة أربعين رجلا من رجال الجنة وفى الترمذى ان كل قوة رجل من رجال الجنة قوة سبعين رجلا يعنى من أهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال ابن حبان قوة كل رجل فى الجنة قوة مائة رجل والنسائى هو الامام الحافظ الحجة أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته وأصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفى فى سنة ثلاث وثلثمائة ويشبه أنه ولد سنة خمسة عشرة ومائتين ولم يبق من أصحاب الكتب الستة بعد الثلاثمائة غيره فعلى هذا قوته صلى الله تعالى عليه وسلم قوة ألوف ووقع فى بعض النسخ هنا برواية اللخمى عن المصنف (وعن طاوس أعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوة أربعين رجلا) وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليمانى وهو من أبناء الفرس وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب بطاووس لانه كان طاووس القراء وروى عن عائشة وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم رضى الله تعالى عنهم وروى عنه الزهرى والتيمى وابنه وغيرهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم (ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جنبيه على الارض أربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود توفى فى سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعى روى عنه أصحاب السنن (وقالت سلمى مولاته) بفتح السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووى رحمه الله تعالى والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم لانها خادمته وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وهى زوج أبى رافع داية فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وروى عنها ابن ابنها عبيد الله وهذا الحديث صحيح رواه أبو داود كما قاله السيوطى (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة) أى من جماع كل واحدة منهن (قبل أن يأتى الاخرى وقال هذا) أى الغسل من كل جماع (أطهر وأطيب) وروى أزكى وأطيب وأطهر أما كونه أطهر فظاهر وأما انه أطيب فلانه يقوى البدن بانعاشه وقيل أطيب للباطن وأطهر للظاهر وهذا الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها أبى رافع وفيه دليل على أن الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء الصلاة وروى عن عمر انه لازم وما ورد فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم الوضوء فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتى أحدكم أهله فليتوضأ على الوضوء اللغوى أى يغسل

(وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام) على مارواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمه ورد في رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة أو تسع وتسعين) على الشك من الراوى وفى رواية على ستين وفى أخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امرأة كلهن تاتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوقال ان شاء الله لم يحنث أى لم يفته متمناه وكان أدرك لحاجته فيما اقتضاه (وانه فعل ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولاتعارض بين هذه الروايات اذ ليس فى أثبات قليلها نفى لكثيرها ومفهوم العدد ليس بحجة عند جمهور أرباب الاصول مع احتمال تعدد الواقعات والله أعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه موقوفا (كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش) وفى نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد ابن كعب بلغنى انه (كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية) وفى المستدرك للحاكم فى ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده) أى مع كمال زهده وتورعه المفاد من قوله (وأكله من عمل يده) ويروى من يديه (تسع وتسعون امرأة) هذا هو الصواب وفى أصل التلمسانى تسعة وتسعون وفى الكشاف كان لداود أيضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج أورياء) بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة وراء مكسورة وتحتية ممدودا أى بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت أى من النساء بتزوجه اياها بعد نزول أورياء له عنها بسؤاله على ما كان من عادتهم فى زمانه أو بعد ما مات عنها زوجها لما رآها بغتة وأحب جمالها فتنة وطلب ربه مغفرة وأناب اليه معذرة هذا وقيل انها أم سليمان عليه الصلاة والسلام

فرجه وهذا بناء على ان الوضوء لايستحب كما قاله أبو يوسف وذهب بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد فى الحديث (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وانه فعل ذلك) أى الطواف عليهن وجماعهن كما قال وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن يأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال صاحبه أو الملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن بولد الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوقال ان شاء الله تعالى لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفى رواية على ستين امرأة وفى رواية على تسعين امرأة وفى أخرى على سبعين وفى رواية على تسعة وتسعين امرأة وستأتى الزيادة ومافيها قالوا ولاتعارض بين الروايات لان اثبات القليل لاينفى الكثير والعدد لامفهوم له ثم هذه النساء ان كانت اماء أو بعضها حرائر وبعضها اماء فلا اشكال وان كانت حرائر فلان الحصر فى الاربع لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشئ وأطاف به اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف اللغتين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن وفى الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما كون سليمان عليه الصلاة والسلام لم يقله وانه نسيه فسيذكره المصنف رحمه الله تعالى فى أول القسم الثالث وقوله فى الحديث لم يحنث يعنى لم يأثم ويخطئ لانه فعله وليس المقسم عليه الولد لانه ليس فى قدرته ومثله لايخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل وفى البخارى بدله كان ارجاء لحاجته وسليمان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمره ونسبه مفصل فى القصص والتواريخ (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام ماء مائة رجل) المراد بالماء المنى ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكروه فى قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب والمراد ان له قوة مائة رجل فى الجماع (وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (وغيره) انه كان له (سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية) وروى أن له ألف امرأة وتسعمائة سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما أجابوا به عنه الا أن بعضهم ضعفه وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها على الحرائر والسرارى ولايخفى مافيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا الاعتبار لكان أظهر وفى تفسير النسفى عكس ماحكى المصنف رحمه الله تعالى عن النقاش فقال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكذا فى الكشاف والله أعلم بالصواب (وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده) لان الله تعالى ألان له الحديد فكان يصنع منها الدروع ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك وأفضل ما أنفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا فى الافضل منها وفصلوه فى كتب الفقه والحديث بما لامزيد عليه ولاحاجة هنا اليه (تسع وتسعون امرأة) كما ذكره القشيرى فى تفسيره (وتمت بزوج أورياء مائة) بالرفع

والنصب فالرفع ظاهر على الفاعلية والنصب على أن يكون الفاعل العدة وهو مضمر ويجوز النصب على الحال منها أى وتمت العدة فى حال كونها امانة يقال للكل قرنين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة رديئة واوريا علم لرجل من بنى اسرائيل عبرانى واختلفوا فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل مم. ودة وقيل مقصورة وهمزته مضمومة وواوه ساكنة وراؤه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها ألف وقيل همزته مفتوحة وهو أوريا بن حنان وقال أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب النساء هو أوريا السعدى وزوجته هى أم سليمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقصته هى المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقصته سيأتى بمافيها فى القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما فى بعض الشروح وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان فى ملأ من بنى اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لايخاف الفتنة ويقال انه قال للملكين الحافظين له انى لا أوقع فى مكروه غبتما أو حضرتما وانفرد فى محرابه يوما فوقع بين يديه طائر حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده ليأخذه فنزل من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فرأى امرأة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به أرسلت شعر ذوائبها التستر ها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسأل عنها فقالوا انها امرأة رجل من جندك يسمى أوريا وكان مع جيش له بعثوا للقتال فارسل لاميره ان يجعله مع التابوت فى المقدمة وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جاء خبر الشهداء كان كلما أخبر برجل منهم توجع فلما أخبر به قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امرأته وتزوجها فولدت له سليمان عليه الصلاة والسلام فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان مافعله ظلم وهو أشد عليه فتسورا حائطه ودخلا عليه ففزع منهما الخوف انهما من أهل مملكته بغاة لان التسور فى العادة كذلك لانه كان ليلا بلا استئذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف وقصا أمرهما وقالا له أحكم ولا تجر كما قصه الله تعالى وقررا كلامهما على لسان أوريا وقوله تعالى اكفلنيها أى اجعلها فى كفالتى أو اكفل بمعنى زوجنى والنعجة كناية عن المرأة وقوله عزنى أى غلبنى لغلبته على وقهره فقال داود لخصمه ماتقول فاقر فزجره وأمره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسماء فشعر بما أرادا وقيل بيناله مافعل وعرفاه ان ماقالاه تمثيل له فخر ساجدا فغفر الله تعالى فقال يارب ما أصنع اذا طالبنى بدمه فقال استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما افتراه القصاص وأهل الكتاب حتى روى عن على كرم الله وجهه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلاة والسلام عنده والمعتمد ان داود عليه الصلاة والسلام رأى امرأته فاعجبته فسأله تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها ومثله فى شرعهم جائز وقد كان مثله فى صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسيأتى بقية الكلام على هذا (وقد نبه الله) عز وجل (على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة الآية) حكاية عن الخصمين اللذين نزلا انفسهما منزلة أوريا ونزل احدهما الآخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

تشديد الظلمة والعرب تكنى عن المرأة بالنعجة وهى فى الاصل أنثى الضأن تاؤها التأكيد التأنيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية أيضا فاستعيرت للمرأة كما استعيرت لها الشاة فى قوله

يا شاة ماقنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وفى مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد تأكيد التأنيث أو لبيان ان المراد كحديث فلاولى رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امرأة مؤنثة يستأنس بها زوجها وضدها امرأة مذكرة وهى التى لا تلين لزوجها ولا يأنس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه فانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ماعنده (وفى حديث أنس عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه الدارقطنى فى الاوسط

(وقد نبه) أى الله سبحانه وتعالى (على ذلك) أى على ماذكر من العدد (فى الكتاب العزيز بقوله تعالى) أى حكاية عن لسان احد الملكين اللذين أتياه فى صورة الخصمين (ان هذا أخى) أى فى الدين (له تسع وتسعون نعجة) وهى الانثى من الضأن وقعت ههنا كناية عن المرأة فان الكناية أبلغ من الصراحة من حيث التأثير مع مافيه من مراعاة الادب فى التعبير لاسيما وهو فى مقام التعبير (وفى حديث أنس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام

بسند

قضلت على الناس باربع) أي من الخصال (بالسخاء) أي الكرم والجود مع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى الاعداء (وكثرة الجماع) أي للنساء (وقوة البطش) أي الاخذ حال العطاء وأما تفسيره بالاخذ الشديد بقوة كما ذكره بعضهم فلا يخفى انه لا يناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لا خصلة مستقلة من الاربع (وأما الجاه) أي الذي يتوسل به الى مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) أي مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق الشريعة حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) أي

جاه الشخص في العيون (عظمه) بكسر ففتح فضمير أي عظمته (في القلوب) أي قلوب الخلق أو بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته في قلوب الخلق ويدل عليه أنه عليه السلام أخذ من أبي جهل للاراشي ثمن ابله التي اشتراها أبو جهل منه ومطله فقالت قريش لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذالك له وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الا ان ضرب بابي وسمعت صوته فلئت رعبا (وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) أي ذا جاه ووجاهة عظيمة (في الدنيا والآخرة) أي عند أهلهما أو في الدنيا بالرسالة وفي العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس) وفي رواية ببعض الناس (لعقبى الآخرة) أي في الآخرة التي هي عقبى كما قال تعالى

(٥٩ شفا ل) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) أي فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه من ذمه ومدح ضده) أي من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد في الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء المعجمة ضد الشهرة كما ورد في حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وفي الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو في الارض) أي وورد في الشرع ذم الجاه والشهرة كما في الحديث ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفي رواية من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه

بسند جيد كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى انه قال (فضلت) بالتشديد والبناء للمجهول (على الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش) البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ماء الحياة يصب في الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تضعف قوته وانه من آياته وسيأتي معنى السخاء والشجاعة (وأما الجاه) وهو كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال أربابها في مقاصده وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد الارقاء (فمحمود عند العقلاء عادة) منصوب على الظرفية أو الحالية أي جرت عادة العقلاء بحمده ويجوز جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمودا عقلا يقتضي انه محمود شرعا بحسب ذاته وأصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس وهو أعظم نفعا من المال لان المال يكسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال (وبقدر جاهه) أي الانسان ذي الجاه يعظم في القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بلواء الحمد يكون (عظمه) بكسر العين وفتح الظاء المشالة وفي آخره هاء الضمير كما قاله البرهان الحلبي (في القلوب) لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه في قلوب الناس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند أعدائه ثم أيد كونه محمودا بقوله (وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها في الدنيا والآخرة) أي عظيما ذا جاه عند الله في الدارين وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان أصله وجه فوزنه عفل ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كلمة في قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك على كونه محمودا بدفع ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال (لكن آفاته كثيرة) جمع آفة وهي العاهة والمفسدة أي يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما كثيرا (فهو مضر لبعض الناس) باعتبار ما يعرض له (لعقبى الآخرة) باعتبار ما يعقبه ويترتب عليه في الآخرة فاللام لتقييد التأقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز أن تكون تعليلية (فلذلك) أي لضرره في العاقبة (ذمه من ذمه ومدح ضده) وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس أي انما ذمه من ذمه لهذا لا لانه في نفسه أمر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله في الاحياء فقال طلب رفعة المنزلة في القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه في الآخرة جائز ممدوح كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه أو دنياه رواه البيهقي (وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض) معطوف على قوله ذمه وهذا كما في الحديث

والمال مضران لارباب الكمال الجامعين بين العلم والعمل والحال (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) أى الوقار
والهيبة (والمكانة) أى التمكن فى مرتبة الجلالة (فى القلوب والعظمة) أى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند
الجاهلية) كما مر عن أبى جهل فى تلك القضية وما روى عنه أيضا أنه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثالث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث وأعطى ثمنه أرامل بنى عبد المطلب وأبو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكرهه فقال لا أعود يا محمد فقال له أمية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لو خالفته لكانت اياها أى لاهلكونى (وبعدها) أى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف أى والحال ان أهل الجاهلية ينسبونه الى الكذب ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه (فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها وسكون
الفاء أى مخفيا لما تمكن من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) أى قابلهم علانية (أعظموا جهرة
أمره) أى حشموا واقدره (وقضوا حاجته) أى مقصده اليهم فى سيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معه فلا ينافى ما وقع من وضع أبى
جهل سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (وأخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) أى فى محله ان شاء الله سبحانه وتعالى

ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وان كان العلو فى الآية مقيدا بصفة زائدة عليه من ظلم أو غيره والخمول بضم الخاء المعجمة وفتحها خطأ ضد الظهور وكون الخمول فضيلة ممدوحة لا يضر مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لم يرضوه والخلفاء الراشدين والائمة العلماء فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل أفضل من الخمول فى حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسلامة طويته ولذا قال الله لا يريدون علوا فى الارض دون يعلمون ومن لم يقدر ويصبر على ذلك فالخمول فى حقه أحسن كما أشار اليه فى الاحياء واليه الاشارة فى حديث المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ولذا قال الشاعر

من أراد العز والرا * حة فى الدهر الطويل
فليكن فردا من النا * س ويرضى بالخمول
ويرى ان قليلا * كافيا غير قليل

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) أراد بالحشمة المهابة والعظمة فى أعين الناس ولذا عطفه عليه (والمكانة) وهى المنزلة الرفيعة رفعة معنوية كالعطف التفسيرى وتبع فى هذا الاستعمال المشهور لانها وردت فى كلام الناس بمعنى الاستحياء فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما فى شرح أدب الكاتب لابن السيد ان الحشمة تضعها الناس موضع الاستحياء وعليه قول المتنبى
* ضيف ألم برأسى غير محتشم * وليس كذلك انما هى الغضب يقال هذا مما يحشمه أى يغضبه وهذا قول الاصمعى وهو المشهور وذكر غيره انها تكون بمعنى الاستحياء وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال طاعم حشمة وقال الطرماح

ورأيت الشريف فى أعين النا * س وضيعا وقل منه احتشامى

انتهى (فى القلوب والعظمة) معطوف على الحشمة (قبل النبوة عند الجاهلية) أى عند أهل الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والمبعث وتطلق على ما كان قبل البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووى فى شرح مسلم فان أضيف للشخص أريد به ما قبل اسلامه وقد يراد بها ما قبل فتح مكة (وبعدها) أى بعد النبوة (وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها كما قاله البرهان لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عندهم وعظمته فى قلوبهم لا يواجهونه بما يؤذونه وهو منصوب بمفعول مطلق لمذكور أو مقدر أو حال (حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) وهذا بالنسبة لما فى نفس الامر وأكثر الاحوال كما روى عن أبى جهل لعنه الله أنه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خير ابله بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث وأعطى ثمنه أرامل بنى عبد المطلب وأبو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا أعود يا محمد فقال له أمية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه لقد رأيت رجالا عن يمينه ويساره يشرعون رماحهم الى لو خالفته لكانت اياها أى لاهلكونى فى وقائع أخرى مثلها وهذا لا ينافى انهم فى بعض الاحيان قد آذوه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر من البهت وهو الحيرة وفعله كعلم ونصر وكرم
وغنى وهو أفصح فيجوز بناؤه على الفاعل أيضا أى يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الياء والراء أى يخاف ويفزع (لرؤيته) وفى
نسخة من رؤيته (من لم يره) لما ألقى عليه من الهيبة والعظمة فى قلوبهم (كما روى عن قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية

جهرة كوضعهم الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم له فى قصة الاسراء وقول أبى جهل
لابى طالب عند موته لاتطعه أترغب عن ملة عبد المطلب وتحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
أحيانا الذلك لحكمة تظهر بها غيرة الله وأمره بمقاتلتهم (وقد كان يبهت) ثلاثى مبنى للفاعل أو المفعول
بمعنى يتحير ويدهش كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر (ويفرق لرؤيته) بالبناء للفاعل من باب علم أى
يخاف (من لم يره) فاعله (كما روى عن قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء وفى
الصحابيات من يقال له قيلة ثلاث قيلة أم بنى انمار ويقال أخت بنى انمار وقيلة الخزاعية أم سباع وقيلة
بنت مخرمة العنبرية وقيل العنزية نسبة لعنزة بنون وزاء معجمة مفتوحتين وقيلة الغنوية بفتح الغين
المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها مذكور فى شمائل الترمذى وفى سنن
أبى داود وأخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطى وهو أنها رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد
وهو قاعد القرفصا قالت فلما رأيته متخشعا فى الجلسة أرعدت من الفرق وهذا هو المراد وان اختلف
بعض لفظه وقال التجانى هى ابنة مخرمة الغلوية أو العنزية ويقال بل التميمية ولا تنافى بين الاخير
وغيره لان العنبرية نسبة لبنى العنبر والعنبر أبو حى من تميم كما ان العنزة حى من ربيعة بن نزار وفى مثل هذه
القصة وقعت لعمر رضى الله عنه وكان مهيبا وقوله (انها لما رأته) صلى الله عليه وسلم (أرعدت) بضم
الهمزة وسكون الراء وكسر العين وفتح الدال المهملات مبنى للمجهول أى لحقتها رعدة من الخوف وقوله
(من الفرق) بفتحتين وهو شدة الخوف وفى نسخة ارتعدت (فقال) صلى الله عليه وسلم لها (يامسكينة
عليك السكينة) وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة أى الزمى الاطمئنان وعدم
الخوف والسكينة ثبت فى النسخ المعتمدة بالرفع على انها مبتدأ وخبر والجملة خبرية مراد بها الامر أى
أسكنى وبالنصب أى الزمى السكينة للاغراء أو عليك اسم فعل بمعنى الزمى ولم يثبت هنا ماقيل انما أنا ابن
امرأة من قريش تاكل القديد وبين سكينة ومسكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح
وحق مسكينة ان لاتلحقها الهاء لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لاتلحقه التاء لكنه حمل على فقيرة
وسكينة بالفتح والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وهو قليل جدا (وفى حديث أبى مسعود) رضى الله
تعالى عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه البدرى كما فى البخارى
وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه لم يصح انه شهد بدرا وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها
فهو بدرى دار الاحضورا وبهذا يحصل الجمع بين القولين وروى عنه أيضا أحمد وأصحاب السنن ومات
سنة أربعين أو احدى أو اثنتين وأربعين وهذا الحديث رواه البيهقى من طريق قيس عنه موصولا وعن
قيس مرسلا وقال هو المحفوظ وأخرج الحاكم مثله وصححه (ان رجلا قام بين يديه) صلى الله تعالى عليه
وسلم (فارعد) بضم الهمزة وكسر العين المهملة أى أخذته رعدة من خوفه وفى رواية أتى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم برجل فكلمه فجعلت ترعد فرائصه بالفاء والصاد المهملة كالفرائض بالمعجمة
وهى لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخائف (فقال له هون عليك فانى لست بملك الحديث) وتمامه
وانما أنا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة أمر من الهون وهو الامر الهين
السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لاتخف قال

فهون عليك فان الامور * بكف الاله مقاديرها

وهى بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته أرعدت) بصيغة المجهول أى أخذتها الرعدة بكسر الراء وهى اضطراب (المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت من الفرق) بفتحتين وهو الخوف ورواية أبى داود والترمذى فى الشمائل عن عبد الله ابن حسان عن جدته عنها انها رأته فى المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع فى الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يامسكينة عليك السكينة) بالنصب أى الزمى الطمانينة وفى رواية بالرفع أى السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا انما ثبت فى بعض النسخ (انما أنا ابن امرأة تاكل) القديد وذلك غير صحيح على ماذكره التلمسانى والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين مخففة هو الفصيح (وفى حديث أبى مسعود) أى عقبة بن عمرو الانصارى كما رواه
البيهقى عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) أى قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم
(فارعد فقال له هون) أى سهل أمرك (عليك فانى لست بملك) بكسر اللام وقيل وتسكن أى بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع
منى (الحديث) أى الخ ولم يذكره لطوله

(فاماعظيم قدره بالنبوة) وهى أخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهى ايصال الفيض الى الخلق (وانافة رتبته) بكسر الهمزة وبالفاء وفى نسخة بالباء والنون أى رفعة رتبته وزيادتها أو ظهورها (بالاصطفاء) أى على سائر الانبياء (والكرامة فى الدنيا) أى بانواع المعجزة منها الاسراء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامره ومبلغ النهاية) من أثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم) كما فى حديث البخارى أنا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذى هو أفضل أنواع المخلوقات بدليل حديث البخارى أيضا أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد فى بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لان يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) أى الاخير (نظمنا هذا القسم) يعنى الاول (باسره) أى جميعه فى سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منفية (فصل * وأما الضرب الثالث) أى مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النية (ما تختلف الحالات فى التمدح به) أى بنفسه أو بكثرته (والتفاخر بسببه) أى فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) أى عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح فى بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) أى على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (بسببه) (معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه أسيرة (لاعتقادها توصله به) أى توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) أى قضاء مهمات صاحبه وفى نسخة حاجته (وتمكن أغراضه) بالغين المعجمة وتمكن بالرفع أو الجر

ولا وجه لتفسيره باقتصد فى الهيبة ولا تبالغ فى التعظيم وملك بفتح الميم وكسر اللام ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعنى لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف منى لان جبريل عليه السلام جاء من الله وخيره بين أن يكون ملكا نبيا وعبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا ولم يرض بوصفه بالملك وكذا الخلفاء الاربعة وأول من ملك فى الاسلام معاوية رضى الله تعالى عنه فلا وجه لقول بعضهم هنا ان هذا الاينافى انه ظهر ملكه وان كان ملكه نبوة فانه لم يرد الا نفى انه ملك كسائر الملوك عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه أحد من شراح الحديث (فاماعظيم قدره بالنبوة) أى وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم مالا يخفى (وشريف منزلته بالرسالة) جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين الله تعالى وخلقه وفى تأهيله لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه عن اتصاله بالملأ الاعلى (وانافة رتبته بالاصطفاء) لانافة بالنون والفاء بمعنى الاعلاء والاشراف على ما تحته والمراد بالاصطفاء ولايته وهى أقرب مقاماته من الله تعالى عز وجل لتمحيصها للطرف الاعلى ولذا جعلها مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة أعلى الجبل كما فى الصحاح فتفطن لتعبيره أولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة بمصادفة ذلك لمحزه وفى نسخة بدل انافة انابة بالنون والموحدة (والكرامة فى الدنيا) خصها الانها محل ظهور أمره صلى الله تعالى عليه وسلم والا فذلك فى الآخرة مما لا شبهة فيه كما سيذكره (فامره ومبلغ النهاية) أى ليس فوقه مرتبة أخرى يكون نهاية أى هو نهاية النهاية (ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم) عطفه بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا بعض من حديث البخارى وهو أنا سيد ولد آدم ولا فخر وتقدم ان قوله ولا فخر سقط من بعض نسخ الشفاء وثبت فى بعضها قيل وهو الاكثر الاولى لانه هنا من كلام المصنف رحمه الله لا من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أثبته فهو حكاية كما قاله التلمسانى وفيه نظر والمراد أنا أشرف هذا النوع آدم وولده لما ورد آدم ومن دونه تحت لوائى ومر فى معنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للافتخار ومدح نفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله تعالى أو المراد أنى لا أفتخر بهذا فان لى ما هو أعظم منه من المنزلة عند ربى ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير أمة لانه يلزم من تفضيل أمته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم لان أجر أعمالهم له (وعلى معنى هذا الفصل) المشتمل على أوصاف يتمدح بكثرتها ويتميز باستئثاره بها (نظمنا هذا القسم) الاول من الكتاب أى جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوى على اللآلى والفرائد كناية وأثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك أن تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاما عظيم قدره الى آخره (باسره) أى جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربطه ويطلق على ما يربط به فاذا قيل خذ الاسير برباطة فالمراد خذه بجميع ماله ثم تجوز به عن معنى الجميع (فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات) جمع حالة والحالة تذكر وتؤنث والغالب عليها التانيث (فى التمدح به) هو تفعل للكثرة أو بمعنى المجرد لا للتكلف (والتفاخر بسببه) بين الناس (والتفضيل) من الناس لصاحبه (لاجله) غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار فى مقام اسهاب الخطابة (ككثرة المال) ثم بين اختلاف الناس فيه فقال (فصاحبه على الجملة) هذا كما يقال فى الجملة والمال انه أحيانا الافى كل حال (معظم عند العامة) أى عوام الناس أو أكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه (لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن أغراضه) مجرور معطوف على حاجاته

(بسببه والا) أى وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة فى الجملة (فليس) أى المال (فضيلة) وفى نسخة فضيلته (فى نفسه) أى فى حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فتى كان المال بهذه الصورة) أى من قضاء الا مال (وصاحبه منفقاله فى مهماته ومهمات من اعتراه) أى غشيه واعترضه (وأمله) بتشديد الميم أى ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

أملتهم ثم تاملتهم * فلاح لى ان ليس فيهم فلاح

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر تقله والناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجر أى وتصرفه بوضعه (فى مواضعه) اللائقة به (مشتريا به المعالى) جمع معلاة أى مستبدلا به المفاخر العالية ومختارا به الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) أى الجاه والمرتبة (من القلوب) وفى نسخة فى القلوب (كان) أى المال (فضيلة فى صاحبه) أى فى الجملة (عند أهل الدنيا) أى من العامة مع انه لاعبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه فى وجوه البر) أى الطاعة والاحسان (وأنفقه فى سبل الخير) وفى نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) أى الصرف (الله تعالى) أى رضاه مآبا (والدار الآخرة) أى ثوابا (كان) أى ماله (فضيلة) أى لما يؤدى الى الفضيلة (عند الكل) أى الخاصة والعامة (بكل حال) أى مطلقا لافى الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكاله) من الامساك أى بخيلا به (غيره وجهه وجوهه) أى غير منفقه ومصرفه فى وجوه ماذكر من صرفه فى مهماته ومهمات من تامل منه قضاء حاجاته أو اكتساب محمدة أو اجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا فى منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر أى رجع كثيره وفى نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر واماقول التلمساني يصح بفتح الكاف والراء وضم التاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره أو مشبها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لامال له وقد ورد الدنيا دار من لادار له ومال من لا مال له وجمع من لاعقل له وقد ورد ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير فى كفه فقال اله لك هى قال نعم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يديك يعنى ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحد اذ لانفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى

(بسببه) أى المال (والا) أى وان لم يكن ذلك أو ان لم يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه أحد وأقيم بسببه مقامه وهو قوله (فليس له فضيلة فى نفسه) ثم فسر ما أجمله فقال (فتى كان المال بهذه الصورة) أى مصروفا فى هذه المصارف (وصاحبه منفقاله فى مهماته ومهمات من اعتراه) بمهملتين بينهما مثناة فوقية أى من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وأرباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل

يالهف نفسى على مال أجود به * على المقلين أرباب المروآت

(وأمله) أى رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ أمه بمعنى قصده صح ولكن لايساعده الرسم كما قيل من أمله يقال ما أمله (وتصريفه فى مواضعه) تصريفه مرفوع معطوف على المال أى كان تصريفه فى مواضعه أى تصرفه واقع موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهما سواء معنى ويجوز جره عطفا على مهماته وكذا ضبط بالقلم فى بعض النسخ أى ان صاحبه منفقاله فى مهماته ومنفقاله فى تصريفه فى موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل أى ضمير صاحبه وللمفعول أى ضمير ماله والاول أولى لقوله (مشتريا به المعالى والثناء) الذكر الجميل (الحسن) فانه حال منه أى حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالى الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالى جمع معلاة وهى الجاه والرتب العالية والثناء الذكر الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشتراء أمر نفيس كما فى قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ومثل هذه الاستعارة شائع فى الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة مؤكدة (والمنزلة من القلوب) أى كونه له مهابة وعظمة فى قلوب الناس لانها جبلت على حب من أحسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالى مفعول الحال (كان فضيلة فى صاحبه عند أهل الدنيا) جواب متى المسبب عنه وقيده بقوله عند أهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند الله أيضا (واذا صرفه فى وجوه البر) أى اذا صرف المال فى أنواع الاحسان كالصدقة والهبة والهدية فالوجوه بمعنى الجهات أو هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية أو مكنية (وأنفقه فى سبيل الخير) أى فى طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم (وقصد بذلك) المذكور من الصرف والانفاق أو المصروف والمنفق (الله والدار الآخرة) أى قصد ان يكون ذلك لله وثواب الآخرة (كان فضيلة) أى أمرا فاضلا محمودا (عند الكل) أى كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة ومر ان ادخال أل على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لاياباه (بكل حال) أى سواء اكتسب به المعالى والثناء أم لا (ومتى كان صاحبه ممسكاله) أى لا يصرفه فى مصارفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له (غير موجهه وجوهه) أى غير صارف له فى مصارفه من مهماته ووجوه الخير (حريصا على جمعه عاد) أى رجع أو صار (كثره كالعدم) الكثر

عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت يعنى ان المال الذى لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة فى عين المال بل فيه الوبال فى المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها أى وكان المال نقيصة (فى صاحبه) أى فى حقه دنيا وأخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) أى ٤٧٠ المال (به) أى بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى أى

طريقها المستوية تقول العرب من ملك الجدد أمن العثار وبضم الجيم جمع جدة كمدة أى طرقها من الجادة التى تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض أى طرائق واما ما ضبط فى بعض النسخ والحواشى بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد على ما فى القاموس (بل أوقعه) أى ماله عند ماله (فى هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو مفتوحة أى فى وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قراءتان فى السبع (ومذلة) وفى نسخة ومذمة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة أى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفى نسخة بالنون والفاء فصيحة معربة عن شرط مقدر أى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) أى تمدح صاحبه لنفسه ويروى المتمدح (بالمال) أى على توهم الكمال (وفضيلته) أى وفضيلة المال أو صاحبه (عند مفضليه) اذا أى مرجحيه من العامة وفى نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) أى ذاته (وانما هو) أى المال أو التمدح به (للتوصل به الى غيره وتصريفه) بالجر أى انفاقه (فى متصرفاته) بفتح الراء أى فى محاله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) أى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) أى من أنواع البر وأصناف الخير (غير ملئ) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة ويجوز ابدالها واوا وادغامها أى غير ثقة

كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام أهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم أبلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل عنه وان كانت القلة تكون بمعنى العدم أيضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره حارس لنعمته يستعجل الفقر الذى هرب منه ويفوته الغنى الذى طلبه فيعيش عيش الفقراء ويحاسب عليه حساب الاغنياء كما قيل وقدم

يفنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث ما يدع

كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(وكان منقصة فى صاحبه) لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا (ولم يقف على جدد السلامة) أى لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم ودالين مهملتين أولاهما مفتوحة وهى الارض الصلبة وفى المثل من سلك الجدد أمن العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط فى النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله تعالى فمن قال انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جديد فلا وجه له وفى بعض الحواشى انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد أى طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض أى طريق وهو صحيح أيضا ومنه ركب فلان جدده فى الامر أى رأى فيه رأيا ظاهرا ولم يقف فى أمر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع أو صرف ما جمعه فى مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك كما أشار اليه بقوله (بل أوقعه) ماله الذى جمعه وبخل به (فى هوة) بضم الهاء وتشديد الواو وهى الاهوية الحفرة العميقة وهو مضاف لقوله (رذيلة البخل) أى أوقعه فى وهدة دناءته وخسته التى حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذى قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويأمن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من أتاها (ومذمة النذالة) هى بالنون والذال المعجمة الدناءة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة أو على هوة وهذه من آفات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه فى نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله (فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله) أى عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها (ليست لنفسه) من حيث هى (وانما هو) أى التمدح به (بالتوصل به الى غيره) من الثناء الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله (وتصريفه فى متصرفاته) وفى الحديث يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه

الا انما مالى الذى هو منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه

(فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) بصرفه فى مهماته ومهمات من أمله (ولا وجهه وجوهه) من أنواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم فى كل منهما (غير ملئ) أى غير غنى يقال ملؤ ملاءة وملاء بالمد

بالحقيقة) أى فى نفس الامر (ولاغنى بالمعنى) أى بل بمجرد الصورة والمبنى فكأنه فاقد لاواجد (ولاممتدح) وفى نسخة ولاممدح بالمفعولين أى ولاممدوح (عند أحد من العقلاء) فضلا من العلماء والفضلاء (بل هو فقير أبدا) أى بقلبه ولو كان غنيا بيده كما قال المتنبي
ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر
(غير واصل الى غرض من أغراضه) أى لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد أو التخفيف (لما) وفى نسخة اليها أى الذى من شأنه أن يوصل صاحبه الى أغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول أى لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) أى حافظه (ولامال له) أى الاوديعة عنه (فكانه ليس فى يده منه شئ) أى من الاشياء (والمنفق) أى فى وجوه البر والخير من صدقة وصلة (ملئ) أى ثقة (غنى) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق فى يده من المال شئ) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى فى حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى طريقته (وخلقه) أى سجيته (فى المال) أى فى حق أخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم أى تعلمه (قد أوتى خزائن الارض) أى عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) أى أعطيت له وفى نسخة رواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى أمته بعده وجباية أموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ماغلق عليه من أبوابها وقد روى مرفوعا فى صحيح مسلم بينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى أى فى تصرفى وتصرف أمتى

اذا استغنى (بالحقيقة) أى فى نفس الامر لان الغناء هو المغنى لصاحبه عما سواه وهو محتاج ولغيره فى اكتسابه وقد قال الحكماء الغنى هو الذى لايحتاج فى ذاته وكماله الى شئ (ولاغنى بالمعنى) المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكأنه فقير (ولامتمدح به) بفتح الدال (عند أحد من العقلاء) بالجر معطوف على ملى أى من كمل عقله لايمدح بمثله (بل هو فقير أبدا غير واصل الى غرض من أغراضه)

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه به مايريد كما أشار اليه بقوله (اذ ما بيده) أى فى ملكه وتصرفه (من المال الموصل لها) بكسر الصاد مخففة ومشددة أى اغراضه (لم يسلط عليه) بالتشديد والبناء للمجهول أى لم يرزقه الله تعالى ويقدراه الانفاق منه فى أغراضه (فاشبه خازن مال غيره) فى حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه (ولامال له) جملة حالية من خازن (فكانه) أى صاحب المال (ليس فى يده شئ منه) كما قيل

اذا كنت جماعا المالك ممسكا * فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

ولمحمود الوراق

تمتع بمالك قبل الممات * والافلا مال ان أنت متا
شقيت به ثم خلفته * لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكاء * وجدت عليهم بما قد جمعتا
وأرهنتهم كل مافى يديكا * وخلوك رهنا بما قد كسبتا

(والمنفق ملئ غنى بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده من المال شئ) فالممسك كما انه فقير بالقوة فكذا المنفق غنى بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل

وانى لارجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وهذا كله توطئة لبيان أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة للمال عدما ووجودا كما قال (فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى طريقته وهديه (وخلقه) بضمتين أوضم فسكون (فى المال) أى فى شأن المال وماله بالنسبة اليه (تجده قد أوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد) أى آتاه الله تعالى ذلك كما ورد فى الحديث الصحيح بينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى وفى كتاب الوفاء عن جابر رضى الله تعالى عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس واليه أشار الصرصرى رحمه الله تعالى بقوله

بعثت مقاليد الكنوز جميعها * تهدى اليه على سراة حصان
جعلت عليه قطيفة من سندس * فله استقام الزهد عن امكان

ومثله ثابت من طريق عديدة وهذا يدل على ان الله تعالى أعطاه ذلك حقيقة وخزائن الارض دفائنها ومعادنها بان يطلعه الله عليها وتجعل الملائكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها فى يده عرفا وأما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزائن فكذلك وان كانت جمع مفتح أو مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاؤها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل

(وأحلت له الغنائم) أي لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت أو بفتح أوله وكسر ثانيه أي والحال انه لم تبح (لنبي قبله) اذجاء في الآثار انهم كانوا يجمعون الغنائم فتأتي نار من السماء فتأكلها وفي حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا وذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمي به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج وتنوا المعتبر لكونه بمنزلة المنبر (وجميع جزيرة العرب) وهي ما بين أقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وقيل هي المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما داني ذلك) أي ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشأم) بالهمز الساكن وابداله ألفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طيئ من نحو القبلة الى بحر الروم وما سامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر في تاريخه دخل الشام عشرة آلاف عين رأت صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة وأما قول الحلبي قد دخله عليه الصلاة والسلام أربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق أصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حران (والعراق) أي عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسي معرب وقيل سمي المكان عراقا لكثرة عروق أشجاره (وجلبت اليه) ويروي وجلب وروي وجبيت أي وجيء له الاموال

انه كناية عن فتح البلاد على أمته وجباية أموالهم والمغاتح روي في الصحيح بدون ياء جمع مفتح وروي بياء في كلام المصنف جمع مفتاح والاول أفصح كما قيل (وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله) الغنيمة ما يؤخذ من الكفار وكذا الفيء وفرق الفقهاء بينهما بان الفيء ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله أو بعده وقد تستعمل كل منهما بمعنى الآخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك كل ما يحصل من أهل الحرب كالقرب من الذبائح تنزل نار من السماء فتحرقه ان قبل * فان قلت كيف هذا وقد كان لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام سراري ولاشك انها تحصل من أهل الحرب غنيمة حتى تملك * قلت قالوا ان الذي كانت تأكله النار سهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون سهام الامة وقرابتهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كداود عليه الصلاة والسلام من أمته شيئا منها كان له ذكره ابن الجوزي رحمه الله في الوفاء (وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز) الحجاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة أو بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة والطائف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي (واليمن) وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة أو ليمنه أو لانه عن يمين الشمس (وجميع جزيرة العرب) الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه عند المد وجزيرة العرب ما بين أقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى أطراف الشام عرضا عند الاصمعي ومن حفر أبي موسى الى أقصى اليمن طولا ومن رمل قبرس الى منقطع السماوة عند أبي عبيدة وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع أقوال أخر وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات أحاطت بها (وما داني ذلك) أي قرب منه أو من جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه (من الشام والعراق) أما الشام فبهمزة وتبدل ألفا وقد تمد همزته فيقال شآم وبعضهم أبى هذا ويذكر ويؤنث كغيره من أسماء البلدان وينسب اليه شامي بهمزة وألف وشآمي بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امرأة شامة وشامية مخففا ووجه تسميتها بذلك انها عن شمال الكعبة أو لانه يتشأم بها قوم أو باسم صاحبها وهو سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام فعربت بابدال السين شينا معجمة وأنكر بعضهم هذا وقال انه لم ينزلها سام قط وانما سميت بها لان في أرضها شامات حمرا وسودا وبيضا وحده من العريش الى الفرات أو الى نابلس طولا وعرضه من جبل اجا وسلمى الى بحر الروم وما يسامته وقد دخله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا أنه لم يدخل دمشق وقيل دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى وطوله من تكريت الى عبادان وهي قرية ولذا قيل في المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه من القادسية الى حلوان ودجلة حده جانبها الايمن للعراق واليسار لفارس وأما عراق العجم وهو اقليم خراسان ولفظ العراق عربي وقيل انه معرب ايران وفيه كلام ليس هذا محله واليمن فتحها علي رضي الله تعالى عنه في سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم أهلها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما فصل في السير والتواريخ ومن لم يقف على هذا قال انها انما فتحت في زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه لكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوتي مفاتيحها ووعد بفتحها (وجلبت اليه) بالبناء للمفعول نائب فاعله ما لا يجيء الآتي وأنثه باعتبار المعنى وهو

الاموال (من اخماسها) أي غنائمها الان الغنائم تجعل خمسة أجزاء خمس للامام وأربعة أخماس للجند أو المراد نفس الخمس لانه الذي يختص به (وجزيتها) بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الرؤس سمي بها لانها تجزى أو من المجازاة أو من الاجزاء بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت وأحكامها تفصيلا في كتب الفقه (وصدقاتها) المراد ما كان يؤخذ من الزكاة كبيت المال لانه يسمى صدقة (مالايجبى) أي يجمع يقال جباه اذا جمعه (للملوك الابعضه وهادته) أي أهدت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد المفاعلة (ملوك الاقاليم) المتقدمون قسموا الارض سبعة أقسام سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل المصنف أراد بالاقليم النواحي والبلدان وان كانت من اقليم واحد أو اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى مستعمل أيضا كما يقال أقاليم مصر فسموا كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال السبكي الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال العقار هدية فهي أخص من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بناء على الظاهر فرقا بينها وبين الصدقة وممن هاداه صلى الله تعالى عليه وسلم المقوقس ملك القبط أهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضاء وهي الدلدل وهاداه فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما تبرع بالاسلام وأهدى له بغلة بيضاء تسمى فضة وفرسا وأثوابا وقباء من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم أرسل يقول له ارجع لدينك أطلقك وأعيد لك ملكك فأبى وقال لا أفارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضننت بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم أكيدر دومة الجندل كما في البخاري والتجاني وأما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير وأهدى له الرهبان أيضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من يسلم منهم كالمقوقس والنجراني ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لانقبل زبد المشركين أي عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه استئلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد هدية غيره أو ذاك خاص بالمشركين ومن قبل منه من أهل الكتاب فيقبل كما توكل أطعمتهم وذبائحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لانتفاء التهمة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ما أهدى له خاصة دون ما أهدى للصحابة (فما استأثر بشئ منه) أي ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون أصحابه لرؤيته انه أحق به كما يفعله الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الاثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم (ولا أمسك منه درهما) أي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده أو في يده (بل صرفه) في (مصارفه) باعطائه لمن يستحقه وفي وجه الخيرات (وأغنى به غيره) من الجند والمؤلفة قلوبهم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر (وقوى به المسلمين) بصرفه في مهماتهم وفيما ينصرهم على أعدائهم (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ما يسرني) أي يجعلني في سرور وفرح (ان لي أحدا ذهبا) أي مثل أحد او نفس أحد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة وقوله ذهبا تمييز أي من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاؤه اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فيه أحد جبل يحبنا ونحبه (يبيت عندي منه دينار الادينارا

(من اخماسها) في الغنيمة (وجزيتها) من أهل الذمة (وصدقاتها) من أغنياء الامة (مالايجئ) أي مالايؤتى به (الملوك الابعضه) أي لكثرته مع زيادة بركته وروي ان أعظم مال أتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة ألف درهم ثمانون ألفا (وهادته) أي صالحه وفي نسخة صحيحة هادته بمعنى أهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) أي بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما في كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) أي ما انفرد وما استبد وما اختص (بشئ منه) أي مما هادوه (ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه) أي أنفقه في مواضعه من أنواع الخير وأصناف البر (وأغنى به غيره) أي لغناه بربه واستغنائه بقلبه (وقوى به المسلمين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على أعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطي عطاء من ليس يخشى الفقر انتهاء (وقال) أي كما رواه الشيخان عنه (صلى الله تعالى عليه وسلم ما يسرني) أي لم يوقعني في السرور ولم يفرحني (ان لي أحدا) بضمتين ووجد بخط المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل أحد (يبيت) أي يثبت ليلة (عندي منه) أي من مقدار أحد ذهبا (دينار الادينارا) بالنصب على الاستثناء وفي نسخة بالرفع على البدل

(أرصده لديني) وفي نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد أي أحفظه منتظر القضاء ديني وقال بعضهم رصدته رقبته وأرصدت أعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله واعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والغيبوبة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع في أصل الدلجى درهم الادينارا فتكلف وقال نصبه على الاستثناء من عام عبر عنه بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال ما يسرني ان يبيت عندي شئ منه الاما أرصده لدين لي بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (وأتته دنانير مرة) وهي كثيرة (فقسمها) أي على من استحقها (وبقيت) وفي نسخة بقي (منها ستة) وفي نسخة بقية أي قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) نظرا الى حدوث حاجة لهن اليها وفي رواية فرفعها بعض نسائه بالراء وهو اما بامره واما على عادة النساء في حفظ المال لامر المعاش وغيره فلم (يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الآن)

وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) أي حصل الراحة لقلبي المعتمد على رزق ربي وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقلل للدنيا وملازمة الفاقة في أيام حياته الى آوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) أي عند يهودي هو أبو الشحم وقيل أبو شحمة (في نفقة عياله) أي الى سنة في ثلاثين صاعا من شعير على ما في البخاري والترمذي والنسائي وفي البزار أربعين وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير

أرصده لديني) وقد روى هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح تأتي على ثالثة وعندي منه دينار أو أمسى ثالثة وعندي منه دينار وروى تحول ذهبا أو يصير ذهبا والادينارا روى بالرفع والنصب وأرصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته وأرصدته بمعنى أعددته للخير أو الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته وأرصدته بمعنى أعددته وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين أما لان صاحبه غائب أولانه لم يحل أجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء مستغرقا في الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية الحديث في الصحيحين وشروحهما فان أردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي (وأتته صلى الله تعالى عليه وسلم دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت) انتهى وقوله دفعها روى رفعها بالراء قال السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث رونه ابنة سعد عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح الجديد لم أقف عليه الا أن له نظائر أوردها وكانت هذه الدنانير جاءت من الصدقة وانما لم يأخذه صلى الله تعالى عليه وسلم النوم لخوفه ان يفجأه الاجل قبل تفريقها فانظر هذا مع انه غفر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر بعد ما عصمه الله تعالى مع أشقياء هذا الزمان وصرفهم بيت المال في هوى أنفسهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * (ومات صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله) جمع عيل وهو من تلزمه مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ادراع ذات الفضول سميت بها لطولها أهداها له سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان أصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال ان السغدية كانت درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت والبتر والخرنق فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه الله تعالى في مادة س ب ع ذوع البتر ذات السبوع لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكر أو غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان التي رهنها صلى الله تعالى عليه وسلم هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى أبا الشحم كما وقع في كتب فقه الشافعية ووقع في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعرف الاول والسغدية لم يتعرضوا لحركة سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد وهو جبل معروف (٣) وقال مغلطاي انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي

(٣) والسعد بالسين والعين المهملتين جبل بالحجاز بينه وبين الكديد ثلاثون ميلا وعنده قصر ومنازل وسوق وماء عذب على جادة طريق كان يسلك من فيد الى المدينة وهو أيضا اسم بلدة يعمل فيها الدروع فيقال الدروع السعدية نسبة اليه وقيل السعد قبيلة نسبت اليها الدروع وأما السعد بالعين المهملة المضمومة فبساتين نزهة وأماكن مثمرة بسمرقند وهو أحد متنزهات الدنيا على ما حكاه المؤرخون من فتوح قتيبة بن مسلم وقد فحصنا الكتب اللغوية فلم نجد في مادة (س غ د) هذا اللفظ بمعنى الجبل وغيره من المعاني التي ذكرناه فما قاله الشارح انه بغين معجمة آه فليس بسديد بل الصواب ما ذكره نقلا عن مغلطاي انه بعين مهملة لكونه موافقا لما في كتب اللغة فاحفظه قاله مصححه

وهو ستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة أو حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية ولعل
عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز أو قلة الطعام عند غيره أو حذرا من ان يضيق على أصحابه أو لانهم
لا يأخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا يعطونه دينا وهو لا يريد صنيعة لاحد عليه أو ليكون حجة على اليهود في قولهم ان الله
فقير ونحن أغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا في كتابهم انه يكون مختار الفقر على الغنى
وانه لا يبالي بكلام الاعداء من الاغنياء الاغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف
وكسرها أي من أجلها أو في حقها (على ماتدعوه ضرورته اليه) أي على مقدار قليل لابد له منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء أي ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع في أصل الدلجي وزهده بالضمير فتحير في أمر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى أو على ضرورته أي والى زهده أو ويدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر وألهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ما وجده) أي أصابه وصادفه أي تيسر له من غير كلفة وشهوة (فلبس في الغالب الشملة) وهي كساء يشتمل به وقال ابن حماد هي شبه العباء وهي أكسية فيها خطوط سود

الجواليقي انه بالسين والصاد لانه قياس في كل سين معها حرف استعلاء قال شقيق الاسدي
* وخافت من جبال السغد نفسي * وذكر مغلطاي أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له مغفر
يسمى السبوغ والحديث المذكور في صحيح مسلم مسندا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله
تعالى عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية فرهنه صلى الله تعالى عليه
وسلم درعا له من حديد ورواه البخاري أيضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار
مع ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن على الثمن المؤجل وادخار القوت خلافا لزفر وقال
المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه مكروه عند مالك وأحمد وأجمعوا على انه يجوز معاملة أهل الذمة
وغيرهم الا في آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من أهل
الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها واما رهنه فانه خشي التقوي به علينا فهو كالبيع فما فعله
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اما لان اليهودي لم يكن من أهل الحرب أو لانه كان بين أظهر المسلمين فلا
يخشى تقويه به وفي رواية ان تلك الدرع رهنت في عشرين صاعا وفي أخرى أربعين وفي رواية وسق شعير
والاجل سنة فحل الاجل قبل الاجل ومن ثم قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم افتكه قبل موته لخبر
نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه
كما اقتضاه كلام المصنف ولقول ابن عباس توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند
يهودي والخبر محمول على غير الانبياء وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد تعسر
لانفاقه جميع ما عنده ولا يعلم أحد بذلك اذ لو علم الصحابة ذلك لآسوه صلى الله تعالى عليه وسلم بجميع
أموالهم كما كانوا يواسونه بارواحهم ولكنه يكتمه ويصبر تلذذا بالرضى بما قسم وفي قوله في نفقة عياله
للتعليل (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعو ضرورته اليه وزهد) بصيغة الماضي معطوف
على اقتصر (فيما سواه) أي ما سوى مقدار الضرورة ووقع في بعض النسخ زهده بصيغة المصدر المضاف
للضمير وهو مرفوع عطفا على ضرورته أو مجرور بالعطف على مجرور الى من غير اعادة الجار والنسخة
الاولى أوضح (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس ما وجده) حاضرا عنده من غير تكلف (فيلبس في
الغالب الشملة) وهي كساء يشتمل به وقيل يختص بما له هدب وقال ابن دريد هو كساء يؤتزر به وهي البردة
واما تسمية العوام ما يلف على الرأس شملة فلا أصل له (والكساء الخشن) أي الكسوة الملبوسة والكسا
قريب من البرد وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق (والبرد الغليظ) البرد بضم أوله ثوب فيه
خطوط ومطلق الثوب ثم أشار الى ان هذا ليس من عجزه صلى الله تعالى عليه وسلم عن فاخر الالبسة
بل لعدم ميله لها فقال (ويقسم) مما عنده من الغنائم والهدايا (على من حضر عنده أقبية

وكل كساء خشن فهو شملة ثم هي ضبطت في النسخ بالفتح لكن في القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة
يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة وهي النوع انما هي بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا
أطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر أي الغليظ ضد
الرقيق (والبرد) أي اليماني وهو الثوب الذي فيه خطوط (الغليظ) أي الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من
لا خلاق له تفاخرا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز
تشديده بقصد التكثير (على من حضره أقبية

الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة أى المنسوجة (بالذهب) أى بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل فى طرائق من ذهب مثل خوص النخل أو المكتوفة به وفى رواية المزرورة بالذهب أى التى لها ازرار منه أو المطوقة به أو التى زينت ازرارها به وفى الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) أى منها (لمن لم يحضر) أى يغيب من أصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما فى حديث الصحيحين عن ابن المسور قال أبى يابنى بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت عليه أقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال لى ادعه لى فاعظمت ذلك فقال لى يابنى انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يامخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم أعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضى مخرمة زاد البخارى وكان فى خلق مخرمة شدة محبته هذا وكان يفعل ذلك ايثارا لغيره وتنزها عما يتباهى العوام به (اذ المباهاة) أى المنافة والمفاخرة (فى الملابس) الثمينة (والتزين بها) أى فى المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف والجلالة) أى شمائل أرباب الشرافة وأصحاب العظمة المعنوية

الديباج المخوصة بالذهب) الاقبية جمع قباء وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من أقبية الحرير معرب ديبا (٢) بالدال المهملة فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو يليها صاد مهملة وهاء أى منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل يأتى للتشبيه كثيرا (٣) فلا وجه لانكارهم مسرج بمعنى كالسراج فى كتب المعانى وقيل هو المكفوف بالذهب أو المطوق أو المزرور به اما نفقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى ماكله فكان التمر والماء وحده فكان يمضى عليه الشهر لا توقد فى بيته نار وهو يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا أو كفافا وملبسه فى الاكثر أكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن أيضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم حلة حمراء وبرد أحمر يلبسه فى العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان أحب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق الكعبين مساو كمه لاطراف أصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه فى الثمامة فى صفة العمامة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قلنسوة وقسمته صلى الله تعالى عليه وسلم ماذكر مروية فى البخارى وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير والذهب أو كان يقسمه ليباع أو يعطى ذلك للنساء والصغار (ويرفع لمن لم يحضر) أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التى رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة قال قال لى أبى يامسور بلغنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته أقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال ادعه لى فاعظمت ذلك فقال يابنى انه ليس بجبار فدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يامخرمة خبأت لك هذا فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يريه محاسنه ثم أعطاه له فنظر اليه وقد رضى وكان فيه شدة واستئثار (اذ المباهاة) أى اظهار الفخر باللباس والعجب به والتزين وأصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها (فى الملابس) جمع ملبس وهو واللباس بمعنى (والتزين بها) أى اظهار الزينة بالملابس (ليست من خصال الشرف والجلالة) أى المغالات فى ذلك واظهاره ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف وقال الفقهاء رضى الله تعالى عنهم لبس الثوب الجميل للتزين مباح فى الجمع والاعياد ومجامع الناس وما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لا ينوى به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقلت فى ذلك

نصيحة لطيفة * قالت بها الاكياس
كل ما اشتهيت والبس * ما تشتهيه الناس

(٢) اعلم ان الديباج لفظ فارسى معرب ديباى أى عرب بابدال الياء الاخيرة جيما وقيل أصله ديبا وعرب بزيادة الجيم العربية وفى شفاء الغليل ديباج معرب ديوباف أى نساجة الجن كما قاله الزبيدى فى تاج العروس فاحفظه قاله مصححه

(٣) ومنه قول العجاج (وفاحما ومرسنا مسرجا) أراد تشبيه حسن الانف ولطافته فى الدقة والاستواء بالسيوف السريجية وشريح كزبيرقين معروف تنسب تلك السيوف اليه وقيل أى كالسراج فى البريق واللمعان كذا فى القاموس فبان من هذا ان فعل يأتى للتشبيه كثيرا كما ذكر فى محله وان أنكره أهل المعانى فلا عبرة بانكارهم كما قال الشارح قاله مصححه

(وهي) أي تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين أي من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلي الصورية (والمحمود) أي الممدوح (منها) أي من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة وفي نسخة بضمها وهي خياره لكنه غير ملائم للمرام في هذا المقام (والتوسط في جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) أي لباس بعض أمثاله حال كونه (غير مسقط لمروءة جنسه) أي ابناء جنسه وفي نسخة حسبه بفتحتين فوحدة (مما يؤدي) أي يؤول (الى الشهرة في الطرفين) أي المكتنفين من الاعلى والادنى للتوسط افراطا وتفريطا وخير الامور أوساطها وقد قال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهي عن الشهرتين أيضا (وقد ذم الشرع ذلك) أي ما ذكر من الشهرتين أيضا أو المباهاة في الملابس (وغاية الفخر فيه) أي في ذلك المذموم (في العادة عند الناس انما تعود) أي ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) أي وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم في المآل (وكذلك التباهي) أي ومثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) أي بتجصيصها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين أي من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثير الآلة) أي أمتعته وظروفه ومفارشه

(و) انما (هي من صفات النساء) أي المباهاة والتزين انما يقصده النساء ومن في حكمهم كالاطفال وأكثر ما رأينا ذلك في محدث النعمة ومن لا قدر له (والمحمود منها) أي ما يحمد منها عند الله وعند الناس من صفات الملابس (نقاوة الثوب) بفتح النون وضمها أي كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر يهمز فيقال نقاءة بمعنى نقاء وفي البستان يستحب للرجل الذي له مروءة وتوقع لم أن تكون ثيابه نقية من غير كبر ورأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا شيأ ينقي ثيابه وقال أيضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبي مهنته وفي المثل المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهي النظافة كالنقاء بزنة السخاء (والتوسط في جنسه) أي المحمود في اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا (وكونه لبس مثله) بضم اللام بمعنى اللازم أي كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه فينبغي ان يوافق أقرانه في لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس في الفتنة ونهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلي أكثر الناس في مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل أحد على قدر حاله فلا يلبس الغني ما هو دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزين العالم بزي الجاهل ولا الجاهل بزي العالم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشبه الزي بالزي حتى يشبه القلب بالقلب والى ما ذكرناه أشار بقوله (غير مسقط لمروءة جنسه) أي مما يعد مسقطا لمروءة أمثاله (مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين) أي غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور أوسطها والشهرة اسم من الاشتهار وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال النووي كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات أمر مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما تراه اليوم وما نهى الشرع عنه كالحرير خارج عما نحن فيه وأما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء فخالف للسنة كتكبير العمائم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال الان ابن عبد السلام والسبكي قالا اذا كان ذلك شعار العلماء يندب ليعرفوا فيسألوا أو ليطاعوا فاذا كان كذلك في نفس الامر لا يسقط المروءة وقال السبكي انه استنبطه من الآية في نساء النبي يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس الخضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهي عنها لاهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيرها ليروج حاله عند الظلمة ويجعله مكتسبا له منهي عنه وفي الحديث من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة (وقد ذم الشرع ذلك) كما عرفته وذلك اشارة الى المباهاة في الملابس والتزين بها (وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) يعني ان كثرة المال والملابس عند العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها وأما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى رأينا بعض الحمقاء يلبس في المجلس الواحد ألوانا من الثياب والغاية النهاية وأصلها غيية بيائين أعلت أولاهما لتحصن الثانية بتاء التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه ووفور الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره أو بمعنى القوة (وكذلك التباهي) أي مثل التفاخر بما ذكر التفاخر (بجودة المسكن) أي حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رسلان وهو كذلك في القاموس (وسعة المنزل) لانه مما يتمدح أهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما يسافر فيه النظر وقد قالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك بما يتبعه فقال (وتكثير الآلة) آلات جمع آلة والآلة

ما يصنع به الاعمال كالقدوم للنجار والابرة للخياط والمراد به هنا لوازمه كالفراش وأوانيه (وخدمه) جمع خادم وفعل بفتحتين جمع سمع منه ألفاظ معدودة (ومركوباته) كالخيول والبغال وغيرها واضافتها للمنزل لأدنى ملابسة أو لانها فيه فتشمل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الاذو والعقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا * (تنبيه) * لا يكره البناء للحاجة وان طال والاخبار الدالة على منع ما زاد على سبعة أذرع وان فيه الوعيد الشديد محمولة على من فعل ذلك للخيلاء والتفاخر على الناس ويكره الزيادة عليها لغير حاجة أى من حيث القدر وفى معناه على ما هو الظاهر ما لا تدعو الحاجة اليه من حيث الوصف كأن تتخذ بيتا من نحو العنبر والعود والدر * فان قلت يشكل ذلك بان الظاهر انه لا كراهة فى تناول نفس الاطعمة والملابس على ما تقدم * قلت يفرق بان النفيس منهما قد ينفع البدن أو يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن لان كل ما زاد منه على ما يدفع نحو الحر والبرد لا مصلحة فيه للبدن وهل تختص كراهة ما زاد على الحاجة بالبناء حتى لا يكره شراء ما زاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد عدم الفرق نظر المعنى نبه عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله ثم بين المصنف أن النبى حائز للفضيلة المالية أيضا وواصل منها ما لم يصل اليه غيره ولذا قالوا لا يجوز أن يقال فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير على ما سيأتى فى آخر الكتاب (ومن ملك الارض) بتمليك الله اياها له فلو أراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله له فى طرفة عين وقد خيره الله تعالى بين الملك والعبودية فاختار العبودية كما مر (وجبى اليه ما فيها) أى جمع له ما فيها من الغنائم وجزيتها وصدقاتها مما افتتح فى زمانه (فترك ذلك) أى المال المحبى (زهدا وتنزها) أى لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك لاجل الله فالزهد أخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى الآخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت حجة على وهو من أعلى المقامات وفى الحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه وقوله (فهو حائز) جواب من أو خبرها وحائز بالحاء المهملة والزاء المعجمة أى جامع ومحصل (الفضيلة المال) أى من كان كذلك حاز فضيلة المال التى يفتخر بها أهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك (ومالك للفخر بهذه الخصلة) المالية الا انه لا يفعله كأهل الدنيا وقيل المراد خصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذى يلتئم مع قوله (ان كانت فضيلة زائدا عليها فى الفخر) أن بفتح الهمزة مفسرة بمعنى أى كما قال التلمسانى رحمه الله تعالى وهو تحقيق واثبات للفضيلة التى حازها من الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة أو ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة المال ولكن الظاهر أن يقول زائدة وزائدا على هذا منصوب صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حائز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبنى على ان ان شرطية مكسورة الهمزة وهو مبنى على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفى الشرح الجديد ما ذكر من نصب زائدا على الحالية ان صحت رواية فانه فى بعض النسخ مرفوع ومعرق الاتى مرفوع فى جميع النسخ وعندى ان نصب زائدا على انه حال من فاعل مالك لا حائز أى هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زائدا عليها فى الفخر لعدم التفاته لها وا كترائه بها فهو فى ملكها غير مساو لغيره ممن ملكها وفخره بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا لفخر من افتخر بها فقد ملكها حالة كونه زائدا على سائر ملاكها باعراضه عنها فزائدا وصف له صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر وهو مفعول مطلق لمالك أى مالك ملكا زائدا على هذه الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما فى جميع الشروح وقوله فى الفخر متعلق بقوله زائدا * وأقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لا ينور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدأ حائز خبره ومالك معطوف عليه وان مكسورة شرطية وكانت ناقصة

أتى اليه (ما فيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) أى مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) أى رفعة للنفس وبعدا لها عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى العقبى وهذا فى الحقيقة لا يتصور ممن لا مال له ولا جاه على وجه الكمال ولهذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت والزهد أعلى المقامات وأعلى الحالات وقد ورد ازهد فى الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) أى جامع ومشتمل (لفضيلة المالية) التى هى أسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك للفخر) أى للافتخار فى العادة بين العامة (بهذه الخصلة) أى الكثرة المالية والوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب ما مر من كونه وسيلتها والا فليست هى فضيلة فى ذاتها فان شرطية تقديرية وقال التلمسانى هى بفتح الهمزة وهى تفسيرية ولا يخفى بعد ما قاله (زائدا عليها فى الفخر

اسمها ضمير للفضيلة أو للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زائدا خبر ثالث والخبر اذا تعددت يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ماقبله لان الفضيلة الدنيوية ليست من جنس مازاد عليها فى الفخر والفضيلة لان الاول أمر دنيوى لافخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار مايترتب عليه اذا صرف فى وجوه الخيرات من الثواب ونصرة الدين ولذلك أتى فيه بان الشرطية لانه لكونه ذا وجهين اذ لافضيلة له بحسب ذاته فيترا آى انه لافضيلة له أصلا فان نظر الما يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة أى هو زائد على تلك الفضيلة المالية فى فخره بالامور الدنيوية لو اراد الازيادة مما يأتيه لو بقى على ماعند غيره أو لكونه مكسبه طيبا ومصرفه فى محله وفيه من الفوائد مالا يتيسر لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم يعبأ به مالم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سيأتى ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى عطاء من لايخاف الفقر وزاد غناه على غنى غيره فوائد لاتتيسر لغيره ويجوز نصب زائدا على أنه حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم وما مر من أنه لايتحقق الكرم بدونه فكيف لايكون فضيلة ليس بشئ فان المراد انه ليس فيه فضيلة ذاتية وماذكره لاينافيه كما لايخفى (ومعرق فى المدح) بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس من أعرق الرجل والشجر اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصل فى الكرم والحسب قال

أمحمد ياخير ضنء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق

وقد يقال فى اللوم تهكما وعرق الثرى آدم قال امرؤ القيس * الى عرق الثرى وشجت عروقى * وهو مرفوع معطوف على قوله زائد فان نصب نصب يعنى ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له ماجمع لاهل الدنيا وهو زائد عليهم فى ذلك وأصيل فى المدح بذلك لانها لاقيمة لها عنده كما أشار اليه بقوله (باضرابه عنها) أى بسبب اعراضه عن الجهة المالية (وزهده فى فائتها) بالفاء ومثناة تحتية ثم فوقية أى يزهد فيما هو فائت منها أى ذاهب كما قال تعالى لاتأسوا على مافاتكم وفى بعض النسخ فانيها بنون بعد الالف (وبذلها) بموحدة وذال معجمة أى اعطائها (فى مضانها) من الضنة بالضاد المعجمة والنون أى يجود صلى الله تعالى عليه وسلم فى محال تبخل فيها الناس كذا ضبطه وفسره التلمسانى وهو فى غاية الحسن والظاهر وضبطه البرهان الحلبى بالظاء المشاله وعليه الرواية فى أكثر النسخ مظنة بالكسر وهى الموضوع الذى يظن كونها فيه فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يبذلها فى محلها الذى يرجى فيه كمحال البر والصدقة

*(فصل وأما الخصال المكتسبة) أى الصفات الحميدة التى ليست ضرورية ولا طبيعية (من الاخلاق الحميدة) من هنا تبعيضية أو بيانية (والآداب الشريفة) جمع أدب وهو الافعال المستحسنة فى معاملة الناس ومخالطتهم (التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها) أى من قامت به (وتعظيم المتصف) واتصف بها (بالخلق الواحد منها) أى يمدح بكل واحد منها منفردا (فضلا عما فوقه) أى عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيدان مابعده أولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لايملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة فى بيان اعرابه ومعناه وهى مشهورة الا أنهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفى صريح أو مأول كقوله

قلما يبقى على هذا القلق * صخرة صماء فضلا عن رمق

لان قل ورد بمعنى النفى لان القلة أخت العدم ولا يختص هذا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمصنف

ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح أى له عرق أى أصل (فى المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة أى بسبب اعراضه (عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها) بفتح ميم وتشديد نون أى محالها من صلة رحم وجهة بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمسانى فضبطه بالضاد وقال أراد مواضع البخل

(فصل)

(وأما الخصال المكتسبة) وتسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لا سجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) أى المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) أى الناشئة من النفوس النفيسة اللطيفة (التى اتفق جميع العقلاء) أى من الفضلاء والعلماء اذ لاعبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) أى بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة أى المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه) أى أكثر منه مما أجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها باجمعها

(وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها) أي جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) أي تعلقها (للمتخلق بها) أي للذى اتخذها خلقا كما هو مذكور في الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من أجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى أنبياءه فهى من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من أجزائها فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هى كرامة مختصة بمن

استعمالها هنا في الاثبات لان معنى الواحد الذى لا يتعدد فلا اشكال في كلامه (وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها) فيدل الثناء عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل على جواز تغيير الطباع وتبدلها وقوله والطبع في الانسان لا يتغير أول أو أكثرى (ووعد السعادة الدائمة) منصوب بنزع الخافض أي وعد بالسعادة أو هو مضمن معنى أعطى (للمتخلق بها) أي الذى اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل يا أيها المتحلى غير شيمته * ان التخلق يأبى دونه الخلق

(ووصف بعضها بانه من أجزاء النبوة) كما ورد في الحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة وورد في حديث آخر ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة وهذا هو الذى أشار اليه المصنف أي هذه الخصال من شمائل الانبياء وفضائلهم عليهم الصلاة والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزئ أو تكتسب بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده (وهى المسماة بحسن الخلق) قيل أطلق عليها خلقا لكونها ناشئة عنه والا فحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا أربعة أمور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا أو رياء ونحوه ولا عن الثانى لان تعلق القدرة بالسيئ والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المصنف جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها اكتسبية في أول أمرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبنى على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم أطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة (وهو) أي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس وأوصافها) قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة في الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اذا اعتدل قوة الغضب تسمى شجاعة فان أفرطت فهى تهور وان مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما أشار اليه بقوله (والتوسط فيها دون الميل الى منحرف أطرافها) منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها أي أطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المائل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمى بمعنى الانحراف والاول أولى (فجميعها) أي جميع الخصال الحميدة (قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أنث ضمير جميع لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه (على الانتهاء في كمالها) حال من ضمير كانت أي مستقرة تلك

تعلقت به المشيئة أو المعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه أصحاب الرسالة وتانيث أربع وخمس على معنى الخصال أو القطعة مع ان الاجزاء تجرى مجرى الكل في التذكير والتأنيث (وهى) أي الخصال المكتسبة التى ورد باستحسانها الكتاب والسنة هى (المسماة بحسن الخلق) أي في الجملة (وهو) أي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لا ينبغى وتفريط وهو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة طرف افراط هو الفجور كالانهماك في اللذات وتفريط هو الخمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات وللغضب طرف افراط هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغى وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغى فما بينهما هو التوسط في الاخلاق المسماة مثلا بالحكمة والعفة والشجاعة وأما قول الدلجى فللحكمة والعفة والشجاعة طرف افراد وتفريط خبط وتخبيط (فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها

والاعتدال الى غايتها) يحتمل عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب في المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب في المبنى (حتى) أى الى حد (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو ما أمر به من قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هو ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من منعك والاكمل في تفسيره ما ذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) أى وقد سألها سعيد ابن بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرآن) بالرفع ويجوز نصبه زاد البيهقى في دلائله على ما هو في بعض النسخ (يرضى برضاه) أى يرضى ما فيه من الواجب والمندوب والمباح (ويسخط بسخطه) أى ويغضب ويكره ما ينافيه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد في نسخة يعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على ما رواه أحمد والبزار (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ورواه مالك في الموطأ ولفظه بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق ورواه البغوى في شرح السنة بلفظ ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال أى الملكات النفسية والحالات القدسية التى جمعها حسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق مما لا يستحضى ولا يتصور ان يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق الرضية والشمائل البهية الا انها لم تكن على وجه الكمال الذى لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم مجتمع الاخلاق العلية ومنبع الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع في النقصان في المآل ويدل على ما قررنا على وجه حررنا حديث مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بى النبيون ويشير الى هذا المبنى قوله تعالى اليوم

الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال بتشبيه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر في قوله تعالى على هدى من ربهم (والاعتدال الى غايتها) معطوف على كمالها أى وصلت الى غاية الاعتدال والسداد (حتى) غاية للغاية (أثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) أى مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه بحسن مداراته وتحمل أذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال السهروردى قدس الله روحه في عوارف المعارف في كلام الصديقة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبائع وصفات شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى أشار بقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد في حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها في غيره ممتزجة بظلمة الطبائع لتفاوت حاله عن حالهم فتنزل الآيات لقمعها تاديبا من الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا فثبت فؤاده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية كما وقع في أحد اذ شج صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شئ فلبس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن وفى ابقاء أمهات تلك الصفات تهذيب للامة وتأديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رضى الله تعالى عنها رمز وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستر الحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال أدبها رضى الله عنها انتهى ولا يخفى ان خلقه في كلامها اسم كان والقرآن خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم معلوم والذى قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة وأهل المعانى فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقى في دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف في رضى الله تعالى بالكفر وعدمه كما فصلناه في حواشى البيضاوى وقوله (وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) حديث صحيح رواه أحمد

أكملت لكم دينكم (قال أنس رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) أى من الاولين والآخرين (خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه مثله وكان) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) أى مخلوقا ومطبوعا (عليها من أصل خلقته) أى من ابتداء نشأته الروحية (أول فطرته) أى خلقته الجسدية وفى بعض النسخ فى أصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتداء (لم تحصل له باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الابجود الهى) أى لكن حصلت له بجذبة صمدانية (وخصوصية ربانية وهذا) أى وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفى رواية بسائر الانبياء أى باقى الانبياء الماضية واما وجود الاخلاق الحميدة فى غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء ولو مال اليه الطبرانى من العلماء وقيل مكتسبة لاجبلية ولاطبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال فى اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائى وأخيه ورواية أمهما فى ابتداء ارضاعهما وقيل منها ماهى جبلية طبع عليها فى أول الخلقة وماهى كسبية تحصل بالرياضة وتصير لصاحبها ملكة ويؤيده حديث أشج عبد القيس حيث قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناءة فقال يا رسول الله أشئ من قبل نفسى أوجبلنى الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق ان حال الانسان مركب من الاخلاق المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام فى هذا المقام وقد صنف فى هذا المبحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكشافية وقد حقق الامام الغزالى فى الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) أى سلوك الانبياء فى سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم) أى من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) أى عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية

عن معاذ والبزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بهذا اللفظ ورواه مالك فى الموطأ وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما فى العرب فتممها صلى الله تعالى عليه وسلم بشريعته السمحة وزاد فيها مالم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها فيه وفى أمته فهذا على حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لا يخفى (قال أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس خلقا) وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمى وصف خلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بانه عظيم فى الآية والغالب وصفه بالحسن كما فى هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه يراد به اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمؤمنين عائدا على الكفار مهيبا فى صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم أولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا أردفه المصنف رحمه الله تعالى بحديث أنس خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى مسلم عنه خدمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لى أف قط (وعن على بن أبى طالب مثله) أى روى عن على كرم الله وجهه مثل ما قاله أنس رضى الله تعالى عنه كما ذكره أبو عبيد فى الغريب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) أى مخلوقا مطبوعا (عليها) أى على مكارم الاخلاق (فى أصل خلقته وأول فطرته) التى فطره الله تعالى عليها أى من غير تكلف ولا تعلم (لم تحصل باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية) بفتح الخاء وضمها (ربانية) منسوبة للرب على خلاف القياس (وهكذا) أى مثل هذا من جمع مكارم الاخلاق فطرة ثبت (لسائر الانبياء) عليهم الصلاة والسلام أى لباقيهم أو لجميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف فى الاخلاق هل هى جبلية أو كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلى وبعضها مكتسب والجبلى لا يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفى قوله فيما ذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب الى انها كسبية فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا فى ذلك وخلط بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة فى كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكماء فى ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف فى مطلق الاخلاق والفضائل النفسية كما ذكر فى كتب الاخلاق وهو أشهر من ان يذكر (ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك) أى كونها خلقية جبلية وانما قيده بقوله الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحى لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله تعالى له ذلك باخباره ملائكته عليهم الصلاة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلى حينئذ اما قبله

(كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول أي طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق في الجبلة) أي الطبيعة الاصلية (وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) أي أول الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) أي أعطينا يحيى (الحكم) أي النبوة واتقان المعرفة (صبيا) أي صغيرا (قال المفسرون أعطى يحيى العلم) بصيغة المجهول أو المعلوم ويؤيده نسخة أعطى الله تعالى (بكتاب الله) أي التوراة أو بمضمون كتب الله تعالى مجملة أو مفصلة (في حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا نصب على الحال من المفعول وقد روى انه نبئ وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث أو سبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد أبو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وهمام وخلق وعنه ابن المبارك وعبد الرزاق أخرج له الائمة الستة (كان) أي يحيى (ابن سنتين أو ثلاث) على ما رواه عنه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره والديلمي عن معاذ ولم يسنده والحاكم في تاريخه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند رواه والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام أعطي هذا المقام وهو في بطن أمه كما ورد من ان السعيد من سعد في بطن أمه وانما قيد سبحانه وتعالى بحال الصبا لتعلق علم الخلق به حينئذ فاختلاف الروايات مبني على اختلاف اطلاع الناس على ما به من الحالات (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت) فهمزة الاستفهام للانكار على ما في الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر أوله وسكون ثانية ووقع في أصل الدلجي ما للعب خلقت بما النافية ولعله رواية في المبنى أو نقل بالمعنى ثم أغرب واعترض على معمر في قوله أو على المصنف في اعتماده على نقله حيث قال والذي قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكر ههنا فغريب في الرواية عنه بشهادة ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى أبويه فمر في طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال اني لم أخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لا يخفى اذ لا يبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين أو ثلاث ثم وقع له هذا المقال عقيب هذا ولو بعد سنين مع الاطفال مع انه لا مانع من تعدد الواقعة ولو بالاحتمال

قبله فامره ظاهر لا يشتبه (كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام) قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى على سليمان أو لذكره أخبار هؤلاء في الطفولية وهذا الثاني هو الحق فان هؤلاء وقع منهم أمور في طفوليتهم وأمور الطفولية جبلية من غير شبهة كما أشار اليه بقوله (بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) غرزت بالبناء للمجهول وأصل معنى الغرز ادخال شئ في شئ فكان الطبيعة أدخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة. وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها وأودعوا بالمجهول أيضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره من الترتيب في النسخ عندنا ما يخالفه وسيأتي من المصنف رحمه الله تعالى ما يبين ما قلناه (قال الله تعالى ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾) الحكم والحكمة من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به لمنعه من الفساد وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا (فقال المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى) يعني التوراة (في حال صباه) اشارة الى ان قوله صبيا في الآية حال وهذا أحد التفاسير فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فقد أوتي الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه اظهر آثارها كأنه أوتيها فهو مجاز بناء على ان الله تعالى لم ينبئ صبيا قط وكذا أول قول عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم العمل مع العلم (وقال معمر) بن راشد (كان) أي يحيى عليه الصلاة والسلام (ابن سنتين أو ثلاث) وفي بعض النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو معمر بن راشد أبو عروة الازدي المهلبي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروى عنه كثير وأخرج له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له أوهاما تحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان وقوله ابن سنتين أو ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل من طرق والغريب ما انفرد به رواية فكيف يكون غريبا (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت) قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا وسنده واه وأخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روي لم أخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله تبارك وتعالى نبيا طفلا بل روي انه لم يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد

وهذا نادر لا يرد نقصا ومن الغريب ما قيل ان الله عزوجل خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بالغا عاقلا وان كان فى صورة طفل كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام حتى قيل انه ألهم التوراة فى بطن أمه وروى عن الحسن فلا حاجة لتأويل ما ورد فيه بالتأويل المشهور (وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما الصلاة والسلام) هذا بناء على أن المراد بالكلمة عيسى عليه الصلاة والسلام لانه أوجد بدون أب فشابه ما أبدع من عالم الامر كما قاله البيضاوى أو لكونه أوجد بكلمة كن أو لاهتداء الناس به كما يهتدون بكلام الله كما سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرا رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القنوى فى نفحاته لصورة كل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى مرتبته الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الوجودى الذاتى وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها شأن من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكناية تسمى صورة ومعلومية الشئ المراد بكونيته وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمى عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب أى الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق شهودى فافهم ولا حاجة لجعل من زائدة على هذا كما قيل (وهو) أى يحيى عليه الصلاة والسلام (ابن ثلاث سنين يشهد له انه كلمة الله وروحه) قد بينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابنا خالة كما مر ويحيى أكبر سنا منه واطلاق روح الله تعالى عليه اما لان جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى بالروح نفخ فى درع أمه فتكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف أو لانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا وقع النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق أرواح بنى آدم قبل أجسادهم لما أخذ عليهم الميثاق فامسك روح عيسى عليه الصلاة والسلام فلما أراد خلقه أرسلها لمريم فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله كما علم وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفى صحيح البخارى مسندا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة (وقيل صدقه) يحيى عليه الصلاة والسلام (وهو فى بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم انى أجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له) منصوب مفعول له أى سجوده له سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه أحمد وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضى ان حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام طالت مدته وفى تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدت فى ساعة نفخ الروح (وقد نص الله على كلام عيسى عليه الصلاة والسلام لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزنى) وهذا أحد من تكلم فى المهد وفى عدتهم خلاف وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع فى حجر أمه ومر عليه راكب فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثله فقال اللهم لا تجعلنى مثله وظاهره الحصر اذ لم يذكر معهم الصبى المذكور فى حديث الساحر الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى صحيح مسلم وأجيب بانه لم يكن فى المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه ابن سبعة أشهر فلعله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أطلع أولا على ثلاثة ثم أطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته فى صحيح مسلم كما علم وقالوا تكلم فى المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوى والقاضى فى التفسير وروى ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم فى المهد وهو عند حليمة السعدية وأول كلمة تكلم بها الله أكبر وحكى عن الواقدى وشاهد يوسف كما حكاه القرطبى وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة

(وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى) أى آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلى عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة أشهر (فشهد) وفى نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو أول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا أب فشابه المخترعات التى هى عالم الامر المعبر عنه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما فى تفسير محمد بن جرير الطبرى (صدقه) أى آمن به يحيى (وهو فى بطن أمه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفى نسخة وكانت (أم يحيى) أى وهى حامل به (تقول لمريم) أى أختها اذا دخلت عليها وهى حامل بعيسى والله انك لخير النساء وان ما فى بطنك لخير مولود (وانى أجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له) أى تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لا ينافى ما تقدم والله أعلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حملته ووضعته فى ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزنى) الاولى ان لا تحزنى

ابنت

(على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأ به ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر (وعلى) أي وكذا على (قول من قال ان المنادى عيسى) كأبي بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها لما خرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعلقمة والضحاك ان المنادى جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجي لا وجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف في المنادى مع وقوعه في الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الا بتعدد القضية أشار المصنف الى ان القراءة الاولى محمولة على المعنى الاول أولى وهو أن يكون المنادى عيسى فلا ينافي احتمال وجود آخر في المعنى على ما لا يخفى (ونص) أي صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) أي نطق عيسى (في مهده فقال) أي الله في كلامه حكاية عنه (اني عبد الله) ردا على اثبات اله سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتاني الكتاب) أي أعطاني الله من فضله علم الانجيل أو جنس الكتاب (وجعلني نبيا) في سابق قضائه أو تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما في أتى أمر الله كذا ذكره الدلجي والظاهر المتبادر انه جعله نبيا في ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده ما روي عن الحسن أكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة أيضا في هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة في سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجليلة كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وآدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفي المستدرك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم في المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند أحمد وابن ماشطة

ابنت فرعون كما في مسند أحمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام في المهد أيضا ومبارك اليمامة الذي كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الدلائل فهم أحد عشر كما فصله البرهان الحلبي رحمه الله ونظم غالبهم القائل في قوله

اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم * فمنهم رسول الله أحمد ذو المجد
خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من * دعت لابنها فورا كذي شاره فرد
فقال الا لا تجعلني مثله * ورد عليها قولها أفصح الرد
كذلك الذي قد قال ان جريجنا * بريء فلا ترموه بعد بما يردي
ومنهم نجيب كان يدعى مباركا * وقال رسول الله قد جاء بالرشد
وماشطة كانت لفرعون تنتمي * وكان لها طفل تكلم في المهد
كذا شاهد في شان يوسف منهم * فدونك جمعا زائدا الحسن في العد

وقوله بقوله الى آخره يعني انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وهي حامل لمكان بعيد خوفا من أهلها فلما وضعته قال لها الا تحزني (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب التاء ظرف صلته وقد أورد على المصنف هنا أمران الاول ان تخصيص دلالة الآية على ان المتكلم عيسى عليه الصلاة والسلام في المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سواء في احتمال أن يكون المنادى عيسى أو جبريل أو بعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها منادمن تحتها قائلا الا تحزني فان قيل لو كان المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها الا تيانه من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على أكمة وتحتها واذا كان المنادى عيسى عليه الصلاة والسلام قال الجعبري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثاني انه قيل ان كلام المصنف رحمه الله تعالى في حسن الاخلاق وانها جبلية وكلام من في المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح يوم القيامة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع ويعود في زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب (٢) ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكر هنا بقوله تعالى انما أنا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما في القراءة بمن الجارة فلما عرفه بالاسم الظاهر وعدل اليه في محل الاضمار علم انه غيره وليس ثم أحد فعلم انه عيسى ومعنى كونه من تحتها ان المرأة في حال الوضع ترتفع عن الارض على عال فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبري واما السؤال الثاني فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على ان ما يأتي بهذه من جنسه أمر جبلي وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة (وعلى قول من قال ان المنادى) بكسر الدال (عيسى) عليه الصلاة والسلام لا الملك (ونص على كلامه في مهده) المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد للنوم كما مر ثم خص بما يربط فيه الطفل لنومه وقراره فيه (فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) فلما تكلم

(٢) وفي نسخة والمراد اه مصححه

عليه الصلاة والسلام بذلك علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله وجعل أول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب الانجيل ويجوز أن يريد التوراة لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بها أو الاعم وتعبيره بالماضى باعتبار ماقدره الله تعالى له أو جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبى فى صغره حقيقة كما روى عن الحسن (وقال الله تعالى ففهمناها) أى القصة الآتية (سليمان) عليه الصلاة والسلام (وكلا) أى سليمان وأباه داود (آتينا حكما وعلما) اشارة الى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام اذ أتى الحكم صبيا وعمره اذ ذاك أحد عشر سنة فى الغنم التى نفشت فى الحرث أى رعته ليلا وأفسدته والنفش الرعى بالليل بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذى يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللآخر غنم دخلت حرثه فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على أن يبقى الحرث بيده وقيل يدفع الغنم لصاحب الحرث ويدفع الحرث لصاحب الغنم فداود عليه الصلاة والسلام رأى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثانى رأى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان عليه الصلاة والسلام سألهما عما حكم لهما به فرجع لابيه وقال انى رأيت ماهو أوفق بالجميع وهو أن يأخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه حتى يعود لما كان عليه ويأخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها وريعها فاذا عاد الحرث لحاله صرف ملك صاحبه له فقال أصبت وحكم بما قاله قال العلامة ابن القيم فى كتابه معالم التقويم حكم داود عليه الصلاة والسلام له بقيمة المتلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها وأخذها بدلا عن القيمة وسليمان عليه الصلاة والسلام قضى بالضمان على أصحاب الغنم وأن يضمنوا ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضع عليهم شيأ من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى أصحاب بستان الماشية ليأخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر مافاتهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النمائين فوجدهما سواء فهذا علم خصه الله به وأثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء فى ضمان النفش وفى المثل وهو الحق وهو أحد القولين فى مذهب أحمد والشافعى ومالك والمشهور خلافه والقول الثانى موافقته فى ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور عن أحمد ومالك والشافعى والثالث موافقته فى التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعى بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب أبى حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلاة والسلام أقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت المواشى بالليل ضمانه على أهلها يصح بحكم

ابنة فرعون وزاد البغوى فى تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى الدلائل ورضيع المتقاعسة ورضيع التى مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا والصبى الذى فى حديث الساحر والراهب الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى أواخر مسلم وفى كلام السهيلى فى آخر روضته ان أول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة أن قال الله أكبر

قال السهيلى رأيته كذا فى بعض كتب الواقدى (وقال) أى عز قائله (ففهمناها سليمان) أى الحكومة أو الفتيا اذ روى انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع أو كرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها وأصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا مقالهما اجتهادا فقال داود اصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى نظير قول الشافعى بالغرم للحيلولة فى العبد المغصوب اذا أبق أما فى شرعنا فلا ضمان عند أبى حنيفة لحديث جرح العجماء جبار أى هدر الا أن يكون معها حافظ أو أرسلت عمدا وأوجبه الشافعى ليلا ضمان

لان النهار الجرى العادة فى حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وفى الحديث اشارة لطيفة الى قول أبى حنيفة فى تقييد القضية بحالة العمدية اذ تخلص الدابة ليلا أو نهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية فى الملة الحنيفية حيث قال ليس عليكم فى الدين من حرج (وكلا) أى من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أى معرفة بوجب الحكومة وعلما بسائر القضايا الشرعية

(وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا في النسخ المتعددة المعتمدة ووقع في أصل الدلجي وقد ذكر عن سليمان (وهو صبي) أي في حال صباه (يلعب) أي مع الصبيان (في قصة المرجومة) أي التي كانوا يريدون أن يرجموها وفي نسخة في قضية المرجومة وهي ما رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان امرأة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من أكابرهم وقيل من قضاتهم الذين رفعت حكمها اليهم فامتنعت فاتفقوا أن يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها أو هم به فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى أربعة منهم بزي أولئك الاربعة وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بأن مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال أحدهم أسود وآخر أحمر وآخر أغبش وآخر أبيض فأمر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم (وفي قصة الصبي ما اقتدى) أي الذي اقتدى (به) أي بسليمان ورجع الى حكمه (داود أبوه) عطف بيان لدفع توهم أن يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بينما امرأتان معهما ابنان لهما فأخذ ذئب أحدهما فاحتكمتا الى داود في الآخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين أشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضى الكبرى بشقه لتشاركها في المصيبة أو لما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه في يدها أو اعتمادا على نوع من الشبه وهو لا يخلو من الشبه فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى حقيقة القضية فلما أقرت بها الكبرى عمل باقرارها أو لعل في شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحي ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود باجتهاد وحكم سليمان بوحي والوحي ينقض غيره

ضمان النفس وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان عليه الصلاة والسلام بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى وقال التجاني اختلف في حكمهما في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول أو باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب وكونه فتيا يرده ان فتيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكنا لحكمهم شاهدين قيل ويؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام اني رأيت ما هو أوفق للجميع وهو مبني على جواز خطأ الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اجتهادهم وانهم لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه أثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته آنفا وقول أبي السعود ان رأى سليمان استحسان ورأى داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان أما دليل ينقدح في نفس المجتهد والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا صوابا وهو العدول عن قياس الى قياس أقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد وهو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود عليه الصلاة والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمته بجنايتها الى المجني كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فسيده يدفعه أو يفديه وعند الشافعي يبيعه بذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر النقصان في الحرث وسليمان عليه الصلاة والسلام جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث ما يزيل ضرره كما لو غصب عبدا فأبق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر ترده وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة لنا به فان أردته فارجع اليه (وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قضية الصبي ما اقتدى به أبوه) كما اقتدى به في قصة الحرث وذلك كان في صباه وأول أمره فهذا وأشباهه مما يدل على انها أمور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمساني ان امرأة كانت بارعة الجمال وهي من أهل الدين ولها حق فرفعت أمرها لاحد قضاة بني اسرائيل فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها عن نفسها فأتت لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام فحجبت عنه فأجمع الاربعة أن يقولوا لداود عليه السلام ان لها كلبا تمكنه من نفسها ويزني بها ففعلوا فأمر برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلاة والسلام يوما في علية له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبي كمرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة والتهمة وذلك بمرأى من داود عليه الصلاة والسلام كما في قصة المرجومة فعرفهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا ودعى كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للآخر فأمر الصبيان فضربوهم فقال داود اعمل القضية هكذا فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد فاختلفوا

كالصبيان فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله السيوطى رحمه الله تعالى فى تخريج أحاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان المراد بالمرجومة التى أريد رجمها الان داود هم برجمها ثم لما رأى صنيع سليمان درأ عنها الحد فسماها المصنف رحمه الله تعالى مرجومة باعتبار ما يؤول أولانه أريد رجمها يتبع فيه غيره فلا يخفى انه مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضى انه كان فى شريعتهم ان المرأة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفى الشريعة المحمدية ان حكمهما التعزير * وقصة الصبى هى مارواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال بينما امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب أحدهما فتحاكمتا الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان عليه الصلاة والسلام فقال هاتوا سكينا أشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها عليه ورضيت الاخرى بشقه لتتشاركا فى المصيبة قال التجانى وهذا ما لا شبهة فى صحته وأما الحديث الاول فالله أعلم بصحته وقد ورد فى الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر وان داود عليه السلام لم يرجمها وانما أمرهم برجمها فمروا بها على سليمان فاوقفها واحضر الشهود وفرق بينهم كما مر ورجع داود عن حكمه وعلى هذا ينبنى مامر من ان المرجومة هنا مجاز عن من أريد رجمها وفيه فوائد منها أنه اذا تجوز بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال والله ان سمعت بالسكين الاذلك اليوم ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام يحتمل انه قضى به للكبرى لشبه بينهما وانه كان فى شريعته يجوز الالحاق بالشبه أو لكونه فى يدها والترجيح باليد شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم وأما سليمان عليه الصلاة والسلام فتوصل بلطفه لمعرفة باطن القضية فاوهمهما ارادة شقه ليسوى بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فيقضون بامور لو تجردت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى أقرت بانه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه الصلاة والسلام حكمه أوان فى شرعهم انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما فى مزيل الخفاء ومنها انه وقع فى مسلم ان الصغرى قالت لسليمان عليه الصلاة والسلام لا ويرحمك الله فيرحمك الله جملة مستأنفة دعائية لكنها موهمة للدعاء عليه وفى الاكمال ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم ويرحمك الله أقول يعنى ان الواو تزاد لدفع الايهام كما تحذف له فى نحو قوله

وتظن سلمى اننى أبغى بها * بدلا أراها فى الضلال تهيم

فانه لو قال وأراها ربما ظن انه معطوف على أبغى وليس مراده ذلك وسأل الرشيد رجلا عن شئ فقال له لا وأيد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما سمعه قال هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ فى خدود الملاح وهذه الواو اما زائدة أو اعتراضية أو لعطف الانشاء على الخبر (وحكى الطبرى ان عمره كان حين أوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى) عليه الصلاة والسلام (مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل) فرعون لقب لكل من ملك القبط كما مر وهذا هو مصعب بن الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة عمر أكثر من أربعمائة سنة وسن موسى عليه الصلاة والسلام حين أخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بنى اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فرأى فى منامه أو أخبره الكهنة ان زوال ملكه على يد غلام من بنى اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فرأى أهل مملكته ان فى ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على قتلهم عاما بعد عام قيل وهو بعيد لاحتمال أن يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله غير ظاهر فلعلهم رأوا عام ولادته زوجا أو فردا أو عينوه وولد هارون فى عام الاستحياء وولد موسى فى العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت أمه عليه فاوحى الله تعالى اليها اما بأن أتى على لسان ملك أو رأت ذلك فى منامها والقول الاول اما الان من لا يكون نبيا

(وحكى الطبرى) وفى نسخة وقال الطبرى وهو محمد بن جرير (ان عمره) أى سن سليمان (كان حين أوتى الملك اثنى عشر عاما) أى سنة (وكذلك) أى ومثل ما ذكر عن سليمان فى صغره (قصة موسى) قيل وزنه مفعل أو فعلل أو فعلى (مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى ان من يأخذ بلحيته ويأخذ منها خصلة هو الذى يقتله ويسلب ملكه فبينا موسى فى حجره اذ تناول لحيته فأخذ منها خصلة فقال هذا عدو لنا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقى له الدر والجمر فاخذ الجمر وأدخله فى فيه فخنه كان فى لسانه عقد وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب ابن الريان كان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربعمائة سنة وقد كتبت رسالة مسماة بفر العون ممن ادعى ايمان فرعون

قـديرى الملك وقـدجوزه جماعة من السـلف ولعـله كان فى الزمن السالف أوان أمه كانت نبيـة والمشهوران النبى لايكون الاذكرا قال التجانى وقدذهب علماء قرطبة الى صحة نبوة المرأة وصححه ابن السيد ونسـبه ابن الهمام الى بعض أهـل الظاهر فاوحى الله تعالى الى أمه أن تتخذ تا بوتا وتضـعه فيه وتقذفه فى النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو جالس اذدخـل التابوت به عنده فاخذه آل فرعون ففتحته آسية امرأة فرعون رضى الله تعالى عنها فلما رأته فيه موسى رحمته وسألت من فرعون أن يتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل به عليه فاحبه وجعله يوما فى حجره فديده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب فرعون وقال هذا عدولى وأمر بذبحه فناشدته الله تعالى وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه فجربه فجعـل بين يديه تمرة وجمرة وقيـل درة وجمرة وقال ان أخذ التمرة أو الدرة فهو يعقل والاعذر فلما مديده للتمرة ضرب به جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه ومنها كان فى لسانه عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف وهى التى أزالها الله تعالى بدعائه فعذره فلم يزل فى حجره الى ان كان ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور فى محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد فيجمع على اطفال * (فائدة) * قيل كل مولود ذكرا وأنثى يزيد كل سنة أربع أصابع باصابع نفسه وكل أحد طوله أربعة أذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة تزيد الى أربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون يوسف وقيـل انه هو وانه أسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب أمهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافأته على ذلك فى الدنيا (وقال الله تعالى * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل * أى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره) هذا أحد التفاسير فى العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشـد الاهتداء لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال فى الكشاف معنى اضافة الرشد له عليه الصلاة والسـلام انه رشد ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصـل بدون الاضافة لو قيل آتيناه رشدا له أفاد ذلك مع التعظيم ولم يفهم مراده اذ مراده انا آتيناه رشدا معلوما من حاله لائقا به وبامثاله من الرسـل عليهم الصلاة والسلام لا كرشد غيره (وقال ابن عطاء اصـطفاه قبل ابتداء خلقه) أى اختاره رسولا خليلا فى علمه فانه لا يختص به بل المراد انه حـين أراد خلقه فى بطن أمه أمر الملائكة ان تكتب اصـطفاءه وخاتمه تنويها به وتعظيما لقدره بخلاف غـيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه فى عالم الذر قبل خلق جسده كما فى حديث كنت نبيا وآدم الى آخره وفى نسخة قبل ابتداء خلقه قيل لما كان من قبل على هذا بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه أوله باصطفائه اللازم له لصحة اصطفاء المعدوم (وقال بعضهم لما ولد) نبى الله (ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل أمره فيكون المعنى آتيناه رشده قبل أمره فيدل ذلك على الايمان واشـتغاله بذكر ربه أمر جبلى مجبول عليه أو أمر عرفه به فى عالم الذر والارواح فيكون بمعـنى ما قاله ابن عطاء أو المراد انه عـبر بالماضى لسرعة امتثاله حتى كأنه وقع منه فمعنى من قبل على هذا من قبل أمره لا من قبل بلوغه كما قيل (وقيل ان القاء ابراهـيم فى النار ومحنته) التى وقعت له مع نمرود فانه كما رواه أبو صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد فى زمنـه وكان له كهنـة فقالوا له يولد فى هـذه السـنة مولود يفسـد آلهـة الارض ويدعوهـم الى غـير دينهـم وهـلاك أهـل بيتك على يديه فعـزل النسـاء عن الرجال ودخـل آزر الى بيتـه فوقع على زوجتـه فحملت فقال له الكهان ان الغـلام قد حمـل به الليـلة فقال اقتلوا كل غلام ولد فلما أخـذ أم ابراهـيم عليـه الصـلاة والسـلام المخاض خرجت هاربة فوضـعته فى نهـر

(قال المفسرون فى قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده) أى كمال هدايته وصلاح حالته (من قبل) أى قبـل أوان معرفته (أى هـديناه) ووقع فى أصـل الدلجى هداه بالاضافة (صـغيرا) أى قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقيل قبل محمد عليهـم الصـلاة والسلام (وقال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) أى فى سابق قضائه فى عالم الارواح (قبل ابداء خلقه) أى اظهار جسده من العدم الى الوجود فى عالم الاشـباح (وقال بعضـهم) كالكواشى وغيره (لما ولد ابراهـيم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعالى أن يعرفه بقلبه) أى المعرفة التامة الشاملة للافعال والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقـل أفعـل فذلك رشده) أى حيث بالغ فى الامتثال حتى عبر بالماضى عن الحال فكأنه امتثله واخـبره ومن هنا قيل النفى أبلـغ من النهـى (وقيل ان القاء ابراهيم عليه السـلام فى النار ومحنته) أى بليته من نمرود

(كانت وهو ابن ست عشرة سنة) وفي عين المعاني عن ابن جريج ست وعشرين اذ اقسم ليكيدن أصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام بالذبح) أي كان كما في نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على أحد القولين في الذبيح مع خلاف في الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي في رسالة مستقلة

بعد ذكره من الطرفين بعض الادلة لكن المشهور بل الصحيح انه اسمعيل لحديث أنا ابن الذبيحين اي اسمعيل وعبد الله اذ قد نذر عبد المطلب ان يسر الله حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة ذبح أحدهم فتم متمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه بمائة من الابل ومن ثم شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في فتنة ابن الزبير ولان بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافي للامر بذبحه مراهقا وأيضا كانت مقرونة بالنبوة في آية أخرى والغالب في الانبياء وصولهم الى حد الاربعين ولان اسمعيل كان أول ولده والابتلاء حينئذ أشق على ذبحه وفقده قيل وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل منشاؤه الحسد من اليهود للعرب بان يكون أبوهم هو الذبيح قال ابن قيم الجوزية في الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها وأما حديث سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاما الذي قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه البخاري وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوائده مدرجة من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح وضرب

يا بس ولفته في خرقة ووضعته في حلفاء وأخبرت به أباه فاتاه فحفر له سردابا وسد عليه بصخرة فكانت أمه تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت أنا فقال من ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي فقالت له أسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت له الغلام الذي يتحدث به انه يغير دين أهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك وقوله (كانت وهو ابن ستة عشر سنة) كذا في الكشاف قال التجاني المعروف انه كان ابن ست وعشرين سنة والذي أشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر جمع الحطب له ثم أشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت لشدتها ثم وضعوه في منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير وثاقه فقال له حين ألقي ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل نجا منها بقوله تعالى حسبي الله ونعم الوكيل وأشرف نمرود عليه من صرحه فاذا هو في روضة معه جليس من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فقرب أربعة آلاف بقر وكف عنه وقصته مذكورة في القرآن مجملة مفصلة في التفسير * واعلم ان نمرود كما قاله السهيلي بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما أرادوا رميه في النار لم يقدروا على القرب منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما أرادوا رميه لم يرتم لمنع الملائكة عليهم الصلاة والسلام له فامرهم ابليس ان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصعدت الملائكة للسماء (وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاثة عشر سنة وهذا بناء على ان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطي في تصحيحه رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو قول أكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضي الله عنهم وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت لا ولد لها وهاجر جاريته ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل عليه الصلاة والسلام وكان ينتابهما فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بشرتهما الملائكة باسحق فقالت أألد وأنا عجوز الآية فلو كان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه أمر بذبحه بعد ما ولد له يعقوب للاجماع على انه في صغره كما مر ولقوله تعالى فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات ذكر تبشيره باسحق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وورد في الحديث أنا ابن الذبيحين يريد عبد الله واسمعيل وفي تفسير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما تزعم اليهود ان اسحق هو الذبيح وكذبوا وقال بعض من أسلم من أحبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب أن تكون هذه الفضيلة فيكم وقال الاصمعي سألت أبا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك ألم تر الى الموضع الذي أضجع فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحق مكة وقال ابن الجوزي هو الصواب والقول بانه اسحق باطل باكثر من عشرين وجها وأطال فيها ابن القيم في الهدى وقال المحب الطبري الاكثر انه اسحق ووجهه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له حديث أنا ابن الذبيحين وقصة ذبح أبيه عبد الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحدا منهم تقربا الى الله تعالى فلما كملوا أتى بهم البيت

وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد بالذبيحين عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحق كما نقله مغلطاى مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين انه من ولد هابيل الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف (وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا) ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية آفلة وكل آفل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شئ من الحادث بصانع فلا شئ من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام فى التغير فلا شئ منها بصانع بل هى دونها فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لا بد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل مؤلف من قضايا تستلزم لذاته قولا آخر هو النتيجة أو الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبرى كالعالم المستدل به على وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أخفته أمه فى غار خوفا عليه كما مر مكث فى الغار عشرة أعوام أو أربعة أعوام كما فى عيون المعانى أو خمسة عشر شهرا كما حكاه المصنف فلما عقل سأل أمه من ربى كما مر وفى رواية فقالت أبوك فقال من رب أبى فقالت الملك فعرف جهلها ونظر ما يستدل به عليها فرأى النجم فقال هذا ربى الى آخر ما قصه الله والاقوال بناء على ان هذا قبل بلوغه فى الغار وقيل انه بعد بلوغه فى الغار أو بعد بلوغه وخروجه منه وقد بعثه الله نبيا وعمره أكثر مما ذكر وهو الذى يقتضيه ظاهر القرآن لانه حكى فيه انه قال لابيه أتتخذ أصناما آلهة الى آخره ثم عقبه بقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات الخ ثم ربط به قوله تعالى فلما جن عليه الليل الخ فدلت ألفاء على كونه بعد هذا كله وقوله تعالى وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته مع قومه ليرشدهم الى الايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله تعالى يا قوم انى برىء مما تشركون ولو كان فى الغار نظر النفسه قال انى برىء من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكوكب فقوله هذا ربى اما انه أتى فى المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لانه مسلم عنده أو قوله هذا ربى على تقدير الاستفهام والاستفهام انكارى أو هو على تقدير أى يقولون هذا ربى والتقدير فى الكلام قالوا هو البحر حدث عنه ولا حرج وهو فى القرآن كثير أو انه عرف طباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتداء فاتى بما يستدرجهم الى استماع حجتهم بان أسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا أصاخوا له أورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو أتم وأنفع وهذا قريب من الاول وان فرق بينهما بما فى هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسيأتى فى القسم الثالث ما يتعلق بهذا وقول المصنف رحمه الله تعالى استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك فى الله ووحدانيته فكيف صدر هذا من الخليل عليه الصلاة والسلام بانه صدر منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم أعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة موحدون فالاولى ما قدمناه من التأويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بلوغه بل وبعثته وان سياق الآية ناطق به كما قررناه أولا وهو ظاهر ارتضاه القرطبى فى تفسيره وقيل انه قاله فى طفوليته من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قصة أخرى لانه قصد النظر لنفسه والفاء ليست لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول بانه على تقدير مضاف أى هذا مخلوق ربى لا يخفى بعده (وقيل أوحى الله الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صبى) هذا الوحى يحتمل أن يكون برسول من الملائكة أرسله الله تعالى اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث

(وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) أى فى نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) فحكاه الله تعالى عنه جهرا ولا يدع انه كان زمان مراهقته وأول مقام نبوته تنبيها لقومه على خطئهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر الاشياء النورانية والظمانية محدثا دبر طلوعها وسيرها وانتقالها وزوالها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى يا قوم انى برىء مما تشركون (وقيل أوحى) وفى نسخة أوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمز وعدمه وكان بخده الايمن خال أسود وبين عينيه شامة وبقى فى الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة قيل عدد حروف اذكرنى عند ربك وان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فاثنتا عشرة وعن على كرم الله تعالى وجهه ان أحسن الحسن الخلق الحسن وأحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) أو بالغ فعن الحسن وله سبع عشرة سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنو اسرائيل من مصر الى الشام

(عند ماهم اخوته بالقائه فى الجب) أى فى قعر بئر وهى على ثلاثة فراسخ من منزل أبيهم (يقول الله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية) أى الى وهم لا يشعرون ففيه بشارة الى مآل أمره أى انخلصنك ولتخبرن اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون وأبعد من جوز تعلق جملة وهم لا يشعرون باوحينا كما لا يخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفا (الى غير ذلك من أخبارهم) ويروى ما ذكر من أخبار غيرهم (وقد حكى أهل السير ان آمنة بنت وهب أخبرت ان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) أى أول ما ولد (ولد باسطا يديه الى الارض) أى معتمدا بيديه على الارض وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط دينه وملكه على بساط الارض ورفعة شانه بالاسراء الى جهة السماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على مارواه أبو نعيم فى الدلائل (لما نشأت) أى انتشأت بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو أولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى أى شببت وصرت شابا (بغضت) بالتشديد للمبالغة أى كره الله (لى الاوثان) أى عبادتها والمعنى انه خلق فى جبلته وفطرته بناء على تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ماسواه

نبى الا بعد الار بعين وهو وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون مايخالفه ويحتمل انه الهام أو رؤيا منام وقد ذهب الى كل من هذه الاقوال طائفة وفى الكشاف ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان اذ ذاك مدركا وعمره تسع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف رحمه الله تعالى من انه كان صبيا (عندما هم اخوته) بكسر الهمزة وضمها جمع أخ (بالقائه فى الجب) بضم الجيم وتشديد الباء وهو البئر غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القائه بالجب مشهورة غنية عن البيان وسيأتى ذكر اخوته وقصتهم (بقوله تعالى) فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب (وأوحينا اليه لتنبئنهم) أى لتخبرن يا يوسف اخوتك (بامرهم هذا) وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة بقوله أوحينا أو بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وقيل بل كان ابن اثنتى عشرة سنة أو ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبئ وأوحى اليه فى صباه كيحيى وعيسى فالوحى فى الآية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف رحمه الله تعالى وقواه هم هو معنى قوله تعالى وأجمعوا الى آخره أى اجمعوا أمره لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رأيه جميعا بعدما تفرق وهو يقتضى ان الوحى وقع له حين هموا بالقائه وفى الآية ما يقتضى انه وقع بعد القائه قال القاضى انهم أتوا بيوسف عليه الصلاة والسلام الى البئر ودلوه فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصى أتوارى به فقالوا أدع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وفيها ماء فأوى الى صخرة بها وقام عليها يبكى فجاءه جبريل عليه السلام بالوحى كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضى ان الوحى بعد الالقاء تطيبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله تعالى أراحه بما يبشره به من نصره فالحال من ضمير أوحينا والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم أى لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك فهو واشارة لما وقع لهم لما أتوا ممتازين ليعلم ان المحنة تنقلب محنة (الآية) أى أذكر الآية التى ذكر فيها هنا مالها (الى غير ذلك من أخبارهم) أى أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام الدالة على أنهم مجبولون على الكمال من ابتداء أمرهم فى صغرهم (وقد حكى أهل السير) مما يدل على ذلك (ان آمنة بنت وهب) أم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كام (أخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد) أى خرج من بطنها حين أراد الله تعالى اخراجه منها فلا لغوية فيه وقيل حين ظرف متعلق بباسطا الآتى وهو حال من الضمير المستكن فى ولد الاول والظرف مؤكد لدفع ان الحال مقدرة (باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء) رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن أبى الحسين بن أبى يد مرسلا قال قالت آمنة ولدته صلى الله تعالى عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة من الارض وأهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه اناء فوجدته قد انغلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع الى الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظائر ذكرها ابن حجر فى كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض أصابعه فى هذا الحديث وبين ما فى سيرة ابن اسحق من أنه ولد واضعا يديه فى الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا * أقول أما التسبيح فلا دلالة عليه فى الحديث وأما عدم منافاته لما فى سيرة ابن اسحق فسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى الا بتأويل بعيد ويؤيده قول البوصيرى فى قوله رافعا طرفه الى السماء وفى * ذلك الرفع الى كل سودد ايماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت) أى صرت شابا وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس (بغضت لى الاوثان) بالبناء للمجهول أى بغضها الله لى وهى جمع وثن وهو حجارة

(وبغض الى الشعر) لما أراد أن ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه شعرا وهو لا ينافي ان يكون موزونا في طبعه كما حقق في موضعه (ولم أهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة أو مفتوحة أي لم أقصد (بشئ مما كانت الجاهلية تفعله) أي من المعارف وغيرها مما نهى الله عنه (الامرتين فعصمني الله منهما) أي من الاستمرار عليهما وفي أكثر النسخ منها أي من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم أعد) أي لم أرجع اليها ابدا فعن علي كرم الله وجهه على مارواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد ثم ماهممت بعدهما بشئ حتى أكرمني الله برسالته ورواه الحاكم في المستدرك في التوبة بلفظ ماهممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية الامرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله أبصر غنمي حتى اسمر هذه الليل كما يسمر الصبيان فجئت أدنى دار مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فما أيقظني الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيناي فما أيقظني الامس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي مافعلت فقلت ماأفعلت شيئا أي وذلك حياء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ماهممت غيرهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله كما يسمر الصبيان وهذا أقوى دليل على قبح سماع الملاهي وضرب الدف الا ماشرع له خلافا لما يفعله الجهلة من الصوفية حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى في مجالس المواليد ومزار قبور المشايخ الابرار والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لا يضر في ذلك ماوقع لهم حال الصغر على سبيل الندرة (ثم يتمكن الامر لهم) أي يزداد (وتترادف) أي تتوالى وتتابع (نفحات الله) جمع نفحة أي عطياته ومعارفه وجذباته (عليهم)

كانت تعبد من أوثنته اذا أجزلت عطيته وأوثنت كذا أكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ماله جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على الصليب وكل مايشغل عن الله (وبغض الى الشعر) أي استماعه والتلفظ به (ولم أهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الامرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر لحكمة لان فيه مايحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاء الكفار كما قال الله تعالى وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاز قائله وقال مرة لقائله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض أو يقال تعريف الشعر للعهد وقوله أهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان الحلبي وفسر بمعنى لم أردوأقصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه ولفظه ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد ثم ماهممت بعدها بشئ حتى أكرمني الله تعالى برسالته ورواه في المستدرك بلفظ آخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان فجئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما أيقظني الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى كذلك والله ماهممت بغيرهما مما تفعله الجاهلية وروى ان الله ألقى عليه النوم في المرتين صيانة له وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع وأما النهي عن سمر الليل فليس نهي تحريم ملطقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون أفضل من النوم كمذاكرة العلم وانما يحرم أو يكره لعارض كما ذكره الفقهاء وقوله فعصمني الله أي حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم يسمع وماوقع في بعض الشروح ان كلامه اشارة الى أنه كان لقريش صنم يسمى بوانة يجتمع عنده في كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا لرؤية رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان في روايته كلاما للسهيلي ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن الفترة كما تقدم (ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم) الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام والظاهر أنه معطوف على غرزت من قوله سابقا بل غرزت فيهم الاخلاق الى آخره وعطفه بثم لبعد رتبته أو زمانه باعتبار الابتداء أو الانتهاء ويتمكن بمعنى يقرو يثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما أودع فيهم من الكمال والعلوم وتترادف تتفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد أنها تتوالى

وتشرق) من الاشراق أي تضيء (أنوار المعارف في قلوبهم) أي وآثار العوارف على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفي نسخة الى الغاية أي نهاية أرباب الهداية وأصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التي مافوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هي الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو في مرتبة الكمال بين صفتي الجلال والجمال (دون ممارسة ولا رياضة) أي من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل بخلقة جبلية وجذبة الهية (قال الله تعالى ولما بلغ أشده) أي وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى أربعين سنة (واستوى) أي استحكم عقله واستقام حاله وبلغ أربعين سنة وهو سن بعث الانبياء عليهم السلام غالبا في سنة الله وعادته سبحانه وتعالى (آتيناه حكما) أي نبوة (وعلما) أي معرفة تامة وأبعد الدلجي في تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم في ترجيحه (وقد نجد) أي نصادف (نحن غيرهم) أي غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) أي الكريمة المستحسنة (دون جميعها) وفي أصل الدلجي دون بعضها (ويولد عليها) أي يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) أي بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) أي الهيئة والطريقة والتحلية بحلية أهل الحقيقة كما روي عن بعض أرباب هذا الشان انه لم يكن يرضع في نهار رمضان (أو الشهامة)

فيأتي بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل رائحة تأتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى الهبة والعطية قال

لما أتيتك أرجو فضل نائلكم * نفحتني نفحة طابت لها العرب

والمراد هنا أمداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجاز اتهكم كقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها (وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم) تشرق بمعنى تضيء يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية (حتى يصلوا الغاية) أي غاية الكمال في التخلق بأخلاق الله تعالى (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم) أي بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم (بالنبوة) متعلق بيبلغوا أو باصطفاء (في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) التي لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه تفنن في العبارة (دون ممارسة) أي من غير تكرار عمل ومزاولته (ولا رياضة) أي تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة أروضها اذا عودتها السير والجري (قال الله تعالى ولما بلغ أشده) أي موسى صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى أربعين أو ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد أو جمع لا واحد له أو واحده شدة أو شد بالفتح أو الكسر وقيل خمس وعشرين لما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال ينتهي لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا لا ينافي ما مر لما ذكره العلماء من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضي الله عنه (واستوى) ذكر الاستواء في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وقال التلمساني لان الاستواء كمال العقل ووقت الرسالة وموسى ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوى في خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو مجمع الاشد ومن بلغ أربعين فقد بلغ حد الاستواء ومنتهى الكمال انتهى (آتيناه حكما) أي نبوة (وعلما) بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزي المحسنين علق وقوع الجزاء بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين أي مخلصين مراقبين لله في أعمالهم وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية لانه تعالى أخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى أقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة (وقد نجد غيرهم) أي غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام (يطبع) أي يخلق مجبولا (على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها) وفي نسخة دون بعضها (ويولد عليها) موجودة فيه وجودا متأصلا وهذا كالتفسير لما قبله (فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل) منصوب بنزع الخافض أي بعناية الله ولطفه اذ جبله على أصولها (كما يشاهد من خلقه) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وقاف وهاء تأنيث أو بفتحهما مضافا لضمير الله والاول أولى وعليه اقتصر ابن رسلان (بعض الصبيان على حسن السمت) السمت الطريق وهيئة أهل الخير يقال ما أحسن سمته أي هديه وسيرته وقد ورد في الحديث بهذا المعنى (أو الشهامة) أي أو خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم أي حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته ومازال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال

بفتح المعجمة أي على الجلادة وذكاء الفطنة (أو صدق اللسان) أي مع نطق البيان (أو السماحة) أي الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء وكمال الادب والرضى بما أعطى من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) أي بعض غير

كأنها في عن عبادة الاوثان (أو صدق اللسان أو السماحة) كان الظاهر عطفها بالواو ولكنه لما أتى بيانا لبعضها أي أن أو الفاصلة أنسب (وكما نجد بعضهم على ضدها) أي ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما في قوله تعالى على هدى من ربهم (فبالاكتساب يكمل ناقصها) فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن في التعبير أو بينهما فرق قلت قال العيني بينهما فرق الا أنه لم يفصح عنه وقال ابن أبي الاصبغ في كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع عربيا كان أو غيره الا أنه تام الخلق ليس في أعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية أو العرضية وهذا هو المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو أخص منه وقد يطلق كل منهما على الآخر تجوزا وعليه قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي انتهى وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يتمشى على الاخير حيث جعل ما في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام تماما وما في حق غيرهم كمالا ولو عكس كان أحسن (وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بالجيم والبناء للمجهول أي تكتسب وتحصل لمن لم يطبع على شيء منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالتطبع وهذا قسم آخر غير ما تقدم فان الاول وهو مرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن يطبع على جميعها والثاني أن يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان تطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له أولا فسقط ما قيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه وبالاكتساب يكون كمالها الى كمال البعض الخلقي الا أنه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض (ويعتدل منحرفها) المراد بمنحرفها المائل عن الاعتدال المحمود لانه هو الطريق فمن فرط أو أفرط فقد مال عنه وهذا بناء على القول الاصح أن الطباع يمكن تغييرها والا لضاعت المواعظ والنصائح وكان الانسان دون البهائم التي برياضتها قد تتعلم ما ليس في طباعها وقد قال الله تعالى وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وقال الشاعر

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى ✽ أخا كرم الا بان يتكرما

كما فصل في علم الاخلاق (وباختلاف هذين الحالين) الجبلي والكسبي (يتفاوت الناس فيها) أي في الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا (وكل ميسر لما خلق له) هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح وأوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل أهل السعادة ومن خلق شقيا يعمل عمل أهل الشقاء ولذا كان التوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية وقال الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى (ولهذا التفاوت فيها) (ما قد اختلف السلف فيها) ما في أكثر النسخ وهي موصول اسمي أو حرفي أو زائدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلماء (هل هذا الخلق) الحسن الذي يحمد به الناس (جبلة أو مكتسبة) الجبلة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهي بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وتخفيفها (فحكى) الامام المفسر محمد بن جرير (الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن) الذي يجمع أكثر الطبائع المحمودة (جبلة وغريزة) خلقها الله (في العبد) وتعبيره بالعبد ايماء الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده (وحكاه عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه والحسن) البصري (وبه قال هو) أي ابن جرير

الانبياء أو بعض الصبيان (على ضدها) أي في الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم أي يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) أي مائلها لمن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة أحوالها (وباختلاف هذين الحالين) أي الجبلي والكسبي (يتفاوت الناس فيهما) أي قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر) أي معدوم مهيأ (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة (ولهذا) أي ولتفاوت الناس فيهما وفي أكثر النسخ ولهذا (ما) أي وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) أي في الاخلاق (هل هذا الخلق) أي الحسن أو جنسه (جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري) أي صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) أي وكذا ضده (جبلة وغريزة في العبد وحكاه) أي بعض السلف أو الطبري (عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه والحسن) أي البصري (وبه قال هو) أي ابن جرير الطبري

(والصواب ما أصلناه) أي جعلناه أصلا فيما مران منها ما هو جبلة غريزية ومنها ما هو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر أو الصحيح كما في نسخة مكان قوله والصواب مراعاة لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ما قدمناه (وقد روى سعد) أي ابن أبي وقاص كما في مقدمة كامل بن عدي وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي امامة (عن

صرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له (والصواب ما أصلناه) أي قدمناه وجعلناه أصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ما هو جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعلم والرياضة وقد تقدم الكلام عليه (وقد روى سعد) أي ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وهي الخصلة والصفة (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب) وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل الموقوف أشبه وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المؤمن على كل شئ الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهي تشتمل أمورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا يكون طبيعة مخلوقة في المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين في غاية القبح فلا يختار اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفره أو المراد المؤمن الكامل (وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم (في حديثه والجرأة) بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للراء وتحذف وهي الشجاعة أو أعم منها ومقابله ما أشار اليه بقوله (والجبن) بضم الجيم والباء وتخفيف النون وتسكن باؤه كثيرا وهو عدم الاقدام للخوف وضده الشجاعة واما الجبن المأكول فبتثقيل الباء والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تلمح القائل

يقولون لي هل اجترأت لدى الوغى * وكنت شديد البأس في الضرب والطعن
فقلت دعوني قانعا بسلامتي * فاني ممن يأكل الخبز بالجبن

(غرائز يضعها الله تعالى حيث يشاء) وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر رضي الله عنه جعل الخيانة والجرأة غريزتين مطبوعتين فدلا على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعي ومنها ما هو غير طبيعي (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة) لا يمكن استيفاء اقسامها تفصيلا (ولكنا نذكر أصولها) التي تتضمن باقيها اجمالا (ونشير الى جميعها) اشارة لا تصريحا (ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى) فانه المقصود من ذكرها

*(قد تم بحمد الله طبع الجزء الاول من الشفا ويليه الجزء الثاني أوله فصل اما أصل فروعها)

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء جمع خلة بالفتح أي الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) أي فلا يطبع عليهما بل قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب كما في أكثر النسخ (في حديثه) أي الذي رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرأة) على وزن الجرعة الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة أي طبائع وقرائح (يضعها) وفي نسخة يضعها (الله حيث يشاء) أي كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة) وفي نسخة الشريفة بدلها وفي نسخة جمعهما (كثيرة ولكن) وفي رواية ولكنا وفي أخرى ولكنما (نذكر أصولها) أي في فصولها (ونشير الى جميعها) أي باعتبار فروعها (ونحقق) أي نثبت (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها) أي على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) أي اتمام ما قصدنا اليه